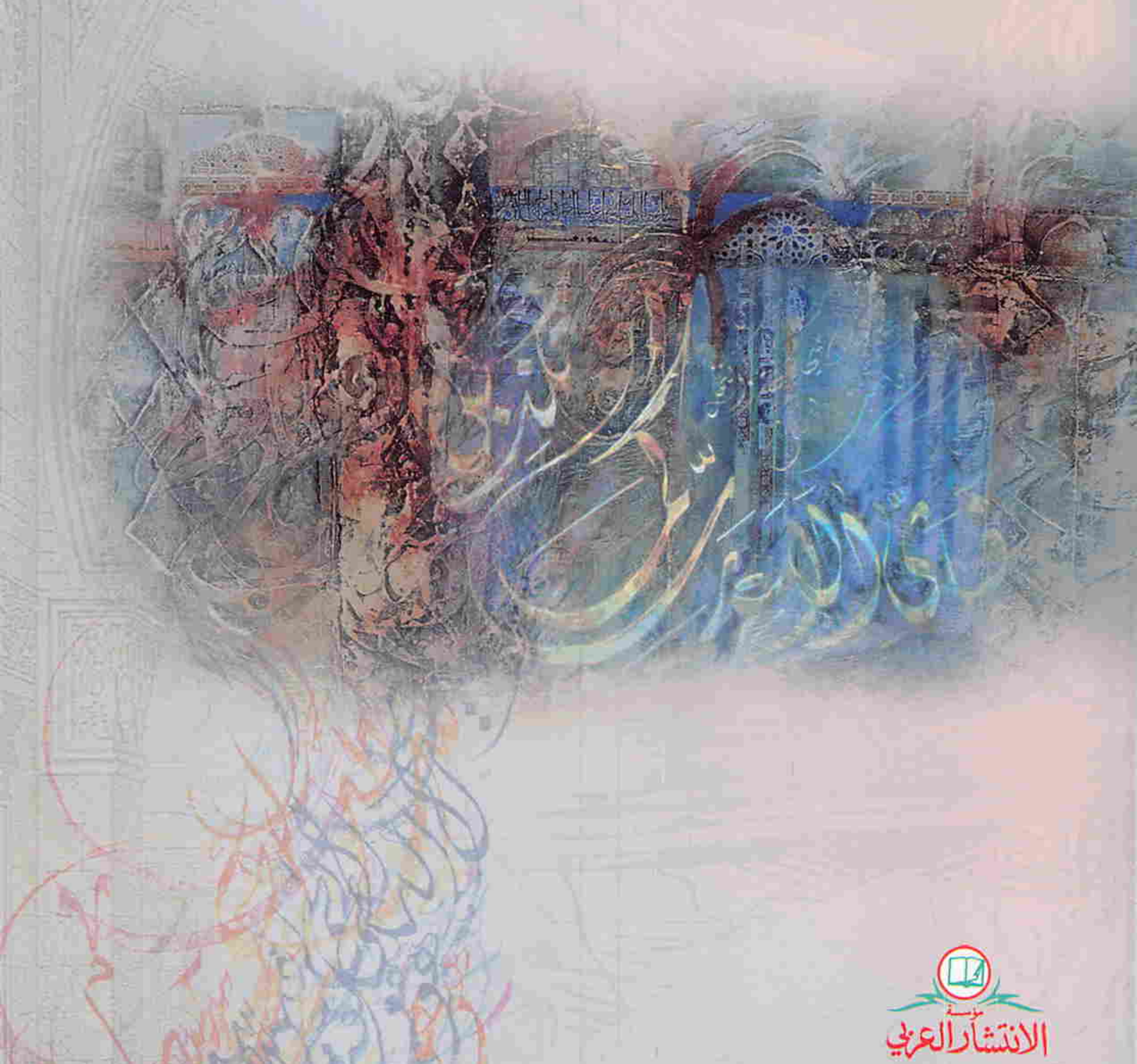
موسى الفقيه

التحريف في الإسلام

تحريف الكلم عن مواضعه في الإسلام



مؤسسة الانتشار العربي

موسى الفقيه

التحريف في الإسلام

تحريف الكلم عن مواضعه في الإسلام



التحريف في الإسلام

تحريف الكلم عن مواضعه في الإسلام

موسى الفقيه



ص.ب. 113/5752
E-mail: arabdiffusion@hotmail.com
www.alintishar.com
بيروت - لبنان
هاتف: 9611-659148 فاكس: 9611-659150

ISBN 978-614-404-628-9

الطبعة الأولى 2015

المحتويات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِيَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُۥ كَفَرۡتُمۡ وَإِن يُشۡرَكۡ بِهِۦ تُؤۡمِنُواْۚ فَٱلۡحُكۡمُ لِلَّهِ ٱلۡعَلِيِّ ٱلۡكَبِيرِ﴾

[غافر، آية: 12]

﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُ ٱشۡمَأَزَّتۡ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ﴾

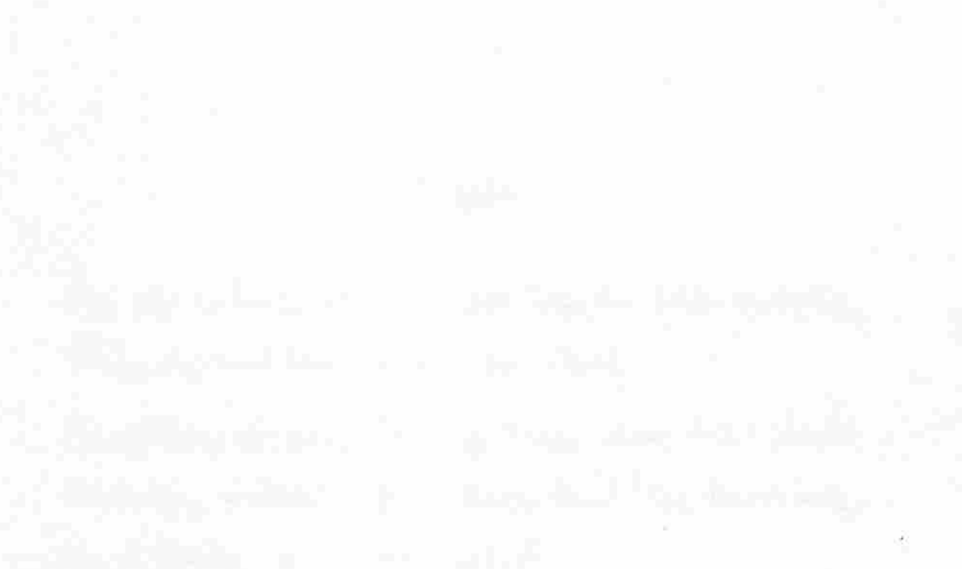
[الزمر، آية: 45]



الإهداء

إلى والدي الذي علّمني روعة الحرف، وقاد خطواتي الأولى في دنيا القراءة فكان هذا العمل.

إلى والدتي وزوجتي وأطفالي الذين دفعوا ثمنًا باهظًا لاهتمامي بالكتابة، وقد يدفعون ثمنًا أكبر لممارستي حرية التفكير أهدي هذه الدراسة.



شكر وتقدير

أشكر الأستاذ عبد المجيد الشرفي على تكرمه بقراءة هذه الدراسة، وعلى ما أبداه من ملاحظات قيّمة، كان لها كبير الأثر في تطويرها، ومن نافلة القول، الإشارة إلى أنّ الأستاذ الشرفي غير مسؤول عما قد يرد في هذا العمل من أخطاء وهفوات.

كما أشكر الأستاذ عز الدين الناجح على تكرمه بالاطلاع على الدراسة، وعلى ما أبداه من ملاحظات لغوية قيّمة، كان لها كبير الأثر في تطويرها.

مقدمة

يتمثل المأزق المشترك بالنسبة إلى الشرائع السماوية في أنّه ما أن يتوفى الله تعالى رسله عليهم السلام، حتى ينكص أتباعهم على أعقابهم، ويخلدوا إلى الأرض، ويسعوا إلى إخضاع الإلهي والديني والمقدس والمطلق، إلى ما هو إنساني ونسبي ونفعي. وعادة ما يتولى هذا الأمر الحُذَّاق والشُّطار الذين يحتكرون المال والجاه، حيث تضيرهم بعض القواعد الدينية التي تحدّ من شهوتهم للطغيان والظلم، واحتكار الجاه والمال، فتحرم الاحتكار والرشوة والربا، وتأبى أن يكون المال دولةً بين الأغنياء من دون الفقراء، وتحرّم اكتنازه. كما تضيرهم القيم الدينية التي تحثّ على الإنفاق في سبيل الله، وتدعو للحدّ من الترف والإسراف. ومن هناك يسعى هؤلاء إلى تغليب الإنساني والنسبي والنفعي، على الإلهي والمطلق والمقدس والديني في حياة الناس. وعادة ما يسلس العامة لهم القياد فيتبعونهم ويرضون بما تواضعوا عليه من تحريف وإخضاع لشرائع الله لنظريات ومعتقدات البشر.

ويجد المحرّفون ضالتهم في الجزء الإنساني من الدين، الذي يلتقطونه من دور الرسل عليهم السلام وأحاديثهم وتبيانهم لدلالات النص الإلهي، فيتلاعبون به ويتأولونه بغرض توظيفه لخدمة مآربهم الخاصة. فابتدع اليهود كتابًا مقدسًا غير التوراة سموه التلمود، جمعوا فيه ما نسبوه إلى النبيّ موسى عليه السلام من أقوال وأحاديث، ادعى الأحبار بأنّ الله سبحانه وتعالى قد أوحاه إليه في جبل طور، كما ادعوا بأنّ الوحي الإلهي على النبيّ موسى عليه السلام لم يقتصر على التوراة بل يشمل التلمود أيضًا. وفعل المسيحيون الأمر نفسه حين جمعوا أقوال المسيح في أناجيل عديدة بلغت أكثر من ثلاثين إنجيلًا منها أربعة معترف بها، وأخفوا الإنجيل الإلهي الذي لا يتماشى مع العقيدة المسيحية الجديدة، التي نتجت عن إخضاع رسالة المسيح للقيصر، والتي تتبنى عقيدة التثليث وتدّعي بأنَّ المسيح ابن الله، سبحانه

وتعالى عمّا يصفون، والتي كُرّست عقيدة أُحادية للمسيحيين في «مجمع نيقيا» الذي دعا إليه القيصر قسطنطين الملقب بالعظيم، وبذلك بلغ التحريف مداه لدى المسيحيين، حيث حلّ النص الإنساني محل النص الإلهي بالكامل، بينما زَاوَجَ اليهود بين النصين الإلهي والإنساني، فزاوجوا بين التوراة والتلمود.

وإجمالًا فإنّ التجار والمرابين وأهل المال والجاه اليهود تضايقوا من نصوص التوراة، فاستعاضوا عنها بالتلمود. وتضايق القيصر ومترفو الرومان من نصوص الإنجيل، فاستعاضوا عنها بما قيل إنّها أقوال المسيح عليه السلام. غير أنّها في الواقع كانت أقوال الرواة الذين تسموا بالقديسين، وجمعوا بعض أقوال المسيح عليه السلام، التي لا تتعارض مع مقررات مجمع «نيقيا الكنسي» أو التي أُخضعت لها، كما أضافوا إليها ما شاؤوا من الأقوال التي لم يَقُلها.

وساد اعتقاد لدى المسلمين، بأنّ رسالة الإسلام لم تتعرض للتحريف، ولن تتعرض له، ذلك أنّ الله سبحانه وتعالى تعهد بحفظها؛ حيث قال في محكم كتابه الكريم: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾[1].

هذه الدراسة تحاول أن تسبر غور هذا الاعتقاد، وتبرهن على مدى صحته، وذلك بالتحري من مدى سلامة رسالة الإسلام من التحريف، منذ تنزيل القرآن على النبيّ محمد ﷺ وإلى اليوم. ومن أجل هذه الغاية تمّ الرجوع إلى كتب التفسير وخاصة التفسير بالمأثور، وكتب أسباب النزول والنسخ في القرآن الكريم، ومدونات الأحاديث؛ وذلك لتحقيق هذه المسألة، والتأكد من سلامة الرأي القائل بأنّ رسالة الإسلام كانت بمنأى عن التحريف والتزوير، وبمنأى عن تغليب الإنساني والنسبي والنفعي على الإلهي والمطلق والمقدس، وهو ما لحق بالشرائع السماوية السابقة لها كاليهودية والنصرانية. والدراسة تنطلق من أطروحة تقول: بأنّ رسالة الإسلام لم تسلم من التحريف، ولم تسلم من تغليب الإنساني والنسبي والنفعي على الإلهي، فحتى وإن سلم النص القرآني نفسه من التحريف، فإنّه قد طاله الإلغاء والتعطيل بواسطة النسخ،

---

(1) سورة الحجر، الآية: 9.

وطاله التحريف بواسطة التأويل وبما غصت به كتب التفسير من روايات كاذبة تتعلق بأسباب النزول، كما طال الإسلام ما طال الديانات السابقة من تغليب لما هو إنساني على ما هو إلهي في الدين، فغلبوا ما ورد في كتب الصحاح الستة على القرآن، فقالوا: بأنّ الحديث حجة على القرآن، والقرآن ليس حجة على الحديث؛ حيث أورد ابن عبد البر في كتابه جامع بيان العلم وفضله قولًا نسبه للأوزاعي قال فيه: «قال الأوزاعي الكتاب أحوج إلى السنة من السنة إلى الكتاب، قال أبو عمر يريد أنّها تقضي عليه وتبين المراد منه، وروي حدثنا عيسى بن يونس عن الأوزاعي عن مكحول قال: القرآن أحوج إلى السنة من السنة إلى الكتاب. وبه عن الأوزاعي قال يحيى بن أبي كثير: السنة قاضية على الكتاب وليس الكتاب قاضيًا على السنة»[1] كما قالوا بأنّ الأحاديث وحيٌ من الله كالتلمود وأول من قال بذلك الشافعي[2]، ووافقه فقهاء ومحدثو أهل الحديث والنسخ في ذلك.

والدراسة ستأخذ على عاتقها التحقق من هذه الأطروحة المخالفة للتيار الرئيسي والسائد في الدراسات الإسلامية، هذه الدراسات التي دأبت على التأكيد على خلو الإسلام من أي تحريف. وهذا لا يعني بأنّ هذه الدراسة تدّعي الريادة في معالجة هذه الأطروحة، بل ثمّة دراسات عديدة أخذت على عاتقها محاولة الخروج عن التيار السائد والمحافظ بشقيه السني والشيعي، والذي يستميت في المحافظة على سلامة التراث الديني وصحته، الذي وصلنا من التيارين الرئيسين في الإسلام: الإسلام السني، وهو ما أسميه في هذه الدراسة «أهل الحديث والنسخ»، والإسلام الشيعي أي الشيعة الإمامية، وهو ما أسميه «أهل الرواية والتأويل»، وقد قام بتلك الدراسات العديد من الباحثين والدارسين الجادين الذين لا يتسع المجال لذكرهم جميعًا هنا، لكننا نتوجه لهم بالتحية والتقدير على جهودهم الجادة والجريئة، ونطلب من الله العلي القدير أن نتمكن من أن نضيف لبنة لما بذلوه من جهود، نذكر منهم: ابن الجوزي،

---

(1) انظر ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله، ج2 - ص 191.

(2) محمد بن إدريس الشافعي، الرسالة، ص 37.

وصالح مهدي المقبلي، محمد عبده، ومحمد رشيد رضا، وأحمد أمين، ومحمود أبو رية، د. علي الوردي، د. علي شريعتي، د. محمد عابد الجابري، د. مصطفى زيد، د. مصطفى محمود، د. محمد عمارة، د. محمد حمزة، د. الصادق بلعيد، د. حمادي الذويب، د. بسام الجمل.

الجزء الأول

تحريف الكَلِمِ عن مواضعه



تحريف الكلم عن مواضعه في الإسلام

يتّفق جلّ المسلمين، إن لم نقل جميعهم، على أنّ النص الحرفي للقرآن لم يحرف، وهذا رأي يسلّم به المسلم لثقته في قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾[1]. غير أنّ هذه الدراسة **ترى بأنّ التحريف حتى وإن لم يطل النص القرآني، فإنّه طال دلالاته دون متنه، وذلك بتأويل بعض آياته تأويلًا يُبعدها عن دلالتها الحقيقية**، وهو ما عبّر عنه الله تعالى في وصفه لما قام به بنو إسرائيل بقوله: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ﴾[2]. والسؤال الذي يتبادر إلى الذهن هنا، يتعلق بالدافع الذي يدفع أولئك المحرفين إلى التجني على أنفسهم وعلى الدين، بتحريف الكلم الإلهي عن مواضعه، والكذب على الله تعالى وتقويله ما لم يقل. ويمكن تلخيص تلك الدوافع في التالي:

1 ـ الميل الغريزي لدى الناس إلى اتباع أهوائهم وطلب مغانم الدنيا: وعبّر عن ذلك تعالى بقوله: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾[3]، وتنصرف دلالة الثمن القليل في الآية إلى طلب مغانم الدنيا من مال وجاه أو حتى طلب رضا أصحاب الجاه والمال، وفي هذا السياق قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ﴾[4]، وقال أيضًا: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ

(1) سورة الحجر، الآية: 9.
(2) سورة المائدة، الآية 13.
(3) سورة البقرة، الآية: 79.
(4) سورة البقرة، الآية: 61.

وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[1]، كما قال في موضع آخر: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿16﴾ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾[2]، وكذلك قال: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[3]، وكذلك قال وهو أصدق القائلين: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾[4].

2 ـ الصراعات والفتن التي تعرّض لها المسلمون إبان الفتنة الكبرى: فحين اشتعلت الفتن، ودخلت الأطراف الرئيسية في صراع مدمر، أجاز كل طرف لنفسه استخدام كافة الأدوات المتاحة له لتحقيق الغلبة فيه، مع الأخذ في الاعتبار حبّ البدو للغلبة، وغلبة البداوة على جزيرة العرب. وطالما أنّ الغاية كانت الغلبة فإنّ الغاية بررت الواسطة؛ فلم يتورع البعض من الذين ينتسبون للأطراف الداخلة في ذلك الصراع عن الكذب على الله سبحانه وتعالى، سواءً عن طريق تحريف الكلم عن مواضعه، أو عن طريق إخفاء بعض آيات الذكر الحكيم بادّعاء النسخ عليها، أو بالكذب على رسوله ﷺ، وتقويله ما لم يقل من أجل تحقيق تلك الغاية.

3 ـ التقرب لأصحاب المال والجاه: شكّل التقرب لأصحاب المال والجاه أحد أهم الدوافع لتطويع الأديان والقيم والقوانين، لتكون في خدمة أصحاب الجاه والمال. ومن ثم كان إرضاء الخلفاء والولاة، والتجار وكبار المالكين، أحد الأسباب الرئيسة الدافعة للتحريف في الإسلام بكافة ألوانه وأشكاله.

4 ـ الكذب بذريعة الإصلاح: شكّل الكذب بذريعة الإصلاح أهم الأسباب الداعية لتحريف دلالة النص القرآني، وذلك بصناعة أقاصيص وأحداث حول أسباب نزول آية ما لا صلة لها بسبب نزولها؛ حيث قام

(1) سورة الأنفال، الآية: 7.
(2) سورة الأعلى، الآيتان: 16 ـ 17.
(3) سورة النحل، الآية: 107.
(4) سورة مريم، الآية: 59.

الوعاظ والقصاصون باختلاق قصص وعظية، استعانوا فيها بالإسرائيليات، التلمودية والإنجيلية «روايات كتبة الأناجيل»، خدمة لأغراض الوعظ والإرشاد، والتذكير بالآخرة ويوم الحساب، وذلك للحثّ على التقوى والاستقامة وفعل الخيرات.

5 ـ **حبّ العرب للمفاخرة**: وهو ما دفعهم إلى اختلاق روايات وأحاديث، تدعم نظرية أنّ رسولهم ﷺ هو أفضل الرسل عليهم السلام، بل وأفضل الخلق وأنّ جبرائيل عليه السلام أدنى منه مرتبة، وأنّه كلم الله كما فعل موسى عليه السلام بل ورآه أيضًا، وحدثته الحيوانات كما حدثت سليمان عليه السلام، وأنّه يشفي المرضى بريقه كما شفى عيسى عليه السلام المرضى، وأنّه أنزلت عليه آيات أو معجزات كما نزلت على موسى وعيسى وغيرهما من الرسل عليهم السلام، وأنّه مُنح الشفاعة لعدم دعائه على قومه، وما إلى ذلك من مفاخر لا يتسع المجال لذكرها. توسع فيها الشيعة فأضافوا لها القول بأنّ الأفضلية لا تقتصر على النبيّ محمد ﷺ، بل تشمل الأئمة: فعلي وبعض من ذريته رضي الله عنهم هم أفضل الخلق، حتى أنّ نبي الله آدم عليه أفضل الصلوات والسلام توسل بهم ليغفر له الله تعالى خطيئته عند أكله من الشجرة!

نخلص إلى القول: بأنّ الأسباب التي دعت إلى تحريف الكَلِم عن مواضعه، والكذب على الله في الرسالات السماوية الثلاث متقاربة؛ وتكمن في حبّ الدنيا والانقياد للأهواء والشهوات، وتملق الحكام وأرباب المال، والصراعات والفتن وحب الغلبة، وحب المفاخرة والولوع بإجادة الوعظ. وتطمح هذه الدراسة؛ إلى كشف ما جرى من تحريف للكلم عن مواضعه في الإسلام، لدى الفرق والمذاهب المختلفة، دون انحياز لفرقة أو مذهب دون آخر، مع التركيز على الفرقتين الرئيسيتين في الإسلام: السُّنة والشيعة.

ونتعرّض هنا، لبعض الأمثلة والشواهد من النصوص القرآنية، التي تحمل شبهة التعرّض لتحريف معانيها عن دلالاتها الحقيقية، وهو ما يعبّر عنه القرآن بتحريف الكَلِم عن مواضعه، ونترك الأشكال الأخرى المتوقعة للتحريف، كشبهة الكذبَ على الله، وشبهة إخفاء أو كتمان ما أنزل الله تعالى للأقسام التالية من هذه الدراسة.

التفسير والتأويل:

التفسير والتأويل لغة لهما نفس الدلالة المعجمية، ويُراد بهما الإيضاح والتبيين، فيفيد التفسير معنى الإظهار والكشف، أي كشف المغطى، ويراد به كشف المراد من اللفظ، ويقال: سفرت المرأة إذا كشفت عن وجهها وصارت سافرة، وأسفر الصبح أي أضاء[1]. وللتأويل دلالتان، فهو لغة يعني البيان والتفسير، وهو الشائع لدى المفسرين والفقهاء والمحدثين، والقرآن يستخدم التأويل بدلالة التفسير، ولم ترد كلمة تفسير إلّا مرة واحدة في القرآن: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾[2]، بينما وردت كلمة تأويل في القرآن سبعة عشرة مرة جلها في سورة يوسف: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾[3]، ﴿ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾[4]. وتنصرف دلالته اصطلاحًا إلى صرف المعنى الظاهر للكلمة إلى معنى آخر يرجحه المتأوّل، كتأويل اليد بالقدرة، والاستواء بالاستيلاء، وهي الدلالة السائدة لدى المتكلمين والفلاسفة، ويعرّف «ابن قدامة المقدسي» التأويل بقوله: «أمّا التأويل فهو: صرف اللفظ من الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح لدليل يقترن به»[5] وتنصرف دلالة التأويل في القرآن إلى كشف دلالة اللفظ أو الرؤيا. غير أنّه أُضيف إلى دلالتيه المعجمية والقرآنية دلالة اصطلاحية، تنصرف إلى صرف المعنى الظاهر للكلمة إلى معنى آخر يرجحه المتأوّل. ومع ذلك فلا ينبغي أن تُقصر دلالته على صرف المعنى الظاهر إلى غيره، ذلك أنّ الله تعالى لا يستخدم التأويل بهذه الدلالة، بل إنّه يقصره على دلالته اللغوية أو المعجمية.

---

(1) د. محمد فاروق النبهان، مدخل إلى علوم القرآن، ص6.
(2) سورة الفرقان، الآية: 33.
(3) سورة يوسف، الآية: 6.
(4) سورة الكهف، الآية: 82.
(5) صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، شرح لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد لابن قدامة، ص 32.

والأفضل استخدام تعبير التأويل البعيد، أو التأويل العميق، أو التأويل الباطني، أو التأويل الترجيحي، للدلالة على صرف المعنى الظاهر إلى غيره، لكن لا بأس من استخدامه بالدلالتين معًا وسنستخدمه في هذه الدراسة على هذا النحو.

التأويل والتحريف:

أدّى انقطاع الوحي بوفاة الرسول ﷺ، إلى توقف إمكانية شرح مقاصد الوحي، وعلى نحو خاص ما تشابه من القرآن، أو بمعنى آخر الوصول إلى دلالة الآيات المختلف حولها، وغالبًا ما تركّز الاختلاف حول الآيات التي تُعنى بأوضاع المسلمين اللاحقين لزمن النبوّة، أو بلغة الحديث الآيات التي فيها خبر ما بعد عصر النبوّة؛ حيث أورد الترمذي حديثًا نُسب لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه قال فيه: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ستكون فتن كقطع الليل المظلم، قلت: يا رسول الله! وما المخرج منها؟ قال: كتاب الله تبارك وتعالى، فيه نبأ من قبلكم وخبر من بعدكم، وحكم ما بينكم، هو الفصل ليس بالهزل، [ما] تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، هو حبل الله المتين، ونوره المبين وذكره الحكيم، وهو الصراط المستقيم، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا تتشعب معه الآراء، ولا يشبع منه العلماء، ولا يمله الأتقياء، ولا يخلق على كثرة الردّ، ولا تنقضي عجائبه، وهو الذي لم تنته الجن إذ سمعته أن قالوا إنا سمعنا قرآنًا عجبًا، من علم علمه سبق، ومن قال به صدق، ومن حكم به عدل، ومن عمل به أجر، ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم»[1]. ولمعرفة دلالات الآيات التي تُعنى بأوضاع المسلمين اللاحقين لزمن النبوّة لجأ المفسرون إلى التأويل، واتخذ التأويل إحدى الصيغ التالية:

---

(1) انظر سنن **الترمذي** ـ كتاب الفتن عن رسول الله ﷺ ـ باب ما جاء في «ستكون فتن كقطع الليل المظلم». انظر أيضًا القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، باب ذكر جمل من فضائل القرآن والتركيب فيه وفضل طالبه وقارئه ومستمعه والعام.

1. **التأويل الوقفي**: وهو التأويل الذي يقتصر على الروايات المنسوبة إلى النبيّ ﷺ والصحابة رضي الله عنهم، وهو ما يُعرف بالتفسير بالمأثور.

2. **التأويل المعرفي**: وهو التأويل الذي يرمي إلى الوصول إلى معرفة الدلالة الحقيقية للآية أو النص القرآني.

3. **التأويل القصدي النفعي**: وهو تأويل نفعي استباقي يرمي إلى تقييد معنى الآية، أو تحريفه ليخدم رأيًا أو هدفًا مقصودًا على نحو مسبق، لا يريد المتأول أن يتخطاه إلى غيره.

والتأويل الأول تأويل مقبول في زمنه، ويصلح لاستكناه دلالة النص القرآني في القرن الأول للهجرة، ذلك أنّه يمثّل قراءة عصر الصحابة والتابعين، ويُعنى بأوضاعهم. غير أنّه لا يصلح للقرون التالية للقرن الأول؛ ذلك أنّ أوضاع المسلمين تغيّرت، ومن ثم لا يمدهم التأويل الوقفي بما يُعنى بعصرهم من دلالات آيات الذكر الحكيم، هذا إن صحّ ما نُسب للنبيّ ﷺ والصحابة من تأويل لآيات الذكر الحكيم آنذاك. ولذلك ظهرت الحاجة لإعمال الرأي في دلالات الآيات بما يلبي ما جدّ من أوضاع ومشكلات ظهرت بعد عصر النبوّة، فظهر التأويل بالرأي الذي نسميه التأويل المعرفي؛ ذلك أنّه لا يمكن للمسلم أن يصل إلى معاني ودلالات متشابه القرآن بدونه، فالقرآن فيه آيات تُعنى بأوضاع المسلمين اللاحقين لزمن النبوّة، فخبر ما بعد عصر النبوّة بلغة حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه، هو ما كان متشابهًا على صحابة رسول الله ﷺ، وبعيدًا عن إدراكهم، ولم يتناوله رسول الله ﷺ بالشرح لصحابته، وذلك لكونهم غير معنيين به أولًا، ولعدم علم النبيّ ﷺ بتأويله ثانيًا. غير أنّه يعنينا نحن الذين نعيش بعد عصر النبوّة، ذلك أنّه يُعنى بحالنا وأوضاعنا ويخبر عن عصرنا بلغة حديث ابن أبي طالب رضي الله عنه، وعن العصور التي تفصل بين عصرنا وعصر النبوّة. وساهم الاقتصار على التفسير الوقفي أو التفسير بالمأثور لدى معظم المفسرين للقرآن الكريم، في حرمان المسلمين من معرفة ما يُعنى بأوضاعهم أو بخبر عصرهم، وعصور من سبقهم ـ من العصور اللاحقة لعصر النبوّة ـ في القرآن، وهو ما أدّى إلى

الاقتصار على قراءة واحدة للقرآن، هي التي سادت في القرنين الثاني والثالث الهجريين، حيث نقلت لنا التفاسير بالمأثور الروايات المتعلقة بتفسير النبي ﷺ للقرآن، وكذلك الروايات المتعلقة بتفسير الصحابة ﷺ والتابعين لآيات الذكر الحكيم. ومن هناك قصرت تلك القراءة إدراكنا ومعرفتنا على ما احتواه القرآن من دلالات تتعلق بأوضاع المسلمين في عصر النبوّة ـ إن صدقت تلك الروايات ـ دون غيره من العصور.

وساهم رفض مفسري عصر ما بعد التدوين للتفسير بالرأي، في جعل المعاني والدلالات السائدة لآيات الذكر الحكيم كأحكام التلاوة وقفية، أي موقوفة على ما أدركه الصحابة والتابعون أو على ما نسبه لهم رواة القرنين الثاني والثالث الهجريين، وعلى ما رجحوه من دلالات بمعنى أدق. ومن المعروف أنّ إدراك الشيء غير الشيء نفسه، ولذلك فإنّ إدراك النص هو غير النص ذاته، ذلك أنّه ثمّة تباين في إدراك النص بين المتلقين، حتى يمكننا القول بأنّه لو أُتلف نصٌ ما، وبقي فقط ما أدركه متلقوه، فإنّه سيكون لنا نصوص متعددة بعدد أولئك المتلقين. ولقد سادت قراءة واحدة للقرآن هي قراءة القرنين الثاني والثالث للهجرة، والتي ساد الاعتقاد بأنّها قراءة الصحابة للقرآن، غير أنّها على الأرجح قراءة أهل القرنين الثاني والثالث له، لكنها نُسبت للصحابة من خلال منهج صناعة الروايات الذي راج في القرنين الثاني والثالث الهجري وما بعدهما. وساهمت عوامل عديدة أشرنا إليها عند تناول دوافع وأسباب التحريف، في تكريس تلك القراءة آنذاك، وساهمت عوامل أخرى بالإضافة إلى تلك التي أشرنا إليها بمصادرة أية قراءة أخرى، أو أي إدراك آخر لآيات الذكر الحكيم، غير قراءة القرنين الثاني والثالث الهجريين؛ أهمها: التعلق بالماضي الزاهر، والسلف الصالح. الأمر الذي جعل المسلمين يتعلقون بقرآن السلف أي «إدراك السلف للقرآن» وليس بقرآن الله، إذا ما سلّمنا بأنّ إدراك الشيء غير الشيء ذاته. فالقرآن لا ينبغي إخضاعه لإدراك واحد أو قراءة واحدة. ذلك أنّ تكريس قراءة واحدة للقرآن، وهي قراءة السلف الذي عاش في القرنين الثاني والثالث الهجريين، يُصنف وفق حديث عدي بن حاتم ﷺ في خانة الشرك بالله، واتخاذ الأرباب من دون الله سبحانه وتعالى عما

يصفون، والذي قال فيه: «أتيت رسول الله ﷺ وفي عنقي صليب من ذهب، فقال: يا عدي اطرح هذا الوثن من عنقك قال: فطرحته وانتهيت إليه وهو يقرأ في سورة براءة، فقرأ هذه الآية: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾[1] قال: قلت: يا رسول الله إنا لسنا نعبدهم فقال أليس يحرمون ما أحلّ الله فتحرمونه ويحلّون ما حرّم الله فتحلّونه؟ قال: قلت: بلى. قال فتلك عبادتهم»[2].

ثم إنّنا دعنا نتناول الأمر من زاوية أخرى فنتساءل عمّا إذا أُلزم على سبيل المثال المسلمون بقراءة أهل الرواية والتأويل «الشيعية» للقرآن؟، فهل سيقبل اتباع بقية الفرق وعلى نحو خاص أهل الحديث والنسخ بتلك القراءة؟ أو لو افترضنا العكس أي إذا أُلزم المسلمون بقراءة أهل الحديث والنسخ للقرآن، فهل سيقبل أتباع بقية الفرق وعلى نحو خاص أهل الرواية والتأويل بتلك القراءة؟ وحيث إنّ الإجابة حتمًا ستكون بالنفي، فكيف يمكن إلزام مسلمي القرن الخامس عشر الهجري بقراءة فقهاء وأئمة القرنين الثاني والثالث الهجريين؟ فمن المنطقي ألّا يقبلوا بها، أو بمعنى أدق ألا تعبّر عن فهمهم وإدراكهم لدلالات النص القرآني؛ فهي أولًا قاصرة عن تزويدهم بدلالات النصوص القرآنية التي تعبّر عن عصرهم، كما أنّ قبولهم بها يُعد مصادرة لإدراكهم، وقراءتهم المتناسبة مع زمنهم لدلالات ومقاصد آيات القرآن الكريم.

فدلالات آيات القرآن الكريم، وخاصة المتشابه منها تتغير بتغير الزمان، فقراءة زغلول النجار للقرآن تختلف بالضرورة عن قراءة الطبري أو عبد الله بن مسعود له، حتى وإن لم يتفق بعضنا مع قراءة النجار للقرآن. فالقرآن قول الله تعالى وقوله تعالى غير تأويله، ومن هناك ففرض تأويل معيّن للقرآن على النّاس فيه شرك بالله تعالى؛ ذلك أنّه يسوّي بين قول الله تعالى، وقول البشر في تأويلهم للنص القرآني، فحين نركن إلى إدراك ابن مسعود رضي الله عنه للقرآن، على

(1) سورة التوبة، الآية: 31.

(2) أخرجه الترمذي ـ ج5 ـ ص278، ح 3095، والطبراني ـ ج17، ص92، ح218، والبيهقي في الكبرى ـ ج10، ص116، ح20137.

سبيل المثال لا الحصر، نخلط بين طاعة الله وطاعة ابن مسعود، وبين قول الله تعالى وقول ابن مسعود، ومن أجل ذلك لا ينبغي الركون للتقليد في تفسير دلالات النص القرآني، واتباع رأي شخص بعينه أو قرن بعينه في تأويل دلالات كلام الله تعالى. وهذا الاقتصار يوقعنا في مأزقين: الأول أن نعدل بالله تعالى غيره، والثاني أن نصادر قراءة عصرنا للقرآن لمصلحة قراءة عصر آخر له، فنصادر تأويلنا أو إدراكنا لدلالة الآيات التي تُعنى بعصرنا، أو بتعبير آخر نحرم أنفسنا من استنباط ما يتعلق بأوضاعنا من دلالات الذكر الحكيم، والتي يمكن التعبير عنها بلغة حديث ابن أبي طالب رضي الله عنه بمعرفة خبر عصرنا.

والتأويل الثالث وهو ما وصفناه بالتأويل القصدي أو النفعي هو تأويل مذموم، وتنصرف إليه دلالة تحريف الكلم عن مواضعه في الآية المذكورة، وفي هذه الدراسة. ويعرف القرطبي تحريف الكلم عن مواضعه بإعطاء معاني ودلالات للكلام غير الذي قُصِدَ به، وعلى حدّ تعبيره: «يتأولونه على غير تأويله»[1].

وفي الوقت الذي رفضت فيه التيارات الرئيسة في الإسلام التأويل من النوع الثاني، وقصروه على مفسري القرنين الثاني والثالث الهجري، قبلت النوع الثالث من التأويل؛ ذلك أنّ القبول بالتفسير بالرأي، والذي يُعنى بإعمال العقل من أجل الوصول إلى دلالات ما تشابه من آيات القرآن، سيكشف لنا دلالات الآيات التي تُعنى بزماننا وتعالج أوضاعنا وأوضاع الزمن اللاحق للنبوّة، وهو ما عبّر عنها حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه بخبر ما بعد عصر النبوّة، ومنه خبر عصرنا، وخبر العصر الذي وقعت فيه شبهات التحريف، وهو ما لا يريده المتأوّلون. ذلك أنّ تأويلنا للآيات التي تعنى بأوضاعنا وزماننا، والزمن اللاحق للنبوّة، سيضعنا في مواجهة مثالب عصر ما بعد النبوّة، العصر الذي فيه شبهة تحريف الكلم عن مواضعه، وشبهة الكذب على الله سبحانه وتعالى، من خلال الكذب على نبيّه ﷺ، وسيضعنا في مواجهة مثالب عصرنا، وسيجرد المتأوّلين من النوع الثاني من كافة أسلحتهم؛ كأسباب النزول ومنسوخ القرآن وناسخه، والتفسير الذي نسبه الرواة للنبي ﷺ لآيات الذكر الحكيم.

---

(1) انظر القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، دار الكتاب العربي، تفسير الآية 46 من سورة النساء.

غير أنّها قبلت النوع الثالث من التأويل، وهو التأويل القصدي والنفعي، وذلك لكونه يخدم أفكارًا مسبقة، يتبناها هذا المذهب أو ذاك من المذاهب الفقهية، ولا يستطيع الدفاع عنها دون استخدامه لهذا النوع من التأويل، الذي وجد في أسباب النزول والنسخ، والتفسير المنسوب للنبي ﷺ مجالًا خصبًا للتوظيف والتحريف، خدمة لأغراض مذهبية ودنيوية. وذلك بتقويل النبيّ ﷺ وأصحابه ما لم يقولوه تارة، وبالتلاعب بأسباب النزول تارة أخرى، أو بتعطيل دلالة الآيات القرآنية بزعم نسخها تارة ثالثة. وهو ما ازدهر في القرنين الثاني والثالث الهجريين، حين كان التنافس على أشدّه بين الفرق والمذاهب في الإسلام.

وهذا الصنيع أخضع ما هو إلهي إلى ما هو إنساني في الدين، ومن ثم حُرّف الكلم عن مواضعه وأُفسد الدين؛ ونسب فيه اللهُ سبحانه وتعالى من الأقوال ما لم يقل، ودعا المتأوّلون النّاس لاتباعهم واتباع تأويلاتهم، عوضًا عن اتباع كلام الله تعالى، كما فعل أصحاب الديانات السابقة، ونحن هنا حين نحاول كشف ما اعترى كتب التفسير، من تحريف لدلالات النص القرآني، نكتفي بتجريم الفعل إن وقع وهو التحريف، دون أن نسعى لتجريم الفاعل، والذي تصعب معرفته من جهة، ومن جهة أخرى فإنّ هدفنا ليس تجريح الماضي ولا تجريح الأشخاص، بقدر ما نهدف إلى الحدّ من هذا التحريف، والتوقف عن الاستمرار فيه، حتى لا يصيبنا غضب الله تعالى، الذي نظن أنّه أصاب من سبقنا من المسلمين، حين حرّف بعضهم الكلم عن مواضعه، وسكت بعضهم الآخر عن ذلك. ولن يرفع الله تعالى غضبه عنّا، في تقديري، ما لم نقف ضد استمرار هذا التحريف، ونعيد الكلم إلى مواضعه. ولنا في ما أصاب من فعل ذلك من اليهود والنصارى من غضب الله العظة والعبرة، وهو ما نتلوه مجملًا في اليوم عشرات المرات في سورة الفاتحة: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾[1] ونتلوه مفصلًا في سورة البقرة، وهو ما أكاد أجزم بأنه لا

(1) سورة الفاتحة، الآية: 7.

يقتصر على المغضوب عليهم والضالين من اليهود والنصارى، بل ينصرف أيضًا إلى المغضوب عليهم والضالين من المسلمين أو من الذين قالوا بأنّهم مسلمون، ذلك أنّ بعض المسلمين قلدوا بني إسرائيل محاكاة تكاد تكون كاملة، في تحريف الكلم عن مواضعه، وكتمان ما أنزل الله تعالى، والتولي عن الدين. وهو ما تنبأ به القرآن وصدقّه الحديث: ففي القرآن: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ﴾[1]، وفي الحديث: «لا ترتدوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض»[2].

واتّخذ التحريف في الإسلام أساليب عدة نذكر منها:

1. إطلاق المقيد أو تقييد المطلق.
2. تخصيص العام أو تعميم الخاص.
3. إفراد المتعدد أو تعديد المفرد.
4. إعطاء المتشابه دلالات تخدم أهواء المتأول.

كما استخدم المتأوّلون الوسائل والأدوات التالية لتحقيق أهدافهم:

1. صرف دلالة الآية عن دلالتها الحقيقية بسبب نزول مصطنع.
2. صرف دلالة الآية عن دلالتها الحقيقية بواسطة ادّعاء النسخ.
3. صرف دلالة الآية عن دلالتها الحقيقية بالاستناد إلى حديث نبوي موضوع.
4. صرف دلالة الآية عن دلالتها الحقيقية بالاستناد إلى رأي منسوب إلى صحابي.
5. صرف دلالة الآية عن دلالتها الحقيقية بالاستناد إلى رأي منسوب لأحد الأئمة المعصومين.

---

(1) سورة آل عمران، الآية: 144.

(2) رواه البخاري، كتاب الفتن، ح: 6550.

أمثلة من التحريف:

أُخضعت آيات القرآن الكريم للتأويل القصدي والنفعي لدى معظم الفرق الإسلامية، والمذاهب الفقهية والكلامية، وذلك لتتفق دلالاتها وآراء الفقهاء والمتكلمين من تلك المذاهب، وإذا كان أئمة وفقهاء أهل الحديث والنسخ أي «طائفة السُّنّة»، قد استندوا بشكل أساسي إلى الحديث والنسخ في تسويغ مذهبهم، فإنّ فقهاء أهل الرواية والتأويل أي «طائفة الشيعة»، قد استندوا بشكل أساسي إلى الروايات المنسوبة للأئمة، وإلى تأويل آيات القرآن الكريم لتسويغ مذهبهم. ومع ذلك فهذا لا يعني اقتصار أي من الفريقين على توظيف جانب واحد من جوانب علوم القرآن والحديث دون غيره لتسويغ رؤيته.

ويمكننا إعادة تسمية الفرقتين الرئيستين في الإسلام، وفقًا لما ذهبنا إليه إلى أهل الحديث والنسخ وأهل الرواية والتأويل، لتنسحب الأولى على طائفة السُّنّة، وتنسحب الثانية على طائفة الشيعة الإمامية، وسنتعرض هنا إلى نماذج من تحريف الكلم عن مواضعه تنطلق من محاولات التسويغ المذهبي المستندة إلى التأويل القصدي والنفعي، وسنقسمها إلى ثلاثة أقسام.

القسم الأول:

تأويلات مدرسة أهل الرواية والتأويل

يرجع أحد الأسباب الرئيسة التي دعتنا إلى تسمية أتباع هذه المدرسة بـ «أهل التأويل»، إلى ركون هذه المدرسة إلى التأويل في تسويغ ما ذهبت إليه من نظريات، وتعد نظرية الولاية هي النظرية الأساسية للشيعة الإمامية الاثني عشرية، غير أنّه تفرّع عنها عدة نظريات فرعية سنتعرض لها فيما بعد، وانصب الجهد التأويلي القصدي والنفعي لأهل الرواية والتأويل على تبرير نظرية الولاية والنظريات المنبثقة عنها، وذلك على النحو التالي:

أولًا ـ التأويلات المتعلقة بنظرية الولاية:

1. تأويل آية ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ﴾: أوّل أهلُ الرواية والتأويل «صِبْغَةَ ٱللَّهِ» في الآية الثامنة والثلاثين بعد المئة من سورة البقرة: ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ﴾ على أنّها تعني صبغ المؤمنين بالولاية؛ حيث أورد الكليني في الكافي حديثًا نسبه إلى عبد الرحمن بن كثير قال فيه: «عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله عزّ وجلّ: ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً﴾ قال: صبغ المؤمنين بالولاية في الميثاق». رواه الكليني، الكافي، باب فيه نكت ونتف من التنزيل.

والتأويل خاطئ، ذلك أنّ صبغة الله في الآية تعني فطرة الله ونواميسه، فالآية وردت في سياق أمر إلهي موجّه إلى المسلمين، لدعوة أهل الكتاب بأن يؤمنوا بما أنزل الله تعالى على محمد ﷺ، وما أنزل على الرسل السابقين عليهم السلام، ومن هناك وصفت الآية دين الله وما أنزله على رسله بصبغة الله. أما حشر نظرية الولاية في تأويل دلالة الآية واعتبار صبغة الله هي صبغ المؤمنين بالولاية، فهو

من قبيل إلباس الحق بالباطل، وليّ لعنق آيات الذكر الحكيم لإخضاعها لنظريات البشر في الولاية.

وتتفق جلّ الروايات التي أوردها المفسرون بالمأثور على أنّ دلالة الآية تنصرف إلى فطرة الله تعالى التي فطر عليها الناس وهي فطرة التوحيد.

2. تأويل آية ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي﴾: أوّل أهل الرواية والتأويل الآية الثالثة من سورة المائدة والتي يسمونها بآية إكمال الدين: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ على أنّها تشير إلى أحقية علي رضي الله عنه بالخلافة والإمامة، وهو ما اعتبرته مدرسة أهل الرواية والتأويل إكمالًا للدين وإتمامًا للنعمة. وأورد الشيرازي في تفسيره الأمثل ما اعتبره دعاوى المخالفين من أهل السُّنة لتفسير الآية، ثم يصل بعد ذلك إلى التفسير الشيعي للآية على النحو المذكور: «وهكذا يتّضح لنا أنّ أيًا من الاحتمالات الستة المذكورة لا تتلاءم مع محتوى الآية موضوع البحث. ويبقى لدينا احتمال أخير ذكره جميع مفسّري الشيعة في تفاسيرهم وأيّدوه كما دعمته روايات كثيرة، وهذا الاحتمال يتناسب تمامًا مع محتوى الآية حيث يعتبر «يوم غدير خم»، أي اليوم الذي نصّب النّبيّ صلى الله عليه وآله عليًّا أميرًا للمؤمنين عليه السلام بصورة رسمية وعلنية خليفة له، حيث غشي الكفار في هذا اليوم سيل من اليأس، وقد كانوا يتوهمون أن دين الإسلام سينتهي بوفاة النّبي صلى الله عليه وآله وأنّ الأوضاع ستعود إلى سابق عهد الجاهلية، لكنّهم حين شاهدوا أنّ النّبيّ أوصى بالخلافة بعده لرجل كان فريدًا بين المسلمين في علمه وتقواه وقوته وعدالته، وهو علي بن أبي طالب عليه السلام، ورأوا النّبي وهو يأخذ البيعة لعلي عليه السلام أحاط بهم اليأس من كل جانب، وفقدوا الأمل فيما توقعوه من شر لمستقبل الإسلام، وأدركوا أنّ هذا الدين باق راسخ؛ ففي يوم غدير خم أصبح الدين كاملًا، إذ لو لم يتمّ تعيين خليفة للنبيّ صلى الله عليه وآله ولو لم يتمّ تعيين وضع مستقبل الأُمّة الإسلامية، لم تكن لتكتمل الشريعة بدون ذلك ولم يكن ليكتمل الدين. نعم في يوم غدير خم أكمل الله وأتمّ نعمته بتعيين علي عليه السلام، هذا الشخصية اللائقة الكفؤ، قائدًا وزعيمًا للأُمة بعد النّبي صلى الله عليه وآله، وفي هذا اليوم أيضًا رضي الله بالإسلام دينًا، بل خاتمًا للأديان،

بعد أن اكتملت مشاريع هذا الدين، واجتمعت فيه الجهات الأربع». كما أورد الكاشاني في تفسيره الصافي: «في المجمع عنهما عليهما السلام - يقصد الباقر والصادق - إنما نزل بعد أن نصّب النبّي صلى الله عليه وآله عليًا صلوات الله عليهما علمًا للأنام، يوم غدير خم عند منصرفه من حجة الوداع؛ قالا عليهما السلام وهي آخر فريضة أنزلها الله ثم لم تنزل بعدها فريضة. وفي الكافي عن الباقر: «الفريضة تنزل بعد الفريضة الأخرى، وكانت الولاية آخر الفرائض، فأنزل الله: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾، قال لا أنزل بعد هذه فريضة قد أكملت لكم الفرائض، والعياشي والقمّي ما يقرب منه. أقول إنما أكملت الفرائض بالولاية لأن النبيّ صلى الله عليه وآله أنهى جميع ما استودعه الله من العلم إلى علي صلوات الله عليه، ثم إلى ذريته الأوصياء واحدًا بعد واحد. فلما أقامهم مقامه، وتمكن الناس من الرجوع إليهم في حلالهم وحرامهم، واستمر ذلك بقيام واحد بعد واحد كمل الدين، وتمّت النعمة إن شاء الله». ويضيف الكاشاني إلى دلالة الآية النص على ولاية الأئمة المعصومين بالإضافة إلى ولاية علي رضي الله عنه.

وهذا تأويل خاطئ لا تغيب مجانبته الصواب عن صاحب الفطرة السليمة؛ فالآية لا تعدو أن تكون إعلانًا للنبي ﷺ والمسلمين عن قرب انقطاع الوحي بين السماء والأرض، ويكتمل الدين بآخر آية تنزل من السماء بغض النظر عما تضيفه للمؤمنين، بل والقياس مع الفارق قد تكون الآيات الأخيرة من القرآن أشبه ما تكون بخاتمة كتاب تلخص ما ورد فيه دون أن تضيف جديدًا، حيث لا يقتضي إكمال الدين إنزال فريضة جديدة كما ذهب إلى ذلك الشيرازي، وكما ذهبت إلى ذلك مدرسة أهل الرواية والتأويل. غير أنّ الذين يريدون إخضاع آيات الله لما ذهب إليه البشر من نظريات ومعتقدات، حرّفوا الكلم عن مواضعه ولووا عنق النص القرآني، فحرّفوا الآيات القرآنية عن دلالاتها للدفاع عن نظريتهم في الولاية والإمامة. والآمر في تقديري يقترب من تأويل سورة «النصر» على أنها نزلت في اختيار علي رضي الله عنه خليفة وإمامًا للمسلمين، وأنّ نصر الله والفتح يتمان باختياره، ثم إنّ القول بأنّ النبيّ ﷺ قد أخذ البيعة لعلي رضي الله عنه فيه افتئات على الحقيقة، فقول النبيّ ﷺ: «من كنت مولاه فعليّ مولاه»، لا يتجاوز في دلالته من كنت حبّه فعلي حبّه، دون أن

يتعلق الأمر بالخلافة، والأمر شبيه بقوله ﷺ: «فاطمة بضعة مني فمن أغضبها أغضبني»[1]. والذي يعني بمفهوم المخالفة: من أرضاها أرضاني، غير أنّها لا تُحمل على دلالة تنصيبها خليفة لرسول الله ﷺ، أو أميرة للمؤمنين.

3. **تأويل آية** ﴿وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾: أوّل أهلُ الرواية والتأويل الآية الخامسة والخمسين من سورة المائدة والتي يسمونها بآية الولاية: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾ على أنّها تعزّز حديث الغدير المتعلق بولاية علي رضي الله عنه وفقًا لمدرسة الرواية والتأويل، وتنصّ على أنّ عليًا رضي الله عنه هو ولي أمر المؤمنين بعد النبيّ ﷺ ووصيه على دين الله تعالى؛ حيث أورد الشيرازي في معرض تفسيره للآية في تفسيره الأمثل: «ابتدأت هذه الآية بكلمة «إنّما» التي تفيد الحصر، وبذلك حصرت ولاية أمر المسلمين في ثلاث هم: الله ورسوله صلى الله عليه وآله، والذين آمنوا وأقاموا الصّلاة وأدوا الزّكاة وهم في حالة الركوع في الصّلاة كما تقول الآية: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾. ولا شك أنّ الرّكوع المقصود في هذه الآية هو ركوع الصّلاة ولا يعني الخضوع، لأنّ الشارع المقدس اصطلح في القرآن على كلمة الرّكوع للدلالة على الركن الرّابع للصلاة. وبالإضافة إلى الرّوايات الواردة في شأن نزول الآية، والتي تتحدث عن تصّدق علي بن أبي طالب عليه السلام بخاتمه في الصّلاة، فإنّ جملة (ويقيمون الصّلاة) تعتبر دليلًا على هذا الأمر، وليس في القرآن أثر عن ضرورة أداء الزّكاة مقرونة بالخضوع، بل ورد التأكيد على دفع الزّكاة بنيّة خالصة وبدون منّة. كما لا شك في أنّ كلمة «الولي» الواردة في هذه الآية، لا تعني الناصر والمحب، لأنّ الولاية التي هي بمعنى الحب أو النصرة لا تنحصر في من يؤدون الصّلاة ويؤتون الزّكاة وهم راكعون، بل تشمل كل المسلمين الذين يجب أن يتحابوا فيما بينهم وينصر بعضهم البعض، حتى أولئك الذين لا زكاة

(1) رواه البخاري، **كتاب فضائل الصحابة**، باب مناقب قرابة رسول الله ﷺ ومنقبة فاطمة عليها السلام، ح3714.

عليهم، أو لا يمتلكون شيئًا ليؤدوا زكاته، فكيف يدفعون الزّكاة وهم في حالة الركوع؟! هؤلاءِ كلهم يجب أن يكونوا أحباء فيما بينهم وينصر بعضهم البعض الآخر. من هنا يتّضح لنا أنّ المراد من كلمة «ولي» في هذه الآية، هو ولاية الأمر والإشراف وحق التصرف والزعامة المادية والمعنوية، خاصّة وقد جاءت مقترنةً مع ولاية النّبي صلى الله عليه وآله وولاية الله حيث جاءت الولايات الثلاث في جملة واحدة. وبهذه الصورة فإنّ الآية تعتبر نصًا قرآنيًا يدل على ولاية وإمامة علي بن أبي طالب عليه السلام للمسلمين». وأورد الكاشاني رواية مختلفة، أشار فيها إلى تصدق علي بن أبي طالب رضي الله عنه بحلة قيمتها ألف دينار، أعطاها النبي ﷺ إياه، كانت أهديت له من النجاشي. وهذا ما جعل الآية الكريمة تنطبق عليه وتجعله وليًا للمسلمين، أي خليفة وإمامًا لهم قرنه والقرون التي تليه إلى يوم الدين.

وهذا تأويل خاطئ، ذلك أن كلمة ولي وردت في القرآن ثلاثًا وثلاثين مرة، وكانت جميعها بدلالة المحب والناصر ولم يكن أي منها بدلالة ولاية الأمر، ثم إن الآية لو كانت تخاطب المؤمنين وتحدد لهم ولي أمرهم، لما عطف سبحانه وتعالى المؤمنين على الله ورسوله على أنّهم أولياء للمؤمنين؛ فالمؤمنون وفقًا للآية وليهم الله ورسوله، ثم هم أولياء بعضهم البعض، ولو كانت دلالة الولي تنصرف إلى ولاية الأمر لكان المؤمنون أمراء أنفسهم طالما هم أولياء بعضهم البعض، ولو كان المقصود من الآية أن تخبرنا بولاية علي رضي الله عنه لوردت «المؤمنون» بصيغة المفرد، ولورد اسم الإشارة بصيغة المفرد وليس بصيغة الجمع، ولكانت خُتمت بصيغة وهو راكع. ثم إنه للركوع في لغة العرب دلالة أخرى غير ركوع المصلي كما أشار الشيرازي، وهي الخضوع والخشوع، ومن ثم فمن الأرجح أن تنصرف عبارة ﴿وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾ إلى إحدى الدلالتين: الأولى حين تكون في محل نصب حال، فتنصرف دلالة ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾ إلى «وهم خاضعون خاشعون عند أداء المنسكين المذكورين» في الآية. والثانية حين تكون مجرد صفة، فتدل على وصف المؤمنين بالخشوع لله في كافة حالاتهم. والآية لا تذهب إلى أبعد من تحديد أولياء المؤمنين؛ أي أحباؤهم ومناصروهم ومن ينبغي توليهم وليس توليتهم أمر

المسلمين، في مقابل من ينبغي التبرؤ منهم، **ذلك أنها وردت في سياق تولي المسلمين، والتبرؤ من المشركين.** أمّا القول إنّ «كلمة «الولي» الواردة في هذه الآية، لا تعني الناصر والمحب، لأنّ الولاية التي هي بمعنى الحب أو النصرة لا تنحصر فيمن يؤدون الصّلاة ويؤتون الزّكاة وهم راكعون، بل تشمل كل المسلمين الذين يجب أن يتحابوا فيما بينهم وينصر بعضهم البعض، حتى أولئك الذين لا زكاة عليهم، أو لا يمتلكون شيئًا ليؤدوا زكاته» فقول يجانبه الصواب؛ ذلك أنه تعالى أينما وصف المؤمنين في القرآن، وصفهم بكونهم للزكاة فاعلين، فهل يعني ذلك أنّه تعالى يستثني غير القادرين على دفع الزكاة من صفة المؤمنين؟ فالقرآن يتعامل مع القاعدة وليس الاستثناء، فلا يستثني تعالى النساء عند الطمث من صفة المؤمنين، غير أنّ وجود من لديه العذر في عدم إقامة الصلاة أو عدم إيتاء الزكاة، لا يستوجب استبعاد صفتي إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة من صفات المؤمنين. حيث يصف الله تعالى المؤمنين في سورة المؤمنون بقوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ﴾، دون أن يعني ذلك استبعاد من لا يقوى على إقامة الصلاة، أو إيتاء الزكاة من صفة المؤمنين.

4. تأويل آية ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ﴾ : أوّل أهلُ الرواية والتأويل الآية السادسة والستين من سورة المائدة: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ﴾ على أنها تعني الولاية؛ حيث أورد الكليني في الكافي حديثًا نسبه إلى ربعي بن عبد الله قال فيه: «عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ﴾ قال: الولاية». رواه الكليني، الكافي، باب فيه نكت ونتف من التنزيل.

والتأويل خاطئ، ذلك أنّ الآية تتحدث عن اليهود والنصارى، وتقول بأنّهم لو طبّقوا ما أنزل الله تعالى في التوراة والإنجيل والقرآن، لرزقهم الله تعالى من فضله. أما إقحام الولاية على الآية فيشبه إقحام الولاية على الآية الأولى من سورة الفاتحة، والقول بأنّ الحمد الذي لقنه تعالى لعباده هو حمدٌ لله على اختياره عليًّا وصيًّا ولبعض ذريته من بعده رضي الله عنهم.

5. تأويل آية ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ

رِسَالَتَهُۥ﴾: أوّل أهلُ الرواية والتأويل الآية السابعة والستين من سورة المائدة والتي يسمونها بآية التبليغ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾ على أنّها تكليف إلهي للنبيِّ ﷺ بضرورة تبليغ المسلمين بكون علي هو الخليفة من بعده؛ حيث أورد الشيرازي في معرض تفسيره لهذه الآية قوله: «اختيار الخليفة مرحلة انتهاء الرسالة: إنّ لهذه الآية نَفَسًا خاصًا يميّزها عمّا قبلها وعمّا بعدها من آيات، إنّها تتوجه بالخطاب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وحده وتبيّن له واجبه، فهي تبدأ بمخاطبة الرسول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ﴾ وتأمره بكل جلاء ووضوح أن ﴿بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾. ثمّ لكي يكون التوكيد أشد وأقوى، تحذره وتقول: ﴿وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾. ثمّ تطمئن الآية الرّسول صلى الله عليه وآله، وكأنّ أمرًا يقلقه، وتطلب منه أن يهدئ من روعه وأن لا يخشى الناس؛ فيقول له: ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾، وفي ختام الآية إنذار وتهديد بمعاقبة الذين ينكرون هذه الرسالة الخاصّة، ويكفرون بها عنادًا، فتقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾».

وهذا التأويل خاطئ لا تغيب مجانبته الصواب عن صاحب الفطرة السليمة، ولا تتجاوز دلالة الآية، في تقديري، دعوة رسول الله ﷺ إلى تبليغ رسالة ربه، وهو المبعوث للناس كافة، وتحرضه على إبلاغها إلى من لم يبلغهم بعد منهم، وتبشره بالعصمة من النّاس جميعًا وليس من قومه فحسب. أمّا تأويل الآية على النحو الذي أورده الشيرازي فلا يتجاوز كونه ليًّا لعنق النص القرآني لتطويعه لنظرية الولاية.

6. **تأويل آية** ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾: أوّل أهلُ الرواية والتأويل «اسم الإشارة» في الآية التاسعة من سورة الإسراء: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ على أنها تعني الإمام بدلالته في نظرية الإمامة؛ حيث أورد الكليني في الكافي حديثًا نسبه إلى العلاء بن سيابة قال فيه: «عن أبي عبد الله في قوله تعالى ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ قال: يهدي إلى الإمام». رواه الكليني، الكافي، باب أنّ الأئمة في كتاب الله إمامان: إمام يدعو إلى الله وإمام يدعو إلى النار.

والتأويل خاطئ، ذلك أنه يقيّد المطلق ويخصص العام فالقرآن لا يهدي للرجال أو العباد، بل يهدي إلى الله تعالى وإلى الدين القيّم، قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[1]، ويهدي إلى صراط مستقيم: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾[2]. أمّا القول إنّه يهدي للأئمة من ولد علي ﷺ، فهو مجرد إلباس للحق بالباطل، وليّ لعنق النص القرآني من أجل تعزيز نظرية الإمامة.

7. **تأويل آية** ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ﴾: أوّل أهلُ الرواية والتأويل «من الموصولية» في الآية الخمسين من سورة القصص: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ على أنّه يعني من لم يتبع إمامًا من الأئمة الذين تنص عليهم نظرية الإمامة؛ حيث أورد الكليني في الكافي حديثًا نسبه إلى أبي نصر قال فيه: «عن أبي الحسن عليه السلام في قوله عزّ وجلّ: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ﴾، قال: يعني من اتّخذ دينه رأيه، بغير إمام من أئمة الهدى». رواه الكليني، الكافي، باب ما يضل به بين دعوى المحق والمبطل في أمر الإمامة.

والتأويل خاطئ، ذلك أنّ الآية لا تتجاوز دلالتها القول بأنّ من اتبع هواه فهو ضال: ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾[3] أو بمعنى أدق فهو الأكثر ضلالًا، ثم إنّ اتباع الهوى واتباع الإمام المقلَد يتفقان في صفة الشرك بالله؛ فالأول أشرك هواه مع الله تعالى والثاني أشرك مع الله تعالى ربًّا من أرباب حديث عدي بن حاتم، الذي قال فيه: «أتيت رسول الله ﷺ وفي عنقي صليب من ذهب، فقال: يا عدي اطرح هذا الوثن من عنقك قال: فطرحته وانتهيت إليه وهو يقرأ في سورة براءة، فقرأ هذه الآية: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ قال: قلت: يا رسول الله إنا لسنا

(1) سورة الروم، الآية: 30.
(2) سورة الأنعام، الآية: 153.
(3) سورة الفرقان، الآية: 43.

نعبدهم فقال أليس يحرمون ما أحلّ الله فتحرمونه ويحلون ما حرّم الله فتحلونه؟ قال: قلت: بلى. قال فتلك عبادتهم»[1].

ومن هناك فالتأويل الوارد في الحديث هو مجرد تحريف للكلم عن مواضعه، وإخضاع لآيات الله لنظريات البشر في الولاية.

8. تأويل آية ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾: أوّل أهلُ الرواية والتأويل «إقامة الدين» في الآية الثلاثين من سورة الروم: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ على أنّها تعني ولاية علي وبعض بنيه رضي الله عنهم؛ حيث أورد الكليني في الكافي حديثًا نسبه إلى أبي بصير قال فيه: «عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا﴾» قال: «هي الولاية». رواه الكليني، الكافي، باب فيه نكت ونتف من التنزيل.

والتأويل خاطئ، ذلك أنّ الآية تدعو النبي ﷺ إلى إقامة الدين والاستقامة فيه، ولا يوجد في الآية ما يشير إلى التأويل الذي ذهب إليه الحديث، ثم كيف يستقيم هذا التأويل والخطاب في الآية موجه لرسول الله ﷺ؟ هل يأمر الله تعالى رسوله ﷺ أن يقيم وجهه لولاية علي رضي الله عنه؟ وحتى إذا سلّمنا جدلًا بأن ذلك يستقيم، فلا يمكن حصر الدين الذي تدعو الآية للتمسك به في التمسك بولاية علي وبعض بنيه رضي الله عنهم. ومن هناك فتأويل الآية على النحو الذي أورده الكليني، لا يعدو كونه إلباسًا للحق بالباطل، وليًّا لعنق النص القرآني لإخضاعه لنظريات البشر في الولاية.

وتتفق جلّ الروايات التي أوردها المفسرون بالمأثور على أن دلالة أقم وجهك للدين حنيفًا تنصرف إلى سدّد وجهتك إلى الدين الذي شرعه الله لك.

9. تأويل آية ﴿كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾: أوّل أهلُ الرواية والتأويل «ما الموصولية» في الآية الثالثة عشرة من سورة الشورى: ﴿شَرَعَ لَكُم

---

(1) انظر الترمذي مرجع سابق.

مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾ على أنها الشرك في ولاية علي رضي الله عنه؛ حيث أورد الكليني في الكافي حديثًا نسبه إلى عبد العزيز بن المهتدي قال فيه: «عن عبد الله بن جندب أنه كتب إليه الرضا عليه السلام: أما بعد، فإنّ محمدًا صلى الله عليه وآله كان أمين الله في خلقه، فلما قبض صلى الله عليه وآله كنا أهل البيت ورثته، فنحن أمناء الله في أرضه، عندنا علم البلايا والمنايا، وأنساب العرب، ومولد الإسلام، وإنا لنعرف الرجل إذا رأيناه بحقيقة الإيمان وحقيقة النفاق، وإن شيعتنا لمكتوبون بأسمائهم وأسماء آبائهم، أخذ الله علينا وعليهم الميثاق، يردون موردنا ويدخلون مدخلنا، ليس على ملة الإسلام غيرنا وغيرهم، نحن النجباء النجاة، ونحن أفراط الأنبياء ونحن أبناء الأوصياء، ونحن المخصوصون بكتاب الله عزَّ وجلّ، ونحن أولى الناس بكتاب الله، ونحن أولى الناس برسول الله صلى الله عليه وآله، ونحن الذين شرّع الله لنا دينه فقال في كتابه: ﴿شَرَعَ لَكُم **(يا آل محمد)** مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا **(قد وصانا بما وصى به نوحًا)** وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ **(يا محمد)** وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ **(فقد علمنا وبلغنا علم ما علمنا واستودعنا علمهم نحن ورثة أولي العزم من الرسل)** أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ **(يا آل محمد)** وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ **(وكونوا على جماعة)** كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ **(من أشرك بولاية علي)** مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ **(من ولاية علي)** ٱللَّهُ **(يا محمد)** يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾ من يجيبك إلى ولاية علي عليه السلام». رواه الكليني، الكافي، باب أنّ الأئمة ورثوا علم النبي وجميع الأنبياء والأوصياء الذين من قبلهم.

والتأويل خاطئ، فلا شيء يقتضي التوحيد ولا أحد يستوجبه غير الله تعالى، وحين نوحد غير الله فإنّنا بمفهوم المخالفة نكون قد أشركنا بالله تعالى، فالله تعالى هو الواحد الذي ليس كمثله شيء، وغيره متعدد وله مثيل، فلا يجوز حتى توحيد النبي ﷺ، فالنبي له أمثال وإن لم يعاصروه ويماثله البشر جميعًا في الحواس والصفات الجسدية، ونظرية الإمامة ذاتها تناقض توحيد الولاية حيث تجعل الأئمة اثني عشر وليس إمامًا واحدًا. ثم إنّ هذا التأويل يقيّد المطلق ويخصص العام، فالخطاب موجه للذين يشركون مع الله أندادًا،

بما في ذلك من أشركوا معه الأئمة، بأنّه كبر عليهم العودة إلى توحيد الله الذي يدعون إليه: ﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ ۖ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُوا۟ ۚ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ﴾(1). ونحن هنا لا نقول بأنّ هذه الآية نزلت لتحدد لنا أصناف الشرك الذي وقع فيه المسلمون عقب الفتنة الكبرى، غير أنّه لو طبقنا هذه الآية على واقع الإسلام اليوم، لصدمتنا نتيجة تقول: كأن الآية نزلت لتصف حال المسلمين بعد الفتنة الكبرى؛ فالشيعة يكفرون بالإسلام حين يخلو من نظرية الإمامة والأئمة، ويسمون الأئمة شفعاء. ومشركو قريش كانوا يكفرون بالله إذا خلا من الشفعاء «الأصنام». والسُّنة يكفرون بالإسلام إذا خلا من نظريتي الشفاعة وعدالة الصحابة ومن الصحابة، وإذا خلا من الصحاح؛ حيث حفظوا فيها ما نسبه الرواة إلى الصحابة وتقيدوا به أكثر من تقيدهم بالقرآن، فهم يرفضونه إذا خلا من شفاعة محمد ﷺ، وإذا خلا من الصحابة، وإذا خلا من الأئمة الأربعة الذين يقلدونهم، فيحللون لهم ويحرمون على شاكلة الأحبار والرهبان في حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه، وحيث الالتزام بفقههم وآرائهم مقدم على كتاب الله تعالى، بل هم يقرؤون كتاب الله بعيون وبصيرة أئمتهم على طريقة مترفي الأمم السابقة: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ﴾(2)، وعطلوا عقولهم لمصلحة عقول الذين يقلدونهم من أئمة مذاهبهم. ويكفي للتدليل على مدى التقيد الأعمى للأئمة؛ أنْ يسجد المالكي وهو يتلو القرآن حين يجد في المصحف سجدة عند مالك، ولا يسجد عندما يجد سجدة عند بقية الأئمة عدا مالك!

وتتفق جلّ كتب التفسير بالمأثور على أنّ دلالة الآية تنصرف إلى مشركي العرب أو مشركي قريش، وأنه كبر عليهم ما يدعوهم إليه رسول الله ﷺ من إخلاص العبادة لله وحده، دون غيره من الشفعاء والأنداد. وحتى لو سلّمنا جدلًا بقصر الآية على هذه الدلالة، فإنّه ينبغي أن نأخذ منها العظة والعبرة، ولا نحاكي ما فعل المشركون، الذين يؤمنون بالله فقط مقرونًا بأصنامهم، ويكفرون به حين يدعون إلى توحيده.

---

(1) سورة غافر، الآية: 12.

(2) سورة الزخرف، الآية: 23.

10. تـأويــل آيــة ﴿إِنَّكُمْ لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ۝٨ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ﴾: أوّل أهــلُ الرواية والتأويل «الاسم الموصول» في الآيتين الثامنة والتاسعة من سورة الذاريات: ﴿إِنَّكُمْ لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ۝٨ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ﴾ على أنّه ينصرف إلى من أفك عن الولاية؛ حيث أورد الكليني في الكافي حديثًا نسبه إلى أبي حمزة قال فيه: «عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ۝٨﴾ **(في أمر الولاية)** ﴿يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ﴾ قال: «من أفك عن الولاية أفك عن الجنة». رواه الكليني، الكافي، باب فيه نكت ونتف من التنزيل.

والتأويل خاطئ، ذلك لأنّ الآيتين السابقتين للآية يوضحان سبب الاختلاف، وما يوفك عنه: ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ۝٥ وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ﴾[1] فالاختلاف الذي تشير إليه الآية هو اختلاف حول التنزيل، فالناس لفي قول مختلف، حيث الخرّاصون يكذبون ويأفكون فيحيدون عن دين الله، والمتقون يصدقون ويصدّقون بدين الله ووعده ووعيده. أمّا تأويل الآيتين على أنّهما تعنيان الإفك عن ولاية علي رضي الله عنه، فهو لا يتجاوز كونه إلباسًا للحق بالباطل، وليًّا لعنق النص القرآني لإخضاعه لنظريات البشر.

وتتفق جلّ الروايات التي أوردها المفسرون بالمأثور على أنّ دلالة الآية تنصرف إلى أن الكفار في قول مختلف بين مصدق ومكذب، وأن المشركين يحيدون بأفكهم عن دين الله ووعده ووعيده.

11. تأويل آية ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾: أوّل أهلُ الرواية والتأويل «آلاء ربكما» في الآية الثالثة عشرة من سورة الرحمن: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ على أنّها تعني النبيّ والوصي؛ حيث أورد الكليني في الكافي حديثًا نسبه إلى الحسين بن محمد قال فيه: «عن معلى بن محمد رفعه في قول الله عزّ وجلّ: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾: أبالنبي أم بالوصي تكذبان؟ نزلت في الرحمن». رواه الكليني، الكافي، باب أنّ النعمة التي ذكرها الله عزّ وجلّ في كتابه الأئمة عليهم السلام.

(1) سورة الذاريات، الآيتان: 5 ـ 6.

والتأويل خاطئ، ذلك أنّ كلمة آلاء وردت في القرآن أربعًا وثلاثين مرة، كانت إحدى وثلاثون منها في سورة الرحمن، وجميعها تنصرف إلى نعم الله تعالى، ثم إنّ السورة تعدد آلاء الله ونعمه، فالآيات من الآية الأولى إلى الآية الثالثة عشرة من سورة الرحمن تعدد تلك النعم: ﴿وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ (10) فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَٱلنَّخْلُ ذَاتُ ٱلْأَكْمَامِ (11) وَٱلْحَبُّ ذُو ٱلْعَصْفِ وَٱلرَّيْحَانُ﴾ وهو ما يتسق مع السؤال الذي يتكرر في السورة مع كل ذكر لتلك النعم، بالإضافة إلى أنّ آلاء وردت بصيغة الجمع ولو كانت تعني النبيّ ﷺ والوصي لوردت بصيغة المثنى.

وإذا كان الخطاب في الآية موجهًا للجن والإنس، فما علاقة الجن بالوصي؟ ومن هناك فالقول بأنّ آلاء الله تعني النبيّ ﷺ والوصي، لا يتجاوز كونه إلباسًا للحق بالباطل، وليًّا لعنق آيات الله لتوافق نظرية الإمامة.

وتتفق جلّ كتب التفسير بالمأثور على أنّ آلاء تعني نعم الله تعالى على الإنس والجن.

12. **تأويل آية** ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾: أوّل أهلُ الرواية والتأويل ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ في الآيات (38 ـ 40) من سورة الحاقة: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ (38) وَمَا لَا تُبْصِرُونَ (39) إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ على أنّه يتعلق بولاية علي رضي الله عنه؛ حيث أورد الكاشاني في تفسيره الصافي: «في الكافي عن الكاظم عليه السلام إنّه لقول رسول كريم يعني جبرائيل من الله في ولاية علي عليه السلام قال قالوا إن محمدًا كذب على ربه وما أمره الله بهذا في علي فأنزل الله قرانًا فقال إن ولاية علي عليه السلام لتذكرة للمتقين للعالمين وإن عليًّا عليه السلام لحسرة على الكافرين وإن ولايته لحق اليقين فسبح يا محمد باسم ربك العظيم، يقول: اشكر ربك العظيم الذي أعطاك هذا الفضل».

وواضح أنّ هذا التأويل يندرج ضمن تحريف الكَلِم عن مواضعه، وأنْ لا علاقة بين هذه الآيات وقضايا الخلافة والولاية أو الوصاية؛ فالآيات تنقل لنا قسمًا إلهيًّا بما نبصر وما لا نبصر، بأنّ القرآن من عند الله سبحانه وتعالى، وما هو بقول شاعر ولا هو بقول كاهن، كما يدّعي مشركو قريش، وعن استحالة

أن يأتي رسوله ﷺ بشيء من عنده وينسبه إلى الله تعالى، ولو أنّه فعل ذلك لنزل عليه عذاب الله المنصوص عليه في الآيات المذكورة، وما من أحد يملك ردّ ذلك العذاب عنه. وما ورد في الآيات الأخيرة من سورة التكوير يؤكد أنّ القول في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ﴾ ينصرف إلى الذكر الحكيم: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ﴿19﴾ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ ﴿20﴾ مُّطَاعٖ ثَمَّ أَمِينٖ ﴿21﴾ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجۡنُونٖ ﴿22﴾ وَلَقَدۡ رَءَاهُ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡمُبِينِ ﴿23﴾ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ بِضَنِينٖ ﴿24﴾ وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَيۡطَٰنٖ رَّجِيمٖ ﴿25﴾ فَأَيۡنَ تَذۡهَبُونَ ﴿26﴾ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿27﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ﴿28﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾. وأما حشر مسألة الولاية في تلك الآيات، فهو يشبه تأويل الآيتين الأولى والثانية من سورة المعارج: ﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ ﴿1﴾ لِّلۡكَٰفِرِينَ لَيۡسَ لَهُۥ دَافِعٞ﴾ على أنّها نزلت فيمن ينكر ولاية علي رضي الله عنه، وأنّ عذاب الله سينزل على الكافرين بولايته.

ثم إنّ القول بأنّ الله سبحانه وتعالى يأمر نبيّه ﷺ، أن يشكره على هذا الفضل، والذي هو اختيار علي رضي الله عنه خليفة له لا يستقيم، وكان من الممكن أن يستقيم حين نسلّم جدلًا بصحة هذا التأويل، لو أنّ الله أمر المسلمين بذلك. فما الفضل الذي يلحق النبيّ ﷺ بعد موته من تولي علي رضي الله عنه وأرضاه أمرِ المسلمين؟.

خاتمة المبحث:

جدول التحريف رقم (1 ـ 1 ـ 1):

التأويلات المتعلقة بنظرية الولاية:

الكَلِم	الدلالة المحرّفة	الدلالة الأصلية
﴿صِبۡغَةَ ٱللَّهِ﴾	صبغ المؤمنين بالولاية.	دين الله وفطرته، وما بثّه من نواميس في الأرض والكون، وما أنزله على رسله عليهم السلام.

﴿أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾	إكمال الدين يتأتى بولاية علي.	إعلان إلهي بانقطاع الوحي عن الأرض، ويتزامن ذلك مع نزول آخر آية من آيات الذكر الحكيم، وبنزولها يكتمل الدين.
﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾	إنّ الذين آمنوا هم علي! فهو الذي تصدق وهو راكع، ومن ثم فهو ولي أمر المسلمين.	الذين آمنوا هم أولياء المؤمنين، بعد الله ورسوله، وهم الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم خاشعون
﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ﴾	لو أقام اليهود والنصارى ولاية علي لرزقهم الله من فضله!	لو أقام اليهود والنصارى ما أنزله الله عليهم لرزقهم الله من فضله.
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾	يا أيها الرسول بلّغ ولاية علي، وإن لم تفعل فما بلغت رسالته!	يا أيها الرسول بلّغ رسالة الإسلام لمن لم تبلغه بها بعد، وإن لم تفعل فما بلغت رسالته.
﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾	إنّ القرآن يهدي للإمام!	إنّ القرآن يهدي للأقوم، وهو الدين القيّم والصراط المستقيم.
﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ﴾	من لم يتبع إمامًا من الأئمة الاثني عشر فهو الأضل!	من ترك هدى الله إلى هواه فهو الأضل.
﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا﴾	يا أيها النبيّ أقم ولاية علي!	يا أيها النبيّ أقم الدين واستقم فيه.
﴿كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾	كبر على المشركين بولاية علي ما تدعوهم إليه من ولاية علي	كبر على المشركين ما تدعوهم إليه من توحيد لله تعالى.
﴿إِنَّكُمْ لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ۝٨ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ﴾	إنكم لفي قول مختلف في أمر الولاية، يؤفك عنه من أفك.	إنكم لفي قول مختلف حول ما أنزل الله تعالى من دين ووعد ووعيد، يؤفك عنه من أفك.
﴿فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾	أبالنبي أم بالوصي تكذبان؟	فبأيّ نعم ربكما تكذبان؟

﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾	إنّه لقول رسول كريم يعني جبرائيل من الله في ولاية علي عليه السلام	قسمٌ إلهيٌ بما نبصر وما لا نبصر، بأنّ القرآن من عند الله سبحانه وتعالى، نقله إلينا رسوله جبرائيل عليه السلام.

التعليق:

شكّلت نظرية الأمراء من قريش التي أُرسيت في سقيفة بني ساعدة، الفخ أو اللغم الذي كان ينتظر الانفجار في أية لحظة، فما كان للقبائل العربية التي تفاخر بعدم خضوعها للملوك، وكانت ترفض أن تخضع لكسرى أو قيصر عربي، أن تقبل بحكام قريش؛ ومن هناك رفضت دفع الزكاة التي كانت التجسيد المادي لسلطة دولة قريش «دولة الخلافة». فانفجر الصراع بين من يرفضون سلطة قريش، وجمعها بين النبوّة والخلافة، وبين من يفضلون تجنب التنازع بعد وفاة رسول الله ﷺ، حتى لا يفشل المسلمون وتذهب ريحهم، وإن كانوا لا يفضلون الخضوع لسلطة قريش، انفجر أولًا فيما سمي بحرب المرتدين، والتي كانت في معظمها حربًا مناوئة لتفرد قريش بالسلطة وليست رفضًا للإسلام، صحيح أنّ بعض المتمردين على سلطة قريش ذهبوا بعيدًا في رفضهم لسلطة قريش فرفضوا دينهم، على طريقة بعض منظِّري مقاومة الاستعمار الأوروبي الحديث، الذين دعوا لرفض دين المستعمرين، باعتباره جزءًا من أيديولوجيتهم الاستعمارية، وإحدى أدواتهم الفاعلة لإخضاع شعوب المستعمرات في نصف الكرة الجنوبي، غير أنّ جلّ المتمردين لا يذهبون إلى أبعد من رفض سلطة قريش. ونحن هنا لسنا بصدد إصدار حكم قيمي عن مدى صواب الخروج عن سلطة قريش آنذاك، ولا عن مدى صواب قتال أولئك الذين رفضوا سلطتها، بل نقتصر هنا على محاولة إدراك الأسباب التي دفعت إلى ظهور نظرية الولاية، وحين خسر المتمردون على سلطة قريش الحرب، تربصوا بسلطة القرشيين إلى خلافة عثمان رضي الله عنه؛ حيث وجدوا في استعانة عثمان رضي الله عنه بعصبيته وعشيرته، في إدارة دفة الدولة ذريعة للدعوة للثورة على سلطة قريش، وهو ما عجّل بالفتنة الكبرى، والتي انقسم فيها المسلمون إلى ثلاث فئات: الفئة

الأولى وجلها من الحضر الذين كانوا إمّا فلاحين أو تجارًا أو أصحاب حِرَف، وكل الذين ينتمون لتلك الفئات يحفلون بالاستقرار ولا يحبذون الثورات والحروب والفتن، ذلك أنّها توثر سلبًا على أرزاقهم، فهم بلغة السياسة محافظون، ولا يحبّذون التغيير ويفضلون سلطة تعطي الأولوية للدنيا وطلب الرزق والكسب، عن سلطة تعطي الأولوية للآخرة فتنزع للتقشف والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. والفئة الثانية تشمل كافة الذين يرفضون سلطة قريش، وسطوتها عليهم، وسيطرتها على الخراج، وموارد الزكاة، والفيء والغنائم. وهذه الفئة انقسمت إلى فئتين: الأولى رأت بأنّه لا يمكن هزيمة العصبية القرشية إلّا بدق إسفين بين القرشيين، وذلك بضرب الأمويين بالهاشميين، ورفع شعارات التعصب لذرية النبيّ ﷺ. وطالما كان العرب لا يقبلون تولية النساء، أعلنوا التعصب لزوج فاطمة رضي الله عنها، وهو أكثر الناس قربى للنبيّ ﷺ، واعتباره وصيًّا على أحفاد النبيّ ﷺ من فاطمة رضي الله عنهم، والذي سينقل الخلافة إليهم إن آجلًا أو عاجلًا. وكان جلّ هذه الفئة من العجم وبعض من حضر العرب، الذين وجدوا في نظرية وصاية علي رضي الله عنه على الخلافة، وسلطة ذرية النبيّ ﷺ، مخرجًا لعدم قبولهم الخضوع للعرب الأجلاف، الذين لا يتقنون سوى الغزو والرعي. فلا بأس بالخضوع لأبناء النبيّ ﷺ دون غيرهم من أجلاف العرب، وكان هؤلاء أكثر ميلًا للملكية والخضوع للأكاسرة، فاستمالتهم فكرة استبدال الأكاسرة بملوك ينتسبون لبيت النبوّة. فإذا كان استعلاء الأوروبيين على بني إسرائيل قد دفعهم إلى استحداث نظرية ابن الله، سبحانه وتعالى عمّا يصفون، فإنّ استعلاء العجم، وعلى نحو خاص استعلاء الفرس على العرب، دعاهم لاستحداث نظرية الوصاية. التي كانت في الأصل وصاية علي رضي الله عنه على خلافة الحسن والحسين رضي الله عنهم، ثم تحوّلت في ظلّ تأجج الصراع والفتن إلى نظرية الولاية، لتعظّم شأن علي رضي الله عنه، ولا تجعل منه مجرد وصي على عرش بنيه، بل تجعله وصيًّا بنص القرآن، وأنّه بمثابة هارون لموسى عليه السلام تارة، وبمثابة يوشع بن نون وصي موسى عليه السلام كما ادّعى الأحبار، وهكذا ظهر الادّعاء بالسند الإلهي لنظرية الولاية أو الوصاية. ثم سُخّر الفقهاء والرواة لتعزيز تلك النظرية، الذين

حاولوا تعزيزها بشواهد من القرآن والحديث، واستُعين بالمتأوّلين والوضّاعين من أجل تحقيق ذلك الهدف؛ فكانت الشواهد المذكورة آنفًا جانبًا من تلك الجهود الحثيثة لتسويغ تلك النظرية.

وعلى ضوء ذلك أوّلت ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ﴾ على أنّها تعني صبغ المؤمنين بالولاية، و﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ على أنّها تنصرف إلى اكتمال الدين بخلافة علي رضي الله عنه، وهو ما اعتبرته مدرسة أهل الرواية والتأويل إكمالًا للدين وإتمامًا للنعمة. واعتبر المتأوّلون قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾ على أنّه يعزز حديث الغدير المتعلق بولاية علي وفقًا لمدرسة الرواية والتأويل، وعلى أنّها تنصّ على أنّ عليًّا رضي الله عنه هو ولي أمر المؤمنين بعد النبيّ ﷺ ووصيه على دين الله تعالى. وأوّلوا قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ﴾ على أنها تنصرف للولاية، وقوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾ على أنّه تكليف إلهي للنبيّ ﷺ بضرورة تبليغ المسلمين بكون علي هو الخليفة من بعده. كما أوّلوا قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ على أنّه ينصرف إلى أنّ القرآن يهدي للإمام بدلالته لدى مدرسة الرواية والتأويل، وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ﴾ على أنه يعني من لم يتبع إمامًا من الأئمة الذين تنصّ عليهم نظرية الإمامة. وأوّلوا قوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾ على أنّها تنصرف إلى الولاية، وقوله تعالى: ﴿كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾ على أنّها تنصرف إلى الشرك في الولاية. وكذلك أوّلوا قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ﴿8﴾ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ﴾ على أنّه ينصرف إلى من أفك عن الولاية، وقوله تعالى: ﴿فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ على أنّها تعني النبيّ والوصي، وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ على أنّه يتعلق بولاية علي رضي الله عنه. ولعل القارىء الذي فقد فطرته السليمة، بسبب نشوئه في بيئة ترفع من نظرية الولاية إلى حدّ اعتبارها شرطًا من شروط الإيمان، أن يجد في هذا

العرض ما يزيل الغشاوة عن عينيه، ويدرك مغبة ما هو فيه من شرك خفي أو ظاهر عبّرت عنه الآية: ﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِيَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُۥ كَفَرۡتُمۡ وَإِن يُشۡرَكۡ بِهِۦ تُؤۡمِنُواْۚ فَٱلۡحُكۡمُ لِلَّهِ ٱلۡعَلِيِّ ٱلۡكَبِيرِ﴾[1]. حيث إذا دعي الله وحده مع استبعاد نظرية الولاية، رفض ذلك أتباع مدرسة الرواية والتأويل، وإذا دعي معه بالأئمة آمنوا، هدانا الله وهداهم إلى إخلاص الدعوة لله تعالى وحده دون غيره سبحانه وتعالى عما يصفون.

(1) سورة غافر، الآية: 12.

ـ ثانيًا ـ
التأويلات المتعلقة بولاية علي رضي الله عنه

أ. التأويلات المتعلقة باختزال دين الله في ولاية علي:

1. تأويل آية ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ﴾: أوّل أهلُ الرواية والتأويل «ما نزلنا على عبدنا» في الآية الثالثة والعشرين من سورة البقرة: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ على أنّها تعني ولاية علي رضي الله عنه؛ حيث أورد الكليني حديثًا نسبه إلى جابر قال فيه: «قال: نزل جبرائيل عليه السلام بهذه الآية على محمد هكذا: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا (في عليّ) فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ﴾. رواه الكليني، الكافي، باب فيه نكت ونتف من التنزيل.

والتأويل خاطئ، ذلك أنّ التنزيل الذي تتحدث عنه الآية هو القرآن لقوله تعالى: ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ﴾، فالضمير في مثله عائد على القرآن، والتنزيل وأفعال التنزيل أينما وردت في القرآن دون تحديد للمفعول تنصرف إلى القرآن الكريم. ومن هناك فالتأويل الوارد في الحديث لا يستقيم، ولا يتجاوز كونه إلباسًا للحق بالباطل، ذلك أنّه يلوي عنق النص القرآني، ليخضعه لنظريات البشر في الولاية، فالريب فيما أنزل الله تعالى لا يمكن اختزاله في الولاية.

وتتفق الروايات التي أوردها المفسرون بالمأثور على أنّ دلالة ما نزّلنا على عبدنا تنصرف إلى القرآن.

2. تأويل آية ﴿بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾: أوّل أهلُ الرواية والتأويل «ما أنزل الله» في الآية التسعين من سورة البقرة:

﴿بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ على أنّه يعني ولاية علي رضي الله عنه؛ حيث أورد الكليني في الكافي حديثًا نسبه إلى جابر قال فيه: «عن أبي جعفر عليه السلام قال: نزل جبرائيل عليه السلام بهذه الآية على محمد صلى الله عليه وآله هكذا: ﴿بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ (في عليّ) بَغْيًا﴾. رواه الكليني، الكافي، باب فيه نكت ونتف من التنزيل.

والتأويل خاطئ، ذلك أنّ الآية تتحدث عن بني إسرائيل، الذين كفروا بما أنزل على الرسل من بعد موسى عليه السلام، وهو ما أشارت إليه الآية التالية للآية المذكورة: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ﴾، ومن هناك فالتأويل الوارد في الحديث لا يستقيم، ولا يتجاوز كونه تحريفًا للكلم عن مواضعه، وإخضاعًا لآيات الله لنظريات البشر، وذلك بتقييد المطلق وتخصيص العام، فالكفر بما أنزل الله تعالى لا يمكن اختزاله في الولاية، التي لم ينزل بشأنها شيء أصلًا في القرآن.

وتتفق الروايات تي أوردها المفسرون بالمأثور على أنّ الآية نزلت في اليهود الذين اشتروا الضلالة بالهدى وكفروا بما أنزل الله تعالى على محمد ﷺ.

3. **تأويل آية ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾**: أوّل أهلُ الرواية والتأويل الآية السابعة بعد المئتين من سورة البقرة والتي يسمونها آية ليلة المبيت: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾، على أنّها نزلت في علي رضي الله عنه؛ حين أوى إلى فراش النبّي ليلة هجرته، وقالوا بأنّها تعزز ولايته على المسلمين؛ حيث أورد الشيرازي في تفسيره الأمثل: «روى «الثعلبي» مفسّر أهل السُّنّة المعروف في تفسيره أن النبي صلى الله عليه وآله لمّا أراد الهجرة إلى المدينة خلّف علي بن أبي طالب بمكة لقضاء ديونه وأداء الودائع التي كانت عنده، وأمره ليلة خروجه من الدّار، وقد أحاط المشركون بالدار، أن ينام على فراشه وقال له: اتّشح ببردي الحضرمي الأخضر ونم على فراشي وإنّه لا يصل منهم إليك مكروه إن شاء الله تعالى. ففعل ذلك علي، فأوحى الله تعالى إلى جبرائيل وميكائيل إنّي آخيت

بينكما وجعلت عمر أحدكما أطول من الآخر فأيّكما يؤثر صاحبه بالحياة، فاختار كلاهما الحياة، فأوحى الله تعالى إليهما: أفلا كنتما مثل علي بن أبي طالب آخيت بينه وبين محمّد فبات على فراشه يفديه بنفسه ويؤثره بالحياة، انزلا إلى الأرض فاحفظاه من عدوّه. فنزلا فكان جبرائيل عند رأسه وميكائيل عند رجليه وجبرائيل يُنادي بخ بخ مَنْ مثلك يا علي يُباهي الله تبارك وتعالى بك الملائكة، فأنزل الله على رسوله وهو متوجّه إلى المدينة في شأن علي الآية. ولهذا سُمّيت هذه اللّيلة التاريخية بليلة المبيت، ويقول ابن عباس نزلت الآية في علي حين هرب رسول الله من المشركين إلى الغار مع أبي بكر ونام علي على فراش النبي».

وهذا التأويل خاطئ، ذلك أنّه يقيّد المطلق ويخصص العام، فعلى الرغم من أنّ «من» للتبعيض، لكنها لا تصل إلى حدّ أن تقصر دلالة الذين يشترون أنفسهم ابتغاء مرضاة الله على شخص واحد، سواءً كان هذا الشخص صهيبًا أو عليًا أو أبا ذر، كما ذهبت بعض الروايات، رغم كبر تضحيات هؤلاء جميعًا. ثم إنّ الله تعالى يصوّر لنا ميثاقه مع المؤمنين على أنّه عقد يبيع فيه المؤمن نفسه وماله لله تعالى مقابل الجنة إذ يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾[1]، وهو ما يعزز القول بإطلاق وعمومية دلالة الآية أعلاه. وحتى لو سلّمنا جدلًا بأن الآية نزلت في فضائل علي رضي الله عنه، فالآية لا علاقة لها بولاية أو خلافة لا من قريب ولا من بعيد. أما قصة تخييره تعالى لجبرائيل ومكائيل عليهما السلام حول أيهما يؤثر صاحبه بالحياة وأمرهما للنزول لحراسة علي رضي الله عنه، ووقوف أحدهما عند رأسه والآخر عند رجليه، وإخباره عن مباهاة الله تعالى به ملائكته، فهي من الآيات التي لم يتضمنها القرآن، والتي اقترح جمعها في كتاب بعنوان: «افتراءات المسلمين على الله تعالى». ومن هناك فتأويل الآية على أنّها تعزز نظرية الولاية كما أورد الشيرازي، لا يتجاوز كونه إلباسًا للحق بالباطل، وإخضاعًا لآيات الله لنظريات البشر في الولاية.

---

(1) سورة التوبة، الآية: 111.

وتتفق جلّ الروايات التي وردت في كتب التفسير بالمأثور على أنّ دلالات الآية عامة في المؤمنين الصادقين في إيمانهم دونما تشخيص.

4. تأويل آية ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡدَ إِيمَٰنِهِمۡ ثُمَّ ٱزۡدَادُواْ كُفۡرٗا لَّن تُقۡبَلَ تَوۡبَتُهُمۡ﴾: أوّل أهلُ الرواية والتأويل «كفروا ثم ازدادوا كفرًا» في الآية التسعين من سورة آل عمران: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡدَ إِيمَٰنِهِمۡ ثُمَّ ٱزۡدَادُواْ كُفۡرٗا لَّن تُقۡبَلَ تَوۡبَتُهُمۡ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ﴾ على أنّها تعني الذين آمنوا بالنبيّ ﷺ في أول الأمر وكفروا حين عرضت عليهم الولاية؛ حيث أورد الكليني في الكافي حديثًا نسبه إلى عبد الرحمن بن كثير قال فيه: «عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عزَّ وجلّ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ [ثُمَّ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ] ثُمَّ ٱزۡدَادُواْ كُفۡرٗا ... لَّن تُقۡبَلَ تَوۡبَتُهُمۡ﴾، قال: نزلت في فلان وفلان وفلان، آمنوا بالنبي صلى الله عليه وآله في أول الأمر وكفروا حيث عرضت عليهم الولاية، حين قال النبي صلى الله عليه وآله: من كنت مولاه فهذا علي مولاه، ثم آمنوا بالبيعة لأمير المؤمنين عليه السلام ثم كفروا حيث مضى رسول الله، صلى الله عليه وآله فلم يقروا بالبيعة، ثم ازدادوا كفرًا بأخذهم من بايعه بالبيعة لهم، فهؤلاء لم يبق فيهم من الإيمان شيء». رواه الكليني، الكافي، باب في نكت ونتف من التنزيل.

والتأويل خاطئ، ذلك أنّ الآية وردت في سياق يتحدث عن الإعراض عن دين الله؛ فالآية الخامسة والثمانون من نفس السورة تقول: ﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾، والآية السادسة والثمانون تقول: ﴿كَيۡفَ يَهۡدِي ٱللَّهُ قَوۡمٗا كَفَرُواْ بَعۡدَ إِيمَٰنِهِمۡ وَشَهِدُوٓاْ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقّٞ وَجَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾. ثم إنّ الكفر والإيمان أينما وردا في القرآن دون تقييد ينصرفان إلى الإيمان بالله تعالى، وبما أنزل على رسله عليهم السلام أو الكفر به. أمّا القول إنّها نزلت في الكافرين بولاية علي رضي الله عنه فلا يوجد في الآية ولا في سياق الآيات ما يدل عليه. ومن هناك فالتأويل الوارد في الحديث لا يتجاوز كونه إلباسًا للحق بالباطل، وليًّا لعنق النص القرآني لإخضاعه لنظريات البشر في الولاية.

وإن لم تتفق الروايات التي أوردها المفسرون بالمأثور على هوية الذين

كفروا بعد إيمانهم؛ حيث نصّت بعض الروايات على أنّهم اليهود، بينما رأت روايات غيرها بأنّهم المنافقون. غير أنّها لم تذهب إلى تأويلها على النحو الذي أورده الكليني.

5. **تأويل** ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾: أوّل أهلُ الرواية والتأويل الآية التاسعة عشرة من سورة التوبة والتي يسمونها آية سقاية الحاج: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، على أنّها نزلت في فضائل علي ﵁، وأنها تفضي إلى «إثبات إمامته وخلافته»؛ حيث أورد الشيرازي في كتابه آيات الولاية: «في هذه الآية الشريفة التي تُعرف بين المفسرين بآية ﴿سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ﴾ نواجه فضيلة أخرى من فضائل الإمام علي، حيث تفضي إلى إثبات إمامته وخلافته بعد رسول الله وتبين أنّ الأشخاص الذين يرون أنّ سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام تساوي الإيمان بالله والهجرة والجهاد في سبيله بعيدون عن طريق الصواب». ويضيف في موقع آخر: «بما أن الإمام عليًا ﵇ يتمتع بفضيلة السبق إلى الإيمان والجهاد وليس أحد من المسلمين يتمتع بهذه الفضيلة، فعليه يكون الإمام علي أفضل المسلمين، ومن الواضح أنّ الله تعالى إذا أراد نصب خليفة لرسوله فإنّه لا يتجاوز الأفضل فيختار المفضول، بل وحتى الفاضل لأن الله تعالى حكيم وتقديم المفضول على الفاضل والفاضل على الأفضل يخالف مقتضى الحكمة الإلهية، ولو كانت مسألة الخلافة انتخابية فإنّ عقلاء الناس لا يتوجهون ويختارون الفاضل أو المفضول مع وجود الأفضل، وعليه فإنّ هذه الآية الشريفة يمكنها أن تكون دليلًا لإثبات إمامة أمير المؤمنين». وأورد الطبري نفس الرواية التي أوردها الشيرازي ضمن روايات أخرى نذكر منها هذه الرواية التي بدأ بها تفسيره للآية الكريمة: «حَدَّثَنَا أَبُو الوَلِيد الدِّمَشْقِيّ أَحْمَد بْن عَبْد الرَّحْمَن، قَالَ: ثنا الوَلِيد بْن مُسْلِم، قَالَ: ثني مُعَاوِيَة بْن سَلَّام، عَن جَدّه أَبِي سَلَام الْأَسْوَد، عَنَ النُّعْمَان بْن بَشِير الْأَنْصَارِيّ، قَالَ: كُنْت عِنْد مِنْبَر رَسُول الله ﷺ فِي نَفَر مِنْ أَصْحَابه، فَقَالَ رَجُل مِنْهُمْ: مَا أُبَالِي أَلَّا أَعْمَل عَمَلًا بَعْد الْإِسْلَام، إِلَّا أَنْ أَسْقِي الْحَاجّ! وَقَالَ آخر: بَلْ عِمَارَة الْمَسْجِد الْحَرَام!

وَقَالَ آخَر: بَلِ الْجِهَاد فِي سَبِيل اللَّه خَيْر مِمَّا قُلْتُمْ! فَزَجَرَهُمْ عُمَر بْن الْخَطَّاب رَضِيَ اللَّه عَنْهُ، وَقَالَ: لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتكُمْ عِنْد مِنْبَر رَسُول اللَّه ﷺ - وَذَلِكَ يَوْم الْجُمْعَة - وَلَكِنْ إِذَا صَلَّيْت الْجُمْعَة دَخَلْت عَلَى رَسُول اللَّه ﷺ، فَاسْتَفْتَيْته فِيمَا اِخْتَلَفْتُمْ فِيهِ! قَالَ: فَفَعَلَ، فأَنْزَلَ اللَّه تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ﴾ إِلَى قَوْله: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾».

وهذا التأويل خاطئ، ذلك أنّه يقيّد المطلق ويخصص العام، فالآية تجعل كافة الذين آمنوا بالله واليوم الآخر، وجاهدوا في سبيل الله في مرتبة أعلى من مرتبة الذين تولوا سقاية الحاج وعمارة المسجد، بغض النظر عن سبب نزول الآية، فحتى لو سلّمنا جدلًا بأن الآية نزلت بسبب مفاخرة العباس وشيبة على علي رضي الله عنه، فإنّ الآية لا تقصر التفضيل على علي رضي الله عنه بل تشمل كافة من ينطبق عليهم التوصيف، فالعبرة بعموم اللفظ وليس بخصوص السبب في هذه الآية. وهب أنّ دلالة الآية تنصرف إلى فضائل علي رضي الله عنه وتفضيله على من يتولون سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام، فإنّها لا تفضي بالضرورة إلى إثبات إمامته وخلافته، فالمحاجة التي قام بها الشيرازي عن ضرورة تولي المفضول قبل الفاضل ليست دائمًا صحيحة، فهذه الآية السابعة والأربعون بعد المئة من سورة البقرة تقول: بأنّ الله بعث لبني إسرائيل طالوت ملكًا في وجود نبيّ لبني إسرائيل، فما الحاجة لبعث ملك في وجود نبيّ؟ وهو المفضول في هذه الحالة: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا﴾[1]. وبذلك اقتضت حكمة الخالق أن يتولى المُلك طالوت في وجود نبيّ مرسل، أمّا اختيار جماعة المسلمين للفاضل مع وجود المفضول فجائز استنادًا إلى هذه الآية من جهة، وخشية أن يتعلق العامة بالمفضول حدّ العبادة من جهة أخرى، فيجعلونه شريكًا لله تعالى، كما فعل شيعة علي رضي الله عنه به، بالإضافة إلى أنّ الأمير الذي يتعلق به العامة كثيرًا، تصعب محاسبته عن أخطائه، ومن هناك فليس من الحكمة توليته.

6. تأويل آية ﴿وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَـٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾: أوّل أهلُ الرواية

(1) سورة البقرة، الآية: 247.

والتأويل الآية الحادية والتسعين من سورة النحل: ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾، على أنّها تعني الأمر بعدم نقض ولاية علي رضي الله عنه؛ حيث أورد الكليني في الكافي حديثًا نسبه إلى زيد بن الجهم الهلالي عن أبي عبد الله رضي الله عنه قال فيه: «سمعته عليه السلام يقول: لما نزلت ولاية علي بن أبي طالب عليه السلام وكان من قول رسول الله صلى الله عليه وآله: سلموا على علي بإمرة المؤمنين، فكان ممّا أكّد الله عليهما في ذلك اليوم، يا زيد، قول رسول صلى الله عليه وآله لهما: قوما فسلّما عليه بإمرة المؤمنين، فقالا أمن الله أو من رسوله يا رسول الله؟ فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وآله: من الله ومن رسوله، فأنّزل الله عزَّ وجلّ: ﴿وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ يعني به قول رسول الله صلى الله عليه وآله لهما وقولهما أمن الله أو من رسوله ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًاۢ بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ﴾ أئـمـة هـي أزكـى مـن أئمتكم، قال: قلت: جعلت فداك أئمة؟ قال: إي والله أئمة قلت: فإنّا نقرأ أربى، فقال: ما أربى؟ وأومأ بيده فطرحها - ﴿إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦۚ **(يعني بعلي** عليه السلام) وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ... وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن... يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُۚ وَلَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ... وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًاۢ بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمُۢ بَعْدَ ثُبُوتِهَا **(يعني بعد مقالة رسول الله صلى الله عليه وآله في علي** عليه السلام) وَتَذُوقُواْ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۖ **(يعني به عليًا** عليه السلام) وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾. رواه الكليني، الكافي، باب الإشارة والنص على أمير المؤمنين عليه السلام.

وتأويل الآية ﴿وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾ على النحو الوارد في الحديث تأويل خاطئ، فالآية تدعو المسلمين إلى الوفاء بالمواثيق والعهود بشكل عام، وعلى رأسها ميثاق الله تعالى وهو ميثاق الإسلام، الذي يعني طاعة أوامر الله وتجنب نواهيه، ابتداءً من التوحيد وتجنب الشرك إلى ردّ التحية بمثلها أو أحسن منها، وليس انتهاءً باحترام العهود والمواثيق التي يبرمها المسلمون مع غيرهم من الأمم، إلى غير ذلك من القيم الدينية التي تضمنها

التنزيل. أما ربطها أو تقييدها بالولاية فما هو إلّا محاولة لتحريف الكلم عن مواضعه، وإخضاع لآيات الله لنظريات البشر في الولاية.

ويتفق جلّ المفسرين بالمأثور على أنّ دلالة الآية تنصرف إلى النهي عن نقض عهد الله وميثاقه، وهو عهد إفراد الله بالعبادة والخضوع، وتنفيذ أوامره والامتناع عن نواهيه دون تخصيص أو تقييد.

وكذلك أوّل الحديث الآية: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَـٰثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَـٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ ۚ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦ ۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾[1] تأويلًا خاطئًا، فالآية تأمر المسلمين باحترام العهود والمواثيق التي يبرمها المسلمون مع غيرهم من الأمم، فلا يقولون هذه أمة أقوى من التي نتحالف معها، فدعنا ننقض الحلف مع الأمة الأضعف ونبرم حلفًا مع الأمة الأقوى، وهي التي قلبها الحديث إلى «أئمة أزكى من أئمتكم». وهذا التأويل أيضًا يهدف إلى إخضاع آيات الله لنظريات البشر. كما أوّل الحديث الابتلاء الذي ذكرته الآية السابقة: ﴿إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦ ۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾، على أنه ابتلاء المسلمين بولاية علي عليه السلام، وهو أيضًا تأويل لا يستقيم، حيث يقيّد المطلق ويخصص العام، ويُخضع آيات الله تعالى لنظريات البشر.

7. تأويل الآيتين ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَـٰنُ وُدًّا ﴿96﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَـٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا﴾: أوّل أهلُ الرواية والتأويل «الود» في الآية السادسة والتسعين من سورة مريم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَـٰنُ وُدًّا﴾، على أنه ينصرف إلى ولاية علي رضي الله عنه، حيث ودهم الله بها، وكذلك أوّلوا يسرناه بلسانك في الآية السابعة والتسعين من سورة مريم: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَـٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا﴾، على أنّها تعني تبشير المؤمنين بولاية علي وإنذار الكافرين بولايته؛ حيث أورد الكليني في الكافي حديثًا نسبه إلى أبي بصير قال فيه: «عن

(1) سورة النحل، الآية: 92.

أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عزَّ وجلّ: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾[1]، «... إلى أن يقول: قلت: قوله: ﴿لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾؟ قال: إلا من دان الله بولاية أمير المؤمنين والأئمة من بعده فهو العهد عند الله. قلت: قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾؟ قال: ولاية أمير المؤمنين هي الود الذي قال الله تعالى، قلت: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا﴾؟ قال: إنّما يسره الله على لسانه حين أقام أمير المؤمنين عليه السلام علمًا، فبشّر به المؤمنين وأنذر به الكافرين وهم الذين ذكرهم الله في كتابه لدًّا أي كفارًا. رواه الكليني، الكافي، باب فيه نكت ونتف من التنزيل.

والتأويل خاطئ، ذلك أنّ اتّباع ولاية علي رضي الله عنه، حتى إذا سلّمنا جدلًا بكونها فريضة من الله فهي جزء من التكاليف، وليست ودًّا. والأرجح أن تكون دلالتها على النحو الذي أورده الطبري منسوبًا إلى مجاهد: «عن مجاهد ﴿سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾ قال: يحبهم ويحبّبهم إلى المؤمنين «....» ﴿وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا﴾ يقول: ولتنذر بهذا القرآن عذاب الله قومكَ من قريش، فإنّهم أهل لَددٍ وجدلٍ بالباطل، لا يقبلون الحقّ. واللَّدّ: شدّة الخصومة». وكذلك فإنّ قوله تعالى يسرناه بلسانك في الآية الثانية يعني القرآن. أمّا القول إنّه إقامة علي رضي الله عنه علمًا، وتبشير المتقين بولايته وإنذار الكافرين بها، أو القول بأنّ ولايته كانت ودًّا فلا يستقيم، ولا يوجد ما يعززه لا في الآية ولا في الآيات السابقة أو اللاحقة لها. ومن ثم فهو مجرد إلباس للحق بالباطل، وليّ لعنق النص القرآني أو آيات الله لإخضاعها لهوى النفس ونظريات البشر في الولاية.

8. تأويل الآية ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ﴾: أوّل أهلُ الرواية والتأويل «الذين كفروا» في الآية التاسعة عشرة من سورة الحج: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ﴾، على أنّها تعني الذين كفروا بولاية علي رضي الله عنه؛ حيث أورد الكليني في

(1) سورة مريم، الآية: 73.

الكافي حديثًا نسبه إلى أبي حمزة قال فيه: «عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ ۖ فَالَّذِينَ كَفَرُوا (**بولاية عليّ**) قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ﴾». رواه الكليني، الكافي، باب فيه نكت ونتف من التنزيل.

والتأويل خاطئ، ذلك أنّ الآية تضرب لنا مثلًا طرفين تخاصما في الله تعالى، أحدهما آمن بالله تعالى واليوم الآخر وعمل صالحًا، والآخر كفر بالله تعالى واليوم الآخر وأفسد في الأرض، فأُدخل الطرف الأول الجنة، وقُطعت للطرف الثاني ثياب من نار ومقامع من حديد أي أُدخل النار. أمّا تأويل الآية على أنّها تعني الكفر بولاية علي رضي الله عنه، فلا توجد في القرآن الكريم آية تصرف الإيمان أو الكفر لولاية علي أو ولاية غيره من الناس، والكفر والإيمان ينصرفان إلى الكفر أو الإيمان بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر. ومن ثم فالتأويل لا يتجاوز كونه تحريفًا للكلم عن مواضعه، وليًّا لعنق النص القرآني لإخضاعه لنظريات البشر في الولاية.

وتتفق جلّ الروايات التي أوردها المفسرون بالمأثور على أنّ دلالة الآية تنصرف إلى أن الخصمين هم المسلمون والكافرون.

9. تأويل الآيتين ﴿وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ﴾ و﴿وَلَٰكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾: أوّل أهلُ الرواية والتأويل «هدوا إلى الطيب من القول» في الآية الرابعة والعشرين من سورة الحج: ﴿وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَىٰ صِرَاطِ الْحَمِيدِ﴾، على أنّها تعني هدوا إلى ولاية علي رضي الله عنه، وكذلك أوّلوا وزينه في قلوبكم في الآية السابعة من سورة الحجرات: ﴿وَلَٰكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ﴾، على أنّها تنصرف كذلك إلى علي رضي الله عنه؛ حيث أورد الكليني في الكافي حديثًا نسبه إلى عبد الرحمن بن كثير قال فيه: «عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَىٰ صِرَاطِ الْحَمِيدِ﴾ قال: ذاك حمزة وجعفر وعبيدة وسليمان وأبو ذر والمقداد بن الأسود وعمار هدوا إلى أمير المؤمنين عليه السلام وقوله: ﴿حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ (**يعني أمير المؤمنين**) وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ﴾ الأول والثاني والثالث». رواه الكليني، الكافي، باب فيه نكت ونتف من التنزيل.

والتأويل خاطئ، ذلك أنّ الآية وردت في سياق المقابلة بين الكفار والمسلمين، وتتحدّث عن حالة الطرفين في الآخرة. والهدى أينما ورد في القرآن فينصرف إلى هدى الله، والله تعالى يقول: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ﴾[1]، أمّا الطيب من القول، فإنّ كان يتصل بالدنيا، فهو كل ما له صلة بالإيمان والتوحيد، وإن كان يتصل بالآخرة، فينصرف إلى الحمد على المكانة التي تحصّلوا عليها في الجنة.

وعلى الرغم من عدم اتفاق الرواة في الروايات التي أوردها المفسرون بالمأثور، على دلالة الطيب من القول؛ فمنهم من رأى أنه القرآن، ومنهم من رأى أنه شهادة «لا إله إلّا الله»، ورأى بعضهم أنه قولهم «الحمد لله الذي صدقنا وعده». غير أنّهم لم يذهبوا إلى التأويل الذي أورده الكليني.

أمّا ما يتعلق بالآية الثانية، فمن غير المعقول إعطاء الإيمان وتزيينه في قلوب المؤمنين، دلالة حبّ علي ﵁ أو حبّ ولايته، إلّا إذا كان الإيمان لا يعني أي شيء آخر سوى حبّ علي ﵁، وهو ما لا يستقيم لا مع تعريف الإيمان في القرآن، ولا مع المنطق والعقل. ومن هناك فالتأويل الذي أورده الحديث للآيتين لا يعدو كونه إلباسًا للحق بالباطل، وليًّا لعنق الآية لإخضاعها لنظريات البشر في الولاية.

وتتفق الروايات التي أوردها المفسرون بالمأثور على أنّ دلالة الإيمان في الآية: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ﴾ هو الإيمانَ بالله ورسوله ودلالة الكفر في الآية: ﴿وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ﴾ هو الكفر بالله ودلالة الفسوق والعصيان في الآية هو الكذب على الله تعالى، وارتكاب ما نهى عنه.

10. تأويل آية ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ : أوّل أهلُ الرواية والتأويل الآية الخامسة والعشرين من سورة الحج: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ ۚ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾، على أنّها تعني الكفر

(1) سورة آل عمران، الآية: 73.

بالولاية؛ حيث أورد الكليني حديثًا نسبه إلى عبد الرحمن بن كثير قال فيه: «عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عزَّ وجلّ: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ﴾ قال: نزلت فيهم حيث دخلوا الكعبة فتعاهدوا وتعاقدوا على كفرهم وجحودهم بما نزل في أمير المؤمنين عليه السلام، فألحدوا في البيت بظلمهم الرسول ووليه فبعدًا للقوم الظالمين». رواه الكليني، الكافي، باب في نكت ونتف من التنزيل.

والتأويل خاطئ، ذلك أنّ المصادر التاريخية لم تتحدث عن أي اجتماع للمسلمين داخل الكعبة، وأنّ الذين اجتمعوا لغرض اختيار خليفة لرسول الله ﷺ، اجتمعوا في سقيفة بني ساعدة وليس في الكعبة. ثم إنّ الآية تتحدث عن الذين يصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام، ولا تتحدث عمن ينكرون ولاية علي رضي الله عنه. أمّا تأويل الآية على أنّها تعني الكفر بولاية علي وبعض من ذريته رضي الله عنهم، فهو لا يتجاوز كونه إلباسًا للحق بالباطل، وليًّا لعنق النص لإخضاعه لنظريات البشر.

وتتفق جلّ الروايات التي أوردها المفسرون بالمأثور على أنّ دلالة «من يرد فيه بإلحاد»، تنصرف إلى من يَهِمُّ فيه بارتكاب أمر فظيع من المعاصي كالشرك والظلم، أو أن يستحل المرء ما حرم الله تعالى.. الخ.

11. تأويل الآيتين ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿193﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾: أوّل أهلُ الرواية والتأويل الآية الرابعة والتسعين بعد المئة من سورة الشعراء: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿192﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿193﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾، على أنّها تعني ولاية علي رضي الله عنه؛ حيث أورد الكليني في الوافي: «عن سالم الحنّاط قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: أخبرني عن قول الله تبارك وتعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿193﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿194﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ قال: هي الولاية لأمير المؤمنين عليه السلام». رواه الكليني، الكافي، باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية.

والتأويل خاطئ، ذلك أنّ التنزيل الذي نزل به الروح الأمين هو «القرآن»، والتنزيل وأفعال التنزيل أينما وردت في القرآن دون تقييدها بمفعول به تنصرف إلى القرآن. وأمّا تأويل الآية على النحو الوارد في الحديث فهو

مجرد إلباس للحق بالباطل، وتقييد للمطلق وتخصيص للعام، وليّ لعنق النص القرآني لإخضاع آيات الله لنظريات البشر في الولاية.

وتتفق جلّ الروايات التي أوردها المفسرون بالمأثور على أنّ ما نزل به الروح الأمين هو القرآن.

12. تأويل آية ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ﴾: أوّل أهلُ الرواية والتأويل الآية الثانية والسبعين من سورة الأحزاب: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾، على أنّها تعني ولاية علي رضي الله عنه؛ حيث أورد الكليني حديثًا نسبه إلى إسحاق بن عمار قال فيه: «عن رجل، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ قال: هي ولاية أمير المؤمنين عليه السلام». رواه الكليني، الكافي، باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية.

والتأويل خاطئ، فالأمانة تنصرف إلى الخلافة، والخلافة تنصرف إلى المسؤولية، فالبشر منحهم الله المسؤولية على الأرض، والقدرة على التصرف فيها بإذن الله تعالى، حيث يقول تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾[1] وقد ذكر جلّ المفسرين بالمأثور أنّها التكاليف، غير أنّ التكاليف لا تخصّ البشر دون غيرهم من المخلوقات حيث يشترك معهم فيها الجن على أقل تقدير، بل وقد يشترك معهم فيها مخلوقات غيرها.

وعرضت الأمانة على آدم أبي البشر عليه السلام فقبلها، وهو يُمثّل كل البشر آنذاك، ولم يعرض الله تعالى على علي أو الأئمة رضي الله عنهم شيئًا، وإلّا لكان أشار إلى ذلك في القرآن. ومن هناك فتأويل الآية على النحو الوارد في الحديث لا يتجاوز كونه إلباسًا للحق بالباطل، وليًا لعنق النص القرآني، وإخضاعًا لآيات الله لنظريات البشر في الولاية.

---

(1) سورة البقرة، الآية: 30.

ويتفق جلّ المفسرين بالمأثور على أنّ دلالة الأمانة تنصرف للتكاليف أو الفرائض دون غيرها.

13. تأويل الآية ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾: أوّل أهلُ الرواية والتأويل «أشركت» في الآية الخامسة والستين من سورة الزمر: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾، على أنّها تعني أن تشرك بولاية علي غيره؛ حيث أورد الكليني حديثًا نسبه إلى الحكم بن بهلول، عن رجل قال فيه: «عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ قال: يعني إن أشركت في الولاية غيره ﴿بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ﴾ يعني بل الله فاعبد بالطاعة وكن من الشاكرين أن عضدتك بأخيك وابن عمك». رواه الكليني، الكافي، باب فيه نكت ونتف من التنزيل.

والتأويل خاطئ، ذلك أنّه حتى لو سلّمنا جدلًا بنظرية الولاية، وعلى أنّها من عند الله تعالى، فلا يستقيم أن يخاطب الله تعالى نبيه بهذه الصيغة التوحيدية في ولاية علي رضي الله عنه. وأن يأمره بعدم الشرك في ولاية علي رضي الله عنه! والسؤال الذي يتبادر إلى الذهن هنا كيف يمكن أن يشرك النبيّ محمد صلى الله عليه وسلم في ولاية علي رضي الله عنه؟ فهل سيضيف للولاية شخصًا آخر ليقول بأنّ له وصيين من بعده أم ماذا؟

ثم إنّه من نافلة القول بأنّه لا ينبغي توحيد المتعدد أو تعديد الموحد؛ فالتوحيد ينصرف لله تعالى دون غيره، والشرك ينصرف للشرك بالله دون غيره، فلم ترد حتى صيغة توحيد النبي صلى الله عليه وسلم في القرآن، ولم ترد أية صيغة تنهى عن الشرك في نبّوته صلى الله عليه وسلم. فما بالك بالوصي إن سلّمنا بالوصاية! فالله تعالى لم يأمرنا بتوحيد النبيّ صلى الله عليه وسلم فهو لا يوحّد لدى المسلمين، طالما أنّه ثمّة أنبياء آخرون وإن لم يعاصروه، والوصي، لو سلّمنا جدلًا بشرعيته وشرعية نظرية الوصاية، لا يمكن القول بوحدانيته طالما أنّه ثمّة أوصياء آخرون، وإن لم يعاصروه وفقًا لنظرية الوصاية. وإجمالًا فالله تعالى وحده من يقتضي من المخلوقين التوحيد أما غيره فمتعدد، فإن لم يكن متعددًا في اسمه فهو متعدد

في صفاته أو بعض صفاته، ومن هناك لا يجوز توحيد غير الله تعالى بل إنّنا لا نجانب الصواب إذا قلنا بأنّ توحيد غيره مدعاة للشرك.

وتتفق جلّ الروايات التي أوردها المفسرون بالمأثور على أنّ دلالة الآية لا تتجاوز القول لئن أشركت بالله شيئًا يا محمد ليبطلنّ عملك.

14. تأويل آية ﴿وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ﴾ : أوّل أهلُ الرواية والتأويل «من ينيب» في الآية الثالثة عشرة من سورة الشورى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ ٱللَّهُ يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ﴾، على أنّه من يجيب إلى ولاية علي رضي الله عنه؛ حيث أورد الكليني في الكافي حديثًا نسبه إلى عبد العزيز بن المهتدي قال فيه: «عن عبد الله بن جندب أنه كتب إليه الرضا عليه السلام: أما بعد، فإنّ محمدًا صلى الله عليه وآله كان أمين الله في خلقه فلما قبض صلى الله عليه وآله كنا أهل البيت ورثته، فنحن أمناء الله في أرضه، عندنا علم البلايا والمنايا، وأنساب العرب، ومولد الإسلام، وإنا لنعرف الرجل إذا رأيناه بحقيقة الإيمان وحقيقة النفاق، وإن شيعتنا لمكتوبون بأسمائهم وأسماء آبائهم، أخذ الله علينا وعليهم الميثاق، يردون موردنا ويدخلون مدخلنا، ليس على ملة الإسلام غيرنا وغيرهم، نحن النجباء النجاة، ونحن أفراط الأنبياء، ونحن أبناء الأوصياء، ونحن المخصوصون في كتاب الله عزّ وجلّ، ونحن أولى الناس بكتاب الله، ونحن أولى النا

إليه المنيبين أي التوّابين، ثم إنّ رسالة الإسلام تتلخص في الدعوة إلى الله تعالى التي تعني الدعوة إلى الإسلام، وإن المنيب هو الذي ينيب إلى الله تعالى وإلى دينه وليس إلى ولاية علي رضي الله عنه أو ولاية غيره. أمّا القول إنّ الله تعالى أو رسوله ﷺ يدعوان لولاية علي رضي الله عنه، وأن الإنابة تعني من استجاب لولايته، فهو قول لا يستقيم، حيث يقيّد المطلق ويخصص العام، ويخضع آيات الله لنظريات البشر في الولاية.

وتتفق كتب التفسير بالمأثور بأنّ دلالة الآية تنصرف إلى أنّ الله يصطفي إليه من يشاء من خلقه ويهدي إليه التوّابين.

15. تأويل الآيات ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ ۚ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰ﴾، ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ ۖ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴿١٩﴾ مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ ۖ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ﴾: أوّل أهلُ الرواية والتأويل «لم يؤمن» في الآية السابعة والعشرين بعد المئة من سورة طه: ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ ۚ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰ﴾، على أنّها تعني من لم يؤمن بولاية علي وبعض ذريته رضي الله عنهم. وكذلك أوّلوا الآية التاسعة عشرة من سورة الشورى: ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ ۖ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾، على أنّها تعني ولاية علي وبعض ذريته رضي الله عنهم. كما أوّلوا الآية العشرين من سورة الشورى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ﴾، على أنّها تعني معرفة الأئمة. ونزد له في حرثه على أنّها تعني يستوفي نصيبه من دولتهم، وأوّلوا ما له في الآخرة من نصيب في الآية: ﴿وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ﴾، على أنّها تعني ما لهم في دولتهم من نصيب؛ حيث أورد الكليني في الكافي حديثًا نسبه إلى أبي بصير قال فيه: «عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عزَّ وجلّ: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾ قال: يعني به ولاية أمير المؤمنين عليه السلام، قلت: ﴿وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ﴾[1]؟ قال: يعني أعمى البصر في الآخرة أعمى القلب في الدنيا عن ولاية أمير المؤمنين عليه السلام، قال: وهو متحير في

(1) سورة طه، الآية: 124.

القيامة يقول: ﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِيٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿125﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا﴾ قال: الآيات الأئمة عليهم السلام ﴿فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾ يعني تركتها وكذلك اليوم تترك في النار كما تركت الأئمة عليهم السلام، فلم تطع أمرهم ولم تسمع قولهم، قلت: ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ﴾؟ قال: يعني من أشرك بولاية أمير المؤمنين عليه السلام غيره ولم يؤمن بآيات ربه وترك الأئمة معاندة فلم يتبع آثارهم ولم يتولهم، قلت: «﴿ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ﴾؟ قال: ولاية أمير المؤمنين عليه السلام، قلت: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾؟ قال: معرفة أمير المؤمنين عليه السلام والأئمة ﴿نَزِدْ لَهُۥ فِي حَرْثِهِۦ﴾ قال: نزيده منها، قال: يستوفي نصيبه من دولتهم ﴿وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلْـَٔاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾ قال: «ليس له في دولة الحق مع القائم نصيب». رواه الكليني، الكافي، باب فيه نكت ونتف من التنزيل.

والتأويل خاطئ، ذلك أنّ آيات الله تنصرف إلى ثلاث دلالات: الأولى آيات الذكر الحكيم التي وردت في التنزيل، الثانية آيات الله تعالى في كونه وسننه في خلقه، بينما تنصرف الثالثة إلى المعجزات التي زوّد بها تعالى رسله عليهم السلام. أمّا القول إنّ الله تعالى لطيف بعباده ويرزق من يشاء تنصرف إلى الولاية فهو تأويل غريب، فهل ذهب المتأوّلون إلى أنّه تعالى رزق علي رضي الله عنه الولاية؟ وهو ما يقتضي التساؤل ـ إن سلّمنا جدلًا بنظرية الولاية ـ حول هل الولاية رزق ساقه الله تعالى إليه أو إلى الأئمة من ذريته؟ أم هو ابتلاء وتكليف؟ بل إنّ دلالة ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْـَٔاخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِي حَرْثِهِۦ﴾ تنصرف إلى أنّ من عمل من أجل الآخرة، يزد الله في حرثه، أمّا من باع آخرته بدنياه وسعى من أجل الجاه والمال وغيرهما من مفاتن الدنيا، فليس له في الآخرة من نصيب. أمّا تأويلها على أنّها تنصرف إلى معرفة الإمام أو الأئمة فلا بيّنة ولا سلطان عليه في الآية ولا في الآيات السابقة أو اللاحقة لها. ومن هناك فتأويل الآيات على النحو الوارد في الحديث لا يستقيم، ولا يتجاوز كونه إلباسًا للحق بالباطل، وليًّا لعنق النص القرآني، وآيات الله تعالى لإخضاعها لنظريات البشر في الولاية.

وتتفق جلّ الروايات التي أوردها المفسرون بالمأثور على أنّ دلالة ﴿مَن

أَسۡرَفَ وَلَمۡ يُؤۡمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦۚ﴾ تعني لم يؤمن برسله وكتبه، وأنّ دلالة ﴿ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُۖ﴾ تنصرف إلى أن الله ذو لطف بعباده، يرزق من يشاء ويمنع من يشاء. ودلالة ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلۡأٓخِرَةِ نَزِدۡ لَهُۥ فِي حَرۡثِهِۦۖ﴾ تنصرف إلى نجريه بالحسنة أضعاف أمثالها إلى ما يشاء الله، ودلالة ﴿وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلدُّنۡيَا نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾ تنصرف إلى «ومن كان سعيه ليحصل على مغانم الدنيا، حرمه الله من نعيم الآخرة».

16. تأويل آيتي ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَٰرِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡهُدَى﴾ و﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُواْ لِلَّذِينَ كَرِهُواْ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمۡ فِي بَعۡضِ ٱلۡأَمۡرِۖ﴾: أوّل أهلُ الرواية والتأويل «اسم الموصول» في الآيتين الخامسة والعشرين والثامنة والعشرين من سورة محمد: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَٰرِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡهُدَى ٱلشَّيۡطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمۡ وَأَمۡلَىٰ لَهُمۡ﴾، ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُواْ لِلَّذِينَ كَرِهُواْ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمۡ فِي بَعۡضِ ٱلۡأَمۡرِۖ﴾، على أنّه يعود على الذين تركوا ولاية علي رضي الله عنه؛ حيث أورد الكليني في الكافي حديثًا نسبه إلى عبد الرحمن بن كثير: «عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَٰرِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡهُدَى﴾ فلان وفلان وفلان، ارتدّوا عن الإيمان في ترك ولاية أمير المؤمنين عليه السلام قلت: قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُواْ لِلَّذِينَ كَرِهُواْ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمۡ فِي بَعۡضِ ٱلۡأَمۡرِۖ﴾ قال: نزلت، والله، فيهما وفي أتباعهما وهو قول الله عزّ وجلّ الذي نزل به جبرائيل عليه السلام على محمد صلى الله عليه وآله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُواْ لِلَّذِينَ كَرِهُواْ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ **(في عليّ** عليه السلام**)** سَنُطِيعُكُمۡ فِي بَعۡضِ ٱلۡأَمۡرِۖ﴾ قال: دعوا بني أمية إلى ميثاقهم ألا يصيروا الأمر فينا بعد النبي صلى الله عليه وآله ولا يعطونا من الخمس شيئًا وقالوا: إن أعطيناهم إياه لم يحتاجوا إلى شيء، ولم يبالوا أن يكون الأمر فيهم، فقالوا: سنطيعكم في بعض الأمر الذي دعوتمونا إليه وهو الخمس ألا نعطيهم منه شيئًا وقوله ﴿كَرِهُواْ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ﴾ والذي نزل الله ما افترض على خلقه من ولاية أمير المؤمنين عليه السلام وكان معهم أبو عبيدة وكان كاتبهم، فأنزل الله ﴿أَمۡ أَبۡرَمُوٓاْ أَمۡرٗا فَإِنَّا مُبۡرِمُونَ ۝٧٩ أَمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّا لَا نَسۡمَعُ سِرَّهُمۡ وَنَجۡوَىٰهُمۚ﴾، الآية. رواه الكليني، الكافي، باب فيه نكت ونتف من التنزيل.

والتأويل خاطئ، ذلك أنّ الآيات تتحدث عن المنافقين، والمنافقون وفقًا للقرآن صنفان: الصنف الأول يمارس التقية فيعلن الإيمان ويبطن الكفر، وهم الذين قال فيهم الله تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾[1]، أما الصنف الثاني فهم من آمن بالفعل غير أنّهم ارتدّوا عن إيمانهم عند تعرّض المسلمين للابتلاء، حيث لم يكن بإمكانهم تحمّل التكاليف وهم الذين عنتهم الآية المذكورة آنفًا: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى﴾ ومن هناك فدلالة الذين ارتدّوا على أدبارهم بعد ما تبيّن لهم الهدى في الآية تنصرف إلى أنهم ارتدّوا على أدبارهم بعد أن ابتلوا بالقتال في سبيل الله: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾[2]، والآية الحادية والثلاثين من نفس السورة تشير إلى ذلك الابتلاء: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَا أَخْبَارَكُمْ﴾[3]. أمّا القول إنّ الآيات نزلت في الذين أداروا ظهورهم لنظرية الولاية أو لولاية علي ﷺ فلا يوجد في الآيتين ولا في الآيات السابقة واللاحقة لها ما يدلّ عليه، ثم إنّ قوله تعالى: ﴿مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى﴾ يوضح دلالة الآية، فالهدى أينما ورد في القرآن انصرف إلى إحدى دلالتين: الدلالة الاصطلاحية وتنصرف إلى الإيمان بالله واليوم الآخر، أو إلى التنزيل، والدلالة المعجمية وتنصرف إلى الاهتداء إلى الحق والرشد، والله تعالى يقول: ﴿قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَى اللَّهِ﴾[4]. ومن هناك فالتأويل الذي أورده الكليني لا يستقيم، ولا يعدو كونه مجرد تحريف للكلم عن مواضعه، وليًّا لعنق النص لإخضاعه لنظريات البشر.

وإن لم تتفق الروايات التي أوردها المفسرون بالمأثور على هوية الذين

---

(1) سورة البقرة، الآية: 14.
(2) سورة محمد، الآية: 20.
(3) سورة محمد، الآية: 31.
(4) سورة آل عمران، الآية: 73.

ارتدّوا على أدبارهم، حيث نصّت بعض الروايات على أنّهم المنافقون، بينما رأت روايات أخرى بأنّهم اليهود. غير أنّها لم تذهب إلى التأويل الذي ذهب إليه الحديث الذي أورده الكليني.

17. تأويل الآيتين ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ﴾ ﴿يُرِيدُونَ لِيُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ﴾: أوّل أهلُ الرواية والتأويل «دين الحق» في الآية التاسعة من سورة الصف: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ﴾، على أنّه يعني ولاية علي رضي الله عنه، وكذلك أوّلوا ﴿لِيُظۡهِرَهُۥ﴾ في نفس الآية على أنّها تعني إظهار الدين عند ظهور القائم، كما أوّلوا ﴿وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ﴾ في الآية الثامنة من سورة الصف: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ﴾، على أنّها تعني ولاية القائم، وكذلك أوّلوا ﴿وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ على أنّها تعني كره ولاية علي رضي الله عنه؛ حيث أورد الكليني في الكافي حديثًا نسبه إلى محمد بن الفضيل قال فيه: «عن أبي الحسن الماضي عليه السلام، قال: سألته عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفۡوَٰهِهِمۡ﴾، قال: يريدون ليطفئوا ولاية أمير المؤمنين عليه السلام بأفواههم،... إلى أن يقول: قلت: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ﴾ قال: هو الذي أمر رسوله بالولاية لوصيه والولاية هي دين الحق، قلت: ﴿لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ قال: يظهره على جميع الأديان عند قيام القائم، قال: يقول الله: ﴿وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ﴾ «ولاية القائم» ﴿وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ «بولاية علي، قلت: هذا تنزيل؟ قال: نعم أما هذا الحرف فتنزيل وأما غيره فتأويل». رواه الكليني، الكافي، باب فيه نكت ونتف من التنزيل.

والتأويل خاطئ، ذلك أنّ الله تعالى قد أظهر دينه على الأديان كلها، حين دانت للمسلمين أكبر أمبراطوريتين معاصرتين لنهوض الإسلام والمسلمين، وهما الأمبراطورية الفارسية والرومانية، وانتشر الإسلام في أصقاع الأرض. كما يمكن أن يظهر الله الإسلام في المستقبل بعد عصور من استضعاف المسلمين، غير أنّه ليس ثمّة ما يشير إلى أنّ ذلك سيتم عند ظهور القائم، الذي هو مجرد وهم صنعه لدى أهل الرواية والتأويل الشعور الشيعي بالضعة والهوان، وهم يرون

الخلافة يتعاقب عليها غيرهم. وصنعه لدى أهل الحديث والنسخ شعور الهاشميين من غير أهل بيت علي رضي الله عنه بالضعة والهوان، وهم يرون الخلافة يتعاقب عليها بنو أمية قبل أن تنتقل إليهم. أمّا فيما يتعلق بالآية الثانية فإنّ النور أينما ورد في القرآن ينصرف إلى نور الإيمان بالله تعالى وبدين الحق، ولا يمكن تصوّر أنّ نور الله أو دين الحق يمكن له أن يحمل دلالة أخرى غير تلك الدلالة، وكذلك لا يمكن تأويل دلالة «الكافرون» في الآية: ﴿وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ على أنّها تعني الكفر بولاية علي عوضًا عن الكفر بدين الله تعالى. **وهذا التحريف جعل من نظرية الولاية دينًا آخر موازيًا لدين الإسلام.**

وتتفق جلّ الروايات التي أوردها المفسرون بالمأثور على أنّ دلالة ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ تنصرف إلى «ليظهر الإسلام على كلّ دين سواه»، وذلك عند نزول عيسى ابن مريم. وكذلك دلالة ﴿وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ﴾ تنصرف إلى أنّ الله مظهر دينه ـ والذي هو النور في الآية ـ على غيره من الأديان، وعلى أنّ ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ تعني ولو كره الكافرون بالله».

18. تأويل الآيات ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ (1) اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (2) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾: أوّل أهلُ الرواية والتأويل «المنافقون» في الآية الأولى من سورة المنافقون: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ على أنّها تعني الذين ينافقون في ولاية علي رضي الله عنه، كما أوّلوا «سبيل الله» في الآية الثانية من نفس السورة ﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ على أنه الوصي، وكذلك أوّلوا ﴿ثُمَّ كَفَرُوا﴾ في الآية الثالثة من نفس السورة: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ على أنها تعني كفروا بولاية علي رضي الله عنه؛ حيث أورد الكليني في الكافي حديثًا نسبه إلى محمد بن الفضيل قال فيه: «عن أبي الحسن الماضي عليه السلام، قال: سألته عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾... قال: يريدون ليطفئوا ولاية أمير المؤمنين عليه السلام بأفواههم، إلى أن يقول: قلت: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا﴾ قال: إنّ الله تبارك وتعالى

سمى من لم يتبع رسوله في ولاية وصيه منافقين وجعل من جحد وصيه إمامته كمن جحد محمدًا وأنزل بذلك قرآنًا فقال: يا محمد ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ (بولاية وصيك) قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ (بولاية علي) لَكَٰذِبُونَ ١ ٱتَّخَذُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ (والسبيل هو الوصي) ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُواْ (برسالتك) ثُمَّ كَفَرُواْ (بولاية وصيك) فَطُبِعَ (الله) عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ قلت: ما معنى لا يفقهون؟ قال: يقول: لا يعقلون بنبوتك. رواه الكليني، الكافي، باب فيه نكت ونتف من التنزيل.

والتأويل خاطئ، ذلك أنّ الكفر أينما ورد في القرآن هو كفر بدين الله ونعمه، ولا صلة له بنظرية الولاية، والنفاق نوعان الأول من أظهر الإيمان بالله تعالى وأبطن الكفر، والثاني من آمن بالله تعالى ثم كفر بعد إيمانه. والنفاق ظاهرة تشابه ظاهرة التقية فهي ترتبط بالغلبة، فالإنسان المغلوب على أمره هو الذي يضطر إلى أن يظهر خلاف ما يُبطن، ولم يشهد التاريخ فترة كان فيها أهل الرواية والتأويل يحكمون سيطرتهم على كافة بلاد المسلمين، حتى يضطر فيها الناس للنفاق في مسألة الولاية، أي إظهار تصديقها وإبطان نكرانها. ثم إنّ الآية نفسها تفصح عن دلالة الكفر والنفاق فهم يكفرون بالرسول ﷺ وما أنزل عليه: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾، ومن هناك فالنفاق في الآية لا صلة له بنظرية الولاية. وكذلك القول بأنّ سبيل الله هو الوصي قول لا يقبله صاحب الفطرة السليمة، **فإذا كان الإيمان هو الإيمان بنظرية الولاية أو الوصاية، والكفر هو الكفر بنظرية الولاية أو الوصاية، وسبيل الله والصراط المستقيم هو الوصي، فماذا تبقى من الإسلام غير نظرية الولاية، وهو ما يضع المتأوّلين في مأزق ابتداع دينٍ موازٍ لدين الإسلام يتخذ من نظرية الولاية أو الوصاية عقيدة له.** والتأويل لا يتجاوز إلباس الحق بالباطل: ﴿وَلَا تَلْبِسُواْ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُواْ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[1].

---

(1) سورة البقرة، الآية: 42.

وتتفق جلّ الروايات التي أوردها المفسرون بالمأثور على أنّ دلالة المنافقين تنصرف للذين أظهروا الإيمان بالقول وقلوبهم منكِرة تأبى ذلك، وأنّ الكفر ينصرف للكفر بما أنزل على محمد ﷺ، وأنّ دلالة ﴿فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ تعني دعوا الناس إلى عدم اتباع رسول الله ﷺ.

19. تأويل الآيات ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ ورَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ۝٥ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾: أوّل أهلُ الرواية والتأويل «يستغفر لكم» في الآية الخامسة من سورة المنافقون: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ ورَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾، على أنّها تعني ارجعوا لولاية علي يستغفر لكم النبيّ ﷺ. وكذلك أوّلوا «يصدون» في نفس الآية على أنّها تعني يصدون عن ولاية علي رضي الله عنه، كما أوّلوا «الفاسقين» في الآية السادسة من نفس السورة: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾، على أنّها تعني الظالمين لوصّيك؛ حيث أورد الكليني في الكافي حديثًا نسبه إلى محمد بن الفضيل قال فيه: «عن أبي الحسن الماضي عليه السلام قال: سألته عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾... إلى أن يقول: قلت: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ﴾؟ قال: إذا قيل لهم ارجعوا إلى ولاية علي يستغفر لكم النبي من ذنوبكم ﴿لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ﴾ قال الله: ﴿ورَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ (**عن ولاية علي**) وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾ عليه ثم عطف القول من الله بمعرفته بهم، فقال: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ يقول: الظالمين لوصّيك». رواه الكليني، الكافي، باب فيه نكت ونتف من التنزيل.

والتأويل خاطئ، ذلك أنّ الآية تتحدث عن المنافقين، الذين إذا قال لهم الذين لا يدركون حقيقة نفاقهم: تعالوا يستغفر لكم النبيّ ﷺ، لووا رؤوسهم وهم يصدّون عن سبيل الله وهم مستكبرون، فهم لا يصدّون عن سبيل الولاية بل يصدّون عن سبيل الله تعالى، وسبيله تعالى هو الإسلام وليس الولاية. ومن هناك فلا صلة لنفاقهم واستغفار النبيّ ﷺ لهم بإنكار نظرية الولاية، ولا

بالرجوع إليها. كما أنّ وصفه تعالى للمنافقين في الآية بالفسق الذي هو العصيان، متأتٍّ من عصيانهم لله والرسول ﷺ، وصدّهم عن سبيل الله تعالى، ولذلك فلا صلة له بنظرية الولاية هو الآخر، ولا بظلم علي رضي الله عنه. وتأويل الآية على هذا النحو الوارد في الحديث لا يستقيم، بل ويصل إلى درجة إلباس الحق بالباطل من أجل إخضاع آيات الله لنظريات البشر في الولاية.

وتتفق جلّ الروايات التي أوردها المفسرون بالمأثور على أنّ دلالة ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْاْ رُءُوسَهُمْ﴾ وإذا قيل لهؤلاء المنافقين: تعالوا إلى رسول الله يستغفر لكم لوّوا رؤوسهم، أي حرّكوها وهزّوها إعراضًا عن رسول الله ﷺ واستغفاره، وكذلك قوله في الآية الثانية: ﴿أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾ والتي تعني سواء يا محمد استغفرت لهؤلاء المنافقين أم لم تستغفر لهم لن يصفح الله لهم عن ذنوبهم، فالله لا يهدي القوم الفاسقين أي إنّ الله تعالى لا يوفّق هؤلاء العصاة للإيمان، ولا يهديهم سبيلًا.

20. تأويل الآيات: ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا﴾ و﴿قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿22﴾ إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾: أوّل أهلُ الرواية والتأويل «الهدى» في الآية الثالثة عشر من سورة الجن: ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾، على أنّه ينصرف إلى الولاية، وكذلك أوّلوا «لا يخاف» في الآية: ﴿فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا﴾، على أنّ الذي آمن بالولاية لا يخاف بخسًا ولا رهقًا، وأوّلوا أيضًا ﴿لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ﴾ في الآية الثانية والعشرين من نفس السورة: ﴿قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا﴾، على أنّه لن يجيرني إن عصيته في علي رضي الله عنه، كما أوّلوا البلاغ من الله ورسالاته، على أنّه البلاغ في علي رضي الله عنه، وأوّلوا أيضًا ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ في نفس الآية، على أنّه العصيان في ولاية علي رضي الله عنه؛ حيث أورد الكليني في الكافي حديثًا نسبه إلى محمد بن الفضيل قال فيه: «عن أبي الحسن الماضي عليه السلام، قال: سألته عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾ «قلت: قوله: ﴿لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾؟ قال: الهدى الولاية، آمنا بمولانا فمن آمن بولاية مولاه، ﴿فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا﴾ قلت: تنزيل؟ قال:

لا تأويل، قلت: قوله: ﴿لَآ أَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا رَشَدٗا﴾ قال: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله دعا الناس إلى ولاية علي فاجتمعت إليه قريش، فقالوا يا محمد اعفنا من هذا، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وآله: هذا إلى الله ليس إلي، فاتهموه وخرجوا من عنده فأنزل الله ﴿قُلۡ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا رَشَدٗا (21) قُلۡ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ **(إن عصيته)** أَحَدٞ وَلَنۡ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلۡتَحَدًا (22) إِلَّا بَلَٰغٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦۚ﴾ (في علي)» قلت، هذا تنزيل؟ قال: نعم». رواه الكليني، الكافي، باب فيه نكت ونتف من التنزيل». رواه الكليني، الكافي، باب فيه نكت ونتف من التنزيل.

والتأويل خاطئ، ذلك أنّ الهدى هو القرآن، والله تعالى يقول: ﴿قُلۡ إِنَّ ٱلۡهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ﴾[1]، وقول الجنّة: ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ يؤكد ذلك، و﴿لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٞ﴾ تنصرف إلى أنّه إن عصيته واتبعت أهواءكم، وتركت ما أُنزل إليّ لن يجيرني من الله أحدٌ، والبلاغ من الله ورسالته ينصرف إلى رسالة الإسلام. أمّا التأويل الذي ورد في الحديث فلا يستقيم، بل ويلبس علينا ديننا، فهو لا يتجاوز كونه تحريفًا للكلم عن مواضعه، وليًّا لعنق النص القرآني لإخضاعه لنظريات البشر في الولاية.

وتتفق جلّ الروايات التي أوردها المفسرون بالمأثور على أنّ دلالة الهدى هو القرآن، وأنّ ضمير الغائب في كلا من ﴿فَمَن يُؤۡمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخۡسٗا وَلَا رَهَقٗا﴾ و﴿إِنۡ عَصَيۡتُهُۥ﴾ يعود على القرآن. ومن هناك فدلالتها تنصرف إلى أنّه لو ترك ﷺ ما يدعو إليه فلن يجيره من الله أحدٌ.

21. تأويل الآيتين ﴿يُرِيدُونَ لِيُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ﴾، ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلۡنَاۚ﴾: أوّل أهلُ الرواية والتأويل «نور الله» في الآية الثامنة من سورة الصف: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾، على أنّه يعني ولاية علي رضي الله عنه و﴿مُتِمُّ نُورِهِۦ﴾ على أنّه متم الإمامة، وكذلك أوّلوا ﴿وَٱلنُّورِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلۡنَاۚ﴾ في الآية الثامنة من سورة التغابن: ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ

(1) سورة آل عمران، الآية: 73.

ﱡٱلَّذِىٓ أَنزَلۡنَاۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞﱠ، على أنّها تعني الإمام؛ حيث أورد الكليني في الكافي حديثًا نسبه إلى محمد بن الفضيل قال فيه: «عن أبي الحسن الماضي، عليه السلام قال: سألته عن قول الله عزَّ وجلّ: ﱡيُرِيدُونَ لِيُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفۡوَٰهِهِمۡﱠ قال: يريدون ليطفئوا ولاية أمير المؤمنين عليه السلام بأفواههم، قلت: ﱡوَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦﱠ قال: والله متم الإمامة، لقوله عزَّ وجلّ: ﱡفَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلۡنَاۚﱠ فالنور هو الإمام. رواه الكليني، الكافي، باب فيه نكت ونتف من التنزيل.

والتأويل خاطئ، ذلك أنّ دلالة «نور الله» تنصرف إلى دينه، ﱡوَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦﱠ أي إنّه سيظهره على الدين كله، وهو ما وضحته الآية التالية: ﱡهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَﱠ[1]. أمّا القول إنّ نور الله تعالى ينصرف إلى ولاية علي رضي الله عنه، فلا برهان ولا سلطان عليه في الآية، ولا في الآيات السابقة واللاحقة لها، ومن هناك فالتأويل الذي يشير إليه الحديث لا يستقيم، وهو مجرد إلباس للحق بالباطل، وإخضاع لآيات الله لنظريات البشر في الولاية.

وتتفق جلّ الروايات التي أوردها المفسرون بالمأثور على أنّ دلالة ﱡلِيُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِﱠ تنصرف إلى أنهم يحاولون أن يردوا الحق بالباطل، وكذلك تنصرف دلالة ﱡفَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلۡنَاۚﱠ إلى القرآن.

22. تأويل الآيات: ﱡوَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرٗا جَمِيلٗا ١٠ وَذَرۡنِى وَٱلۡمُكَذِّبِينَ أُوْلِى ٱلنَّعۡمَةِ وَمَهِّلۡهُمۡ قَلِيلًاﱠ، ﱡلِيَسۡتَيۡقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ وَيَزۡدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنٗا وَلَا يَرۡتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَﱠ: أوّل أهلُ الرواية والتأويل «وذرني والمكذبين» في الآية العاشرة من سورة المزمل: ﱡوَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرٗا جَمِيلٗا ١٠ وَذَرۡنِى وَٱلۡمُكَذِّبِينَ أُوْلِى ٱلنَّعۡمَةِ وَمَهِّلۡهُمۡ قَلِيلًاﱠ، على أنّها تعني المكذبين بالوصي. وكذلك أوّلوا ﱡلِيَسۡتَيۡقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَﱠ في الآية الحادية والثلاثين من سورة المدثر: ﱡوَمَا جَعَلۡنَآ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةٗۖ وَمَا جَعَلۡنَا عِدَّتَهُمۡ إِلَّا فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيَسۡتَيۡقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ وَيَزۡدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنٗا وَلَا يَرۡتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ

---

(1) سورة الصف، الآية: 9.

﴿ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾، على أنّها التيقن من أنّ الوصي حق. كما أوّلوا ﴿وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنًا﴾ في نفس الآية، على أنّها تعني يزدادون بولاية الوصي إيمانًا؛ حيث أورد الكليني في الكافي حديثًا نسبه إلى محمد بن الفضيل قال فيه: «عن أبي الحسن الماضي عليه السلام قال: سألته عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾، ... إلى أن يقول: قلت: ﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ **(قال يقولون فيك)** وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴿10﴾ وَذَرْنِي **(يا محمد)** وَٱلْمُكَذِّبِينَ **(بوصيك)** أُوْلِي ٱلنَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا﴾ قلت: إن هذا تنزيل؟ قال: نعم. قلت: ﴿لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ﴾؟ قال: يستيقنون أنّ الله ورسوله ووصيه حق، قلت: ﴿وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنًا﴾؟ قال: ويزدادون بولاية الوصي إيمانًا». قلت: ﴿وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ قال بولاية علي عليه السلام قلت: ما هذا الارتياب؟ قال يعني بذلك أهل الكتاب والمؤمنين الذين ذكر الله فقال: ولا يرتابون في الولاية. رواه الكليني، الكافي، باب فيه نكت ونتف من التنزيل.

والتأويل خاطئ، ذلك أنّ و﴿وَذَرْنِي وَٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ تنصرف إلى المكذبين بالتنزيل وبدين الله، و«ليستيقن الذين أوتوا الكتاب» بالتنزيل الذي أتاهم بعد تعزيزه بالتنزيل الذي أنزل على محمد ﷺ، وتصديقه لما ورد في الكتب السابقة، بما في ذلك المثل الذي ضربه تعالى في هذه الآيات فيزداد الذين آمنوا بذلك إيمانًا. أمّا تأويل الآيات على النحو الوارد في الحديث فلا يستقيم، ولا يتجاوز كونه تحريفًا للكلم عن مواضعه، وليًّا لعنق النص أو الآية لإخضاعها لنظريات البشر في الولاية.

وتتفق جلّ الروايات التي أوردها المفسرون بالمأثور على أنّ دلالة «ما الموصولية» في ﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ تنصرف إلى أذى كفار مكة وصدّهم عن الدعوة، وعلى أن دلالة ﴿لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ﴾ أي ليستبين اليهود صِدق النبيّ ﷺ وذلك لورود التسعة عشر في كتابهم ﴿وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنًا﴾ أي تصديقًا لما أتى به النبي ﷺ.

23. تأويل الآيات ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿15﴾ أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿16﴾ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿17﴾ كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ﴾، ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ﴾، ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾: أوّل أهلُ الرواية

والتأويل «النذر» في الآية الخامسة عشرة من سورة المرسلات: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾، على أنّها تعني المكذبين بولاية علي رضي الله عنه. كذلك أوّلوا في الآية السادسة عشرة من نفس السورة: ﴿أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ﴾، على أنّها تعني إهلاك الذين كذّبوا الرسل في ولاية الأوصياء. كما أوّلوا الآيتين السابعة عشرة والثامنة عشرة من نفس السورة: ﴿ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الْآخِرِينَ ﴿17﴾ كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ﴾، على أنّها تعني الذين أجرموا في حق علي وبعض من ذريته رضي الله عنهم. كما أوّلوا «المتقين» في الآية الحادية والأربعين من نفس السورة: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ﴾، على أنّها تعني شيعة علي وبعض ذريته رضي الله عنهم، كذلك أوّلوا «ضمير المخاطبين» في الآية الثامنة والثلاثين من سورة النبأ: ﴿لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ على أنّه يعود على الأئمة، وعلى أنّهم وحدهم دون غيرهم على ملة إبراهيم عليه السلام، كما أنّهم هم المأذون لهم بالكلام يوم القيامة، والقائلون صوابًا؛ حيث ورد في تتمّة الحديث السابق: «قلت: قوله: ﴿لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَىٰ آمَنَّا بِهِ﴾؟ قال: الهدى الولاية. إلى أن قال: قلت: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ قال: يقول: ويل للمكذبين يا محمد بما أوحيت إليك من ولاية [علي بن أبي طالب عليه السلام] ﴿أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ ﴿16﴾ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الْآخِرِينَ﴾ قال: الأولين الذين كذبوا الرسل في طاعة الأوصياء ﴿كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ﴾ ﴿كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ﴾ قال: من أجرم إلى آل محمد وركب من وصيه ما ركب، قلت: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ﴾؟ قال: نحن والله وشيعتنا ليس على ملة إبراهيم غيرنا وسائر الناس منها براء، قلت ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ﴾ الآية قال: نحن والله المأذون لهم يوم القيامة والقائلون صوابًا، قلت: ما تقولون إذا تكلمتم؟ قال: نمجد ربنا ونصلي على نبينا ونشفع لشيعتنا، فلا يردنا ربنا». رواه الكليني، الكافي، باب فيه نكت ونتف من التنزيل.

والتأويل خاطئ، ذلك أنّ «المكذبين» ذُكرت في القرآن حوالي عشرون مرة، عشرة منها في سورة المرسلات، وكانت في جميعها تنصرف للدلالة على المكذبين بالتنزيل، وبدين الله تعالى. ثم إنّ الآية السابعة من نفس السورة، وهي جواب القسم، تحدد المكذَب به: ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ﴾، وتحدد الآية الثالثة عشرة جواب الشرط للآيات من 8 إلى 11 بيوم الفصل: ﴿لِيَوْمِ الْفَصْلِ﴾.

كما أنّ «الأولين» و«الآخرين» و«المجرمين» الذين أهلكهم الله تعالى هم الذين كذبوا الرسل عليهم السلام، وكذبوا بدين الله تعالى، كقوم عاد وقوم فرعون وقوم صالح وغيرهم. بينما «المتقون» هم الذين صدقوا المرسلين عليهم السلام، واتبعوا أوامر الله تعالى وتجنبوا نواهيه. ولم تحدد الآية من الذي سيأذن له الرحمن بالحديث في الآية: ﴿لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾. أمّا تأويل الآيات على النحو الذي ورد في الحديث فلا يستقيم، وبلغ شأوًا كبيرًا في تحريف الكلم عن مواضعه، وليّ عنق النص القرآني لإخضاعه لنظريات البشر في الولاية.

وتتفق جلّ الروايات التي أوردها المفسرون بالمأثور على أنّ دلالة ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ تنصرف إلى التكذيب بالأخبار التي ذكرت في السورة: فـ ﴿أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿16﴾ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ ٱلْآخِرِينَ﴾ تنصرف إلى أنّ الله تعالى أهلك الأمم الماضية الذين كذّبوا رسله عليهم السلام؛ كقوم نوح وعاد وثمود، ثم اتبعهم الآخرين ممن سلك سبيلهم في الكفر به وبرسله، كقوم إبراهيم وقوم لوط، وأصحاب مدين، و﴿كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ﴾ تعني وكذلك نفعل بالذين طغوا وبغوا في الأرض، و﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ﴾ تنصرف إلى «الذين اتقوا الله تعالى»، و﴿فِى ظِلَٰلٍ﴾ أي في جنة ظليلة، و﴿وَعُيُونٍ﴾ أي وعلى أنهار تجري. واختلفوا في دلالة ﴿وَقَالَ صَوَابًا﴾ فقال بعضهم بأنّها تنصرف إلى «لا إله إلا الله»، وقال آخرون تعني «من قال صوابًا في الدنيا».

24. تأويل الآيات ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿11﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿12﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ﴾: أوّل أهلُ الرواية والتأويل الآية الحادية عشرة من سورة البلد: ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿11﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿12﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ﴾، على أنّها تعني ولاية علي رضي الله عنه؛ حيث أورد الكليني حديثًا نسبه إلى يونس قال فيه: «أخبرني من رفعه إلى أبي عبد الله عليه السلام في قوله عزّ وجلّ: ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿11﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿12﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ﴾ يعني بقوله: «فك رقبة» ولاية أمير المؤمنين عليه السلام فإنّ ذلك فك رقبة». رواه الكليني، الكافي، باب فيه نكت ونتف من التنزيل.

والتأويل خاطئ، ذلك أنّ الآية تتحدث عن المرقى الصعب الذي ينبغي أن يرتقيه المؤمن، والذي يرتقيه بإنفاق أحب المال إليه في سبيل الله تعالى، ولقد كان

العبيد أحب المال في ذلك العصر، ذلك أنّه رأس مال أي إنه يُنتج ما يسميه الاقتصاديون قيمة مضافة. ووردت مأثرة فك الرقبة ضمن عملين من أعمال البر: هما فك الرقبة وإطعام في يوم ذي مسغبة. أمّا القول إنّ فك الرقبة يعني ولاية علي رضي الله عنه فلا يستقيم، ويشبه القول بأنّ الرمل ماءٌ. ومن ثم فهو من قبيل إلباس الحق بالباطل، وليّ لعنق النص القرآني لإخضاعه لنظريات البشر في الولاية.

وتتفق جلّ الروايات التي أوردها المفسرون بالمأثور، على أنّ دلالة الآية تنصرف إلى أنّ دلالة فك الرقبة لا تتجاوز عتق الرقبة، وتخليصها من أسر الرق.

خاتمة المبحث:

جدول التحريف رقم (1 ـ 2 ـ أ)

جدول التأويلات المتعلقة باختزال دين الله في ولاية علي:

الكَلِم	الدلالة المحرّفة	الدلالة الأصلية
﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ﴾	وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا في ولاية علي فأتوا بسورة من مثله.	وإن كنتم في ريب من التنزيل «القرآن» فأتوا بسورة من مثله.
﴿بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾	بئسما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله في ولاية علي.	بئسما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله «القرآن».
﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾	الذي اشترى نفسه ابتغاء مرضاة الله هو علي عليه السلام.	بعض الناس يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله تعالى.
﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ﴾	إنّ الذين آمنوا بالنبي صلى الله عليه وآله في أول الأمر وكفروا حين عرضت عليهم الولاية، فلن تقبل توبتهم.	إنّ الذين آمنوا ثم نقضوا عهد الله وميثاقه عند أول ابتلاء إلهي لهم، ثم ازدادوا كفرًا، فلن تقبل توبتهم.
﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾	أجعلتم من يسقي الحجاج ويعمر المسجد الحرام كعلي عليه السلام؟	أجعلتم من يسقي الحجاج ويعمر المسجد الحرام كمن يؤمن بالله واليوم الآخر؟

﴿وَلَا تَنقُضُواْ ٱلۡأَيۡمَٰنَ بَعۡدَ تَوۡكِيدِهَا﴾	لا تنقضوا ولاية علي عليه السلام بعد توكيدها.	لا تنقضوا قسمكم ومواثيقكم وعهودكم بعد توكيدها.
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا﴾	إنّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيخصهم الرحمن بولاية علي عليه السلام.	إنّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيمنحهم ودًّا كأن يحبهم ويحبّبهم إلى المؤمنين.
﴿فَإِنَّمَا يَسَّرۡنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلۡمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوۡمٗا لُّدّٗا﴾	فإنما يسرنا القرآن بلسانك لتبشر المؤمنين بولاية علي عليه السلام وتنذر الكافرين بولايته.	فإنما يسرنا القرآن بلسانك لتبشر به المؤمنين وتنذر به الكافرين.
﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتۡ لَهُمۡ ثِيَابٞ مِّن نَّارٖ﴾	فالذين كفروا بولاية علي عليه السلام قطعت لهم ثياب من نار.	فالذين كفروا بالله تعالى قُطعت لهم ثياب من نار.
﴿وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡحَمِيدِ﴾	هدوا إلى ولاية علي رضي الله عنه	هدوا إلى القول السديد والإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله.
﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ﴾	حبب إليكم علي عليه السلام وزينه في قلوبكم، وكرّه إليكم أبا بكر وعمر وعثمان.	حبب إليكم الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله. وكرّه لكم الكفر بالله وعصيانه، والفسق عن أمره.
﴿وَمَن يُرِدۡ فِيهِ بِإِلۡحَادِۢ بِظُلۡمٖ نُّذِقۡهُ مِنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ﴾	ومن يلحد في ولاية علي عليه السلام نذقه من عذاب أليم	ومن يمل عن دين الله ويظلم نفسه نذقه من عذاب أليم.
﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ﴿193﴾ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ﴾	نزل الروح الأمين بولاية علي عليه السلام على قلبك لتكون بها من المنذرين.	نزل الروح الأمين بالقرآن على قلبك لتكون به من المنذرين.
﴿إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡجِبَالِ﴾	إنّا عرضنا الولاية على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها علي عليه السلام إنّه كان ظلومًا جهولًا!	إنّا عرضنا الخلافة والمسؤولية على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنّه كان ظلومًا جهولًا.
﴿لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾	لئن أشركت يا محمد بولاية علي ليحبطن عملك!	لئن أشركت بربك يا محمد ليحبطن عملك.

﴿وَيَهْدِيٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾	يهدي إليه من يجيبك إلى ولاية علي عليه السلام	يهدي إليه من يتوب إلى الله تعالى، ويتمسك بالتنزيل.
﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ﴾	كذلك نجزي من أسرف ولم يؤمن بولاية علي عليه السلام ونتوعده بعذاب الآخرة الأشد والأبقى.	كذلك نجزي من أسرف ولم يؤمن بآيات الله «في كونه أو في كتابه» ونتوعده بعذاب الآخرة الأشد والأبقى.
﴿ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْعَزِيزُ﴾	الله لطيف بعباده يرزق من يشاء الولاية.	الله لطيف بعباده يرزق من يشاء من نعمه.
﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْءَاخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ﴾	من كان يريد معرفة الأئمة نوفي له نصيبه من دولتهم.	من كان يفضل ثواب الآخرة على متاع الدنيا نزد له منه.
﴿وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾	من كان يريد خلافة غير الأئمة فليس له في دولة الحق مع القائم نصيب.	من باع آخرته بدنياه فليس له في الآخرة من نصيب.
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ۙ ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ﴾	إنّ الذين تركوا ولاية علي عليه السلام من بعد ما تبيّن لهم الهدى الشيطان سول لهم.	إنّ الذين نكصوا عن الإيمان بالله واتباع هديه، الشيطان سوّل لهم.
﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ كَرِهُوا۟ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ ٱلْأَمْرِ ۖ﴾	ذلك بأنّهم قالوا للذين كرهوا ما نزّل الله في ولاية علي عليه السلام سنطيعكم في بعض الأمر.	ذلك بأنّهم قالوا للذين كرهوا التنزيل «القرآن» سنطيعكم في بعض الأمر.
﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾	هو الذي أرسل رسوله بالولاية لوصيه والولاية هي دين الحق، ليظهره على الدين كله عند قيام القائم.	هو الذي أرسل رسوله صلى الله عليه وسلم بدين الإسلام ليظهره على غيره من الأديان.
﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ﴾	يريدون ليطفئوا ولاية أمير المؤمنين عليه السلام بأفواههم، والله متمّ الإمامة.	يريدون أنّ يطفئوا نور الدعوة إلى الله تعالى والله متم نوره.
﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾	إذا جاءك المنافقون بولاية الوصي فقالوا: نشهد إنّك لرسول الله والله يعلم إنّك لرسوله والله يشهد إنّ المنافقين في ولاية علي لكاذبون.	إذا جاءك المنافقون فقالوا: نشهد أنّك لرسول الله، والله يعلم أنّك لرسوله، والله يشهد أنّ المنافقين لكاذبون في التسليم برسالتك.

﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةٗ فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّهُمۡ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾	اتخذوا إيمانهم جُنّة فصدوا عن سبيل الوصي إنّهم ساء ما كانوا يعملون	اتخذوا إيمانهم جُنّة فصدوا عن سبيل الله إنّهم ساء ما كانوا يعملون.
﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَفۡقَهُونَ﴾	ذلك بأنّهم آمنوا برسالتك يا محمد وكفروا بولاية وصيك فطبع الله على قلوبهم فهم لا يفقهون.	ذلك بأنّهم آمنوا بالله تعالى ثم كفروا به فطبع الله على قلوبهم فهم لا يفقهون.
﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ يَسۡتَغۡفِرۡ لَكُمۡ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوۡاْ رُءُوسَهُمۡ وَرَأَيۡتَهُمۡ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسۡتَكۡبِرُونَ﴾	وإذا قيل لهم ارجعوا إلى ولاية علي يستغفر لكم النبي من ذنوبكم لووا رؤوسهم ورأيتهم يصدون عن ولاية علي وهم مستكبرون عليه.	وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم النبي من ذنوبكم لووا رؤوسهم ورأيتهم يصدون عن الله وهم مستكبرون.
﴿سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ أَسۡتَغۡفَرۡتَ لَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ لَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾	سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم إنّ الله لا يهدي الظالمين لوصّيك.	سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم فلن يغفر الله لهم، إن الله لا يهدي الخارجين عن أمر الله.
﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعۡنَا ٱلۡهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦۖ فَمَن يُؤۡمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخۡسٗا وَلَا رَهَقٗا﴾	وإنّا «الجن» لما سمعنا بالولاية آمنا بها، فمن آمن بولاية مولاه علي فلا يخاف بخسًا ولا رهقًا	وإنّا لما سمعنا بهدى الله آمنا به. فمن يؤمن بالله فلا يخاف بخسًا ولا رهقًا.
﴿قُلۡ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا رَشَدٗا (21) قُلۡ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٞ وَلَنۡ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلۡتَحَدًا (22) إِلَّا بَلَٰغٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦۚ﴾	قل إني لا أملك لكم ضرا ولا رشدا إن أنكرتم ولاية علي وإني لن يجيرني من الله أحد ولن أجد من دونه ملتحدًا إن عصيت الله في ولايته إلا بلاغًا من الله ورسالاته.	قل إني لا أملك لكم ضرًّا ولا رشدًا إن ضللتم عن دين الله وإني لن يجيرني من الله أحد ولن أجد من دونه ملتحدًا إنْ عصيته وليس عليّ إلا البلاغ لدين الله ورسالته.
﴿يُرِيدُونَ لِيُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾	يريدون ليطفئوا ولاية علي عليه السلام بأفواههم، والله متم الإمامة ولو كره الكافرون.	يريدون ليطمسوا دين الله بأكاذيبهم، والله مظهر دينه ولو كره الكافرون.
﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلۡنَاۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ﴾	فآمنوا بالله ورسوله ونور الإمام الذي أنزلنا.	فآمنوا بالله ورسوله ودين الله الحق الذي أنزلنا.

﴿وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴿10﴾ وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا﴾	واصبر يا محمد على ما يقولون فيك واهجرهم هجرًا جميلًا وذرني والمكذبين بوصيك أولي النعمة ومهلهم قليلًا.	واصبر يا محمد على أذى كفار مكة وصدهم عن الدعوة، واهجرهم هجرًا جميلًا، وذرني والمكذبين بدعوتك إلى الله.
﴿لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا﴾	ليستيقن الذين أوتوا الكتاب أنّ الله ورسوله ووصيه حق، ويزداد الذين آمنوا بولاية الوصي إيمانًا.	وليستيقن الذين أوتوا الكتاب بالكتاب الذي أتاهم بعد تعزيزه بالقرآن، وتصديقه لما ورد في كتبهم، بما في ذلك المثل الذي ضربه تعالى في هذه الآيات، فيزداد الذين آمنوا بذلك إيمانًا.
﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾	ويل يومئذ للمكذّبين يا محمد بما أوحيت إليك من ولاية علي.	ويل يومئذ للمكذّبين بيوم الفصل أو يوم الدّين.
﴿أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ ﴿16﴾ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الْآخِرِينَ ﴿17﴾ كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ﴾	ألم نهلك الأولين الذين كذبوا الرسل في طاعة الأوصياء، كذلك نفعل بالمجرمين الذين أجرموا في حق الأئمة.	ألم نهلك الأولين الذين كذبوا الرسل، كذلك نفعل بالمجرمين الذين كذبوا الرسل.
﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ﴾	إن شيعة علي والأئمة في ظلال وعيون.	إنّ الذين اتقوا الله تعالى في ظلال وعيون.
﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾	يوم يقوم الروح والملائكة صفًا لا يتكلمون إلّا الأئمة، وهم القائلون صوابًا.	يوم يقوم الروح والملائكة صفًا، لا يتكلمون إلّا من أذن له الله تعالى، ولن يأذن الله إلّا للقائلين صوابًا.
﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ﴿11﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ﴿12﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ﴾	فلا أقتحم العقبة، وما أدراك ما العقبة؟ هي ولاية علي، وولاية علي فك رقبة.	فلا أقتحم العقبة، وما أدراك ما العقبة؟ عتق رقبة، أو إطعام في يوم مجاعة.

التعليق:

كان الدافع الأساسي لكثرة الآيات التي تعرّضت للتحريف والتأويل النفعي، لتسويغ نظرية ولاية علي رضي الله عنه، يستند إلى كونه الشخصية الخلافية بين

أهل الحديث والنسخ وأهل الرواية والتأويل، أو بالتعبير الذي شاع لدى بعض المصادر التراثية بين العلوية والبكرية. غير أنّ القول بأنّ ولاية علي ﵁ تنتمي إلى خبر السماء وأنّ القرآن قد أمر بها، قول لا دليل عليه في القرآن، وتكذّبه السيرة الذاتية لعلي بن أبي طالب ﵁ نفسه. وسأتوقف هنا عند ثلاث وقائع، من سيرته ﵁، تكذّب هذه النظرية:

1. طريقة اختياره خليفة لعثمان ﵄؛ حيث استندت إلى الاختيار «البيعة» وليس إلى النص القرآني، ولو علم علي ﵁ بأنّه إمام بنص لما قبل أنْ تكون خلافته اختيارًا من المسلمين، حيث لا يجوز شرعًا تحكيم المسلمين فيما فيه تنزيل من العزيز الحكيم.

2. رفضه ﵁ أنْ يُسمى بالخليفة أو الوصي وتسمِّيه بأمير المؤمنين، والإمارة تسمية وضعية وغير دينية، وهي تنصرف إلى من أمَّره المؤمنون على أنفسهم.

3. قبوله ﵁ التحكيم، وما كان لعليّ ﵁ أنْ يحكِّم الرجال في كتاب الله لو علم أنّ ولايته بأمر إلهي.

وحين نلقي نظرة فاحصة على التأويلات التي حاولت تعزيز نظرية ولاية علي ﵁ بخبر من السماء، نكتشف بأنّها تفشل في إقناعنا بذلك. وتختزل الأمثلة المذكورة آنفًا «التنزيل» و«الإيمان بالله تعالى»، في الإيمان بولاية علي ﵁، كما تختزل الكفر بـ «الله تعالى»، وبـ «التنزيل» في الكفر بولاية علي ﵁. وعلى ضوء ذلك أوّلت دلالة ﴿مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ في الآية الثالثة والعشرين من سورة البقرة، ودلالة ﴿مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ في الآية التسعين من سورة البقرة على أنّها تنصرف إلى ولاية علي ﵁. وأوّلت دلالة «من الموصولية» في قول الله تعالى: ﴿مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ﴾ على أنّها تنصرف إلى علي، ودلالة ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ثُمَّ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا﴾ في الآية التسعين من سورة آل عمران على أنّها تعني الذين آمنوا بالنبيّ ﷺ في أول الأمر، وكفروا حين عرضت عليهم الولاية. وقيل بأنّ الآية: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، نزلت في تفضيل علي ﵁، بل وتفضي إلى «إثبات إمامته

وخلافته. وأوّلت دلالة ﴿وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾ على أنّها تنصرف إلى الأمر بعدم نقض ولاية علي رضي الله عنه، ودلالة ﴿سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾ على أنّها تنصرف إلى أنّ الله تعالى ود المسلمين بولاية علي رضي الله عنه. وكذلك أوّلوا ﴿يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ﴾ في الآية السابعة والتسعين من سورة مريم على أنّه ينصرف إلى تبشير المؤمنين بولاية علي وإنذار الكافرين بولايته. وأوّلوا دلالة «الذين كفروا» في الآية: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُواْ فِى رَبِّهِمْ فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ﴾، على أنّها تنصرف إلى الذين كفروا بولاية علي رضي الله عنه. كما أوّلوا ﴿وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ في الآية الرابعة والعشرين من سورة الحج على أنّها تنصرف إلى هدوا إلى ولاية علي رضي الله عنه. وكذلك أوّلوا ﴿وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ﴾ في الآية السابعة من سورة الحجرات على أنّه ينصرف إلى علي رضي الله عنه، وأوّلوا الآية الخامسة والعشرين من سورة الحج: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾، على أنّها تعني الكفر بولاية علي رضي الله عنه. كما أوّلوا الآية الرابعة والتسعين بعد المئة من سورة الشعراء، ودلالة الآية الثانية والسبعين من سورة الأحزاب على أنّهما تنصرفان إلى ولاية علي رضي الله عنه، وأوّلوا ﴿أَشْرَكْتَ﴾ في الآية الخامسة والستين من سورة الزمر على أنّها تعني أن تشرك بولاية علي غيره. وأوّلوا ﴿مَن يُنِيبُ﴾ في الآية الثالثة عشرة من سورة الشورى على أنّها تنصرف إلى من يجيب إلى ولاية علي رضي الله عنه. وأوّلوا ﴿لَمْ يُؤْمِنۢ﴾ في الآية السابعة والعشرين بعد المئة من سورة طه على أنّها تنصرف إلى من لم يؤمن بولاية علي وبعض ذريته رضي الله عنهم. وكذلك أوّلوا الآية التاسعة عشرة من سورة الشورى على أنّها تنصرف إلى ولاية علي وبعض ذريته رضي الله عنهم. كما أوّلوا الآية العشرين من سورة الشورى على أنّها تعني معرفة الأئمة، وأوّلوا «اسم الموصول» في الآيتين الخامسة والعشرين والثامنة والعشرين من سورة محمد على أنّه يعود على الذين تركوا ولاية علي رضي الله عنه. وأوّلوا ﴿دِينَ ٱلْحَقِّ﴾ في الآية التاسعة من سورة الصف على أنّه ينصرف إلى ولاية علي رضي الله عنه، وكذلك أوّلوا ﴿لِيُظْهِرَهُۥ﴾ في نفس الآية على أنّها تعني إظهار الدين عند ظهور القائم. كما أوّلوا ﴿وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ﴾ في الآية الثامنة من سورة الصف على أنّها تعني ولاية القائم، وأوّلوا ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ على أنّها

تعني كره ولاية علي رضي الله عنه. كما أوّلوا ﴿ٱلۡمُنَٰفِقُونَ﴾ في الآية الأولى من سورة «المنافقون» على أنّها تعني الذين ينافقون في ولاية علي رضي الله عنه. وأوّلوا ﴿فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ في الآية الثانية من نفس السورة على أنّها تنصرف إلى الصدّ عن الوصي، وكذلك أوّلوا ﴿ثُمَّ كَفَرُواْ﴾ في الآية الثالثة من نفس السورة على أنّها تنصرف إلى الكفر بولاية علي رضي الله عنه. وأوّلوا ﴿يَسۡتَغۡفِرۡ لَكُمۡ﴾ في الآية الخامسة من نفس السورة على أنّها تعني ارجعوا لولاية علي يستغفر لكم النبيّ ﷺ، وكذلك أوّلوا ﴿يَصُدُّونَ﴾ في نفس الآية على أنّها تعني يصدّون عن ولاية علي رضي الله عنه. كما أوّلوا ﴿ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ في الآية السادسة من نفس السورة على أنّها تعني الظالمين لوصيك، وأوّلوا ﴿ٱلۡهُدَىٰٓ﴾ في الآية الثالثة من سورة الجن على أنّه ينصرف إلى الولاية، وكذلك أوّلوا ﴿لَا يَخَافُ﴾ في الآية على أنّ الذي آمن بالولاية لا يخاف بخسًا ولا رهقًا. وأوّلوا أيضًا ﴿لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ﴾ في الآية على أنّه لن يجيرني إن عصيته في علي رضي الله عنه، كما أوّلوا البلاغ من الله ورسالاته، على أنّه البلاغ في علي رضي الله عنه، وأوّلوا أيضًا ﴿وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ في نفس الآية، على أنّه العصيان في ولاية علي رضي الله عنه. وأوّلوا ﴿نُورَ ٱللَّهِ﴾ في الآية الثامنة من سورة الصف على أنّه ينصرف إلى ولاية علي رضي الله عنه، و﴿مُتِمُّ نُورِهِۦ﴾ على أنّه متم الإمامة، وكذلك أوّلوا ﴿وَٱلنُّورِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلۡنَاۚ﴾ في الآية الثامنة من سورة التغابن على أنّها تنصرف إلى الإمام. وأوّلوا ﴿وَذَرۡنِي وَٱلۡمُكَذِّبِينَ﴾ في الآية العاشرة من سورة المزمل على أنّها تعني المكذبين بالوصي. وكذلك أوّلوا ﴿لِيَسۡتَيۡقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ في الآية على أنّها التيقن من أنّ الوصي حق. كما أوّلوا ﴿وَيَزۡدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنٗا﴾ في نفس الآية على أنّها تعني يزدادون بولاية الوصي إيمانًا، وأوّلوا ﴿ٱلۡمُكَذِّبِينَ﴾ في الآية الخامسة عشرة من سورة المرسلات على أنّها تعني المكذبين بولاية علي رضي الله عنه. كذلك أوّلوا ﴿أَلَمۡ نُهۡلِكِ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ في الآية السادسة عشرة من نفس السورة على أنّها تعني إهلاك الذين كذّبوا الرسل في ولاية الأوصياء. كما أوّلوا ﴿ثُمَّ نُتۡبِعُهُمُ ٱلۡأٓخِرِينَ﴾ في الآية السابعة عشرة من نفس السورة على أنّها تنصرف إلى الذين أجرموا في حق علي وبعض من ذريته رضي الله عنهم. كما أوّلوا ﴿ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ في الآية الحادية والأربعين من نفس السورة على أنّها تعني شيعة علي وبعض ذريته رضي الله عنهم، وعلى أنّهم وحدهم دون غيرهم على ملة إبراهيم عليه السلام، كما أنّهم هم المأذون لهم بالكلام يوم القيامة،

والقائلون صوابًا. وأوّلوا الآية الحادية عشرة من سورة البلد: ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿11﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿12﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ﴾، على أنّها تعني ولاية علي رضي الله عنه.

ب. التأويلات التي اختزلت الذين آمنوا في علي رضي الله عنه

1. **تأويل آية** ﴿وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُۚ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: أوّل أهلُ الرواية والتأويل «المؤمنين» في الآية الثانية والستين من سورة الأنفال والتي يسمونها آية النصرة: ﴿وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُۚ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، على أنّها تعني عليًّا رضي الله عنه؛ حيث أورد الشيرازي في كتابه آيات الولاية تحت عنوان من هم المؤمنون؟» سؤال: في حق من نزلت آية النصرة هذه ومن هو المقصود بالمؤمنين؟ الجواب: وردت روايات كثيرة في هذا المجال ذكرها العلّامة الأميني في الغدير وكذلك ذكرها صاحب إحقاق الحق؛ وهذه الروايات على قسمين: الأول: الروايات التي تقول بأن أول ناصر ومعين للنبي الأكرم ﷺ هو الإمام علي عليه السلام وهذه الآية الشريفة تشير إلى الإمام علي. الثاني : الروايات التي تتحدث عن نصرة الإمام علي عليه السلام للنبي ولكنها لا تذكر شيئًا عن تطبيق آية النصرة عليه ونكتفي بذكر رواية واحدة من كل من هذين القسمين: ما أورده ابن عساكر صاحب كتاب تاريخ دمشق عن أبي هريرة أنه قال: «مكتوب على العرش لا إله إلا أنا وحدي لا شريك لي ومحمد عبدي ورسولي أيدته بعلي وذلك قوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾. . . . . أما ما ذكر في هذا الحديث «على ساق العرش مكتوبًا» فيدل على أهمية هذه المسألة بحيث إنها كتبت على ساق العرش الإلهي وذكرت إلى جانب اسم الله تعالى واسم رسوله اسم علي بن أبي طالب أيضًا، وهذا يدل على أنّ الإمام عليًّا عليه السلام هو المصداق البارز والفرد الكامل لعنوان الناصر، وبديهي أنّ الله تعالى إذا أراد أن يختار خليفة لرسوله الكريم فإنّه يختار من بين المسلمين الأفضل والأكمل منهم لهذا المقام، وإذا أراد المسلمون أن يختاروا شخصًا لهذا المقام فإنّ العقل يحكم بضرورة اختيار مثل هذا الشخص».

وهذا التأويل خاطئ، ذلك أنّه يقيّد المطلق ويخصص العام، فالآية

تتحدث عن تأييد الله سبحانه وتعالى لنبيه الكريم ﷺ بنصره وبالمؤمنين به وبرسالته، وصاحب الفطرة السليمة لا يمكنه قبول قصر صفة «المؤمنين» على مسلم واحد كائن من كان، كما أنّه لا يوجد سبب وجيه يدعو الله سبحانه وتعالى إلى مخاطبة عباده بالتورية أو المواربة أو المداورة، فهو كما استخدم الفعل أيدتك بصيغة المفرد لا الجمع، قادر لو أراد مخاطبتنا في شأن علي رضي الله عنه، أن يستخدم صيغة المفرد لا الجمع. ومن هناك فتأويل الآية على النحو الذي أورده الشيرازي لا يستقيم.

وتتفق جلّ الروايات التي أوردتها كتب التفسير بالمأثور على أنّ دلالة المؤمنين عامة ولا تخصيص فيها.

2. **تأويل الآية** ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمۡ قَدَمَ صِدۡقٍ عِندَ رَبِّهِمۡۗ﴾: أوّل أهلُ الرواية والتأويل «قدم صدق» في الآية الثانية من سورة يونس: ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنۡهُمۡ أَنۡ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمۡ قَدَمَ صِدۡقٍ عِندَ رَبِّهِمۡۗ قَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٞ مُّبِينٌ﴾، على أنّها تعني ولاية علي رضي الله عنه؛ حيث أورد الكليني حديثًا نسبه إلى يونس قال فيه: «عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمۡ قَدَمَ صِدۡقٍ عِندَ رَبِّهِمۡۗ﴾ قال: ولاية أمير المؤمنين عليه السلام». رواه الكليني، الكافي، باب فيه نكت ونتف من التنزيل.

والتأويل خاطئ، ذلك أنّ الآية تتحدث عن تكذيب مشركي مكة للنبي محمد ﷺ، وقولهم لو أرسل إلينا ملكًا من السماء، وتمتدح الذين آمنوا بالله تعالى وصدقوا نبيه ﷺ، وتبشرهم بأحسن الجزاء وتصفهم بأنّ لهم قدم صدق، وهو ما يشير إلى السبق في المكانة والثواب في الآخرة، لسبقهم بتصديق رسول الله ﷺ فالقدم تشير إلى السبق. أمّا القول إنّ الآية تعني ولاية علي رضي الله عنه، فهو مجرد إلباس للحق بالباطل، وليّ لعنق النص القرآني لإخضاعه لنظريات البشر في الولاية. ثم إنّ هذه الآية أسبق نزولًا من آياتي التبليغ وإكمال الدين، اللتين يستشهد بهما أهل الرواية والتأويل على تشريع الولاية.

وتتفق جلّ الروايات التي أوردها المفسرون بالمأثور على أنّ دلالة الآية تنصرف إلى أنّ لهم أجرًا حسنًا بما قدموا.

3. تأويل آية ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا﴾:

أوّل أهلُ الرواية والتأويل الآية السادسة والتسعين من سورة مريم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا﴾، على أنّها نزلت في علي رضي الله عنه، وإنّه هو الذي سيجعل له الرحمن ودًّا؛ حيث يقول الشيرازي في كتابه آيات الولاية: «بالرغم من أن مورد البحث في عام وشامل لكل مؤمن يعمل الأعمال الصالحة حيث ينتج هذا الإيمان والعمل الصالح المحبة في قلوب الناس، ولكن بلا شك إن المصداق الأكمل والأدق لهذه الآية الشريفة هو أمير المؤمنين عليه السلام». وأورد الكاشاني في تفسيره الصافي ما يعزز هذا التأويل: «القميّ عن الصادق عليه السلام قال كان سبب نزول هذه الآية أنّ أمير المؤمنين عليه السلام كان جالسًا بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله فقال له: قل يا علي اللّهم اجعل لي في قلوب المؤمنين ودًّا فأنزل الله [الآية]. والعياشي عنه عليه السلام دعا رسول الله صلى الله عليه وآله لأمير المؤمنين عليه السلام في آخر صلواته رافعًا بها صوته يسمع الناس يقول اللّهم هب لعلي عليه السلام المودة في صدور المؤمنين والهيبة والعظمة في صدور المنافقين فأنزل الله ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ الآية. وفي الكافي عنه عليه السلام في هذه الآية مثله. وفي المجمع عن الباقر عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام قل: اللّهم اجعل لي عندك عهدًا واجعل لي في قلوب المؤمنين ودًّا فقالهما فنزلت الآية».

وهذا التأويل خاطئ، ذلك أنّه يقيّد المطلق ويخصص العام، فالآية تقول: إنّ كل من آمن وعمل صالحًا سيجعل له الرحمن ودًّا، بغضّ النظر عن كون الودِّ في الدنيا أو في الآخرة، أو من قبل أهل الأرض أم أهل السماء، أو من قبل المسلمين من أتباع محمد ﷺ أو من قبل غيرهم، فإنّ الود معقود لكل من آمن وعمل صالحًا دون تقييد أو تخصيص. ولو أراد الله تعالى أن تنصرف دلالة الآية لعلي رضي الله عنه لاستخدم صيغة المفرد لا الجمع ومنحنا إشارة دالة على ذلك تلميحًا أو تصريحًا. ومن هناك فالقول بتقييد دلالة الآية أو تخصيصها، أو قصرها على علي رضي الله عنه لا يتجاوز كونه تحريفًا للكلم عن مواضعه، وإخضاعًا للآية لنظريات البشر في الولاية.

ثم إنّ الحديث الذي أورده الكاشاني منسوبًا للباقر رضي الله عنه، لا يستقيم مع

عقيدة المسلم في أسماء الله وصفاته، فتعالى ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ وليس لمخلوق أن يتخذ عند الله عهدًا، فالله سبحانه وتعالى يتخذ على نفسه عهودًا لمصلحة عباده، لكنه لا يجوز لعباده أن يتخذوا عليه عهدًا. ذلك أنّ القول بأنّ أحد المخلوقين اتخذ عند الله عهدًا، فيه ندية للخالق سبحانه وتعالى وهو ما لا يجوز بحق الله اعتقادًا. وحتى لو سلّمنا جدلًا بصحة الحديث وبإمكانية أن يتخذ العبد عند الله عهدًا، فإنّ الآية وردت عامة ولم تخص عليًا رضي الله عنه بالودّ.

4. **تأويل آية** ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾: أوّل أهلُ الرواية والتأويل الآيتين الثانية والثلاثين والثالثة والثلاثين من سورة الزمر: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ (32) وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ (33) لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾، على أنّ الذي صدّق بالصدق، ووصف بالمتقين والمحسنين هو علي رضي الله عنه؛ حيث أورد الشيرازي في كتابه آيات الولاية: «سؤال: من هو المراد بجملة ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ﴾ وجملة ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ﴾؟ الجواب: إنّ المراد من الجملة الأولى هو النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، والمراد من الجملة الثانية هو الإمام علي عليه السلام، رغم أنّ الجملة الثانية تشمل جميع المؤمنين برسالة النبي صلى الله عليه وآله الذين آمنوا وصدقوا برسالته، ولكن بلا شك أن علي بن أبي طالب عليه السلام هو المصداق الأكمل والأتم لهذه العبارة». كما أورد نفس القول في تفسيره الأمثل: «الكثير من المفسّرين المسلمين من الشيعة والسُّنة نقلوا الرّواية التالية بشأن تفسير هذه الآية، وهي أنّ النّبي صلى الله عليه وآله هو المقصود في ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ﴾ وأن الإمام علي عليه السلام هو المقصود في ﴿وَصَدَّقَ بِهِۦٓ﴾. وأورد الكاشاني في تفسيره الصافي: «في المجمع عنهم عليهم السلام والقميّ جاء بالصدق محمد وصدق به أمير المؤمنين».

وهذا تأويل غريب، حيث يظهر الأمر عند الركون إليه، وكأن المصدّق الوحيد لما جاء به النبي ﷺ، هو علي رضي الله عنه. هذا إذا اقتصرت دلالة الصدق في الآية على ما جاء به محمد ﷺ، وهو ما استبعده، فالآية استخدمت كلمة

الصدق وهي أعمّ من القرآن وأعمّ ممّا أوحي إليك وغيرها من تعابير التخصيص، فيما لو أراد الله تعالى قصر الأمر على التنزيل الذي خصّ به محمدًا ﷺ. أمّا، والآية بهذا الإطلاق، فإنّ دلالة من صدق به أوسع من أن تقيّد بالذين آمنوا برسالة محمد ﷺ جميعًا، فما بالك بقصرها على رجل واحد منهم، مهما كانت درجة إيمانه وقربه من النبيّ ﷺ. وقصرها على علي رضي الله عنه عندئذٍ يصرف دلالة الآية إلى أنّه ليس ثمّة مصدق بالتنزيل منذ آدم عليه السلام وحتى قيام الساعة غير علي رضي الله عنه!

5. تأويل آية ﴿وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾:
أوّل أهلُ الرواية والتأويل «صالح المؤمنين» في الآية الرابعة من سورة التحريم: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾، على أنها تعني علي رضي الله عنه؛ حيث يقول الشيرازي في كتابه آيات الولاية: «بلا شك أنّ صالح المؤمنين له معنى شامل وعام بحسب الظاهر حيث يستوعب جميع المؤمنين الصالحين والمتقين رغم أنّ كلمة صالح قد وردت في هذه الجملة بصيغة المفرد لا الجمع، ولكن بما أنّها استعملت بمعنى الجنس فيستفاد منها المفهوم العام، ولكن لا شك أنّ مفهوم صالح المؤمنين له مصداق أتمّ وأكمل، ويستفاد من خلال الروايات المتعددة أنّ هذا المصداق الأكمل والفرد الأتم هو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام». ثم إنّه أورد عدّة روايات تعزّز هذا الرأي منها قول: «أسماء بنت عميس إنّني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «صالح المؤمنين علي بن أبي طالب». ونقل عن: «ابن عباس عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله أنّه قال عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: هو صالح المؤمنين». وعن عمار بن ياسر قوله: «إنّني سمعت علي بن أبي طالب عليه السلام يقول دعاني رسول الله صلى الله عليه وآله وقال: ألا أبشرك؟ قلت: بلى يا رسول الله وما زلت مبشرًا بالخير! قال: قد أنزل الله فيك قرآنًا قلت: وما هو يا رسول الله؟ قال: قرنت بجبرائيل ثم قرأ ﴿وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

وهذا التأويل في منتهى الغرابة، ويريدنا أن نفهم من الآية أنه لا صالح في المؤمنين غير علي رضي الله عنه! غير أنّ دلالة صالح المؤمنين واضحة وجلية لكل

صاحب فطرة سليمة، وتنصرف إلى كل الصالحين من الذين قالوا بأنّهم مؤمنون. ومن هناك فتأويل الآية على النحو الذي أورده الشيرازي لا يستقيم، بل ويندرج ضمن جهود مدرسة أهل الرواية والتأويل الدؤوبة لتحريف الكلم عن مواضعه، وإخضاع آيات الله لعقائد البشر ونظرياتهم في الولاية.

6. تأويل آية ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ﴾: أوّل أهلُ الرواية والتأويل «خير البريّة» الآية السابعة من سورة البيّنة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ﴾، على أنّها تنصرف إلى علي رضي الله عنه وشيعته؛ حيث أورد الشيرازي في كتابه آيات الولاية: «سؤال: هل أنّ المفهوم من هذه الآية الشريفة عامّ أو خاصّ؟ الجواب: طبقًا للروايات الواردة في مصادر وكتب الشيعة وأهل السُّنة أنّ النبي الأكرم صلى الله عليه وآله ذكر في تفسير خير البريّة أنّهم: علي وشيعته». وأورد الشيرازي عدّة روايات تعزّز هذا الرأي نذكر منها: «يقول جابر بن عبد الله الأنصاري الصحابي المعروف: كنت جالسًا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وجماعة من أصحابه عند الكعبة، وإذا بعلي قد ظهر لنا من بعيد، فلما رآه رسول الله عليه وآله السلام قال لأصحابه: «قد أتاكم أخي، ثم التفت إلى الكعبة، فقال وربّ هذه البنية! إنّ هذا وشيعته هم الفائزون يوم القيامة، ثم أقبل علينا بوجهه، فقال: أمّا والله إنّه أوّلكم إيمانًا بالله وأقومكم بأمر الله وأوفاكم بعهد الله وأقضاكم بحكم الله وأقسمكم بالسوية وأعدلكم في الرعيّة وأعظمكم عند الله مزيّة. قال جابر فأنزل الله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ... خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ﴾ فكان علي إذا أقبل قال أصحاب محمد: قد أتاكم خير البريّة بعد رسول الله». وأورد رواية أخرى عن جابر أيضًا يقول فيها: «أنّه عندما نزلت آية خير البريّة التفت النبي الأكرم صلى الله عليه وآله إلى علي بن أبي طالب عليه السلام وقال: هم أنت وشيعتك، ترد عليّ وشيعتك راضين مرضيين». كما أورد رواية عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: «وفي رواية لعائشة عن عطاء قال سألت عائشة عن علي فقالت: ذاك خير البشر لا يشك فيه إلا كافر».

والآية لا تحتاج إلى تأويل، فالذين آمنوا وعملوا الصالحات، دون تحديد ولا تمييز بلون أو عرق أو نسب، هم خير البريّة أي خير الخلق، وأي تخصيص لهذا الوصف يُعد تحريفًا للكلم عن مواضعه، حتى لو نُسب لنبيّ

مرسل. أما الروايات أعلاه فهي غير متماسكة، فكيف لنبي الله ﷺ أن يتحدث عن علي وشيعته، دون أن يثير في السامعين أسئلة عن مبرر وجود شيعة لعلي، ولا عن مبرر انقسام المسلمين إلى شيع وأحزاب من بعده. فالذين صنعوا مثل هذه الروايات صنعوها زمن التشيع، وفاتهم تضمين مثل تلك الأسئلة، ذلك أنّ التشيع لم يكن غريبًا في عصرهم. أمّا ما نُسب إلى عائشة رضي الله عنها فلا يستقيم مع موقفها من بيعة علي رضي الله عنه، ومشاركتها في موقعة الجمل، ثم إنّه لا يتفق مع الآيات الداعية إلى ألّا يزكي المسلم على الله أحدًا، قال تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾[1].

خاتمة المبحث:

جدول التحريف (1 ـ 2 ـ ب)

التأويلات التي اختزلت الذين آمنوا في علي رضي الله عنه:

الكَلِم	الدلالة المحرّفة	الدلالة الأصلية
﴿وَإِن يُرِيدُوٓا۟ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾	وإن يريدوا أن يخدعوك فإن حسبك الله الذي أيّدك بنصره، وبعلي.	وإن يريدوا أن يخدعوك فإنّ حسبك الله الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين.
﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ﴾	بشر الذين آمنوا بولاية علي أنّ لهم قدم صدق عند ربهم.	بشر الذين آمنوا بالله تعالى أن لهم قدم صدق عند ربهم.
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾	إنّ الله سيجعل لعلي في قلوب الذين آمنوا ودًّا.	إنّ الله سيجعل للذين آمنوا ودًّا وقد يكون ذلك في الدنيا أو في الآخرة، ومن قبل أهل الأرض أو من قبل أهل السماء.
﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾	إنّ النّبي هو الذي جاء بالصدق وإنّ علي هو الذي صدّق به.	إنّ كل الرسل الذين جاؤوا بالتنزيل وكل الذين صدقوا بما جاؤوا به، هم من المتقين.

(1) سورة النجم، الآية: 32.

﴿وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيۡهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوۡلَىٰهُ وَجِبۡرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ﴾	وإن تظاهرا عليه فإنّ الله ناصره وجبرائيل وعلي بن أبي طالب.	وإن تظاهرا عليه فإنّ الله ناصره وجبرائيل والمؤمنين الصالحين.
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ﴾	إنّ علي وشيعته هم خير البريّة.	إنّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات هم خير البريّة.

التعليق:

لم يقتصر المتأوّلون من مدرسة الرواية والتأويل على القول بأنّ الإيمان هو التسليم بالولاية والكفر هو إنكارها بل ذهبوا أبعد من ذلك؛ فاختزلوا الذين آمنوا تارة في علي ﷺ، وتارة أخرى في الأئمة، وطورًا في شيعته، ونسوا أنّ الذين آمنوا تشمل المؤمنين منذ بدء الخليقة إلى قيام الساعة. وعلى ضوء ذلك صار المؤمنون الذين أيّد الله بهم نبيه يختزلون في علي ﷺ في الآية الأولى، والذين آمنوا، وبشرهم الله تعالى بقدم صدق، هم الذين آمنوا بولاية علي ﷺ في الآية الثانية. واختزل الذين آمنوا، وجعل لهم الرحمن ودًا، في علي ﷺ في الآية الثالثة. وصار الذين صدّقوا بالتنزيل مختزلين في علي ﷺ في الآية الرابعة. كما اختُزل الصالحون من المؤمنين في الآية الخامسة في علي ﷺ. كما قصروا الذين آمنوا وعملوا الصالحات الذين وصفهم الله تعالى بخير البريّة في الآية السادسة على علي وشيعته.

ت. التأويلات المتعلقة باختزال المآثر في علي ﷺ

1. تأويل آية ﴿يُؤۡتِي ٱلۡحِكۡمَةَ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ فَقَدۡ أُوتِيَ خَيۡرٗا كَثِيرٗاۗ﴾: أوّل أهلُ الرواية والتأويل الآية التاسعة والستين بعد المئتين من سورة البقرة: ﴿يُؤۡتِي ٱلۡحِكۡمَةَ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ فَقَدۡ أُوتِيَ خَيۡرٗا كَثِيرٗاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾، على أنّها نزلت في علي ﷺ، وإنه هو صاحب الحكمة الإلهية؛ حيث يقول الشيرازي في كتابه آيات الولاية: «إنّ آية الحكمة هذه تدل على أنّ كل من رُزق الحكمة فقد رُزق الخير العميم والكثير ولكنها ساكتة عن مصداق هذا المفهوم العام ولا تقرر من هو الشخص في الواقع، ولكن الروايات العديدة المذكورة في طرق الشيعة

وأهل السُّنة ذكرت بأن الإمام علي هو المصداق لها وهو الذي يتمتع بالحكمة الإلهية». ثم إنّه أورد عدة روايات تعزّز ما ذهب إليه، نذكر منها: «يقول ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من أراد أن ينظر إلى إبراهيم في حلمه وإلى نوح في حكمته وإلى يوسف في اجتماعه فلينظر إلى علي بن أبي طالب». وأورد نفس الرواية مع بعض الاختلاف في المتن منسوبة لابن الحمراء يقول فيها: كنا عند رسول الله صلى الله عليه وآله فجاء علي بن أبي طالب عليه السلام فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: من سرّه أن ينظر إلى آدم في علمه ونوح في فهمه وإبراهيم في خُلتّه فلينظر إلى علي بن أبي طالب». كما أورد رواية أخرى عن ابن عباس أيضًا يقول فيها: «كنت عند رسول الله صلى الله عليه وآله فسئل عن علي فقال: قُسّمت الحكمة عشرة أجزاء فأعطي علي تسعة أجزاء وأعطي الناس جزءًا واحدًا».

وهذا التأويل فيه تجنٍّ على مشيئة الله تعالى وعدالته، فالآية تقرر بأنّ الله يؤتي الحكمة من يشاء، فتدخّل المتأوّلون في مشيئته، وقرروا عنه، وهم يفترون عليه تعالى، بأنّه شاء أن يُؤتي تسعة أعشار الحكمة لعلي رضي الله عنه، وأن يقسّم العُشر بين غيره من الناس منذ آدم عليه السلام وحتى قيام الساعة بِمَنْ فيهم من أنبياء ورسل وحكماء! وهو أمرٌ، لو يعلمون عظيم، حيث تدخلوا في تقسيمه للحكمة، وهو ما يعني الإلحاد في أسمائه وصفاته، فهو الوهاب، والحكم، والعدل، والمقسط، والمانح. وهو ما يمكن مقارنته بتقسيم رحمته سبحانه وتعالى: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾[1]. وهذا التقسيم لحكمة الله تعالى يشبه اعتراض المشركين على نزول القرآن على محمد ﷺ، ورغبة المشركين في أن ينزل القرآن على أحد من القريتين عظيم: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿31﴾ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾[2]. وسيُسأل المتأوّلون يوم القيامة: أهم يقسمون الحكمة أم الله

(1) سورة الزخرف، الآية: 32.

(2) سورة الزخرف، الآيتان: 31 ـ 32.

تعالى؟ وحين يتدخل مسلم في رحمة الله، وكيفية تصريف الله تعالى لكونه وعباده، يجعل من نفسه كاهنًا أو سادنًا، ويقلب العلاقة بينه وبين ربّه فيصير هو الإله المتحكم وربّه المطيع المذعن! سبحانه وتعالى عما يصفون، كما في الديانات الوضعية والوثنية. وهو ما قام به الأحبار والرهبان في الشرائع اليهودية والنصرانية، ولذلك وصفهم القرآن بالأرباب، قال تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾[1].

والأحاديث التي استشهد بها الشيرازي غير متماسكة وغير متوافقة، فالحكمة قُسمت وفقًا للحديث إلى عشرة أجزاء، جُعل تسعة منها لعلي رضي الله عنه، وتقاسم الناس العُشر المتبقي بمن فيهم الرسل والأنبياء عليهم السلام! كما تنسب هذه الأحاديث إلى إبراهيم عليه السلام الحلم تارة، وتنسب له الخُلة أخرى، وتنسب إلى نوح عليه السلام الحكمة طورًا، وتنسب له الفهم أخرى، وتارة تُشبّه علي رضي الله عنه بالنبيّ آدم عليه أفضل الصلوات والسلام في علمه، وأخرى بيوسف عليه السلام في اجتماعه، عليهم منّا جميعًا أفضل الصلاة والسلام. كما أنّ القول المنسوب للنبيّ ﷺ في الحديث أقرب إلى قول المريدين والمداحين منه إلى قول نبيٍّ مرسل، وهذه التزكية تناقض المنهج القرآني؛ حيث يقول تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾[2]، ويقول أيضًا: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ﴾[3].

2. **تأويل آية ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾**: أوّل أهل الرواية والتأويل الآية التاسعة والخمسين بعد المئة من سورة النساء: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾، على أنّها نزلت في النبيّ محمد ﷺ وعلي رضي الله عنه تارة، وفي آل محمد تارة أخرى، ووفقًا للتأويل الأول ما من أحد يموت إلّا سيقر بأنّهما من الأولين والآخرين؛ حيث ذكر الطبطبائي في تفسيره الميزان: «وفيه: عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام في

(1) سورة التوبة، الآية: 31.
(2) سورة النجم، الآية: 32.
(3) سورة النساء، الآية: 49.

قوله: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ قال: ليس من أحد من جميع الأديان يموت إلا رأى رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام حقًّا من الأولين والآخرين». وفي التأويل الثاني ما من أحد من ولد فاطمة رضي الله عنها يموت إلّا أقر لكل إمام بإمامته حيث يقول أيضًا: «وفيه: عن المفضّل بن عمر قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾ فقال: هذه نزلت فينا خاصة، إنه ليس رجل من ولد فاطمة يموت ولا يخرج من الدنيا حتى يقرّ للإمام وبإمامته، كما أقر ولد يعقوب ليوسف حين قالوا: ﴿تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا﴾[1]».

والتأويل خاطئ، حيث إنّ الآية تأتي في سياق الحديث عن عيسى عليه السلام، وهو ما استدعى استخدام ضمير الغائب، ولو كان المقصود في الآية هو متلقي الوحي ﷺ لكان الضمير المستخدم هو ضمير المخاطب، أما لو كان المقصودان في الآية النبيّ ﷺ وعلي رضي الله عنه كما ذهبت الرواية الأولى، لاستخدمت صيغة المثنى عوضًا عن المفرد الغائب. وكذلك الأمر لو كان المقصود أحفاد النبيّ ﷺ من فاطمة رضي الله عنها، كما ذهبت الرواية الثانية لكان الضمير المستخدم هو ضمير الجماعة الغائبة، ولتمت الإشارة إليهم بصفة من صفاتهم.

وتتفق جلّ كتب التفسير بالمأثور بأن الآية تتعلق بإيمان بعض أهل الكتاب بعيسى عليه السلام.

3. **تأويل آية** ﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: أوّل أهلُ الرواية والتأويل الآية الرابعة والأربعين من سورة الأعراف: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ۖ قَالُوا۟ نَعَمْ ۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، على أنّ المؤذن هو علي رضي الله عنه، ولا يعطي المتأوّل لعلي هذا الدور فحسب بل يعطيه السلطة على الجنة والنار والقيامة، ويكون الشخص الذي يسمع له ويطاع آنذاك، ويختم بكلامه محاورة أهل الجنة وأهل

---

(1) سورة يوسف، الآية: 91.

النار وهلم جرًّا؛ حيث أورد الشيرازي في كتابه آيات الولاية: «سؤال: من هو المؤذن في الآية 44 من سورة الأعراف؟ ومن هو الشخص الذي يختم الحوار المذكور بالنداء الإلهي والذي توحي الآية أنّ له سلطة على الجنة والنار والقيامة؟ ومن هو هذا الشخص الذي يسمعه جميع الناس في ذلك اليوم ويختم بكلامه عملية المحاورة بين أهل الجنة والنار؟ الجواب: هناك روايات متعددة مذكورة في مصادر الشيعة وأهل السنّة تؤكد على أنّ المؤذن هو الإمام علي عليه السلام وعلى سبيل المثال لا الحصر نشير إلى نماذج منها: أورد الحاكم الحسكاني الحنفي من أهل السُّنة في شواهد التنزيل عن محمد ابن الحنفية عن الإمام علي عليه السلام أنه قال أنا ذلك المؤذن. . . .». ويربط الشيرازي بين دلالة «المؤذن» في هذه الآية، وكلمة «أذان» في مطلع الآية الثالثة من سورة التوبة: ﴿وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُۥ﴾ حيث يقول: «فإذا كان الإمام علي عليه السلام هو المؤذن للنبي صلى الله عليه وآله في دار الدنيا والمبلغ رسالته للمشركين في مكة وفقًا لما ورد في الآية الثالثة من سورة التوبة، فإنّه سيكون في الآخرة هو المؤذن الذي يوصل النداء الإلهي إلى أهل النار ويخبرهم بأنّ اللعنة الإلهية قد شملتهم بسبب ظلمهم الذي ارتكبوه في الدنيا».

ورغم أنّ الله تعالى لم يشر لهوية المؤذن لا من قريب ولا من بعيد، فإنّ المتأوّلين حدّدوه وأضافوا الآية لفضائل علي رضي الله عنه وذلك لإثبات ولايته. كما أورد الشيرازي روايات تؤكد أنّ رسول الله ﷺ كلف علي رضي الله عنه ليتلو الآيات الأولى من سورة التوبة على المشركين في أيام الحج. وقد تكون الروايات التي أوردها الشيرازي صحيحة، غير أنّ الآية موضع التأويل أعطت أهمية للأذان وأبلغتنا به ولم تحدّد لنا هوية المؤذن، فما بال المتأوّلون يحاكون المشركين الذين يقسمون رحمة ربك! فتارة يقسمون الحكمة! وأخرى يحددون لله المؤذن بين أصحاب الجنة وأصحاب النار! وإجمالًا فإنّ الربط بين المؤذن في الآيتين، والقول بأنّه طالما المؤذن في سورة التوبة هو علي رضي الله عنه، فإنّ المؤذن يوم القيامة سيكون عليًّا أيضًا رضي الله عنه لا يستقيم، بل ويعد تدخلًا في مشيئة الخالق سبحانه وتعالى عما يصفون، وإلحادًا في أسمائه وصفاته، وتجنيًا على النفس قبل أن يكون تجنيًا على الحقيقة. ويهدف إلى إخضاع آيات الله لنظريات البشر ومشيئتهم.

ودعنا هنا نتوقف قليلًا عند الاستشهاد بكتب أهل الحديث والنسخ «أهل السُّنة»، التي غالبًا ما يلجأ إليها فقهاء مدرسة الرواية والتأويل. وهذا الشاهد في تقديري عليهم وليس لهم، ذلك أنّه يعبّر عن بعض الموضوعية والإنصاف من جانب بعض فقهاء ومدوني أهل الحديث والنسخ، حين يوردون بعض مرويات الخصوم التي تتوافر على الشروط التي وضعوها للتأكد من صحة الرواية. غير أنّها لا تعزز مرويات أهل الرواية والتأويل، ذلك أنّ منهجية التثبت من صحة الحديث المسماة بالجرح والتعديل متهافتة، ولا تصلح للاستدلال على صحة المرويات التي تتضمنها كتبهم ومدوناتهم. فالتزكيات التي تمتلئ بها كتب الرجال وتصانيفهم تناقض أولًا قوله تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾[1]، وتحابي ثانيًا الرواة الذين يقتصرون على رواية المرويات التي تخدم مدرسة أهل الحديث والنسخ، وتتحامل على الرواة الذين يوردون مرويات تخدم الفرق الأخرى، فيصنفونهم في خانة الكذابين ومتروكي الحديث والضعفاء، حتى لو كانوا من أهل الحديث والنسخ، وللتعمية وادعاء الموضوعية والصدق أضافوا إليهم من أورد أحاديث متهافتة وغير محكمة الصنعة ولا تصمد أمام النقد حتى وإن خدمت مدرستهم.

4. **تأويل آية** ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ﴾: أوّل أهلُ الرواية والتأويل الآية المئة من سورة التوبة: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾، على أنّها نزلت في فضائل علي رضي الله عنه، باعتباره أول المسلمين إسلامًا، وأنّها تعزز أهليته بالإمامة والولاية؛ حيث أوردها الشيرازي ضمن آيات الولاية: «بالرغم من أنّ الآية الشريفة أعلاه تتحدث عن ثلاث طوائف من المؤمنين وتبشّر السابقين من كل طائفة منهم وتبشر السابقين، هؤلاء يوجد سابق يقع في الصف الأول وهو أول شخص من السابقين وطبقًا للروايات الكثيرة التي ستأتي لاحقًا فإنّ هذا الشخص الذي حمل راية الصدق ليس هو إلا علي بن أبي طالب عليه السلام». ولم يقصر الكاشاني دلالة الآية على علي بل ألحق بعلي رضي الله عنه النقباء ـ والمقصود

---

(1) سورة النجم، الآية: 32.

بالنقباء الأئمة المعصومون ـ وأبا ذر والمقداد وسلمان وعمار، ومن آمن وصدق وثبت على ولاية أمير المؤمنين عليه السلام وأسند ذلك إلى القميّ.

والآية تبشّر السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين بجنات تجري من تحتها الأنهار وبالفوز العظيم، ولا تخصص الآية شخصًا بعينه، وإلّا لجاءت بصيغة المفرد لا الجمع، مع التأكيد على أنّ مكانة علي رضي الله عنه محفوظة، باعتباره من أوائل من أسلم، ولا يقلل ولا يزيد من قدره أن يكون أسلم قبل أبي بكر رضي الله عنهما أو بعده. غير أنّ ذلك لا يبرّر تقييد المطلق، مطلق السابقين من المهاجرين والأنصار بسابق واحد ولو كان عليًّا رضي الله عنه، من أجل تأكيد نظرية الولاية، التي يُراد إثباتها بتطويع هذه الآية وآيات أخرى غيرها، حتى لو أدّى الأمر إلى تحريف الكلم عن مواضعه، وإخضاع آيات الله لمعتقدات البشر ونظرياتهم.

5. تـأويـل آيـة ﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾: أوّل أهلُ الرواية والتأويل «من عنده علم الكتاب» في الآية الثالثة والأربعين من سورة الرعد: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَسْتَ مُرْسَلًا ۚ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾، على أنّه علي رضي الله عنه؛ حيث أورد الشيرازي في كتابه آيات الولاية حديثًا منسوبًا لأبي سعيد الخدري يقول فيه: «سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية: الذي عنده علم الكتاب قال: ذاك وزير أخي سليمان بن داود عليه السلام وسألته عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾، قال ذاك أخي علي بن أبي طالب» وبعد أن يسرد الرواة الذين أوردوا هذه الرواية يقول: «وعليه فإنّ أفضل تفسير لجملة من عنده علم الكتاب هو أن المراد منها الإمام علي بن أبي طالب». وبعد أن يقارن بين علي رضي الله عنه وآصف برخيا الذي تقول بعض مرويات أهل الرواية والتأويل إنه وزير النبي سليمان عليه السلام يختتم قوله بالتالي: من هذا البحث يمكننا التطرق إلى الولاية التكوينية للأئمة الأطهار لأنّ معنى العلم التكويني ليس هو أن نعتقد بأنّ الإمام عليًّا عليه السلام خالق السموات والأرض ونعوذ بالله، بل يعني أنّ هؤلاء الأولياء يتصرفون بعالم الوجود بإذن الله تعالى ومشيئته ويشبه تصرفهم عمل آصف برخيا».

وهذا التأويل خاطئ، ذلك أنّ الآية توصي النبيّ ﷺ بأن يقول للكفار حسبي الله شهيدًا بيني وبينكم يوم القيامة. أمّا علم الكتاب فلا يخرج عن دلالتين: الأولى العلم بالقرآن والكتب المنزّلة على الرسل السابقين للنبيّ محمد ﷺ. والثانية العلم ببعض ما ورد في أم الكتاب أو اللوح المحفوظ، غير أنّ جلّ المفسرين حصروا دلالتها في هذه الآية في العلم بالكتب المنزلة. وحين تنصرف دلالة علم الكتاب إلى العلم بالقرآن أو الكتب المنزّلة، فلا يستقيم تأويل الآية على النحو الذي أورده الشيرازي، ذلك أنّ علم علي رضي الله عنه يقتصر على القرآن، وعلمه بالقرآن لا يتميز عن علم غيره من الصحابة بتعريف سعيد بن المسيب. ثم إنّ عليًا رضي الله عنه ليس محايدًا ليكون شاهدًا بل هو طرف في الخصومة، ومن هناك فلا يصلح لأن يكون شاهدًا بين الكافرين ورسول الله ﷺ، بينما يجوز أن يكون الشاهد أحد الذين لديهم علم الكتب السماوية السابقة، كالتوراة أو الإنجيل أو من لديه علم بعض ما ورد في أم الكتاب. أمّا تأويل الآية على النحو الذي أورده الشيرازي واعتبار علي رضي الله عنه كالذي عنده علم الكتاب في مجلس النبيّ سليمان عليه السلام فلا يستقيم، وحتى القول بأنّ الذي عنده علم الكتاب هو آصف برخيا لا برهان عليه ويستند إلى الإسرائيليات. والأرجح أن تكون دلالة الكتاب في الحالتين مختلفة؛ فالكتاب في الآية الأربعين من سورة النمل تنصرف إلى اللوح المحفوظ، والذي يعني أنّه تعالى منحه بعض من علم الغيب، كما فعل مع صاحب موسى عليه السلام الذي منحه تعالى من لدنه علمًا، بينما علم الكتاب في هذه الآية ينصرف إلى الكتب المنزلة على الرسل عليهم السلام. أمّا القول إنّ الأولياء يتصرفون بعالم الوجود بإذن الله تعالى ومشيئته، وبطريقة تشبه عمل الذي عنده علم الكتاب، فقول لم يثبت لا في القرآن ولا حتى في كتب التاريخ، ولو كانت لهم تلك المقدرة لأحضروا عرش أحد ملوك بني أمية إلى مجالسهم كما فعل الذي عنده علم الكتاب في حضرة النبيّ سليمان عليه السلام.

6. تأويل آية ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌۖ وَلِكُلِّ قَوۡمٍ هَادٍ﴾: أوّل أهلُ الرواية والتأويل كلمة «هاد» في الآية السابعة من سورة الرعد: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ

لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦٓ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾، على أنّها نزلت في علي ﵁، وأنّه هو الهادي لقومه؛ حيث يقول الشيرازي في كتابه «آيات الولاية» بعد أن يستبعد آراء بعض المفسرين في كون الهادي هو الله أو رسوله أو علماء الأمة: «وعلى هذا الأساس فإنّ الهادي لا يقصد به الله تعالى أو النبي أو علماء الأمة بل يجب أن يكون شخصًا آخر معينًا ومنصوبًا من قبل الله تعالى، ومن جهة ثالثة فإنّ الشخص الوحيد الذي ورد في حقه نص صريح من رسول الله صلى الله عليه وآله على ولايته وإمامته هو الإمام علي ﵇ ولا يوجد نصّ في هذا الشأن لغيره من الصحابة وحتى إنّ علماء السُّنة لم يدّعوا مثل هذا الادعاء، وعليه فلو قلنا إنّ المنذر هو رسول الله والهادي والإمام هو الإمام علي ﵇ المنصوب لهذا المقام من قبل الله تعالى وبواسطة نبيه الكريم، فإنّ هذا المعنى يتناسب وأجواء الآية الشريفة. ثم أورد عدة روايات تعزز هذا الرأي نذكر منها: «الرواية الأولى: «يقول ابن عباس: لمّا نزلت ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ وضع رسول الله صلى الله عليه وآله يده على صدره فقال: أنا المنذر ولكل قوم هاد وأومأ بيده على منكب علي، فقال: أنت الهادي يا علي بِكَ يهتدي المهتدون من بعدي»، الرواية الثانية: «وجاء في مستدرك الصحيحين المعروف لدى علماء أهل السُّنة رواية في تفسير الآية عن الإمام علي ﵇ نفسه: عن علي ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ قال علي: «رسول الله المنذر وأنا الهادي»، الرواية الثالثة: ما ورد من مصادر الفريقين العامة والخاصة من حديث الإسراء... حيث قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لما أُسري بي إلى السماء لم يكن بيني وبين ربي ملك مقرّب ولا نبي مرسل ولا حاجة سألت إلّا أعطاني خيرًا منها، فوقع في مسامعي ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ فقلت إلهي أنا المنذر، فمن الهادي؟ فقال ذاك علي بن أبي طالب غاية المهتدين، إمام المتقين، قائد الغرّ المحجّلين ومن يهدي من أمتك برحمتي للجنة» وختم الشيرازي هذه الرواية بالقول: «هذه الرواية الجذابة والشيقة تبيّن بجلاء تطبيق الآية محل البحث على النبي الأكرم صلى الله عليه وآله والإمام علي ﵇ في السماء».

وهذا التأويل لا يستقيم البتة فالهادي هو الله تعالى؛ حيث يقول تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يُبْصِرُونَ﴾[1]، ويقول أيضًا: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾[2]، كما يقول: ﴿أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ أَوْ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَمَن كَانَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾[3]. ومن ذلك نخلص إلى أنّ الهادي هو الله تعالى وليس أحدٌ من خلقه، غير أنّه تعالى وصف رسوله ﷺ بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[4]، ومع ذلك فدلالة تهدي هنا لا تتجاوز دلالة الدليل، الذي يدل الناس على الصراط المستقيم، دون أن يتمكن من أن يلقي في قلوبهم وروعهم فعل الهداية. ولقد وردت الهداية نكرة في الآية مصداقًا لذلك: ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾، لتدل على الدليل الذي يدل إلى الطريق السوي، وحتى الهداية لقوم النبي محمد ﷺ بهذه الدلالة، لا يجوز إسنادها لغير رسول الله ﷺ وهو بين ظهرانيهم، فكيف يكون الهادي لقوم النبي محمد ﷺ غيره ومن معاصريه؟ ألا يحمل ذلك في طياته فشلًا نبويًا في هداية قومه إلى الطريق القويم؟ وكيف يقتصر دور النبي ﷺ على الإنذار، بينما تكون الهداية لعلي رضى الله عنه؟ وهل أثبتت كتب التاريخ دورًا لعلي رضي الله عنه يفوق دور النبي ﷺ في هداية عشيرة النبيّ ﷺ وقومه؟ والله سبحانه وتعالى يمنح صفة الهداية بالدلالة الثانية لرسوله ﷺ فيقول: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[5]. ثم إنّ حديث الإسراء أعلاه والذي يقوّل فيه الله سبحانه وتعالى ما لم يقل، لا يلقى قبولًا من صاحب الفطرة السليمة؛ فكيف يطنب الله سبحانه وتعالى في وصف علي رضي الله عنه؟ ويكيل له المديح، كما يفعل المريد في وصف شيخه وكيل المديح له، أو كما يفعل المتشيع في وصف إمامه وكيل المديح

(1) سورة يونس، الآية: 43.

(2) سورة القصص، الآية: 56.

(3) سورة الزخرف، الآية: 40.

(4) سورة الشورى، الآية: 52

(5) سورة الشورى، الآية: 52.

له، فيصف عليًا بأنّه غاية المهتدين، وإمام المتقين، وقائد الغرّ المحجلين؟!
فما الذي تركه الله تعالى لمداحي الأئمة ومريديهم لو صدق الأفاكون؟ وهذا المديح يفضح واضع الحديث، فيظهر في صيغة الحديث أنّ الخطاب أو الوصف يرد على لسان من هو أدنى مرتبة من المخاطَب أو الموصوف سبحانه وتعالى عما يصفون. ويرى الزمخشري بأنّ الهادي هو الله سبحانه وتعالى فيقول: ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ من الأنبياء يهديهم إلى الدين، ويدعوهم إلى الله بوجه من الهداية، وبآية خصّ بها، ولم يجعل الأنبياء شرعًا واحدًا في آيات مخصوصة. ووجه آخر: وهو أن يكون المعنى أنهم يجحدون كون ما أنزل عليك آيات ويعاندون، فلا يهمنك ذلك، إنما أنت منذر، فما عليك إلا أن تنذر لا أن تثبت الإيمان في صدورهم، ولست بقادر عليه، ولكل قوم هاد قادر على هدايتهم بالإلجاء، وهو الله تعالى. ولقد دلّ بما أردفه من ذكر آيات علمه وتقديره الأشياء على قضاء حكمته أن إعطاءه كل منذر آيات خلاف آيات غيره: أمر مدبر بالعلم النافذ مقدّر بالحكمة الربانية، ولو علم في إجابتهم إلى مقترحهم خيرًا ومصلحة، لأجابهم إليه. وأما على الوجه الثاني، فقد دلّ به على أنّ من هذه قدرته وهذا علمه، هو القادر وحده على هداية العالم بأي طريق يهديهم، ولا سبيل إلى ذلك لغيره».

غير أنّ الأرجح، في تقديري، أن تكون لـ «الهادي» دلالة أخرى تنصرف إلى أداة الهداية ووسيلتها، فالآية وفق هذا التأويل ترد على المشركين الذين طلبوا إنزال آية، وتقول لهم بأنّ لكل قوم وسيلة، أو أداة للهداية تختلف عن وسائل الأقوام الأخرى، فإذا كان إبطال السحر كان هاديًا للمصريين ولسحرتهم، أو لبني إسرائيل على سبيل المثال لا الحصر، فليس بالضرورة أن يكون السحر هاديًا للعرب بل سيكون سحر البيان لهم هاديًا. فالآية إذن، لا تتجاوز إحدى دلالتين: الأولى أن تقرر بأنّ النبيّ ﷺ هو المنذر والهادي لقومه، أي الذي يرشدهم إلى الهدى، وأنّه لكل قوم منذر وهاد في الوقت ذاته. والثانية أن تنصرف دلالة «ولكل قوم هاد» لأداة الهداية التي هي بالنسبة للعرب «سحر البيان». أمّا تأويل الآية على النحو الذي أورده الشيرازي فلا يستقيم، ويندرج ضمن تحريف الكلم عن مواضعه من أجل غايات بشرية ومذهبية، تنسب للخالق ما لم يقل، وتخضع آيات الله لنظريات البشر.

7. تأويل آية ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾: أوّل أهلُ الرواية والتأويل كلمة «شاهد» في الآية السابعة عشرة من سورة هود: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾، على أنّها تعني عليًّا رضي الله عنه؛ حيث أورد الكاشاني في تفسيره الصافي: «في الكافي عن الكاظم والرضا عليهما السلام أمير المؤمنين عليه السلام الشاهد على رسول الله صلى الله عليه وآله ورسول الله على بيّنة من ربه». كما أورد حديثًا منسوبًا لأمير المؤمنين يقول فيه: «ما من رجل من قريش إلا وقد نزل فيه آية أو آيتان من كتاب الله، فقال رجل من القوم: فما نزل فيك يا أمير المؤمنين؟ فقال: أما تقرأ الآية التي هي في هود ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾ محمد على بيّنة من ربّه وأنا الشاهد». كما أورد الشيرازي في تفسيره الأمثل: «ما المقصود «بالشاهد» في الآية؟! قال بعض المفسّرين: إنّ المقصود بالشاهد هو جبرائيل عليه السلام أمين وحي الله، ومنهم من فسّره بالنّبي صلى الله عليه وآله، ومنهم من قال: إنّ معناه لسان النّبي صلى الله عليه وآله في حالة فهم معنى «يتلو» من التلاوة أي القراءة، لا بمعنى التلّو الذي معناه مجيء شخص بعد آخر. ولكن كثيرًا من كبار المفسّرين فسروا «شاهد» بالإمام علي عليه السلام، ففي روايات كثيرة وصلتنا عن الأئمّة المعصومين، وفي بعض كتب تفسير أهل السُّنة ـ أيضًا ـ هناك تأكيد على أنّ المقصود من «الشاهد» في الآية هو الإمام علي عليه السلام أول من آمن بالنّبي والقرآن الكريم، وكان معه في جميع المراحل ولم يقصر لحظةً في التضحية دونه وحمايته إلى آخر نفس. وفي حديث منقول عن الإمام علي عليه السلام أنّه قال: «ما من رجل من قريش إلّا وقد أنزل فيه آية أو آيتان من كتاب الله، فقال له رجل من القوم: وماذا أنزل فيك يا أمير المؤمنين؟ فقال: أما تقرأ الآية التي في هود ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾ محمّد صلى الله عليه وآله على بيّنة من ربّه وكنت أنا الشاهد».

وهذا تأويل غريب، فالثابت في القرآن أنّ النبّي ﷺ شاهد على أمته، وعلي رضي الله عنه رجل من أمته ومن آله، أما أن يكون الشاهد على أمة محمد ﷺ شخصًا غيره ومن قرنه، فهو ما لا يستقيم مع الآيات التي تجعل النبي شهيدًا على أمته: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ

عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾[1]، ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾[2]. ولا ينقص من إيماننا قطمير حين لا نعلم دلالة الشاهد في هذه الآية، غير أنّ أرجح الأقوال في تقديري تقول إن المراد بالشاهد هو القرآن، ذلك أنّه عُطف عليه كتاب موسى عليه السلام، وألحق بقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ وهو ما أشار إليه الرازي في مفاتيح الغيب. ومن هناك فإنّ تأويلها على أنّها تعني عليًّا لا يستقيم، ولا يتجاوز كونه تحريفًا للكلم عن مواضعه، من أجل محاولة البحث عن أسانيد لنظرية الولاية في القرآن دون سلطان، وهو ما يمثّل إخضاعًا لآيات الله لمذاهب البشر ونظرياتهم ومعتقداتهم الظنية.

8. تأويل آية ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾: أوّل أهلُ الرواية والتأويل الآيات من العاشرة إلى الثانية عشرة من سورة الواقعة: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾، على أنّها نزلت في علي رضي الله عنه؛ حيث يقول الشيرازي في كتابه آيات الولاية: «كما تقدم فإنّ مفهوم الآية الشريفة شامل وعام في دائرة السابقين ويستوعب في مضمونه جميع الأشخاص الذين سبقوا الآخرين في الإيمان والجهاد والصلاة والتوبة والمسير في خط التوبة والعبودية والدخول إلى الجنة وأمثال ذلك، ولكن طبقًا لما ورد في الروايات الشريفة أن الإمام علي عليه السلام هو أسبق السابقين في هذه الموارد والمصداق والأتم والأكمل لهذه الآية الشريفة». ثم إنّه أورد بعض الاستشهادات منها ما نسبه لابن عباس المقبول ـ كما يصفه ـ لدى السُّنة والشيعة وهو قوله: «سابق هذه الأمة علي بن أبي طالب». كما أورد له رواية أخرى يقول فيها: «يوشع بن نون سبق إلى موسى، ومؤمن آل ياسين سبق إلى عيسى، وعلي بن أبي طالب سبق إلى محمد». وأورد الكاشاني في تفسيره الصافي: «وفي الأمالي عن النبي صلى الله عليه وآله أنه سئل عن هذه الآية فقال: قال لي جبرائيل ذلك علي وشيعته هم السابقون إلى الجنة المقربون إلى الله بكرامته. وفي الخصال عن علي عليه السلام قال: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ

---

(1) سورة البقرة، الآية: 143.

(2) سورة النساء، الآية: 41.

ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ فيّ نزلت. وفي الإكمال عن الباقر عليه السلام في حديث ونحن السابقون السابقون ونحن الآخرون. وفي الكافي عن الصادق عليه السلام قال قال أبي لأناس من الشيعة: أنتم شيعة الله وأنتم أنصار الله وأنتم السابقون الأولون والسابقون الآخرون والسابقون في الدنيا إلى ولايتنا والسابقون في الآخرة إلى الجنة. وفي المجمع عن الباقر عليه السلام السابقون السابقون أربعة ابن آدم المقتول، وسابق أمة موسى عليه السلام وهو مؤمن آل فرعون، وسابق أمة عيسى عليه السلام وهو حبيب النجار، والسابق في أمة محمد صلى الله عليه وآله وهو علي بن أبي طالب عليه السلام».

وفي آية بهذا الشمول ـ بحيث تشمل السابقين إلى الإسلام، والسابقين إلى الفضائل، منذ النبيّ آدم عليه السلام حتى خاتم الأنبياء محمد ﷺ، بل وحتى يوم القيامة ـ لا يجوز قصر دلالتها على علي بن أبي طالب رضي الله عنه، أو على شيعته وشيعة الأئمة من ذريته. كما لا يجوز قصرها على المسلمين من أتباع النبيّ محمد ﷺ. ويُعطي الزمخشري السابقين دلالة مطلقة وغير مقيدة في الكشاف فيقول: «﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ﴾ المخلصون الذين سبقوا إلى ما دعاهم الله إليه وشقوا الغبار في طلب مرضاة الله عزَّ وجلّ». والحديث الذي أورده الشيرازي في خاتمة بحثه حول آية السابقين، يؤكد عمومية دلالة السابقين وعدم قصرها على شخص بعينه سواء في الماضي أو الحاضر أو المستقبل، حيث يقول الحديث: «السابقون إلى ظلّ العرش طوبى لهم، قيل يا رسول الله ومن هم؟ قال: الذين يقبلون الحق إذا سمعوه، ويبذلونه إذا سألوه، ويحكمون للناس كحكمهم لأنفسهم». ثم إنّ حصر السابقين في سابق واحد لكل نبيّ هو من بدع أهل الرواية والتأويل، ليفضّلوا السبق لقبول دعوات الرسل على مقاس علي رضي الله عنه، وإذا كان أهل الرواية والتأويل قد أولوّا إل ياسين على أنّها تنصرف إلى آل محمد ﷺ في موضع أخر، فكيف يسبق مؤمن آل محمد إن صدق تأويل إل ياسين ذاك إلى عيسى عليه السلام؟ أم أنّ فقهاء مدرسة الرواية والتأويل يؤمنون بفكرة تناسخ الأرواح، بحيث عاش مؤمن آل ياسين في زمنين، فعاصر عيسى عليه السلام ومحمد ﷺ.

9. تأويل آية ﴿لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾: أوّل أهلُ الرواية والتأويل «الأذن الواعية» الآية الثانية عشرة من سورة الحاقة: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ

﴿حَمَلْنَٰكُمْ فِي ٱلْجَارِيَةِ ۝١١ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾، على أنّها أذن علي رضي الله عنه. حيث أورد الشيرازي في كتابه آيات الولاية: «بالرغم من أنّ الآية الشريفة لها مفهوم واسع وشامل لجميع الأفراد الذين يتسمون بهذه السمة الأذن الواعية، ولكن طبقًا لما ورد في الروايات الكثيرة في تفسير هذه الآية فإنّ المصداق الأتم والأكمل للأذن الواعية هو الإمام علي عليه السلام. وقد ورد في بعض الروايات أنّه عندما نزلت هذه الآية الشريفة قال النبي الأكرم صلى الله عليه وآله مخاطبًا الإمام علي عليه السلام: «سألت الله أن يجعلها أذنك يا علي». ويقول الإمام علي عليه السلام بعد هذه الواقعة كنت إذا سمعت شيئًا من النبي أحفظه ولا أنساه. وقد ورد في روايات أخرى أيضًا أنّ النبي الأكرم صلى الله عليه وآله دعا بهذا الدعاء أولًا ثم نزلت الآية الشريفة».

ولكم غريب هذا التأويل؛ حيث إنّ الآية الأولى تتحدث عن حمل الناس في الجارية التي هي سفينة النبيّ نوح عليه السلام، وهل يعقل بأنّه منذ ذلك التاريخ، ومع تعاقب الأنبياء والرسل والصالحين لم تشهد الأرض أذنًا واعية وفق هذا التأويل، غير أذن علي رضي الله عنه؟ ولم يكلّف النبي ﷺ نفسه الدعاء لأحدٍ من أمّته، بأن يكون من ذوي الآذان الواعية غير علي رضي الله عنه. والحديث المذكور آنفاً معلول، ذلك أنّه ليس من شيّم النبيّ ﷺ ولا من طبعه، أن يسأل الله أن يكون واحدًا فقط من أمته صاحب الأذن الواعية. فلو نسب الراوي للنبيّ ﷺ قوله: سألت الله أن يمنحك أذنًا واعية عوضًا عن سؤاله أن يكون عليًّا صاحب الأذن الواعية، لكان يمكن للحديث أن يسلم من العلّة. وحتى إذا سلّمنا جدلًا بصحة الحديث، فإنّ متنه لا يتجاوز الدعاء لعلي رضي الله عنه بأن يكون من أصحاب الآذان الواعية، ولا يقرر أنّه كذلك أو أنّه وحده كذلك دون غيره.

ومن ثم فالتأويل يندرج ضمن تحريف الكلم عن مواضعه، وذلك بتقييده للمطلق وتخصيصه للعام، والآية لا تتجاوز القول: بأنّ كل مؤمن يعي ويتدبر حمل الله للنّاس في الجارية فيتعظ، فهو صاحب أذن واعية. ثم إنّ صيغة دعاء النبي ﷺ لرواة الحديث بالحفظ، تكررت لكل من نسبت إليه الفرق المتناحرة أحاديث كثيرة لا يعقل قدرته على حفظها، كأبي هريرة وعبد الله بن عمر وابن عباس وغيرهم، وهو ما يثير ظلالًا من الشك في صحتها.

خاتمة المبحث:

جدول التحريف رقم (1 ـ 2 ـ ت)

التأويلات المتعلقة باختزال المآثر في علي رضي الله عنه:

الكَلِم	الدلالة المحرّفة	الدلالة الأصلية
﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ﴾	شاء الله أن يؤتي الحكمة إلى علي فمنحه تسعة أعشار الحكمة وتقاسم العشر بقية النّاس.	يؤتي الله الحكمة لمن شاء من عباده ومن أُوتيها فقد أُوتي خيرًا كثيرًا.
﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ﴾	ما يموت من أحد من جميع الأديان إلّا رأى رسول الله وعلي حقًّا من الأولين والآخرين.	وإن من أهل الكتاب ليؤمنن بعيسى قبل موته.
﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾	فأذن علي بينهم أن لعنة الله على الظالمين.	فأذن مؤذن ما «لم يحدده الله تعالى» بينهم أن لعنة الله على الظالمين.
﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾	وعد الله علي والأئمة، والسابقين من المهاجرين والأنصار، كأبي ذر والمقداد وسلمان وعمار، جنات تجري من تحتها الأنهار.	وعد الله السابقين بالإيمان من المهاجرين والأنصار، ومن تبعهم بإحسان، جنات تجري من تحتها الأنهار.
﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾	قل كفى بالله شهيدًا بيني وبينكم وعلي الذي عنده علم الكتاب.	قل كفى بالله شهيدًا بيني وبينكم، ومن عنده علم التنزيل.
﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦٓ ۗ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ ۖ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾	إنّما أنت منذرٌ وعلي هادٍ لقومك.	إنّما أنت منذر ولكل قوم هادٍ.
﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾	أفمن كان على بيّنة من ربّه ويتلوه علي.	أفمن كان على بيّنة من ربّه ويتلوه القرآن.
﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿10﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾	السابقون المقربون هم يوشع بن نون، ومؤمن فرعون، وحبيب النجار، وعلي بن أبي طالب.	السابقون بالإيمان والسابقون بالبر والإحسان هم المقربون.

﴿لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾	لنجعل حملكم في الجارية تذكرة وتعيها أذن علي بن أبي طالب.	لنجعل حملكم في الجارية تذكرة، وتعيها أذان أولي الألباب.

التعليق:

السؤال الذي يتبادر إلى الذهن بعد الاطلاع على هذه التأويلات، يتعلق بما هو الدافع الذي يدفع المتأوّلين لليّ عنق النصوص القرآنية، ليقال بأنّ هذه الآيات نزلت في علي ﷺ؟ لا شك أنّ الصراع السياسي الذي اتخذ أشكالًا عنفيّة وقتالية هو الذي ساهم في كل هذا التحريف؛ ففي مجتمع حديث عهد بالنبوّة وخبر السماء ولا يؤثر في عامته شيء أكثر من القرآن والحديث، كان من الطبيعي أنْ تستخدم الأطراف المتصارعة القرآن والحديث لكسب قلوب العامة. ولذلك أجاز كل طرف لنفسه أن يتأول القرآن تأويلًا نفعيًا، ليخدم فرقته في المواجهة القتالية والإعلامية التي نشبت منذ الفتنة الكبرى إلى الحرب العثمانية الصفوية. كما أجاز كل طرف لنفسه اصطناع أحاديث تنسب للنبيّ ﷺ تارة، وإلى الأئمة أو الصحابة تارة أخرى لتحقيق نفس الغاية. وضمن هذا الإطار توسع أهل الرواية والتأويل في ليّ عنق آيات الله تعالى بما يخدم أحقية الأئمة بالخلافة والإمارة، وفي مقدمتهم علي بن أبي طالب ﷺ قطب رحى الخلافات في الفتنة الكبرى. وعلى هذا الأساس اختزلت التأويلات المتعلقة بالآيات المذكورة آنفًا، كافة المآثر التي منحها الله تعالى للمؤمنين في علي ﷺ، فهو الذي أوتي «الحكمة» أو القدر الأكبر منها؛ والحكمة قُسمت وفقًا للمتأوّلين إلى عشرة أجزاء، جُعلت تسعة منها لعلي وتقاسم الناس جميعًا العُشر المتبقي بمن فيهم الرسل والأنبياء ﷺ، وهو «المسيح» الذي يؤمن به أهل الكتاب قبل موتهم، و«المؤذن» في الآخرة، وهو «السابق» للمهاجرين والأنصار بالإيمان، وهو «من لديه علم الكتاب»، وهو «الهادي لقوم محمد ﷺ»، وهو «شاهد منه» أو الشاهد على قوم محمد ﷺ، وهو «السابق الأول بالإيمان»، وهو وحده صاحب الأذن الواعية.

غير أنّه لا يمكن لصاحب الفطرة السليمة أن يختزل كل تلك المآثر في علي ﷺ، من دون المؤمنين ورسلهم ﷺ. وفيهم الرسل ﷺ، والشهداء والصديقون والصالحون، ومنهم من اتخذه الله خليلًا، ومنهم من كلّمه الله

تكليمًا، ومنهم من عدّه القرآن عند الله وجيهًا، ومنهم من وصفهم بأولي العزم من الرسل ﷺ، ومنهم من خلقه الله من طين ولم يخلقه من ماء مهين.

ث. التأويلات التي تختزل الإيمان في الإيمان بولاية علي رضي الله عنه والكفر في إنكار ولايته

1. تأويل الآية ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾: أوّل أهلُ الرواية والتأويل الآية الحادية والثمانين من سورة البقرة: ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾، على أنّها تعني إنكار إمامة علي رضي الله عنه؛ حيث أورد الكليني حديثًا نسبه إلى أبي حمزة قال فيه: «عن أحدهما عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ﴾ قال: إذا جحد إمامة أمير المؤمنين عليه السلام ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾. رواه الكليني، الكافي، باب فيه نكت ونتف من التنزيل.

والتأويل خاطئ، ذلك أنّ الآية وردت في سياق الردّ على اليهود الذين قالوا لن تمسّنا النار إلّا أيامًا معدودة: ﴿وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾[1]، ومن هناك فالآية تتحدث عن السيئة بالمطلق، والخطيئة بالمطلق، لتقول بأنّ من يرتكب السيئة وتحيط به سيئاته فإنّه من أصحاب النار. والقول بتقييدها بجحد ولاية علي رضي الله عنه لا يستقيم، ذلك أنّ اليهود غير معنيين بأمر ولايته. ولذلك فالتأويل الذي أورده الكليني لا يتجاوز كونه إلباسًا للحق بالباطل، وليًّا لعنق الآية لإخضاعها لنظريات البشر في الولاية.

وتتفق جلّ الروايات التي أوردها المفسرون بالمأثور، على أنّ الآية تقول: من عمل مثل أعمال اليهود وكفر بمثل ما كفروا به حتى يحيط كفره بما له من حسنة، ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾، وهذا التأويل هو الآخر خاطئ، فالسيئة لا تنصرف إلى الكفر أو الشرك كما ذهب متأوّلو مدرسة أهل الحديث والنسخ، وتأويلهم أيضًا يرمي إلى تطويع آيات الله إلى نظرية عدم خلود المسلم في النار وهو ما سيأتي بيانه لاحقًا.

(1) سورة البقرة، الآية: 80.

2. تأويل الآية ﴿يَعۡرِفُونَ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾:

أوّل أهلُ الرواية والتأويل «نعمة الله» في الآية الثالثة والثمانين من سورة النحل: ﴿يَعۡرِفُونَ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾، على أنّها تعني معرفة ولاية علي رضي الله عنه وإنكارها؛ حيث أورد الكليني حديثًا نسبه إلى أحمد بن عيسى قال فيه: «حدثني جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جده عليهم السلام في قوله عزّ وجلّ: ﴿يَعۡرِفُونَ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾ قال: لما نزلت ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ﴾ اجتمع نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله في مسجد المدينة، فقال بعضهم لبعض: ما تقولون في هذه الآية؟ فقال بعضهم: إن كفرنا بهذه الآية نكفر بسائرها وإن آمنا فإنّ هذا ذل حين يسلط علينا ابن أبي طالب، فقالوا: قد علمنا أنّ محمدًا صادق فيما يقول ولكنا نتولاه ولا نطيع عليًّا فيما أمرنا، قال: فنزلت هذه الآية ﴿يَعۡرِفُونَ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾ يعرفون يعني ولاية [علي بن أبي طالب] وأكثرهم الكافرون بالولاية». رواه الكليني، الكافي، باب فيه نكت ونتف من التنزيل.

والتأويل خاطئ، ذلك أنّ نِعم الله مذكورة في الآيتين الثمانين والحادية والثمانين من نفس السورة: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمۡ سَكَنٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ بُيُوتٗا تَسۡتَخِفُّونَهَا يَوۡمَ ظَعۡنِكُمۡ وَيَوۡمَ إِقَامَتِكُمۡ وَمِنۡ أَصۡوَافِهَا وَأَوۡبَارِهَا وَأَشۡعَارِهَآ أَثَٰثٗا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٖ (80) وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡجِبَالِ أَكۡنَٰنٗا وَجَعَلَ لَكُمۡ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلۡحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأۡسَكُمۡۚ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تُسۡلِمُونَ﴾، ودلالة النعمة في الآية قد تقتصر على ما ورد في الآيات المذكورة آنفًا، وقد تتسع لتشتمل على كافة نعمه تعالى، ومن بينها بل وفي مقدمتها نعمة الإسلام ونعمة النبوّة. لكنها لا تنصرف إلى الولاية، فلا يوجد دليل في الآية، ولا في الآيات السابقة واللاحقة لها على انصراف دلالة النعمة إلى الولاية. ومن هناك فتأويل الآية على النحو الذي أورده الكليني، لا يتجاوز كونه إلباسًا للحق بالباطل، وإخضاعًا لآيات الله لنظريات البشر في الولاية.

وتتفق جلّ الروايات التي أوردها المفسرون بالمأثور، على أنّ دلالة

النعمة عامة لكافة نعم الله تعالى، وإن قصَرها بعضهم على نعمتي الإسلام، وإرسال محمد ﷺ إليهم.

3. تأويل الآية ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ﴾: أوّل أهلُ الرواية والتأويل الآية السادسة عشرة بعد المئة من سورة طه: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ﴾، على أنّها ما أنزلت إلّا لمواساة رسول الله ﷺ عند اعتراض المسلمين على ولاية علي رضي الله عنه؛ حيث أورد الكليني حديثًا نسبه إلى علي بن جعفر قال فيه: «سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول: لما رأى رسول الله صلى الله عليه وآله تيمًا وعديًا وبني أمية يركبون منبره أفظعه، فأنزل الله تبارك وتعالى قرآنًا يتأسى به: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ﴾ ثم أوحى إليه يا محمد إني أمرت فلم أطع فلا تجزع أنت إذا أمرت فلم تطع في وصيك». رواه الكليني، الكافي، باب فيه نكت ونتف من التنزيل.

والتأويل خاطئ، فالآية تتعلق بواقعة جادل فيها الشيطان في أمر إلهي قطعي الوقوع قطعي الإسناد لله تعالى، وضربه لنا تعالى كمثل من أمثلة المجادلة في أوامر الله ونواهيه، والتي توحي في الظاهر باستخدام العقل، لكنها في الواقع ليست سوى المجادلة في أمر إلهي صريح، فحين يصدر أمر إلهي صريح فليس للمؤمن أن يجادل فيه، حيث أمر الله تعالى الملائكة عليهم أكرم السلام وإبليس بالسجود لآدم عليه السلام؛ فسجد الملائكة وجادل الشيطان في الأمر وكان يظن بأنّه يستخدم عقله في ذلك؛ فالسجود في تقديره ينبغي أن يكون لله وحده دون غيره من المخلوقات، وكان يرى بأنّه والملائكة أفضل مكانة من آدم عليه السلام. غير أنّه تعالى ابتلى الملائكة وابتلاه بهذا الأمر ليمحص مدى امتثالهم لأمره، والميثاق الذي يحكم علاقة العبد بربه يتطلب منهم ومن الخلق جميعًا الطاعة المطلقة لله تعالى ودون جدال، حتى لو ظهر للعبد بأنّ الأمر يناقض التوحيد أو حتى يناقض أمرًا إلهيًا آخر، فليس للعبد أن يستخدم عقله حين يتيقن بأنّ الأمر صادر من الله تعالى، حتى لو بدا له مخالفًا للعقل والمنطق، ذلك أنّ الله تعالى يبتلي العبد في مدى طاعته للخالق بأمر مثل الذي ابتُلي به الملائكة وإبليس، وأفلح الملائكة وخسر إبليس الابتلاء أو الامتحان.

ولو فكرنا في هذه المسألة بالعقل ودون مجادلة، فإنّ الأمر محسوم لمصلحة طاعة الأمر، ذلك أنّه طالما آمن المسلم بعقله بالله ربًّا وخالقًا ودخل في دينه وقبل بالانصياع له، فليس له أن ينتقي ما يناسبه من أوامر الله ونواهيه فيقبله، وينتقي ما لا يناسبه فيجادل فيه أو يرفضه .**غير أنّه ينبغي التأكد من أنّ الأمر قطعًا صدر عن الله تعالى، حتى لا تكون الطاعة للرواة وأهل الإفك الذين يكتبون الكتاب بأيديهم ويقولون بأنّه من عند الله تعالى.** أمّا القول إنّ الله تعالى قد أوحى إلى رسوله ﷺ؛ أنه يا محمد إنّي أُمرت فلم أطع، فلا تجزع أنت إذا أُمرت فلم تطع في وصيك، فهو قول ينتمي لآيات لم يتضمنها القرآن، والتي كتبها الكتبة بأيديهم وقالوا إنّها من عند الله تعالى، والتي آمل أن يوفقني تعالى أو يوفق غيري في جمعها في كتاب بعنوان «آيات ليست في كتاب الله» تتضمن ما افتراه المسلمون على الله تعالى. ثم إنّ المقارنة لا تستقيم، ووضعت، في تقديري، من أجل شيطنة خصوم علي رضي الله عنه وخصوم نظرية الولاية، لتقول: بأنّ من رفض ولاية علي والأئمة من بعض ذريته رضي الله عنهم هو شيطان. ومن ثم فوضع الحديث يأتي في إطار المساجلة السياسية والطائفية التي ظهرت بعد الفتنة الكبرى، ليخضع آيات الله لنظريات البشر في الولاية.

وتتفق جلّ الروايات التي أوردها المفسرون بالمأثور على أنّ دلالة الآية والآيات السابقة واللاحقة لها، لا تتجاوز تذكير المسلمين بما كان من رفض إبليس السجود لآدم عليه أفضل الصلوات وأفضل السلام استكبارًا منه، ثم غوايته له ولزوجه عليهما السلام حتى يتخذه المسلمون عدوًا ولا يتأسوا به ولا يطيعونه أبدًا.

4. تأويل الآية ﴿أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ﴾: أوّل أهلُ الرواية والتأويل «الصراط المستقيم» في الآية الثانية والعشرين من سورة الملك: ﴿أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾، على أنّه ينصرف إلى علي رضي الله عنه؛ حيث أورد الكليني في الكافي حديثًا نسبه إلى محمد بن الفضيل قال فيه: «عن أبي الحسن الماضي، عليه السلام قال: سألته عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾ إلى أن يقول: قال: قلت: «أفمن يمشي مكبًا على وجهه أهدى أمن يمشي سويًا على صراط مستقيم» قال: إنّ الله ضرب [مثلًا] من حاد عن

ولاية علي كمن يمشي على وجهه لا يهتدي لأمره وجعل من تبعه سويًا على صراط مستقيم، والصراط المستقيم أمير المؤمنين عليه السلام. رواه الكليني، الكافي، باب فيه نكت ونتف من التنزيل.

والتأويل خاطئ، ذلك أنّ دلالة الصراط المستقيم تنصرف إلى سبيل الله تعالى، أي عبادة الله وحده لا شريك له، واتباع أوامره وتجنب نواهيه. ووردت صيغة الصراط المستقيم في القرآن ثلاث وثلاثين مرة، كانت جميعها بدلالة سبيل الله تعالى. أمّا تجسيد الصراط المستقيم في الرجال فلا يستقيم، ولا يجوز اختزال دين الله أو الإيمان به، أو الحق أو النور، أو سبيل الله، أو صراطه المستقيم، في الرجال حتى لو كانوا رسلًا، ومن يفعل ذلك فيقول على الله ما لا يعلم. ثم إنّ الآية تقول: ﴿أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ والسؤال الذي يتبادر إلى الذهن هنا هو: أكان عليٌّ رضي الله عنه طريقًا ليمشي عليه الناس؟ فلو أراد العزيز الحكيم عليًّا لأضافه للصراط المستقيم!.

خاتمة المبحث:

جدول التحريف قم (1 ـ 2 ـ ث):

التأويلات التي تختزل الإيمان في الإيمان بولاية علي رضي الله عنه والكفر في إنكار ولايته:

الكَلِم	الدلالة المحرّفة	الدلالة الأصلية
﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾	بلى من جحد إمامة علي فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون.	بلى من كسب إثمًا وأحاطت به آثامه فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون.
﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾	يعرفون نعمة ولاية علي وأكثرهم كافرون بها.	يعرفون نعمة الله وأكثرهم ينكرونها ويكفرون بها.
﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ﴾	يا محمد إني أمرت فلم أُطع فلا تجزع أنت إذا أمرت فلم تُطع في وصيك.	وإذ قال الله تعالى للملائكة والشيطان اسجدوا لآدم فسجدوا، إلّا إبليس أبى ولم يكن من الساجدين.

﴿أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسْتَقِيمٖ﴾	أفمن يمشي مكبًا على وجهه أهدى أمّن يمشي على علي بن أبي طالب!	أفمن يمشي مكبًا على وجهه أهدى أمّن يمشي على صراط الله المستقيم.

التعليق:

درج المتأوّلون من مدرسة الرواية والتأويل على إضافة الإيمان بولاية علي إلى شعب الإيمان وأركانه إن لم يجعلوا منها أُس الإيمان وجوهره. وعلى ضوء ذلك أوّلوا «السيئة» في الآية الأولى على أنّها إنكار وجحد ولاية علي رضي الله عنه، وعلى أنّ منكرها سيكون من أصحاب النار. وأوّلوا «نعمت الله» في الآية الثانية على أنّها ولاية علي رضي الله عنه، وعلى أنّ منكريها كافرون. كما قارنوا امتناع إبليس من السجود لآدم في الآية الثالثة بإنكار ولاية الوصي كما يزعمون. واختزلوا الصراط المستقيم في الآية الرابعة في علي رضي الله عنه. وكافة هذه التأويلات لا تستقيم فلا يجوز اختزال الإيمان أو نعمة الله أو صراطه المستقيم في الرجال، كما لا يجوز اختزال الكفر في إنكار نظريات ومعتقدات البشر في الولاية.

ج. التأويلات المتعلقة باختزال يوم القيامة والوعيد به في علي رضي الله عنه

1. **تأويل الآية** ﴿قُلْ إِي وَرَبِّيٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾: أوّل أهل الرواية والتأويل «ضمير الغائب» في الآية الثالثة والخمسين من سورة يونس: ﴿وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَۖ قُلْ إِي وَرَبِّيٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾، على أنّه ينصرف إلى علي رضي الله عنه؛ حيث أورد الكليني في الكافي حديثًا نسبه إلى القاسم بن محمد الجوهري قال فيه: «عن بعض أصحابه عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله ويستنبئونك أحق هو» قال: ما تقول في علي «قل إي وربّي إنّه لحق وما أنتم بمعجزين». رواه الكليني، الكافي، باب فيه نكت ونتف من التنزيل.

والتأويل خاطئ، ذلك أنّ ضمير الغائب في الآية يمكن أن يتسع فيشمل دين الله المشتمل على توحيده وعباداته، ووعده ووعيده دون تخصيص كما عبرت عنه الآية الخامسة والثلاثين من نفس السورة ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِيٓ

إِلَى ٱلْحَقِّ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ ۗ أَفَمَن يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ ۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾، ويمكن أن يقتصر على الوعيد الذي تسأل عنه مشركي قريش في الآية الثامنة والأربعين: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾. أمّا تأويل الحق على أنّه علي رضي الله عنه فلا يستقيم، ولا يقبل به صاحب الفطرة السليمة، ولا يتجاوز كونه إلباسًا للحق بالباطل وتحريفًا للكلم عن مواضعه، وإخضاعًا لآيات الله تعالى لنظريات البشر في الولاية.

وتتفق جلّ الروايات التي أوردها المفسرون بالمأثور، على أنّ الضمير يعود على الوعيد بعذاب الله تعالى وأنّه لحق.

2. تأويل آية ﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾: أوّل أهل الرواية والتأويل «السائل» في الآية الأولى من سورة المعارج: ﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿1﴾ لِّلْكَٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ ﴿2﴾ مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ﴾ على أنّه يعني السائل الذي أنكر ولاية علي رضي الله عنه؛ حيث قال الشيرازي في آيات الولاية: «إنّ شأن النزول في هذه الآيات هو ما يلي: إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله عين [عليًّا] خليفة يوم غدير خم وقال بحقه: «من كنت مولاه فعلي مولاه» فما لبث أن انتشر الخبر فجاء النعمان بن الحارث الفهري وكان من المنافقين إلى النبي صلى الله عليه وآله وقال: لقد أمرتنا أن نشهد أنّ لا إله إلّا الله وأنك محمد رسول الله فشهدنا ثم أمرتنا بالجهاد والحج والصلاة والزكاة فقبلنا، فلم ترض بكل ذلك، حتى أقمت هذا الفتى ـ مشيرًا إلى علي عليه السلام ـ خليفة لك وقلت: من كنت مولاه فعلي مولاه، فهل هذا منك أم من الله؟ قال النبي صلى الله عليه وآله: «والله الذي لا معبود سواه إنّه من الله» فالتفت إليه النعمان بن الحارث وقال إن هذا حقًّا منك فأنزل علينا حجارة من السماء! وفجأة نزلت حجارة من السماء وقتلته فنزلت آية: ﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾. الشيرازي، آيات الولاية، آية التبليغ.

والتأويل خاطئ، ذلك أنّ الآية نفسها تحدده فهو «عَذَابٍ وَاقِعٍ» لا محالة، وواقع على الكافرين «لِّلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ» مطلق الكافرين منذ آدم عليه السلام وحتى يوم القيامة، وهو ما يشير إلى عذاب يوم القيامة، الذي يتوعد

تعالى به الكافرين بالمطلق، وليس منكري نظرية الإمامة كما ذهب الشيرازي والمتأوّلون. ولقد أورد الزمخشري في الكشاف في معرض تفسيره للآية قوله: «ضمن ﴿سَأَلَ﴾ معنى دعا، فعدّي تعديته، كأنه قيل: دعا داع ﴿بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ من قولك: دعا بكذا. إذا استدعى وطلبه. ومنه قوله تعالى: ﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ﴾[1]، وعن ابن عباس رضي الله عنهما: هو النضر بن الحارث قال: إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم. وقيل: هو رسول الله ﷺ، استعجل بعذاب للكافرين».

والرواية التي أوردها الشيرازي متهافتة فكيف بمن قبل بالإيمان بمحمد ﷺ رسولًا، وبالقرآن وحيًا منزلًا، أن يذهب بعيدًا في رفضه أمرًا ممن آمن بأنّه مرسلًا ومعززًا بالوحي الإلهي، إلى الحد الذي يطلب فيه منه إنزال حجارة من السماء؟! فهذا الطلب لا يطلبه من يرفض أمرًا أو ولاية عهد أو خلافة، بل يطلبه من يشك في أن من يحاجه مرسلًا، ويطلب الحجارة من السماء كبيّنة وسلطان على نبوّته، وكان يمكن للحديث أن يقبل لو اقتصر المعنى باتهام الرسول الكريم بالعصبية لبني هاشم ورغبته أن يجمعوا بين النبوّة والحكم. أمّا أن يطلب حجارة من السماء فهو أمر لا يستقيم مع الواقعة التي يوردها الراوي. والأرجح، في تقديري، أنّ واضع رواية النعمان بن الحارث، استفاد من الروايات التي ربطت بين دعوة النضر بن الحارث للنبيّ ﷺ، أن يأتيهم بالعذاب الذي ينذرهم به وبين حديث الغدير، فغيّر في الوقائع والأسماء؛ فأبقى على اسم الأب، وغير النضر بالنعمان، واستبدل واقعة أسر النضر في موقعة بدر وقتله، بحادثة نزول حجر من السماء على النعمان. ولا يستبعد أن تستخدم أول رواية موضوعة اسم النضر بن الحارث، لجهل الواضع بسيرة النضر وتاريخ وفاته، ثم يتم تعديلها بعد معرفة أنّ النضر قد مات قبل حديث الغدير، فيتم البحث عن اسم آخر مشابه لاسم النضر ويستبدل به، حتى يقال بأنّ الراوي قد خلط بين النعمان والنضر، وما إلى ذلك من ألاعيب الوضّاع، التي تحتاج إلى دراسة خاصة تتحقق من أساليبهم في التدليس

(1) سورة الدخان، الآية: 55.

والخلط بين الأسماء والوقائع. أمّا تأويل الآية على النحو الذي أورده الشيرازي في آيات الولاية، فهو مجرد إلباس للحق بالباطل وتحريف للكلم عن مواضعه، وإخضاع لآيات الله لنظريات البشر بما يخدم نظرية الولاية.

3. تأويل الآيات ﴿وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾، ﴿وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ﴾، ﴿إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ﴾: أوّل أهلُ الرواية والتأويل «لا يرتاب» في الآية الحادية والثلاثين من سورة المدثر: ﴿وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾، على أنّها تعني لا يرتابون في الولاية. وكذلك أوّلوا «ذكرى للبشر» في الآية: ﴿وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ﴾، على أنّها تعني أنّ ولاية علي رضي الله عنه ذكرى للبشر. كما أوّلوا «إحدى الكبر» في الآية: ﴿إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ﴾، على أنّها تعني ولاية علي رضي الله عنه؛ حيث أورد الكليني في الكافي حديثًا نسبه إلى محمد بن الفضيل قال فيه: «عن أبي الحسن الماضي، قال: سألته عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾. إلى أن يقول: قال: قلت: «ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون» قال بولاية علي عليه السلام قلت: ما هذا الارتياب؟ قال يعني بذلك أهل الكتاب والمؤمنين الذين ذكر الله فقال: ولا يرتابون في الولاية، قلت: «وما هي إلّا ذكرى للبشر»؟ قال: نعم ولاية علي عليه السلام، قلت: «إنّها لإحدى الكبر» قال: الولاية». رواه الكليني، الكافي، باب فيه نكت ونتف من التنزيل.

والتأويل خاطئ، ذلك أنّ الارتياب في الآية ينصرف إلى الارتياب في التنزيل، الذي أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم، الذي جاء مصدقًا للتنزيل الذي أتاهم، بما في ذلك المثل الذي ضربه تعالى في هذه الآيات والمتعلق بعدة الملائكة، والمثل المضروب هو الذي فيه ذكرى للبشر وليس الولاية كما ورد في الحديث، ومن قال من المفسرين بأنّ الضمير يعود على النار لم يجانبه الصواب، كما أنّ إحدى الكبر تنصرف إلى سقر التي أفصحت عنها الآيات اللاحقة للآية. أما الزج بولاية علي رضي الله عنه في تأويل هذه الآيات فقد بلغ شأوًا بعيدًا، في عدم الخجل من ليّ عنق النص القراني، إلى الحدّ الذي تنقلب فيه سقر لتصبح ولاية علي رضي الله عنه، أما قلب التنزيل ليصبح الولاية فهو وإن كان أيضًا ليًّا لعنق النص القرآني فهو أمرٌ مكرور في تأويلات مدرسة الرواية والتأويل.

وتتفق جلّ الروايات التي أوردها المفسرون بالمأثور على أنّ دلالة ﴿وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ تنصرف إلى عدد الملائكة والضمير في ﴿وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ﴾ تنصرف إلى سقر وأنّها ﴿لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ﴾ أي إنّ الأمر المتحدث عنه أمر جلل.

4. تأويل الآية ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾: أوّل أهل الرواية والتأويل الآية السابعة والعشرين من سورة الملك: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ﴾، على أنها نزلت في علي والصحابة الذين أنكروا ولايته رضي الله عنه؛ حيث أورد الكليني في الكافي حديثًا نسبه إلى زرارة قال فيه: «عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ﴾ قال: هذه نزلت في أمير المؤمنين وأصحابه الذين عملوا ما عملوا، يرون أمير المؤمنين عليه السلام في أغبط الأماكن لهم، فيسيء وجوههم ويقال لهم: هذا الذي كنتم به تدّعون: الذي انتحلتم اسمه». رواه الكليني، الكافي، باب فيه نكت ونتف من التنزيل.

والتأويل خاطئ، ذلك أنّ الآية وردت في سياق الوعيد للكفار بالعذاب وسوء العاقبة، الذي بدأ بالآية: ﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾[1]، ثم إنّ «الفاء» في فلما رأوه زلفة هي فاء السببية، ولما حرف جازم يدخل على الفعل المضارع فيقلبه ماضيًا، ولذلك فالآية ترتبط سببيًّا بقوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾؟ فتأتي آية فلما رأوه زلفة أي رأوا العذاب، كإجابة على تساؤل الكافرين متى هذا الوعد؟

أمّا تأويلها على أنّها تعني أن يغبط الصحابة مكانة علي رضي الله عنه في الآخرة، فهو محض تحريف للكلم عن مواضعه، وليّ لعنق النص القرآني لإخضاعه لنظريات البشر في الولاية.

وتتفق جلّ الروايات التي أوردها المفسرون بالمأثور على أنّ دلالة ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً﴾ فلما رأوا العذاب، ودلالة ﴿سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ أي ساءهم ذلك العذاب.

(1) سورة الملك، الآية: 6.

5. تأويل آية ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾: أوّل أهلُ الرواية والتأويل الآية الأولى من سورة النبأ: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ۝١ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ﴾ على أنّها نزلت في علي رضي الله عنه، أي إنّ النبأ العظيم هو ولاية علي رضي الله عنه؛ حيث أورد الكليني في الكافي حديثًا نسبه إلى أبي حمزة الثمالي قال فيه: «عن أبي جعفر عليه السلام قال: قلت له: جعلت فداك إنّ الشيعة يسألونك عن تفسير هذه الآية ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ۝١ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ﴾ قال: ذلك إليّ إن شئت أخبرتهم وإن شئت لم أخبرهم، ثم قال: لكني أخبرك بتفسيرها، قلت ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾؟ قال: فقال: هي في أمير المؤمنين صلوات الله عليه، كان أمير المؤمنين صلوات الله عليه يقول: ما لله عزّ وجلّ آية هي أكبر مني ولا لله من نبإ أعظم مني». رواه الكليني، الكافي، باب أن الآيات التي ذكرها الله عزّ وجلّ في كتابه هم الأئمة عليهم السلام.

وهذا التأويل خاطئ، ذلك أنّ الله تعالى يخبرنا عن النبأ العظيم في الآية الثامنة عشرة من نفس السورة: ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا ۝١٧ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾[1]، ثم إنّ الحديث الذي أورده الكليني مطعون في صحته، ذلك أنّه لا يمكن أن نتصوّر أن يقول رجل في مستوى حكمة ابن أبي طالب رضي الله عنه وهو الذي تربى في مدرسة النبوّة: «ما لله آية أكبر مني ولا لله من نبأ أعظم مني»، الذي يذهب بعيدًا في تزكية النفس حتى وصل إلى مستوى فخريات عمرو بن كلثوم. وهو يتلو قوله تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ﴾[2]، وقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ﴾[3].

وتتفق كتب التفسير بالمأثور على أنّ النبأ العظيم هو يوم القيامة أو البعث بعد الموت، أمّا تأويل الآية على النحو الوارد في الكافي فلا يستقيم، وهو مجرد إلباس للحق بالباطل، وليّ لعنق النص القرآني لإخضاعه لنظريات البشر في الولاية.

6. تأويل الآيتين ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ﴾، ﴿ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ

(1) سورة النبأ، الآيتان: 17 ـ 18.
(2) سورة النجم، الآية: 32.
(3) سورة النساء، الآية: 49.

﴿تُكَذِّبُونَ﴾: أوّل أهلُ الرواية والتأويل «الفجار» في الآية السابعة من سورة المطففين: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ﴾، على أنّها تعني الذين فجروا في حق الأئمة. وكذلك أوّلوا «تكذبون» في الآية السابعة عشرة من نفس السورة: ﴿ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾، على أنّها تعني التكذيب بولاية علي رضي الله عنه؛ حيث أورد الكليني في الكافي حديثًا نسبه إلى محمد بن الفضيل قال فيه: «عن أبي الحسن الماضي، عليه السلام قال: سألته عن قول الله عزَّ وجلّ: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾ إلى أن يقول: قلت: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ﴾» قال: هم الذين فجروا في حق الأئمة واعتدوا عليهم، قلت: ثم يقال: ﴿هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾؟ قال: يعني أمير المؤمنين، قلت: تنزيل؟ قال: نعم». رواه الكليني، الكافي، باب فيه نكت ونتف من التنزيل.

والتأويل خاطئ، ذلك أنّ الفجار هم الذين لم يلتزموا بأوامر الله ونواهيه كالمطففين في هذه الآية، والمكذّبون هم الذين كذّبوا بالرسل عليهم السلام وما أنزل عليهم من كتاب، وقالوا عن التنزيل إنّه أساطير الأولين: ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾. أمّا تأويل الآيات على النحو الوارد في الحديث فلا يستقيم، وهو مجرد إلباس للحق بالباطل، وليّ لعنق النص القرآني لإخضاعه لنظريات البشر في الولاية.

وتتفق جلّ الروايات التي أوردها المفسرون بالمأثور على أنّ دلالة الفجار في الآية ﴿إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ﴾ هي جمع فاجر. والفاجر هو الذي يميل عن الحق ويرتكب المعاصي، وأنّ دلالة التكذيب في الآية ﴿ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾ تنصرف إلى المكذّبين بيوم الدين.

7. تأويل الآية ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾: أوّل أهلُ الرواية والتأويل «الشاهد والمشهود» في الآية الثالثة من سورة البروج: ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾، على أنّهما النبيّ محمد صلى الله عليه وسلم، وعلي رضي الله عنه؛ حيث أورد الكليني في الكافي حديثًا نسبه إلى عبد الرحمن بن كثير قال فيه: «عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾ قال: النبي صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام». رواه الكليني، الكافي، باب فيه نكت ونتف من التنزيل.

والتأويل خاطئ، ذلك أنّه مجرد اتباع لما تشابه من القرآن، فالشاهد والمشهود وصفان يتسعان لمعانٍ عديدة، وهو ما دعا للاختلاف في تفسيرهما، غير أنّ أرجح الدلالات لهما أن ينصرف الشاهد إلى كل من شهد يوم القيامة، والمشهود إلى يوم القيامة، ذلك أنّ تأويلهما على هذا النحو ينسجم والآية السابقة للآية.

أمّا تأويلهما على النحو الذي أورده الكليني على أنّهما ينصرفان إلى النبي ﷺ، وعلي رضي الله عنه، فلا يستقيم، وهو مجرد إلباس للحق بالباطل، وليّ لعنق الآية لإخضاعها لنظريات البشر في الولاية.

وعلى الرغم من عدم اتفاق الروايات التي أوردها جلّ المفسرين بالمأثور على دلالة الشاهد والمشهود، غير أنّها لم تذهب إلى ما ذهب إليه الحديث الذي أورده الكليني في تأويلهما.

8. **تأويل آية** ﴿وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا﴾: أوّل أهلُ الرواية والتأويل الآية الثالثة من سورة الزلزلة: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿1﴾ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿2﴾ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا﴾، على أنّها تعني علي بن أبي طالب رضي الله عنه فهو المقصود بالإنسان! وهو الذي سيقول يوم أن تُزلزل الأرض ما لها؟! حيث أورد الكاشاني في تفسيره الصافي: «في الخرائج عن الباقر عليه السلام أنّه قرئت هذه السورة عند أمير المؤمنين عليه السلام فقال: أنا الإنسانُ وإياي تحدّث أخبارها. وروى الكاشاني روايتين عن حدوث زلزلتين إحداهما في المدينة والأخرى في البصرة فزع الناس في الأولى إلى أبي بكر وعمر وفزعا بدورهما إلى علي رضي الله عنهم جميعًا، فحرك علي شفتيه ثم ضرب بيده الأرض وقال لها اسكني ما لك، فسكنت، ولما عجبوا من صنيعه قال لهم: أنا المقصود بقوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا﴾ في سورة الزلزلة. والثانية في البصرة وكرّر علي ما فعله وقاله في المرة الأولى وكذلك وقع من الأرض ما وقع من إذعان في الأولى وأضاف: أمّا لو كانت الزلزلة التي ذكرها الله عزّ وجلّ في كتابه العزيز لأجابتني ولكنها ليست بتلك».

والتأويل خاطئ، ذلك أنّه لا يمكن اختزال الناس في علي رضي الله عنه، ولو أراد تعالى بذلك عليًا لنص عليه نصًا ظاهرًا، أو أشار إليه بصفة تدل عليه، أو

أشار إليه في الحدّ الأدنى بصيغة المفرد لا الجمع، ثم إنّ سياق الآيات في السورة يستدعي أن يُطرح السؤال ما لها؟ من كل إنسان عاصر ذلك الحدث العظيم. أمّا ما رواه الكاشاني عن الزلزالين وفزع الناس إلى أبي بكر وعلي ﵄ فمن الأرجح أن يكون من وضع القصاصين المريدين لعلي ﵁، كما لم تسجل كتب التاريخ وقوع زلازل في الجزيرة العربية في القرن الأول الهجري. ومن هناك فالتأويل لا يستقيم ويندرج ضمن إلباس الحق بالباطل، وذلك بتقييده للمطلق وتخصيصه للعام في الآية ودون بيّنة، فدلالة الإنسان في الآية تشمل كافة النّاس الذين سيحضرون زلزلة الساعة، وأولئك جميعًا سيقولون ما لها ؟ بكافة جوارحهم حتى قبل أن تنطلق ألسنتهم بها من هول ما يرون، ولن يكون القائل شخصًا منهم دون الآخرين.

خاتمة المبحث:

جدول التحريف رقم (1 ـ 2 ـ ج):

التأويلات المتعلقة باختزال يوم القيامة والوعيد به في علي ﵁:

الكَلِم	الدلالة المحرّفة	الدلالة الأصلية
﴿قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾	ما تقولون في علي أحق هو؟ قل إي وربّي إنّه لحق وما أنتم بمعجزين.	قل للذين يتشككون في الوعد أو في الوعيد قل لهم وربي إنّه لحق وما أنتم بمعجزين.
﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ① لِّلْكَٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ﴾	سأل مكذب بولاية علي أن تنزل عليه حجارة من السماء فنزلت عليه فقتلته.	سأل سائل بعذاب جهنم، وهو واقع بالكافرين لا دافع له عنهم.
﴿وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾	ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون في ولاية علي.	جعلنا عدة أصحاب النار تسعة عشر وجعلناهم ملائكة حتى لا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون في التنزيل.
﴿وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ﴾	وما ولاية علي إلّا ذكرى للبشر.	وما المثل أو الآية المتعلقة بأصحاب النار إلّا ذكرى للبشر.

﴿إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ﴾	إنّ ولاية علي لإحدى الكبر.	إنّ النار لإحدى الكبر.
﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾	فلما رأوا الذين كفروا بالولاية عليًّا سيئت وجوههم.	فلما رأى الذين كفروا العذاب يقترب سيئت وجوه الذين كفروا.
﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ﴾	عمّ يتساءلون؟ عن ولاية علي وما من نبإ أعظم منه.	عمّ يتساءلون عن النبإ العظيم الذي هو يوم الفصل أو يوم الدّين.
﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَـٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ﴾	كلا إنّ كتاب الذين فجروا في حق الأئمة لفي سجين.	كلا إنّ كتاب الذين يميلون عن الحق ويخسِرون الوزن لفي سجين.
﴿ثُمَّ يُقَالُ هَـٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾	ثم يقال هذا أمير المؤمنين الذي كنتم به تكذبون.	ثم يقال هذا يوم الدّين الذي كنتم به تكذبون.
﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾	يقسم الله تعالى بالنبيّ ﷺ وعلي عليه السلام.	يقسم الله تعالى بالشاهد والمشهود دون أن يحدّدهما لنا غير أنّ الأرجح أن ينصرف المشهود إلى يوم القيامة والشاهد إلى كل من شهده.
﴿وَقَالَ ٱلْإِنسَـٰنُ مَا لَهَا﴾	وقال عليّ: ما لها؟	وقال كل من شهد زلزلة الساعة من النّاس: ما لها؟

التعليق:

خلط المتأوّلون من مدرسة الرواية والتأويل متعمدين بين الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله، وبين الاعتقاد في نظرية الولاية على نحو عام، وولاية علي رضي الله عنه على نحو خاص. ومن هناك اعتبروا كل وعد إلهي بالثواب يستند إلى الاعتقاد في نظرية الولاية، وكل وعيد بعقاب يستند إلى إنكار نظرية الولاية، وإنكار ولاية علي رضي الله عنه في أمها وقطب رحاها. وعلى ضوء ذلك اختزلت التأويلات المتعلقة بالآيات التي تناولناها آنفًا، يوم القيامة والوعيد به في علي رضي الله عنه؛ فاختزلت ﴿قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ﴾، ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾، و﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾، و﴿وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ﴾، و﴿إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ﴾، و﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً﴾، و«النبأ العظيم»، و«المشهود»، وكذلك ﴿وَقَالَ ٱلْإِنسَـٰنُ مَا لَهَا﴾، اختزلت

في علي رضي الله عنه، وهو ما لا يستقيم ولا يقبله صاحب الفطرة السليمة. حيث طُوّعت تلك الآيات التي تتحدث عن يوم القيامة وعذابه والوعيد به، لنظرية ولاية علي رضي الله عنه، بطريقة ليّ عنق النص القرآني، وعلى نحو يشبه القول بأنّ النملةَ جملٌ، وهو، ورب الكعبة، لظلم عظيم للنفس، وافتراء على الله تعالى، وعلى علي نفسه رضى الله عنه وأرضاه، وعلى ذريته رضي الله عنهم، وعلى المسلمين عامة. وسيسأل الله تعالى، في تقديري، هؤلاء المفترين يوم القيامة عما دفعهم إلى هذا الافتراء، وقد يسألهم علي وذريته رضي الله عنهم أنفسهم يومئذٍ عنه.

ح. التأويلات المتعلقة باختزال الذكر في علي رضي الله عنه

1. تأويل آية ﴿مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ﴾: أوّل أهلُ الرواية والتأويل «الآيات المحكمات» في الآية السابعة من سورة آل عمران: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ﴾، على أنّها تعني عليًّا رضي الله عنه، والمتشابهات تعني غيره فلان وفلان، والمقصود غيره من الخلفاء؛ حيث أورد الكليني في الكافي حديثًا نسبه إلى عبد الرحمن بن كثير قال فيه: «عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ قال أمير المؤمنين عليه السلام والأئمة ﴿وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ﴾ قال: فلان وفلان ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ﴾ أصحابهم وأهل ولايتهم ﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ﴾ أمير المؤمنين عليه السلام والأئمة عليهم السلام». رواه الكليني، الكافي، باب فيه نكت ونتف من التنزيل.

والتأويل خاطئ، ذلك أنّ الآية تتحدث عن آيات القرآن، حيث بعضها محكم أي واضح الدلالة، وبعضها متشابه أي غير واضح الدلالة، ذلك أنّها يمكن أن تكون متعلقة بأمر من أمور المسلمين اللاحقين لزمن النبوّة، وهو ما عبّر عنه حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه بخبر ما بعدكم. والضمير في قوله تعالى ﴿وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ﴾ ينصرف إلى القرآن ولا يمكن تصور أن تنصرف دلالته إلى علي رضي الله عنه: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ

عِندِ رَبِّنَا﴾[1]. أمّا القول إنّ آيات القرآن المحكمة تعني علي ﵁ فقول شديد الغرابة، ويبيّن لنا إلى أي مدى بلغ عدم التورع عن الكذب على الله تعالى وعلى النّاس، وإلى أي مدى بلغ إلباس الحق بالباطل وليّ عنق النص القرآني ليخدم نظريات البشر. وعلى الرغم من أنّ فريقًا من اتباع مدرسة أهل الحديث والنسخ قد مارس الكذب على رسول الله ﷺ، واعتبرت المدرسة بأن كذب مبطليهم هو وحيٌ يوحى، فجعلوا من كذبهم على النبي ﷺ، كذبًا على الله تعالى أيضًا، إلّا أنهم امتازوا عن أهل الرواية والتأويل بأنّ بعضًا منهم عكف على تدقيق الروايات، وجمعوا ما رأوا أنّه يصمد أمام النقد في مدونات سموها الصحاح، غير أنّ عملهم اقتصر على استبعاد الروايات الجلية الكذب. وهو ما يثير في الباحث تساؤلات تتعلق بمدى صدق نوايا الذين عكفوا على تدقيق تلك الروايات المنسوبة لرسول الله ﷺ في عصرهم، وهو ما يضعهم في إحدى خانتين: الأولى التواطؤ مع المفترين والاقتصار على استبعاد الأكاذيب التي لا تصمد أمام النقد والمحاكمة، وعندها يكون عملهم أشبه ما يكون باجتماع شهود الزور لتدقيق شهاداتهم للتأكد من أنها قابلة للتصديق من قبل هيئة المحكمة.

والثانية الغفلة، وضعف المنهجية، وضعف المعايير المستخدمة لتدقيق الروايات، واستنادها إلى العصبية المذهبية، فما يعزّز معتقدات المدرسة ونظرياتها أبقى عليه، وإن كان متنه مكذوبًا أو كان رواته مجروحين، واستبعد أولئك المدققون بالدرجة الأولى ما يخدم الفرق الأخرى التي أسموها بأهل البدع والضلالة، وإن كانت تتوافر لها المعايير التي وضعوها لشروط صحة الرواية. وحين نرجح الرأي الأول لا يتجاوز الجهد الذي بذله البخاري ومسلم، وغيرهما من الذين جمعوا الأحاديث في مدونات أسموها الصحاح، استبعاد الأحاديث التي لا تصمد أمام النقد لتقوية موقف أهل الحديث والنسخ أمام منتقديهم.

وبذلك يكون الفرق بين مرويات مدرسة أهل الرواية والتأويل، ومرويات

---

(1) سورة آل عمران، الآية: 7.

مدرسة أهل الحديث والنسخ، يكمن في احتواء مرويات المدرسة الأولى على إفك غير متقن وغير مدقق، واحتواء مرويات المدرسة الثانية على إفك متقن ومدقق، من خلال مدونات الحديث التي سُمِّيت بالصحاح واستبعدت فيها مرويات الحرب الإعلامية المصاحبة لحروب الفتنة الكبرى. وما يرجح هذا الأحتمال، أنّ البخاري على سبيل المثال لا الحصر استبعد الأحاديث التي تخدم الخصوم على نحو عام والتي تخدم أهل الرواية والتأويل ونظرية الإمامة على نحو خاص، حتى وإن اتفقت مع شرطه لقبول الحديث، وهي التي جمع بعضها الحاكم النيسابوري فيما بعد، في المستدرك على الصحيحين، ولو كان الغرض جمع ما صحّ من الحديث فحسب دون أن يخدم مدرسة معينة، لما استُبعدت تلك الأحاديث. والتعصب المبالغ فيه لصحيح البخاري من قبل المتعصبين لأهل الحديث والنسخ كان وراءه دافعان: الأول خلوّه من الإفك غير المتقن، والمتمثل في الروايات الكاذبة التي لا تصمد أمام النقد، حيث أبقى البخاري فقط على الأحاديث الظاهرة الصدق والقادرة على الصمود أمام النقد، والثاني استبعاده للأحاديث التي تخدم الخصوم المذهبيين وإن كانت على شرطه، فلا مجال لتوظيف أحاديثه من قبل الخصوم، ومن هنا اعتبره المتعصبون لأهل الحديث والنسخ أصحّ كتاب بعد كتاب الله!

ومجرد مقارنة كتاب من وضع البشر بكتاب الله تعالى، حتى لو صنفناه في المرتبة الثانية بعد كتاب الله تعالى يدخلنا في دائرة الشرك، حيث يقول الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾[1]، كما يقول أيضًا: ﴿ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾[2]، وهذا الجهد الذي بذله كتبة الصحاح منح أهل الحديث والنسخ بعض القوة والمصداقية، بينما شكّل غياب جهد مواز من قبل أتباع مدرسة الرواية والتأويل، عامل ضعف لمروياتهم عن أئمتهم وهو ما جعل أحاديثهم كحاطب ليل لا تصمد أمام النقد والمحاكمة.

وتتفق الروايات التي أوردها المفسرون بالمأثور على أنّ دلالة الآيات

(1) سورة الأنعام، الآية: 150.
(2) سورة الأنعام، الآية: 1.

المحكمات تنصرف إلى وضوح دلالتها ومن ثم المعتمد عليها في الأحكام بينما تنصرف دلالة المتشابهات إلى تلك التي لا تفهم معانيها كأوائل السور وغيرها.

2. تأويل آية ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم﴾: أوّل أهلُ الرواية والتأويل «ما الموصولية» في الآية السابعة والأربعين من سورة النساء: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَٰبَ ٱلسَّبْتِ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا﴾ على أنّها تنصرف إلى ما أنزل الله تعالى في ولاية علي رضي الله عنه؛ حيث أورد الكليني في الكافي حديثًا نسبه إلى منخل قال فيه: «عن أبي عبدالله عليه السلام قال: نزل جبرائيل عليه السلام على محمد صلى الله عليه وآله بهذه الآية هكذا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلْنَا **(في عليّ)** نُورًا مُّبِينًا﴾. رواه الكليني، الكافي، باب فيه نكت ونتف من التنزيل.

والتأويل خاطئ، ذلك أنّ ما أنزله الله تعالى على محمد ﷺ هو القرآن، والذي لا يمكن اختزاله في الولاية، التي لم ينزل بشأنها شيء في القرآن أصلًا، والتنزيل وأفعال التنزيل أينما وردت في القرآن دون تحديد للمفعول تنصرف إلى القرآن الكريم. ومن ثم فالتأويل الوارد في الحديث لا يستقيم، ولا يتجاوز كونه إلباسًا للحق بالباطل، وإخضاعًا لآيات الله تعالى لنظريات البشر في الولاية.

وتتفق الروايات التي أوردها المفسرون بالمأثور على أنّ ما أنزلنا في الآية تنصرف إلى القرآن.

3. تأويل آية ﴿ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ﴾: أوّل أهلُ الرواية والتأويل «اسم الإشارة» في الآية الخامسة عشرة من سورة يونس: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ ۙ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ ۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾، على أنه يعود على علي رضي الله عنه؛ حيث أورد الكليني في الكافي حديثًا نسبه إلى المفضل بن عمر قال فيه: «سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله تعالى: ﴿ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ﴾ قال: قالوا: أو بدل عليًا عليه السلام». رواه الكليني، الكافي، باب فيه نكت ونتف من التنزيل.

والتأويل خاطئ، ذلك أنّ الذين قالوا ائت بقرآن غير هذا أو بدله هم مشركو قريش. أمّا القول إنّ القرآن هو علي ﵁! وقوله تعالى ﴿ٱئۡتِ بِقُرۡءَانٍ غَيۡرِ هَٰذَآ أَوۡ بَدِّلۡهُۚ﴾ يعني بدل عليًا! فلا يستقيم ولا يُسلم به إلّا من أُفسدت فطرته وعاش في بيئة اعتادت على الكذب على الله ورسوله ﷺ. ولا يوجد في الآية ولا في الآيات السابقة أو اللاحقة لها ما يشير إليه ثانيًا. ومن هناك فهو أمر لا يستند على أي أساس منطقي، ذلك أنّ القرآن لم يقل بولاية علي ﵁، حتى يقول المسلمون ائت بقرآن غير هذا. وحتى لو سلّمنا جدلًا بأنّ القرآن نص على الولاية، فالمعترض على الولاية كان من الأرجح أن يقول: ائت بآية غير هذه وليس بقرآن غير هذا، ثم كيف بمن قبل بالتنزيل وآمن بأنّه من عند الله تعالى، وآمن برسوله ﷺ، أن يقول: ائت بقرآن غير هذا؟ وحتى لو سلّمنا بالرأي القائل بأنّ من يرفض خلافة علي ﵁ منافق كما يدعي أهل الرواية والتأويل، فالمنافق هو من يظهر الإسلام ويخفي الكفر لمصلحة ما كالطمع أو الخوف، والذي يفعل ذلك لا يستطيع أن يرفض القرآن علانية، وأن يقول ائت بقرآن غير هذا، ذلك أنّ مثل هذا القول يفضح نفاقه ويخرجه من دائرة الإسلام، الذي لديه مصلحة في التظاهر بالانتماء إليه. ولذلك فهذا التأويل لا يعدو كونه إلباسًا للحق بالباطل، وليًّا لعنق النص القرآني لإخضاعه لنظريات البشر في الولاية.

وتتفق جلّ الروايات التي أوردها المفسرون بالمأثور على أنّ اسم الإشارة في الآية ينصرف إلى القرآن، الذي قال مشركو قريش لرسول الله ﷺ: ائت بغيره أو بدله.

4. تأويل الآيتين ﴿وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٖ فَأَبَىٰٓ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورٗا﴾، ﴿وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ﴾: أوّل أهلُ الرواية والتأويل «فأبى أكثر الناس» في الآية التاسعة والثمانين من سورة الإسراء: ﴿وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٖ فَأَبَىٰٓ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورٗا﴾، على أنّها تعني إنكار ولاية علي وذريته ﵃، وكذلك أوّلوا الحق من ربكم في الآية التاسعة والعشرين من سورة الكهف: ﴿وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَاۚ﴾، على أنّها

تعني ولاية علي وبعض من ذريته ﵃؛ حيث أورد الكليني في الكافي حديثًا نسبه إلى أبي حمزة قال فيه: «عن أبي جعفر ﵇ قال: نزل جبرائيل بهذه الآية هكذا: ﴿فَأَبَىٰٓ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ (بولاية عليّ) إِلَّا كُفُورٗا﴾ قال: ونزل جبرائيل ﵇ بهذه الآية هكذا: ﴿وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ (في ولاية عليّ) فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ (آل محمد) نَارًا﴾. رواه الكليني، الكافي، باب فيه نكت ونتف من التنزيل».

وتأويل الآيتين خاطئ، ذلك أنّ الآية الأولى وردت في سياق إنكار كفار قريش لما أنزل على محمد ﷺ، وتبدأ هذه الآيات بالآية: ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَسۡتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ لِيُخۡرِجُوكَ مِنۡهَاۖ وَإِذٗا لَّا يَلۡبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾[1]، كما أن الآية التالية لها تقول: ﴿وَقَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفۡجُرَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَرۡضِ يَنۢبُوعًا﴾[2]، كما أنّ ﴿ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ﴾ في الآية الثانية تنصرف دلالته للقرآن حيث يقول تعالى في الآية السابعة والعشرين من نفس السورة: ﴿وَٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلۡتَحَدٗا﴾، كما أنّها جاءت في سياق نهي النبي ﷺ عن التفكير في تجاوز الذين يدعون ربهم بالغداة والعشيّ، من أجل الذين غفلت قلوبهم عن ذكر الله تعالى، واتبعوا أهواءهم وكان أمرهم فرطًا من كفار قريش، الذين تتحدث الروايات أنّهم طلبوا من النبي ﷺ، أن يبعد فقراء المسلمين عنه حين يجالسونه. ثم عطف الله عليها: ﴿وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَاۚ﴾، بما يعني أنّ الله تعالى غني عن العالمين وغني عن إيمانهم. ووردت الظالمين بعد ﴿وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ﴾ بما يدل على أنّ دلالتها تنصرف للكافرين. أمّا تأويل الحق على أنّه ولاية علي ﵁ فلا يستقيم، ذلك أنّ الحق في القرآن ينصرف إلى إحدى دلالتين: دلالة قيمية أخلاقية تنصرف إلى إصدار حكم قيمي على أمر ما أو فعل ما على أنّه حق أم باطل، ومن هناك فالحق بهذه الدلالة عكس الباطل. ودلالة دينية تنصرف إلى الإسلام أو التنزيل.

وتتفق جلّ الروايات التي أوردها المفسرون بالمأثور على أنّ دلالة

---

(1) سورة الإسراء، الآية: 76.

(2) سورة الإسراء، الآية: 90.

الآيتين تنصرفان إلى أنّ الله تعالى قد بيّن للناس في هذا القرآن من كلّ مثل، تذكيرًا لهم ليتبعوا ما أنزله على رسوله ﷺ فأبى أكثر الناس إلّا جحودًا وإنكارًا للحق.

5. **تأويل الآيات** ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ﴾، ﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿125﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾: أوّل أهلُ الرواية والتأويل «ذكري» في الآية الرابعة والعشرين بعد المئة من سورة طه: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ﴾، على أنّها تعني ولاية علي رضي الله عنه. وكذلك أوّلوا «آياتنا» في نفس الآية: ﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿125﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾، على أنّها تعني الأئمة فينسى في النار من تركهم أو نسيهم. وكذلك أوّلوا الآية الخامسة والعشرين بعد المئة من نفس السورة: ﴿وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ﴾، على أنّها تعني حشر المكذّب بولاية علي رضي الله عنه أعمى البصر في الآخرة، وأعمى القلب في الدنيا عن الولاية؛ حيث أورد الكليني في الكافي حديثًا نسبه إلى أبي بصير قال فيه: «عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عزّ وجل: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ قال: يعني به ولاية أمير المؤمنين عليه السلام، قلت: ﴿وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ﴾؟ قال: يعني أعمى البصر في الآخرة أعمى القلب في الدنيا عن ولاية أمير المؤمنين عليه السلام، قال: وهو متحير في القيامة يقول: ﴿لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا﴾ ﴿قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا﴾ قال: الآيات الأئمة عليهم السلام ﴿فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾ يعني تركتها وكذلك اليوم تترك في النار كما تركت الأئمة عليهم السلام، فلم تطع أمرهم ولم تسمع قولهم، ..». رواه الكليني، الكافي، باب فيه نكت ونتف من التنزيل.

والتأويل خاطئ، ذلك أنّ الذّكر حين يرد معرفًا بأل في القرآن ينصرف إلى إحدى دلالتين: الأولى القرآن، والثانية ذكر الله بالتعظيم والتسبيح، ثم إنّ ذكري جاءت ملحقة بياء المتكلم وهو الله تعالى وهو ما يجعلها تنصرف إلى الدلالة الثانية. وتنصرف «أعمى» إلى فقدان المكذب بآيات الله تعالى لبصره في الآخرة، وآيات الله تنصرف إلى إحدى ثلاث دلالات: الأولى آيات الذكر

الحكيم، والثانية آيات الله في كونه وسننه في خلقه، والثالثة معجزاته تعالى التي زود بها رسله عليهم السلام. أمّا تأويل الآيات على أنّها الأئمة رضي الله عنهم فلا يستقيم، ولا يتجاوز كونه إلباسًا للحق بالباطل، وليًّا لعنق النص القرآني لإخضاعه لنظريات البشر في الولاية.

وتتفق جلّ الروايات التي أوردها المفسرون بالمأثور على أنّ دلالة ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي﴾ أي: خالف أمري وخالف ما أنزلته على رسولي، واختلفوا في دلالة ﴿وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾ حيث قال البعض بأنّه لا حجة له، وقال غيرهم: عُمّيَ عليه كل شيء إلّا جهنم، وقال آخرون بأنّ المراد به أن يُحشر إلى جهنم أعمى البصر والبصيرة. وكذلك دلالة قوله: ﴿رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا﴾ أي كان بصيرًا في الدنيا، ودلالة: ﴿قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَـٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾، تنصرف إلى أنك أعرضت عن آيات الله وتناسيتها، فكذلك اليوم تنسى.

6. **تأويل آية ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ﴾**: أوّل أهلُ الرواية والتأويل «أعظكم بواحدة» في الآية السادسة والأربعين من سورة سبأ: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟ ۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾: على أنّها تعني أعظكم بولاية علي رضي الله عنه؛ حيث أورد الكليني في الكافي حديثًا نسبه إلى أبي حمزة قال فيه: «سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ﴾ فقال: إنّما أعظكم بولاية علي عليه السلام هي الواحدة التي قال الله تبارك وتعالى ﴿إِنَّمَآ أَعِظُكُم﴾. رواه الكليني، الكافي، باب فيه نكت ونتف من التنزيل.

والتأويل خاطئ، ذلك أنّ العظة في الآية تتعلق بتوحيد الله تعالى والاستقامة على أمره، وهو ما ينصرف إليه دلالة قوله تعالى: ﴿أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ﴾ والتي تدعو مشركي قريش إلى توحيد الله تعالى وطاعته، وقوله: ﴿مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ﴾ تدعوهم إلى التوقف عن نعت نبيه ﷺ بالجنون، فما هو سوى نذير لهم بين يدي عذاب شديد. أمّا القول إنّ العظة هي ولاية علي رضي الله عنه فلا يستقيم، ولا يوجد في الآية ولا في الآيات السابقة واللاحقة

لها ما يدل عليه. ثم إنّ العظة في القرآن لا تنصرف للرجال، حتى لو كانوا أنبياء بل تنصرف إلى الإيمان والتوحيد أو إلى الوعد والوعيد. ومن ثم فالتأويل الذي أورده الكليني لا يتجاوز كونه إلباسًا للحق بالباطل، وإخضاعًا لآيات الله لنظريات البشر في الولاية.

وتتفق جلّ الروايات التي أوردها المفسرون بالمأثور، على أنّ العظة في الآية تنصرف إلى توحيد الله تعالى وطاعته، والخشية من اليوم الآخر.

7. تأويل آية ﴿فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾: أوّل أهلُ الرواية والتأويل الآية الثالثة والأربعين من سورة الزخرف: ﴿فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾، على أنّها تأمر النبيّ ﷺ بالتمسك بولاية علي رضي الله عنه؛ حيث أورد الكليني في الكافي حديثًا نسبه إلى الثمالي قال فيه: «عن أبي جعفر عليه السلام قال: أوحى الله إلى نبيه صلى الله عليه وآله ﴿فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ قال: «إنك على ولاية علي وعلي هو الصراط المستقيم». رواه الكليني، الكافي، باب فيه نكت ونتف من التنزيل.

والتأويل خاطئ، ذلك أنّه لا يمكن لصاحب الفطرة السليمة أن يختزل الوحي الذي أوحي إلى محمد ﷺ، والصراط المستقيم في ولاية علي رضي الله عنه. ثم إنّ الآيتين اللاحقتين للآية المذكورة تفصحان عن المقصود بالذي أوحي إليك في الآية، فقوله تعالى في الآية الخامسة والأربعين من نفس السورة: ﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ﴾ يدل دلالة واضحة على أنّ الذي تدعو الآية للتمسك به هو توحيد الله تعالى وإفراده بالربوبية: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿44﴾ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ﴾، ومن هناك فتأويل الآية على النحو الوارد في الحديث، لا يتجاوز كونه إلباسًا للحق بالباطل، وليًّا لعنق النص القرآني لإخضاعه لنظريات البشر في الولاية.

وتتفق الروايات التي أوردها المفسرون بالمأثور على أنّ الآية تدعو للتمسك بالإسلام الذي هو الصراط المستقيم.

8. تأويل الآيات ﴿أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾، ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿40﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿41﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿42﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿43﴾ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿44﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿45﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿46﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴿47﴾ وَإِنَّهُۥ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿48﴾ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ﴿49﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَسْرَةٌ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿50﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿51﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾: أوّل أهلُ الرواية والتأويل «الصراط المستقيم» في الآية الثانية والعشرين من سورة الملك: ﴿أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾، على أنّه ينصرف إلى الاهتداء لولاية علي رضي الله عنه، وأنّ الذي يمشي مكبًّا على وجهه هو من حاد عن ولايته رضي الله عنه. كذلك أوّلوا «قول رسول كريم» في الآيات (40 ـ 52) من سورة الحاقة: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿40﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿41﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿42﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿43﴾﴾ ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿44﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿45﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿46﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴿47﴾ وَإِنَّهُۥ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿48﴾ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ﴿49﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَسْرَةٌ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿50﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿51﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾، على أنّه القول في ولاية علي رضي الله عنه، وأنّ ولايته «تنزيل من ربّ العالمين»، وأنّ ولاية علي «تذكرة للمتقين»، وأنّ علي «حسرةٌ على الكافرين»، وأنّ ولايته «لحق اليقين»، «فسبح (يا محمد) باسم ربك العظيم» الذي أُعطاك هذا الفضل! حيث أورد الكليني في الكافي حديثًا نسبه إلى محمد بن الفضيل قال فيه: «عن أبي الحسن الماضي، عليه السلام قال: سألته عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾ إلى أن يقول: قال: قلت: «أفمن يمشي مكبًّا على وجهه أهدى أمن يمشي سويًّا على صراط مستقيم» قال: إنّ الله ضرب [مثلًا] من حاد عن ولاية علي كمن يمشي على وجهه لا يهتدي لأمره وجعل من تبعه سويًّا على صراط مستقيم، والصراط المستقيم أمير المؤمنين عليه السلام. قال: قلت: قوله: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾؟ قال: يعني جبرائيل عن الله في ولاية علي عليه السلام، قال: قلت: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ﴾؟ قال: قالوا: إنّ محمدًا [كذب] على ربه وما أمره الله بهذا في علي، فأنزل الله

بذلك قرآنًا فقال: ﴿(إنّ ولاية عليّ) تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿43﴾ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا (محمد) بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿44﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿45﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ﴾ ثم عطف القول فقال: ﴿وَإِنَّهُۥ (ولاية عليّ) لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ (للعالمين) ﴿48﴾ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ﴿49﴾ وَإِنَّهُۥ (عليًّا) لَحَسْرَةٌ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿50﴾ وَإِنَّهُۥ (ولايته) لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿51﴾ فَسَبِّحْ (يا محمد) بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾ يقول اشكر ربك العظيم الذي أعطاك هذا الفضل»، رواه الكليني، الكافي، باب فيه نكت ونتف من التنزيل.

والتأويل خاطئ، ذلك أنّ المثل الذي ضربه تعالى في الآية: ﴿أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ ينصرف إلى المقارنة بين الذين كفروا بما أنزل على رسول الله ﷺ وأنكروه، وبين المسلمين الذين يمشون سويًّا على صراط مستقيم، وكذلك تتحدث الآيات من سورة الحاقة عن التنزيل أي القرآن، على أنّه قول رسول كريم، وأنّه ليس بقول شاعر، وأنّ النبيّ ﷺ لم يتقوله، وأنّه حسرة على الكافرين وأنّه لحق اليقين. أمّا الإضافات بين القوسين فهي مجرد افتراءات على الله تعالى، تصل إلى حدّ دعوة النبيّ ﷺ لأن يشكر فضل ربه في اختيار علي رضي الله عنه وصيًّا له! ولا أحد يمكن أن يدرك ما الفضل الذي يلحق النبيّ ﷺ في ذلك الاختيار المزعوم! ومن هناك فالتأويل الذي أورده الكليني لا يتجاوز كونه إلباسًا للحق بالباطل، وليًّا لعنق النص القرآني أو لآيات الله لإخضاعها لنظريات البشر في الولاية.

ولم تتفق الروايات التي أوردها المفسرون بالمأثور على دلالة الذي يمشي مكبًا على وجهه، فاختلفوا، فمنهم من قال: هذا حال الكافر في الآخرة، وقال آخرون: بل هذا حال المؤمن والكافر في الدنيا؛ فالمؤمن يمشي على صراط مستقيم والكافر يمشي مكبًّا على وجهه، ومنهم من قال: هذا عام في حق جميع المؤمنين والكفار، ومنهم من قال: بل المراد منه أشخاص معينون، واختلفوا فيمن المراد بذلك فقيل المراد بمن يمشي مكبًا على وجهه أبو جهل، والمراد بمن يمشي سويًّا النبيّ عليه الصلاة والسلام، وقيل المراد أبو جهل وحمزة بن عبد المطلب، وقيل بل هو أبو جهل وعمار بن ياسر. وهذا التقييد لدلالة الآية تكلّف لا طائل من ورائه، وهو مجرد رجم بالغيب، والدافع

إليه يكمن في المساجلات بين الفرق، فكلما ادعى أهل الرواية والتأويل بأنّ آية ما تنصرف إلى علي رضي الله عنه أو إلى شيعته انبرى نفر من أهل الحديث والنسخ لاستحداث تأويل يستبعد ذلك ويصرف دلالة الآية إلى غيره من الصحابة دونما بيّنة أو سلطان. كما اتفقت تلك الروايات على أنّ دلالة: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ تنصرف إلى القرآن.

9. **تأويل آية** ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ﴾: أوّل أهلُ الرواية والتأويل الآية السابعة من سورة الشرح: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ﴾، على أنّها تنصرف إلى أمره تعالى للنبيّ ﷺ بتولية علي إمامًا وخليفة من بعده؛ حيث أورد الكاشاني في تفسيره الصافي في معرض تفسيره للآية قوله: «وفي الكافي عنه عليه السلام في حديث قال يقول فإذا فرغت فانصب علمك وأعلن وصيّك فاعلمهم فضله علانية فقال: «من كنت مولاه فعليّ مولاه» الحديث قال: وذلك حين أعلم بموته ونعيت إليه نفسه، والقمّي إذا فرغت فانصب أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام والمستفاد من هذه الأخبار أنّه بكسر الصاد من النصب بالتسكين بمعنى الرّفع والوضع يعني فإذا فرغت من أمر تبليغ الرسالة وما يجب عليك إنهاؤه من الشرائع والأحكام فانصب علمك بفتح اللّام أي ارفع علم هدايتك للنّاس وضع من يقوم به خلافتك موضعك حتى يكون قائمًا مقامك من بعدك بتبليغ الأحكام وهداية الأنام لئلّا ينقطع خيط الهداية والرسالة بين الله وبين عباده، بل يكون ذلك مستمرًا بقيام أمام مقام إمام أبدًا إلى يوم القيامة».

والتأويل خاطئ، ذلك أنّ الصاد وردت منصوبة في «فانصب» ولم ترد مكسورة، ثم إنّه لو أراد الله تعالى من قوله «فانصب» تولية إمام أو خليفة لما تركها مبهمة ودون توضيح، ولأضاف إليها إمامًا أو خليفة، إن لم يعين الإمام بالاسم أو بالصفة الدالة عليه. ولو كان ذلك كذلك، لجمع النبيّ المسلمين وطلب منهم أخذ البيعة صراحة لعلي رضي الله عنه، ولما اكتفى بالقول: «من كنت مولاه فعلي مولاه» ذات الدلالات العديدة. ومن الواضح أنّ المتأوّلين أرادوا تطويع الآية لنظريات البشر في الولاية. ألا ساء ما يفعلون.

خاتمة المبحث:

جدول التحريف رقم (1 ـ 2 ـ ح):

التأويلات المتعلقة باختزال الذكر في علي رضي الله عنه:

الكَلِم	الدلالة المحرّفة	الدلالة الأصلية
﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾	هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات كعلي والأئمة، هن أم الكتاب وأخر متشابهات كأبي بكر وعمر وعثمان وغيرهم من الخلفاء.	هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات جليّة الدلالة، هن أم الكتاب، وأُخر غير واضحة الدلالة، يتّبعها الذين في قلوبهم زيغ.
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُوا۟ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم﴾	يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا في علي مصدقًا لما معكم.	يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزّلنا من القرآن مصدقًا لما معكم.
﴿ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ﴾	ائت بقرآن غير هذا أو بدل عليًا.	ائت بقرآن غير هذا أو بدله.
﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾	ولقد أنزلنا في القرآن ولاية علي فأبى أكثر الناس بولايته إلا كفورًا.	ولقد ضربنا للنّاس من كل مثل وأبى أكثر النّاس إلّا كفورًا.
﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾	وقل الحق من ربّكم في ولاية علي فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر إنّا اعتدنا للظالمين لآل علي نارًا.	وقل إنّ القرآن الذي أنزل عليّ هو الحق من ربّكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر.
﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾	ومن أعرض عن ولاية علي فإنّ له معيشة ضنكًا، ونحشره يوم القيامة أعمى.	ومن أعرض عن ذكر الله وآياته فإنّ له معيشة ضنكًا ونحشره يوم القيامة أعمى.
﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ﴾	قل إنّما أعظكم بولاية علي.	قل إنّما أعظكم أن تتفكروا فيما تنزل عليكم من علم مثنى «لتتبادلا الرأي» وفرادى «لتجادلوا أنفسكم» فما برسولكم من جنّة.

﴿فَٱسۡتَمۡسِكۡ بِٱلَّذِيٓ أُوحِيَ إِلَيۡكَۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾	فاستمسك بولاية علي إن علي هو الصراط المستقيم	فاستمسك بالقرآن الذي أوحي إليك إنّك على صراط مستقيم.
﴿أَفَمَن يَمۡشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجۡهِهِۦٓ أَهۡدَىٰٓ أَمَّن يَمۡشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾	إنّ الله ضرب مثلًا من حاد عن ولاية علي كمن يمشي على وجهه وجعل من تبعه سويًّا على صراط مستقيم.	إنّ الله ضرب مثلًا من حاد عن دين الله كمن يمشي مكبًّا على وجهه ومن يتبع دينه يمشي سويًّا على صراط مستقيم.
﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ (40) وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَاعِرٖۚ قَلِيلٗا مَّا تُؤۡمِنُونَ (41) وَلَا بِقَوۡلِ كَاهِنٖۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ (42) تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾	إنّه لقول جبرائيل في ولاية علي، وما ولاية علي بقول شاعر، ولا بقول كاهن، قليلًا ما تذكّرون، إنّها تنزيل من ربّ العالمين.	إنّ القرآن لقول رسول كريم، وما هو بقول شاعر، ولا بقول كاهن، قليلًا ما تذكّرون، إنّه تنزيل من رب العالمين.
﴿وَلَوۡ تَقَوَّلَ عَلَيۡنَا بَعۡضَ ٱلۡأَقَاوِيلِ (44) لَأَخَذۡنَا مِنۡهُ بِٱلۡيَمِينِ (45) ثُمَّ لَقَطَعۡنَا مِنۡهُ ٱلۡوَتِينَ﴾	ولو تقول علينا محمد بعض الأقاويل في ولاية علي لأخذنا منه باليمين، ثم لقطعنا منه الوتين.	ولو تقوّل علينا محمد بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين، ثم لقطعنا منه الوتين.
﴿وَإِنَّهُۥ لَتَذۡكِرَةٞ لِّلۡمُتَّقِينَ (48) وَإِنَّا لَنَعۡلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ (49) وَإِنَّهُۥ لَحَسۡرَةٌ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ (50) وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلۡيَقِينِ (51) فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ﴾	إنّ ولاية علي لتذكرة للعالمين وإنّا لنعلم أنّ منكم مكذبين، وإنّ عليًّا لحسرة على الكافرين، وإنّ ولايته لحق اليقين، فاشكر يا محمد ربك العظيم الذي أعطاك فضل تبليغ ولايته.	إنّ القرآن لتذكرة للمتقين، وإنّا لنعلم أنّ منكم مكذبين، وإنّ القرآن لحسرة على الكافرين، و إنّه لحق اليقين، فسبح يا محمد ربك العظيم.
﴿فَإِذَا فَرَغۡتَ فَٱنصَبۡ﴾	فإذا فرغت فانصب علي إمامًا وخليفة من بعدك.	فإذا فرغت من التكاليف فقم للصلاة نافلة لك.

التعليق:

ادعى المتأوّلون بأنّ نظرية الولاية تنزيل من عند الله تعالى، وأمعنوا في تصديق دعواهم، وبالغوا فيها حتى صرفوا دلالة التنزيل إلى الولاية، وولاية علي رضي الله عنه بالذات، فصرفوا دلالة «القرآن» و«الوحي» و«الحق» و«التنزيل» و«الصراط المستقيم» إلى ولاية علي رضي الله عنه. وعلى ضوء ذلك اختزلت الآيات المذكورة آنفًا التنزيل بمترادفاته المختلفة في ولاية علي رضي الله عنه؛ حيث اختزلت

«الآيات المحكمات» في ولاية علي و«الآيات المتشابهة» في ولاية غيره، وكذلك اختزل قوله تعالى: ﴿ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ﴾ و﴿ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ﴾، و﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ﴾، و﴿فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ﴾، و﴿إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾، و﴿أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾، و﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، و﴿لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾، و﴿لَحَسْرَةٌ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾، و﴿وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ﴾، اختزلت في الإيمان بولاية علي ﵁. وكذلك اختزلت دلالة قوله تعالى: ﴿فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾، و﴿أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا﴾، و﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى﴾، و﴿وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾، و﴿أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ﴾ في الكفر بولاية علي ﵁. وهذ الاختزال لا يستقيم، وإلّا ما كان بعث محمد ﷺ إلّا ليبلغنا بولاية علي ﵁!

خ. تأويل الآيات المتعلقة بالمنافقين وأهل الكتاب على أنّها نزلت في علي ﵁

1. **تأويل الآية** ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ﴾: أوّل أهل الرواية والتأويل «اوفوا بعهدي» في الآية الأربعين من سورة البقرة: ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ﴾، على أنّها تعني أوفوا بولاية علي ﵁؛ حيث أورد الكليني حديثًا نسبه إلى سماعة قال فيه: «عن أبي عبد الله ﵇ في قول الله عزّ وجلّ: «وأ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِىٓ﴾ قال: بولاية أمير المؤمنين ﵇». أوف بعهدكم أوف لكم بالجنة». رواه الكليني، الكافي، باب فيه نكت ونتف من التنزيل.

والتأويل خاطئ، ذلك أنّ الآية تخاطب بني إسرائيل، وأنّ عهد الله على الناس يعني إيمانهم به وطاعتهم إياه، وعهد الناس على الله أن يدخلهم الجنة حين يوفون بعهدهم له. أمّا القول إنّ عهد الله تعالى يعني ولاية علي ﵁ فلا يستقيم، وإن سلّمنا به وفق الصيغة التي أوردها الكليني فهو يغني عن التكاليف، ذلك أنّ اختزال العهد في التسليم بولاية علي ﵁، يجعل العبد موعودًا بالجنة وفقًا للحديث بمجرد تسليمه بولاية علي ﵁! ومن هناك فالتأويل أعلاه لا يتجاوز كونه إلباسًا للحق بالباطل، وليًّا لعنق النص القرآني لإخضاعه لنظريات البشر المتعلقة بالولاية.

وتتفق جلّ الروايات التي أوردها المفسرون بالمأثور، على أنّ الآية تخاطب بني إسرائيل، و«أن أوفوا بعهدي» تنصرف إلى العهد الذي عهده الله إليهم من الإيمان بمحمد ﷺ، و«أوف بعهدكم» تنصرف إلى العهد الذي عهده لهم من الثواب عليه بدخول الجنة. وهذا التأويل هو الآخر خاطئ، ذلك أنّ الآية تنصرف إلى نبذهم ما أنزل الله عليهم وراء ظهورهم، وليس إلى إعراضهم عن الإيمان بمحمد ﷺ، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْاْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾[1].

2. تأويل الآية ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا﴾: أوّل أهلُ الرواية والتأويل «ضمير الغائبين» في الآية السادسة والستين من سورة النساء: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ ٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ أَوِ ٱخْرُجُواْ مِن دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا﴾، على أنّها تعني ما يوعظون في علي رضي الله عنه؛ حيث أورد الكليني في الكافي حديثًا نسبه إلى جابر: «عن أبي جعفر عليه السلام قال هكذا نزلت هذه الآية ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ (في عليّ) لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾. رواه الكليني، الكافي، باب فيه نكت ونتف من التنزيل».

والتأويل خاطئ، ذلك أنّ الآية نزلت في المنافقين الذين يزعمون أنّهم آمنوا بما أنزل الله تعالى، ويريدون أن يتحاكموا للطاغوت ولا يريدون الاحتكام إلى الله تعالى ورسوله ﷺ، فيرد عليهم الله سبحانه وتعالى بأنّهم لو فعلوا ما يوعظون به لكان خيرًا لهم، والآيتان الحادية والستون والثالثة والستون توضحان صدّ المنافقين عما أنزل الله تعالى، وأمره تعالى لنبيه ﷺ أن يعرض عنهم ويعظهم، ويقول لهم في أنفسهم قولًا بليغًا: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا﴾، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾. والعظة في القرآن لا تنصرف إلى الرجال، بل تنصرف إلى الإيمان والتوحيد أو الوعد والوعيد. ومن هناك فحشر نظرية الولاية في دلالة الآية لا

---

(1) سورة آل عمران، الآية: 187.

يستقيم، ولا يتجاوز كونه إلباسًا للحق بالباطل وتحريفًا للكلم عن مواضعه، وليًّا لعنق الآية لإخضاعها لنظريات البشر في الولاية، ثم إنّ هذه الآية أسبق نزولًا من الآيات التي يستشهد بها أهل الرواية والتأويل في حجية نظرية الولاية: كآيات التبليغ وإكمال الدين والتطهير.

وتتفق جلّ الروايات التي أوردها المفسرون بالمأثور على أنّ دلالة الآية تنصرف إلى المنافقين، الذين يحتكمون للطاغوت. وإنهم لو فعلوا ما كانوا يوعظون به، أي ما يذّكرون به من طاعة الله تعالى والانتهاء إلى أمره لكان خيرًا لهم.

خاتمة المبحث:

جدول التحريف رقم (1 ـ 2 ـ خ):

تأويل الآيات المتعلقة بالمنافقين وأهل الكتاب والقول بأنّها نزلت في علي رضي الله عنه:

الكَلِم	الدلالة المحرّفة	الدلالة الأصلية
﴿وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ﴾	وأوفوا بولاية علي أوف لكم بالجنة.	يا بني إسرائيل أوفوا بعهدكم وميثاقكم معي، بالامتثال لأوامري والامتناع عما نهيتكم عنه في التوراة، أدخلكم الجنّة.
﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ وَأَشَدَّ تَثۡبِيتٗا﴾	ولو أنّهم فعلوا ما يوعظون به في علي لكان خيرًا لهم.	ولو أن المنافقين احتكموا لله والرسول لكان خيرًا لهم وأشدّ تثبيتًا.

التعليق:

لا يستطيع المرء أن يجد المبرر لكل هذا التطويع لآيات الذكر الحكيم لمشيئة البشر ونظرياتهم ومعتقداتهم، حتى أمسى المتأوّلون كحاطب ليل لا يدرون ما يحتطبون، فصارت على أيديهم الآيات التي تعظ أو تتوعد أهل الكتاب من اليهود والنصارى، أو تتوعد المنافقين، تعظ وتتوعد الذين أنكروا ولاية علي رضي الله عنه. وعلى ضوء ذلك اختُزلت الآيتان اللتان تناولتهما آنفًا في عظة

أو توعد المنكرين لولاية علي رضي الله عنه، رغم وجود أداة النداء، ووضوح المنادى في الآية الأولى الذي هو بني إسرائيل، وكذلك رغم وضوح على من يعود ضمير الغائب في الآية الثانية، الذي هو المنافقين. غير أنّ المتأوّلين لم يخجلوا من الافتراء على الله سبحانه وتعالى، ولم يعدموا الوسيلة إلى ليّ عنق النص القرآني، ليخدم نظريتهم في ولاية علي رضي الله عنه في الآيتين.

د. التأويلات المتعلقة باختزال الله تعالى! في علي رضي الله عنه

1. تأويل الآية ﴿هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ﴾: أوّل أهلُ الرواية والتأويل «الولاية لله» في الآية الثالثة والأربعين من سورة الكهف: ﴿وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿43﴾ هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾، على أنّها تعني ولاية علي رضي الله عنه؛ حيث أورد الكليني في الكافي حديثًا نسبه إلى عبد الرحمن بن كثير قال فيه: «قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله تعالى: ﴿هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ﴾ قال: ولاية أمير المؤمنين عليه السلام». رواه الكليني، الكافي، باب فيه نكت ونتف من التنزيل.

والتأويل خاطئ، ذلك أنّ الآية وردت كخاتمة للمثل الذي ضربه الله تعالى للنّاس، والذي يتحدّث عن الذي رزقه الله تعالى جنتين، وحفهما بنخل، وفجّر خلالهما نهرًا، فكفر بربه، فأحيط بثمره فصارت خاوية على عروشها، ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله تعالى. حينها أي حين ينزل الله آية من آياته، تكون الولاية لله تعالى وهو خير ثوابًا وخير عقبًا. ثم إنّ الآية تقول هنالك الولاية لله فكيف أمكن للمفترين جعلها لعلي؟ رضي الله عنه ووقاه تعالى مما يفترون. ومن هناك فإنّ تأويل الولاية لله على أنّها تنصرف لولاية علي رضي الله عنه لا يستقيم، ولا يتجاوز كونه إلباسًا للحق بالباطل، وليًّا لعنق النص القرآني لإخضاعه لنظريات البشر في الولاية.

وتتفق جلّ الروايات التي أوردها المفسرون بالمأثور على أنّ دلالة الآية تنصرف إلى أنّ الولاية والنصرة يومئذ لله تعالى وحده، وإن اختلفت الروايات في دلالة هنالك؛ فقالت بعضها إنّها تنصرف إلى يوم القيامة، وقالت أخرى إنّها تنصرف إلى حين نزول آيات الله وعذابه على الكافرين.

2. تـأويـل الآيـة ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا﴾ : أوّل أهلُ الرواية والتأويل «تشرك بي» في الآية الخامسة عشرة من سورة لقمان: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾، على أنّها تعني الشرك بولاية علي ﷺ؛ حيث أورد الكليني في الكافي حديثًا نسبه إلى الأصبغ بن نباتة قال فيه: «أنه سأل أمير المؤمنين عليه السلام عن قوله تعالى: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ﴾ فقال: الوالدان اللذان أوجب الله لهما الشكر، هما اللذان ولدا العلم وورثا الحكم وأمر الناس بطاعتهما، ثم قال الله: «إليَّ المصير» فمصير العباد إلى الله والدليل على ذلك الوالدان، ثم عطف القول على ابن حنتمة وصاحبه، فقال في الخاص والعام: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى﴾ يقول في الوصية وتعدل عمّن أمرت بطاعته فلا تطعهما ولا تسمع قولهما، ثم عطف القول على الوالدين فقال: ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ يقول: عرّف الناس فضلهما وادع إلى سبيلهما وذلك قوله: ﴿وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ﴾ فقال: إلى الله ثم إلينا، فاتقوا الله ولا تعصوا الوالدين، فإنّ رضاهما رضى الله وسخطهما سخط الله». رواه الكليني، الكافي، باب فيه نكت ونتف من التنزيل.

والتأويل خاطئ، ذلك أنّ النهي عن الشرك أينما ورد في القرآن ينصرف إلى النهي عن الشرك بالله تعالى، ومن نافلة القول القول بأنّه لا يجوز توحيد غير الله تعالى. ثم إنّ النهي عن الشرك ورد عقب أمره تعالى بطاعة الوالدين وهو ما يجعله استثناءً من تلك الطاعة، فلا طاعة لهما إن دعاكا إلى أن تشرك بربك أحدًا أو شيئًا. أمّا تأويل الشرك على أنّه الشرك في ولاية علي ﷺ، فهو مكرور لدى أهل الرواية والتأويل حتى صار الأمر وكأنّ دلالة الإيمان لديهم تنصرف للإيمان بولاية علي ﷺ! ودلالة الكفر لديهم تنصرف إلى الكفر بولايته! وما ذلك سوى إلباس للحق بالباطل، وإخضاع للآية لنظريات البشر المتعلقة بالولاية.

وتتفق جلّ الروايات التي أوردها المفسرون بالمأثور، على أنّ الآية

لا تتجاوز دلالتها القول إن جاهداك أي والداك على أنّ تشرك بـالله تعالى فلا تطعهما.

خاتمة المبحث:

جدول التحريف رقم (1 ـ 2 ـ د):

التأويلات المتعلقة باختزال الله تعالى! في علي ﵁:

الكَلِم	الدلالة المحرّفة	الدلالة الأصلية
﴿هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾	هنالك الولاية لعلي هو خير ثوابًا وخير عقبًا.	حين ينزل الله عذابه أو آية من آياته، تكون حينها الولاية لله تعالى، وهو خيرُ ثوابًا وخيرُ عقبًا.
﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا﴾	وإن جاهداك على أن تشرك بالوصي فلا تطعهما.	وإن جاهداك على أن تشرك بالله فلا تطعهما.

التعليق:

لم يقف ليّ عنق النص القرآني لدى المتأوّلين من أتباع مدرسة الرواية والتأويل عند حدّ معين، فصاروا كحاطب ليل أينما وجدوا كلمة «ولاية» قالوا بأنّها تنصرف لولاية علي أو ولاية الأئمة ﵃ حتى لو كانت الآية تتحدث عن الولاية لله تعالى! وأينما وجدوا كلمة «إيمان» صرفوها إلى الإيمان بولاية علي ﵁. وأينما وجدوا كلمة «شرك» صرفوها إلى الشرك بولاية علي ﵁، رغم أنّ قولهم بولاية الأئمة من ذريته يناقض قولهم بالتوحيد فيها! وعلى ضوء هذا التطويع لآيات الذكر الحكيم اختزل المتأوّلون «الله» سبحانه وتعالى عما يصفون في الآيتين المذكورتين آنفًا في شخص علي ﵁؛ فالولاية لله تعالى صارت لدى المتأوّلين الولاية لعلي ﵁ في الآية الأولى، كما صرفوا دلالة «ضمير المتكلم» في قوله تعالى: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِي﴾ إلى أنّه ينصرف إلى علي وأنّ الشرك ينصرف إلى الشرك بولايته ﵁، فصار علي ﵁ بفعل المتأوّلين عدلًا لله يمكن أنْ يحل «محله سبحانه وتعالى» تارة، وأنْ يحل

محل «التنزيل» تارة أخرى، ومحل «المؤمنين» ثالثة، ومحل «أهل الكتاب» رابعة، ومحل «المنافقين» خامسة، دون أي خجل أو خوف من ارتياب المتلقي في هذه التأويلات. وكأنّ المتأوّلين أدركوا بأنّ على عيون المتلقين غشاوة، وعلى آذانهم وقرًا، وأنّه تعالى قد ختم على قلوبهم فلن يدركوا إفكهم!

ـ ثالثًا ـ
التأويلات المتعلقة بأهل بيت علي رضي الله عنه

1. **تأويل آية** ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأٓدَمَ﴾: أوّل أهلُ الرواية والتأويل «السجود» في الآية الرابعة والثلاثين من سورة البقرة: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾، على أنّ السجود كان للنبّي محمد ﷺ ولعلي والأئمة من ذريته؛ حيث أورد الكاشاني في تفسيره الصافي بأنّ «السجود» كان: «لما كان في صلبه من أنوار نبيّنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم وأهل بيته المعصومين عليهم السلام وكانوا قد فُضلوا على الملائكة باحتمالهم الأذى في جنب الله فكان السجود لهم تعظيمًا وإكرامًا ولله سبحانه عبودية ولآدم عليه السلام طاعة. قال علي بن الحسين حدثني أبي عن أبيه عليهما السلام عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: يا عباد الله إن آدم عليه السلام لما رأى النور ساطعًا من صلبه إذ كان الله قد نقل أشباحنا من ذروة العرش إلى ظهره رأى النور ولم يتبيّن الأشباح، فقال: يا ربّ ما هذه الأنوار؟ فقال عزَّ وجلّ (أنوار وأشباح نقلتهم من أشرف بقاع عرشي إلى ظهرك ولذلك أمرت الملائكة بالسجود لك إذ كنت وعاءً لتلك الأشباح)، فقال آدم: يا ربّ لو بيّنتها لي فقال الله عزَّ وجلّ: انظر يا آدم إلى ذروة العرش فاطبع فيه صور أشباحنا التي في ظهره كما ينطبع وجه الإنسان في المرآة الصافية، فرأى أشباحنا فقال: ما هذه الأشباح يا رب؟ قال الله : يا آدم هذه أشباح أفضل خلائقي وبريّاتي، هذا محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم وأنا الحميد المحمود في فعالي، شققت له اسمًا من اسمي وهذا علي وأنا العليّ العظيم شققت له اسمًا من اسمي وهذه فاطمة وأنا فاطر السموات والأرض فاطم أعدائي من رحمتي يوم فصل قضائي وفاطم أوليائي عما يعيرهم ويشينهم فشققت لها اسمًا من اسمي، وهذا الحسن وهذا الحسين وأنا المحسن المجمل شققت اسميهما من اسمي

هؤلاء خيار خليقتي وكرام بريتّي بهم آخذ وبهم أعطي وبهم أعاقب وبهم أثيب، فتوسل بهم إليّ يا آدم فاجعلهم إليّ شفعاءك فإنّي آليت على نفسي قسمًا حقًّا أن لا أخيب بهم أملًا ولا أرد بهم سائلًا فلذلك حين زلت منه الخطيئة دعا الله عزَّ وجلّ بهم فثيب عليه وغفرت له فسجدوا إلا إبليس...».

ولقد فاق ما نُسب لله سبحانه وتعالى عما يصفون في هذه الرواية، تحريف الكلم عن مواضعه، ليصل إلى حدّ الكذب على الله: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾[1]، ففي هذا الحديث كلام منسوب إلى الله لم ينزل في كتاب الله، ولا يُقبل أن يُنسب حتى لباقل[2]، يتحدث فيه الله عن نفسه بضمير الغائب، ويصلي فيه على نبيه بضمير الغائب، كما يصلي عليه بعض عباده، ويجعل لنفسه وسطاء يدعو النبيّ آدم عليه السلام أن يتقرّب بهم إلى الله زلفى، كما يتقرّب مشركو مكة بالأصنام! وهم بضعة منه ولا يزالون في رحم الغيب، ولم يخلق الله تعالى حتى من هم في أصلابهم. في حين كانت جوهر رسالة محمد ﷺ، نبذ الوسطاء بين الله والعباد، ناهيك عن الأنوار والأشباح، والأسماء المكتوبة في ذروة العرش وليست حتى في أدناه وما في ذلك من تجسيم للعرش. بينما السجود لآدم عليه السلام هو سجود لله تعالى؛ فالأمر الإلهي للملائكة وإبليس بالسجود لآدم عليه السلام كان ابتلاءً لهم، وامتحانًا يتعلق بمدى امتثالهم لأمره من عدمه ودون جدال؛ حيث لا تجوز المجادلة في أوامر الله ونواهيه، وليس للسجود علاقة لا بأنوار ولا أشباح أي من عباده، بل هو سجود لأمره تعالى. ثم إنّ الله تعالى يأمرنا بأن لا ندعو مع الله أحدًا، فالله تعالى يقول: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾[3]، وهو ما لا يجيز التوسل بغير الله تعالى، وما يناقض ما أورده الكاشاني.

وتتفق جلّ الروايات التي أوردها المفسرون بالمأثور على أنّ السجود لآدم عليه السلام كان بسبب خلقه تعالى له بيده.

---

(1) سورة البقرة، الآية: 79.

(2) باقل يضرب به المثل في الإعياء وعدم القدرة على التعبير عن النفس.

(3) سورة الجن، الآية: 18.

2. تأويل آية ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾: أوّل أهلُ الرواية والتأويل «الشجرة» التي أكل منها آدم عليه السلام الواردة في الآية الخامسة والثلاثين من سورة البقرة: ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، على أنّها شجرة الحسد للأئمة أو شجرة مقام آل محمد رضي الله عنهم وفق تعبيرهم؛ حيث أورد الكاشاني في الصافي في معرض تفسيره للآية: «وفي العيون بإسناده إلى عبد السلام بن صالح الهروي قال: قلت للرضا عليه السلام يا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله أخبرني عن الشجرة التي أكل منها آدم وحواء ما كانت فقد اختلف الناس فيها، فمنهم من يروي أنّها الحنطة، ومنهم من يروي أنّها العنب، ومنهم من يرى أنها شجرة الحسد فقال: كل ذلك حق. قلت: فما معنى هذه الوجوه على اختلافها؟ فقال: يا أبا الصلت إن شجرة الجنة تحمل أنواعًا...... وإن آدم لما أكرمه الله تعالى ذكره بإسجاده ملائكته له وبإدخاله الجنة، قال في نفسه هل خلق الله بشرًا أفضل منّي؟ فعلم الله ما وقع في نفسه فناداه ارفع رأسك يا آدم وانظر إلى ساق عرشي، فرفع آدم رأسه فنظر إلى ساق العرش فوجد عليه مكتوبًا لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وعلي بن أبي طالب أمير المؤمنين وزوجته فاطمة سيدة نساء العالمين والحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة. فقال آدم: يا رب من هؤلاء؟ فقال عزَّ وجلّ: هؤلاء من ذريتك وهم خير منك ومن جميع خلقي ولولاهم ما خلقتك ولا خلقت الجنة ولا النار ولا السماء والأرض فإياك أن تنظر إليهم بعين الحسد وتمنّي منزلتهم، فتسلّط عليه الشيطان حتى أكل من الشجرة التي نُهي عنها وتسلّط على حواء حتى أكلت من الشجرة كما أكل آدم فأخرجهما الله تعالى عن جنته وأهبطهما من جواره إلى الأرض».

وأورد الشيرازي في تفسيره الأمثل: «والتّفسير الآخر «معنوي» وهو أنّ المقصود من تلك الشجرة ـ كما في الرّوايات ـ هو ما عبّر عنها بـ «شجرة الحسد» لأنّ آدم طبقًا لهذه الرّوايات ـ بعد ملاحظة مكانته ومقامه ـ تصوّر أنّه لا يوجد فوق مقامه مقام، ولا فوق مكانته مكانة، ولكن الله تعالى أطلعه على مقام ثلة من الأولياء من ذريته وأبنائه (رسول الإسلام وأهل بيته)، فحصل عنده ما يشبه

الحسد، وكانت هذه هي الشجرة الممنوعة التي أُمر آدم بأن لا يقربها. وفي الحقيقة تناول آدم ـ طبقًا لهذه الرّوايات ـ من شجرتين، كانت إحداهما أقلّ منه مرتبةً وأدنى منه منزلة، وقد قادته إلى العالم المادي، وكانت هي «الحنطة». والأُخرى هي الشجرة المعنوية التي كانت تمثّل مقام ثلة من أولياء الله، والذي كان أعلى وأسمى من مقامه ومرتبته، وحيث إنه تعدّى حدّه في كلا الصعيدين ابتلي بذلك المصير المؤلم. ولكن يجب أن نعلم أن هذا الحسد لم يكن من النوع الحرام منه، بل كان مجرّد إحساس نفساني من دون أن تتبعه أية خطوة عملية على طبقه. وحيث إنّ للآيات القرآنية ـ كما أسلفنا مرارًا ـ معاني متعدّدة، فلا مانع من أن يكون كلا المعنيين مرادين من الآية».

والقصة التي أوردها الشيرازي غير متماسكة، والاختلاق والوضع جلي فيها؛ فما الذي يدفع آدم عليه السلام إلى التساؤل عما إذا خلق الله بشرًا أفضل منه أم لا ؟ وهو الإنسان الوحيد آنذاك، ثم من قال بأنّ للعرش ساقًا؟ وكيف يمكن لآدم عليه السلام أن يحسد أئمة من ذريته يعيشون في آخر الدهر ويأتون إلى الدنيا بعد آخر النبيين عليهم السلام؟ وكيف للراوي أن يتهم نبيّ الله آدم وأبا البشر عليه السلام بمحاكاة الشيطان، الذي حسد آدم حين سجدت له الملائكة أو أُمرت بالسجود له! ثم ما هذا القلب للأمور إلى الحدّ الذي يخلق فيها تعالى الكون والجنة والنار من أجل الأئمة! والله تعالى يقول: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[1]. وإجمالًا، لقد تجاوز الأمر في هذا التأويل حدود تحريف الكلم عن مواضعه، ليصل إلى حدّ الكذب على الله وعلى الرضا؛ فالمتأوّل يقوّل في هذه الرواية الله سبحانه وتعالى ما لم يقل، وكذلك الرضا رضي الله عنه. ثم إنّ هذا القول المنسوب بعضه لله تعالى، وبعضه للنبي آدم عليه أفضل الصلوات لا يستقيم، فكيف لآدم عليه السلام وهو الإنسان الوحيد آنذاك؟ وقبل أن يُظهر الله سوءته، وقبل أن يعلم أنه سيكون له نسلًا، كيف له أن يحسد من لم يخلق الله بعد ولا يعلم بخلقهم من نسله؟ ناهيك عن مسألة تفضيلهم عليه والتي لم يرد فيها قرآنًا يتلى. كما لا

---

(1) سورة الذاريات، الآية: 56.

ينبغي أن نجهد أنفسنا في معرفة دلالة الشجرة ولا نوعيتها، طالما لم يوضحها لنا الله تعالى حتى لا نضل ولا نزيغ، والله عز من قائل يقول: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ﴾[1].

3. **تأويل آية** ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ﴾: أوّل أهلُ الرواية والتأويل «الكلمات» المذكورة في الآية السابعة والثلاثين من سورة البقرة: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾، على أنّها التوسل بالنبّي محمد ﷺ، وعلي وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم؛ حيث أورد الكاشاني في تفسيره الصافي: «وفي تفسير الإمام عليه السلام لما زلت من آدم الخطيئة واعتذر إلى ربه عزَّ وجلّ قال: يا رب تب عليّ واقبل معذرتي وأعدني إلى مرتبتي وارفع لديك درجتي، فلقد تبيّن نقص الخطيئة وذلها بأعضائي وسائر بدني، فقال الله تعالى: أما تذكر أمري إياك بأن تدعوني بمحمد وآله الطيبين عند شدائدك ودواهيك وفي النوازل التي تبهظك؟ قال آدم: يا رب بلى قال الله عزَّ وجلّ: فبهم، بمحمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين خصوصًا فادعني أجبك إلى ملتمسك وأزدك فوق مرادك. فقال آدم: يا رب إلهي وقد بلغ عندك من محلهم لأنك بالتوسل بهم تقبل توبتي وتغفر خطيئتي وأنا الذي أسجدت له ملائكتك وأبحته جنتك وزوجته حواء أمتك وأخدمته كرام ملائكتك؟ قال الله تعالى: يا آدم إنما أمرت الملائكة بتعظيمك بالسجود لك إذ كنت وعاء هذه الأنوار، ولو كنت سألتني بهم قبل خطيئتك أن أعصمك منها وأن أفطنك لدواعي عدوك إبليس حتى تحترز منه لكنت قد جعلت ذلك، ولكن المعلوم في سابق علمي يجري موافقًا لعلمي فالآن فبهم فادعني لأجيبك. فعند ذلك قال آدم: اللّهم بجاه محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين والطيبين من آلهم لما تفضلت بقبول توبتي وغفران زلتي وأعدني من كراماتك إلى مرتبتي. قال الله عزَّ وجلّ: قد قبلت توبتك وأقبلت برضواني عليك وصرفت آلائي ونعمائي إليك وأعدتك إلى مرتبتك من كراماتي ووفرت نصيبك من رحماتي فذلك قوله عزَّ وجلّ: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾».

(1) سورة آل عمران، الآية: 7.

وهذا الحديث المنسوب إلى الله كذبًا، أقرب ما يكون لحديث شيخ طريقة يلقن أحد مريديه وردًا أو دعاءً، ولا يتورع واضع هذا الحديث أن يجعل النبي آدم أبا البشرية عليه منا أكرم الصلاة والسلام، مجرد وعاء لبعض من آل محمد ﷺ، الذي قال في أحد أحاديثه «أَنَا دَعْوَة أَبِي إِبْرَاهِيم»؛ حيث أورد الطبري في تفسيره عَنْ خَالِد بْن مَعْدَان الْكُلَاعِيّ: «أَنَّ نَفَرًا مِنْ أَصْحَاب رَسُول الله ﷺ قَالُوا: يَا رَسُول اللَّه أَخْبِرْنَا عَنْ نَفْسك! قَالَ: «نَعَمْ، أَنَا دَعْوَة أَبِي إِبْرَاهِيم، وَبُشْرَى عِيسَى ﷺ». ثم إنّ الله تعالى يأمرنا بأن لا ندعو مع الله أحدًا، كما أسلفنا، فالله تعالى يقول: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾[1]، وهو ما لا يجيز التوسل بغير الله تعالى، وما يناقض ما أورده الكاشاني.

والأرجح أنّ الكلمات التي تلقاها آدم عليه السلام من ربه، هي الكلمات التي وردت في سورة الأعراف: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾[2]، وهو ما تتفق جلّ كتب التفسير بالمأثور عليه.

4. **تأويل آية ﴿ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ﴾**: أوّل أهلُ الرواية والتأويل الآية الحادية والستين من سورة آل عمران: ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ﴾، على أنّ المراد بـ «أنفسنا» في الآية الكريمة: علي وبـ «نسائنا»: فاطمة، وبـ «أبنائنا»: الحسن والحسين رضي الله عنهما. حيث يقول الشيرازي في كتابه آيات الولاية: «أجمع المفسرون على أنّ أبناءنا إشارة إلى الحسن والحسين عليهما السلام ونساءنا إشارة إلى فاطمة عليها السلام وأنفسنا إشارة إلى علي عليه السلام».

وهذا التأويل بعيد عن دلالات الآية، التي لا تقتصر على أهل بيت النبي ﷺ ولا على آله، وإنما تشمل المسلمين جميعًا زمن نزول الآية؛ فأنفسنا تدل على كافة المسلمين زمن نزول الآية، ونساءنا تعني كافة نساء المسلمين في ذلك الزمان، وأبناءنا تشمل كافة أبناء المسلمين آنذاك. أما قصر تلك الكلمات

(1) سورة الجن، الآية: 18.

(2) سورة الأعراف، الآية: 23.

على علي وفاطمة والحسن والحسين فيتناقض مع الدلالات اللغوية للكلمات موضع التأويل؛ فأنفسنا الواردة بصيغة الجمع لو اقتصرت على شخص واحد من المسلمين لانصرفت إلى النبيّ ﷺ، ونسائنا لو اقتصرت على نساء النبيّ ﷺ لما اتسعت لفاطمة رضي الله عنها، وأبناءنا لو اقتصرت على أبناء النبيّ ﷺ لشملت أبناءه زمن نزول الآية، ومن ضمنهم زينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة رضي الله عنهن، غير أنّ فاطمة رضي الله عنها حُشرت في خانة النساء لتحجب نساء النبيّ رضي الله عنهن جميعًا، ونساءنا إن اقتصرت على نساء النبيّ فتنصرف إلى زوجات النبيّ ﷺ اللاتي استبعدن في التأويل، ليتفق التأويل مع نظرية الولاية. والرواية التي أوردها الزمخشري في الكشاف في معرض تفسيره للآية، ويستدل بها أهل الرواية والتأويل على صحة تأويلهم، والتي قال فيها: «فأتى رسول الله ﷺ وقد غدا محتضنًا الحسين آخذًا بيد الحسن وفاطمة تمشي وعليٌّ خلفها وهو يقول: «إذا أنا دعوت فأمّنوا». فهي إن صدقت لا تصلح للاستدلال على صحة التأويل الذي أورده الشيرازي، وتتبناه مدرسة أهل الرواية والتأويل، بل يجد تأويله في الأمر الإلهي لنساء النبيّ ﷺ بأن يقرن في بيوتهن. ثم إنّ الآية تدعو إلى الزج بالنساء والأبناء في المباهلة، ولا تدعو إلى جعلهم خلفاء وأئمة، ولا تصلح للاستدلال على صحة نظرية الولاية.

أمّا الروايات التي أوردتها مصادر أهل الرواية والتأويل وأهل الحديث والنسخ، فهي تناقض القرآن والدلالة اللغوية للآية.

5. تأويل آية: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِۗ﴾: أوّل أهلُ الرواية والتأويل الآية الخامسة والسبعين من سورة الأنفال: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعْدُ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ مَعَكُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ مِنكُمْۚ وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾، على أنّها تعني عدم انتقال الإمامة بين الأخوة بعد الحسين رضي الله عنه، وكذا عدم انتقالها من ولد الحسين إلى ولد الحسن رضي الله عنهما، بل تكون ملكية وراثية على طريقة بني أمية للولد الأكبر دون الأخوة؛ حيث أورد الكليني حديثًا نسبه إلى الحسين بن ثوير بن أبي فاختة قال فيه: «عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لا تعود الإمامة في أخوين بعد الحسن والحسين أبدًا، إنّما جرت من علي بن الحسين كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَأُوْلُواْ

ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِۚ﴾ فلا تكون بعد علي بن الحسين ﵇ إلا في الأعقاب وأعقاب الأعقاب». رواه الكليني، الكافي، باب الأمور التي توجب حجة الإمام ﵇.

وهذا التأويل للآية تأويل خاطئ، ذلك أنّ أولي الأرحام أولى ببعضهم البعض في المسائل المتعلقة بالإرث وصلة الرحم، وليسوا أولى بالخلافة أو الإمامة أو بالمسلمين، ولو كان هذا التأويل صحيحًا لكان أبناء الحسن أولى من الحسين بالولاية، ولكان العباس أولى من علي ﵁ بها. ولو صحّ تأويل الآية على النحو الوارد في الحديث، لصحت بيعة يزيد بن معاوية لأنه الأقرب صلة أو رَحِمًا بمعاوية.

ورجحت أغلب الروايات التي تضمنتها كتب التفسير بالمأثور أنْ تنصرف دلالة الآية إلى أحقية أولي الأرحام في المواريث. وردّ الرازي في مفاتيح الغيب على دعاوى أهل الرواية والتأويل بشأن ولاية علي وبعض بنيه فقال في معرض تفسيره للآية قائلًا: «المسألة الثانية: تمسك محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ﵃ في كتابه إلى أبي جعفر المنصور بهذه الآية في أنّ الإمام بعد رسول الله ﷺ هو علي بن أبي طالب فقال: قوله تعالى: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ﴾ يدل على ثبوت الولاية وليس في الآية شيء معيّن في ثبوت هذه الأولوية، فوجب حمله على الكل إلا ما خصه الدليل، وحينئذ يندرج فيه الإمامة، ولا يجوز أن يقال: إن أبا بكر كان من أولي الأرحام لما نقل أنّه ﵇ أعطاه سورة براءة ليبلغها إلى القوم، ثم بعث عليًّا خلفه وأمر بأنّ يكون المبلغ هو علي، وقال: «لا يؤديها إلا رجل مني» وذلك يدل على أنّ أبا بكر ما كان منه، فهذا هو وجه الاستدلال بهذه الآية. والجواب: إن صحت هذه الدلالة كان العباس أولى بالإمامة، لأنه كان أقرب إلى رسول الله من علي. وبهذا الوجه أجاب أبو جعفر المنصور عنه».

6. تأويل آية ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ﴾: أوّل أهلُ الرواية والتأويل الآية الثالثة والثلاثين من سورة الأحزاب: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا﴾، على أنّها نزلت في علي

وزوجه والحسن والحسين ﵃، دون نساء النبي ﷺ؛ حيث أورد الشيرازي في تفسيره الأمثل في معرض تفسيره لهذه الآية: «فيمن نزلت آية التطهير؟ قلنا: إنّ هذه الآية بالرغم من أنّها وردت ضمن الآيات المتعلّقة بنساء النّبي، إلّا أنّ تغيير سياقها ـ حيث تبدّل ضمير الجمع المؤنث إلى ضمير الجمع المذكّر ـ دليل على أنّ لهذه الآية معنًى ومحتوًى مستقلًّا عن تلك الآيات، ولهذا فحتّى أولئك الذين لم يعتبروا الآية مختّصة بمحمّد ﷺ وعلي وفاطمة والحسن والحسين ﵈، فإنّهم اعتقدوا أنّ لها معنًى واسعًا يشمل هؤلاء العظام ونساء النّبي ﷺ. إلّا أنّ الرّوايات الكثيرة التي بين أيدينا تبيّن أنّ هذه الآية خاصّة بهؤلاء الأجلّاء، ولا تدخل الزوجات ضمن الآية، بالرغم من أنهنّ يتمتّعن باحترام خاص، ونضع بين أيديكم بعضًا من هذه الروايات:

أ: الرّوايات التي رويت عن أزواج النّبي ﷺ أنفسهنّ، والتي حدثن فيها: إنّ النّبي ﷺ عندما كان يتحدّث عن هذه الآية الشريفة سألناه: أنحن من أصحاب هذه الآية؟ فكان يجيب: بأنكنّ إلى خير، ولكن لستنّ من أصحابها. ومن جملتها الرواية التي رواها «الثعلبي» عن «أم سلمة» في تفسيره، وذلك أنّ النّبي ﷺ كان في بيتها إذ أتته فاطمة ﵈ بقطعة حرير، فقال النّبي ﷺ: «ادعي لي زوجك وابنيك ـ الحسن والحسين ـ» فأتت بهم فطعموا، ثمّ القى عليهم النّبي ﷺ كساءً له خيبريًّا وقال: «اللّهمّ هؤلاء أهل بيتي وعترتي فأذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيرًا» فنزلت آية التطهير، فقلت: يا رسول الله وأنا معهم؟ قال: «إنّك إلى خير» ولكنّك لست منهم. إنّ هذه الرّوايات تصرّح أنّ زوجات النّبي ﷺ لسن جزءًا من أهل البيت في هذه الآية.

ب: لقد وردت روايات كثيرة جدًّا بصورة مجملة في شأن حديث الكساء، يستفاد منها جميعًا أنّ النّبي ﷺ دعا عليًّا وفاطمة والحسن والحسين ﵈ ـ أو أنّهم أتوا إليه ـ فألقى عليهم عباءة وقال: «اللّهمّ هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيرًا»، فنزلت الآية: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ...﴾. وهنا سؤال يلفت النظر، وهو: ماذا كان الهدف من جمعهم تحت الكساء؟ كأنّ النّبي ﷺ كان يريد أن يحدّد هؤلاء ويعرّفهم

تمامًا، ويقول: إنّ الآية أعلاه في حقّ هؤلاء خاصّة، لئلّا يرى أحد أو يظنّ ظان أنّ المخاطب في هذه الآية كلّ من تربطه بالنّبي ﷺ قرابة، وكلّ من يعدّ جزءًا من أهله، حتّى جاء في بعض الرّوايات أنّ النّبي ﷺ قد كرّر هذه الجملة ثلاث مرّات: «اللّهمّ هؤلاء أهل بيتي وخاصّتي فأذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيرًا». كما أورد الكاشاني في تفسيره الصافي: «وعن الباقر عليه السلام نزلت هذه الآية في رسول الله ﷺ، وعلي بن أبي طالب وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، وذلك في بيت أم سلمة زوجة النبي ﷺ.. إلخ».

وهذا تأويل خاطئ، ذلك أنّه يستبعد نساء النبيّ ﷺ اللواتي تشملهن الآية بالضرورة، فالآية أولًا كانت ضمن سياق خطاب موجه لنساء النبّي رضي الله عنهن، ووردت أهل البيت مرتين في القرآن؛ كانت إحداهما هذه، والأخرى تخاطب زوجة النبّي إبراهيم عليه السلام، كما استخدم تعالى صيغة أهلك على لسان امرأة العزيز في سورة يوسف لتعني زوجك: ﴿قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[1]، واستخدم الله سبحانه وتعالى في الآية ثانيًا صيغة أهل البيت، ولم يستخدم صيغة آل محمد، فآل محمد تشمل أحفاده، **بينما صيغة أهل البيت لا تشمل سوى من يعيش تحت سقف بيت النبيّ ﷺ عند نزول الآية** في تقديري، ولسان العرب يعرّف أهل البيت بساكني البيت، ولم يكن علي ولا الحسن والحسين رضي الله عنهم يعيشون تحت سقف بيت النبي ﷺ، عند نزول الآية المذكورة. والاستناد إلى حديث الكساء للتدليل على أنّ الآية نزلت في فاطمة وعلي والحسن والحسين رضي الله عنهم هو استناد غير دقيق. والأرجح عندي أن يكون حديث الكساء دعاء من النبيّ ﷺ، وتوسلًا إلى الله أن يشملَ التطهير الوارد في الآية ابنته وحفيديه وأباهما، لمكانتهم في نفسه وقرابتهم له، وهو ما عناه ردّ رسول الله على سؤال أم سلمة عما إذا كان يشملها بدعائه أم لا، فقال: «أنت إلى خير» مشيرًا ضمنًا إلى الخير الذي ورد في الآية. والاستشهاد بتبدّل ضمير الجمع المؤنث إلى ضمير جمع المذكّر في الآية غير دقيق، طالما أنّ تعبير أهل البيت يشمل النبي ﷺ، ويُستخدم جمع المذكر السالم للجماعة

---

(1) سورة يوسف، الآية: 25.

من النساء إذا اشتملت على رجل واحد، وهذا الاستخدام دارج في العربية، كما أنه دارج في القرآن، فما بالك إذا اشتملت تلك الجماعة على النبيّ ﷺ؟. ثم إنّ القول بأنّ سبب نزول الآية حديث الكساء هو قول غير دقيق أيضًا، ذلك أنّ العكس هو الأرجح؛ فالآية سبقت الحديث أو الدعاء وكانت سببًا له، إذ من المرجح أن يستفيد الحديث من لفظ الآية لا العكس. وثمّة تبارٍ بين مدرستي الرواية والتأويل والحديث والنسخ في جعل أقوال الأئمة وأفعالهم، وأقوال الصحابة وأفعالهم، سببًا في نزول آيات الذكر الحكيم، حتى ظهر الأمر في بعض الحالات وكأن الصحابة أو الأئمة يملون على الله سبحانه وتعالى ما يقول! سبحان الله عما يصفون.

وتتفق جلّ الروايات التي أوردها المفسرون بالمأثور على أنّ الآية نزلت في نساء النبيّ ﷺ، ولكنها تستشهد بتلك الروايات التي أوردها الشيرازي، والتي أساؤوا إدراكها ليقولوا باتساع دلالة الآية لتشمل أهل بيت علي كعلي وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم، بينما الأرجح أن تكون مجرد دعاء من النبيّ ﷺ ليشمل التطهير ابنته وحفيديه وأبيهما رضي الله عنهم، والذين قالوا بأنّ حديث الكساء سابق على الآية أخطأوا، ذلك أنّ الحديث جاء بلفظ الآية، والأرجح أن يستفيد الحديث من لفظ الآية لا العكس، وحتى الذين قالوا بأنّ الحديث كان لاحقًا للآية أخطأوا فلا يجوز للنبيّ ﷺ أن يخبر العليم بأهل بيته فهو أعلم به منهم.

7. تأويل بعض حروف فواتح السور كـ ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ في سورة مريم: أوّل أهلُ الرواية والتأويل فواتح سورة مريم ﴿كٓهيعٓصٓ﴾، على أنّها تعني الآتي: «الكاف» كربلاء و«الهاء» هلاك العترة و«الياء» يزيد و«العين» عطشه و«الصاد» صبره. حيث أورد الكاشاني في تفسير الصافي: «﴿كٓهيعٓصٓ﴾ في الإكمال عن الحجّة القائم عليه السلام في حديث إنه سئل من تأويلها فقال: هذه الحروف من أنباء الغيب أطلع الله عبده زكريّا عليها ثم قصّها على محمّد صلى الله عليه وآله وذلك أنّ زكريا سأل ربّه أن يعلّمه أسماء الخمسة فأهبط الله عليه جبرائيل فعلّمه إياها فكان زكريا إذا ذكر محمدًا وعليًّا وفاطمة والحسن عليهم السلام سُري عنه همّه وانجلى كربه وإذا ذكر الحسين عليه السلام

خنقته العَبرة ووقعت عليه البهرة فقال ذات يَوم: إلهي ما بالي إذا ذكرت أربعًا منهم تسليت بأسمائهم من همومي وإذا ذكرت الحسين عليه السلام تدمع عيني وتثور زفرتي فانبأه تبارك وتعالى عن قصّته فقال: ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ فالكاف اسم كربلاء والهاء هلاك العترة والياء يزيد لعنه الله وهو ظلم الحسين عليه السلام والعين عطشه والصّاد صبره فلمّا سمع بذلك زكريا عليه السلام لم يفارق مسجده ثلاثة أيام ومنع فيها النّاس من الدّخول عليه وأقبل على البكاء والنّحيب وكانت ندبته: إلهي أتفجع خير خلقك بولده أتنزل بلوى هذه الذرّية بفنائه، إلهي أتلبس عليًا وفاطمة عليهما السلام ثياب هذه المصيبة، إلهي أتحلّ كرب هذه الفجيعة بساحتهما. . . ثم كان يقول: إلهي ارزقني ولدًا تقرّ به عيني عند الكبر واجعله وارثًا وصيًا واجعل محلّه منّي محلّ الحسين عليه السلام، فإذا رزقتنيه فافتنّي بحبّه ثم أفجعني به كما تفجع محمّدًا صلى الله عليه وآله وسلم حبيبك بولده فرزقه الله يحيى عليه السلام وفجعه به وكان حمل يحيى عليه السلام ستّة أشهر وحمل الحسين عليه السلام كذلك».

وهذا التأويل ما أنزل الله به من سلطان، وضرب من الخيال سلكه الله على لسان الوضّاعين، ليفتن به محبيّ علي وذريته رضي الله عنهم، لا صلة له بالقرآن ولا بحديث نبوي، ومنسوب لطفل لم يبلغ الحلم، ثمّة ظلال من الشك حول مولده ومماته، وما نسب إليه من الكرامات والأحاديث. وما هو في تقديري إلّا مجرد حيلة من حيل أقطاب مدرسة الرواية والتأويل، تخلّصوا بها من المأزق الذي وضعوا فيه أنفسهم، حين قيّدوا أنفسهم بالقول بأنّ الإمامة لا تنتقل إلى الإخوة بل هي تقتصر على الأبناء الذكور ولم يرزق الله تعالى إمامهم الحادي عشر مولودًا ذكرًا. أو لعلهم لم يجدوا من بين ذرية علي رضي الله عنهم من يقبل بقيادة شيعة علي وبنيه رضي الله عنهم، حتى لو تخلوا عن شرطهم القاضي بعدم انتقال الإمامة إلى الإخوة وأبناء الإخوة، وذلك لرغبتهم في حقن دماء المسلمين أو لارتفاع كلفة التصدي للإمامة، فابتدع بعض الأفاكين أسطورة الطفل الذي ولد للإمام الحادي عشر دون أن يعلم بمولده أحد، ثم قالوا بأنّه اختفى أو غاب، ثم رجعوا فقالوا إنّ الله تعالى قد رفعه إليه، فكذبوا على الله تعالى أكاذيب سيجنون إثمها، وإثم من صدّقها إلى يوم الدين.

وأوردت كتب التفسير بالمأثور عدة محاولات لتأويل فواتح السور جميعها ضرب من التخمين الذي يضرّ أكثر مما يفيد في معرفة دلالة هذه الحروف. ولقد أورد الرازي في مفاتيح الغيب في معرض تفسيره لهذه الحروف قوله: «البحث الثاني: المذاهب المذكورة في هذه الفواتح قد تقدّمت لكن الذي يختص بهذا الموضع ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن قوله تعالى ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ ثناء من الله على نفسه، فمن الكاف وصفه بأنّه كاف ومن الهاء هاد ومن العين عالم ومن الصاد صادق. وعن ابن عباس رضي الله عنهما أيضًا أنه حمل الكاف على الكبير والكريم، ويحكى أيضًا عنه أنه حمل الياء على الكريم مرة وعلى الحكيم أخرى، وعن الربيع بن أنس في الياء أنه من مجير، وعن ابن عباس رضي الله عنهما في العين أنه من عزيز ومن عدل، وهذه الأقوال ليست قوية لما بيّنا أنه لا يجوز من الله تعالى أن يودع كتابه ما لا تدل عليه اللغة لا بالحقيقة ولا بالمجاز، لأنا إن جوزنا ذلك فتح علينا قول من يزعم أن لكل ظاهر باطنًا، واللغة لا تدل على ما ذكروه فإنّه ليست دلالة الكاف أولى من دلالته على الكريم أو الكبير أو على اسم آخر من أسماء الرسول ﷺ أو الملائكة أو الجنة أو النار، فيكون حمله على بعضها دون البعض تحكمًا لا تدل عليه اللغة أصلًا».
وعلى الرغم من أنّ الرازي قد خانه التعبير الدقيق عمّا أراد قوله، حيث لا يجوز منه القول بأنّه لا يجوز من الله تعالى، فليس للعبد أن يحدّد للخالق ما يجوز وما لا يجوز، وإن ساد التعبير لدى المعتزلة، فإنه قصد في تقديري القول بأنّه لا يجوز أن نتصور أنّ الله تعالى قد يودع كتابه ما لا تدلّ عليه اللغة لا بالحقيقة ولا بالمجاز؛ حيث إن تصورنا ذلك، فتحنا المجال للمتأولين أن يحملوا دلالات الآيات على نحو يخالف ظاهرها، ليصرفوه إلى باطن يخدم مذاهبهم.

ومن هناك فالتصدي لتأويل فواتح السور وعلى هذا النحو الذي أورده الكليني ينطبق عليه قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ﴾[1]، وهو ما نبّه إلى خطورته الرازي في مفاتيح الغيب، وذُكر آنفًا.

(1) سورة آل عمران، الآية: 7.

8. تأويل آية ﴿وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾: ربط أهل الرواية والتأويل بين الفدية التي فدى الله بها إسماعيل عليه السلام حين أُمر أبوه إبراهيم عليه السلام بذبحه في الآية السابعة بعد المئة من سورة الصافات: ﴿وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾، وقتل الحسين رضي الله عنه واعتبره بعضهم فدية لإسماعيل، بينما اعتبره بعضهم الآخر تضحية بالنفس فاقت تضحية كلًّا من إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام معًا؛ حيث أورد الكاشاني في تفسيره الصافي: «وفي العيون عن الرضا عليه السلام قال: لما أمر الله سبحانه وتعالى إبراهيم عليه السلام أن يذبح مكان ابنه إسماعيل عليه السلام الكبش الذي أنزل عليه تمنى إبراهيم عليه السلام أن يكون قد ذبح ابنه إسماعيل عليه السلام بيده وأنه لم يؤمر بذبح الكبش مكانه ليرجع لقلبه ما يرجع إلى قلب الوالد الذي يذبح أعز ولده بيده فيستحق بذلك أرفع درجات أهل الثواب على المصائب فأوحى الله عزَّ وجلّ إليه يا إبراهيم من أحب خلقي إليك قال: يا ربّ ما خلقت خلقًا هو أحب إليّ من حبيبك محمد صلى الله عليه وسلم فأوحى الله عزَّ وجلّ: يا إبراهيم هو أحب إليك أو نفسك؟ قال: بل هو أحب إليّ من نفسي قال: فولده أحب إليك أو ولدك؟ قال: بل ولده، قال: فذبح ولده ظلمًا على أيدي أعدائه أوجع لقلبك أو ذبح ولدك بيدك في طاعتي؟ قال: يا رب بل ذبحه على أيدي أعدائه أوجع لقلبي، قال: يا إبراهيم إن طائفة تزعم أنها من أمة محمد صلى الله عليه وسلم ستقتل الحسين عليه السلام ابنه من بعده ظلمًا وعدوانًا كما يُذبح الكبش ويستوجبون بذلك سخطي، فجزع إبراهيم عليه السلام لذلك فتوجع قلبه وأقبل يبكي فأوحى الله تعالى إليه يا إبراهيم قد فديت جزعك على ابنك إسماعيل عليه السلام لو ذبحته بيدك بجزعك على الحسين عليه السلام وقتله وأوجبت لك أرفع درجات أهل الثواب على المصائب وذلك قول الله سبحانه وتعالى ﴿وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ ..».

وهذا القول ينطبق عليه ما قلناه آنفًا، فهو يتجاوز حدود تحريف الكلم عن مواضعه ليصل إلى حدّ الكذب الصريح على الله، وبلغة ركيكة لا تصلح أن تُنسب لنبّي فما بالك إلى الله سبحانه وتعالى عما يصفون، تتضمن أخطاءً لغوية، من بينها على سبيل المثال لا الحصر، استخدام أو في جملة استفهامية عوضًا عن أم، واستخدام ضمير المتكلم لله تعالى عوضًا عن ضمير المتكلمين

للتعظيم، وتنسب لله تعالى استجوابًا ساذجًا وغريبًا لنبيّه إبراهيم عليه أفضل الصلاة والسلام، عما إذا كان أولاده أحب إليه أم أولاد رسول الله محمد ﷺ، وهم حينها لم يخلقوا بعد! كما يتضمن أسئلة غريبة وساذجة لا مسوّغ لطرحها، أقحمت في الحديث لإبراز المكانة الرفيعة لذرية علي رضي الله عنه من الأئمة، وهو ما لم يرد على هذه الصورة لا في القرآن ولا في الكتب السماوية السابقة. وما كان للنبيّ إبراهيم عليه السلام أن يتمنى خلاف ما قضى به الله تعالى، **وإنّه لشرك أن يتمنى المؤمن لو أنّه تعالى قضى بغير ما فعل**، فما بالك بنبيّ مرسل عليه أفضل الصلوات والسلام، ما كان بعثة محمد ﷺ إلّا استجابة من الله لدعائه. ومن الواضح أنّ هذه الرواية تخدم عقائد ونظريات البشر ولا يستقيم نسبها إلى الله سبحانه وتعالى.

ويتفق جلّ المفسرين بالمأثور بأن الله تعالى قد افتدى الذبيح بكبش عظيم دون أية إضافات أخرى.

9. تأويل الآية ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ﴾: أوّل أهلُ الرواية والتأويل «كفلين من رحمته» في الآية الثامنة والعشرين من سورة الحديد: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، على أنّها تنصرف إلى الحسن والحسين، وكذلك أوّلت النور على أنّه إمام تأتمون به؛ حيث أورد الكليني في الكافي حديثًا نسبه إلى سماعة بن مهران قال في: «عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عزَّ وجلّ: ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ﴾ قال: الحسن والحسين ﴿وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ﴾ قال: إمام تأتمون به». رواه الكليني، الكافي، باب فيه نكت ونتف من التنزيل.

والتأويل خاطئ، ذلك أنّ الآية تخاطب الذين آمنوا وتأمرهم بتقوى الله تعالى، فهل كل من يتقي الله يمنحه تعالى الحسن والحسين رضي الله عنهما؟ ثم إنّه ليس ثمّة في الآية ما يشير إلى الحسن والحسين رضي الله عنهما، فالآية تقرر بأنّ كل من يتقِ الله يؤته كفلين من رحمته، ورحمة الله تنصرف إلى رضاه وثوابه،

كما تنصرف دلالة النور في الآية إلى نور البصيرة الذي يميّز به المؤمن بين الحسنة والسيئة وبين الخطأ والصواب. أمّا تأويل الآية على النحو الذي ورد في الحديث، فهو مجرد تحريف للكلم عن مواضعه، وإخضاع لآيات الله لنظريات البشر في الولاية.

وتختلف الروايات التي أوردها المفسرون بالمأثور حول دلالة الآية، فبعض الروايات تصرفها إلى الذين آمنوا بما أنزل على محمد ﷺ من أهل الكتاب، وترى بأنّ دلالة الكفلين تنصرف إلى نصيبين: الأول لإيمانهم بعيسى والأنبياء السابقين عليهم السلام، والثاني لإيمانهم بمحمد ﷺ. وترى روايات أخرى بأنّ أهل الكتاب تفاخروا على المسلمين من أتباع محمد ﷺ بأنّه تعالى وعدهم بأجرين فنزلت هذه الآية لتعد المسلمين بكفلين من رحمته. وكذلك اختلفت الروايات حول دلالة النور فمنهم من قال بأنّه القرآن، ومنهم من قال بأنّه الهداية، ومنهم من قال بأنّه القرآن واتباع الرسول ﷺ.

10. تأويل آيتي ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ وَيَخَافُونَ يَوۡمٗا كَانَ شَرُّهُۥ مُسۡتَطِيرٗا ۝٧ وَيُطۡعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسۡكِينٗا وَيَتِيمٗا وَأَسِيرًا﴾: أوّل أهلُ الرواية والتأويل الآيتين الثامنة والتاسعة من سورة الإنسان: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ وَيَخَافُونَ يَوۡمٗا كَانَ شَرُّهُۥ مُسۡتَطِيرٗا ۝٧ وَيُطۡعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسۡكِينٗا وَيَتِيمٗا وَأَسِيرًا﴾، على أنّها نزلت في علي وأهل بيته؛ حيث قال الشيرازي في آيات الولاية في معرض ذكره لسبب نزول الآيتين: «وخلاصة ما ورد في شأن نزولها والمتفق عليه في جميع المصادر الروائية والتفسيرية هو ما يلي: «إنّ الحسن والحسين مرضا فعادهما رسول الله ﷺ في ناس معه فقالوا: يا أبا الحسن لو نذرت على ولدك، فنذر علي وفاطمة وفضة إن برءا مما بهما أن يصوموا ثلاثة أيام فشفيا وما معهم شيء، فاستقرض علي ثلاثة أصوع شعير فطحنت فاطمة صاعًا واختبزت خمسة أقراص على عددهم فوضعوها بين أيديهم ليفطروا، فوقف عليهم سائل فقال: السلام عليكم يا أهل بيت محمد مسكين من مساكين المسلمين أطعموني أطعمكم الله من موائد الجنّة، فآثروه وباتوا لم يذوقوا إلّا الماء، فأصبحوا صيامًا، فلما أمسوا ووضعوا الطعام بين أيديهم وقف عليهم سائل يتيم فآثروه ووقف عليهم أسير في الثالثة ففعلوا مثل

ذلك فلما أصبحوا أخذ عليّ بيد الحسن والحسين وأقبلوا إلى رسول الله ﷺ فلما أبصرهم يرتعشون كالفراخ من شدة الجوع قال: ما أشدّ ما يسوؤني ما أرى بكم، وقام وانطلق معهم فرأى فاطمة في محرابها قد التصق ظهرها ببطنها وغارت عيناها فساءه ذلك فنزل إليه جبرائيل وقال: خذها يا محمد [هنأك] الله في أهل بيتك فأقرأه السورة».

والقصة التي أوردها الشيرازي والمتعلقة بسبب النزول مصطنعة، بل وجليّة الاصطناع، فهي أقرب إلى أحاديث القصاص والمنتحلين منها إلى روايات المؤرخين؛ فالقصة تتحدث عن عائلة تعاني من المرض والفقر والعوز، فتنذر لله إن شُفي ولداها أن يصوما، وإمعانًا في إثارة الشفقة والتعاطف تذكر القصة أنها تقترض طعام إفطارها. والسؤال هنا هل أهل بيت علي رضي الله عنهم يقترضون يوميًّا طعامهم؟ أم أن إثارة الشفقة والتعاطف والإعجاب في القصة هو ما اقتضى ذلك، ثم يصادف أن يأتي في كل يوم من أيام الصيام الثلاثة متسوّل، وفقًا للآية وبالترتيب الذي ورد فيها، اليوم الأول مسكين، واليوم الثاني يتيم، واليوم الثالث أسير، ودون أن تذكر الروايات أسماء أي منهم، كما أنّ المتعارف عليه ألّا يترك الأسير حرًّا ومتجولًا ليتسوّل، فلو ترك كذلك لهرب. ثم إنّ الرواية لم تذكر لنا أي معلومة عنه ففي أي غزوة من الغزوات أُسر؟ فأسرى بدر أطلق سراحهم قبل مولد الحسن والحسين، وغزوتا أُحد والخندق لم يصب فيهما المسلمون أسرى. وإذا كانت الرواية تقول بأنّهم خبزوا خمسة أقراص، ألا يكون من المنطقي أن يمنحوا المتسوّل قرصًا ويتقاسموا الأربعة الباقية؟

ومن هناك ففي الرواية ثغرات عديدة، ومن الواضح أنّها نسجت بعد نزول الآية، أو بمعنى أدق حين استحدث علم أسباب النزول، الذي كثيرًا ما استخدم في تحريف الكلم عن مواضعه. أمّا دلالة الآيتين فيتعلق بصفات الأبرار على نحو عام، منذ آدم عليه السلام وإلى قيام الساعة. وقد يكون من أطعم المسكين واليتيم والأسير من قوم نبيّ آخر، غير النبيّ محمد ﷺ، ولا توجد ضرورة لتقييد الآيتين بسبب نزولهما حتى لو صحت الرواية.

خاتمة المبحث:

جدول التحريف رقم (1-3):

التأويلات المتعلقة بأهل بيت علي رضي الله عنه:

الكَلِم	الدلالة المحرّفة	الدلالة الأصلية
﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾	وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لما كان في صلب آدم من أنوار وأشباح محمد وعلي وأهل بيته المعصومين، فسجدوا إلّا إبليس أبى وكان من الكافرين.	وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم، امتثالًا لأمرنا، فسجدوا إلّا إبليس أبى وكان من الكافرين.
﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾	ولا تحسدا الأئمة «علي وبعض ذريته» فتكونا من الظالمين.	ولا تأكلا من الشجرة التي نهيتكما عنها فتكونا من الظالمين.
﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾	فتوسل آدم بالنبّي وعلي وفاطمة والحسن والحسين كما أمره ربّه فتاب عليه.	فتلقى آدم من ربه كلمات استغفار، فلما دعا ربّه بها تاب عليه إنّه هو التواب الرحيم.
﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ﴾	فمن حاجك في عيسى من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع الحسن والحسين وأبناءكم وفاطمة ونساءكم وعلي وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الظالمين.	فمن حاجك في عيسى من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناء المسلمين وأبناءكم ونساء المسلمين ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الظالمين.
﴿وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾	وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله، فلا تكون الإمامة بعد علي بن الحسين عليه السلام إلا في الأعقاب وأعقاب الأعقاب.	وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله في المسائل المتعلقة بالإرث وصلة الرحم.

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا﴾	إنما يريد الله ليذهب عن فاطمة وعلي والحسن والحسين الرجس ويطهرهم تطهيرًا.	إنما يريد الله ليذهب الرجس عن أهل بيت النبيّ «الذين يستظلون بسقف بيته» ويطهرهم تطهيرًا
﴿كٓهيعٓصٓ﴾	الكاف اسم كربلاء، والهاء هلاك العترة، والياء يزيد لعنه الله، والعين عطشه والصّاد صبره.	حروف أوردها العزيز الحكيم من متشابه القرآن، لم يفصح لنا عن دلالتها.
﴿وَفَدَيۡنَٰهُ بِذِبۡحٍ عَظِيمٖ﴾	قد فدينا جزعك على عدم ذبح ابنك إسماعيل بيدك بجزعك على قتل الحسين وأوجبنا لك أرفع درجات أهل الثواب.	وفدينا ابن إبراهيم بذبح عظيم.
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ مِن رَّحۡمَتِهِۦ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ نُورٗا تَمۡشُونَ بِهِۦ﴾	يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم الحسن والحسين! ويجعل لكم إمامًا تأتمون به.	يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله، يؤتكم رحمة مضاعفة، ويجعل لكم نورًا لهدايتكم لسواء السبيل.
﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ وَيَخَافُونَ يَوۡمٗا كَانَ شَرُّهُۥ مُسۡتَطِيرٗا ﴿٧﴾ يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ وَيَخَافُونَ يَوۡمٗا كَانَ شَرُّهُۥ مُسۡتَطِيرٗا﴾	هنأك الله يا محمد في أهل بيت علي، يوفون بالنذر، ويخافون يومًا كان شره مستطيرًا، ويطعمون الطعام على حبه مسكينًا ويتيمًا وأسيرًا.	إنّ الأبرار يوفون بالنذر، ويخافون يومًا كان شره مستطيرًا، ويطعمون الطعام على حبه مسكينًا ويتيمًا وأسيرًا.

التعليق:

قام أهل الرواية والتأويل بتزوير المصطلحات المتعلقة بأهل البيت، وآل البيت، وآل محمد ﷺ؛ حيث أحلوا أهل بيت علي رضي الله عنه محل أهل بيت محمد ﷺ، وآل بيت علي رضي الله عنه محل آل بيت محمد ﷺ، فتسمية أهل بيت محمد ﷺ قرآنيًا ولغويًا، تشتمل على نسائه وأبنائه الذين ما زالوا في كنفه، ولم يلتحقوا ببيت آخر عند نزول الآية، أي إنّها تقتصر على الذين يستظلون بسقف بيته ﷺ، وهذا هو السر في استخدام الله تعالى لصيغة أهل البيت، دون آل محمد أو ذريته ﷺ، وكذلك تسمية آل محمد ﷺ، تشتمل

في التعريف الضيق على قربى النبيّ وعشيرته، وفي تعريفها الواسع تشتمل بالإضافة إلى قربى النبيّ ﷺ وعشيرته على مناصريه، ومن هناك فأهل بيت النبيّ ﷺ عند نزول آية التطهير لا تتجاوز زوجاته وملك يمينه ومواليه وخدمه، أما فاطمة والحسن والحسين فهم أهل بيت علي رضي الله عنه فحسب، وليسوا أهل بيت النبيّ ﷺ، وآل محمد ﷺ إذا أخذناها بدلالتها الضيقة تشمل كافة بني هاشم، على أضيق نطاق لقربى النبيّ ﷺ، بل وتشمل كافة بني عبد مناف إذا وسعنا قربى النبيّ ﷺ، أمّا إذا أخذناها بدلالتها الواسعة فهي تشمل بالإضافة إلى ذلك مناصريه من الصحابة جميعًا، ومن ضمنهم آل علي رضي الله عنه، غير أنّها لا تقتصر عليهم، فتشمل من أسلم من ذرية أبي لهب، ويخرج منها أبولهب وأبو طالب بالكفر، مصداقًا لقوله تعالى: ﴿قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾[1]، ومن هناك فأهل الرواية والتأويل يستخدمون «أهل البيت»، أو «آل البيت»، أو «آل محمد ﷺ»، حين يتحدثون عن أهل بيت علي رضي الله عنه أو آله، ويخلطون بينهم متعمدين. وذلك لإضفاء طابع القدسية على أهل بيت علي رضي الله عنهم، واعتبارهم يرثون النبوّة، رغم كون النبوّة لا تورث، بل يمنحها الله لمن يشاء فقد يمنحها لبعض أبناء الأنبياء دون غيرهم من الأبناء عليهم السلام، وقد يمنحها لغيرهم من دونهم.

وفي ضوء ذلك أوّلت الآيات التي تناولناها آنفًا بطريقة ليّ عنق النص القرآني ليقال بأنّها تنصرف إلى أهل بيت علي رضي الله عنهم؛ حيث أوّل «سجود الملائكة لآدم عليه أفضل الصلاة والسلام»، على أنّه سجود لما سمي أنوار وأشباح النبيّ ﷺ والأئمة رضي الله عنهم. وكذلك أوّلت «الشجرة التي أكل منها آدم عليه السلام» على أنّها شجرة الحسد للأئمة رضي الله عنهم، و«الكلمات التي تلقاها آدم عليه السلام من ربه» على أنّها التوسل بالنبيّ ﷺ والأئمة رضي الله عنهم. وكذلك قال المتأوّلون «بأنّ إبراهيم عليه السلام تمنى أن يكون قد ذبح ابنه إسماعيل عليه السلام»، لكي يرتقي إلى مقام النبيّ محمد ﷺ، أو إلى مقام علي عليه السلام! فالجزاء الآخروي سيكون بقدر الابتلاء وفقًا للمتأوّلين والرواة. كما ادّعى المتأوّلون

(1) سورة هود، الآية: 46.

بأنّ النبيّ زكريا عليه السلام هو الآخر تمنى أن يرزقه تعالى ولدًا، وأن يفجعه به! كما سيفجع محمدًا صلى الله عليه وسلم في ولده، وأنّ الله تعالى استجاب له فرزقه بيحيى عليه السلام وفجعه به. وهذه التأويلات أوردها المتأوّلون في سياق تأويل فواتح السور وبطريقة لا تقنع أحدًا، وفي أقصوصة مفككة تظهر الأنبياء عليهم السلام وهم يتنافسون على أن يضحوا بأبنائهم، على شاكلة التضحية بالحسين رضي الله عنه، وهي تأويلات مضحكة ولا ينطلي أفكها على صاحب الفطرة السليمة، ولم ينشأ في بيئة أفسدت فطرته. كما أوّلت آية «المباهلة» على نفس الشاكلة؛ فـ «أنفسنا» التي تشمل كافة المسلمين زمن نزول الآية، صارت تعني عليًا رضي الله عنه، و«نسائنا» التي تعني كافة نساء المسلمين آنذاك، صارت تعني فاطمة رضي الله عنها، و«أبنائنا» التي تعني كافة أبناء المسلمين آنذاك، صارت تعني الحسن والحسين رضي الله عنهم. كما أوّل ﴿كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ﴾ في الآية على أنّهما الحسن والحسين رضي الله عنهما . والسؤال الذي يتبادر إلى الذهن هنا هو: هل سيمنح الله تعالى كل من يؤمن بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم ويتقي الله الحسن والحسين! إذا كانت دلالة الكفلين تنصرف إليهما رضي الله عنهما؟ وهذه التأويلات من المستبعد أن تُقنع حتى أتباع مدرسة الرواية والتأويل، فهم حين يرجعون لأنفسهم ـ كما رجع قوم إبراهيم عليه السلام لأنفسهم حين بهتوا من محاجة النبيّ إبراهيم عليه السلام لهم ـ لا يصدّقون ذلك، غير أنّهم يكابرون في الاعتراف بضعف مثل هذه التأويلات بل وإفكها.

- رابعًا -

التأويلات المتعلقة بأفضلية الأئمة

أ. التأويلات المتعلقة بمتشابه القرآن وبما ظنوا أنّه من المتشابه:

1. تأويل آية ﴿وَٱلَّذِينَ عَقَدَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ فَـَٔاتُوهُمۡ نَصِيبَهُمۡۚ﴾: أوّل أهل الرواية والتأويل ﴿وَٱلَّذِينَ عَقَدَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ﴾ في الآية الثالثة والثلاثين من سورة النساء: ﴿وَلِكُلّٖ جَعَلۡنَا مَوَٰلِيَ مِمَّا تَرَكَ ٱلۡوَٰلِدَانِ وَٱلۡأَقۡرَبُونَۚ وَٱلَّذِينَ عَقَدَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ فَـَٔاتُوهُمۡ نَصِيبَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدًا﴾، على أنّها تعني الأئمة؛ حيث أورد الكليني في الكافي حديثًا نسبه إلى الحسن بن محبوب قال فيه: «سألت أبا الحسن الرضا عليه السلام عن قوله عزَّ وجلّ: ﴿وَلِكُلّٖ جَعَلۡنَا مَوَٰلِيَ مِمَّا تَرَكَ ٱلۡوَٰلِدَانِ وَٱلۡأَقۡرَبُونَۚ وَٱلَّذِينَ عَقَدَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ﴾ قال: إنما عنى بذلك الأئمة عليهم السلام بهم عقد الله عزَّ وجلّ إيمانكم». رواه الكليني، الكافي، باب أنّ القرآن يهدي للإمام.

والتأويل بعيد عن الصحة، ذلك أنّ عقد الإيمان يعني لغة: المصافحة باليد اليمنى للتعاقد، وهي تشبه التوقيع على اتفاق أو عقد باللغة المعاصرة، ومن ثم ﴿وَٱلَّذِينَ عَقَدَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ﴾ تعني الذين عاهدتم أو تعاقدتم معهم، واعتبر أبو مسلم الأصفهاني الأزواج ضمن هؤلاء، ذلك أنّ علاقة الزوجية هي علاقة تعاقدية، والآية تتعلق بالميراث، ومن ثم فدلالة «الذين عقدت إيمانكم» لها وجهان في تقديري: الأول إعطاء حقوق المتعاقدين؛ فإذا كان ثمّة التزام على المتوفى بموجب عقد، وجب تسديد ذلك الالتزام قبل قسمة التركة، حيث ينبغي معاملة المتعاقد معاملة الدائن. والثاني يتعلق بحق الميراث المترتب على عقد الزواج. وفي الحالتين لا تنصرف دلالة «الذين عقدت إيمانكم» للأئمة. ومن غير المتوقع أن يكون لعلي وبعض بنيه رضي الله عنهم، ممن تنصّ عليهم نظرية

الإمامة نصيبًا في ميراث كل متوفى من المسلمين! ومن الواضح لكل ذي بصيرة أن لا صلة للآية بنظرية الولاية.

وتتفق جلّ كتب التفسير بالمأثور على أنّ الآية تتعلق بالمواريث ولا تتعلق بأي شيء آخر.

2. تأويل آية ﴿وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَـٰهُمْ﴾: أوّل أهلُ الرواية والتأويل «الرجال» في الآية السادسة والأربعين من سورة الأعراف: ﴿وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَـٰهُمْ﴾ على أنّها تعني الأئمة؛ حيث أورد الكاشاني في تفسيره الصافي: «في المجمع والجوامع عن أمير المؤمنين عليه السلام: نحن نوقف يوم القيامة بين الجنة والنار فمن ينصرنا عرفناه بسيماه فأدخلناه الجنة، ومن أبغضنا عرفناه بسيماه فأدخلناه النّار. . . . وفي الكافي عن أمير المؤمنين عليه السلام في هذه الآية نحن على الأعراف نعرف أنصارنا بسيماهم، ونحن الأعراف الذين لا يُعرف الله إلا بسبيل معرفتنا، ونحن الأعراف يوقفنا الله عزَّ وجلّ يوم القيامة على الصراط فلا يدخل الجنة إلا من عرفنا وعرفناه ولا يدخل النار إلا من أنكرنا وأنكرناه». ويروى عن سلمان نفس الحديث مع بعض الاختلاف في المتن كما يروى عن القمّي عن الصادق عليه السلام كل أمة يحاسبها إمام زمانها ويعرف الأئمة أولياءهم وأعداءهم بسيماهم وهو قوله: ﴿وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَـٰهُمْ﴾ فيعطوا أولياءهم كتابهم بيمينهم فيمروا إلى الجنة بلا حساب ويعطوا أعداءهم كتابهم بشمالهم فيمروا إلى النار بلا حساب». وأورد الشيرازي في تفسيره الأمثل: «وعلى هذا الأساس، فأصحاب الأعراف فريقان: ضعفاء الإيمان والمتورطون في الذنوب الذين هم بحاجة إلى الرحمة، والأئمّة السادة الذين يساعدون الضعفاء في جميع الأحوال. وعلى هذا فإنّ الطائفة الأولى من الآيات والأحاديث تشير إلى الفريق الأول من الواقفين على الأعراف، وهم الضعفاء، والطائفة الثّانية منها تشير إلى الفريق الثّاني من أصحاب الأعراف، وهم السادة والأنبياء والأئمّة والصالحون. ونرى في بعض الرّوايات ـ أيضًا ـ شاهدًا واضحًا وجليًّا على هذا الجمع مثل الحديث المنقول عن الإمام الصّادق عليه السلام الذي قال فيه: «الأعراف كثبان بين الجنّة والنّار، والرجال الأئمّة يقفون على الأعراف مع شيعتهم وقد سبق المؤمنون إلى الجنّة بلا حساب».

ويقصد من الشيعة الذين يقفون مع الأئمّة على الأعراف العصاة منهم. ثمّ يضيف قائلًا: «فيقول الأئمّة لشيعتهم من أصحاب الذنوب: انظروا إلى إخوانكم في الجنّة قد سبقوا إليها بلا حساب، وهو قوله تبارك وتعالى: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾[1] ثمّ يقال: انظروا إلى أعدائكم في النّار، وهو قوله تعالى: ﴿وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَٰرُهُمْ تِلْقَآءَ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُوا۟ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[2] ثمّ يقولون لمن في النّار من أعدائهم: هؤلاء شيعتي وإخواني الذين كنتم أنتم تختلفون (تحلفون) في الدنيا أن لا ينالهم الله برحمة، ثمّ تقول الأئمّة لشيعتهم: ادخلوا الجنّة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون....... هذا، والنقطة الجديرة بالالتفات هي أنّ الحياة في العالم الآخر مبتنية على أساس النماذج والعيّنات الموجودة في هذه الدنيا، فهكذا الحال بالنسبة إلى الأعراف، لأنّ الناس في هذه الدنيا ثلاث فرق: المؤمنون الصادقون الذين وصلوا إلى الطمأنينة الكاملة في ضوء الإيمان، ولم يدخروا وسعًا في طريق المجاهدة. والمعاندون وأعداء الحق المتصلبون المتمادون في لجاجتهم الذين لا يهتدون بأية وسيلة. والفريق الثّالث هم الذين يقفون في هذا الممر الصّعب عبوره - في الوسط بين الفريقين، وأكثر عناية القادة الصادقين وأئمّة الحق موجّهة إلى هؤلاء، فهم يبقون إلى جانب هؤلاء، ويأخذون بأيديهم لإنقاذهم وتخليصهم من مرحلة الأعراف ليستقروا في صف المؤمنين الحقيقيين. ومن هنا يتّضح أنّ تدخّل الأنبياء والأئمّة في إنقاذ هذا الفريق في الآخرة كتدخلهم لذلك في الدنيا لا ينافي أبدًا قدرة الله وحاكميته على كل شيء، بل كل ما يفعلونه إنّما هو بإذن الله تعالى وأمره».

وعلى الرغم من أنّنا في غنى عن البحث في دلالة كلمة «الأعراف»، وطبيعة الرجال الذين اتّخذوا مواقعهم على الأعراف كما أشارت الآية، فإنّ القول بأنّهم الأئمة المعصومون، ومنحهم وظيفة القاضي يوم الحساب، وليس حتى مجرد وظيفة الشفيع، فيه إضفاء للربوبية على الأئمة وجعلهم أندادًا لله

---

(1) سورة الأعراف، الآية: 46.

(2) سورة الأعراف، الآية: 47.

سبحانه وتعالى عما يصفون، بل وفيه تجنٍّ على العدالة الإلهية، وانحراف عن جوهر الدين، حيث سيحاسب الناس يوم القيامة كما ورد في هذا التأويل، وفقًا لمواقفهم من الأئمة المعصومين ومناصرتهم لهم على خصومهم من عدمه، وليس وفقًا لإيمانهم بالله واتباعهم لأوامره ونواهيه. ثم إذا كان الأئمة هم من سيقضي بين المسلمين من اتباع النبيّ محمد ﷺ وهم من سيحدد من سيدخل إلى الجنّة ومن سيدخل إلى النّار، فكيف بأتباع غيرهم من الأنبياء والرسل منذ آدم عليه السلام وحتى يوم القيامة؟ هل سيقضي بينهم الأئمة أيضًا؟ ووفق أي معيار؟ إيمانهم بالله تعالى أم إيمانهم بنظرية ولاية علي وبعض من ذريته؟ والله تعالى يقول: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا يُؤۡخَذُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ﴾[1]. كما أنّ الآية تضعهم على الأعراف بينما يضعهم المتأوّلون على الصراط، وهو ما يناقض الآية.

وقال بعض المفسرين بالمأثور: إنّهم قوم تساوت حسناتهم وسيئاتهم، وذلك تأويل خاطئ هو الآخر، فالذين يوضعون على الأعراف، وهي أماكن مرتفعة، ويمنحون معرفة سمات أهل الجنة وأهل النار، لا يكونون ممن تساوت حسناتهم وسيئاتهم. بل هم من وجهاء يوم القيامة دون أن نحددهم رجمًا بالغيب، أو أن نماري فيهم أحدًا.

3. **تأويل آية** ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَا وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾: أوّل أهلُ الرواية والتأويل السلم في الآية الحادية والستين من سورة الأنفال: ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَا وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ على أنّها تعني التشيع للأئمة والدخول في أمرهم؛ حيث أورد الكليني في الكافي حديثًا نسبه إلى الحلبي قال فيه: «عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَا﴾ [قال] قلت: ما السلم؟ قال: الدخول في أمرنا». رواه الكليني، الكافي، باب فيه نكت ونتف من التنزيل.

والتأويل خاطئ، ذلك أنّ الآية وردت في سياق إعداد العدة للعدو: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ

(1) سورة البقرة، الآية: 48.

وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾[1]، وأنّ الخطاب موجه للنبيّ ﷺ، أن يجنح إلى السلم إن جنح العدو له. أمّا القول إنّ الجنوح إلى السلم هو دخول في أمر الأئمة، من ذرية علي والحسين رضي الله عنهما، فهو مجرد ليّ لعنق النص القرآني ليخدم نظرية الإمامة، ولو سلّمنا بهذا التأويل جدلًا، لكان المطلوب من النبي ﷺ وفقًا للآية، أن يدخل في أمر علي وبنيه رضي الله عنهم!

وتتفق جلّ الروايات التي أوردها المفسرون بالمأثور على أنّ الجنوح للسلم يعني الميل لترك القتال حين يميل العدو لذلك، دون أن يكون له أية صلة بالدخول في أمر أئمة مدرسة الرواية والتأويل.

4. تأويل آية ﴿وَمَا تُغْنِى ٱلْـَٔايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ﴾: أوّل أهلُ الرواية والتأويل كلمة الآيات في الآية الأولى بعد المئة من سورة يونس: ﴿قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ (101) عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾، على أنّها تعني الأئمة؛ حيث أورد الكليني في الكافي حديثًا نسبه إلى داود الرقي قال فيه: «سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَا تُغْنِى ٱلْـَٔايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ قال: الآيات هم الأئمة، والنذر هم الأنبياء عليهم السلام ». رواه الكليني، الكافي، باب أن الآيات التي ذكرها الله عزّ وجلّ في كتابه هم الأئمة عليهم السلام.

والتأويل خاطئ، ذلك أنّ آيات الله في القرآن تنصرف إلى إحدى ثلاث دلالات: الأولى آيات الذكر الحكيم، والثانية آيات الله في كونه وسننه في خلقه، والثالثة معجزاته تعالى التي زود بها رسله عليهم السلام ، وهي في هذه الآية تنصرف إلى الدلالة الثالثة. والنذر تنصرف في الذكر الحكيم إلى إحدى دلالتين: الأولى الوعيد بعذاب الدنيا أو عذاب الآخرة، الثانية الرسل والمنذرون الذين ينقلون إلى المنذرين الوعيد بالعذاب. والآية لا تتجاوز القول: قل يا محمد للمشركين الذين يطلبون منك إنزال آية: كفاكم ما في السموات والأرض من آيات، فإنّ من سبقكم لم تغن الآيات عنهم شيئًا،

---

(1) سورة الأنفال، الآية: 60.

فالآيات والنذر لا تغني عن القوم الكافرين شيئًا. أمّا التأويل الذي أورده الكليني فبعيد عن الصحة، ويرمي إلى ليّ عنق النص القرآني، وآيات الله تعالى، ليخضعهما لنظريات البشر في الولاية.

وتتفق جلّ الروايات في كتب التفسير بالمأثور على أنّ الآيات تنصرف إلى المعجزات التي طالب بها المشركون محمدًا ﷺ.

5. تأويل آية ﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ : أوّل أهلُ الرواية والتأويل «ومن عنده علم الكتاب» في الآية الثالثة والأربعين من سورة الرعد: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَسْتَ مُرْسَلًا ۚ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ على أنّهم علي والأئمة من بعده؛ حيث أورد الكليني في الكافي حديثًا نسبه إلى بريد بن معاوية قال فيه: «قلت لأبي جعفر عليه السلام: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾؟ قال: إيانا عنى، وعلي أولنا وأفضلنا وخيرنا بعد النبيّ ﷺ». رواه الكليني، الكافي، باب إنه لم يجمع القرآن إلّا الأئمة عليهم السلام وإنهم يعلمون علمه كله. ولقد سبقت الإشارة إلى أنّ الشيرازي أوّل الآية على أنّها نزلت في علي رضي الله عنه دون بقية الأئمة.

والتأويلان خاطئان، ولقد سبق لنا أن تعرّضنا إلى تأويل الشيرازي لهذه الآية، في الآيات المتعلقة بولاية علي رضي الله عنه ويمكن الرجوع إليه هناك، أمّا التأويل الوارد بالكافي فيضيف إلى تأويل الشيرازي، اشتمال دلالة من عنده علم الكتاب على الأئمة رضي الله عنهم، وفيما يتعلق بهذه الإضافة نقول: كيف يمكن أن يكون الأئمة ﷺ شهداء بين النبيّ وكفار قريش؟ وجلهم لم يعاصر النبي ﷺ، في حين أنّ أهل الكتاب المعاصرين له يمكنهم أن يكونوا شهداء عليهم، ثم إنّ الشهادة المطلوبة هي على كون ما جاء به محمد ﷺ هو من عند الله تعالى، فكيف يمكن لمن تلقى الكتاب من محمد ﷺ دون غيره، أن يكون شاهدًا عليه. فالشهادة على ذلك يمكن أن تقبل ممن تلقى وحي الله تعالى من غيره من الأنبياء والرسل عليهم السلام.

وتتفق جلّ كتب التفسير بالمأثور على أنّ دلالة «الذي عنده علم

الكتاب»، تنصرف إلى الذين عندهم علم الكتب التي نزلت قبل القرآن كالتوراة والإنجيل.

6. تأويل الآية ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾: أوّل أهلُ الرواية والتأويل الآية الرابعة والعشرين من سورة إبراهيم: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾، على أنّ أصل الشجرة يعني محمدًا ﷺ، وأن فرعها يعني عليًا رضي الله عنه؛ حيث أورد الكليني في الكافي حديثًا نسبه إلى عمرو بن حريث قال فيه: «سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله: ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ قال: فقال: رسول الله ﷺ أصلها، وأمير المؤمنين عليه السلام فرعها، والأئمة من ذريتهما أغصانها وعلم الأئمة ثمرتها وشيعتهم المؤمنون ورقها، هل فيها فضل؟ قال: قلت: لا والله، قال: والله إنّ المؤمن ليولد فتورق ورقة فيها وإنّ المؤمن ليموت فتسقط ورقة منها». رواه الكليني، الكافي، باب فيه نكت ونتف من التنزيل.

والتأويل خاطئ، ذلك أنّ الله تعالى ضرب لنا مثلًا بالكلمة الطيبة بالمطلق، أي كلمة طيبة على أنّها كشجرة طيبة ثابتة الجذور أو الأصل، ويتجه فرعها إلى السماء، وتؤتي أكلها كل حين أي تثمر كل موسم، والكلمة الطيبة مطلق غير مقيد، والشجرة الطيبة مطلقة غير مقيدة، وكل تقييد ورد بشأنهما في كتب التفسير غير دقيق، وإن انطبقت عليه الدلالة فلا ينبغي حصرها فيه. ويقابل هذا المثل مثلًا آخر ضربه الله تعالى لنا في الآية السادسة والعشرين من نفس السورة حيث قال: ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ﴾[1]. أمّا تأويلها على النحو الوارد في الحديث، فهو مجرد إلباس للحق بالباطل، وليّ لعنق الآية لإخضاعها لنظريات البشر المتعلقة بالولاية.

وعلى الرغم من اختلاف الروايات التي أوردها المفسرون بالمأثور، حول دلالة الكلمة الطيبة حيث قال بعضهم بأنّها تنصرف إلى الإيمان وقال

---

(1) سورة إبراهيم، الآية: 26.

غيرهم بأنّها تنصرف إلى المؤمن، إلّا أنّهم لم يذهبوا إلى ما ذهب إليه التأويل الذي أورده الكليني.

7. تأويل ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ﴾: أوّل أهلُ الرواية والتأويل «المثاني» في الآية السابعة والثمانين من سورة الحجر: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ﴾ على أنّها تعني الأئمة؛ حيث أورد الكاشاني في تفسيره الصافي: «وفي التوحيد والعياشي والقميّ عن الباقر عليه السلام نحن المثاني التي أعطاها الله نبيّنا قال الصدوق طاب ثراه قوله: نحن المثاني أي نحن الذين قرنا النبّي صلى الله عليه وآله وسلم إلى القرآن وأوصى بالتمسك بالقرآن وبنا وأخبر أمته أنّا لا نفرّق حتى نردّ حوضه».

وهذا تأويل غريب لم يذهب إليه غير أهل الرواية والتأويل، ويهدف إلى إضفاء القدسية على ما يعتقدون أنّهم الأئمة رضي الله عنهم. وبغض النظر عن الدلالة الدقيقة للمثاني، فإنّ القول بأنّ المثاني هم علي وبعض ذريته رضي الله عنهم، قول يجانبه الصواب ولا يقبله صاحب الفطرة السليمة، ولا يتفق مع قوله تعالى: ﴿ءَاتَيْنَٰكَ﴾، فلو كانوا هم المقصودون لقال أزرناك أو شددنا عضدك بهؤلاء ولم يقل أتيناك.

وأورد المفسرون بالمأثور روايات عديدة نصّت على تأويلات ثلاث للمثاني: أوّل أولها المثاني على أنّها آيات الفاتحة، وأوّل ثانيها المثاني على أنّها السور السبع الطوال، وأول ثالثها المثاني على أنّها القرآن كله.

8. تأويل آية ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾: أوّل أهلُ الرواية والتأويل الموازين القسط في الآية السابعة والأربعين من سورة الأنبياء: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ على أنّها تعني الأنبياء عليهم السلام والأوصياء رضي الله عنهم؛ حيث أورد الكليني في الكافي حديثًا نسبه إلى إبراهيم الهمداني رفعه إلى أبي عبد الله عليه السلام قال فيه: «في قوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ قال: الأنبياء والأوصياء عليهم السلام». رواه الكليني، الكافي، باب فيه نكت ونتف من التنزيل.

والتأويل خاطئ، ذلك أنّ الآية معنية بيوم الحساب، والموازين القسط

يضعها الله تعالى لمحاسبة العباد عن أعمالهم في الدنيا، ليتحدد مصيرهم فيدخل من فاقت حسناته سيئاته الجنة، ويدخل من فاقت سيئاته حسناته النّار. أمّا تأويلها على النحو الوارد في الحديث فلا يعدو كونه إلباسًا للحق بالباطل، وليًّا لعنق النص القرآني لإخضاع آيات الله تعالى لنظريات البشر في الولاية.

وتتفق جلّ الروايات التي أوردها المفسرون بالمأثور، على أنّ الموازين القسط تنصرف إلى ما يوزن به أعمال العباد بالقسط يوم القيامة، وكفى بالله تعالى حسيبًا.

9. تأويل الآية ﴿وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ﴾: أوّل أهلُ الرواية والتأويل «البئر المعطلة» في الآية الخامسة والأربعين من سورة الحج: ﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ﴾، على أنّها تعني الإمام الصامت، وأن «القصر المشيد» تعني الإمام الناطق؛ حيث أورد الكليني في الكافي حديثًا نسبه إلى موسى بن القاسم البجلي قال فيه: «عن علي بن جعفر، عن أخيه موسى عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ﴾ قال: البئر المعطلة الإمام الصامت والقصر المشيد الإمام الناطق. ورواه محمد بن يحيى، عن العمركي، عن علي بن جعفر، عن أبي الحسن عليه السلام مثله». رواه الكليني، الكافي، باب فيه نكت ونتف من التنزيل.

والتأويل خاطئ، ذلك أنّ البئر المعطّلة والقصر المشيد جزء من مشهد القرية التي أهلكها الله تعالى؛ فالبئر تعطل، والقصر المشيد صار بلا ساكنين. أما الربط بين البئر والقصر والإمامين الصامت والناطق فلا يستقيم، ولا يوجد أي مسوغ له في الآية، ولا في الآيات السابقة واللاحقة له.

وتتفق جلّ الروايات التي أوردها المفسرون بالمأثور، على أنّ دلالة البئر المعطّلة في الآية تنصرف إلى أنّه لا يستقى منها، ولا يردها أحد بعد كثرة وارديها، والقصر المشيد المنيع الحصين، غير أنّه مع ذلك لم يحم أهله من بأسه تعالى.

10. تأويل ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ﴾: أوّل أهلُ الرواية والتأويل الآية الثلاثين

بعد المئة من سورة الصافات: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلۡ يَاسِينَ﴾ على أنّها نزلت في آل محمد ﷺ، ويقصدون أهل بيت علي وذريته من الأئمة ؛ حيث أورد الكاشاني في تفسيره الصافي: «القمّي: ثم ذكر عزَّ وجلّ آل محمد صلوات الله عليهم فقال وتركنا عليه في الآخرين سلام على إل ياسين محمد وآل محمد الأئمة . غير أنّ الشيرازي لم يتفق مع هذه الرواية في تفسيره الأمثل: «من هم إل ياسين؟ المفسّرون والمؤرخون أبدوا وجهات نظر مختلفة بشأن (الياسين) منها:

أ. ذهب البعض إلى أنّ إلياس والياسين هما لغتان، كما هو شائع بالنسبة لـ (ميكال) و(ميكائيل) إذ إنّهما لغتان في اسم واحد لأحد الملائكة، ولـ (سيناء) و(سينين) حيث تطلقان على مساحة من الأرض تقع بين مصر وفلسطين، و(إلياس) و(الياسين) هي أيضًا لغتان في اسم واحد لهذا النّبي الكبير.

ب. البعض الآخر يعتبرها جمعًا، وبهذا الشكل (إلياس) أُضيفت إليها (ياء) فأصبحت (الياسي)، وبعد ذلك جمعت بإضافة الياء والنون إليها فأصبحت (الياسيين) وبعد تخفيفها غدت (الياسين)، وطبقًا لهذا يفهم منها أنّها تخصّ كلّ الذين أطاعوا إلياس والتزموا بنهجه.

ت. (آلياسين) بالألف الممدودة، مركّبة من كلمتي (آل) و (ياسين) وقيل إنّ ياسين هو اسم والد (إلياس)، ووفق رواية أخرى فإنّه أحد أسماء نبيّنا الأكرم محمّد ﷺ وبهذا فإنّ كلمة (آل ياسين) تعني عائلة نبي الإسلام أو عائلة ياسين والد اليأس.

الدلائل الواضحة الموجودة في القرآن تؤيّد المعنى الأول، والذي يقول: إنّ المقصود من (الياسين) هو (إلياس) لأنّ الآية التي تلي هذه الآية المباركة ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلۡ يَاسِينَ﴾ بآية تقول: ﴿إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ وعودة الضمير المفرد على (الياسين) دليل على أنّه شخص واحد لا أكثر، وهو إلياس. وهناك دليل آخر، هو أنّ الآيات الأربع الأخيرة التي وردت في نهاية قصّة إلياس، هي نفس الآيات التي وردت في نهاية قصص نوح وإبراهيم وموسى وهارون، وعندما نضع هذه الآيات الواحدة إلى جنب الأخرى نرى أنّ سلام الله في تلك

الآيات مرسل إلى الأنبياء الذين تتطرّق إليهم الآيات المباركة، ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ - ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ - ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾. وطبقًا لذلك فإنّ ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ﴾ تعني السلام على إلياس. والنقطة التي ينبغي الالتفات إليها، أنّ الكثير من التفاسير أوردت حديثًا بسند عن ابن عبّاس يصرّح بأنّ المراد من إل ياسين هم آل محمّد ﷺ، لأنّ أحد أسماء نبيّنا هو ياسين».

وثمّة عدم اتفاق في الروايات المذكورة آنفًا؛ حول ما إذا كان ياسين نبيًّا، أم هو مجرد تحوير لاسم النبّي إلياس، وما إذا كان المقصود السلام على آل النبّي إلياس أو على آل ياسين، أم أنّ أحد أسماء النبّي إلياس هو إل ياسين، ومن ثم فالسلام ينصرف إليه دون آله. أمّا اعتبار ياسين اسمًا من أسماء النبّي محمد ﷺ، فهو ما لم يشتهر به من جهة، وينطبق عليه ما ينطبق على تسمية النبّي ﷺ بـ «طه»؛ ذلك أنّه ﷺ سُمي بطه لمجرد ورود الحرفين «الطاء» و«الهاء» في فاتحة سورة طه، غير أنّه لا طه ولا يس اسمان له ﷺ. ثم إنّ الدلائل التي ساقها الشيرازي جديرة بالوقوف عندها؛ حين استشهد باستخدام القرآن للضمير المفرد في الآية التالية للآية المذكورة: ﴿إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ مما يدل على أنّه شخص واحد لا أكثر. ثم إنّ الآية السابقة استخدمت ضمير الغائب، ولم تستخدم ضمير الغائبين: ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي ٱلْءَاخِرِينَ﴾، والآيات من (123 إلى 132) تتحدث عن النبيّ إلياس عليه السلام. ومن هناك فاعتبار الآية تعني علي والأئمة من بنيه رضي الله عنهم، أو حتى آل محمد ﷺ رضي الله عنهم - والتي هي أوسع نطاقًا من الأئمة - دون دليل قطعي، لا يستقيم، ولا يتجاوز كونه تحريفًا للكلم عن مواضعه، وإخضاعًا لآيات القرآن لنظريات ومعتقدات البشر في الولاية.

ويتفق جلّ المفسرين بالمأثور على أنّ إل ياسين عليه السلام نبيًّا، ولا تنصرف دلالته إلى آل محمد رضي الله عنهم.

11. تأويل آية ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ﴾: أوّل أهلُ الرواية والتأويل العرش في الآية السابعة عشرة من سورة الحاقة على أنّه العلم، والعدد ثمانية في نفس الآية على أنّه بعض الرسل والأئمة المعصومين «علي وبعض بنيه» رضي الله عنهم: ﴿وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ﴾، حيث

أورد الكاشاني في تفسيره الصافي: «في المجمع عن النبّي ﷺ أنهم اليوم أربعة فإذا كان يوم القيامة أيدهم بأربعة أخرى فيكونون ثمانية. وفي الكافي عن الصادق عليه السلام قال حملة العرش والعرش العلم ثمانية أربعة منّا، وأربعة ممن شاء الله . . . . . وفي حديث آخر قال حملة العرش ثمانية. أربعة من الأولين نوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام وأما الأربعة من الآخرين فمحمد وعلي والحسن والحسين صلوات الله عليهم ومعنى يحملون العرش يعني العلم».

وهذا التأويل خاطئ، سواء تعلق الأمر بتأويل العرش على أنّه العلم، أو تعلق بتأويل العدد ثمانية على أنّه الرسل والأئمة المذكورون. والغريب أنّ بعض تأويلات أهل الرواية والتأويل تجسم العرش وتجعل له ساقًا كتب عليها أسماء علي وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم، كما ورد في تأويل الكلمات التي تلقاها آدم عليه السلام من ربه، ثم إذا به في هذه الآية العلم، فهل للعلم ساق؟ أمّا القول المنسوب للصادق رضي الله عنه فلا يستقيم، ويستبعد أن يصدر منه، وهو البليغ الفصيح فالقول أربعة منا، وأربعة مما شاء الله لا يليق نسبته إليه، ذلك أنّ التعبير يُخرج اختيار الأربعة الأوائل من مشيئة الله سبحانه وتعالى، ويجعل للأئمة نصف المشيئة مع الله سبحانه وتعالى في اختيار حملة العرش! ثم إنّ شأن العدد ثمانية كشأن العدد تسعة عشر في الآية الحادية والثلاثين من سورة المدّثر﴿وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ . والله تعالى يقول في موضع آخر: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾[1]. وهو ما يعني بأنّهم ملائكة وليسوا بشرًا.

وكتب التفسير بالمأثور مليئة بالكثير من الخرافات غير المقبولة، فيما يتعلق بطبيعة حاملي العرش، والتي لا ضرورة لها، وقد نهى تعالى عن الانشغال بما تشابه من القرآن في نفس الآية: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ﴾.

---

(1) سورة غافر، الآية: 7.

12. تأويل آية ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾: أوّل أهلُ الرواية والتأويل الآية التاسعة عشرة من سورة الانشقاق: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾، على أنّها تعني إدارة الظهر للأئمة، واختيار غيرهم للخلافة؛ حيث أورد الكليني في الكافي حديثًا نسبه إلى زرارة قال فيه: «عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ قال: يا زرارة أو لم تركب هذه الأمة بعد نبيها طبقًا عن طبق في أمر فلان وفلان وفلان». رواه الكليني، الكافي، باب فيه نكت ونتف من التنزيل.

والتأويل يلوي عنق الآية لتخدم نظرية الإمامة، وبغض النظر عن الدلالة الدقيقة للآية، والطبقات التي سيركبها الناس يوم القيامة، فإنّ دلالتها بعيدة كل البعد عمّا أولت إليه. غير أنّ المبطلين والذين في قلوبهم زيغ يتبعون ما تشابه من القرآن: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ﴾[1]. وهذا الطبرسي أحد مفسري مدرسة التأويل لا يوافق الكليني في ما ذهب إليه فيورد في مجمع البيان في معرض تفسيره للآية: «﴿وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ﴾ أي إذا استوى واجتمع وتكامل وتمَّ. قال الفراء: اتساقه امتلاؤه واجتماعه واستواؤه لثلاث عشرة إلى ست عشرة ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ هذا جواب القسم أي لتركبن يا محمد سماء بعد سماء تصعد فيها عن ابن عباس وابن مسعود ومجاهد والشعبي والكلبي ويجوز أن يريد درجة بعد درجة ورتبة بعد رتبة في المقربة من الله ورفعة المنزلة عنده. وروى مجاهد عن ابن عباس أنه كان يقرأ لتركبن بفتح الباء طبقًا عن طبق قال: يعني نبيُّكم حالًا بعد حال رواه البخاري في الصحيح ومن قرأ بالضم فالخطاب للناس أي لتركبن حالًا بعد حال ومنزلًا بعد منزل وأمرًا بعد أمر يعني في الآخرة، والمراد أن الأحوال تتقلب بهم فيصيرون على غير الحال التي كانوا عليها في الدنيا».

وتتفق جلّ الروايات التي أوردها المفسرون بالمأثور على أنّ دلالة ﴿طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ تنصرف إلى حال بعد حال، وهو الموت ثم الحياة وما بعدها من أحوال القيامة.

---

(1) سورة آل عمران، الآية: 7.

خاتمة المبحث:

جدول التحريف رقم (1 ـ 4 ـ أ):

التأويلات المتعلقة بمتشابه القرآن وبما ظنوا أنّه من المتشابه:

الكَلِم	الدلالة المحرّفة	الدلالة الأصلية
﴿وَٱلَّذِينَ عَقَدَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ فَـَٔاتُوهُمۡ نَصِيبَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدًا﴾	وأتوا الأئمة، من ولد علي وعلي، الذين عقدتم إيمانكم، نصيبهم من الميراث إنّ الله على ذلك شهيد.	وأتوا الذين عقدتم إيمانكم نصيبهم من الميراث إنّ الله على ذلك شهيد.
﴿وَعَلَى ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٞ يَعۡرِفُونَ كُلَّۢا بِسِيمَىٰهُمۡۚ﴾	وعلى الأعراف الأئمة «علي وبعض من ذريته» يعرفون أنصارهم بسيماهم. يوقفون يوم القيامة على الصراط، فلا يدخل الجنة إلا من عرفهم وعرفوه، ولا يدخل النار إلا من أنكرهم وأنكروه.	وعلى الأعراف رجالٌ مقربون يعرفون أهل الجنة وأهل النار بسيماهم فينادون أصحاب الجنة: «سلام عليكم» قبل دخولهم الجنة وهم طامعون في دخولها.
﴿قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدَۢا بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡ وَمَنۡ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾	قل يا محمد للمكذبين كفى بالله شهيدًا بيني وبينكم، وعلي والأئمة من ولده، الذين عندهم علم الكتاب.	قل يا محمد للمكذبين كفى بالله شهيدًا بيني وبينكم، والذين عندهم علم الكتاب من اليهود والنصارى.
﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ سَبۡعٗا مِّنَ ٱلۡمَثَانِي وَٱلۡقُرۡءَانَ ٱلۡعَظِيمَ﴾	ولقد آتيناك سبعًا من الأئمة والقرآن العظيم!	ولقد آتيناك سبعًا من الآيات أو السور المثاني، والقرآن العظيم.
﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلۡ يَاسِينَ﴾	سلام على محمد وعلي والأئمة من ولده.	سلام على النبيّ إل ياسين، إنه من عبادنا المؤمنين.
﴿وَيَحۡمِلُ عَرۡشَ رَبِّكَ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ ثَمَٰنِيَةٞ﴾	ويحمل علم ربّك فوقهم يومئذٍ محمد وعلي والحسن والحسين وأربعة آخرون ممن شاء الله!	ويحمل عرش ربّك فوقهم يومئذٍ ثمانية. الأرجح أن يكونوا من الملائكة.

﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾	لتركبن أيها المسلمون من أتباع محمد خلافة ظالمة بعد خلافة ظالمة.	لتركبن أيها الناس مراكب عديدة، فتنتقلون من حال إلى حال؛ كالموت بعد الحياة، والحياة بعد الموت، وما بعدها من أحوال القيامة والثواب والعقاب.
﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾	وإن دخلوا في أمر الأئمة من ولد علي وعلي يا محمد فادخل في أمرهم! وتوكل على الله.	وإن جنح أعداء الله وأعداؤكم للسلم فاجنح له يا محمد وتوكل على الله.
﴿وَمَا تُغْنِي ٱلْآيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾	وما يغني الأئمة من ولد علي وعلي ولا الأنبياء عن قوم لا يؤمنون.	وما تغني آيات الله في الكتابين المنشور والمعمور ولا الوعيد عن قوم لا يؤمنون بالله.
﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾	ألم تر يا محمد كيف ضرب الله مثلًا كلمة طيبة كشجرة أنت أصلها ثابت في الأرض، وعلي فرعها في السماء، والأئمة من ولد علي أغصانها، وعلم الأئمة ثمرتها وشيعتهم ورقها.	ألم تر يا محمد كيف ضرب الله مثلًا كلمة طيبة في المطلق كأن تكون الدعوة إلى الله كشجرة طيبة أصلها ثابت في الأرض وفرعها في السماء.
﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا﴾	ونضع الأنبياء والأوصياء موازينَ ليوم القيامة.	ونضع الموازين القسط يوم القيامة، لمحاسبة العباد عن أعمالهم في الدنيا، فلا يظلم العباد شيئًا.
﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ﴾	وكأين من قرية أهلكناها وهي ظالمة فصارت حطامًا، وإمام صامت وإمام ناطق!	وكأين من قرية أهلكناها وهي ظالمة فصارت حطامًا، وبئرها معطلة وقصرها خالٍ.

التعليق:

تتبع المتأوّلون من أهل الرواية والتأويل نظريات أهل الحديث والنسخ، ونسجوا على منوالها؛ فحين صاغ أهل الحديث والنسخ نظرية أفضلية النبيّ

محمد ﷺ على بقية الرسل عليهم السلام، بل وعلى الخلق أجمعين. توسع فيها أهل الرواية والتأويل فأضافوا إليها نظرية أفضلية الأئمة على الخلق أجمعين .فأوّلوا بعض متشابه القرآن بما يعزز نظرية أفضلية الأئمة، وعادة ما يجد المتأوّلون والمحرفون للكلم عن مواضعه ضالتهم في متشابه القرآن، ذلك أنّ الله تعالى يـقـول: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ﴾[1]. ومن هناك سارع متأوّلو أهل الرواية والتأويل إلى متشابه القرآن يستنطقونه كما يريدون، ويطوعونه إلى ما شاؤوا من نظريات ومعتقدات ما أنزل الله بها من سلطان، واستظلوا بمظلة أهل بيت علي رضي الله عنه وقرباهم لبيت النبوّة، ليوهموا العامة بأنّه ثمة تأويلات لمتشابه القرآن لم يبلّغها الرسول ﷺ لعامة المسلمين وخصّ بها علي وبعض بنيه رضي الله عنهم. وغفلوا عن أنّه لو فعل رسول الله ﷺ ذلك، فما بلّغ رسالته وقصر في تبليغها، حاشا لله أن يعص ربّه ويفعل ذلك. ومن يتبنى هذا القول إنّما يتهم رسول الله ﷺ بالتقصير في تبليغ دعوته لقومه وللناس أجمعين.

وعلى ضوء ذلك أوّل المتأوّلون بعض متشابه القرآن بطريقة لا تستند إلى أي منطق أو بيّنة، فأوّلوا «الرجال الذين هم على الأعراف»، و«من عنده علم الكتاب»، و«السبع المثاني»، و«إل ياسين»، وكذلك «نصف حملة العرش» على أنّهم الأئمة رضي الله عنهم، كما أوّلت ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ على أنّها تعني التخلي عن الأئمة واختيار غيرهم للخلافة. وهذه التأويلات لا تستند على أي بيّنة ويمكن لأي مدعٍ آخر القول بأنّها تعني الخلفاء الراشدين، أو بعض شيوخ الطرق الصوفية، طالما أنّ الأمر لا يقتضي تقديم أي بيّنة ويقتصر على روايات يصعب التحقق من صحتها.

وأوّلوا الكلمات التي شابها بعض الغموض لدى المتأوّلين في مدرسة الرواية والتأويل، في الآيات التي تناولناها آنفًا تأويلات واهية؛ فـ «الذين عقدت إيمانكم» صاروا الأئمة وفي آية تتعلق بالمواريث، و«الجنوح للسلم» صار جنوحًا للأئمة في آية تأمر المسلمين بأن يعدوا لأعدائهم ما يستطيعون من

(1) سورة آل عمران، الآية: 7.

قوة، كما صارت «الآيات» تنصرف إلى الأئمة في آية تدعونا للنظر في آيات الله في كونه، و«الشجرة الطيبة» التي هي مجرد تشبيه إلهي للكلمة الطيبة صار أصلها محمد ﷺ وفرعها علي رضي الله عنه، و«الموازين القسط» التي ستوزن بها أعمال العباد يوم القيامة صارت الأنبياء والأوصياء عليهم السلام، و«البئر المعطّلة» صارت إمامًا صامتًا، و«القصر المشيد» صار إمامًا ناطقًا، في آية تتحدث عن قرية أهلكها الله تعالى لظلمها. ومن هناك فالتأويلات التي ساقها أهل الرواية والتأويل ما أنزل الله بها من سلطان، وتُلبس الحق بالباطل، وتلوي عنق النص القرآني لتخضعه بطريقة فجّة لنظريات البشر في الولاية.

ب. التأويلات التي تختزل المآثر في الأئمة

1. تأويل آية ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَتۡلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾: أوّل أهلُ الرواية والتأويل اسم الإشارة «أولئك» في الآية الحادية والعشرين بعد المئة من سورة البقرة: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَتۡلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾، على أنّه ينصرف إلى الأئمة؛ فهذا الكليني يروي في الكافي حديثًا نسبه إلى أبي ولاد قال فيه: «سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عزَّ وجلّ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَتۡلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۗ﴾ قال: هم الأئمة». رواه الكليني، الكافي، باب أنّ الأئمة في كتاب الله إمامان: إمام يدعو إلى الله وإمام يدعو إلى النار.

والتأويل فاسد لكل ذي بصيرة، أفيعقل أن يقتصر الذين أوتوا الكتاب ويتلونه حق تلاوته على الأئمة رضي الله عنهم دون غيرهم؟

إنّ دلالة الآية لا تتجاوز في تقديري واحد من دلالتين: الدلالة الأولى: دلالة عامة تنسحب على كل الذين أتتهم الكتب، فآمنوا بها حق الإيمان واتبعوها حق الاتباع. الدلالة الثانية: دلالة خاصة وتنصرف للمسلمين من أتباع النبيّ محمد ﷺ، وتنسحب على كل مسلم آمن بكتاب الله حق الإيمان واتبعه حق الاتباع. والدلالة الثانية قد تنقسم إلى دلالتين أيضًا: الأول ـ أن تنصرف لمن كان شاهدًا على النبوّة ونزول الوحي دون غيرهم، والثاني ـ أن تشمل كل مسلم من أتباع النبيّ محمد ﷺ إلى قيام الساعة. وهذا متوقف على دلالة

الإتيان، فإذا شملت دلالتها الذين ورثوا الكتاب، واعتبرت الوراثة طريقة من طرق الإتيان شملتهم الآية، وإن لا فلا.

وتتمحور الروايات التي أوردتها كتب التفسير بالمأثور عن الذين عناهم الله جلّ ثناؤه بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ حول رأيين يرى الأول: أنّهم المؤمنون من أهل الكتب السابقة، ويرى الثاني: أنّهم المؤمنون من أهل القرآن. أما التأويل الذي أورده الكليني فلا يتجاوز كونه إلباسًا للحق بالباطل، وإخضاعًا لآيات الله لنظريات البشر في الولاية.

2. تأويل آية ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ﴾: أوّل أهلُ الرواية والتأويل «الراسخون في العلم» في الآية السابعة من سورة آل عمران: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ الراسخون في العلم على أنّهم الأئمة المعصومون، وعلى أنّهم يعلمون تأويله؛ حيث أورد الكاشاني في تفسيره الصافي: «وفي الكافي والعياشي عن الصادق عليه السلام نحن الراسخون في العلم ونحن نعلم تأويله».

ومن الواضح في الآية أنّ «الراسخين في العلم» الواردة في الآية مجرد فاعل للفعل يقولون، ولا علاقة لها لغة بمعرفة التأويل، ويتفق جلّ المفسرين بأنّ دلالة الآية تنحصر في قول الراسخين في العلم: آمنّا بالمتشابه والمحكم وأن جميع ذلك من عند الله. ومن هناك فإنّ تأويل الآية على أنّها تعني الأئمة «علي وبعض من ذريته» رضي الله عنهم، أو حتى القول بأنّها تدل على أنّ الراسخين في العلم يعلمون تأويله، لا يتجاوز كونه تحريفًا للكلم عن مواضعه، وإخضاعًا لآيات الله لنظريات البشر.

3. تأويل آية ﴿فَٱذۡكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ﴾: أوّل أهلُ الرواية والتأويل كلمة «آلاء» في الآية الثامنة والستين من سورة الأعراف: ﴿أَوَعَجِبۡتُمۡ أَن جَآءَكُمۡ ذِكۡرٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنكُمۡ لِيُنذِرَكُمۡۚ وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ جَعَلَكُمۡ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعۡدِ قَوۡمِ نُوحٖ وَزَادَكُمۡ فِي ٱلۡخَلۡقِ بَصۜۡطَةٗۖ فَٱذۡكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾، على أنها تعني ولاية الأئمة

الذين تنص عليهم نظرية الإمامة؛ حيث أورد الكليني في الكافي حديثًا نسبه إلى الهيثم بن واقد قال فيه: «عن أبي يوسف البزاز قال: تلا أبو عبد الله عليه السلام هذه الآية: «واذكروا آلاء الله» قال: أتدري ما آلاء الله؟ قلت: لا، قال: هي أعظم نعم الله على خلقه وهي ولايتنا». رواه الكليني، الكافي، باب أن النعمة التي ذكرها الله عزَّ وجلّ في كتابه الأئمة عليهم السلام.

والتأويل خاطئ، ذلك أنّ كلمة «آلاء» وردت في القرآن 34 مرة، كانت 31 منها في سورة الرحمن، وجميعها تنصرف إلى نعم الله تعالى، فآلاء تعني النعم، والآية تدعو العرب إلى ذكر نعم الله تعالى عليهم، وفي مقدمتها التنزيل: ﴿ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ﴾. أمّا تأويل الآية على النحو الذي أورده الكليني فلا يتجاوز كونه إلباسًا للحق بالباطل، وإخضاعًا لآيات الله لنظريات البشر في الولاية، وسورة الرحمن تعدد لنا آلاء الله وتعطينًا الدلالة القرآنية لكلمة آلاء لمن أراد الاستزادة في هذا الأمر.

وتتفق معاجم اللغة وجلّ كتب تفسير بالمأثور على أنّ دلالة آلاء الله تنصرف إلى نعم الله تعالى.

4. تأويل آية ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾: أوّل أهلُ الرواية والتأويل «الصادقين» في الآية التاسعة عشرة بعد المئة من سورة التوبة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾، على أنّها تنصرف إلى علي رضي الله عنه وبنيه من الأئمة المعصومين؛ حيث أورد الشيرازي في تفسيره الأمثل ما يلي: «هل المراد من الصّادقين هم المعصومون فقط؟ بالرغم من أنّ مفهوم الصادقين ـ كما ذكرنا سابقًا ـ مفهوم واسع، إلّا أنّ المستفاد من الرّوايات الكثيرة أنّ المراد من هذا المفهوم هنا هم المعصومون فقط. يروي سليم بن قيس الهلالي: إنّ أمير المؤمنين عليه السلام كان له يومًا كلام مع جمع من المسلمين، ومن جملة ما قال: «فأنشدكم الله أتعلمون أن الله أنزل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾. فقال سلمان: يا رسول الله أعامّة هي أم خاصّة؟ قال: أمّا المأمورون فالعامّة من المؤمنين أُمروا بذلك، وأمّا الصادقون فخاصّة لأخي علي والأوصياء من بعده إلى يوم القيامة»؟ قالوا: اللّهم نعم. ويروي نافع عن عبد الله بن عمر: إنّ الله

سبحانه أمر أولًا المسلمين أن يخافوا الله ثمّ قال: (كونوا مع الصّادقين) يعني مع محمّد وأهل بيته» (الشيرازي، التفسير الأمثل). كما أورد الكاشاني في تفسيره الصافي: (في الكافي عن الباقر عليه السلام إيّانا عني، وعن الرضا عليه السلام الصادقون هم الأئمة عليهم السلام والصديقون بطاعتهم». كما استشهد بمصادر شيعية أخرى لتأكيد نفس القول، وأورد نفس رواية الشيرازي عن علي بن أبي طالب دون ذكره بالاسم في متن الحديث.

وهذا تأويل خاطئ لا تغيب مجانبته الصواب عن صاحب الفطرة السليمة، حيث فيه تقييد لما هو مطلق وتخصيص لما هو عام؛ فالصادقون في الآية تشمل كل من أسلم وجهه لله وهو مؤمن، من أتباع كافة الأنبياء والرسل منذ آدم عليه السلام وإلى قيام الساعة. وقصرها على عدد محدد من المسلمين، أو حتى على أتباع نبيّ واحد عليه السلام، أو على علي وبنيه رضي الله عنهم، أو على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، تأويل خاطئ وفيه تجنٍّ على اللغة، وعلى ذكاء المتلقي، وعلى آيات الله تعالى التي يخضعها التأويل لعقائد ونظريات البشر.

ومع التسليم بعمومية كلمة الصادقين في هذه الآية، لا بدّ من الإشارة إلى أنّ وصف الصادقين ورد مرتين في القرآن: فاقتصر على وصف المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم بمكة في الآية الثامنة سورة الحشر: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾. بينما ورد عامًا في الحجرات الآية الخامسة عشرة لينصرف للمؤمنين الذين لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾.

واختلفت الروايات التي أوردها المفسرون بالمأثور حول دلالة الصادقين؛ فقالت بعضها إنّها تنصرف إلى أهل الصدق، وقالت أخرى إنّها تنصرف إلى محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه.

5. تأويل آية ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾: أوّل أهلُ الرواية والتأويل كلمة «المتوسمين» في الآية الخامسة والسبعين من سورة الحجر: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ

﴿لَآيَٰتٖ لِّلۡمُتَوَسِّمِينَ﴾، على أنّها تعني الأئمة؛ حيث أورد الكليني في الكافي حديثًا نسبه إلى جابر قال فيه: «عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٖ لِّلۡمُتَوَسِّمِينَ﴾ قال: كان رسول الله ﷺ المتوسم، وأنا من بعده والأئمة من ذريتي المتوسمون». رواه الكليني، الكافي، باب أن المتوسمين الذين ذكرهم الله تعالى في كتابه هم الأئمة عليهم السلام والسبيل فيهم مقيم.

وهذا التأويل خاطئ، ذلك أنّ «المتوسمين» تنصرف إلى المتحققين والمدققين من سمة الشيء بإدامة النظر فيه، ومن هناك فدلالتها تنصرف لأولي الألباب، ودلالة الآية لا تتجاوز القول بأنّ في العذاب الذي أنزله تعالى على قوم لوط آيات للمتدبرين وأهل العقول. أمّا تأويل المتوسمين على النحو الوارد لدى الكليني فلا يستقيم، ولا يتجاوز كونه تحريفًا للكلم عن مواضعه، وليًّا لعنق النص القرآني وآيات الله لإخضاعها لنظريات البشر لتوافق نظرية الإمامة.

ويتفق جلّ المفسرين بالمأثور على أنّ المتوسمين تعني الناظرين والمتفكّرين والمعتبرين.

6. **تأويل آية** ﴿وَعَلَٰمَٰتٖۚ وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ﴾: أوّل أهلُ الرواية والتأويل «العلامات» في الآية السادسة عشرة من سورة النحل: ﴿وَعَلَٰمَٰتٖۚ وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ﴾، على أنّ العلامات تعني الأئمة، كما أولو «النجم» على أنّه يعني النبيّ ﷺ؛ حيث أورد الكليني في الكافي حديثًا نسبه إلى داود الجصاص قال فيه: «سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «وعلامات وبالنجم هم يهتدون» قال: النجم رسول الله ﷺ والعلامات هم الأئمة عليهم السلام». رواه الكليني، الكافي، باب أنّ الأئمة عليهم السلام هم العلامات التي ذكرها الله عزّ وجلّ في كتابه.

والتأويل خاطئ، ذلك أنّ سياق الآيات تدل على أنّها تتحدث عن المعجزات الكونية للخالق، التي بثّها في الطبيعة والكون، وما منحه الله تعالى لخلقه في هذا الكون. ومن هناك فلا تعدو أن تكون العلامات علامات للسائرين بالنهار، والنجم علامات للسائرين بالليل، بغض النظر عن دلالة السير والسائرين القريبة والبعيدة. أمّا التأويل الذي أورده الكليني فلا يستقيم، ويهدف إلى إخضاع آيات القرآن لنظريات ومعتقدات البشر في الولاية.

ويتفق جلّ كتب التفسير بالمأثور على أنّ دلالة العلامات تنصرف إلى ما تستدلون بها نهارًا على طرقكم في أسفاركم. ودلالة النجوم هي ما تهتدون بها ليلًا في سُبلكم.

7. **تأويل آية** ﴿يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَٰمِهِمْ﴾: أوّل أهلُ الرواية والتأويل «إمامهم» في الآية الحادية والسبعين من سورة الإسراء: ﴿يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَٰمِهِمْ﴾ على أنّها تنصرف إلى علي وبعض من ذريته ﷺ ممن يعتبرونهم الأئمة، حيث أورد الكليني في الكافي نسبه إلى جابر قال فيه: «عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَٰمِهِمْ﴾ قال المسلمون: يا رسول الله ألست إمام الناس كلهم أجمعين؟ قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وآله أنا رسول الله إلى الناس أجمعين ولكن سيكون من بعدي أئمة على الناس من الله من أهل بيتي، يقومون في الناس فيكذّبون، ويظلمهم أئمة الكفر والضلال وأشياعهم، فمن والاهم، واتبعهم وصدقهم فهو مني ومعي وسيلقاني، ألا ومن ظلمهم وكذبهم فليس مني ولا معي وأنا منه بريء». رواه الكليني، الكافي، باب أنّ الأئمة في كتاب الله إمامان: إمام يدعو إلى الله وإمام يدعو إلى النار.

والتأويل خاطئ فالإمام لغة هو كل من تقتدي به جماعة أو أمة من الأمم وتأتمّ به، فيكون نبيًا أو رسولًا حين يكون لتلك الجماعة رسول أو نبيّ ويكون المقدم فيهم أو ولي أمرهم حين لا يكون لهم رسولًا أو نبيًا. وحصرت الروايات التي أوردها المفسرون بالمأثور دلالة إمامهم في الدلالات التالية: الأولى نبيهم، الثانية كتابهم الذي أنزل عليهم، الثالثة كتابهم الذي فيه أعمالهم. والأرجح في تقديري أن دلالة الإمام تنصرف إلى من يتقدّم أي جماعة، ويكون له عليهم السمع والطاعة، سواء كان إمامًا من أئمة الإيمان أو إمامًا من أئمة الكفر. وإجمالًا، فإنّ دلالة الآية عامة، ولا تقتصر على أتباع دين معيّن أو أمة معينة، بل تشمل حتى الكافرين، ومن هناك فلا يجوز أن نحصر دلالتها في أئمة المسلمين من أهل القرآن، فما بالك بحصرها في أئمة مدرسة أهل الرواية والتأويل حتى لو سلّمنا جدلًا بنظرية الإمامة.

8. **تأويل آية** ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ﴾: أوّل

أهلُ الرواية والتأويل «أوتوا العلم» في الآية التاسعة والأربعين من سورة العنكبوت: ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ﴾، على أنّها تعني الأئمة؛ حيث أورد الكليني في الكافي: «عن هارون بن حمزة عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول: «بل هو آيات بيّنات في صدور الذين أوتوا العلم» قال: هم الأئمة عليهم السلام خاصة». رواه الكليني، الكافي، باب أنّ الأئمة قد أوتوا العلم وأثبت في صدورهم.

والتأويل خاطئ ذلك أنّ سياق الآية يدل على أنّ دلالة ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ تنصرف إلى الذين أوتوا الوحي من أتباع كافة الشرائع السماوية بغض النظر عن نسبهم، والعلم في القرآن يعني ما أنزل الله تعالى من العلم على رسله. ولقد أورد الزمخشري في الكشاف في معرض تفسيره للآية قوله: «ولقد اتفق جلّ المفسرين بأنّ الذين أوتوا العلم هم المؤمنون الذين أوتوا الوحي فآمنوا بأنّه من عند الله واتبعوا ما جاء فيه».

ومن هناك فتأويل «أوتوا العلم» على النحو الذي أورده الكليني هو مجرد إلباس للحق بالباطل وتحريف للكلم عن مواضعه، وإخضاع لآيات الله لنظريات البشر في الولاية.

9. **تأويل آية ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾**: أوّل أهلُ الرواية والتأويل «الذين اصطفينا» في الآية الثانية والثلاثين من سورة فاطر: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ﴾، على أنّهم الأئمة من ولد فاطمة رضي الله عنها؛ حيث أورد الكليني في الكافي نسبه إلى أحمد بن عمر قال فيه: «سألت أبا الحسن الرضا عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ الآية، قال: فقال: ولد فاطمة عليها السلام والسابق بالخيرات: الإمام، والمقتصد: العارف بالإمام، والظالم لنفسه: الذي لا يعرف الإمام». وفي رواية أخرى أورد الكليني في الكافي نسبها لسالم قال فيها: «سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ قال السابق بالخيرات: الإمام، والمقتصد: العارف للإمام، والظالم لنفسه: الذي لا يعرف

الإمام». رواه الكليني، الكافي، باب في أنّ ما اصطفاه الله من عباده وأورثهم كتابه هم الأئمة عليهم السلام.

والتأويل خاطئ؛ ذلك أنّه يقيّد المطلق ويخصص العام، فالذين ورثوا الكتاب تنصرف إلى أتباع النبيّ محمد ﷺ، الذين منهم الظالم لنفسه، والمقتصد، والسابق بالخيرات. أمّا الحديث الذي أورده الكليني فغير متسق؛ فإذا كان الظالم لنفسه من ولد فاطمة رضي الله عنها ناقض ذلك نظرية عصمة الأئمة، التي هي ركن أساسي في نظرية الولاية، وإذا كان الظالم لنفسه من غير ولد فاطمة رضي الله عنها، كانت دلالة الذين ورثوا الكتاب عامة، وشملت غيرهم ولم تقتصر عليهم. ولم يقصر الله تعالى وراثة الكتاب على الرسل عليهم السلام أو ذريتهم في قوله: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٞ وَرِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَأۡخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلۡأَدۡنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغۡفَرُ لَنَا﴾[1]. ومن هناك فتأويل الآية على النحو الوارد في الحديث لا يتجاوز كونه إلباسًا للحق بالباطل، وإخضاعًا لآيات الله لنظريات البشر في الولاية.

ويتفق المفسرون بالمأثور على أنّ الذين ورثوا الكتاب هم المسلمون دون تخصيص.

10. تأويل آية ﴿وَمَن يَقۡتَرِفۡ حَسَنَةٗ نَّزِدۡ لَهُۥ فِيهَا حُسۡنًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ شَكُورٌ﴾ :
أوّل أهلُ الرواية التأويل الآية الثالثة والعشرين من سورة الشورى: ﴿وَمَن يَقۡتَرِفۡ حَسَنَةٗ نَّزِدۡ لَهُۥ فِيهَا حُسۡنًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ شَكُورٌ﴾، على أنّها تعني التسليم بنظرية الإمامة؛ حيث أورد الكليني في الكافي حديثًا نسبه إلى محمد بن مسلم قال فيه: «عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَن يَقۡتَرِفۡ حَسَنَةٗ نَّزِدۡ لَهُۥ فِيهَا حُسۡنًاۚ﴾ قال: الاقتراف التسليم لنا والصدق علينا وألا يكذب علينا». رواه الكليني، الكافي، باب ما يفصل به بين دعوى المحق والمبطل في أمر الإمامة.

والتأويل خاطئ، فالآية لا تتجاوز دلالتها القول من يعمل حسنة فإنّ الله تعالى سيزيده فيها حسنًا، والتي قد تنصرف إلى مضاعفة تلك الحسنة، أو إلى هدايته وإدخاله في الصالحين، غير أنّها لا تمت لنظرية الإمامة ولا الخلافة

---

(1) سورة الأعراف، الآية: 169.

بصلة. والحسنة في القرآن تنصرف إلى إحدى دلالتين: الأولى حين تقترن الحسنة بالعبد، أي حين تكون فعلًا من أفعال العبد، فتنصرف إلى العمل الصالح الذي يتقرّب به إلى الله تعالى. والثانية حين تقترن بالخالق وتكون من أفعاله تعالى، فتكون خيرًا أو نعمة ساقها الله تعالى للعبد. أمّا تأويل الآية على النحو الذي أورده الكليني فلا يتجاوز كونه تحريفًا للكلم عن مواضعه، وإخضاعًا لآيات الله لنظريات البشر في الولاية.

ويتفق جلّ المفسرين بالمأثور على أنّ دلالة اقتراف الحسنة تنصرف إلى عمل الحسنات على إطلاقها دون تقييد.

11. تأويل آية ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ وَيَخَافُونَ يَوۡمٗا كَانَ شَرُّهُۥ مُسۡتَطِيرٗا﴾: أوّل أهلُ الرواية والتأويل الآية السابعة من سورة الإنسان على أنّها تعني النذر الذي أُخذ في ولاية الأئمة؛ حيث أورد الكليني في الكافي حديثًا نسبه إلى محمد بن الفضيل قال فيه: «عن أبي الحسن عليه السلام في قول الله عزَّ وجلّ: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ﴾ الذي أخذ عليهم من ولايتنا». رواه الكليني، الكافي، باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية.

والتأويل خاطئ، ذلك أنّ النذر لا يأخذه أحد على أحد، بل هو وعد يقطعه المسلم على نفسه، أن يقدم قربانًا لله إن وفّقه الله تعالى في أمر ما يرضاه. ويُعرّف المعجم الوسيط النذر: «بما يقدمه المرء لربه، أو يوجبه على نفسه من صدقة أو عبادة أو نحوهما»، ومن هناك فلا يستقيم التعبير الوارد في الحديث «النذر الذي أخذ في ولاية الأئمة» مع دلالة النذر أصلًا. ثم إنّ الاسم الموصول في «الذين يوفون بالنذر» في هذه الآية أوّلوه متأوّلو أهل الرواية والتأويل في موضع آخر على أنّه ينصرف إلى أهل بيت علي: علي وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم، فكيف سيوفون بالنذر التي أخذت عليهم في الأئمة إذا أخذنا بذلك التأويل؟ ثم إنّه حتى لو سلّمنا جدلًا بتضمين الدلالة التي منحها الحديث إلى النذر، فالآية تتحدث عن الإيفاء بالنذور بشكل عام، والقول بقصرها على النذر الذي أخذ في ولاية الأئمة، يقيّد المطلق ويخصص العام دون بيّنة أو سلطان. ومن هناك فالتأويل الوارد في الحديث لا يتجاوز كونه تحريفًا للكلم عن مواضعه، وإخضاعًا لآيات الله لنظريات البشر.

وتتفق جلّ الروايات التي أوردها المفسرون بالمأثور، على أنّ الموفون بالنذر هم الذين لا يخلفون إذا نذروا في المطلق، ودون تخصيص لنذر معين.

خاتمة المبحث:

جدول التحريف رقم (1 ـ 4 ـ ب):

التأويلات التي تختزل المآثر في الأئمة:

الكَلِم	الدلالة المحرّفة	الدلالة الأصلية
﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَتۡلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۗ﴾	إنّ الأئمة «من ولد علي وعلي»، الذين أتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون به.	إنّ الذين أتيناهم الكتاب ويتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون به منذ آدم وإلى قيام الساعة.
﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ﴾	إنّ الراسخين في العلم من الأئمة «علي وبعض ذريته» يعلمون تأويل محكم التنزيل ومتشابهه.	إنّ الراسخين في العلم يقولون آمنّا بالتنزيل محكمه ومتشابهه كل من عند ربّنا.
﴿فَٱذۡكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾	فاذكروا ولاية علي وبعض ولده إنّها من نعم الله عليكم اذكروها لعلكم تفلحون.	فاذكروا نعم الله عليكم، لعلكم تفلحون.
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾	يا أيها الذين آمنوا كونوا مع علي والأوصياء من بعده.	يا أيها الذين آمنوا كونوا مع الصادقين الذين صدّقوا بالرسل منذ آدم وإلى قيام الساعة.
﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡمُتَوَسِّمِينَ﴾	إنّ في ذلك لآيات لك ولعلي والأوصياء من بعده فأنتم المتوسمون.	إنّ في ذلك لآيات للمتحققين والمدققين من أولي الألباب.
﴿وَعَلَٰمَٰتٖۚ وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ﴾	وبالأوصياء وبالنبيّ هم يهتدون.	وعلامات للسائرين بالنهار، والنجم للسائرين بالليل، وقد تنصرف دلالة السير والسائرين إلى دلالاتها القريبة أو البعيدة.
﴿يَوۡمَ نَدۡعُواْ كُلَّ أُنَاسِۭ بِإِمَٰمِهِمۡۖ﴾	يوم ندعو كل أناس بوصيهم من ولد علي وعلي.	يوم ندعو كل أناس بالذين يتبعونهم أو يأتمون بهم.

﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾	بل هو آيات بيّنات في صدور الأئمة من ولد علي وعلي.	بل هو آيات بيّنات في صدور الذين أوتوا الوحي من أتباع كافة الشرائع السماوية.
﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ﴾	ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا؛ منهم الإمام وهو السابق بالخيرات، والعارف للإمام وهو المقتصد، والذي لا يعرف الإمام وهو الظالم لنفسه.	ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم من أشرك فظلم نفسه ومنهم من اقتصد في العمل الصالح ومنهم السابق بالخيرات فذلك أفضلهم عملًا.
﴿وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا﴾	من يسلّم بولاية الأوصياء ويصدقهم نزد له فيها حسنًا.	من يعمل حسنة فسنزيده فيها حسنًا. والزيادة في الحسن قد تنصرف إلى مضاعفتها، أو إلى إدخال فاعلها في رحمة الله.
﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا﴾	يوفون بالنذر الذي أخذ عليهم في ولاية علي والأوصياء من بعده. ويخشون يوم القيامة.	يوفون بالنذر التي أخذوها على أنفسهم «على إطلاقها» ويخشون يوم القيامة.

التعليق:

اختزل المتأوّلون المأثر في الآيات التي تناولناها آنفًا في الأئمة؛ فـ«الذين يتلون الكتاب حق تلاوته» و«الذين يؤمنون به»، و«الراسخون في العلم»، و«آلاء الله» أي نعمه، و«الصادقون» و«المتوسمون»، و«علامات بالنجم»، و«يوم ندعو كل أناس بإمامهم» و«الآيات البينات»، و«الذين اصطفى الله»، اختزلوا في الأئمة. كما أوّلوا «اقتراف الحسنة» إلى أنّها تنصرف إلى التسليم بولايتهم. وجعلوا النذر في «ويوفون بالنذر» على أنّه النذر الذي قيل بأنّه أخذ عليهم في ولاية الأوصياء. وهو ما لا يمكن لصاحب الفطرة السليمة القبول به، وما يدعونا إلى القول بأنّه لا يتجاوز كونه ليًّا للنص القرآني لإخضاعه لنظريات البشر في الولاية.

ث. التأويلات المتعلقة باختزال آل إبراهيم والذين آمنوا في الأئمة

1. **تأويل آية** ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾: أوّل أهلُ الرواية والتأويل «الأمة الوسط» و«الشهداء» في الآية الثالثة والأربعين بعد المئة من سورة البقرة: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾، على

أنّها تعني الأئمة؛ حيث أورد الكليني في الكافي حديثًا نسبه إلى بريد العجلي قال: «سألت أبا عبد الله عليه السلام، عن قول الله عزَّ وجلّ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ قال: نحن الأمة الوسطى ونحن شهداء الله على خلقه وحججه في أرضه، قلت: قول الله عزَّ وجلّ: ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ﴾ قال: إيانا عنى خاصة «هو سماكم المسلمين من قبل» «في الكتب التي مضت» وفي هذا «القرآن» ليكون الرسول عليكم شهيدًا «فرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الشهيد علينا بما بلغنا عن الله عزَّ وجلّ ونحن الشهداء على الناس فمن صدق صدقناه يوم القيامة، ومن كذب كذبناه يوم القيامة». رواه الكليني، الكافي، باب في أن الأئمة شهداء الله عزَّ وجلّ على خلقه.

والتأويل خاطئ، ذلك أنّ دلالة «الأمة» في الآية تنصرف إلى إحدى دلالتين: الأولى تقتصر فيها على السابقين بالإيمان أو الصحابة بتعريف سعيد بن المسيب، والثانية تنصرف إلى كافة المسلمين زمن نزول الآية. أمّا تأويلها على النحو الوارد في الكافي فلا يستقيم، حيث ليس ثمّة ما يدل عليه لا في الآية ولا الآيات السابقة أو اللاحقة لها، والأمة لا تنصرف إلى أهل بيت النبيّ ﷺ، ولا إلى آله ﷺ، ولا لأهل بيت علي ولا ذريته رضي الله عنهم، ليقال بأنّها تنصرف إلى الأئمة. ومن هناك فالتأويل لا يتجاوز كونه تحريفًا للكلم عن مواضعه، وإخضاعًا للآية لنظريات البشر في الولاية.

وتتفق كتب التفسير بالمأثور على أنّ دلالة الأمة تنصرف إلى المسلمين دون استثناء. وحيث إنّ الأمة هي القرن من الناس فإنّ المسلمين الذين تصفهم الآية بالشهداء على الناس هم قرن النبيّ ﷺ من المسلمين.

2. تأويل آية ﴿هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا﴾: أوّل أهلُ الرواية والتأويل «الذين آمنوا» في الآية الحادية والخمسين من سورة النساء: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا﴾ على أنّها تنصرف للأئمة رضي الله عنهم وشيعتهم، وأنّ الذين أوتوا نصيبًا من الكتاب، يقولون عن الذين لا يؤمنون بنظرية الإمامة وخلفائهم، إنّهم أهدى من الأئمة سبيلًا؛ حيث أورد الكليني في الكافي حديثًا

نسبه إلى بريد العجلي قال فيه: «قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ فكان جوابه: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَٰؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا﴾ يقولون لأئمة الضلالة والدعاة إلى النار: هؤلاء أهدى من آل محمد سبيلاً ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ ۖ وَمَن يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا (52) أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ﴾ - يعني الإمامة والخلافة - ﴿فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا﴾ نحن الناس الذين عنى الله، والنقير النقطة التي في وسط النواة ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ۖ﴾ نحن الناس المحسودون على ما آتانا الله من الإمامة دون خلق الله أجمعين ﴿فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾ يقول: جعلنا منهم الرسل والأنبياء والأئمة، فكيف يقرون به في آل إبراهيم عليه السلام وينكرونه في آل محمد صلى الله عليه وآله ﴿فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ ۚ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا (55) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾. الكافي، باب أنّ الأئمة عليهم السلام ولاة الأمر، وهم الناس المحسودون الذين ذكرهم الله عزّ وجلّ.

والتأويل خاطئ، فهو يستند إلى تحوير دلالة الإيمان لتنصرف إلى الإيمان بالولاية وتحوير دلالة الكفر لتنصرف إلى الكفر بالولاية، وهذا التحوير باطل وما بني على باطل فهو باطل. ذلك أنّ الإيمان ينصرف للإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ولا ينصرف إلى الولاية. ثم إنّ دلالة الآية تنصرف إلى قول أهل الكتاب لمشركي قريش أنتم أهدى سبيلاً من المسلمين، ولا يمكن اختزال الذين آمنوا في علي وبعض من ذريته رضي الله عنهم.

وتتفق جلّ كتب التفسير بالمأثور على أنّ دلالة الآية تنصرف إلى أن أهل الكتاب، الذين قالوا: «إن أهل الكفر بالله أولى بالحق من أهل الإيمان بالله ورسوله». ومن هناك فهذا التأويل لا يتجاوز كونه تحريفًا للكلم عن مواضعه، وإخضاعًا لآيات القرآن لنظريات ومعتقدات البشر في الولاية.

3. تأويل آية ﴿فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾:

أوّل أهلُ الرواية والتأويل «الملك» في الآية الرابعة والخمسين من سورة

النساء: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾، على أنّه يعني نبوّة محمد ﷺ وإمامة علي وبعض من ذريته رضي الله عنهم؛ حيث أورد الكليني في الكافي حديثًا نسبه إلى بريد العجلي قال فيه: «عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله تبارك وتعالى: ﴿فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾ قال: جعل منهم الرسل والأنبياء والأئمة فكيف يقرون في آل إبراهيم عليه السلام وينكرونه في آل محمد؟! ﷺ قال: قلت: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾؟ قال: الملك العظيم أن جعل فيهم أئمة، من أطاعهم أطاع الله، ومن عصاهم عصى الله، فهو الملك العظيم». الكافي، باب أنّ الأئمة عليهم السلام ولاة الأمر، وهم الناس المحسودون الذين ذكرهم الله عزَّ وجلّ.

والتأويل نصفه صائب ونصفه الآخر خاطئ، هذا إن انصرفت دلالة الآل إلى الأحفاد؛ ذلك أنّ نبوّة محمد ﷺ هي من ضمن ما أوتي آل إبراهيم. وعلى الرغم من أنّ البعض يحصر الملك الذي مُنح لآل إبراهيم في ملك داود وسليمان، الذي وصفه القرآن على لسان النبيّ سليمان عليه السلام: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ﴾[1]، ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾[2]. فإنّه لا يمكنهم استبعاد أنّ النبيّ محمد ﷺ قد مُنح ملكًا عظيمًا أيضًا، وقد وصفه أبو سفيان بذلك حين قال للعباس: لقد صار ملك ابن أخيك عظيمًا. ثم إنّه شاءت حكمته تعالى ألّا يكون للنبيّ محمد ﷺ أولادًا ذكورًا، لينقطع بذلك ميراث النبوّة مع خاتم النبيين ﷺ، ذلك أنّه لا التاريخ ولا الكتب المقدسة سجلت انتقال ميراث إبراهيم عليه السلام سواءً كان مُلكًا أو نبوّة إلى أحفاده عن طريق النساء. ومن هناك فتأويل الآية على نحو يعزز نظرية الولاية لا يستقيم.

وحين نلقي نظرة على المناظرة التي وقعت بين ابن عباس ومعاوية، ندرك كيف تتحول المفاخرة بالانتساب إلى آل إبراهيم، إلى أحاديث وتأويلات لآيات الله تعالى؛ حيث يصوغ الوضاعون تلك المفاخرة في صيغة حديث

(1) سورة النمل، الآية: 16.

(2) سورة ص، الآية: 35.

يُنسب إلى أحد الأئمة، عندما ينتمي واضع الحديث لمدرسة الرواية والتأويل، بينما يُنسب الحديث الموضوع للنبي ﷺ حين ينتمي واضع الحديث لأهل الحديث والنسخ. ويمكن اعتبار هذه المناظرة التي أوردها السيوطي في الدر المنثور نموذجًا لكيفية صناعة الأحاديث: «وأخرج ابن الزبير بن بكار في الموفقيات عن ابن عباس أن معاوية قال: يا بني هاشم إنكم تريدون أن تستحقوا الخلافة كما استحقيتم النبوّة، ولا يجتمعان لأحد، وتزعمون أن لكم ملكًا. فقال له ابن عباس: أما قولك أنا نستحق الخلافة بالنبوّة، فإنّ لم نستحقها بالنبوّة فبم نستحقها؟! وأما قولك أن النبوّة والخلافة لا يجتمعان لأحد فأين قول الله ﴿فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾؟ فالكتاب النبوّة، والحكمة السنة، والملك الخلافة، نحن آل إبراهيم أمر الله فينا وفيهم واحد، والسنة لنا ولهم جارية، وأما قولك زعمنا أنّ لنا ملكًا فالزعم في كتاب الله شك، وكل يشهد أنّ لنا ملكًا لا تملكون يومًا إلا ملكنا يومين، ولا شهرًا إلا ملكنا شهرين، ولا حولًا إلا ملكنا حولين. والله أعلم». وقد اشتق من هذه المجادلة، في تقديري، الكثير من الأحاديث الموضوعة.

4. **تأويل آية** ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾: أوّل أهل الرواية والتأويل «ضمير المخاطبين» في الآية الثامنة والخمسين من سورة النساء: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ﴾، على أنّه ينصرف إلى الأئمة؛ حيث أورد الكليني في الكافي حديثًا نسبه إلى بريد العجلي قال فيه: «سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عزَّ وجلّ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ﴾ قال: إيانا عنى، أن يؤدي الأول إلى الإمام الذي بعده الكتب والعلم السلاح ﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ﴾ ﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ﴾ الذي في أيديكم، ثم قال للناس: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ إيانا عنى خاصة، أمر جميع المؤمنين إلى يوم القيامة بطاعتنا، فإنّ خفتم تنازعًا في أمر فردوه إلى الله وإلى الرسول وإلى أولي الأمر منكم، كذا نزلت وكيف يأمرهم الله عزَّ وجلّ بطاعة ولاة الأمر ويرخص في منازعتهم؟! إنما قيل ذلك للمأمورين الذين قيل لهم: ﴿أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ

﴿وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾. رواه الكليني، الكافي، باب أنّ الإمام عليه السلام يعرف الإمام الذي يكون بعده، وأنّ قول الله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾، فيهم عليهم السلام نزلت.

وهذا التأويل خاطئ ذلك أنّه يقيّد المطلق ويخصص العام، فالضمير يعود على كافة المسلمين الذين تأمرهم الآية بأن يؤدوا الأمانات إلى أهلها، وإن قضوا بين الناس أن يحكموا بينهم بالعدل، وقصر ضمير المخاطبين على الأئمة، دون غيرهم من المسلمين، لا بيّنة عليه لا في الآية ولا في الآيات السابقة واللاحقة لها، ولا يعدو كونه تحريفًا للكلم عن مواضعه، وإخضاعًا لآيات الله تعالى لنظريات البشر في الولاية .

وقصرَ بعض المفسرين بالمأثور «ضمير المخاطبين» في الآية على ولاة الأمور، غير أنّ دلالة الآية تنصرف إلى كافة المسلمين، ولا يمكن قصر أداء الأمانات إلى أهلها على ولاة الأمور دون غيرهم من المسلمين. كما أنّ فعل الشرط «حكمتم» لا يقتصر على الحكام بل ينصرف إلى القضاة أيضًا، وهو ما يستبعد قصر دلالة الآية على ولاة الأمور بالدلالة الضيقة السائدة في التراث الإسلامي.

كما أنّ الأمر بطاعة أولي الأمر منكم لا تقتصر على طاعة علي والأئمة من ذريته رضي الله عنهم، حيث تنصرف دلالتها إلى من يقدمهم المسلمون لقيادتهم، كما يطيعون إمام الصلاة، فلا يجوز شرعًا أن يقدموا إمامًا للصلاة ثم يخالفونه. وعلى هذا الأساس فحين يختار المسلمون بأي وسيلة من وسائل الشورى من يتولى الإشراف على أية مؤسسة من مؤسسات المسلمين، أو أي قطاع من قطاعات الدولة الإسلامية، أو حتى من يكون على رأس الدولة، ينبغي أن يُطاع من قبل مرؤسيه ما أطاع الله تعالى. ثم إنّ الاحتكام لأولي الأمر عند التنازع هو من إضافات الرواة للآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيْرٞ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾[1]، أو هو من إضافات واضع الحديث لكتاب الله سبحانه

(1) سورة النساء، الآية: 59.

وتعالى! ومن قبيل محاكاة اليهود والنصارى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾[1]، فالمسلمون وفقًا للقرآن لا يحتكمون عند النزاع والاختلاف، إلى غير الله تعالى ورسوله ﷺ.

5. تأويل آية ﴿أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾: أوّل أهلُ الرواية والتأويل «أولو الأمر» الآية التاسعة والخمسين من سورة النساء: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾، على أنها تنصرف للأئمة رضي الله عنهم؛ حيث أورد الشيرازي في كتابه آيات الولاية أربع نظريات في تفسير دلالة «أولي الأمر»، انحاز فيها إلى النظرية الرابعة وهي نظرية فقهاء أهل الرواية والتأويل: «الرابع: نظرية جميع علماء الشيعة: وهي أنّ المراد بأولي الأمر هم المعصومون عليهم السلام، ولا يمكن أن يكون في كل زمان إلا شخص واحد معصوم، وهذا الشخص كان في زمن نزول القرآن، وبعد رحيل النبيِّ الأكرم صلى الله عليه وآله، هو أمير المؤمنين عليه السلام، وبعده أحد عشر من ذريته من الأئمة المعصومين عليهم السلام».

وهذا التأويل خاطئ؛ ذلك أنّ «أولي الأمر» هم من يوليهم المسلمون أمورهم، وهو ما يستوجب إطاعة ولاية الفقيه في إيران أو في غيرها من البلدان التي قد تنهج نهجها، وحصر أولي الأمر في الأئمة يدحض نظرية ولاية الفقيه، ويجعل الشيعة في حلّ من طاعة المرشد الأعلى للشيعة في إيران، أو طاعة غيره من أولي الأمر كرئيس الدولة والنواب وقائد الجيش، كما أنّ المأزق الحقيقي الذي يترتّب على هذا التأويل، وتقع فيه نظرية الولاية، يكمن في مَن مِن هؤلاء المعصومين ينبغي أن يطيع المسلمون منذ موت الإمام الحادي عشر وحتى اليوم الذي يظهر فيه إمام الزمان؟ هذا إن سلّمنا جدلًا بصحة نظرية الولاية، غير أنّه لا دليل يقيني أو قطعي الدلالة، لا من القرآن ولا من الأحاديث، يعزز نظرية الولاية، ولا نظرية عصمة الأئمة، ولا نظرية

---

(1) سورة البقرة، الآية: 79.

اعتبارهم هم، وهم فحسب من تنصرف إليهم دلالة أولي الأمر في الآية، فأولي الأمر هم من يختارهم المؤمنون ليتولوا أمرًا من أمورهم أو شأنًا من شؤونهم. ثم إنّ الآية تقول: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾ فلو صدقت نظرية الأوصياء لكان الله تعالى قد أضاف الأوصياء لله ورسوله لآية الاحتكام عند التنازع، وكيف يتنازع المسلمون وبينهم الأوصياء الملهَمون من الله تعالى، والذين طاعتهم مفروضة وفق نظرية الإمامة، فلو كان المقصود بأولي الأمر الأوصياء لما اقتصر الاحتكام عند التنازع في الآية على الاحتكام إلى الله ورسوله، بل لكان الاحتكام إلى الله ورسوله وللأوصياء الملهَمين، الذين تقول نظرية الولاية بأنّه تتنزل عليهم الملائكة. أمّا قصر أولي الأمر على الأئمة ﭬ فلا يتجاوز كونه تخصيصًا للعام وتقييدًا للمطلق، وهو يناقض السنة العملية لعلي بن أبي طالب ﭬ، الذي لو علم بأنّه إمامًا بنص القرآن أو حتى بأمر نبوي لما قبل بالبيعة عند اختياره أميرًا للمؤمنين بعد مقتل عثمان ﭬ، ذلك أنّ البيعة تحكيم للرجال فيما أنزل الله تعالى لو صدق ادعاء مدرسة أهل الرواية والتأويل، ولما قبل بالتحكيم بعد معركة صفين مع معاوية وحزبه. ومن ثم فالتأويل الذي أورده الشيرازي لا يتجاوز كونه تحريفًا للكلم عن مواضعه، وإخضاعًا لآيات الله لعقائد ونظريات البشر في الولاية.

6. تأويل آية ﴿وَمِمَّنۡ خَلَقۡنَآ أُمَّةٞ يَهۡدُونَ بِٱلۡحَقِّ وَبِهِۦ يَعۡدِلُونَ﴾: أوّل أهلُ الرواية والتأويل «ضمير الغائب» في الآية الحادية والثمانين بعد المئة من سورة الأعراف: ﴿وَمِمَّنۡ خَلَقۡنَآ أُمَّةٞ يَهۡدُونَ بِٱلۡحَقِّ وَبِهِۦ يَعۡدِلُونَ﴾ على أنّه ينصرف إلى الأئمة من ذرية علي ﭬ؛ حيث أورد الكليني في الكافي حديثًا نسبه إلى عبد الله بن سنان قال فيه: «سالت أبا عبد الله ﷺ عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَمِمَّنۡ خَلَقۡنَآ أُمَّةٞ يَهۡدُونَ بِٱلۡحَقِّ وَبِهِۦ يَعۡدِلُونَ﴾ قال: هم الأئمة». رواه الكليني، الكافي، باب فيه نكت ونتف من التنزيل.

والتأويل خاطئ، ذلك أنّه يقيّد المطلق ويخصص العام، فالآية تشمل كل من دعا إلى الله تعالى وهدى إلى الحق منذ آدم ﷺ وحتى قيام الساعة، إن اقتصرت على الناس، ومن ثم فهي لا تقتصر على شخص أو مجموعة

أشخاص حتى لو كانوا أنبياء ورسلًا، وقصرها على الأئمة لا يعدو كونه تحريفًا للكلم عن مواضعه، وليًّا لعنق النص القرآني وآيات الله لإخضاعها لنظريات البشر. وقد قصرها أهل الحديث والنسخ على المسلمين من أتباع محمد ﷺ، وتأويلهم هو الآخر لا يستقيم ذلك أنّ فاتحة الآية تقول ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ﴾ التي تتسع لجميع خلق الله، فتتجاوز حتى الناس إلى غيرهم من خلق الله تعالى، ومن هناك فلا يجوز قصرها على جماعة معينة، أو أتباع رسالة معينة.

وتتفق الروايات التي أوردها المفسرون بالمأثور على أنّ الأمة المقصودة هي أمة المسلمين من أتباع محمد ﷺ، وتأويلهم هو الآخر تقييد لمطلق استعانت مدرسة الحديث والنسخ لتعزيزه بحديث نُسب إلى ابن جريج تارة وإلى قتادة تارة أخرى.

7. تأويل آية ﴿وَلَمْ يَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً﴾ : أوّل أهلُ الرواية والتأويل «المؤمنين» في الآية السادسة عشرة من سورة التوبة: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا۟ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ على أنّها تعني الأئمة رضي الله عنهم؛ حيث أورد الكليني في الكافي حديثًا نسبه إلى عبدالله بن عجلان قال فيه: «عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا۟ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً﴾ يعني بالمؤمنين الأئمة عليهم السلام، لم يتخذوا الولائج من دونهم». رواه الكليني، الكافي، باب فيه نكت ونتف من التنزيل.

والتأويل خاطئ، ذلك أنّ «المؤمنين» وردت في الآية مطلقة وغير مقيدة، ولا يوجد في الآية ما يشير إلى تقييدها أو تخصيصها، ثم إنّ المؤمنين وردت في القرآن حوالي 143 مرة بصيغتي النصب والجر، ووردت 35 مرة بصيغة الرفع، وكانت في جميعها تنصرف إلى كل من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحًا. ومن هناك فقصرها على شخص أو مجموعة أشخاص دون بيّنة أو سلطان من الله تعالى، لا يعدو كونه إلباسًا للحق بالباطل، وإخضاعًا لآيات الله لنظريات البشر.

وتتفق جلّ الروايات التي أوردها المفسرون بالمأثور على أنّ دلالة ﴿وَلَمْ يَتَّخِذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً﴾ تنصرف إلى عدم اتخاذ سند أو بطانة، أو ولي أو نصير من دون المؤمنين، وأن «المؤمنين» كلمة مطلقة تنصرف إلى كل المسلمين ولا تخصيص فيها.

8. **تأويل آية** ﴿وَجَٰهِدُواْ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ﴾: أوّل أهل الرواية والتأويل «الضمير» في الآية الثامنة والسبعين من سورة الحج: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ وَٱعْبُدُواْ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝٧٧ وَجَٰهِدُواْ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ﴾، على أنّه ينصرف للأئمة؛ حيث أورد الكليني في الكافي حديثًا نسبه إلى بريد العجلي قال: «سألت أبا عبد الله عليه السلام، عن قول الله عزَّ وجلّ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ قال: نحن الأمة الوسطى ونحن شهداء الله على خلقه وحججه في أرضه، قلت: قول الله عزَّ وجلّ: ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ﴾ قال: إيانا عنى خاصة ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ﴾ في الكتب التي مضت ﴿فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ... وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۚ﴾ فرسول الله صلى الله عليه وآله الشهيد علينا بما بلغنا عن الله عزَّ وجلّ ونحن الشهداء على الناس فمن صدق صدقناه يوم القيامة، ومن كذب كذبناه يوم القيامة، قال: قلت: قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ وَٱعْبُدُواْ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝٧٧ وَجَٰهِدُواْ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ﴾ قال: إيانا عنى ونحن المجتبون، ولم يجعل الله تبارك وتعالى في الدين «من حرج» فالحرج أشد من الضيق «ملّة أبيكم إبراهيم» إيانا عنى خاصة و«سمّاكم المسلمين» الله سمّانا المسلمين «من قبل» في الكتب التي مضت «وفي هذا «القرآن» ليكون الرسول عليكم شهيدا وتكونوا شهداء على الناس» فرسول الله صلى الله عليه وآله الشهيد علينا بما بلغنا عن الله تبارك وتعالى، ونحن الشهداء على الناس، فمن صدق يوم القيامة صدّقناه ومن كذب كذّبناه». رواه الكليني، الكافي، باب في أنّ الأئمة شهداء الله عزَّ وجلّ على خلقه.

والتأويل خاطئ، ذلك أنّ ضمير المخاطبين واحد في جاهدوا واجتباكم، وأبيكم وسمّاكم، وينصرف إلى الذين آمنوا وهم الذين يتوجه إليهم الخطاب في

الآية. ومن هناك فلا يمكن أن يكون الخطاب موجهًا إلى الأئمة إلّا إذا افترضنا بأنّ القرآن يقصر الإيمان على الأئمة، ولا يعتبر غيرهم ـ وبما في ذلك شيعتهم ـ من المؤمنين. ثم إنّه لو جاز هذا التأويل لاقتصرت فريضة الجهاد على الأئمة من ذرية علي وعلي دون غيرهم من المسلمين. ومن هناك فالتأويل الذي أورده الكليني لا يتجاوز كونه تحريفًا للكلم عن مواضعه، وإخضاعًا لآيات الله لنظريات البشر في الولاية .

وتتفق جلّ كتب التفسير بالمأثور على أنّ الآية تنصرف إلى المسلمين جميعًا دون تخصيص.

9. تأويل آية ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ : أوّل أهلُ الرواية والتأويل «ليستخلفنهم» الآية الخامسة والخمسين من سورة النور: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ ، على أنّها تعني الأئمة؛ حيث أورد الكليني في الكافي حديثًا نسبه لعبد الله بن سنان قال فيه: «سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله جلّ جلاله: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ قال: هم الأئمة». رواه الكليني، الكافي، باب أنّ الأئمة عليهم السلام خلفاء الله عزّ وجلّ في أرضه وأبوابه التي تؤتى.

والتأويل خاطئ، ذلك أنّه يقيّد المطلق ويخصص العام، فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لا يجوز اختزالهم في علي وبعض بنيه رضي الله عنهم، ولقد وردت الذين آمنوا في القرآن حوالي 242 مرة، كانت في جميعها إلّا واحدة تنصرف إلى كل من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحًا، أما الواحدة فكانت في الآية الثانية والخمسين من سورة العنكبوت في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْبَـٰطِلِ وَكَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ﴾. ولو جاز قصرها على الأئمة لكان بالإمكان تأويلها أينما وردت في القرآن على أنّها تنصرف إليهم! ولقد أورد الزمخشري في الكشاف في معرض تفسيره للآية قوله: «الخطاب لرسول الله ﷺ ولمن معه. ومنكم: للبيان، كالتي في آخر سورة الفتح: وعدهم الله أن ينصر الإسلام على الكفر، ويورّثهم الأرض، ويجعلهم فيها خلفاء، كما فعل ببني

إسرائيل، حين أورثهم مصر والشام بعد إهلاك الجبابرة، وأن يمكّن الدين المرتضى وهو دين الإسلام. وتمكينه: تثبيته وتوطيده، وأن يؤمن سربهم ويزيل عنهم الخوف الذي كانوا عليه». ونظرة إلى وقائع التاريخ تفيدنا بعدم تحقق نبوّة الرواة الذين نسب لهم الكليني هذه الرواية.

10. تأويل آية ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ﴾: أوّل أهلُ الرواية والتأويل «ما الموصولية» في الآية الثالثة عشرة من سورة الشورى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ﴾، على أنه ينصرف للأئمة؛ حيث أورد الكليني في الكافي حديثًا نسبه إلى عبد العزيز بن المهتدي قال فيه: «عن عبد الله بن جندب أنّه كتب إليه الرضا عليه السلام: أما بعد، فإنّ محمدًا صلى الله عليه وآله كان أمين الله في خلقه فلما قبض صلى الله عليه وآله كنا أهل البيت ورثته، فنحن أمناء الله في أرضه، عندنا علم البلايا والمنايا، وأنساب العرب، ومولد الإسلام، وإنا لنعرف الرجل إذا رأيناه بحقيقة الإيمان، وحقيقة النفاق، وإن شيعتنا لمكتوبون بأسمائهم وأسماء آبائهم، أخذ الله علينا وعليهم الميثاق، يردون موردنا ويدخلون مدخلنا، ليس على ملّة الإسلام غيرنا وغيرهم، نحن النجباء النجاة، ونحن أفراط الأنبياء ونحن أبناء الأوصياء، ونحن المخصوصون في كتاب الله عزَّ وجلّ، ونحن أولى الناس بكتاب الله، ونحن أولى الناس برسول الله صلى الله عليه وآله، ونحن الذين شرّع الله لنا دينه فقال في كتابه: ﴿شَرَعَ لَكُم **(يا آل محمد)** مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا **(قد وصانا بما وصى به نوحًا)** وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ **(يا محمد)** وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ **(فقد علمنا وبلغنا علم ما علمنا واستودعنا علمهم نحن ورثة أولي العزم من الرسل)** أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ **(يا آل محمد)** وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ **(وكونوا على جماعة)** كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ **(من أشرك بولاية علي)** مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ **(من ولاية علي)** ٱللَّهُ **(يا محمد)** وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾ «من يجيبك إلى ولاية علي عليه السلام». رواه الكليني، الكافي، باب أنّ الأئمة ورثوا علم النبي وجميع الأنبياء والأوصياء الذين من قبلهم.

والتأويل الذي تضمنه الحديث للآية خاطئ، ولا يمكن لعاقل أن يتفق معه؛ فالله تعالى لم يشرع أو يقصر شرعه على الأئمة رضي الله عنهم، ولم يقصره حتى

على رسله عليهم السلام، بل شرعه للمؤمنين جميعًا. فكيف يمكن لصاحب الفطرة السليمة أن يقبل تقييد مطلق لا يجوز بأيّ حال من الأحوال تقييده؟ إلّا إذا نشأ في بيئة تعايشت مع تحريف الكلم عن مواضعه، وتعاملت معه كمسلمات غير قابلة للمناقشة باعتباره جزءًا من العقيدة. وإذا افترضنا بأنّ الخطاب الإلهي موجّه إلى الأوصياء فكيف سيستقيم الخطاب على هذا النحو: ﴿شَرَعَ لَكُم **(أيها الأوصياء) (من ولد علي وعلي)** مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ **(يا محمد)** وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ﴾. فإذا كان ضمير المخاطبين في شرع لكم ينصرف إلى الأوصياء، فكيف يستقيم الضمير إليك في الذي أوحينا إليك؟ أما كان ينبغي أن تُستخدم صيغة والذي أوحينا إلى محمد حتى تستقيم الضمائر في الآية؟

ثم إنّه إذا كان النبيّ ﷺ لم يعلم بحقيقة المنافقين قبل أن يأتيه الوحي، فكيف يمكن لغيره أن يعلم بما في صدور العباد؟ فالله وحده من يعلم ما في الصدور: ﴿يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَيَعۡلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعۡلِنُونَۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾[1]. وينتمي الحديث إلى فخريات ابن كلثوم حيث الأنا لدى الأئمة في الحديث متضخمة جدًا وفق ما قوّلهم به الرواة: «نحن النجباء النجاة، ونحن أفراط الأنبياء ونحن أبناء الأوصياء، ونحن المخصوصون في كتاب الله عزَّ وجلّ، ونحن أولى الناس بكتاب الله، ونحن أولى الناس برسول الله ﷺ، ونحن الذين شرع الله لنا دينه». وفي الإسلام ليس ثمّة فارق بين أبناء الأنبياء عليهم السلام، وغيرهم من المسلمين، فأكرمكم عند الله أتقاكم وليس أقربكم نسبًا للأنبياء عليهم السلام، وليس ثمّة من المسلمين من هو أولى بكتاب الله أكثر من غيره، وشرع الله تعالى الدّين لكل من آمن دون تمييز يستند إلى لون أو عرق أو نسب. وقد يكفر بالله تعالى وبرسالة الأنبياء عليهم السلام أبناؤهم، أو آباؤهم، أو أزواجهم؛ كما كفر ابن نوح عليه السلام، وقال: سآوي إلى جبل يعصمني من الماء، وكما فعل آزر أبو النبيّ إبراهيم عليه السلام وفعلت امرأتا نوح ولوط عليهما السلام.

---

(1) سورة التغابن، الآية: 4.

11. تأويل آية ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ﴾: أوّل أهلُ الرواية والتأويل «الذين آمنوا» في الآية الحادية والعشرين من سورة الطور: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ﴾، على أنّها تقتصر على النبيّ ﷺ، وعلي وبعض بنيه ممن تنصّ عليهم نظرية الولاية رضي الله عنهم، حيث أورد الكليني في الكافي حديثًا نسبه إلى عبد الرحمن بن كثير قال فيه: «عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال [الله تعالى] ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ﴾ قال: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ النبيّ صلى الله عليه وآله وذريته الأئمة والأوصياء صلوات الله عليهم، ألحقنا بهم ولم ننقص ذريتهم الحجة التي جاء بها محمد صلى الله عليه وآله في علي عليه السلام وحجتهم واحدة وطاعتهم واحدة». رواه الكليني، الكافي، باب في أن الأئمة صلوات الله عليهم في العلم والشجاعة والطاعة سواء.

والتأويل خاطئ، ذلك أنّ «الذين آمنوا» لا يمكن قصرها على شخص أو مجموعة أشخاص، وحتى لو كان ذلك على النبيّ ﷺ وبعض من آله أو ذريته رضي الله عنهم، وبغض النظر عن دلالة ألحقنا بهم ذريتهم في الآية. ولقد وردت الذين آمنوا في القرآن كما أسلفنا حوالي 242 مرة، كانت في جميعها إلّا واحدة تنصرف إلى كل من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحًا، أما الواحدة فكانت في الآية الثانية والخمسين من سورة العنكبوت في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْبَٰطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَٰسِرُونَ﴾. والآية لا تتجاوز دلالتها، في تقديري، القول: الذين آمنوا وتبعتهم ذريتهم بإيمان، ألحقنا بهم ذريتهم، ولم ننقصهم من عملهم من شيء. ثم إنّ الآية لم تتحدث عن الحجة التي يتحدث عنها الحديث، بل إنّ القرآن الكريم كله لم يتحدث عنها بدلالتها لدى مدرسة الرواية والتأويل، فكيف استنبط واضع الحديث أنّ حجتهم واحدة؟ وطاعتهم واحدة؟

ويتفق جلّ المفسرين بالمأثور على أنّ دلالة الآية مطلقة، وتشمل كل الذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان، دون أي تقييد أو تخصيص لشخص أو مجموعة أشخاص، وبغض النظر عن مكانتهم من الله تعالى أو من النبيّ ﷺ.

خاتمة المبحث:

جدول التحريف رقم (1 ـ 4 ـ ت):

التأويلات المتعلقة باختزال آل إبراهيم والذين آمنوا في الأئمة:

الكَلِم	الدلالة المحرّفة	الدلالة الأصلية
﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾	وكذلك جعلناكم أيها الأوصياء «من ولد علي وعلي» أمةً وسطًا، لتكونوا شهداء على النّاس ويكون الرسول عليهم شهيدًا.	وكذلك جعلناكم أيها المؤمنون الذين تنزل عليكم القرآن أمةً وسطًا، لتكونوا شهداء على معاصريكم من الناس، ويكون الرسول عليكم شهيدًا.
﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا﴾	ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبًا من الكتاب يقولون للذين كفروا أنتم أهدى من الأوصياء من ولد علي وعلي سبيلًا.	ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبًا من الكتاب يقولون لكفار قريش أنتم أهدى من الذين آمنوا بما جاء به محمد سبيلًا.
﴿فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾	فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم أئمة وأوصياء من ولد علي وعلي، وذاك ملكًا عظيمًا.	فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة، وآتيناهم ملكًا عظيمًا؛ كملك داود وسليمان، وملك محمد.
﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ﴾	إنّ الله يأمر الأوصياء بأن يؤدي الوصي الأول إلى الوصي الذي بعده الكتب والعلم والسلاح، وإذا حكموا بين الناس أن يحكموا بالعدل.	إنّ الله يأمركم أيها المؤمنون أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا قضيتم أو حكمتم بين الناس أن تقضوا بالعدل.
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾	يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول والأوصياء المعصومين منكم.	يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ومن تولونهم أموركم منكم.
﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ﴾	وممن خلقنا أوصياء «من ولد علي وعلي» يهدون بالحق وبه يعدلون.	وممن خلقنا جماعة يهدون بالحق وبه يعدلون منذ خلقنا آدم إلى قيام الساعة.

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا۟ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً﴾	أم حسبتم أن تتركوا ولمّا يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا الأوصياء وليًا أو نصيرًا.	أم حسبتم أن تتركوا ولمّا يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليًا أو نصيرًا.
﴿وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ﴾	وجاهدوا في الله حق جهاده أيها الأوصياء من ولد علي وعلي هو اجتباكم.	وجاهدوا في الله حق جهاده أيها المؤمنون هو اجتباكم.
﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾	وعد الله الأئمة «من ولد علي وعلي» منكم ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم.	وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منكم أن يجعلهم خلفاء في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم.
﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ﴾	شرعنا لكم أيها الأوصياء «من ولد علي وعلي» من الدين ما وصى به نوحًا ـ والذي أوحينا إليك يا محمد ـ وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى.	شرعنا لكم أيها المؤمنون من الدين ما وصى به نوحًا، والذي أوحينا إليك يا محمد، وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى.
﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ﴾	والنبيّ والأوصياء من ولد علي وعلي ألحقنا بهم ذريتهم ولم ننقص ذريتهم الحجة التي جاء بها محمد في علي وحجتهم واحدة وطاعتهم واحدة.	والذين آمنوا وتبعهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم ولم ننقصهم من عملهم من شيء.

التعليق:

اختزل المتأوّلون الذين آمنوا في الأئمة تارة، وفي شيعتهم تارة أخرى؛ حيث اختزلت «الأمة الوسط» في الأئمة، واختزل «آل إبراهيم» عليه السلام في الأئمة وأنّ من أطاعهم أطاع الله تعالى ومن عصاهم عصى الله، وأوّل القول الذي نسبه الله تعالى لأهل الكتاب الذين قالوا: ﴿لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا﴾ على أنهم يقولون بأنّ الذين كفروا بولاية علي رضي الله عنه هم أهدى سبيلًا، واختزِل المسلمون الذين أمروا بـ «أن يؤدوا الأمانات إلى أهلها» في

الأئمة، كما اختزِل «أولي الأمر» في الأئمة، وهو ما ينصرف إلى أنّه لا ينبغي إطاعة أحد منذ وفاة الإمام الحادي عشر وحتى ظهور إمام الزمان، كما يعتقد أتباع مدرسة الرواية والتأويل، واختزلت «الأمة التي تهدي إلى الحق» في الأئمة دون غيرهم من عباد الله منذ آدم عليه السلام وإلى اليوم باستثناء قوم موسى عليه السلام، وأوّل «الذين اتخذوا من دون الله ورسوله والمؤمنين وليجة» في الذين أنكروا ولاية الأئمة، وكذلك اختزل الذين «جاهدوا في الله حق جهاده»، و«الذين اجتباهم الله تعالى» و«الذين استخلفهم الله تعالى»، و«الذين شرع لهم الله تعالى من الدين ما وصى به الرسل جميعًا» و«الذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان» في الأئمة رضي الله عنهم. ففي الأئمة اختزل كافة المؤمنين، وعلى الأئمة قُصرت المكارم جميعًا.

ج. التأويلات المتعلقة باختزال الناس والكائنات الحية في الأئمة

1. **تأويل الآية** ﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ ٱلْمُلْكِ فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا﴾: أوّل أهلُ الرواية والتأويل الملك والناس في الآية الثالثة والخمسين من سورة النساء: ﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ ٱلْمُلْكِ فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا﴾، على أنّ الملك تعني الإمامة والخلافة والناس تعني الأئمة؛ حيث أورد الكليني في الكافي حديثًا نسبه إلى بريد العجلي قال فيه: قال: «سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عزَّ وجلّ: ﴿أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ فكان جوابه: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا﴾ يقولون لأئمة الضلالة والدعاة إلى النار: هؤلاء أهدى من آل محمد سبيلًا ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ﴿52﴾ أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ ٱلْمُلْكِ﴾ - يعني الإمامة والخلافة - ﴿فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا﴾ نحن الناس الذين عنى الله، والنقير النقطة التي في وسط النواة ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ نحن الناس المحسودون على ما آتانا الله من الإمامة دون خلق الله أجمعين ﴿فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾ يقول: جعلنا منهم الرسل والأنبياء والأئمة،

فكيف يقرون به في آل إبراهيم عليه السلام وينكرونه في آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم ﴿فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ۝٥٥ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَـٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾. الكافي، باب أنّ الأئمة عليهم السلام ولاة الأمر وهم الناس المحسودون الذين ذكرهم الله عزّ وجلّ.

والتأويل خاطئ، ذلك أنّ الآية وما سبقها من آيات تتحدث عن الذين أوتوا نصيبًا من الكتاب ويؤمنون بالجبت والطاغوت، ويقولون بأنّ المشركين أهدى من المسلمين سبيلًا، وادعوا بأنّهم أوتوا نصيبًا من الملك، فلعنهم الله تعالى ودحض دعواهم، وأكد بأنّهم لو أوتوا نصيبًا من الملك فلن يؤتوا الناس - مطلق الناس - نقيرًا، ولا يمكن لصاحب الفطرة السليمة أن يقبل اختزال الناس في فرد أو مجموعة أفراد، ومن هناك فاختزال الناس في الأئمة لا يستقيم، ولا يتجاوز كونه تحريفًا للكلم عن مواضعه، وإخضاعًا لآيات الله تعالى لنظريات البشر في الولاية.

وتتفق كتب التفسير بالمأثور على أنّ دلالة الآية تنصرف إلى وصف الذين أوتوا نصيبًا من الكتاب، ويؤمنون بالجبت والطاغوت، بأنّهم لو أوتوا نصيبًا من الملك لما أتوا الناس نقيرًا.

2. تأويل آية ﴿لَآ أُقْسِمُ بِهَـٰذَا ٱلْبَلَدِ ۝١ وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَـٰذَا ٱلْبَلَدِ ۝٢ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ﴾: أوّل أهلُ الرواية والتأويل «والد وما ولد» في الآية الثالثة من سورة البلد: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِهَـٰذَا ٱلْبَلَدِ ۝١ وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَـٰذَا ٱلْبَلَدِ ۝٢ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ﴾ على أنّها تعني علي وما ولد من الأئمة؛ حيث أورد الكليني في الوافي حديثًا نسبه إلى أحمد بن محمد بن عبد الله قال فيه: «في قوله تعالى: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِهَـٰذَا ٱلْبَلَدِ ۝١ وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَـٰذَا ٱلْبَلَدِ ۝٢ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ﴾. قال: أمير المؤمنين وما ولد من الأئمة عليهم السلام». رواه الكليني، الكافي، باب فيه نكت ونتف من التنزيل.

والتأويل خاطئ، ذلك أنّ الله تعالى يقسم بمكة، والرسول الذي يحل بها، ووالد وما وَلَدَ، والوالد اسم فاعل ينصرف إلى كل مَن يلد، وما ولد ينصرف إلى كل من ولِدَ، واستخدام ما بدلًا مِن مَن يدل على أنّها تشمل غير

العقلاء أيضًا، أي إنها تشمل الحيوانات والنباتات، ولا تقتصر على والد معين أو مولود معين. أمّا تأويل الآية على النحو الذي أورده الكليني فلا يستقيم لصاحب الفطرة السليمة حيث لا يوجد في الآية ما يشير إلى قصرها على علي وبنيه ﷺ. ومن هناك فهو لا يتجاوز كونه إلباسًا للحق بالباطل، وليًّا لعنق النص القرآني ليخضعه لنظريات البشر في الولاية.

وتتفق جلّ الروايات التي أوردها المفسرون بالمأثور على أنّ دلالة والد وما ولد دلالة عامة في كل والد وولده.

خاتمة المبحث:

جدول التحريف رقم (1 ـ 4 ـ ث):

التأويلات المتعلقة باختزال الناس في الأئمة:

الكَلِم	الدلالة المحرّفة	الدلالة الأصلية
﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ ٱلْمُلْكِ فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا﴾	أم لهم نصيب من الإمامة والخلافة فإذًا لا يؤتون الأوصياء نقيرًا.	هؤلاء الذين أوتوا نصيبًا من الكتاب ويؤمنون بالجبت والطاغوت، ادعوا بأنّهم أوتوا نصيبًا من الملك، ولو أنّهم أوتوا نصيبًا من الملك فلن يؤتوا الناس نقيرًا.
﴿لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ۝١ وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ۝٢ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ﴾	لا اقسم بمكة، وأنت يا محمد حل بها، وبالأوصياء من ولد علي وعلي.	لا أقسم بمكة، وأنت يا محمد حلّ بها، وبكل والد وما ولد مما خلقنا.

التعليق:

اختزل أهل الرواية والتأويل الناس والكائنات الحية في الآيات المذكورة آنفًا في الأئمة، على نحو يلوي عنق النص القرآني لإخضاعه لنظرية الولاية. وعلى ضوء ذلك اختزل «الناس» في الآية الأولى في الأئمة، كما اختزلت «كافة المخلوقات التي تولد والتي تلد» في علي والأئمة من ذريته ﷺ. ولو صدق هذا التأويل لحصرت الكائنات الحية التي تُولد والتي

تلد! في الأئمة ﵃. ولا يمكن لصاحب الفطرة السليمة أن يقبل مثل هذا التأويل، الذي يختزل الناس والأحياء الولودة في الأئمة على نحو صادم، من أجل أن يُخضع آيات الله تعالى إلى نظرية الولاية، وعلى نحو يضرّ بها أكثر مما يفيدها.

ح. التأويلات التي تتجاهل الزمن من أجل الأئمة

1. **تأويل آية** ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾: أوّل أهلُ الرواية والتأويل «عهدنا» في الآية الخامسة عشرة بعد المئة من سورة طه: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾، على أنّها تعني أنّ الله تعالى عهد إلى آدم عليه أفضل الصلوات والسلام في محمد ﷺ والأئمة من بعده ﵃، فترك ولم يكن له عزمًا؛ حيث أورد الكليني في الوافي حديثًا نسبه إلى مفضل بن صالح عن جابر قال فيه: «عن أبي جعفر ﵇ في قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾ قال عهدنا إليه في محمد والأئمة من بعده، فترك ولم يكن له عزم أنهم هكذا وإنما سمي أولو العزم أولي العزم لأنه عهد إليهم في محمد والأوصياء من بعده والمهدي وسيرته وأجمع عزمهم على أنّ ذلك كذلك والإقرار به». رواه الكليني، الكافي، باب فيه نكت ونتف من التنزيل.

والتأويل خاطئ، ذلك أنّ العهد والميثاق في القرآن يتعلق بتعهد المؤمن، أنْ يطيع أوامر الله تعالى وأنْ يمتنع عن نواهيه، وفيما يتعلق بآدم عليه أفضل الصلوات وأفضل السلام، فإنّ الأمر يقتصر على مخالفته نهيه تعالى له أن يأكل من الشجرة، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾[1]، ولا يمكن لصاحب الفطرة السليمة، أنْ يتصوّر بأن يعهد الله تعالى لآدم ﵇ بولاية علي وبعض بنيه ﵃، وذلك لتباعد الزمن بينه وبينهم. فكيف لآدم ﵇ أن يُعهد إليه في شأن أئمة يولدون

(1) سورة الأعراف، الآية: 22.

بعد خاتم الأنبياء ﷺ؟ وكيف له أن يخالف مثل هذا العهد قبل أن يأتي استحقاقه؟ أي قبل أن يولد الأوصياء فما هذه الأحاجي؟ وما هذا التقطيع «السينمائي» الذي يتجاهل الزمن؟ أكان على النبيّ آدم عليه السلام أن يُنصب عليًا أو أحد أبنائه إمامًا آنذاك أم ماذا؟

وتتفق جلّ الروايات التي أوردها المفسرون بالمأثور، بأن ما عُهد به إلى آدم هو أن لا يأكل من الشجرة ولا يقربها، غير أنّ الشيطان أزلّه فأكل منها وهذه دلالة قوله تعالى: ﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾ . أمّا القول إنّه خالف ما عُهد إليه بشأن ولاية الأوصياء، فهو مجرد إلباس للحق بالباطل، وأفك جليّ يطمح إلى إخضاع آيات الله لنظريات البشر في الولاية.

2. **تأويل الآية** ﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾: أوّل أهلُ الرواية والتأويل «بيت من المسلمين» الآية السادسة والثلاثين من سورة الذاريات: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿35﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾، على أنه بيت علي رضي الله عنه؛ حيث أورد الكليني في الكافي حديثًا نسبه إلى سالم الحناط قال فيه: «سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عزَّ وجلّ: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿35﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ فقال أبو جعفر عليه السلام: آل محمد لم يبق فيها غيرهم». رواه الكليني، الكافي، باب فيه نكت ونتف من التنزيل.

والتأويل خاطئ، ذلك أنّ الآية تتحدث عن قوم لوط، الذين أرسل عليهم الله تعالى حجارة من طين، واستثنى بيت من المسلمين وهو بيت لوط عليه السلام، فيما عدا زوجته التي كانت من الغابرين. أمّا تأويل الآية على أنّها تعني بيت علي وذريته رضي الله عنه فهو تأويل غريب، يتداخل فيه الزمن فيُسكن علي وأهل بيته ديار قوم لوط! ثم إنّ التأويل، لو تجاوزنا مسألة التداخل الزمني، وسلّمنا جدلًا بأنّ الحدث الذي تخبرنا عنه الآية جرى في مكة، يستبعد من دائرة الإسلام كافة المسلمين بمن فيهم الشيعة باستثناء بيت علي رضي الله عنه، وهو ما لا يمكن التسليم به حتى من مدرسة أهل الرواية والتأويل. ومن ثم فتأويل الآية على النحو الذي أورده الكليني لا يعدو كونه إلباسًا للحق بالباطل، وليًا لعنق الآية لإخضاعها لنظريات البشر في الولاية.

3. تأويل الآية ﴿رَّبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيۡتِيَ مُؤۡمِنٗا﴾: أوّل أهلُ الرواية والتأويل «من دخل بيتي مؤمنًا» في الآية الثامنة والعشرين من سورة نــــوح: ﴿رَّبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيۡتِيَ مُؤۡمِنٗا وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارَۢا﴾، على أنّها تعني الدخول في الولاية؛ حيث أورد الكليني حديثًا نسبه إلى محمد بن علي الحلبي قال فيه: «عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله عزّ وجلّ: ﴿رَّبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيۡتِيَ مُؤۡمِنٗا﴾ يعني الولاية، من دخل في الولاية دخل في بيت الأنبياء عليهم السلام، وقوله: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا﴾ يعني الأئمة عليهم السلام وولايتهم، من دخل فيها دخل في بيت النبي صلى الله عليه وآله». رواه الكليني، الكافي، باب فيه نكت ونتف من التنزيل.

والتأويل خاطئ، ذلك أنّ الدعاء في الآية ورد على لسان النبيّ نوح عليه السلام، ولا يمكن تصوّر أنه تعالى قد أمر قوم نوح بالإيمان بولاية علي وبعض بنيه رضي الله عنهم! وأن من آمن بالله تعالى من قوم نوح عليه السلام، ودخل بيته كان مصدقًا بنظرية الولاية، وإلّا لما قُبل منه إيمانه! فما علاقة قوم نوح عليه السلام بولاية الأئمة من ذرية علي رضي الله عنهم؟

إنّ القول بأنّ من دخل بيت نوح عليه السلام مؤمنًا يعني الإيمان بالولاية، لا يستقيم لدى صاحب الفطرة السليمة، ولا يصدقه سوى من أُفسدت فطرته بالاستماع لتحريف الكلم عن مواضعه زمنًا طويلًا، من أجل إخضاع عقله لنظريات البشر في الولاية منذ وعى الدنيا حتى صار رجلًا.

وتتفق جلّ الروايات التي أوردها المفسرون بالمأثور، على أنّ دلالة الآية تنصرف إلى دعاء النبيّ نوح عليه السلام، أن يغفر له ربّه ولوالديه ولمن دخل بيته مؤمنًا.

خاتمة المبحث:

جدول التحريف رقم (1 ـ 4 ـ ج):

التأويلات التي تتجاهل الزمن من أجل الأئمة:

الكَلِم	الدلالة المحرّفة	الدلالة الأصلية
﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾	ولقد عهدنا إليه في محمد والأئمة من ولد علي وعلي من بعده، فترك ولايتهم ولم نجد له عزمًا!	ولقد عهدنا إلى آدم ألّا يقرب الشجرة فنسي ولم نجد له عزمًا.
﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿35﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾	فأخرجنا من كان في قرية لوط من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت علي من المسلمين.	فأخرجنا من كان في قرية لوط من المؤمنين فلم نجد فيها غير بيت لوط من المسلمين.
﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًۢا﴾	قال نوح ربّي اغفر لي ولوالديّ ولمن دخل بيتي مؤمنًا بولاية الأئمة «من ولد علي وعلي» ولا تزد الكافرين بها إلّا تبارًا!	قال نوح ربّي اغفر لي ولوالديّ ولمن دخل بيتي مؤمنًا بالله ولا تزد الكافرين إلّا تبارًا

التعليق:

أوّلت بعض الآيات التي ظهرت في الجدول آنفًا والتي نزلت في الأقدمين على نحو يتجاهل الزمن وبشكل صادم ليقال إنّها نزلت في الأئمة والأوصياء؛ حيث صار «نسيان آدم عليه السلام لعهده مع الله تعالى» في الآية الأولى بفعل هذا التأويل ينصرف إلى نسيانه لعهده المتعلق بالأئمة رضي الله عنهم، وصار الـ «بيت من المسلمين» الذي لم يجد الملائكة غيره في قرية النبيّ لوط عليه السلام حين أُمروا بتدميرها، في الآية الثانية بيت علي رضي الله عنه، وصار دعاء النبيّ نوح عليه السلام ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا﴾ في الآية الثالثة ينصرف إلى الذين آمنوا بولاية علي والأوصياء من ذريته! والسؤال الذي يستوجب الطرح هنا، ماذا لو لم ينس النبيّ آدم عليه السلام عهده المتعلق بالأئمة كما يرى المتأوّلون؟ فهل كان ينبغي عليه أن يُنصب عليًا رضي الله عنه أو أحدًا من أبنائه الذين تنصّ عليهم نظرية الولاية إمامًا؟ أم ماذا؟

ح. التأويلات التي اختزلت الله تعالى وفضله ورحمته ووحيه في الأئمة

1. **تأويل الآية**: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾: أوّل أهلُ الرواية والتأويل «اسم الإشارة» في الآية الثامنة والخمسين

من سورة يونس: ﴿قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ﴾، على أنّه يعني ولاية محمد ﷺ وولاية علي وبعض بنيه رضي الله عنهم؛ حيث أورد الكليني في الكافي حديثًا نسبه إلى محمد بن الفضيل قال فيه: «عن الرضا عليه السلام قال: قلت: ﴿قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ﴾ قال: بولاية محمد، وآل محمد عليه السلام خير مما يجمع هؤلاء من دنياهم». رواه الكليني، الكافي، باب فيه نكت ونتف من التنزيل.

والتأويل خاطئ للآية، ذلك أنّ اسم الإشارة «ذلك» وضمير الغائب «هو» يعودان على فضل الله ورحمته، اللتين لا يجوز حصرهما في الولاية، أو يعودان على الموعظة من الله، والشفاءِ لما في الصدور، والهدى والرحمة للمؤمنين، كما ذكرت الآية السابقة لهذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ﴾، والشفاء لما في الصدور ينصرف إلى ما أنزله الله تعالى من الحق .أمّا تأويلهما على أنّهما يعودان على ولاية علي وبعض بنيه رضي الله عنهم، فهو لا يتجاوز كونه إلباسًا للحق بالباطل، وليًّا لعنق آيات الله تعالى لإخضاعها لنظريات البشر في الولاية.

وتتفق جلّ الروايات التي أوردها المفسرون بالمأثور على أنّ دلالة الآية تنصرف إلى الذي جاءهم من الله من الحق وأنّه أولى بالفرح من حطام الدنيا وما فيها.

2. تأويل آية ﴿وَلَقَدۡ وَصَّلۡنَا لَهُمُ ٱلۡقَوۡلَ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ﴾: أوّل أهلُ الرواية والتأويل «وصلنا لهم القول» في الآية الحادية والخمسين من سورة القصص: ﴿وَلَقَدۡ وَصَّلۡنَا لَهُمُ ٱلۡقَوۡلَ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ﴾ على أنها تنصرف إلى وصل إمام بإمام؛ حيث أورد الكليني في الكافي حديثًا نسبه إلى حماد بن عيسى قال فيه: «عن عبد الله بن جندب قال: سألت أبا الحسن عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَلَقَدۡ وَصَّلۡنَا لَهُمُ ٱلۡقَوۡلَ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ﴾ قال: إمام إلى إمام». رواه الكليني، الكافي، باب فيه نكت ونتف من التنزيل.

وهذا التأويل خاطئ، ذلك أنّ موضع «الوصل» هو القول في الآية، فكيف انقلب القول إلى أشخاص على نحو سحري أو «سوريالي»؟ فالقول

ينصرف إلى الوحي والتنزيل ولا ينصرف إلى الرجال ليقال بأنّه ينصرف للأئمة، والآيتان اللاحقتان للآية تتحدثان عن التنزيل والذكر ولا تتحدثان عن الرجال: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿52﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ﴾. ثم إنّه لو سلّمنا جدلًا بصحة التأويل، فأين وصل الأئمة إمام بإمام منذ الإمام الحادي عشر وإلى اليوم؟ ومن هناك فتأويل الآية على النحو الذي أورده الكليني لا يتجاوز كونه إلباسًا للحق بالباطل، وإخضاعًا لآيات الله لنظريات البشر في الولاية.

وتتفق جلّ الروايات التي أوردها المفسرون بالمأثور على أنّ القول ينصرف إلى الوحي والتنزيل، وأنّ وصله يتعلق بنزوله منجمًا أو بوصله من رسول إلى رسول عليهم السلام .

3. **تأويل آية** ﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ ۖ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُوا۟ ۚ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ﴾: أوّل أهل الرواية والتأويل «إذا دعي الله وحده» في الآية الثانية عشرة من سورة غافر: ﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ ۖ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُوا۟ ۚ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ﴾، على أنّها تعني إذا دعي الله وأهل الولاية كفرتم؛ حيث أورد الكليني في الكافي حديثًا نسبه إلى الوليد بن صبيح، عن أبي عبد الله عليه السلام: «ذلك بأنّه إذا دعي الله وحده (وأهل الولاية) كفرتم». رواه الكليني، الكافي، باب فيه نكت ونتف من التنزيل.

والتأويل خاطئ، ويناقض دلالة الآية تمامًا ذلك أنّ الآية تقول: إذا دُعيتم لتوحيد الله وحده رفضتم وإذا أشركتم معه غيره كالأصنام تؤمنوا، وقد تنصرف دلالة الآية إلى أنّه إذا دعيتم لتوحيد الله وحده رفضتم، وإذا أشركتم معه غيره كالأولياء أو الأئمة أو الصحابة أو أسلافكم وأئمة مذاهبكم تؤمنوا. وكلمة «وحده» لا تنهض بغير الله تعالى محيلًا عليه، فكيف أمكن للمبطلين عطف الأئمة على قوله تعالى ﴿ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ﴾؟ ومن هناك فتأويل الآية على النحو الوارد في الحديث لا يعدو كونه مجرد تحريف للكلم عن مواضعه، وإخضاع لآيات الله لنظريات البشر في الولاية.

وتتفق جلّ الروايات التي أوردها المفسرون بالمأثور على أنّ دلالة الآية

تنصرف إلى أن مشركي قريش يكفرون بوحدانية الله تعالى، ويؤمنون بالله حين يشركون به أصنامهم.

4. تأويل الآية ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾: أوّل أهلُ الرواية والتأويل الآية الثامنة عشرة من سورة الجن: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾، على أنّها تعني الأوصياء حيث أورد الكليني في الكافي حديثًا نسبه إلى محمد بن الفضيل قال فيه: «عن أبي الحسن عليه السلام في قوله: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ قال: هم الأوصياء». رواه الكليني، الكافي، باب فيه نكت ونتف من التنزيل.

ولم يوضح الحديث أي الكلمات التي تدل على الأوصياء؛ هل هي «المساجد»؟ أم «لا تدعوا مع الله أحدًا»؟ وطالما لا يمكن، في تقديري، أن تكون «المساجد» لابتعادها عن دلالة الأئمة، فإنّ «لا تدعوا مع الله أحدًا» تنصرف دلالتها إلى عكس الدلالة التي ذهب إليها الحديث، فهي تفيد بألّا يدعوا العباد مع الله أحبارًا، ولا رهبانًا ولا أوصياءً، ولا أولياءً ولا أئمة ولا صحابة، ولا إمامًا مقلدًا لكيلا يتخذونهم أندادًا لله. ومن هناك فتأويل الآية على أنّها تعني الأوصياء لا تتجاوز كونها إلباسًا للحق بالباطل، وليًّا لعنق الآية لإخضاعها لنظريات البشر في الولاية.

وتتفق جلّ الروايات التي أوردها المفسرون بالمأثور على أنّ دلالة الآية تنصرف إلى أنّ المساجد لله فلا تشركوا به فيها شيئًا، وأفردوا له الدعاء والتوحيد، وأخلصوا له العبادة.

5. تأويل الآية ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا﴾: أوّل أهلُ الرواية والتأويل «القرآن» في الآية الثالثة والعشرين من سورة الإنسان: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا﴾ على أنّه ينصرف إلى ما أنزله الله في ولاية علي وبعض من ذريته؛ حيث أورد الكليني في الكافي حديثًا نسبه إلى محمد بن الفضيل قال فيه: «عن أبي الحسن الماضي، عليه السلام قال: سألته عن قول الله عزَّ وجلّ: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾ إلى أن يقول: قلت: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا﴾؟ قال: بولاية علي عليه السلام تنزيلًا، قلت: هذا تنزيل؟ قال: نعم هذا تأويل». رواه الكليني، الكافي، باب فيه نكت ونتف من التنزيل.

والتأويل خاطئ، ذلك أنّ القرآن ورد مسبوقًا بأل التعريف وهو ما يجعله ينصرف إلى القرآن كله لا إلى جزء منه أو بعض آياته، فحتى إن سلّمنا جدلًا بنزول آيات تنص على وجوب ولاية الأوصياء، كما تنص نظرية الولاية، فإنّ ورود القرآن في الآية معرّفًا بأل التعريف يجعل هذه الآية لا تنصرف إلى الولاية بأيّ حال من الأحوال. أمّا القول الذي أورده الكليني فلا يستقيم ويُعد نموذجًا صارخًا لتطويع آيات الله لنظرية الولاية.

وتتفق جلّ الروايات التي أوردها المفسرون بالمأثور على أنّ دلالة ﴿نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا﴾ تعني فصلنا القرآن ولم ننزله جملة واحدة.

خاتمة المبحث:

جدول التحريف رقم (1 ـ 4 ـ ح):

التأويلات التي اختزلت الله تعالى وفضله ورحمته ووحيه في الأئمة:

الكَلِم	الدلالة المحرّفة	الدلالة الأصلية
﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾	قل فليفرحوا بفضل ولاية محمد، والأوصياء «من ولد علي وعلي» هو خير مما يجمعون في دنياهم.	قل فليفرحوا بما أنزلنا من الحق وبرحمتنا هو خير مما يجمعون في دنياهم.
﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾	ولقد وصّلنا لهم إمام بإمام لعلهم يتذكرون.	ولقد وصلنا لهم القول «بنزوله منجمًا أو بوصله من رسول إلى رسول» لعلهم يتذكرون.
﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ ۖ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُواْ﴾	ذلك بأنّه إذا دعي الله وحده وأهل الولاية كفرتم، وإن يشرك به تؤمنوا.	إذا دُعيتم لتوحيد الله وحده رفضتم وإذا أشركتم معه غيره كالأصنام والأئمة والشفعاء تؤمنوا.
﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾	وأن الأوصياء لله فلا تدعوا مع الله أحدًا!	وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدًا.
﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا﴾	إنّا نحن نزلنا عليك قرآنًا في ولاية الأوصياء «من ولد علي وعلي» تنزيلًا.	إنّا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلًا.

التعليق:

اختزل أهل الرواية والتأويل الله تعالى ورحمته وفضله ووحيه في الأئمة، وعلى ضوء ذلك اختزلوا «فضل الله ورحمته» في الأئمة ﵃، وأضافوا لهم النبيّ ﷺ للتعمية، وأوّلوا «القول» في الآية الحادية والخمسين من سورة القصص: ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ على أنّه ينصرف إلى وصل إمام بإمام، وكذلك قُرن الله تعالى، رغم أنّ الآية تفرده وتنزهه عن الشركاء في الآية الثالثة بالأئمة أو أهل الولاية، كما اختزل الله سبحانه وتعالى عمّا يصفون في قوله تعالى ﴿فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ في الآية الرابعة في الأوصياء ﵃، كما اختزل القرآن في قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا﴾ في الأئمة فصار يعني إنّا نحن نزلنا عليك قرآنًا في ولاية الأوصياء «من ولد علي وعلي» تنزيلًا. فكأنّ المتأوّلين يأخذون بنظرية الحلول الصوفية، حيث حلّ الله سبحانه وتعالى ووحيه في الأئمة، وهو تأويل تنزلق به مدرسة أهل الرواية والتأويل إلى الشرك الظاهر ولا تقتصر حتى على مجرد الشرك الخفي.

خ. التاويلات التي تختزل أهل الكتب السابقة والمجرمين في الأئمة

1. تأويل الآية ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ﴾: أوّل أهلُ الرواية والتأويل «اسم الإشارة» في الآية التاسعة والخمسين من سورة البقرة: ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ﴾، على أنه ينصرف إلى الذين ظلموا علي وذريته ﵃ بإنكار ولايتهم؛ حيث أورد الكليني حديثًا نسبه إلى أبي حمزة قال فيه: «عن أبي جعفر ﵇ قال: نزل جبرائيل ﵇ بهذه الآية على محمد ﷺ هكذا ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ (آل محمد حقهم) قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ (آل محمد حقهم) رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ﴾. رواه الكليني، الكافي، باب فيه نكت ونتف من التنزيل.

والتأويل خاطئ، ذلك أنّ الآية جاءت في سياق آيات تتحدث عن بني إسرائيل، تبدأ بـ ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَـٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ

﴿ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ﴾[1]، حتى قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ قُلۡنَا ٱدۡخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةَ فَكُلُواْ مِنۡهَا حَيۡثُ شِئۡتُمۡ رَغَدٗا وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا وَقُولُواْ حِطَّةٞ نَّغۡفِرۡ لَكُمۡ خَطَٰيَٰكُمۡۚ وَسَنَزِيدُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۝٥٨ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوۡلًا غَيۡرَ ٱلَّذِي قِيلَ لَهُمۡ فَأَنزَلۡنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجۡزٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ﴾[2]، ولذلك فإنّ الآية تتحدث عن قوم موسى عليه السلام ولا شأن لها بنظرية الولاية، وإذا كان الله تعالى قد أنزل رجزًا على الذين ظلموا الأوصياء، فأين هذا الرجز الذي لم تدوّنه الروايات ولا كتب التاريخ؟ ومن هناك فالقول بـ «أنّ الذين ظلموا» تعني الذين ظلموا علي وذريته رضي الله عنهم لإنكارهم الولاية، لا يستقيم، ولا يعدو كونه إلباسًا للحق بالباطل، وليًّا لعنق النص القرآني لإخضاعه لنظريات البشر في الولاية.

وتتفق جلّ الروايات التي أوردها المفسرون بالمأثور على أنّ دلالة الآية تنصرف إلى بني إسرائيل، الذين قال لهم تعالى ﴿وَقُولُواْ حِطَّةٞ﴾ فبدلوا ما قيل لهم، فأنّزل الله تعالى عليهم رجزًا من السماء.

2. **تـأويـل آيـة** ﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمۡ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهۡوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ فَفَرِيقٗا كَذَّبۡتُمۡ وَفَرِيقٗا تَقۡتُلُونَ﴾: أوّل أهلُ الرواية والتأويل، «بما لا تهوى أنفسكم» في الآية السابعة والثمانين من سورة البقرة: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ وَقَفَّيۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِۦ بِٱلرُّسُلِۖ وَءَاتَيۡنَا عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدۡنَٰهُ بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمۡ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهۡوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ فَفَرِيقٗا كَذَّبۡتُمۡ وَفَرِيقٗا تَقۡتُلُونَ﴾ على أنّها ولاية علي وبعض من ذريته رضي الله عنهم حيث أورد الكليني في الكافي حديثًا نسبه إلى جابر قال فيه: «عن أبي جعفر عليه السلام قال: ﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمۡ (**محمد**) رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهۡوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ (**بموالاة علي**) ٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ فَفَرِيقٗا (**من آل محمد**) كَذَّبۡتُمۡ وَفَرِيقٗا تَقۡتُلُونَ﴾. رواه الكليني، الكافي، باب فيه نكت ونتف من التنزيل.

والتأويل خاطئ، ذلك أنّ الآية تتحدث عن بني إسرائيل وقتلهم الأنبياء عليهم السلام. كما أنّ «رسول» جاءت نكرة في الآية وهو ما يعني تعدد الرسل

(1) سورة البقرة، الآية: 55.

(2) سورة البقرة، الآيتان: 58 ـ 59.

الذين بعثهم الله لبني إسرائيل، و«كلما» أيضًا تفيد التكرار، وما كان تكرار إرسال الرسل عليهم السلام إلّا لبني إسرائيل. أمّا التأويل الذي أورده الكليني فلا يستقيم، ولا يوجد في الآية ولا الآيات السابقة واللاحقة لها ما يشير إليه، ويرمي إلى تطويع آي الذكر الحكيم لنظريات البشر في الولاية.

وتتفق جلّ الروايات التي أوردها المفسرون بالمأثور على أنّ دلالة الآية تنصرف إلى اليهود من بني إسرائيل، الذين كانوا إذا أتاهم الرسول بخلاف ما يهوون كذبوه، وإن سنحت لهم الفرصة لقتله قتلوه.

3. تأويل آية ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾: أوّل أهلُ الرواية والتأويل «الاسم الموصول» في الآية التاسعة عشرة من سورة الأنعام: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾، على أنّها تعني من بلغ بالإمامة من بيت علي رضي الله عنهم؛ حيث أورد الكليني في الكافي حديثًا نسبه إلى مالك الجهني قال فيه: «قلت لأبي عبد الله عليه السلام: قوله عزّ وجلّ: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾ قال: من بلغ أن يكون إمامًا من آل محمد فهو ينذر بالقرآن كما أنذر به رسول الله صلى الله عليه وآله». رواه الكليني، الكافي، باب فيه نكت ونتف من التنزيل.

والتأويل خاطئ، ذلك أنّ دلالة «من بلغ» تنصرف إلى ثلاث احتمالات: الأولى أن تكون معطوفة على الله تعالى في قوله: ﴿قُلِ ٱللَّهُ ۖ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ﴾، فتنصرف دلالتها إلى من بلغه الوحي ممن سبق النبيّ محمد ﷺ من الرسل عليهم السلام، فيكون شهيدًا بين النبيّ ﷺ والمشركين. والثانية أن تكون معطوفة على قوله تعالى: ﴿لِأُنذِرَكُم بِهِۦ﴾ ويكونون مستهدفين بالإنذار مع مشركي قريش، فتنصرف إلى الذين بلغهم القرآن سواءً بواسطة النبيّ ﷺ أو بواسطة غيره من المسلمين. والثالثة أن تكون معطوفة على الاثنين فيكونون شهداء ومنذَرين في ذات الوقت. ويرى الرازي أنّ المقصود بمن بلغ من بلغه القرآن من العرب والعجم، فيقول في مفاتيح الغيب في معرض تفسيره للآية: «أما قوله: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾ فالمراد أنه تعالى أوحى إليّ هذا القرآن لأنذركم به، وهو خطاب لأهل مكة، وقوله: ومن بلغ عطف على المخاطبين من أهل مكة أي

لأنذركم به، وأنذر كل من بلغه القرآن من العرب والعجم، وقيل من الثقلين، وقيل: من بلغه إلى يوم القيامة، وعن سعيد بن المسيب: من بلغه القرآن، فكأنما رأى محمدًا ﷺ، وعلى هذا التفسير فيحصل في الآية حذف، والتقدير: وأوحي إلي هذا القرآن لأنذركم به، ومن بلغه هذا القرآن إلا أن هذا العائد محذوف لدلالة الكلام عليه». أمّا تأويل الآية على النحو الوارد في الحديث فلا يستقيم، ولا يوجد في الآية ما يشير إليه، ومن هناك فهو لا يعدو كونه تحريفًا للكلم عن مواضعه، وإخضاعًا لآيات الله لنظريات البشر في الولاية.

ويتفق أغلب المفسرين بالمأثور على أنّ صيغة «من بلغ» تنصرف إلى من بلغهم القرآن.

4. **تأويل آية** ﴿فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ﴾: أوّل أهلُ الرواية والتأويل «أهل الذكر» في الآية الثالثة والأربعين من سورة النحل: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۚ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ على أنها تنصرف إلى الأئمة، وكذلك أوّلوا «ولقومك» في الآية الرابعة والأربعين من سورة الزخرف: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكۡرٞ لَّكَ وَلِقَوۡمِكَۖ وَسَوۡفَ تُسۡـَٔلُونَ﴾ على أنها تنصرف إلى الأئمة؛ حيث أورد الكليني في الكافي حديثًا نسبه إلى عبد الله بن عجلان قال فيه: «عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: ﴿فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ قال رسول الله ﷺ: الذكر أنا والأئمة أهل الذكر وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكۡرٞ لَّكَ وَلِقَوۡمِكَۖ وَسَوۡفَ تُسۡـَٔلُونَ﴾ قال أبو جعفر عليه السلام نحن قومه ونحن المسؤولون». رواه الكليني، الكافي، باب أنّ أهل الذكر الذين أمر الله الخلق بسؤالهم هم الأئمة عليهم السلام.

والتأويل خاطئ، ذلك أنّه لا يستقيم أن يسأل مشركو قريش أبناء علي رضي الله عنه ومنهم من لم يولد بعد عند نزول الآية، كما لا يستقيم أن يشهد على نبوّة محمد ﷺ من كان من المسلمين، فالشهادة عن صدق نبيّ من عدمه قد تقبل من محايد غير أنّها لا تقبل من أتباعه بالضرورة. ثم إنّ الآية تقول: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡ﴾، ومن هناك فالأمر بسؤال أهل الذكر ينصرف لأهل الكتاب من اليهود والنصارى، ليُسألوا عن السنن السابقة في

الوحي الإلهي، وكذلك الأمر فيما يتعلق بالقول إنّ الذكر هو النبيّ ﷺ؛ فرسول الله ﷺ هو من أُنزل عليه الذكر الذي هو القرآن وليس الذكر، ولا يجوز الخلط بين الذكر ومن يتنزل عليه الذكر. أمّا القول إنّ الذكر هو النبيّ ﷺ، أو أنّ أهل الذكر هم الأئمة فلا يتجاوز كونه إلباسًا للحق بالباطل، وإخضاعًا لآيات الله تعالى لنظريات البشر في الولاية.

ثم إنّ اختزال قوم النبيّ ﷺ في الأئمة من ذرية علي وأبيهم رضي الله عنه، والقول بأنّهم هم الذين سوف يُسألون، هو أيضًا قول لا يستقيم؛ فقوم النبيّ ﷺ أوسع من عشيرته، وعشيرته أوسع من أهله وذريته، وأن يكون الأئمة هم ذريته وعترته وأهله وعشيرته وقومه في ذات الوقت قول لا يستقيم. والآية تأمر النبيّ ﷺ بالتمسك بالذي أوحي إليه، وأنّ الذي أوحي إليه لذكر له ولقومه من قريش أو من العرب، ولسوف يُسألون، ولم تقل الآية وأنّه لذكر له ولآله أو لبعض ذريته أو حتى عشيرته بل قالت ولقومه. والسؤال الذي يطرح نفسه هنا، هو كيف يمكن أن يكون العترة وفقًا لأهل الرواية والتأويل هم آل محمد وبعض ذريته وعشيرته وقومه في الوقت ذاته؟ وتتفق أغلب كتب التفسير بالمأثور على أنّ دلالة الآية تنصرف إلى القرآن، وأنّه لذكر للنبيّ ﷺ ولقومه من قريش، ـ والأرجح عندي أن تنصرف دلالة القوم للعرب من ذرية إسماعيل عليه السلام، إن لم تشمل العرب جميعًا ـ ، وأنّهم سوف يسألون عن مدى إيمانهم بالذكر واتباعهم له.

ويتفق جلّ المفسرين بالمأثور على أنّ أهل الذكر في الآية، تنصرف إلى أهل الكتب السابقة: التوراة والإنجيل. ومن هناك فتأويل الآية على النحو أورده الكليني لا يعدو كونه تحريفًا للكلم عن مواضعه، وإخضاعًا لآيات الله لنظريات البشر في الولاية.

5. تأويل آية ﴿لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ الْبَعْثِ﴾: أوّل أهلُ الرواية والتأويل «لبثتم» في الآية السادسة والخمسين من سورة الروم: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَٰذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾، على أنها تنصرف إلى أنّ الإمامة في ولد علي رضي الله عنه إلى يوم القيامة؛ حيث أورد الكليني في الكافي حديثًا نسبه إلى عبد العزيز بن مسلم قال فيه: «كنا

مع الرضا عليه السلام بمرو فاجتمعنا في الجامع يوم الجمعة في بدء مقدمنا فأداروا أمر الإمامة وذكروا كثرة اختلاف الناس فيها، . . . إلى أن يقول قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ﴾ فهي في ولد علي عليه السلام خاصة إلى يوم القيامة، إذ لا نبي بعد محمد صلى الله عليه وآله فمن أين يختار هؤلاء الجهال». رواه الكليني، الكافي، باب نادر في فضل الإمام وصفاته.

والتأويل خاطئ، فالآية السابقة لهذه الآية تقول: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَٰلِكَ كَانُوا۟ يُؤْفَكُونَ﴾، فيرد عليهم الذين أوتوا العلم والإيمان بالقول: ﴿لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ﴾، والمقصود بالذين لبثوا إلى يوم البعث هم المجرمون، والخطاب هنا موجه إلى المجرمين الذين قالوا أو أقسموا بأنّهم لم يلبثوا غير ساعة. فكيف يمكن أن يكون المقصود بهم الأئمة من ولد علي رضي الله عنهم. فيجرم المتأوّلون في حقهم إذ يجعلونهم في خانة المجرمين!

ويتفق المفسرون بالمأثور على أنّ دلالة الآية تنصرف إلى أنّ المؤمنين سيقولون للكفار ردًّا عليهم: لقد لبثتم في قبوركم إلى يوم البعث.

خاتمة المبحث:

جدول التحريف رقم (1 ـ 4 ـ خ):

التأويلات التي تختزل أهل الكتب السابقة والمجرمين في الأئمة:

الكَلِم	الدلالة المحرّفة	الدلالة الأصلية
﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾	فبدل الذين ظلموا الأئمة «من ولد علي وعلي» قولًا غير الذي قيل لهم، فأنزلنا على الذين ظلموهم رجزًا من السماء بما كانوا يفسقون.	فبدل بنو إسرائيل قولًا غير «حطة» التي قيلت لهم، فأنزلنا عليهم رجزًا من السماء بما كانوا يفسقون.

﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾	أفكلما جاء كم محمد بما لا تهوى أنفسكم في ولاية بعض من ولد علي وعلي استكبرتم ففريقًا منهم كذبتم وفريقًا تقتلون.	أفكلما جاء كم يا بني إسرائيل رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم، ففريقًا منهم كذبتم وفريقًا تقتلون.
﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ﴾	وأوحي إليّ هذا القرآن لأُنذركم به ومن بلغ أن يكون إمامًا «من ولد علي وعلي».	وأوحي إليّ هذا القرآن لأُنذركم به ومن بلغه القرآن من بعدي.
﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾	وما أرسلنا من قبلك إلّا رجالًا نوحي إليهم، فاسألوا الأوصياء «من ولد علي وعلي» إن كنتم لا تعلمون.	وما أرسلنا من قبلك إلّا رجالًا نوحي إليهم، فاسألوا أهل الكتاب إن كنتم لا تعلمون.
﴿لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ الْبَعْثِ﴾	لقد لبثت الإمامة في ولد علي إلى يوم البعث.	لقد لبثتم أيها المجرمون المكذّبون بدين الله إلى يوم البعث.

التعليق:

أوّلت الآيات التي تتحدث عن أهل الكتاب من اليهود والنصارى على نحو يحل الأئمة رضي الله عنهم محل أهل الكتب السابقة؛ فـ«الذين ظلموا من بني إسرائيل» و«بدلوا قولًا غير الذي قيل لهم» في الآية الأولى صاروا الذين أنكروا ولاية علي رضي الله عنه، والذين استنكر الله تعالى صنيعهم وتكذيبهم الأنبياء وقتلهم في الآية الثانية صاروا عند المتأوّلين هم الذين لم تهو أنفسهم ولاية علي رضي الله عنه فأنكروها، وتكذيبهم الأنبياء وقتلهم صار قتلًا لفريق من الأئمة وتكذيب لفريق آخر، و«من بلغ» في الآية الثالثة صار من بلّغ بإمامة علي رضي الله عنه، وليس من بلغه القرآن أو أي من الكتب السابقة، و«أهل الذكر» من أهل الكتب السابقة الذين دعا الله قوم النبيّ محمد ﷺ لسؤالهم، صاروا بفعل هذه التأويلات محمد ﷺ والأئمة رضي الله عنهم، وهو ورب الكعبة إفك عظيم.

د. التأويلات المتعلقة بما استنكره الله تعالى

1. تأويل الآية ﴿لَّا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾: أوّل

أهلُ الرواية والتأويل «من اتّخذ عند الرحمن عهدًا» في الآية السابعة والثمانين من سورة مريم: ﴿لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَـٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَـٰنِ عَهْدًا﴾: على أنّها تعني من دان بولاية علي وبعض ذريته ﷺ؛ حيث أورد الكليني في الكافي حديثًا نسبه إلى أبي بصير قال فيه: «عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا بَيِّنَـٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾ ... إلى أن يقول: قلت: قوله: ﴿لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَـٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَـٰنِ عَهْدًا﴾؟ قال: إلا من دان الله بولاية أمير المؤمنين والأئمة من بعده فهو العهد عند الله». رواه الكليني، الكافي، باب فيه نكت ونتف من التنزيل.

والتأويل خاطئ، ذلك أنّ ﴿لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَـٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَـٰنِ عَهْدًا﴾، تنصرف إلى كل من ادعى أنّه سيُشفع له، والمستثنى من نفي الشفاعة له ﴿مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَـٰنِ عَهْدًا﴾ وهو ما لا يمكن وقوعه فلا أحد اتخذ عند الله عهدًا، فقد يتعهد الله على نفسه أمرًا من أجل عباده كأن يدخلهم الجنة حين يؤمنوا به وباليوم الآخر ويطيعونه ورسوله إليهم، أمّا أن يتخذ عبدٌ عند الله عهدًا فهو أمر ورد في الآية على سبيل الاستنكار، والقائلون به يُدخلون العبد في علاقة ندية مع الخالق سبحانه وتعالى عما يصفون، ومن هناك فالتسليم به، في تقديري، يُعد إلحادًا في قول الله تعالى ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ ومن ثم فهو يقود إلى الشرك، ولم يتعهد الله تعالى لأحد بالشفاعة في القرآن، وهو ما يناقض القائلين بالشفاعة؛ سواءً منهم من قال بشفاعة النبيّ ﷺ، أو القائلين بشفاعة الأئمة ﷺ أو أتباعهم، أو القائلين بشفاعة الأصنام. أمّا القول إنّ من دان لولاية علي وبعض ذريته ﷺ يملك الشفاعة، فهو قول لا يستقيم ولا بيّنة أو سلطان عليه.

وتتفق جلّ الروايات التي أوردها المفسرون بالمأثور، على أنّ دلالة ﴿لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَـٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَـٰنِ عَهْدًا﴾ تنصرف إلى أنّه لا يملك هؤلاء الكافرون بربهم يوم القيامة الشفاعة، إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ منهم عِنْدَ الرَّحْمَنِ في الدنيا عَهْدًا بالإيمان به، وتصديق رسوله ﷺ، والإقرار بما أنزل عليه والعمل به. وهذا القول أيضًا لا يستقيم؛ ذلك أنّ صيغة اتّخذ عند الله عهدًا حين ترد على سبيل الإثبات تحمل دلالة ندية المتخذ عند الله عهدًا لله تعالى وهو ما لا يجوز إقراره من جهة، ومن جهة أخرى فإنّ ميثاق المؤمن مع الله

تعالى وعهده لا يتضمن الشفاعة ولا الشافعين، فلم يتعهد تعالى في القرآن بأن يمنح الشفاعة لكل من آمن به وصدق المرسلين، ولم يحدد هوية الشافعين، بل إنّه أبلغنا بأنّه لا تُمنح الشفاعة للخلق إلّا بإذنه دون أن يمنحها لأحدٍ منهم. ومن هناك فلا يمكن التسليم بأنّه ثمّة أحدٌ من الخلق اتّخذ عند الله عهدًا، ثم إنّ اتخاذ العهد عند الله تعالى ورد في القرآن ثلاث مرات كانت كلها بصيغ استنكارية، الأولى في الآية الثمانين من سورة البقرة: ﴿وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾، والثانية في الآيتين السابعة والثمانين والثامنة والثمانين من سورة مريم: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾، والثالثة وردت في هذه الآية، وهي الأخرى، وردت في سياق الاستنكار أيضًا، حيث هم لا يملكون الشفاعة ولم يتخذوا عند الله عهدًا.

2. تأويل الآية ﴿ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾: أوّل أهلُ الرواية والتأويل «أثارة من علم» في الآية الرابعة من سورة الأحقاف: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾، على أنّها تنصرف إلى علم الأوصياء؛ حيث أورد الكليني في الكافي حديثًا نسبه إلى جميل بن صالح قال فيه: «عن أبي عبيدة قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قوله تعالى: ﴿ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ قال: عنى بالكتاب التوراة والإنجيل وأثارة من علم فإنّما عنى بذلك علم أوصياء الأنبياء عليهم السلام». رواه الكليني، الكافي، باب فيه نكت ونتف من التنزيل.

والتأويل خاطئ، ذلك أنّ سياق الآية ورد في إطار الاستنكار لمحاجة الكفار والمشركين على تمسكهم بشركهم، وعلى أي دليل يستندون في شركهم، وقوله تعالى: ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ يؤكد صيغة الاستنكار والنفي الإلهي لأن يكون للمشركين كتاب أو أثارة من علم. وما غفل عنه المتأوّلون هو أنّ الله تعالى لا يطلب من المسلمين الإتيان ببيّنة على إيمانهم، أو أثارة من

علم على ما يتبعونه من الوحي، إذ هو من أنزل عليهم ما تلقوه من علم. والخطاب في الآية لا يقتصر على الذين يعبدون الأوثان، بل يشمل من يدعون الأنبياء والأوصياء وشيوخ الطريقة وغيرهم، ليشفعوا لهم من دون الله تعالى. أمّا إثبات ما نفاه الله تعالى، والقول بأنّه ثمة أثارة من علم لدى الأوصياء في آية تتحدث عن المشركين، فهو مجرد إلباس للحق بالباطل، وتحريف للكلم عن مواضعه، وليّ لعنق الآية لإخضاعها لنظرية الوصاية، التي لا وجود لها إلّا في عقول أتباع أهل الرواية والتأويل، ولا أظن أنّ فقهاءهم وأولي الألباب منهم يستيقنونها في أنفسهم.

وتتفق جلّ الروايات التي أوردها المفسرون بالمأثور على أنّ دلالة الكتاب في الآية تنصرف إلى كتاب نُزِّل عليكم من قبل هذا القرآن، ودلالة أثارة من علم تنصرف إلى بقية أو خاصة من علم أوتيتموه يكون لكم حجة على عبادتكم الأوثان.

خاتمة المبحث:

جدول التحريف رقم (1 ـ 4 ـ د):

التأويلات المتعلقة بما استنكره الله تعالى:

الكَلِم	الدلالة المحرّفة	الدلالة الأصلية
﴿لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾	لا يملكون الشفاعة إلّا من دان الله بولاية علي والأئمة من بعده فهو العهد عند الله.	لا يملك المجرمون الشفاعة إلّا من اتّخذ عند الله عهدًا، وما من أحد يملك ذلك.
﴿ٱئْتُونِي بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾	ائتوني بالتوراة والإنجيل أو بعلم الأوصياء إن كنتم صادقين.	ائتوني بكتاب تركنون إليه من قبل القرآن أو أثر من علم على ما تدعون من دون الله إن كنتم صادقين.

التعليق:

أوّلت الآيات التي تستنكر ضلال المشركين وادعاءتهم بأنّ لهم شفعاء، وأنّ شركاءهم لهم نصيب من الملك، على أنّها نزلت في الأئمة؛ فأوّلت «من

الموصولية» في الآية الأولى على أنّها تنصرف إلى من دان بولاية أمير المؤمنين والأئمة من بعده، و«العلم» في الآية الثانية على أنّه ينصرف إلى علم الأوصياء. رغم أنّ العلم ورد في إطار محاجة القرآن للذين يدعون من دون الله، ومختوم بصيغة إن كنتم صادقين الاستنكارية. وغفل المتأوّلون بأنّ الله تعالى لا يطلب من المسلمين الإتيان ببيّنة على إيمانهم، أو أثر من علم على ما يتبعونه من الوحي، وهو من أنزل عليهم ما تلقوه من علم.

ذ. التأويلات المتعلقة باختزال المؤمنين في الأئمة وأتباعهم والكافرين فيمن أنكر ولايتهم

1. تأويل آيتي ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا﴾ ﴿فَإِنۡ ءَامَنُواْ بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ﴾: أوّل أهلُ الرواية والتأويل «ضمير المتكلمين» في الآية السادسة والثلاثين بعد المئة من سورة البقرة: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ﴾، وكذلك «ضمير المخاطبين» في الآية السابعة والثلاثين بعد المئة من نفس السورة: ﴿فَإِنۡ ءَامَنُواْ بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا هُمۡ فِي شِقَاقٖۖ فَسَيَكۡفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾، على أنّهما يعودان على علي وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم؛ حيث أورد الكليني في الكافي حديثًا نسبه إلى سلام قال فيه: «عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا﴾ قال: إنّما عنى بذلك عليًّا عليه السلام وفاطمة والحسن والحسين وجرت بعدهم في الأئمة عليهم السلام، ثم يرجع القول من الله في الناس فقال: ﴿فَإِنۡ ءَامَنُواْ (**يعني الناس**) بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ (**يعني عليًّا وفاطمة والحسن والحسين والأئمة**) فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا هُمۡ فِي شِقَاقٖۖ﴾. رواه الكليني، الكافي، باب فيه نكت ونتف من التنزيل.

والتأويل خاطئ، ذلك أنّ الخطاب موجه إلى الذين آمنوا في الآيتين، ليقولوا آمنا بما أنزل على محمد ﷺ، وبما أُنزل على الرسل من قبله عليهم السلام، وليدعو اليهود والنصارى ليؤمنوا بما آمنوا به. أمّا القول بأنّ الخطاب موجهٌ لأهل بيت علي رضي الله عنهم، فهو لا ينسجم مع ما ورد في الآية، ولا مع سياق

الآيات التي قبلها وبعدها، ولا يتجاوز كونه إلباسًا للحق بالباطل وليًا لعنق النص القرآني لإخضاعه لنظريات البشر في الولاية.

وكذلك القول بأنّ الآية التي تليها تدعو الناس إلى أن يؤمنوا بما آمن به أهل بيت علي ﵃، فهو قول شاذ وغريب، ويناقض قول الله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[1]. ذلك أنّ الآية تدعو أهل الكتاب بأن يؤمنوا بما آمن به المسلمون من أتباع محمد ﷺ. ثم إنّ الله أمر المسلمين بأن يقتدوا في إيمانهم برسول الله ﷺ، وليس بأهل بيت علي ﵃.

وتتفق جلّ الروايات التي أوردها المفسرون بالمأثور، على أنّ الخطاب في الآيتين موجه إلى المسلمين وليس لأهل بيت علي ﵃.

2. **تــأويــل آيــة** ﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾: أوّل أهلُ الرواية والتأويل «الذين آمنوا» في الآية الثامنة والستين من سورة آل عمران: ﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، على أنّها تعني الأئمة ﵃ ومن اتبعهم؛ حيث أورد الكليني في الوافي حديثًا نسبه إلى عبد الله بن عجلان قال فيه: «عن أبي جعفر ﵇ في قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ قال: هم الأئمة ﵈ ومن اتّبعهم». رواه الكليني، الكافي، باب فيه نكت ونتف من التنزيل.

والتأويل خاطئ، ذلك أنّ الذين آمنوا أينما وردت انصرفت إلى كافة المؤمنين، ولا يجوز تقييدها أو تخصيصها على رجل أو بضعة رجال مهما علت مكانتهم في الإسلام، كما أنه لا يوجد في الآية ولا في الآيات السابقة أو اللاحقة لها ما يدل على تخصيصها أو تقييدها. ولقد وردت الذين آمنوا في القرآن حوالي 242 مرة، كانت في جميعها إلّا واحدة تنصرف إلى كل من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحًا، أما الواحدة فكانت في الآية الثانية

---

(1) سورة الأحزاب، الآية: 21.

والخمسين من سورة العنكبوت في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْبَٰطِلِ وَكَفَرُواْ بِٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾. ولو جاز قصرها على الأئمة لكان بالإمكان تأويلها أينما وردت في القرآن على أنّها تنصرف إليهم! ومن هناك فالتأويل الذي أورده الكليني لا يتجاوز كونه إلباسًا للحق بالباطل، وإخضاعًا لآيات الله لنظريات البشر في الولاية.

وتتفق جلّ الروايات التي أوردها المفسرون بالمأثور، على أنّ الذين آمنوا هم الذين آمنوا بما جاء به محمد ﷺ.

3. تأويل الآية ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ﴾: أوّل أهلُ الرواية والتأويل «الذين كفروا وظلموا» في الآية الثامنة والستين بعد المئة من سورة النساء: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿168﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾، على أنّها تعني الذين ظلموا علي وذريته بإنكار ولايتهم؛ حيث أورد الكليني حديثًا نسبه إلى أبي حمزة قال فيه: «عن أبي جعفر عليه السلام قال: نزل جبرائيل عليه السلام بهذه الآية هكذا: «إن الذين ظلموا (آل محمد حقهم) لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقًا إلا طريق جهنم خالدين فيها أبدًا وكان ذلك على الله يسيرًا» ثم قال: «يا أيها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم (في ولاية علي) فآمنوا خيرًا لكم وإن تكفروا (بولاية علي) فإنّ لله ما في السماوات وما في الأرض». رواه الكليني، الكافي، باب فيه نكت ونتف من التنزيل».

والتأويل خاطئ، ذلك أنّ الآية تتحدث عن الذين أنكروا رسالة الإسلام وكفروا بها، وأنّ الله تعالى لن يهديَهم إلّا طريق جهنم خالدين فيها. والذين كفروا أينما وردت في القرآن تنصرف إلى الذين كفروا بربهم أو برسله عليهم السلام أو بما أنزل على رسله، ولقد وردت الذين كفروا في القرآن 147 مرة كانت في جميعها تنصرف إلى الكفر بالله وبما أنزل على رسله عليهم السلام. كما أنّ الآية وردت في سياق آيات تتحدث عما أنزله الله تعالى على رسوله ﷺ، وإنكار قومه لما أُنزل عليه، وهو ما توضحه الآيتان السادسة والستون والسابعة والستون بعد المئة من نفس السورة: ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ

﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ قَدْ ضَلُّوا۟ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾. أمّا القول إنّ الآية تتحدث عن إنكار ولاية علي وبعض من ذريته ﷺ، فلا يوجد في الآية ولا في الآيات السابقة أو اللاحقة لها ما يشير إلى ذلك، ومن هناك فهو مجرد إلباس للحق بالباطل، وليّ لعنق الآية لإخضاعها لنظريات البشر في الولاية.

وتتفق جلّ الروايات التي أوردها المفسرون بالمأثور، على أنّ دلالة الآية تنصرف إلى المشركين، الذين جحدوا ما أنزل الله تعالى، والذين يقول تعالى بأنّه لن يغفر لهم ولن يهديَهم إلّا طريق جهنم خالدين فيها أبدًا.

4. **تأويل الآية** ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾: أوّل أهلُ الرواية والتأويل «ياء المتكلم» في الآية الثامنة بعد المئة من سورة يوسف: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾، على أنّها تنسحب على علي رضي الله عنه والأوصياء من بعده؛ حيث أورد الكليني في الكافي حديثًا نسبه إلى سلام بن المستنير قال فيه: «عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾ قال: ذاك رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام والأوصياء من بعدهم». رواه الكليني، الكافي، باب فيه نكت ونتف من التنزيل».

والتأويل خاطئ، فالآية أمر من الله تعالى لنبيه ﷺ ليقول للناس: إنّه يدعو إلى الله على بصيرة هو ومن اتبع سبيله إلى الله تعالى، دون تحديد للمتبعين الذين قد يكونون الأبعد منه نسبًا. ولا يجوز قصر الذين اتبعوه في علي والأوصياء من بعده ﷺ، ولو أراد الله تلك الدلالة لما استخدم ياء المتكلم في «اتبعني» بل استخدم «ضمير المتكلمين»، أو لاستخدم «وذريتي» أو «وأهلي» أو «وآلي» عوضًا عمن اتبعني. ولا يوجد في الآية أية إشارة تفيد تقييد دلالة الذين اتبعوه أو تخصيصها لأي كان. ومن هناك فالتأويل الذي ذهب إليه الحديث لا يتجاوز كونه إلباسًا للحق بالباطل، وإخضاعًا لآيات الله لنظريات البشر في الولاية.

وتتفق جلّ الروايات التي أوردها المفسرون بالمأثور على أنّ دلالة ﴿وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي﴾ تنصرف إلى من صدّقني وآمن بي دون تخصيص.

5. تأويل الآية ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا﴾: أوّل أهلُ الرواية والتأويل الآية الثالثة والستين من سورة الفرقان: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا﴾ على أنّها تعني الأوصياء؛ حيث أورد الكليني في الكافي حديثًا نسبه إلى سلام قال فيه: «سألت أبا جعفر عليه السلام عن قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا﴾ قال: هم الأوصياء من مخافة عدوهم». رواه الكليني، الكافي، باب فيه نكت ونتف من التنزيل.

والتأويل خاطئ ذلك أنّ الآية وردت في سياق المقارنة والمقابلة بين المشركين والمسلمين؛ حيث ذكر الله تعالى تعنت المشركين ومواقفهم مما أنزل إليهم من ربهم بدءًا بقوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوۡكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِي بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا﴾[1]، ثم انتقل تعالى لذكر المسلمين في الآية الثالثة والستين فامتدحهم بكونهم لا يتجبرون ولا يتعالون، فيمشون على الأرض بتواضع، ولا يجهلون على من جهل عليهم. أمّا تأويل الآية على أنّها تخص عليًّا وبعض بنيه رضي الله عنهم فهو مجرد إلباس للحق بالباطل، وليّ لعنق الآية لإخضاعها لنظريات البشر المتعلقة بالولاية.

وتتفق جلّ الروايات التي أوردها المفسرون بالمأثور، على أنّ الآية لا تتجاوز وصف المسلمين بالحلم والسكينة وعدم التكبر والتجبر، وعدم السعي إلى الفساد في الأرض.

6. تأويل آية ﴿مَا سَلَكَكُمۡ فِي سَقَرَ (42) قَالُواْ لَمۡ نَكُ مِنَ ٱلۡمُصَلِّينَ﴾: أوّل أهلُ الرواية والتأويل «ضمير المخاطبين» و«ضمير المتكلمين» في الآيتين الثانية والأربعين والثالثة والأربعين من سورة المدثر: ﴿مَا سَلَكَكُمۡ فِي سَقَرَ (42) قَالُواْ لَمۡ نَكُ مِنَ ٱلۡمُصَلِّينَ (43) وَلَمۡ نَكُ نُطۡعِمُ ٱلۡمِسۡكِينَ (44) وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلۡخَآئِضِينَ (45) وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ على أنّها تعني لم نكن من أتباع الأئمة؛ حيث أورد الكليني

(1) سورة الفرقان، الآية: 41.

حديثًا نسبه إلى إدريس بن عبد الله قال فيه: «عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته عن تفسير هذه الآية ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ۝ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ﴾ قال: عنى بها لم نك من أتباع الأئمة الذين قال الله تبارك وتعالى فيهم: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ۝ أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾ أما ترى الناس يسمون الذي يلي السابق في الحلبة مصليًا، فذلك الذي عنى حيث قال: ﴿لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ﴾: لم نك من أتباع السابقين». رواه الكليني، الكافي، باب فيه نكت ونتف من التنزيل.

والتأويل خاطئ، ذلك أنّ الآية تتحدث عن أهل سقر في الآخرة من ذرية آدم عليه أفضل الصلوات وأفضل السلام، منذ خلقه إلى قيام الساعة. والآيات تحدد هوية الذين يعود عليهم الضمير؛ فالآية تقول إنّهم لم يكونوا من المصلين، وإنّهم لم يطعموا المسكين، والآيات اللاحقة لها من الآية الثالثة والأربعين إلى الآية السادسة والأربعين من نفس السورة تفصل تلك الأسباب، ولم تذكر الآيات بأنّهم لم يطيعوا الأئمة. أمّا القول إنّ الناس تسمي الذي يلي السابق مصليًا فهو ما لا يوجد عليه دليل، لا في كتب اللغة ولا في كتب الحديث والفقه. ومع ذلك فلو سلّمنا جدلًا بأنّ الآية تعني الذين رفضوا نظرية الإمامة، فماذا عن الذين عاشوا في الفترة الفاصلة بين آدم والبعثة النبوية، أي قبل ظهور نظرية الإمامة، هل يدخلون سقر لرفضهم نظرية لم يسمعوا بها وأئمة لم يعاصروهم؟ ومثل هذه التأويلات تبيّن لنا إلى أي مدى بلغ إلباس الحق بالباطل وإخضاع آيات القرآن لنظريات البشر ودون مراعاة لأي منطق.

وتتفق جلّ الروايات التي أوردها المفسرون بالمأثور على أنّ الضميرين يعودان لأهل النار، وأنّ الذي سلكهم في سقر الأسباب التي ذكرتها الآيات اللاحقة من 43 إلى 46 من نفس السورة.

خاتمة المبحث:

جدول التحريف رقم (1 ـ 4 ـ ذ):

التأويلات المتعلقة باختزال المؤمنين في الأئمة وأتباعهم والكافرين فيمن أنكر ولايتهم:

الكَلِم	الدلالة المحرّفة	الدلالة الأصلية
﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا﴾	قولوا يا أهل بيت علي آمنا بالله وما أنزل إلينا.	قولوا يا أيها الذين آمنوا آمنا بالله وما أنزل إلينا.
﴿فَإِنۡ ءَامَنُواْ بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا هُمۡ فِي شِقَاقٖۖ فَسَيَكۡفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾	فإن آمن الناس بمثل ما آمن به علي وفاطمة والحسن والحسين والأئمة عليهم السلام فقد اهتدوا وإن تولوا فإنّما هم في شقاق.	فإن آمن أهل الكتاب بمثل ما آمن به الذين آمنوا فقد اهتدوا وإن تولوا فإنّما هم في شقاق.
﴿إِنَّ أَوۡلَى ٱلنَّاسِ بِإِبۡرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۗ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾	إنّ أولى النّاس بإبراهيم للذين اتبعوه والنبيّ محمد، والأئمة «من ولد علي وعلي» وشيعتهم، والله ولي المؤمنين.	إنّ أولى النّاس بإبراهيم للذين اتبعوه والنبيّ محمد، والذين آمنوا بما أنزل عليه، والله ولي المؤمنين.
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمۡ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغۡفِرَ لَهُمۡ وَلَا لِيَهۡدِيَهُمۡ طَرِيقًا ﴿168﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ﴾	إنّ الذين كفروا وظلموا أهل بيت علي وبعض من ذريته، لم يكن الله ليغفر لهم، ولا ليهديهم طريقًا إلا طريق جهنم خالدين فيها أبدًا.	إنّ الذين كفروا وظلموا أنفسهم أو ظلموا غيرهم، لم يكن الله ليغفر لهم، ولا ليهديهم طريقًا إلا طريق جهنم خالدين فيها أبدًا.
﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ﴾	قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا والأوصياء من ولد علي وعلي.	قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبع دعوتي من المؤمنين.
﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا﴾	والأوصياء من ولد علي وعلي، الذين يمشون على الأرض بتواضعٍ جم.	وعباد الله الصالحين الذين يمشون على الأرض بتواضعٍ جم.
﴿مَا سَلَكَكُمۡ فِي سَقَرَ ﴿42﴾ قَالُواْ لَمۡ نَكُ مِنَ ٱلۡمُصَلِّينَ ﴿43﴾ وَلَمۡ نَكُ نُطۡعِمُ ٱلۡمِسۡكِينَ﴾	ما سلككم في سقر * قالوا لم نك من أتباع الأئمة من ولد علي وعلي.	ما سلككم في سقر * قالوا لم نكن من المصلين، ولم نكن نطعم المسكين.

التعليق:

اختزل المتأوّلون «الذين آمنوا» بالذين آمنوا بالأئمة، و«الذين كفروا» بالذين كفروا بالأئمة؛ حيث أوّل «ضمير المتكلمين» في الآية الأولى، و«ضمير

المخاطبين» في الآية الثانية على أنّهما يعودان على علي وفاطمة والحسن والحسين ﷺ، واختزل «الذين آمنوا»، و«الذين اتبعوا النبيّ ﷺ»، و«الذين يمشون في الأرض هونًا» في الأئمة. واختزل «الذين كفروا وظلموا» في الذين أنكروا ولاية علي ﷺ. وأوّلت «ياء المتكلم» في الآية الثامنة بعد المئة من سورة يوسف على أنّها تنسحب على علي ﷺ والأوصياء من ذريته ﷺ، واختزل «الذين آمنوا» ووصفهم الله تعالى بأنّهم ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَـٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَـٰمًا﴾ في الآية الثالثة والستين من سورة الفرقان في الأوصياء. كما أن الكفار «الذين لم يكونوا من المصلين» و«لم يكونوا يطعمون المسكين» صاروا الذين لم يكونوا من أتباع الأئمة.

ر. التأويلات التي تختزل الإيمان بالله في الإيمان بولاية الأئمة

1. تأويل آية ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً﴾: أوّل أهلُ الرواية والتأويل «الأمر الموجه للذين آمنوا بالدخول في السلم» في الآية الثامنة بعد المئتين من سورة البقرة: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ على أنّه ينصرف إلى الدخول في ولاية الأئمة ﷺ؛ حيث أورد الكليني في الكافي حديثًا نسبه إلى عبد الله بن عجلان قال فيه: «عن أبي جعفر ﷺ: في قول الله عزّ وجلّ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ قال: في ولايتنا». رواه الكليني، الكافي، باب فيه نكت ونتف من التنزيل.

والتأويل خاطئ، فـ «الدخول في السلم» في الآية له وجهان: الأول الدخول في الإسلام والامتثال لأمر الله، والثاني الكف عن الفساد في الأرض. ثم إنّ الأمر الإلهي بالدخول في السلم أعقبه النهي عن تتبع خطوات الشيطان، وهو ما يعني انصراف دلالة الدخول في السلم إلى الامتثال لأوامر الله تعالى ونواهيه عوضًا عن الامتثال للشيطان. ومن هناك فتأويل الدخول في السلم على النحو الوارد في الحديث لا يستقيم، وبعيد كل البعد عن أن تكون دلالته الدخول في ولاية الأئمة ﷺ، ومن ثم فالتأويل الذي أورده الكليني لا يتجاوز كونه إلباسًا للحق بالباطل، وليًّا لعنق النص القرآني لإخضاعه لنظريات البشر في الولاية.

وتتفق جلّ الروايات التي أوردها المفسرون بالمأثور على أنّ الدخول في السلم يعني الدخول في الإسلام منقادين لله في الإتيان بالطاعات، وترك المحظورات.

2. تأويل الآيتين ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾، ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكۡرَ وَخَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ بِٱلۡغَيۡبِۖ فَبَشِّرۡهُ بِمَغۡفِرَةٖ وَأَجۡرٖ كَرِيمٍ﴾: أوّل أهلُ الرواية والتأويل «لا يؤمنون» في الآية السادسة من سورة البقرة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾، على أنّها تعني لا يؤمنون بالله وبولاية علي وبعض ذريته ﵃، وكذلك أوّلوا اتبع الذكر في الآية الحادية عشرة من سورة يس: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكۡرَ وَخَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ بِٱلۡغَيۡبِۖ فَبَشِّرۡهُ بِمَغۡفِرَةٖ وَأَجۡرٖ كَرِيمٍ﴾، على أنها تعني اتبع علي ﵁؛ حيث أورد الكليني في الكافي حديثًا نسبه إلى أبي بصير قال فيه: «عن أبي عبد الله ﵇ في قول الله عزَّ وجلّ: ﴿وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٖ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَيُّ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ خَيۡرٞ مَّقَامٗا وَأَحۡسَنُ نَدِيّٗا﴾، ... إلى أن يقول: ثم قال: يا محمد ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ بالله وبولاية علي ومن بعده ثم قال: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكۡرَ **(يعني أمير المؤمنين ﵇)** وَخَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ بِٱلۡغَيۡبِۖ فَبَشِّرۡهُ **(يا محمد)** بِمَغۡفِرَةٖ وَأَجۡرٖ كَرِيمٍ﴾. رواه الكليني، الكافي، باب فيه نكت ونتف من التنزيل.

والتأويل خاطئ، ذلك أنّ الإيمان في الآية، وأينما ورد في القرآن، يعني الإيمان بالله تعالى، ولم يرد الإيمان في القرآن مقترنًا بالولاية، بل اقترن بالإيمان بملائكته وكتبه ورسله كما ورد في الآية 285 من سورة البقرة: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾، واقترن بالإيمان باليوم الآخر وبالنشور في آيات أخرى. وكذلك الأمر فيما يتعلق بالذكر في الآية الثانية فينصرف إلى دلالة واحدة، وهو ما أنزل الله من كتاب. أمّا التأويل الذي ورد في الحديث فهو لا يستقيم، ولا يتجاوز كونه إلباسًا للحق بالباطل، وليًا لعنق النص أو الآية لإخضاعها لنظريات البشر في الولاية.

ولم تتفق الروايات التي أوردها المفسرون بالمأثور على دلالة ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ فقال البعض بأنّهم اليهود، وقال آخرون: بل المراد المشركين. بينما اتفقوا حول ﴿مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ﴾ فقالوا هم المؤمنون.

3. تأويل الآية ﴿أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ : أوّل أهلُ الرواية والتأويل «من الموصولية» في الآية الثانية والستين بعد المئة من سورة آل عمران: ﴿أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿162﴾ هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ على أنّها تعني الأئمة؛ حيث أورد الكليني في الكافي حديثًا نسبه إلى عمار الساباطي قال فيه: «سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿162﴾ هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ﴾ فقال: الذين اتبعوا رضوان الله هم الأئمة وهم والله يا عمار درجات للمؤمنين وبولايتهم ومعرفتهم إيانا يضاعف الله لهم أعمالهم ويرفع [الله] لهم الدرجات العلى». رواه الكليني، الكافي، باب فيه نكت ونتف من التنزيل.

والتأويل خاطئ، ذلك أنّ الآية تقارن بين من اتبع رضوان الله ومن لم يتبعه، ودلالة الآية مطلقة وعامة؛ حيث تنصرف «من اتبع رضوان الله» إلى المؤمن بالله تعالى والممتثل لأوامره ونواهيه، بينما تنصرف دلالة «من باء بسخط من الله» إلى الذي لم يتبع رضوان الله ولم يمتثل أوامره ونواهيه. أمّا قصر دلالة من اتبع رضوان الله على الأئمة، واعتبارهم وحدهم من نال رضى الله تعالى، منذ آدم عليه أفضل الصلوات والسلام وحتى قيام الساعة، فهو لا يستقيم ولا يتجاوز كونه إلباسًا للحق بالباطل، وليًّا لعنق النص القرآني لإخضاعه لنظريات البشر في الولاية.

وعلى الرغم من أنّ الروايات التي أوردها المفسرون بالمأثور لم تتفق على دلالة: ﴿أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ﴾ أو على دلالة اسم الموصول أو على من يعود؟ فقال بعضهم إنّه يعود على من آمن بالله وأطاعه، وأطاع رسوله ﷺ، وقال آخرون بأنّه يعود على من ترك الغلول، وقال غيرهم بأنّه يعود على المهاجرين. غير أنّهم لم يذهبوا في تأويلها المذهب الذي ذهبت إليه رواية الكليني.

4. تأويل الآية ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ﴾: أوّل أهلُ الرواية والتأويل «كسبت في إيمانها» في الآية الثامنة والخمسين بعد المئة من سورة الأنعام: ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾، على أنّها تعني الإقرار بالأنبياء والأوصياء وبوصاية علي رضي الله عنه؛ حيث أورد الكليني في الكافي حديثًا نسبه إلى هشام بن الحكم قال فيه: «عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عزَّ وجلّ: ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ **(يعني في الميثاق)** أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ﴾ قال: الإقرار بالأنبياء والأوصياء وأمير المؤمنين عليه السلام خاصة، قال: لا ينفع إيمانها لأنها سلبت». رواه الكليني، الكافي، باب فيه نكت ونتف من التنزيل.

والتأويل خاطئ، ذلك أنّ الآية تسأل المكذبين بنبوّة محمد ﷺ، والكافرين بما جاء به سؤالًا استنكاريًا، بمعنى ماذا ينتظر هؤلاء ليؤمنوا؟ هل ينتظرون أن تأتيهم الملائكة؟ أم أن يأتيهم الله سبحانه وتعالى؟ كما طلب قوم موسى عليه السلام، أم أنّهم ينتظرون بعض آيات ربك سبحانه وتعالى؟ ثم يجيب الله تعالى بأنّه حينها لا ينفع نفسًا إيمانها إن لم تكن آمنت من قبل، أو عملت عملًا صالحًا. أمّا تأويل «الإيمان» في الآية على أنّه يعني الإيمان بنظرية الوصاية أو ولاية علي رضي الله عنه فلا يستقيم، ولا يتجاوز كونه إلباسًا للحق بالباطل، وليًّا لعنق الآية لإخضاعها لنظريات البشر في الولاية.

وتتفق جلّ الروايات التي أوردها المفسرون بالمأثور، على أنّ دلالة الآية لا تتجاوز القول: إنّ الله تعالى يقول لرسوله ﷺ بأنّ المشركين لا يؤمنون البتة، ثم يسأل الله تعالى سؤالًا استنكاريًا لا ينتظر إجابة له من أحد: هل ينتظر المشركون أن تأتيهم الملائكة أو أن يأتيهم الله تعالى أو تأتيهم آياته؟ ويجزم بأنّه يوم تأتيهم آيات الله لا ينفع نفس إيمانها إنْ لم تكن آمنت من قبل.

5. تأويل آية ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ۖ﴾: أوّل أهلُ الرواية والتأويل «هدانا» في الآية الثالثة والأربعين من سورة الأعراف: ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ۖ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ ۖ وَنُودُوٓا۟ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ على أنّها

تعني هدانا الله إلى ولاية الأئمة؛ حيث أورد الكليني في الكافي حديثًا نسبه إلى أبي بصير قال فيه: «عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ فقال: إذا كان يوم القيامة دعي بالنبي صلى الله عليه وآله وبأمير المؤمنين وبالأئمة من ولده عليهم السلام فينصبون للناس فإذا رأتهم شيعتهم قالوا: الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، يعني هدانا الله في ولاية أمير المؤمنين والأئمة من ولده عليهم السلام». رواه الكليني، الكافي، باب فيه نكت ونتف من التنزيل.

والتأويل خاطئ، ذلك أنّ الآية تتحدث عن حمد الذين أُدخلوا الجنة لله تعالى على هدايته لهم للصراط المستقيم، وهو ما مكنهم من أن يعملوا صالحًا أهلهم للدخول إليها: ﴿وَنُودُوٓا۟ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾. أمّا تطويع الآية لنظرية الإمامة فلا يوجد عليه بيّنة أو سلطان في الآية ولا في الآيات السابقة واللاحقة لها، ومن هناك فهو مجرد إلباس للحق بالباطل، وليّ لعنق النص القرآني، لمحاولة إخضاعه لنظريات البشر في الولاية.

وتتفق جلّ الروايات التي أوردها المفسرون بالمأثور على أنّ دلالة الحمد على الهداية في الآية تنصرف إلى الحمد لله تعالى الذي وفّقهم لعبادته، وللعمل الذي أكسبهم الدخول إلى الجنة وصرفَ عذابه عنهم.

6. تأويل آية ﴿ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا﴾: أوّل أهلُ الرواية والتأويل الآية الثامنة والعشرين من سورة إبراهيم: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ﴾، على أنّها تعني بدلوا الأئمة الذين تنص عليهم نظرية الإمامة؛ حيث أورد الكليني في الكافي حديثًا نسبه إلى الأصبغ بن نباتة قال فيه: «قال أمير المؤمنين عليه السلام: ما بال أقوام غيّروا سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وعدلوا عن وصيه؟ لا يتخوفون أن ينزل بهم العذاب، ثم تلا هذه الآية: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ﴾، ثم قال: نحن النعمة التي أنعم الله بها على عباده، وبنا يفوز من فاز يوم القيامة». رواه الكليني، الكافي، باب أن النعمة التي ذكرها الله عزّ وجلّ في كتابه الأئمة عليهم السلام.

والتأويل خاطئ، فنعمة الله في القرآن تنصرف إلى إحدى دلالتين:

الأولى نعمة الإسلام، قال تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[1]، والثانية ما انعم به الله على عباده من نعم الدنيا، قال تعالى: ﴿وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾[2]. وطالما أنّ الآية تتحدث عن استبدال نعمة الله بالكفر، فإنّ دلالة نعمة الله التي استبدلت بالكفر في الآية تنصرف إلى الإسلام. والقول بأنّها تنصرف إلى الأئمة لا بيّنة ولا سلطان عليه لا في الآية ولا في الآيات السابقة واللاحقة لها، ومن هناك فإنّه لا يتجاوز كونه تحريفًا للكلم عن مواضعه وليًّا لعنق الآية لتوافق نظرية الإمامة.

وتتفق جلّ كتب التفسير بالمأثور على أنّ الآية تلوم قريشًا، التي استبدلت نعمة الإسلام بالكفر، حين كذّب أهلها رسولهم ﷺ وكفروا بما أنزل عليه من كتاب، وأخرجوه ومن معه من المسلمين من مكة، وهو ما سيؤدي بهم إلى دار البوار.

7. تأويل الآية ﴿أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾: أوّل أهلُ الرواية والتأويل «أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا» في الآية الثالثة والسبعين من سورة مريم: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾، على أنّه ينصرف إلى الذين أقروا بولاية علي وبعض من ذريته رضي الله عنهم والذين أنكروها؛ حيث أورد الكليني في الكافي حديثًا نسبه إلى أبي بصير قال فيه: «عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾ قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله دعا قريشًا إلى ولايتنا فنفروا وأنكروا، فقال الذين كفروا من قريش للذين آمنوا: الذين أقروا لأمير المؤمنين ولنا أهل البيت: أي الفريقين خير مقامًا وأحسن نديًّا، تعييرًا منهم،..». رواه الكليني، الكافي، باب فيه نكت ونتف من التنزيل.

---

(1) سورة البقرة، الآية: 231.

(2) سورة إبراهيم، الآية: 34.

والتأويل خاطئ، ذلك أنّ دلالة الفريقين تنصرف إلى الذين آمنوا والذين كفروا، والإيمان أينما ورد ينصرف إلى الإيمان بالله تعالى ورسله وكتبه وباليوم الآخر، وواضح أيضًا من سياق الآية أنّ الذين كفروا، هم الذين كفروا بآيات الله تعالى التي تتلى عليهم، وليس ثمّة في الآية ما يشير إلى أنّ دلالة الإيمان أو الكفر في الآية تنصرف إلى ولاية علي وبعض من ذريته ﷺ. ومن هناك فتأويل الآية على النحو الذي أورده الكليني لا يستقيم ولا يتجاوز كونه إلباسًا للحق بالباطل وتحريفًا للكلم عن مواضعه، بل وكذب على الله سبحانه وتعالى عمّا يصفون.

وتتفق جلّ الروايات التي أوردها المفسرون بالمأثور، على أنّ دلالة الفريقين في الآية تنصرف إلى الذين آمنوا والذين كفروا، ويتساءل الكافرون عن أي الفريقين خير مقامًا وأحسن نديًّا.

8. **تأويل الآية** ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثًا وَرِءْيًا﴾: أوّل أهلُ الرواية والتأويل الآية الرابعة والسبعين من سورة مريم: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثًا وَرِءْيًا﴾، على أنها تعني الرد على سؤال المنكرين لولاية علي وبعض من ذريته ﷺ؛ حيث أورد الكليني في الكافي حديثًا نسبه إلى أبي بصير قال فيه: «عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾ قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله دعا قريشًا إلى ولايتنا فنفروا وأنكروا، فقال الذين كفروا من قريش للذين آمنوا: الذين أقروا لأمير المؤمنين ولنا أهل البيت: أي الفريقين خير مقامًا وأحسن نديًّا، تعييرًا منهم، فقال الله ردًّا عليهم: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ - **من الأمم السالفة** - هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثًا وَرِءْيًا﴾. قلت: قوله: ﴿مَن كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَٰنُ مَدًّا﴾ قال: كلهم كانوا في الضلالة لا يؤمنون بولاية أمير المؤمنين عليه السلام ولا بولايتنا فكانوا ضالين مضلين، فيمدّ لهم في ضلالتهم وطغيانهم حتى يموتوا فيصيرهم الله شرّ مكانًا وأضعف جندًا، قلت: قوله: ﴿حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا﴾؟ قال: أما قوله: ﴿حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ﴾ فهو خروج القائم وهو الساعة، فسيعلمون ذلك اليوم وما نزل بهم من الله على يدي قائمه، فذلك قوله: ﴿مَنْ هُوَ

شَرٌّ مَّكَانًا (**يعني عند القائم**) وَأَضْعَفُ جُندًا﴾، قلت: قوله: ﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى﴾؟ قال: يزيدهم ذلك اليوم هدى على هدى باتباعهم القائم حيث لا يجحدونه ولا ينكرونه، قلت: قوله: ﴿لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾؟ قال: إلا من دان الله بولاية أمير المؤمنين والأئمة من بعده فهو العهد عند الله». قلت: قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾؟ قال: ولاية أمير المؤمنين هي الودّ الذي قال الله تعالى، قلت: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا﴾؟ قال: إنّما يسره الله على لسانه حين أقام أمير المؤمنين عليه السلام علمًا، فبشر به المؤمنين وأنذر به الكافرين وهم الذين ذكرهم الله في كتابه لدًّا أي كفارًا، ..». قال: وسألته، عن قول الله: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ﴾ قال: لتنذر القوم الذين أنت فيهم كما أنذر آباؤهم فهم غافلون عن الله وعن رسوله وعن وعيده ﴿لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ بإمامة أمير المؤمنين والأوصياء من بعده، فلما لم يقروا كانت عقوبتهم ما ذكر الله ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ﴾ في نار جهنم، ثم قال: ﴿وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ عقوبة منه لهم حيث أنكروا ولاية أمير المؤمنين عليه السلام والأئمة من بعده هذا في الدنيا وفي الآخرة في نار جهنم مقمحون»، ثم قال: يا محمد ﴿وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ بالله وبولاية علي ومن بعده ثم قال: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ (**يعني أمير المؤمنين** عليه السلام) وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ (**يا محمد**) بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾. رواه الكليني، الكافي، باب فيه نكت ونتف من التنزيل.

والتأويل خاطئ، ذلك أنّ الآية تتوعد الكافرين، الذين اعتبروا أنفسهم خير مقامًا وأحسن نديًا، بمصير كمصير القرون السابقة التي كانت أحسن أثاثًا ورئيًا. أمّا القول إنّ الآية ترد على منكري نظرية الولاية فقول لا يستقيم، ولا بيّنة عليه في الآية ولا في الآيات السابقة واللاحقة لها. وهل أهلكت القرون السابقة لإنكارهم ولاية علي وذريته دون أن يعاصروهم؟ أم لإنكارهم ولاية غيرهم كيوشع بن نون؟ كما ذهب أتباع مدرسة الرواية والتأويل، الذين ألحقوا كل نبيّ بوصي، من أجل تسويغ نظرية الولاية والوصاية، دون سلطان أو كتاب مبين.

وتتفق جلّ الروايات التي أوردها المفسرون بالمأثور، على أنّ القرون التي أهلكت هي من المكذبين بما أنزل الله تعالى.

9. **تأويل الآية** ﴿قُلْ مَن كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَٰنُ مَدًّا﴾: أوّل أهل الرواية والتأويل «من الموصولية» في الآية الخامسة والسبعين من سورة مريم: ﴿قُلْ مَن كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَٰنُ مَدًّا حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا﴾، على أنها تنصرف إلى غير المؤمنين بولاية علي وبعض من ذريته ﷺ؛ حيث أورد الكليني في الكافي حديثًا نسبه إلى أبي بصير قال فيه حيث أورد الكليني في الكافي حديثًا نسبه إلى أبي بصير قال فيه: «عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عزَّ وجلّ: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾... إلى أن يقول: «قلت: قوله: ﴿مَن كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَٰنُ مَدًّا﴾ قال: كلهم كانوا في الضلالة لا يؤمنون بولاية أمير المؤمنين عليه السلام ولا بولايتنا فكانوا ضالين مضلين، فيمدّ لهم في ضلالتهم وطغيانهم حتى يموتوا فيصيرهم الله شرّ مكانًا وأضعف جندًا، قلت: قوله: ﴿حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا﴾؟ رواه الكليني، الكافي، باب فيه نكت ونتف من التنزيل.

والتأويل خاطئ، حيث إنّ الضلالة لا تعني سوى من ضلّ عن الإيمان بالله واليوم الآخر، وهو ما أشارت إليه الآية الثالثة والسبعين من نفس السورة: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾، ومن ثم فمن الموصولية تعود على الذين كفروا بآيات ربهم البينات. أمّا القول إنّها تعني من ضل عن نظرية الولاية، فلا دليل عليه في الآية ولا في الآيات السابقة أو اللاحقة لها، ومن هناك فلا يتجاوز كونه تحريفًا للكلم عن مواضعه، وإخضاعًا لآيات الله لنظريات البشر في الولاية. حيث لم تتحدث الآيات البينات عن نظرية الولاية، وهو ما دفع المتأوّلون لتطويع دلالة بعض الآيات لتعزيز نظرية الولاية، دون بيّنة أو سلطان.

وتتفق جلّ الروايات التي أوردها المفسرون بالمأثور، على أنّ الضلالة

تنصرف إلى الانحراف عن طريق الحقّ، واتباع غير سبيل الهدى، وأنّ من الموصولية تعود على المشركين.

10. تأويل آية: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾: أوّل أهلُ الرواية والتأويل «هداي» في الآية الثالثة والعشرين بعد المئة من سورة طه: ﴿قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًاۢ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ على أنّه ولاية علي وبعض بنيه رضي الله عنهم، حيث أورد الكليني حديثًا نسبه إلى السياري قال فيه: «عن علي بن عبد الله قال: سأله رجل عن قوله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ قال: من قال بالأئمة واتبع أمرهم ولم يجز طاعتهم». رواه الكليني، الكافي، باب فيه نكت ونتف من التنزيل.

والتأويل خاطئ فالآية لا تتجاوز القول بأنّ الذي اتبع التنزيل فآمن بالله واستقام على أمره لا يضل ولا يشقى، ثم إنّ الآية تخاطب آدم وحواء عليهما أفضل الصلوات والسلام، وإن خاطبت فيهما كل البشر من نسلهما، فكيف يتأتى هذا التجاهل للزمن، وأن يدعي المتأوّلون بأنّ الآية تدعو آدم وحواء عليهما أكرم الصلوات والسلام أن يتبعوا أمر أئمة لم يولدوا بعد! وأن يتبع ذريتهما من قابيل وهابيل وإلى بعثة محمد ﷺ الأئمة من ذرية علي رضي الله عنهم بالغيب؟ ومن هناك فالتأويل الذي أورده الكليني لا يستقيم، ولا يتجاوز كونه إخضاعًا لآيات الله لنظريات البشر وتحريفًا للكلم عن مواضعه لتسويغ نظرية الولاية.

وتتفق جلّ الروايات التي أوردها المفسرون بالمأثور على أنّ دلالة الآية تنصرف إلى أن من يتبع هدي الله تعالى، لا يضل في الدنيا ول ايشقى في الآخرة.

11. تأويل آية ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌۖ﴾: أوّل أهلُ الرواية والتأويل «النور» في الآية الخامسة والثلاثين من سورة النور: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌۚ﴾، على أنه ينصرف إلى الأئمة؛ حيث أورد الكليني في الكافي حديثًا نسبه إلى صالح بن سهل الهمداني قال فيه: «قال أبو عبد الله عليه السلام

في قول الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ﴾ فاطمة عليها السلام فيها مصباح الحسن المصباح في زجاجة الحسين الزجاجة كأنها كوكب دري فاطمة كوكب دري بين نساء أهل الدنيا يوقد من شجرة مباركة إبراهيم عليه السلام ﴿زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ لا يهودية ولا نصرانية ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ﴾ يكاد العلم ينفجر بها ولو لم تمسسه نار ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾ إمام منها بعد إمام ﴿يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ يهدي الله للأئمة من يشاء ﴿وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ﴾، قلت: أو كالظلمات قال: الأول وصاحبه ﴿يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ﴾ الثالث ﴿مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ﴾ ظلمات الثاني ﴿بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ﴾ معاوية لعنه الله وفتن بني أمية ﴿إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ﴾ المؤمن في ظلمة فتنتهم ﴿لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا ۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا﴾ إمامًا من ولد فاطمة عليها السلام فما له من نور إمام يوم القيامة». رواه الكليني، الكافي، باب أنّ الأئمة عليهم السلام نور الله عزَّ وجلّ.

وهذا تأويل خاطئ، يُسطّح الصورة البليغة في الآية التي شبهت نور الله بمشكاة، وهي حاملة المصباح، والمصباح في زجاجة، والزجاجة كأنها كوكب دري، أي نجم دري مصدر نوره من شجرة مباركة، زيتونة لا شرقية ولا غربية. وشجرة الزيتون تنمو على ضفاف المتوسط فهي لا شرقية ولا غربية، وقد تنصرف دلالة لا شرقية ولا غربية إلى أنّها تتعرض للشمس أطول فترة ممكنة كما قال الرازي في مفاتيح الغيب، فيكون زيتها أجود ونوره أقوى. حيث شبه الله نوره بهذه الصورة المعبّرة الجميلة، غير أنّ المتأوّلين أساؤوا لهذه الصورة الجميلة، حين جسدها بعضهم في أشخاص الأئمة، وجسدها آخرون في شخص النبيِّ ﷺ، فجعلوا النبيَّ المشكاة وقلبه المصباح، وصدره الزجاجة. كما أساؤوا لمن جسدوا فيه هذا النور الإلهي دون بيّنة أو سلطان، الأمر الذي قد ينزلق بهم إلى الإلحاد في النور الذي هو اسم من أسماء الله الحسنى، حين يشركون النبيّ ﷺ أو الأئمة رضي الله عنهم في اسم من أسماء الله الحسنى. وتنصرف دلالة النور الإلهي إلى دلالتين: الأولى عينية وتعني كونه تعالى مصدر أو خالق النور الذي يضيء الكون، والذي بدون أمره سيكون مظلمًا. والثانية معنوية: وتنصرف إلى نور هدايته للإسلام والطريق القويم. ولذلك فإنّ أي تشخيص لنور الله تعالى وتجسيده في شخص أو أشخاص بعينهم لا يستقيم. ولا يتجاوز كونه تحريفًا للكلم عن مواضعه، ومحاولةً لإخضاع آيات الله لنظريات البشر.

وتتفق جلّ كتب التفسير بالمأثور على أنّ دلالة قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ﴾ تنصرف إلى أنّه الهادي لمن في السموات والأرض، فالخلق بنوره يهتدون إلى الحقّ.

12. تأويل الآية ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥۚ﴾: قيّد أهل الرواية والتأويل «وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ» في الآية العاشرة من سورة فاطر: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًاۚ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥۚ وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۖ وَمَكْرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾، بعمل من يتولى الأئمة رضي الله عنهم، أمّا من لا يتولاهم فلا يرفع له الله عملًا؛ حيث أورد الكليني حديثًا نسبه إلى عمار الأسدي قال فيه: «عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥۚ﴾ ولايتنا أهل البيت ـ وأهوى بيده إلى صدره ـ فمن لم يتولنا لم يرفع الله له عملًا». رواه الكليني، الكافي، باب فيه نكت ونتف من التنزيل.

والتأويل خاطئ، ذلك أنّه لا يوجد في الآية، ولا في الآيات التي قبلها ولا بعدها، ما يشير إلى اشتراط الله تعالى لرفع أعمال المؤمنين به ـ منذ آدم عليه أفضل الصلوات والسلام وإلى قيام الساعة ـ إيمانهم بنظرية الولاية. وهذا الادعاء لو يعلمون عظيم، حيث تدخل المتأوّلون في مشيئة ربهم، حين نسبوا لأبي عبد الله رضي الله عنه من القول ما لم يقل، ليقرروا عنه تعالى ما يرفعه من العمل الصالح من عدمه، وهو ما يمكن مقارنته بتقسيم رحمته سبحانه وتعالى: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَۚ﴾[1]. وهذا التدخل في مشيئة الله تعالى يشبه اعتراض المشركين على نزول القرآن على محمد ﷺ، ورغبة المشركين في أنْ ينزل القرآن على أحدٍ من القريتين عظيم: ﴿وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿31﴾ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّاۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾[2]. وسينال الفريقين، في تقديري، عذاب من الله عظيم على إفكهما.

(1) سورة الزخرف، الآية: 32.
(2) سورة الزخرف، الآيتان: 31 ـ 32.

وحين يتدخل مسلم في رحمة الله وكيفية تصريف الله تعالى لكونه وعباده، يجعل من نفسه كاهنًا أو سادنًا، ويقلب العلاقة بينه وبين ربّه فيصير هو الإله المتحكم، وربّه أو بمعنى أدق وثنه الذي يحمله في ذهنه، المطيع والمذعن! كما في الديانات الوضعية والوثنية. وهو ما قام به الأحبار والرهبان في الشرائع اليهودية والنصرانية وهو ما جعلهم يوصفون في القرآن بالأرباب، قال تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾[1]. ومن هناك فتأويل الآية على النحو الذي ورد في الحديث لا يستقيم، ولا يتجاوز كونه إلباسًا للحق بالباطل وتحريفًا للكلم عن مواضعه، وإخضاعًا لآيات الله لنظريات البشر في الولاية.

وتتفق جلّ الروايات التي أوردها المفسرون بالمأثور، على أنّ الكلم الطيب ينصرف إلى ذكر الله تعالى، وأنّ قوله تعالى ﴿وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ ينصرف إلى أنّ العمل الصالح هو الذي يرفع ذكر العبد لربه وتسبيحه، أي إنّ العمل يرفع القول. غير أنّ بعض الروايات تعكس الأمر فتجعل الكلم الطيب هو الذي يرفع العمل الصالح، ومع ذلك فإنّ تلك الروايات لا تذهب إلى ما ذهب إليه الحديث الذي رواه الكليني.

13. تأويل الآيتين ﴿لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، ﴿وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾: أوّل أهلُ الرواية والتأويل «لا يؤمنون» في الآية السابعة من سورة يس: ﴿لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، على أنّها تنصرف إلى إنكار ولاية علي وبعض ذريته رضي الله عنهم، وكذلك أوّلوا «ضمير الغائبين» في الآية التاسعة في سورة يس: ﴿وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾، على أنّه ينصرف إلى من أنكر ولاية علي وبعض ذريته رضي الله عنهم في الدنيا والآخرة؛ حيث أورد الكليني في الكافي حديثًا نسبه إلى أبي بصير قال فيه: «عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾ . . . إلى أن يقول: ﴿لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ﴾ **(ممن لا يقرون بولاية أمير المؤمنين عليه السلام والأئمة من بعده)** ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ بإمامة أمير المؤمنين والأوصياء من بعده، فلما

(1) سورة التوبة، الآية: 31.

لم يقروا كانت عقوبتهم ما ذكر الله ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَـٰقِهِمْ أَغْلَـٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ﴾ في نار جهنم، ثم قال: ﴿وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَـٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ عقوبة منه لهم حيث أنكروا ولاية أمير المؤمنين عليه السلام والأئمة من بعده هذا في الدنيا وفي الآخرة في نار جهنم مقمحون»، رواه الكليني، الكافي، باب فيه نكت ونتف من التنزيل.

والتأويل خاطئ، ذلك أنّ الإيمان أينما ورد يتعلق بالإيمان بالله تعالى، وأي تحريف لدلالة الإيمان إلى غيره يُعد شكلًا من أشكال الشرك بالله تعالى، وكذلك العقاب الوارد في الآية الثانية يتعلق بالذين يكفرون بالله ويشركون به. أمّا القول إنّ من حق عليه القول، ومن جعل من بين أيديهم سدًّا، ومن خلفهم سدًّا، هم من أنكروا ولاية علي وبعض من ذريته رضي الله عنهم فلا يستقيم، ولا يتجاوز كونه إلباسًا للحق بالباطل وتحريفًا للكلم عن مواضعه، وإخضاعًا لآيات الله لنظريات البشر في الولاية.

وتتفق جلّ الروايات التي أوردها المفسرون بالمأثور على أنّ دلالة الآية: ﴿لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، تنصرف إلى أنّه قد وجب العقاب على أكثرهم، لأنهم لا يؤمنون بالله، ولا يصدّقون رسوله». وكذلك تنصرف دلالة الآية الثانية: ﴿وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا﴾ إلى أنّ الله تعالى جعل من بين أيدي هؤلاء المشركين ومن خلفهم سدًّا، أي إنّه زيّن لهم سوء أعمالهم فهم لا يرشدون.

14. تأويل آية ﴿يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَـٰنِهِم﴾: أوّل أهلُ الرواية والتأويل «الضمير» في الآية الثانية عشرة من سورة الحديد: ﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَـٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ على أنها تعني الأئمة؛ حيث أورد الكليني في الكافي حديثًا نسبه إلى صالح بن سهل الهمداني قال فيه: قال أبو عبد الله عليه السلام في قول الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ﴾ فاطمة عليها السلام فيها مصباح الحسن المصباح في زجاجة الحسين الزجاجة كأنها كوكب دري فاطمة كوكب دري بين نساء أهل الدنيا يوقد من شجرة مباركة إبراهيم عليه السلام ﴿زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ

﴿وَلَا غَرۡبِيَّةٖ﴾ لا يهودية ولا نصرانية ﴿يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ﴾ يكاد العلم ينفجر بها ولو لم تمسسه نار ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖ﴾ إمام منها بعد إمام ﴿يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ يهدي الله للأئمة من يشاء ﴿وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَٰلَ لِلنَّاسِ﴾، قلت: أو كالظلمات قال: الأول وصاحبه ﴿يَغۡشَىٰهُ مَوۡجٞ﴾ الثالث ﴿مِّن فَوۡقِهِۦ مَوۡجٞ﴾ ظلمات الثاني ﴿بَعۡضُهَا فَوۡقَ بَعۡضٍ﴾ معاوية لعنه الله وفتن بني أمية ﴿إِذَآ أَخۡرَجَ يَدَهُۥ﴾ المؤمن في ظلمة فتنتهم ﴿لَمۡ يَكَدۡ يَرَىٰهَاۗ وَمَن لَّمۡ يَجۡعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورٗا﴾ إماما من ولد فاطمة عليها السلام فما له من نور إمام يوم القيامة». وقال في قوله: ﴿يَسۡعَىٰ نُورُهُم بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِم﴾: أئمة المؤمنين يوم القيامة تسعى بين يدي المؤمنين وبإيمانهم حتى ينزلوهم منازل أهل الجنة». الكليني، الكافي، باب أنّ الأئمة عليهم السلام نور الله عزّ وجلّ.

والتأويل خاطئ فالنور في الآية ينصرف إلى نور الإيمان، المستمد من نور الله تعالى، أمّا تأويله على النحو الذي أورده الكليني فهو خبط عشواء، حيث يمكن لأي أفاك شطب أي اسم من الأسماء الواردة في الحديث المذكور، وتعويضها باسم صحابي أو خليفة أو إمام من أئمة مذاهب أهل الحديث والنسخ، أو شيخ من شيوخ الطرق الصوفية، دون أن يثير ذلك حفيظة أحد من مريديه أو مقلديه أو اتباعه.

ويتفق جلّ كتب التفسير بالمأثور على أنّ النور الذي تعنيه الآية هو نور الإيمان ونور الهداية ونور ثواب الأعمال.

15. تأويل آية: ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلۡنَاۚ﴾: أوّل أهلُ الرواية والتأويل «النور» في الآية الثامنة من سورة التغابن: ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلۡنَاۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ﴾، على أنّه الأئمة حيث أورد الكليني في الكافي حديثًا نسبه إلى أبي خالد الكابلي قال فيه: «سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله تعالى: ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلۡنَاۚ﴾ فقال: يا أبا خالد النور والله الأئمة عليهم السلام يا أبا خالد النور الإمام في قلوب المؤمنين أنور من الشمس المضيئة بالنهار وهم الذين ينورون قلوب المؤمنين، ويحجب الله نورهم عمن يشاء فتظلم قلوبهم ويغشاهم بها». رواه الكليني، الكافي، باب أنّ الأئمة عليهم السلام نور الله عزّ وجلّ.

وهذا التأويل الوارد في الكافي هو تأويل فاسد، ذلك أنّ صاحب الفطرة السليمة يدرك بأنّ النور الذي أنزله تعالى إلينا هو الوحي الإلهي الذي أنزل على نبيّ الله ﷺ، وما أنزل على الرسل من قبله عليهم السلام، ولا يتجسد نوره في الرجال مهما بلغت مراتبهم عند الله تعالى، ولا علاقة له بالأئمة رضي الله عنهم. ومن هناك فتأويل النور على النحو الذي أورده الكليني لا يستقيم، لا يتجاوز كونه إلباسًا للحق بالباطل، وإخضاعًا لآيات الله لنظريات البشر في الولاية.

وتتفق كتب التفسير بالمأثور على أنّ النور الذي أنزله الله تعالى هو القرآن الذي أنزله الله على نبيه محمد ﷺ.

16. تأويل الآيات: ﴿قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ و﴿فَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُوا۟ وَإِن تَلْوُۥٓا۟ أَوْ تُعْرِضُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ و﴿فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾: أوّل أهلُ الرواية والتأويل «ضمير الغائب» في الآية التاسعة والعشرين من سورة الملك: ﴿فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾، على أنّه ينصرف إلى «المكذبين» بولاية علي والأئمة رضي الله عنهم، وكذلك أوّلوا «تُعرِضُوا» في الآية الخامسة والثلاثين بعد المئة من سورة النساء: ﴿فَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُوا۟ وَإِن تَلْوُۥٓا۟ أَوْ تُعْرِضُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾، على أنّها تعني إن تُعرِضُوا عن ولاية علي وذريته رضي الله عنهم، وكذلك أوّلوا «الذين كفروا» في الآية السابعة والعشرين من سورة فصلت: ﴿فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾، على أنها تعني الكفر بالولاية؛ حيث أورد الكليني في الكافي حديثًا نسبه إلى أبي بصير قال فيه: «عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عزَّ وجلّ: ﴿فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ يا معشر المكذبين حيث أنبأتكم رسالة ربي في ولاية علي عليه السلام والأئمة عليهم السلام من بعده، من هو في ضلال مبين؟ كذا أنزلت وفي قوله تعالى: ﴿وَإِن تَلْوُۥٓا۟ أَوْ تُعْرِضُوا۟﴾ فقال: إن تلووا الأمر وتعرضوا عما أمرتم به ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ وفي قوله: ﴿فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ (**بتركهم ولاية أمير المؤمنين** عليه السلام) ﴿عَذَابًا شَدِيدًا﴾ (**في الدنيا**) ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾. رواه الكليني، الكافي، باب فيه نكت ونتف من التنزيل.

والتأويل خاطئ، ذلك أنّ دلالة الآية الأولى لا تتجاوز قول الله تعالى لنبيه أن يقول لمشركي مكة إنّ الله تعالى هو الذي يملك أنْ يعذب أو يرحم، وإنّه «إنْ أهلكني الله ومن معي» قبل أن تهتدوا فمن يجيركم من عذابه: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿28﴾ قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾، وستعلمون أي منّا في ضلال مبين، ولا يوجد في سورة الملك أية بيّنة أو سلطان يدل على أنّ أيًّا من آياتها تتحدث عن الولاية، أو يعزز ما ذهب إليه الحديث. أمّا الآية الثانية فتدعو المسلمين إلى القسط والعدل وإلّا يميلوا عن الحق والعدل، سواءً من أجل فقير، أو من أجل غني، أو من أجل قريب، أو حتى من أجل أنفسهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُوا۟ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓا۟ أَوْ تُعْرِضُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ وأنّ الله تعالى يعلم حين تلوون أو تعرضون عن الحق والعدل، ولقد توعّد ضمنًا المعرضين. أمّا التأويل الوارد في الحديث فلا يوجد في الآية، ولا فيما سبقها أو لحقها من الآيات ما يشير إليه. وكذلك تتوعد الآية الثالثة ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ﴾ بعذاب شديد: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿26﴾ فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾، فهي الأخرى لا علاقة لها بنظرية الولاية، ولا يوجد فيها ولا فيما سبقها أو لحقها من آيات ما يدل على ما ذهب إليه الحديث الذي أورده الكليني، والذين كفروا هم الذين قالوا: ﴿لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾. ومن هناك فتأويل الآيات على النحو الوارد في الحديث لا يتجاوز كونه إلباسًا للحق بالباطل، وإخضاعًا لآيات الله لنظريات البشر في الولاية.

وتتفق جلّ الروايات في كتب التفسير بالمأثور على أنّ دلالة الآية الأولى تنصرف إلى أنّه تعالى أمر نبيه أن يقول لمشركي قريش: إنْ أهلكني الله ومن معي قبل أنْ تهتدوا فمن يجيركم من عذابه، ثم إنّه ستعلمون أي منّا في ضلال مبين، وعلى أنْ دلالة ﴿وَإِن تَلْوُۥٓا۟ أَوْ تُعْرِضُوا۟﴾ في الآية الثانية تنصرف إلى الميل عن الحق على نحو عام، وفي الشهادة على نحو خاص، وأنّ دلالة الذين كفروا تنصرف للذين قالوا: ﴿لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾.

17. تأويل الآيات ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَتَقَدَّمَ أَوۡ يَتَأَخَّرَ﴾، ﴿إِلَّآ أَصۡحَٰبَ ٱلۡيَمِينِ﴾، ﴿قَالُواْ لَمۡ نَكُ مِنَ ٱلۡمُصَلِّينَ﴾، ﴿فَمَا لَهُمۡ عَنِ ٱلتَّذۡكِرَةِ مُعۡرِضِينَ﴾، ﴿كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذۡكِرَةٞ﴾: أوّل أهلُ الرواية والتأويل «لا يرتاب» في الآية السابعة والثلاثين من سورة المدثر: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَتَقَدَّمَ أَوۡ يَتَأَخَّرَ﴾، على أنها تعني من يتقدّم إلى ولاية علي وبعض ذريته يؤخر عن سقر، ومن يتأخر عن ولايتهم يتقدّم إلى سقر. كذلك أوّلوا ﴿أَصۡحَٰبَ ٱلۡيَمِينِ﴾ في الآية التاسعة والثلاثين من نفس السورة: ﴿إِلَّآ أَصۡحَٰبَ ٱلۡيَمِينِ﴾، على أنّها تعني شيعة علي وبعض من ذريته ﵃. كما أوّلوا ﴿لَمۡ نَكُ مِنَ ٱلۡمُصَلِّينَ﴾ في الآية الثالثة والأربعين: ﴿قَالُواْ لَمۡ نَكُ مِنَ ٱلۡمُصَلِّينَ﴾، على أنّها تعني لم نتول علي وذريته ﵃ ولم نصل عليهم، كما أوّلوا ﴿عَنِ ٱلتَّذۡكِرَةِ مُعۡرِضِينَ﴾ في الآية التاسعة والأربعين: ﴿فَمَا لَهُمۡ عَنِ ٱلتَّذۡكِرَةِ مُعۡرِضِينَ﴾، على أنّها تعني عن الولاية معرضين، و﴿كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذۡكِرَةٞ﴾ على أنّها تنصرف إلى الولاية؛ حيث أورد الكليني في الكافي حديثًا نسبه إلى محمد بن الفضيل قال فيه: «عن أبي الحسن الماضي، ﵇ قال: سألته عن قول الله عزَّ وجلّ: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفۡوَٰهِهِمۡ﴾ قال: يريدون ليطفئوا ولاية أمير المؤمنين ﵇ بأفواههم، قلت: ﴿وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ﴾ قال: والله متم الإمامة، لقوله عزَّ وجلّ: ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلۡنَاۚ﴾ فالنور هو الإمام، قلت: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ﴾ قال: هو الذي أمر رسوله بالولاية لوصيه والولاية هي دين الحق، قلت: ﴿لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ قال: يظهره على جميع الأديان عند قيام القائم، قال: يقول الله: ﴿وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ﴾ ولاية القائم ﴿وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ بولاية علي، قلت: هذا تنزيل؟ قال: نعم أما هذا الحرف فتنزيل وأما غيره فتأويل، قلت: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ﴾ قال: إنّ الله تبارك وتعالى سمى من لم يتبع رسوله في ولاية وصيه منافقين وجعل من جحد وصيه إمامته كمن جحد محمدًا وأنزل بذلك قرآنًا فقال يا محمد ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ (بولاية وصيك) قَالُواْ نَشۡهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ (بولاية علي) لَكَٰذِبُونَ ١ ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةٗ فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ (والسبيل هو الوصي) إِنَّهُمۡ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٢ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ (برسالتك) ثُمَّ كَفَرُواْ (بولاية وصيك) فَطُبِعَ (الله) عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَفۡقَهُونَ﴾

قلت: ما معنى لا يفقهون؟ قال: يقول: لا يعقلون بنبوتك، قلت: ﴿أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ قال: إن الله ضرب مثل من حاد عن ولاية علي كمن يمشي على وجهه لا يهتدي لأمره وجعل من تبعه سويًّا على صراط مستقيم، والصراط المستقيم أمير المؤمنين عليه السلام. قال: قلت: قوله: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾؟ قال: يعني جبرائيل عن الله في ولاية علي عليه السلام، قال: قلت: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ﴾؟ قال: قالوا: إنّ محمدًا كذب على ربه وما أمره الله بهذا في علي، فأنزل الله بذلك قرآنًا فقال: ﴿(**إنّ ولاية علـي**) تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿43﴾ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا (**محـمـد**) بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿44﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿45﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ﴾ ثم عطف القول فقال: ﴿وَإِنَّهُۥ (**ولاية علي**) لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ (**للـعـالـمـين**) ﴿48﴾ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ﴿49﴾ وَإِنَّهُۥ (**عـلـيًّـا**) لَحَسْرَةٌ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿50﴾ وَإِنَّهُۥ (**ولايته**) لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿51﴾ فَسَبِّحْ (**يا محمد**) بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾ يقول اشكر ربك العظيم الذي أعطاك هذا الفضل، قلت: قوله: ﴿لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾؟ قال: الهدى الولاية، آمنا بمولانا فمن آمن بولاية مولاه، ﴿فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا﴾ قلت: تنزيل؟ قال: لا تأويل، قلت: قوله: ﴿لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾ قال: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله دعا الناس إلى ولاية علي فاجتمعت إليه قريش، فقالوا يا محمد اعفنا من هذا، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وآله: «هذا إلى الله ليس إلي»، فاتهموه وخرجوا من عنده فـأنـزل الله ﴿قُلْ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿21﴾ قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ (**إن عصيته**) أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿22﴾ إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ (**في عـلـي**)﴾ قلت، هذا تنزيل؟ قال: نعم، ثم قال توكيدًا: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ (**في ولاية عـلـي**) فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ «قـلـت: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا﴾ يعني بذلك القائم وأنصاره. قلت: ﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾؟ قال يقولون فيك ﴿وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴿10﴾ وَذَرْنِي (**يا محمد**) وَٱلْمُكَذِّبِينَ (**بوصيك**) أُو۟لِي ٱلنَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا﴾ قلت: إنّ هذا تنزيل؟ قال: نعم. قلت: ﴿لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾؟ قال: يستيقنون أنّ الله ورسوله ووصيه حق، قلت: ﴿وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا﴾؟ قال: ويزدادون بولاية الوصي إيمانًا»: «قلت: ﴿وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ قال بولاية علي عليه السلام قلت: ما هذا

الارتياب؟ قال يعني بذلك أهل الكتاب والمؤمنين الذين ذكر الله فقال: ولا يرتابون في الولاية، قلت: ﴿وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ﴾؟ قال: نعم ولاية علي عليه السلام، قلت: ﴿إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ﴾ قال: الولاية. قلت: ﴿لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾؟ قال: من تقدّم إلى ولايتنا أخر عن سقر ومن تأخر عنا تقدم إلى سقر ﴿إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ﴾ قال: هم والله شيعتنا، قلت: ﴿لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ﴾؟ قال: إنّا لم نتول وصي محمد والأوصياء من بعده ـ ولا يصلون عليهم ـ، قلت: ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ﴾؟ قال: عن الولاية معرضين، قلت: ﴿كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ﴾؟ قال: الولاية». رواه الكليني، الكافي، باب فيه نكت ونتف من التنزيل.

والتأويل خاطئ، ذلك أنّ «التقدّم والتأخر» هو عن فعل الخيرات، وطاعة الله تعالى، و«أصحاب اليمين» هم الذين يدخلون الجنة دون حساب بما كانوا يعملون، ذلك أنّ المستثنى منه دلاليًا ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ أي إنّ كل نفس ستحاسب على ما عملت إلّا أصحاب اليمين، و﴿لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ﴾ لا تحتاج إلى تأويل، حيث تنصرف إلى أنّهم لم يكونوا من الذين يقيموا الصلاة، وكذلك ﴿عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ﴾ تعني عن آيات الله التي تذكرهم وترشدهم إلى الله تعالى معرضين، كما أنّ ضمير الغائب في ﴿كَلَّا إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ﴾ ينصرف إلى القرآن وآيات الله ولا ينصرف للولاية بأية حال. أمّا التأويل الذي ذكره الحديث فهو مجرد إلباس للحق بالباطل، وليّ لعنق النص القرآني لإخضاعه لنظريات البشر في الولاية.

وتتفق جلّ الروايات التي أوردها المفسرون بالمأثور على أنّ دلالة ﴿لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾ من شاء تقدم إلى طاعة الله ومن شاء تأخر عنها، كما أنّهم اتفقوا على أنّ دلالة ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ﴾ تنصرف إلى المشركين الذين هم عن تذكرة الله معرضين. بينما لم تتفق الروايات حول دلالة أصحاب اليمين، فمنها ما نصّت على أنّهم الولدان، ومنها ما نصّت على أنّهم الملائكة، ومنها ما قال بأنّهم الذين يؤتون كتبهم بإيمانهم.

18. تأويل الآية ﴿يُدْخِلُ مَن يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ ۚ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾:
أوّل أهلُ الرواية والتأويل «الدخول في رحمته» في الآية الأخيرة من سورة

الإنسان: ﴿يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾، على أنّها تعني الدخول في الولاية، وعلى أنّ «الظالمين» هم الذين أنكروا ولاية علي وبعض ذريته؛ حيث ورد في تتمّة الحديث السابق: «قلت: ﴿يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ﴾؟ قال: في ولايتنا، قال: ﴿وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ ألا ترى أن الله يقول: ﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ قال: إن الله أعز وأمنع من أن يظلم أو ينسب نفسه إلى ظلم ولكن الله خلطنا بنفسه فجعل ظلمنا ظلمه وولايتنا ولايته ثم أنزل بذلك قرآنًا على نبيه فقال: ﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾، قلت: هذا تنزيل؟ قال: نعم». قلت: ﴿فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ قال: يقول: ويل للمكذبين يا محمد بما أوحيت إليك من ولاية [علي بن أبي طالب عليه السلام] ﴿أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿16﴾ أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ قال: الأولين الذين كذبوا الرسل في طاعة الأوصياء ﴿كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ﴾ قال: من أجرم إلى آل محمد وركب من وصيه ما ركب، قلت: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾؟ قال: نحن والله وشيعتنا ليس على ملة إبراهيم غيرنا وسائر الناس منها براء، قلت ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا ۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ﴾ الآية قال: نحن والله المأذون لهم يوم القيامة والقائلون صوابًا، قلت: ما تقولون إذا تكلمتم؟ قال: نمجد ربنا ونصلي على نبينا ونشفع لشيعتنا، فلا يردنا ربنا، قلت: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ﴾ قال: هم الذين فجروا في حق الأئمة واعتدوا عليهم، قلت: ثم يقال: ﴿هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾؟ قال: يعني أمير المؤمنين، قلت: تنزيل؟ قال: نعم». رواه الكليني، الكافي، باب فيه نكت ونتف من التنزيل.

والتأويل خاطئ، ذلك أنّ دلالة ﴿يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ﴾ تنصرف إلى إحدى دلالتين: الأولى أن يهديهم إلى دين الحق، ومن هُدي إلى دين الحق زحزح عن النار ودخل الجنة. والثانية أن يرحمهم من عذابه ويدخلهم جنته. أمّا القول المنسوب زورًا إلى أبي الحسن عليه السلام: «لكن الله خلطنا بنفسه فجعل ظلمنا ظلمه وولايتنا ولايته ثم أنزل بذلك قرآنًا على نبيه فقال: ﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾، فلهو الإفك العظيم، والشرك الصريح، فالله تعالى لا يُخلط أحدٌ من خلقه به أبدًا سبحانه وتعالى عما يصفون، والقائلون بهذا القول يلحدون في أسماء الله وصفاته، فيلحدون في الأحد، والصمد، ولم

يكن له كفوًا أحد، ويجعلون لله من عباده جزءًا؛ حيث يقول تعالى: ﴿وَجَعَلُواْ لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًاۚ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ﴾. ومن هناك فالتأويل الذي أورده الكليني، هو مجرد إلباس للحق بالباطل، وليّ لعنق النص القراني لإخضاعه لنظريات البشر في الولاية.

وتتفق جلّ الروايات التي أوردها المفسرون بالمأثور على أنّ دلالة ﴿يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ﴾ تعني يدخل من يشاء لجنته، و﴿وَٱلظَّـٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًۢا﴾ تعني والكافرون ﴿أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾.

19. تأويل آية ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿16﴾ وَٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾: أوّل أهلُ الرواية والتأويل «إيثار الدنيا» في الآية السادسة عشرة من سورة الأعلى: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿16﴾ وَٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾ على أنّها تعني إيثار ولاية غير علي وبعض من ذريته رضي الله عنهم، وإيثار الآخرة تعني إيثارهم بالولاية؛ حيث أورد الكليني في الكافي حديثًا نسبه إلى المفضل بن عمر قال فيه: «قلت لأبي عبد الله عليه السلام: قوله عزَّ وجلّ: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾ قال: ولايتهم ﴿وَٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾ قال: ولاية أمير المؤمنين عليه السلام ﴿إِنَّ هَـٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿18﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾. رواه الكليني، الكافي، باب فيه نكت ونتف من التنزيل.

والتأويل خاطئ، ذلك أنّه يلوي عنق النص القرآني لإخضاعه لنظريات البشر، فتفضيل الدنيا والعاجلة من طبيعة غالبية الناس، قبل أنْ يولد علي رضي الله عنه، وبعد وفاة آخر أئمة أهل الرواية والتأويل وهو الإمام الحادي عشر من أئمة الشيعة، وأنّ هذا التفضيل مذكور في الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى عليهما السلام، أي قبل مولد علي وبنيه بقرون رضي الله عنهم. فكيف يكون الأمر متعلقًا بنظرية الإمامة؟ غير أنّ المبطلين والوضّاع صوّروا الأمر، وكأن الشغل الشاغل لله تعالى ولكتبه ورسله عليهم السلام، التبشير بنظرية الإمامة وبالأئمة. فكان حالهم كحال الطفل الذي يحلم بقطعة حلوى فيرى كل شيء يشبه الحلوى، فكل آيات القرآن تتحدث عن نظرية الولاية وفقًا لمرويات مدرسة الرواية والتأويل. ثم كيف يمكن أنْ يكون إيثار الدنيا موضع تساؤل من أحد من المسلمين العرب وفي زمن النبوّة؟ إلّا أنْ يكون السؤال من قبيل سؤال العارف أي إنّه يطرحه المتسائل لغرض الوصول إلى إجابة

محددة سلفًا، على طريقة محاورات الفلاسفة وصناع الدراما لغرض التمهيد لنظرية محددة أو إجابة معينة يريد الفيلسوف أو الكاتب المسرحي تهيئة المتلقين لقبولها. وهذه هي الطريقة المتبعة في أغلب هذه المرويات وهو ما يؤكد أنّها موضوعة ومصطنعة للدفاع عن نظرية الولاية.

وتتفق جلّ الروايات التي أوردها المفسرون بالمأثور على أنّ إيثار الحياة الدنيا يعني تقديمها على الآخرة.

خاتمة المبحث:

جدول التحريف رقم (1 ـ 4 ـ ر):

التأويلات التي تختزل الإيمان بالله في التسليم بولاية الأئمة:

الكَلِم	الدلالة المحرّفة	الدلالة الأصلية
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ﴾	يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في ولاية الأئمة «من ولد علي وعلي»، ولا تتبعوا خطوات الشيطان، إنّه لكم عدو مبين.	يا أيها الذين آمنوا امتثلوا لأمر الله كافة، ولا تتبعوا أمر الشيطان، إنّه لكم عدو مبين.
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾	إنّ الذين كفروا بالله وبولاية علي ومن بعده من الأئمة، سواء عليهم أأنذرتهم يا محمد أم لم تنذرهم لا يؤمنون.	إنّ الذين كفروا بالله، سواء عليهم أأنذرتهم يا محمد أم لم تنذرهم لا يؤمنون.
﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكۡرَ وَخَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ بِٱلۡغَيۡبِۖ فَبَشِّرۡهُ بِمَغۡفِرَةٖ وَأَجۡرٖ كَرِيمٍ﴾	إنّما تنذر من اتبع علي وخشي الرحمن بالغيب فبشره بمغفرة وأجر كريم.	إنما تنذر من اتبع القرآن وخشي الرحمن بالغيب فبشره بمغفرة وأجر كريم.
﴿أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٖ مِّنَ ٱللَّهِ﴾	أفمن اتبع الأئمة من ولد علي وعلي كمن بآء بسخط من الله.	أفمن اتبع ما يرضي الله من القول والفعل كمن باء بسخط من الله على سوء ما قدمت يداه.
﴿لَا يَنفَعُ نَفۡسًا إِيمَٰنُهَا لَمۡ تَكُنۡ ءَامَنَتۡ مِن قَبۡلُ أَوۡ كَسَبَتۡ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيۡرٗاۗ﴾	لا ينفع نفسًا إيمانها إن لم تكن آمنت في الميثاق وأقرت بالأنبياء والأوصياء من ولد علي وعلي خاصة.	لا ينفع نفسًا إيمانها إن لم تكن آمنت قبل مجي آيات ربّك، أو كسبت في إيمانها عملًا صالحًا.

﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾	وقالوا الحمد لله الذي هدانا في ولاية الأئمة «من ولد علي وعلي» وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.	وقالوا الحمد لله الذي هدانا لعبادته وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.
﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ﴾	ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الإيمان بولاية الأوصياء «من ولد علي وعلي» كفرًا بها فأحلوا قومهم دار البوار.	ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الإيمان بالله كفرًا فأحلوا قومهم دار البوار.
﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾	فقال الذين كفروا بولاية الأوصياء «من ولد علي وعلي» للذين آمنوا بها: أي الفريقين خير مقامًا وأحسن نديًّا.	فقال الذين كفروا بالله للذين آمنوا به: أي الفريقين خير مقامًا وأحسن نديًّا.
﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَٰثًا وَرِءْيًا﴾	وكم أهلكنا قبل هؤلاء المنكرين لولاية الأوصياء «من ولد علي وعلي» من أمم سالفة هم أحسن أثاثًا ورئيًا.	وكم أهلكنا قبل هؤلاء الكافرين بالله من أمم سالفة هم أحسن أثاثًا ورئيًا.
﴿قُلْ مَن كَانَ فِى ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلْعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا﴾	قل من كان لا يؤمن بولاية الأوصياء «من ولد علي وعلي»، فليمدد له الله في ضلالته وطغيانه وعند ظهور القائم سيعلمون من هو شر مكانًا وأضعف جندًا.	قل من كان لا يؤمن بالله، فليمدد له الله في ضلالته وطغيانه، وحين يرون ما يوعدون إمّا عذاب الدنيا أو الآخرة فسيعلمون من هو شر مكانًا وأضعف جندًا.
﴿قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾	قال اهبطا منها جميعًا بعضكم لبعض عدوّ فإمّا يأتينكم منّي هدى يهدي للأوصياء فمن اتبع أمرهم ولم يجز طاعتهم فلا يضل ولا يشقى.	قال اهبطا منها جميعًا بعضكم لبعض عدو فإمّا يأتينكم منّي كتاب فمن اتبع الكتاب فلا يضل ولا يشقى.

﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ زَيۡتُونَةٖ لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٞ﴾	مثل نوره كمشكاة فاطمة فيها مصباح الحسن المصباح في زجاجة الحسين الزجاجة كأنها فاطمة وهي الكوكب الدري بين نساء أهل الدنيا يوقد من شجرة إبراهيم المباركة زيتونة لا يهودية ولا نصرانية يكاد العلم ينفجر بها ولو لم تمسسه نار.	الله نور السماوات والأرض مثل نور توحيده كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنّها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضي ولو لم تمسسه نار.
﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥ﴾	إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح للذين يتولون الأوصياء «من ولد علي وعلي» يرفعه، ومن لم يتولهم لا يُرفع له عملًا.	إليه تصعد أعمال العباد وترفع من كلم طيب وعمل صالح.
﴿لَقَدۡ حَقَّ ٱلۡقَوۡلُ عَلَىٰٓ أَكۡثَرِهِمۡ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾	لقد وجب العقاب على الذين لا يقرون بولاية الأوصياء «من ولد علي وعلي» فهم لا يؤمنون بولايتهم.	لقد وجب العقاب على أكثرهم، لأنّهم لا يؤمنون بـالله، ولا يصدّقون رسوله.
﴿وَجَعَلۡنَا مِنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ سَدّٗا وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ سَدّٗا فَأَغۡشَيۡنَٰهُمۡ فَهُمۡ لَا يُبۡصِرُونَ﴾	وجعلنا من بين أيديهم سدًّا ومن خلفهم سدًّا فأغشيناهم فهم لا يبصرون عقوبة منه لمن أنكر ولاية الأوصياء من ولد علي وعلي.	وجعلنا من بين أيدي الكافرين بالله سدًّا، ومن خلفهم سدًّا فأغشيناهم فهم لا يبصرون.
﴿يَوۡمَ تَرَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَسۡعَىٰ نُورُهُم بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِم بُشۡرَىٰكُمُ﴾	ترى الأئمة «من ولد علي وعلي» يسعى نورهم بين أيديهم وبإيمانهم يوم القيامة لهم البشرى.	ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم، وبإيمانهم يوم القيامة، لهم البشرى.
﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلۡنَاۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ﴾	فآمنوا بالله ورسوله ونور الأئمة «من ولد علي وعلي» الذي أنزلنا، والله بما تعملون خبير.	فآمنوا بالله ورسوله، ونور الوحي الذي أنزلنا والله بما تعملون خبير.

﴿قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾	قل هو الرحمن آمنا به، وعليه توكلنا، فستعلمون أيها المكذبون بولاية الأوصياء «من ولد علي وعلي»، من هو في ضلال مبين.	قل هو الرحمن آمنا به، وعليه توكلنا، فستعلمون أيها الكافرون، من هو في ضلال مبين.
﴿فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْۚ وَإِن تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾	إن تلووا الأمر وتعرضوا عما أمرتم به، في علي والأوصياء من بعده، فإنّ الله كان بما تعملون خبيرًا.	فلا تتبعوا الهوى إنّ الله تعالى يعلم حين تعدلون وحين تلوون أو تعرضون عن الحق والعدل، إنّه كان بما تعملون خبيرًا.
﴿فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِي كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾	فلنذيقن الذين كفروا بولاية علي والأوصياء من ذريته عذابًا شديدًا في الدنيا ولنجزينهم أسوأ الذي كانوا يعملون.	فلنذيقن الذين كفروا بالله عذابًا شديدًا وسنجزيهم أسوأ الذي كانوا يعملون.
﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾	لمن شاء منكم أن يتقدم إلى ولاية الأوصياء من ولد علي وعلي أو يتأخر عنها فمن تقدم إليها آخر عن سقر ومن تأخر عنها تقدم إلى سقر.	لمن شاء منكم أن يتقدم في طاعة الله ونيل رضاه أو يتأخر عن ذلك.
﴿إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ﴾	إلّا شيعة علي والأوصياء من ذريته.	إلّا الذين يدخلون الجنة دون حساب بما كانوا يعملون.
﴿قَالُواْ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ﴾	قالوا لم نتول وصي محمد والأوصياء من ذريته، ولم نصل عليهم.	قالوا لم نكن من الذين يقيمون الصلاة.
﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ﴾	فما لهم عن ولاية الأوصياء من ولد علي وعلي معرضين.	فما لهم عن آيات الله التي تذكرهم وترشدهم إلى الله تعالى معرضين.
﴿كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ﴾	كلا إنّ ولاية الأوصياء من ولد علي وعلي تذكرة.	كلا إن القرآن لتذكرة.
﴿يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحْمَتِهِۦۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾	يدخل من يشاء في ولاية الأوصياء من ولد علي وعلي، والظالمين لهم أعدّ ا لهم عذابًا أليمًا.	يدخل من يشاء في رحمته، والظالمين لأنفسهم ولغيرهم أعدّ الله لهم عذابًا أليمًا.

﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۝١٦ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾	بل تؤثرون ولاية غير الأوصياء «من ولد علي وعلي»، وولاية علي خير وأبقى.	بل تؤثرون مغانم الدنيا، والآخرة خير وأبقى.

التعليق:

اختزل المتأوّلون «الإيمان بالله تعالى» في الجدول آنفًا في الإيمان بولاية الأئمة، والكفر بالله بالكفر بولايتهم؛ حيث اختزل «الدخول في السلم» في الآية الأولى والذي ينصرف إلى الدخول في الإسلام في الدخول في الولاية، واختزل ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ في الآية الثانية في الكفر بولاية الأئمة، وأختزل «مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ» فيمن اتبع علي. وأوّل «الذين لا يؤمنون» على أنّهم لا يؤمنون بالولاية، واختزل «من اتبع رضوان الله» فيمن اتبع نظرية الولاية، وأوّلت دلالة ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا﴾ أو ﴿كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾ على أنها تنصرف إلى الإقرار بالأنبياء والأوصياء. و«الهداية» التي تنصرف إلى الاهتداء لعبادة الله تعالى وطريقه المستقيم في الاهتداء للولاية، و﴿ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا﴾ اختزلوا في الذين بدلوا ولاية الأئمة بولاية غيرهم، والسؤال الذي ورد على لسان الذين كفروا والموجه للذين آمنوا ﴿أَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾ أوّل ليُصرف إلى الذين أقروا بالولاية فهم خير مقامًا وأحسن نديًا، وأوّل ضمير الغائبين في الآية: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَٰثًا وَرِءْيًا﴾ على أنّه ينصرف إلى منكري ولاية الأوصياء، واعتبر «الذين كانوا في الضلالة» هم الذين ينكرون الولاية، والهدى الذي يأتي من الله تعالى صار ما يهدي للأوصياء، و«من اتبع الهدى» صار هو الذي يقرّ بالولاية، و«الله تعالى ونوره» اختزلا في الأئمة! و«الكلم الطيب» صار وفق المتأوّلين لا يصعد لله تعالى إلّا بمصعد الإقرار بالولاية، و«الذين حق عليهم القول فهم لا يؤمنون» صاروا الذين لا يؤمنون بولاية الأئمة، و«الذين جعل الله تعالى من بينهم سدًا ومن خلفهم سدًّا» صاروا الذين لا يؤمنون بالولاية، و«الذين يسعى نورهم بين أيديهم» اختزلوا في الأئمة، و«النور الذي أنزله الله تعالى» صار ينصرف إلى الأئمة فغدوا وفق التأويل منزلين من السماء! و«ستعلمون من هو في ضلال مبين» صار المنكر لولاية الأئمة، و«إنْ تلووا وتعرضوا» صارت تعني أنْ

تعرضوا عن الولاية، والذين كفروا في قوله تعالى: ﴿فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ صاروا الذين يكفرون بالولاية، و«لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر» صار من شاء أن يتقدم للولاية أو يتأخر عنها، وأصحاب اليمين صاروا شيعة علي والأئمة، و«لم نك من المصلين» صارت تعني لم نتول علي ﷺ، و«ما لهم عن التذكرة معرضين» صارت ما لهم عن الولاية معرضين، و﴿كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذۡكِرَةٞ﴾ على أنّها تنصرف إلى الولاية، والقرآن في «إنّا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلًا» اختزل في ولاية علي والأئمة ﷺ، و«يدخل من يشاء في رحمته» صارت تعني الدخول في ولاية علي والأئمة ﷺ، وعلى أنّ «الظالمين» هم الذين أنكروا ولاية علي وبعض ذريته، و﴿تُؤۡثِرُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا﴾ صارت تعني إيثار غير ولاية علي والأئمة ﷺ. وما الإفك والكذب على الله تعالى إن لم يكن هذا الذي يأفكون؟

ز. التأويلات المتعلقة بشفاعة الأئمة وإنقادهم لشيعتهم من النّار

1. **تأويل الآية** ﴿لَّا يَمۡلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحۡمَٰنِ عَهۡدٗا﴾: أوّل أهلُ الرواية والتأويل «من الموصولية» في الآية السابعة والثمانين من سورة مريم: ﴿لَّا يَمۡلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحۡمَٰنِ عَهۡدٗا﴾: على أنّها تنصرف إلى من دان بولاية علي وبعض ذريته ﷺ؛ حيث أورد الكليني في الكافي حديثًا نسبه إلى أبي بصير قال فيه: «عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٖ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَيُّ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ خَيۡرٞ مَّقَامٗا وَأَحۡسَنُ نَدِيّٗا﴾ قال: كان رسول الله ﷺ دعا قريشًا إلى ولايتنا فنفروا وأنكروا، فقال الذين كفروا من قريش للذين آمنوا: الذين أقروا لأمير المؤمنين ولنا أهل البيت: أي الفريقين خير مقامًا وأحسن نديًا، تعييرًا منهم، فقال الله ردًّا عليهم: ﴿وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّن قَرۡنٍ - **من الأمم السالفة** - هُمۡ أَحۡسَنُ أَثَٰثٗا وَرِءۡيٗا﴾. قلت: قوله: ﴿مَن كَانَ فِي ٱلضَّلَٰلَةِ فَلۡيَمۡدُدۡ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ مَدًّا﴾ قال: كلهم كانوا في الضلالة لا يؤمنون بولاية أمير المؤمنين عليه السلام ولا بولايتنا فكانوا ضالين مضلين، فيمد لهم في ضلالتهم وطغيانهم حتى يموتوا فيصيرهم الله شر مكانًا وأضعف جندًا، قلت: قوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوۡاْ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلۡعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ فَسَيَعۡلَمُونَ مَنۡ هُوَ شَرّٞ

مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا﴾؟ قال: أما قوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ﴾ فهو خروج القائم وهو الساعة، فسيعلمون ذلك اليوم وما نزل بهم من الله على يدي قائمه، فذلك قوله: ﴿مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا (**يعني عند القائم**) وَأَضْعَفُ جُندًا﴾، قلت: قوله: ﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى﴾؟ قال: يزيدهم ذلك اليوم هدى على هدى باتباعهم القائم حيث لا يجحدونه ولا ينكرونه، قلت: قوله: ﴿لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾؟ قال: إلا من دان الله بولاية أمير المؤمنين والأئمة من بعده فهو العهد عند الله». قلت: قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾؟ قال: ولاية أمير المؤمنين هي الود الذي قال الله تعالى، قلت: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا﴾؟ قال: إنّما يسره الله على لسانه حين أقام أمير المؤمنين عليه السلام علمًا، فبشر به المؤمنين وأنذر به الكافرين وهم الذين ذكرهم الله في كتابه لدًّا أي كفارًا، ..». قال: وسألته عن قول الله: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ﴾ قال: لتنذر القوم الذين أنت فيهم كما أنذر آباؤهم فهم غافلون عن الله وعن رسوله وعن وعيده» لقد حق القول على أكثرهم (ممن لا يقرون بولاية أمير المؤمنين عليه السلام والأئمة من بعده) فهم لا يؤمنون «بإمامة أمير المؤمنين والأوصياء من بعده، فلما لم يقروا كانت عقوبتهم ما ذكر الله ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ﴾ في نار جهنم، ثم قال: ﴿وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ عقوبة منه لهم حيث أنكروا ولاية أمير المؤمنين عليه السلام والأئمة من بعده هذا في الدنيا وفي الآخرة في نار جهنم مقمحون»، ثم قال: يا محمد ﴿وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ بالله وبولاية علي ومن بعده ثم قال: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ (**يعني أمير المؤمنين** عليه السلام) وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ (**يا محمد**) بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾. رواه الكليني، الكافي، باب فيه نكت ونتف من التنزيل.

والتأويل خاطئ، ذلك أنّ ﴿ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟﴾ تعني الذين اهتدوا لعبادة الله تعالى، ولم تتفرق بهم السبل، و﴿لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ﴾ تنصرف إلى أنّه لا يملكون الشفاعة إلّا من تعهد الله له بذلك، ولم يتعهد الله تعالى

لأحدٍ بذلك في القرآن، فالقول بأنّه ثمّة من اتّخذ عند الله عهدًا لا يجوز، فالله تعالى قد يتخذ عهدًا على نفسه لمصلحة العباد، أمّا أن يُقال بأنّ أحدًا من العباد اتّخذ عند الله عهدًا، فيُعد إلحادًا في أسماء الله تعالى وصفاته، ويجعل له أندادًا سبحانه وتعالى عما يصفون. وهو ما يدحض القول بشفاعة النبيّ ﷺ، وشفاعة الأئمة. وكذلك القول بأنّ الاهتداء ينصرف إلى اتباع القائم، وأنّ من دان لولاية علي وبعض ذريته رضي الله عنهم يملك الشفاعة، قول لا يستقيم، ولا يتجاوز كونه تحريفًا للكلم عن مواضعه، وإخضاعًا لآيات الله لنظريات البشر في الولاية والشفاعة.

وتتفق جلّ الروايات التي أوردها المفسرون بالمأثور، على أنّ «ويزيد الله الذين اهتدوا هدى» تعني ويزيد الله من سلك سبيل الرشد هدى. وكذلك تنصرف دلالة ﴿لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾ إلى أنه لا يملك هؤلاء الكافرون بربهم يوم القيامة الشفاعة، إلَّا مَنِ اتَّخَذَ منهم عِنْدَ الرَّحْمَنِ في الدنيا عَهْدًا بالإيمان به، وتصديق رسوله ﷺ، والإقرار بما أنزل عليه والعمل به. وهذا القول أيضًا لا يستقيم؛ ذلك أنّ ميثاق المؤمن مع الله تعالى وعهده لا يتضمن الشفاعة، فلم يتعهد الله تعالى في القرآن بأن يمنح الشفاعة لكل من آمن به وصدق المرسلين، بل قال **بأنّه لا تُمنح الشفاعة للخلق إلّا بإذنه، دون أن يمنحها لأحدٍ منهم**. ومن هناك فلم يتخذ أحدٌ من الخلق عند الله عهدًا، ثم إنّ اتخاذ العهد عند الله تعالى ورد في القرآن ثلاث مرات جميعها كانت بصيغة استفهام استنكاري، كانت الأولى في الآية: ﴿وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[1]، والثانية في الآية: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾[2]، وهذه الثالثة وردت في سياق الاستنكار أيضًا حيث هم لا يملكون الشفاعة ولم يتخذوا عند الله عهدًا. ومن هناك فالتأويل الذي أورده الكليني لا يتجاوز كونه إلباسًا للحق بالباطل، وليًّا لعنق النص القرآني لإخضاعه لنظرية الولاية.

(1) سورة البقرة، الآية: 80.

(2) سورة مريم، الآيتان: 77 ـ 78.

2. **تأويل الآية** ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾: أوّل أهل الرواية والتأويل «من الموصولية» في الآية الثانية والأربعين من سورة الحج: ﴿إِنَّ يَوۡمَ ٱلۡفَصۡلِ مِيقَٰتُهُمۡ أَجۡمَعِينَ ۝٤٠ يَوۡمَ لَا يُغۡنِي مَوۡلًى عَن مَّوۡلًى شَيۡـٔٗا وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ۝٤١ إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾، على أنّها تعني الأئمة؛ حيث أورد الكليني حديثًا نسبه إلى زيد الشحّام قال فيه: «قال لي أبو عبد الله عليه السلام ـ ونحن في الطريق في ليلة الجمعة ـ: اقرأ فإنّها ليلة الجمعة قرآنًا، فقرأت: ﴿إِنَّ يَوۡمَ ٱلۡفَصۡلِ **(كان)** مِيقَٰتُهُمۡ أَجۡمَعِينَ ۝٤٠ يَوۡمَ لَا يُغۡنِي مَوۡلًى عَن مَّوۡلًى شَيۡـٔٗا وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ۝٤١ إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُۚ﴾ فقال أبو عبد الله عليه السلام: نحن والله الذين رحم الله ونحن والله الذي استثنى الله لكنا نغني عنهم». رواه الكليني، الكافي، باب فيه نكت ونتف من التنزيل.

وهذا التأويل خاطئ، ذلك أنّ الجملة «إلّا من رحم ربي» وردت استثناءً وانقطاعًا عن أول الكلام، أي على قوله تعالى: ﴿إِنَّ يَوۡمَ ٱلۡفَصۡلِ مِيقَٰتُهُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾، وهي استثناء على جملة ﴿يَوۡمَ لَا يُغۡنِي مَوۡلًى عَن مَّوۡلًى شَيۡـٔٗا﴾، أي أنّه لا يغني حميمٌ ولا نصيرٌ عن حميمه أو نصيره شيئًا إلّا من أغنى عنه الله تعالى، ثم إنّه كيف تجرأ المبطلون فأضافوا الأئمة إلى الله تعالى؟ وجعلوهم يغنون عن الله تعالى! إنّ ذلك تالله لشركٌ جليّ. والله تعالى ينفي عن رسوله محمد ﷺ أنْ ينقد من في النار: ﴿أَفَمَنۡ حَقَّ عَلَيۡهِ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي ٱلنَّارِ﴾[1]. ومن هناك فإضافة الأئمة لله تعالى في تأويل الآية يُعد شركًا بيّنًا، وتحريفًا للكلم عن مواضعه، وليًّا لعنق الآية لإخضاعها لنظريات البشر في الولاية. بل إنّه تنبغي الإشارة إلى أنّه من بين دلالات الآية، أنّه لا يغني إمامٌ عن شيعته شيئًا فتنقض الآية نظرية شفاعة الأئمة.

وتختلف الروايات التي أوردها المفسرون بالمأثور على دلالة «من رحم ربّي»، فمنهم من صرفها إلى الشفعاء الذين يغنون من الله وفقًا لتلك الروايات، التي تخضع الآية لنظرية الشفاعة، واتخاذ الشفعاء، ومنهم من قصر الإغناء على الله تعالى دون غيره.

---

(1) سورة الزمر، الآية: 19.

خاتمة المبحث:

جدول التحريف رقم (1 ـ 4 ـ ز):

التأويلات المتعلقة بشفاعة الأئمة وإنقادهم لشيعتهم من النار:

الكَلِم	الدلالة المحرّفة	الدلالة الأصلية
﴿لَا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾	لا يملكون الشفاعة إلّا من دان لله بولاية الأوصياء من ولد علي وعلي فهو العهد عند الله.	لا يملك المجرمون الشفاعة إلّا من اتّخذ عند الله عهدًا، وما لأحدٍ من الخلق ادعاء ذلك.
﴿يَوْمَ لَا يُغْنِى مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿41﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾	يوم لا يغني مولى عن مولى شيئًا ولا هم ينصرون إلّا الأوصياء من ولد علي وعلي فهم يغنون عن الله! فيشفعون لشيعتهم.	يوم لا يغني مولى عن مولى شيئًا ولا هم ينصرون، إلّا من شمله الله تعالى برحمته إنّه هو العزيز الرحيم.

التعليق:

أوّل المتأوّلون الآيتين اللتين تقرران بأنّه يوم القيامة «لا تملك نفسًا لنفسٍ شيئًا»، تأويلًا يجعل الأئمة يملكون للأنفس شيئًا، فيملكون الشفاعة، على خلاف ما ورد في الآية وآيات غيرها. وإذا كان الله تعالى ينفي عن رسوله محمد ﷺ أنْ ينقذ من في النار: ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِى ٱلنَّارِ﴾[1] كما قال تعالى: ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِىِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾[2]، وقال أيضًا: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا۟ مِنَّا كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾[3]، فكيف تجرأ هؤلاء المبطلون على أنّ يقوّلوا أبي عبد الله رضي الله عنه ما لم يقل، حين نسبوا إليه القول: «لكنّا نغني عنهم». فويل للذين يعتقدون بأنّه ثمّة من يغني عن الله شيئًا، وويل لمن يكتب الكتاب بيده ويقول بأنّه من عند الله.

---

(1) سورة الزمر، الآية: 19.

(2) سورة النساء، الآية: 123.

(3) سورة البقرة، الآية: 167.

س. التأويلات المتعلقة باختزال النبوّة وقربى النبيّ وطاعة الله ورسوله في الأئمة

1. تـأويـل آيـة ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ﴾: أوّل أهلُ الرواية والتأويل «ضمير المخاطب» في الآية الخامسة بعد المئة من سورة النساء: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ﴾ على أنّه يشمل الأوصياء؛ حيث أورد الكليني في الكافي حديثًا نسبه إلى عبد الله بن سنان قال فيه: «قال أبو عبد الله عليه السلام: لا والله ما فوّض الله إلى أحدٍ من خلقه إلّا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وإلى الأئمة، قال عزّ وجلّ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ﴾ وهي جارية في الأوصياء عليهم السلام». رواه الكليني، الكافي، باب التفويض إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وإلى الأئمة عليهم السلام في أمر الدين.

والتأويل خاطئ، ذلك أنّ الآية تستخدم ضمير المخاطب المفرد، والمتعلق بمتلقي الوحي ﷺ فلا ينصرف الضمير لغيره، ولم تأتِ الآية على ذكر الأئمة أو الأوصياء. ولو أراد الله تضمين الأوصياء كما ذهب الحديث الذي رواه الكليني لاستخدم الله تعالى ضمير المخاطبين في «لتحكم» وفي «أراك» على النحو «لتحكموا بين الناس بما أراكم الله». ومن هناك فتأويل الآية على النحو الوارد في الحديث لا يعدو كونه إلباسًا للحق بالباطل وتحريفًا للكلم عن مواضعه، وإخضاعًا لآيات الله تعالى لنظريات البشر في الولاية.

ويتفق جلّ المفسرين بالمأثور على أنّ ضمير المخاطب يعود على النبيّ محمد ﷺ دون غيره.

2. تأويل الآيتين ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ﴾، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا۟﴾: أوّل أهلُ الرواية والتأويل الآيتين الثالثة والخمسين والتاسعة والستين من سورة الأحزاب: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا۟﴾ على أنّ «الأذى» الوارد في الآيتين لرسول الله ﷺ، يتعلق بإنكار ولاية علي وبعض من ذريته رضي الله عنهم؛ حيث أورد الكليني في الكافي حديثًا نسبه

إلى أحمد بن النضر عن محمد بن مروان رفعه إليهم في قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ﴾ في علي و«الأئمة» ﴿كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا﴾. رواه الكليني، الكافي، باب فيه نكت ونتف من التنزيل.

والتأويل خاطئ، فالآيتان تأمران المسلمين بألّا يلحقوا الأذى بالنبيّ ﷺ في نفسه أو في أزواجه وأقاربه على نحو عام، وحددت هذه الآية أصنافًا من هذا الأذى، حيث قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنكُمْ ۖ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ ۚ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ۚ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَدًا ۚ إِنَّ﴾[1]، وكذلك ألحق المسلمون، الذين قالوا بحديث الإفك، والذين كفّروا بعضٍ من زوجاته، والذين قتلوا أحفاده وأخرجوهم من ديارهم، والذين لعنوهم من على المنابر، الأذى برسول الله ﷺ، وخالفوا عن أمر الله تعالى في آية المودة في القربى: ﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾[2].

ولعل المقارنة بين أذى النبيّ ﷺ والأذى الذي ألحقه بنو إسرائيل بالنبيّ موسى عليه السلام في الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا﴾ تحيلنا إلى طبيعة ذلك الأذى. وينصرف أذى بني إسرائيل لموسى عليه السلام، على الأرجح، إلى مجادلتهم إياه واعتدائهم في السبت، وطلبهم أن يريهم الله جهرة، واستبدالهم قولًا غير الذي قيل لهم، وقولهم له ﴿فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا﴾، وقولهم ﴿اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾، وعبادتهم العجل حين ذهب إلى ميعاد ربه. أمّا القول الذي نسبته الروايات لأبي هريرة في كتب التفسير بالمأثور عن اتهام بني إسرائيل لموسى عليه السلام في خلقته لتستره عنهم، وأسطورة هروب الحجر بثيابه ليرى بني إسرائيل جمال خلقته، وخلوه من أي عيب فلا يستقيم لصاحب الفطرة السليمة، وهي من أكاذيب الرواة حتى لا يدرك الناس

---

(1) سورة الأحزاب، الآية: 53.

(2) سورة الشورى، الآية: 23.

طبيعة الأذى الذي يلحقه الناس بالرسل عليهم السلام، والتي تنحصر في نبذ ما أنزل عليهم والمخالفة عن أمر الله ورسله عليهم السلام. أمّا تأويل الآيتين على النحو الذي أورده الكليني فهو لا يستقيم، ولا يعدو كونه تحريفًا للكلم عن مواضعه، وإخضاعًا لآيات الله تعالى لنظريات البشر.

وتتفق جلّ الروايات التي أوردها المفسرون بالمأثور على أنّ الأذى يتعلق بأزواجه ﷺ، رغم كون دلالة الأذى في الآية قد تنصرف إلى المخالفة عن أمر الله تعالى ورسوله ﷺ، ولا تقتصر على إلحاقهم الأذى لنفسه ﷺ أو لأزواجه رضي الله عنهم.

3. **تأويل آية** ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ أوّل أهلُ الرواية والتأويل الآية الحادية والسبعين من سورة الأحزاب: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ على أنّها تعني طاعة الله ورسوله في ولاية علي رضي الله عنه، حيث أورد الكليني في الكافي حديثًا نسبه إلى أبي بصير قال فيه: «عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عزَّ وجلّ: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ **(في ولاية علي [وولاية] الأئمة من بعد)** فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ هكذا نزلت». رواه الكليني، الكافي، باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية.

والتأويل خاطئ، فالإسلام بُني على طاعة الله ورسوله، رغم أنّ البعض يقصره على ما ورد في حديث «بُني الإسلام على خمس»، فالإسلام بُني على أوامر ونواهٍ صادرة عن الله تعالى ورسوله ﷺ، بينما اقتصر الحديث المذكور على الأوامر دون النواهي. كما أنّ حديث بُني الإسلام على خمس علاوة على عدم اشتماله على النواهي، فهو لا يتضمن أوامر إلهية كثيرة يأتي في مقدمتها: التمسك بالقرآن وعدم نبذه وراء ظهورنا، كما فعل الذين أوتوا الكتاب من قبلنا، والجهاد في سبيل الله، والإيفاء بالعقود وعلى رأسها عهد الله وميثاقه، كما لا يأتي على ذكر الله تعالى وتسبيحه، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويحصر الإنفاق في سبيل الله في الزكاة رغم كون الإنفاق في القرآن يفوقها. ومن هناك فالقول بُني الإسلام على خمس إن لم يحمل على المجاز فيه الكثير من الخطورة، إذ يتجاوز أركانًا أساسية في الإسلام لا يمكن تجاوزها.

ومن هناك فلا ينبغي الركون إليه عند الحديث عن أركان الإسلام بل ينبغي التأكيد على أنّ الإسلام بُني على طاعة الله ورسوله ﷺ في المطلق. والآية تَعِدُ الذين يطيعون الله ورسوله بالفوز العظيم، أي إنّها تَعِدُ المؤمنين بالفوز العظيم، والمؤمن قرآنيًّا هو الذي يطيع الله ورسوله ﷺ. ومن هناك فلا علاقة للآية بنظرية الولاية، ومحاولة إيجاد أية علاقة بينهما، لا تعدو كونها إلباسًا للحق بالباطل، وإخضاعًا لآيات الله لنظريات البشر، **ذلك أنّها تقصر طاعة الله ورسوله التي هي صفة المؤمنين على طاعتهما في الولاية، وهو ما ينصرف إلى طاعة الرواة وليس طاعة الله ورسوله**، حيث لم يرد بشأن ما ابتدعه الرواة في الولاية شيء في القرآن.

وتتفق جلّ الروايات التي أوردها المفسرون بالمأثور، على أنّ طاعة الله ورسوله الواردة في الآية مطلقة، وتشمل طاعة كافة أوامر الله تعالى ورسوله ﷺ، دون قصر ذلك على أمر بعينه.

4. تأويل آية ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ﴾: أوّل أهلُ الرواية والتأويل الآية الثالثة والعشرين من سورة الشورى: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ وَمَن يَقۡتَرِفۡ حَسَنَةٗ نَّزِدۡ لَهُۥ فِيهَا حُسۡنًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ شَكُورٌ﴾، على أنّها تدعو المسلمين إلى التّسليم بولاية علي وإمامته على المسلمين، وكذلك بقية الأئمة من بنيه رضي الله عنهم. حيث أورد الشيرازي في تفسيره الأمثل: «ومودة ذوي القربى ومحبتهم. كما سيأتي بيانها بشكل مفصل - ترتبط بقضية الولاية وقبول قيادة الأئمة المعصومين عليهم السلام من آل الرّسول، حيث تعتبر في الحقيقة استمرارًا لقيادة النّبي صلى الله عليه وآله وسلم واستمرارًا للولاية الإلهية، وجليّ أنّ قبول هذه الولاية والقيادة كقبول نبوّة النّبي صلى الله عليه وآله وسلم ستكون سببًا لسعادة البشرية نفسها وستعود نتائجها إليها».

ولا تذهب هذه الآية، في تقديري، إلى أبعد من أنْ يُحيط المسلمين أزواج النبيّ وعشيرته وذريته بالمودة والرعاية، وهو ما لم يقوموا به بسبب الصراعات السياسية والمذهبية، بل قُتلوا ولُعنوا من على المنابر من قبل فقهاء ووعاظ السلاطين، والسؤال الذي يتبادر إلى الذهن هنا؛ هو إذا كانت المودة

في القربى تنصرف إلى قبول إمامتهم؟ فكيف تتحقق مودة قربى النبيّ ﷺ في ابنته فاطمة، وفي أبناء الحسن رضي الله عنهم وهم قد استبعدوا من الولاية؟ وذهب بعض المغالين في حبّ علي وبنيه رضي الله عنهم إلى القول: بأنّه لا تضر مع حبّ آل محمد (والمقصود علي وبعض بنيه) رضي الله عنهم معصية، ولا تنفع مع كرههم حسنة، وهو ما يندرج وعلى نحو بيّن في دائرة الشرك. أمّا تأويل الآية على أنّها تعني الإقرار بولاية علي وبعض بنيه رضي الله عنهم فهو مجرد إلباس للحق بالباطل، وإخضاع لآيات الله لنظريات البشر في الولاية.

خاتمة المبحث:

جدول التحريف رقم (1 ـ 4 ـ س):

التأويلات المتعلقة باختزال النبوّة وقربى النبيّ وطاعة الله ورسوله في الأئمة:

الكَلِم	الدلالة المحرّفة	الدلالة الأصلية
﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ﴾	إنّا أنزلنا إليك القرآن بالحق لتحكم أنت والأوصياء «من ولد علي وعلي» بين النّاس بما أراكم الله.	إنّا أنزلنا إليك القرآن بالحق لتحكم بين النّاس بما أراك الله.
﴿وَمَا كَانَ لَكُمۡ أَن تُؤۡذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوۡاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْۚ﴾	وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله في الأئمة «من ولد علي وعلي» كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا.	وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله في دين الله وأزواجه وقرابته، كالذين آذوا موسى في دين الله فبرأه الله مما قالوا.
﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾	ومن يطع الله ورسوله في ولاية الأوصياء من ولد علي وعلي فقد فاز فوزًا عظيمًا.	ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزًا عظيمًا.
﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ﴾	قل لا أسألكم أجرًا على إبلاغكم رسالة الإسلام إلّا قبولكم ولاية الأوصياء من ولد علي وعلي من بعدي.	قل لا أسألكم أجرًا على إبلاغكم رسالة الإسلام إلّا أن توادوا قرابتي وأولي رحمي.

التعليق:

أوّل المتأوّلون الآيات التي تنصرف للنبيّ ﷺ على نحو يجعل الأئمة شركاء لنبيّ الله ﷺ في تلقي التنزيل، فقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ﴾ صار ينصرف إلى إنكار ولاية الأئمة، و«طاعة الله ورسوله» التي هي صفة للمؤمنين واختزلها المتأوّلون في الإقرار بولاية الأئمة، و«المودة في القربى» صارت التسليم بالولاية، رغم أنّ الولاية لا تشمل بعض قربى النبيّ ﷺ كابنته فاطمة وأبناء الحسن رضي الله عنهم، كما تشمل آية المودة في القربى أمهات المؤمنين ومن بينهما السيدتان عائشة وحفصة اللتان طالهما عنت كبير من أتباع مدرسة الرواية والتأويل وصل إلى حدّ التكفير! وهو ما يتجاوز معصيته تعالى في آية المودة، إلى الإساءة للنبيّ ﷺ، حين يُتهم بأنّه لم يتبرأ من زوجتيه الكافرتين وفقًا لتأويل أهل الرواية والتأويل، بل إنّه حتى لم يطلقهما، وهو ما يناقض ما ورد في سورة براءة أو التوبة، من ضرورة التبرؤ من الكافرين.

ـ خامسًا ـ
التأويلات المتعلقة بآيات لوم النبيّ وتخطئته ﷺ

اعتقد أهل الرواية والتأويل في عصمة الأنبياء عليهم السلام والأئمة رضي الله عنهم من الوقوع في الخطأ، ومن ثم أوّلوا الآيات التي وجّهت لومًا للنبيّ وذكرت أخطاءه ﷺ، أو أنكروا أنها نزلت فيه أصلًا. ونذكر من تلك الآيات:

1. **تأويل الآيات الثالثة والأربعين من سورة التوبة والرابعة والسبعين من سورة الإسراء والخامسة والستين من سورة الزمر**: أوّل أهلُ الرواية والتأويل الآيات التي وجّهت لومًا وتعنيفًا للنبيّ ﷺ على أنّها تنصرف للوم المسلمين لا النبيّ ﷺ؛ حيث أورد الكاشاني في تفسيره الصافي قولًا منسوبًا للإمام الرضا رضي الله عنه يؤكد ذلك: «وفي العيون عن الرضا عليه السلام في حديث المأمون عن عصمة الأنبياء حيث سأله عن قوله: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾ قال هذا مما نزل بإيّاك أعني واسمعي يا جارة خاطب الله نبيّه والمراد به أمته وكذلك قوله عزَّ وجلّ: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَـٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا﴾. وأورد الشيرازي في تفسيره الأمثل نفس الرواية: «الهدف هو اطلاع الجميع على خطر الشرك، فعندما يخاطب الباري عزّ وجلّ أنبياءه العظام بهذه اللهجة الشديدة، فعلى الأمة أن تحسب حسابها، هذا الأسلوب من قبيل ما نصّ عليه المثل المعروف (إيّاك أعني واسمعي يا جارة). ونفس المعنى ورد في حديث عن الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام أثناء إجابته على سؤال وجّهه إليه المأمون، إذ قال: يا بن رسول الله أليس من قولك أنّ الأنبياء معصومون؟ قال عليه السلام: «بلى» قال: فما معنى قول الله إلى أن قال: فأخبرني عن قول الله: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾. قال الرضا عليه السلام: «هذا ممّا نزل بإيّاك أعني واسمعي يا جارة،

خاطب الله بذلك نبيّه وأراد به أمته» وكذلك قوله: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَـٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا﴾ قال: صدقت يا ابن رسول الله».

وهذا القول فيه إخضاع للآيات القرآنية لعقائد الناس في عصمة الأنبياء عليهم السلام، فالأنبياء بشر يخطئون ويصيبون، وفي القرآن شواهد عديدة على أخطاء الأنبياء والرسل عليهم السلام، بدأت بأكل آدم من الشجرة التي أوصاه الله سبحانه وتعالى بعدم الأكل منها، ولم تنته بعبوس النبيّ ﷺ في وجه ابن مكتوم رضي الله عنه، ولا بإذنه للمنافقين بالتخلف عن موقعة تبوك. وورود هذه الأخطاء في القرآن يهدف في تقديري إلى تأكيد بشريتهم عليهم السلام، وتنزيههم عن الوقوع في الخطأ يرفعهم عن مستوى البشر، ويجعلهم آلهة أو أنصاف آلهة لا تصلح أنْ تكون قدوة وأسوة حسنة للمؤمنين، فمنْ أين لهم القدرة على الاقتداء بالمعصومين وهم غير معصومين. ثم إنّ الله سبحانه وتعالى لم ينزل على نبيه ﷺ ما يفيد تلك العصمة عن الوقوع في الخطأ، واقتصر على ضمان تبليغ رسالته بما يفيد، ضمنًا لا تصريحًا، اقتصار عصمة الأنبياء عن الوقوع في الخطأ عند تبليغهم رسالات ربهم. ثم إنّ القول بأنّ اللوم الموجه لهم في هذه الآيات موجه لأتباعهم يضعهم فوق مستوى اللوم الإلهي، ومن المتفق عليه بأنْ لا أحد من المخلوقين بمنأى عن اللوم الإلهي.

والقول بأنّ آيات الله التي وجهت لومًا للنبيّ ﷺ لا تنصرف إليه، بل تنصرف إلى غيره على طريقة إياك أعني واسمعي يا جارة، يُعد تحريفًا للكلم عن مواضعه، وإخضاعًا لآيات القرآن لنظريات البشر ومعتقداتهم في عصمة النبيّ ﷺ عن الخطأ على نحو مطلق. وهو ما لم يثبته له القرآن، بل أكّد على بشريته، وإمكانية وقوعه في الخطأ في غير مسألة تصديه لنقل الوحي الإلهي.

2. تأويل الآيات الأولى من سورة عبس: أوّل أهلُ الرواية والتأويل الآيات الأولى من سورة عبس: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿1﴾ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ﴿2﴾ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴿3﴾ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ﴿4﴾ أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ﴿5﴾ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ﴿6﴾ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ﴿7﴾ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ﴿8﴾ وَهُوَ يَخْشَىٰ ﴿9﴾ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ﴿10﴾ كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ﴾، على

أنّها لم تنزل للوم النبيّ ﷺ، وإنّما نزلت للوم الصحابي والخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه. حيث أورد الكاشاني في تفسيره الصافي هذا التأويل: «قال القمّي نزلت في عثمان وابن مكتوم، وكان ابن مكتوم مؤذنًا لرسول الله، وكان أعمى، وجاء إلى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله، وعنده أصحابه وعثمان عنده، فقدمه رسول الله صلى الله عليه وعلى آله على عثمان، فعبس عثمان وجهه وتولّى عنه؛ فأنزل الله ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ﴾ يعني عثمان ﴿أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ﴾ وميزّ الشيرازي في تفسيره الأمثل بين رأيين: «الأول يرى بأنّها نزلت في النبّي ﷺ، والثاني يرى بأنّها نزلت في رجل من بني أمية: والرأي الثّاني في شأن نزولها: ما روي عن الإمام الصادق عليه السلام: «إنّها نزلت في رجل من بني أمية، كان عند النّبي، فجاء ابن أم مكتوم، فلما رآه تقذر منه وجمع نفسه عبس وأعرض بوجهه عنه، فحكى الله سبحانه ذلك، وأنكره عليه» وقد أيّد المحقق الإسلامي الكبير الشريف المرتضى الرأي الثّاني؛ ويحتجّ الشريف المرتضى على الرأي الأول، بأنّ ما في آية ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ﴾ لا يدلّ على أنّ المخاطب هو النبّي ﷺ، حيث إنّ العبوس ليس من صفاته مع أعدائه، فكيف به مع المؤمنين المسترشدين! ووصف التصدّي للأغنياء والتلهي عن الفقراء ممّا يزيد البون سعة، وهو ليس من أخلاقه ﷺ الكريمة، بدلالة قول الله تعالى في الآية الرابعة من سورة (ن)، والتي نزلت قبل سورة عبس، حيث وصفه الباري: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾.

والقول بأنّ هذه الآيات نزلت في عثمان رضي الله عنه صراحة أو ضمنًا لا يستقيم إطلاقًا، ولا يمكن قبوله إلّا من قبل من أعمته نظرية العصمة عن رؤية الحقيقة؛ فما كان القرآن ليستخدم ضمير المخاطب وهو يتحدث عن عثمان رضي الله عنه: ﴿أَمَّا مَنِ ٱسۡتَغۡنَىٰ ۝٥ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ﴾ إلا إذا افترضنا جدلًا نزول القرآن على عثمان! واعترف الشيرازي بأنّ المخاطب في الآية هو رسول الله ﷺ، حين ذكر: «والآية لم تدل صراحة على أنّ المخاطب هو شخص النّبي الكريم ﷺ، ولكنّ الآيات (8 ـ 10) في السورة يمكن أن تكون قرينة، حيث تقول: ﴿وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسۡعَىٰ ۝٨ وَهُوَ يَخۡشَىٰ ۝٩ فَأَنتَ عَنۡهُ تَلَهَّىٰ﴾، والنبي ﷺ خير مَنْ ينطبق عليه هذا الخطاب الربّاني». وعصمة الأنبياء لا تعني عدم وقوعهم في الخطأ، والقرآن شهد على أخطاء عديدة وقع فيها الأنبياء والرسل عليهم السلام، بل تقتصر على

عصمتهم في تبليغ رسالاتهم. وسؤال المأمون الموجه إلى علي بن موسى الرضا رضي الله عنه، الذي ورد في رواية الشيرازي يؤكد على أنّ نظرية العصمة لم تكن سائدة آنذاك.

وهذا التأويل أي القول بأنّ هذه الآيات نزلت في عثمان رضي الله عنه، أو في غيره من بني أمية كذب صريح على الله تعالى، وتحريف للكلم عن مواضعه، وإخضاع لآيات القرآن لنظريات البشر ومعتقداتهم.

خاتمة المبحث:

جدول التحريف رقم (1 ـ 5):

التأويلات المتعلقة بآيات لوم النبيّ وتخطئته ﷺ:

الكَلِم	الدلالة المحرّفة	الدلالة الأصلية
﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾	ولقد أوحي إليك وإلى الرسل من قبلك لئن أشرك المسلمون ليحبطن عملهم وليكونن من الخاسرين!	ولقد أوحي إليك وإلى الرسل من قبلك، لئن أشركت يا محمد ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين
﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا﴾	ولولا أن ثبتنا المسلمون لقد كادوا أن يركنوا إلى المشركين شيئًا قليلًا.	ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إلى المشركين شيئًا قليلًا.
﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾	عفا الله عن المسلمين لم أذنوا لهم أن يتخلفوا عن القتال حتى يتبين لهم الذين صدقوا ويعلموا الكاذبين.	عفا الله عنك لم أذنت لهم أن يتخلفوا عن القتال حتى يتبيّن لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين.
﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ﴾	عبس عثمان وتولى أن جاءه الأعمى وما يدريه لعله يزكى، أو يذكر فتنفعه الذكرى.	عبس النبيّ وتولى أن جاءه الأعمى وما يدريك يا محمد لعله يزكى، أو يذكر فتنفعه الذكرى.

التعليق:

أوّلت الآيات المتعلقة بعتاب النبيّ محمد ﷺ ولومه، تأويلات تتوافق مع نظرية عصمة الأنبياء عليهم السلام، التي لا سند لها على النحو الوارد لدى القائلين بها، فالعصمة تقتصر على التبليغ دون أنْ تنصرف لغيره: ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ ۖ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿73﴾ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا﴾[1]، فصار العتاب واللوم الإلهي في الآيات التي تناولناها آنفًا موجهًا للمسلمين وفقًا للمتأوّلين وليس للنبيّ ﷺ، فقيل بأنّه «ممّا نزل بإيّاك أعني واسمعي يا جارة» أي إنّ الله تعالى «خاطب بذلك نبيّه وأراد به أمته»، وقال المتأوّلون بأنّ الآيات الأولى من سورة عبس نزلت في عثمان رضي الله عنه! وهو ما لا يستقيم مع استخدام ضمير المخاطب في الآية، إلّا إذا كانت مدرسة أهل الرواية والتأويل ترى بأنّ القرآن نزل على عثمان رضي الله عنه! ولم ينزل على محمد ﷺ.

(1) سورة الإسراء، الآيتان: 73 ـ 74.

ـ سادسًا ـ
التأويلات المتعلقة بأفضلية أجداد الأئمة

1. **تأويل أبوة آزر لإبراهيم عليه السلام**: أوّل أهلُ الرواية والتأويل الآية الرابعة والسبعين من سورة الأنعام: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾، على أنّ آزر جد النبيّ إبراهيم عليه السلام لأمه وليس أباه، حيث أورد الطبرسي في مجمع البيان: «قال الزجاج: يقوي ما قاله أصحابنا أنّ آزر كان جد إبراهيم لأمه أو كان عمه من حيث صح عندهم أن آباء النبي إلى آدم كلهم كانوا موحدين واجتمعت الطائفة على ذلك. وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «لم يزل ينقلني الله من أصلاب الطاهرين إلى أرحام المطهرات حتى أخرجني في عالمكم هذا لم يدنسني بدنس الجاهلية» ولو كان في آبائه كافر لم يصف جميعهم بالطهارة مع قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾[1] ولهم في ذلك أدلة ليس هنا موضع ذكرها».

والتأويل فاسد، فالآية واضحة وصريحة الدلالة ولا تحتاج إلى تأويل، فآزر هو أبو إبراهيم عليه السلام، والقرآن يؤكد أنّ بعض من أهل بيت الرسل والأنبياء وذرية النبيين كنوح وإبراهيم فاسقين: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾[2]، حيث ذكر لنا القرآن أنّ امرأتي نوح ولوط على النبيّين السلام كانتا من المشركين وأنّ أبا إبراهيم وابن نوح على النبيّين السلام كانا من المشركين، وهو ما ينقض نظرية تقلب النبيّ محمد ﷺ في أصلاب الموحدين، إنّما الذين أوّلوها على النحو الذي أورده الطبرسي، أرادوا إخضاع آيات الله لنظرياتهم وعقائدهم بكون آباء وأجداد

---

(1) سورة التوبة، الآية: 28.

(2) سورة الحديد، الآية: 26.

الأئمة والنبيّ ﷺ كلهم مسلمين ومطهرين، فحرفوا الكلم عن مواضعه، وأخضعوا آيات الله لنظرياتهم.

2. **تأويل آية** ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ﴾: أوّل أهلُ الرواية والتأويل «وتقلبك في الساجدين» في الآية التاسعة عشرة بعد المئتين من سورة الشعراء: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿217﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿218﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ﴾، على أنّها تعني وتقلبك في أصلاب الموحدين؛ حيث رأى أهل الرواية والتأويل بأن آباء النبيّ ﷺ، وكذلك آباء علي رضي الله عنه مسلمين، بل ومن الساجدين أيضًا، فقالوا على الله تعالى ما لا يعلمون: ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[1]؛ حيث أورد الطبرسي في مجمع البيان: «وقيل: معناه وتقلبك في إصلاب الموحدين من نبيّ إلى نبيّ حتى أخرجك نبيًّا عن ابن عباس في رواية عطاء وعكرمة وهو المروي عن أبي جعفر وأبي عبد الله صلوات الله عليهما قالا في أصلاب النبيين نبي بعد نبي حتى أخرجه من صلب أبيه من نكاح غير سفاح من لدن آدم عليه السلام».

وهذا تأويل خاطئ؛ ولم يرد ما يوافقه في القرآن الكريم، بل ورد ما يناقضه، فإذا كانت الفكرة متأتية من الحرص على أنّ يكون أسلاف النبيِّ ﷺ موحدين، فلقد ثبت في القرآن الكريم، إمكانية أنْ يكون آباء الأنبياء كفار وكذلك أبناءهم. ذلك أنّ أبا إبراهيم عليه السلام كان كافرًا، وأبى أن يدخل في دين إبراهيم «الإسلام»، وهو أحد أجداد النبيّ ﷺ، كما أكد القرآن أنّ ابن النبيِّ نوح عليه السلام كان كافرًا، وأبى أنْ يركب مع أبيه والمسلمين الذين معه في السفينة. والأرجح أنْ تكون دلالة: ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ التقلب بين القيام والركوع والسجود، كما ذهبت إلى ذلك جلّ كتب التفسير بالمأثور.

خاتمة المبحث:

جدول التحريف رقم (1 ـ 6):

التأويلات المتعلقة بشفاعة الأئمة وإنقاذهم لشيعتهم من النار:

---

(1) سورة البقرة، الآية: 169.

الكَلِم	الدلالة المحرّفة	الدلالة الأصلية
﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾	وإذ قال إبراهيم لجده لأمه آزر أو عمه أتتخذ أصنامًا آلهة إنّي أراك وقومك في ضلال مبين.	وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر أتتخذ أصنامًا آلهة إنّي أراك وقومك في ضلال مبين.
﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ (217) ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ (218) وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ﴾	وتوكل على العزيز الرحيم الذي يراك حين تقوم ويرى تقلبك في أصلاب الموحدين!	وتوكل على العزيز الرحيم الذي يراك حين تقوم ويرى تقلبك في الساجدين.

التعليق:

أوّل المتأوّلون الآيتين اللتين تناولناهما آنفًا بما يخدم نظرية تقلب النبيّ في أصلاب الموحدين، فآزر أبو النبيّ إبراهيم عليه السلام صار جده لأمه، ودون أية بيّنة أو سلطان، وقوله تعالى: ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ صار يعني تقلبك في أصلاب الموحدين! حيث صار آزر وعبد مناف، وغيرهم من أجداد النبيّ ﷺ موحدين، وإذا ما كشف القرآن عن أنّ أحدهم لم يكن موحدًا، انبرى المفترون ليقولوا بأنّه ليس من أجداد النبيّ ﷺ وفقًا لهذه النظرية.

ـ سابعًا ـ
تأويل الآيات المتعلقة بفضائل الإمام ومكانته

1. تأويل الآية ﴿وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾: أوّل أهلُ الرواية والتأويل «الرحمة» في الآية السادسة والخمسين بعد المئة من سورة الأعراف: ﴿وَٱكۡتُبۡ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِنَّا هُدۡنَآ إِلَيۡكَۚ قَالَ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنۡ أَشَآءُۖ وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤۡمِنُونَ﴾، على أنّها تعني علم الإمام الواسع؛ حيث أورد الكليني في الكافي حديثًا نسبه إلى أبي عبيدة الحذاء قال فيه: «سألت أبا جعفر عليه السلام عن الاستطاعة وقول الناس، فقال: وتلا هذه الآية ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخۡتَلِفِينَ ... إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمۡۗ﴾ يا أبا عبيدة الناس مختلفون في إصابة القول وكلهم هالك، قال: قلت: قوله: ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَۚ﴾؟ قال: هم شيعتنا ولرحمته خلقهم وهو قوله: ﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمۡۗ﴾ يقول: لطاعة الإمام، الرحمة التي يقول: ﴿وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ﴾ يقول: علم الإمام ووسع علمه الذي هو من علمه كل شيء هم شيعتنا، ثم قال: ﴿فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾. يعني ولاية غير الإمام وطاعته. رواه الكليني، الكافي، باب فيه نكت ونتف من التنزيل.

وهذا التأويل خاطئ، ذلك أنّ الآية تبدأ بدعاء للنبي موسى عليه السلام يقول فيه: «آتنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة»، وقوله أيضًا: «إنّا تبنا إليك بعد عبادة قومه للعجل»، فيقول الله تعالى: ﴿عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنۡ أَشَآءُۖ وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤۡمِنُونَ﴾. أمّا القول إنّها تعني علم الإمام واتساعه، وإنّه تعالى علّم الإمام كل شيء!، ففيه إلحاد في العليم، فالعليم وحده دون غيره من يعلم كل شيء،

ومن هناك فالتأويل الذي أورده الكليني لا يتجاوز كونه مجرد تحريف للكلم عن مواضعه، وليّ لعنق النص القرآني لإخضاعها لنظريات البشر في الولاية، فلا يوجد عبدٌ علّمه تعالى كل شيء بالمطلق.

وتتفق جلّ الروايات التي أوردها المفسرون بالمأثور، على أنّ دلالة الآية تنصرف إلى أنّ الله تعالى يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد، ويتصف فعله بالحكمة والعدل.

2. تأويل الآية ﴿ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِى ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ﴾: أوّل أهلُ الرواية والتأويل ﴿ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ﴾ في الآية السابعة والخمسين بعد المئة من سورة الأعراف: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلۡأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِى ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓۙ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾، على أنّه ينصرف للنبيّ والوصي والقائم؛ حيث أورد الكليني في الكافي حديثًا نسبه إلى أبي عبيدة الحذاء قال فيه: «سألت أبا جعفر عليه السلام عن الاستطاعة وقول الناس، فقال: وتلا هذه الآية ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخۡتَلِفِينَ ... إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمۡۗ﴾ يا أبا عبيدة الناس مختلفون في إصابة القول وكلهم هالك، قال: قلت: قوله: ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَۚ﴾؟ قال: هم شيعتنا ولرحمته خلقهم وهو قوله: ﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمۡۗ﴾ يقول: لطاعة الإمام، الرحمة التي يقول: ﴿وَرَحۡمَتِى وَسِعَتۡ كُلَّ شَىۡءٍۚ﴾ يقول: علم الإمام ووسع علمه الذي هو من علمه كل شيء هم شيعتنا، ثم قال: ﴿فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾. ثم قال: ﴿يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِى ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ (يعني النبي صلى الله عليه وآله والوصي والقائم﴾. رواه الكليني، الكافي، باب فيه نكت ونتف من التنزيل.

والتأويل خاطئ، ذلك أنّ ﴿ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ﴾ تنصرف إلى رسول الله ﷺ، ووردت بصيغة المفرد وليست بصيغة الجمع أو المثنى لتشمل الوصي والقائم، ثم إنّ الآية نزلت فيمن آمن من بني إسرائيل بما أنزل الله تعالى على محمد ﷺ، وتمتدحهم على إيمانهم وتعتبرهم من المفلحين. أمّا تأويل الآية

على أنّها تنصرف للوصي والقائم فلا يستقيم، ولا بيّنة عليه ولا سلطان في القرآن، فلا وجود لأية آية تتحدث عن الوصي أو القائم، باستثناء ما حُرفت دلالته من قبل محرفي مدرسة الرواية والتأويل، ليطابق نظريتهم عن الوصاية والولاية. فكان حالهم كحال أشعب طمّاع العرب أطلقوا الكذبة وصدقوها.

وتتفق جلّ الروايات التي أوردها المفسرون بالمأثور، على أنّ ضمير الغائب ينصرف إلى رسول الله محمد ﷺ.

3. **تأويل الآية** ﴿يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾: أوّل أهلُ الرواية والتأويل «المنكر» في الآية السابعة والخمسين بعد المئة من سورة الأعراف: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾، على أنّه من أنكر فضل الإمام وجحده، وعلى أنّ الذي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر هو القائم أو إمام الزمان؛ حيث أورد الكليني في الكافي حديثًا نسبه إلى أبي عبيدة الحذاء قال فيه: «سألت أبا جعفر عليه السلام عن الاستطاعة وقول الناس، فقال: وتلا هذه الآية ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ... إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ يا أبا عبيدة الناس مختلفون في إصابة القول وكلهم هالك، قال: قلت: قوله: ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾؟ قال: هم شيعتنا ولرحمته خلقهم وهو قوله: ﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ يقول: لطاعة الإمام، الرحمة التي يقول: ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ﴾ يقول: علم الإمام ووسع علمه الذي هو من علمه كل شيء هم شيعتنا، ثم قال: ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾. ثم قال: «يجدونه مكتوبًا عندهم في التوراة والإنجيل يعني النبي صلى الله عليه وآله والوصي والقائم». يأمرهم بالمعروف (إذا قام) وينهاهم عن المنكر»، والمنكر من أنكر فضل الإمام وجحده». رواه الكليني، الكافي، باب فيه نكت ونتف من التنزيل.

والتأويل خاطئ، ذلك أنّ الضمير في يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن

المنكر، عائد على النبيّ ﷺ، أمّا القول إنّه يعود على القائم أو الإمام فهو مجرد افتراء على الله تعالى، وتجنٍّ على اللغة، وعلى عقول الناس، وتحريف للكلم عن مواضعه، وليّ لعنق النص القرآني أو الآية لإخضاعها لنظريات البشر المتعلقة بالولاية.

وتتفق جلّ الروايات التي أوردها المفسرون بالمأثور، على أنّ دلالة الآية تنصرف إلى أنّ الله تعالى امتدح الذين يتبعون نبيه ﷺ، الذي وصفه بالنبيّ الأميّ الذي يأمر أتباعه بالمعروف، وهو الإيمان بالله ولزوم طاعته في كل ما أمر به، وينهاهم عن المنكر وهو كل ما نهاهم الله عنه وفي مقدمته الشرك بالله.

4. **تأويل الآية** ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ﴾: أوّل أهلُ الرواية والتأويل «الطيبات والخبائث» في الآية السابعة والخمسين بعد المئة من سورة الأعراف: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾، على أنّ «الطيبات» تنصرف إلى أخذ العلم من الأئمة، وأنّ «الخبائث» تنصرف إلى «قول المخالفين لنظرية الإمامة»، وإنّ «إصرهم» تعني الذنوب التي كانوا عليها قبل معرفتهم فضل الإمام، و«الأغلال» التي كانت عليهم تعني «القول بترك فضل الإمام قبل إقرارهم بفضله»؛ حيث أورد الكليني في الكافي حديثًا نسبه إلى أبي عبيدة الحذاء قال فيه: «سألت أبا جعفر عليه السلام عن الاستطاعة وقول الناس، فقال: وتلا هذه الآية ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخۡتَلِفِينَ ... إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمۡۗ﴾ يا أبا عبيدة الناس مختلفون في إصابة القول وكلهم هالك، قال: قلت: قوله: ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَۚ﴾؟ قال: هم شيعتنا ولرحمته خلقهم وهو قوله: ﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمۡۗ﴾ يقول: لطاعة الإمام، الرحمة التي يقول: ﴿وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ﴾ يقول: علم الإمام ووسع علمه الذي هو من علمه كل شيء هم شيعتنا، ثم قال: ﴿فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾. ثم قال: «يجدونه مكتوبًا عندهم في التوراة والإنجيل يعني النبي صلى الله عليه وآله والوصي والقائم». يأمرهم بالمعروف (إذا قام) وينهاهم عن المنكر»، والمنكر من أنكر

فضل الإمام وجحده» ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ «أخذ العلم من أهله» ﴿وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ﴾ «والخبائث قول من خالف» ﴿وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ﴾ «وهي الذنوب التي كانوا فيها قبل معرفتهم فضل الإمام» ﴿وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ﴾ «والأغلال ما كانوا يقولون مما لم يكونوا أمروا به من ترك فضل الإمام». رواه الكليني، الكافي، باب فيه نكت ونتف من التنزيل.

والتأويل خاطئ، ذلك أنّه يقيّد المطلق ويخصص العام، فـ «الطيّبات» تشمل كافة الطيبات بما في ذلك طيبات المال والطعام، و«الخبائث» تشمل كل خبيث بما في ذلك خبائث المال والطعام كالربا والميتة والدم ولحم الخنزير. فالآية تتحدث عن الذين اتبعوا النبيّ الأمي من بني إسرائيل، وأنه، أي النبيّ ﷺ، يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر، ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث، ويضع عنهم إصرهم والأغلال (أي القيود) التي كانت عليهم. أمّا التأويل الذي يتحدث عنه الحديث فهو مجرد افتراء على الله تعالى، وتجن على اللغة، واستخفاف بعقول المتلقين، وتحريف للكلم عن مواضعه لإخضاعه لنظريات البشر المتعلقة بالولاية، فالسورة مكية وسابقة على نزول ما قيل إنّه آية الولاية وحديث الغدير، ثم إنّ الآية تتحدث عن بني إسرائيل ولا تتحدث عن كافة المسلمين ليتمّ تأويلها على النحو الوارد في الحديث.

وتتفق جلّ الروايات التي أوردها المفسرون بالمأثور، على أنّ دلالة «الطيبات» التي يحلها لهم ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ تنصرف إلى الطيبات التي حرمت عليهم كشحوم البقر والغنم وغيرها، ودلالة الخبائث التي يحرمها عليهم ﴿وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ﴾ كالدم ولحم الخنزير أو كالربا والرشوة.

5. تأويل الآية ﴿وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ﴾: أوّل أهلُ الرواية والتأويل «ضمير الغائب» و«إصرهم» و«الأغلال» في الآية السابعة والخمسين بعد المئة من سورة الأعراف: ﴿وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ﴾، على أنّ الضمير ينصرف للقائم، والإصر والأغلال تنصرف إلى الذنوب التي ارتكبوها قبل معرفتهم الإمام؛ حيث أورد الكليني في الكافي حديثًا نسبه إلى أبي عبيدة الحذّاء قال فيه: «سألت أبا جعفر عليه السلام عن الاستطاعة وقول

الناس، فقال: وتلا هذه الآية ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ... إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ يا أبا عبيدة الناس مختلفون في إصابة القول وكلهم هالك، قال: قلت: قوله: ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾؟ قال: هم شيعتنا ولرحمته خلقهم وهو قوله: ﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ يقول: لطاعة الإمام، الرحمة التي يقول: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ يقول: علم الإمام ووسع علمه الذي هو من علمه كل شيء هم شيعتنا، ثم قال: ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾. ثم قال: «يجدونه مكتوبًا عندهم في التوراة والإنجيل يعني النبي صلى الله عليه وآله والوصي والقائم». يأمرهم بالمعروف (إذا قام) وينهاهم عن المنكر»، والمنكر من أنكر فضل الإمام وجحده». ويحل لهم الطيبات «أخذ العلم من أهله» ويحرم عليهم الخبائث «والخبائث قول من خالف» ويضع عنهم إصرهم «وهي الذنوب التي كانوا فيها قبل معرفتهم فضل الإمام» والأغلال التي كانت عليهم» والأغلال ما كانوا يقولون مما لم يكونوا أمروا به من ترك فضل الإمام، فلما عرفوا فضل الإمام وضع عنهم إصرهم والإصر الذنب وهي الآصار، ثم نسبهم فقال: ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ (يعني الإمام) وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ يعني الذين اجتنبوا الجبت والطاغوت أن يعبدوها والجبت والطاغوت فلان وفلان وفلان والعبادة طاعة الناس لهم، ثم قال: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ﴾. رواه الكليني، الكافي، باب فيه نكت ونتف من التنزيل.

والتأويل خاطئ، ذلك أنّ «ضمير الغائب» في يضع عنهم ينصرف إلى النبيّ ﷺ، و«ضمير الغائبين» في إصرهم وعليهم تعود على بني إسرائيل وتنصرف إلى القيود التي فرضها الله عليهم بكفرهم وعنتهم. أمّا التأويل الذي أورده الكليني فلا يستقيم، ولا يتجاوز كونه إلباسًا للحق بالباطل، وليًّا لعنق النص القرآني لتطويعه لنظريات البشر في الولاية وإمام الزمان.

وتتفق جلّ الروايات التي أوردها المفسرون بالمأثور على أنّ «ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم» تنصرف إلى التيسير الذي أتي به محمد ﷺ، وأدّى إلى رفع القيود التي كانت مفروضة على اليهود والنصارى.

6. تأويل الآية ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي

أُنزِلَ مَعَهُۥٓ﴾: أوّل أهلُ الرواية والتأويل «ضمير الغائب» في الآية السابعة والخمسين بعد المئة من سورة الأعراف: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾، على أنّه الإيمان بالإمام؛ حيث أورد الكليني في الكافي حديثًا نسبه إلى أبي عبيدة الحذّاء قال فيه: «سألت أبا جعفر عليه السلام عن الاستطاعة وقول الناس، فقال: وتلا هذه الآية ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخۡتَلِفِينَ ... إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمۡۗ﴾ يا أبا عبيدة الناس مختلفون في إصابة القول وكلهم هالك، قال: قلت: قوله: ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَۚ﴾؟ قال: هم شيعتنا ولرحمته خلقهم وهو قوله: ﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمۡۗ﴾ يقول: لطاعة الإمام، الرحمة التي يقول: ﴿وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ﴾ يقول: علم الإمام ووسع علمه الذي هو من علمه كل شيء هم شيعتنا، ثم قال: ﴿فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾. ثم قال: «يجدونه مكتوبًا عندهم في التوراة والإنجيل يعني النبي صلى الله عليه وآله والوصي والقائم». يأمرهم بالمعروف (إذا قام) وينهاهم عن المنكر»، والمنكر من أنكر فضل الإمام وجحده». ويحل لهم الطيبات «أخذ العلم من أهله» ويحرم عليهم الخبائث «والخبائث قول من خالف» ويضع عنهم إصرهم «وهي الذنوب التي كانوا فيها قبل معرفتهم فضل الإمام» والأغلال التي كانت عليهم» والأغلال ما كانوا يقولون مما لم يكونوا أمروا به من ترك فضل الإمام، فلما عرفوا فضل الإمام وضع عنهم إصرهم والإصر الذنب وهي الآصار، ثم نسبهم فقال: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ **(يعني الإمام)** وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ يعني الذين اجتنبوا الجبت والطاغوت أن يعبدوها والجبت والطاغوت فلان وفلان وفلان والعبادة طاعة الناس لهم، ثم قال: ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ﴾. رواه الكليني، الكافي، باب فيه نكت ونتف من التنزيل.

والتأويل خاطئ، ذلك أنّ «الضمير» في آمنوا به وعزروه ونصروه يعود على النبيّ ﷺ، الذي ذكر في بداية الآية: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ﴾. ثم إنّ قول الله تعالى ﴿وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ﴾ يقطع قول كل متأوّل فهل أنزل الله شيئًا على الأئمة؟ ومن هناك فالقول إنّه الإمام فلا يتجاوز كونه كذبًا على الله تعالى،

وتجنيًا على اللغة، واستخفافًا بعقول المتلقين، وتحريفًا للكلم عن مواضعه لإخضاعه لنظريات البشر المتعلقة بالولاية.

تتفق جلّ الروايات التي أوردها المفسرون بالمأثور، على أنّ الضمير يعود على النبيّ ﷺ، فالذين صدّقوا بالنبيّ الأميّ، وأقرّوا بنبوّته فاتبعوا ما أنزل الله إليه، وعزروه أي وَقَّروه وعظموه وحموه من الناس، وجاهدوا معه، أولئك هم المفلحون.

خاتمة المبحث:

جدول التحريف رقم (1 ـ 7):

تأويل الآيات المتعلقة بفضائل الإمام ومكانته:

الكَلِم	الدلالة المحرّفة	الدلالة الأصلية
﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾	ورحمتي التي تكمن في علم الإمام وسعت شيعة الأئمة من ولد علي وعلي فسأكتبها للذين يتولونهم وهم المتقون.	ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون.
﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ﴾	الذين يتبعون الرسول النبيّ الأمي والوصي والقائم الذين يجدونهم مكتوبون عندهم في التوراة والإنجيل!	الذين يتبعون الرسول النبيّ الأمي الذي يجدونه مكتوبًا عندهم في التوراة والإنجيل!
﴿يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ﴾	ويأمرهم القائم بالمعروف حين يقوم وينهاهم عن إنكار فضل الإمام وجحده.	ويأمرهم النبيّ الأمي بالمعروف وينهاهم عن المنكر.
﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾	ويحل لهم أخذ العلم من أهله ويحرم عليهم قول من خالف الولاية.	ويحل لهم الطيبات من الطعام والقول والفعل ويحرم عليهم الخبائث من الطعام والقول والفعل.
﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾	ويضع عنهم الذنوب التي كانوا فيها قبل معرفتهم فضل الإمام وما كانوا يقولون من ترك فضل الإمام.	ويضع عنهم القيود التي فُرضت عليهم قبل اتباعهم إياه.

﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ﴾	الذين آمنوا بالإمام وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أُنزل معه أولئك هم المفلحون.	الذين آمنوا بالنبيّ وعزروه ونصروه واتبعوا القرآن الذي أُنزل معه أولئك هم المفلحون.

التعليق:

أوّلت الآيات التي تناولناها آنفًا بطريقة ليّ عنق النص القرآني، لتعزز فضائل الإمام ومكانته، وعلى ضوء ذلك صارت «رحمة الله» تعني علم الإمام الواسع الذي وسع كل شيء وفق المتأوّلين، والقول بأنّ الإمام يعلم كل شيء! يُعدّ إلحادًا في العليم الذي هو اسم من أسماء الله الحسنى؛ فالعليم وحده دون غيره من يعلم كل شيء، و﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ﴾، صارت تنصرف إلى الذين يتبعون الوصي والقائم بالإضافة للنبي ﷺ، و«المنكر» صار ينصرف إلى إنكار فضل الإمام وجحده، و«الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» صار مقصورًا على القائم أو إمام الزمان، و«الطيبات التي يحلّها رسول الله ﷺ» صارت أخذ العلم عن الأئمة، و«الخبائث» صارت تعني تولي المخالفين لنظرية الولاية، و«الذين آمنوا برسول الله ﷺ وعزروه ونصروه»، صارت مقصورة على الذين آمنوا بالإمام وعزروه ونصروه!

- ثامنًا -

التأويلات المتعلقة بفضائل الشيعة

1. **تأويل آية** ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾: أوّل أهلُ الرواية والتأويل «الظلم» في الآية الثانية والثمانين من سورة الأنعام: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾: على أنّها تعني أنْ يُلبسوا إيمانهم بولاية غير الأئمة من ذرية علي والحسين رضي الله عنهما؛ حيث أورد الكليني في الكافي حديثًا نسبه إلى عبدالرحمن بن كثير قال فيه: «عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ قال: بما جاء به محمد صلى الله عليه وآله من الولاية ولم يخلطوها بولاية فلان وفلان، فهو الملبس بالظلم». رواه الكليني، الكافي، باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية.

والتأويل خاطئ، ذلك أنّه يقيّد المطلق ويخصص العام، فالآية تبشر الذين آمنوا ولم يختلط إيمانهم بظلم بأنّ لهم الأمن وهم مهتدون، والظلم هنا مطلق يشمل ظلم العباد بانتزاع حقوقهم، وظلم النفس بإنكار وجود الخالق والعبودية له، وفي الاثنين شرك بالله تعالى، ذلك أنّ انتزاع حقوق الآخرين تجبّر والجبار هو الله تعالى، ومن يتجبر على الناس ينازع الله تعالى كبريائه وجبروته ويلحد في الجبار، والتعدي على حدود الله فيه منازعة لسلطانه، ومن هناك فالظلم بنوعيه شرك بالله تعالى. أمّا تأويل الآية على النحو الوارد في الحديث فلا يستقيم، وهو مجرد إلباس للحق بالباطل، وإخضاع لآيات الله تعالى لنظريات البشر في الولاية.

وتتفق جلّ الروايات التي أوردها المفسرون بالمأثور على أنّ الظلم ينصرف إلى الشرك، وقصر الظلم على الشرك هو الآخر تأويل خاطئ، ويهدف

إلى استبعاد ظلم العباد من دلالة الآية. وهو ما سنتعرض له لاحقًا في القسم المتعلق بتأويلات أهل الحديث والنسخ.

2. **تأويل الآية** ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿118﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾: أوّل أهل الرواية والتأويل «من رحم ربك» في الآية الثامنة عشرة بعد المئة من سورة هود: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿118﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾، على أنها تعني شيعة علي وذريته ﷺ، كما أوّلوا ﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ على أنها تعني أنّ الله تعالى خلقهم لطاعة الإمام؛ حيث أورد الكليني في الكافي حديثًا نسبه إلى أبي عبيدة الحذاء قال فيه: «سألت أبا جعفر عليه السلام عن الاستطاعة وقول الناس، فقال: وتلا هذه الآية ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ... إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ يا أبا عبيدة الناس مختلفون في إصابة القول وكلهم هالك، قال: قلت: قوله: ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾؟ قال: هم شيعتنا ولرحمته خلقهم وهو قوله: ﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ يقول: لطاعة الإمام، الرحمة التي يقول: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ يقول: علم الإمام ووسع علمه الذي هو من علمه كل شيء هم شيعتنا، ثم قال: ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾. ثم قال: «يجدونه مكتوبًا عندهم في التوراة والإنجيل يعني النبي صلى الله عليه وآله والوصي والقائم». يأمرهم بالمعروف (إذا قام) وينهاهم عن المنكر»، والمنكر من أنكر فضل الإمام وجحده». ويحل لهم الطيبات «أخذ العلم من أهله» ويحرم عليهم الخبائث «والخبائث قول من خالف» ويضع عنهم إصرهم «وهي الذنوب التي كانوا فيها قبل معرفتهم فضل الإمام» والأغلال التي كانت عليهم» والأغلال ما كانوا يقولون مما لم يكونوا أمروا به من ترك فضل الإمام، فلما عرفوا فضل الإمام وضع عنهم إصرهم والاصر الذنب وهي الآصار، ثم نسبهم فقال: «الذين آمنوا به (يعني الإمام) وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون» يعني الذين اجتنبوا الجبت والطاغوت أن يعبدوها والجبت والطاغوت فلان وفلان وفلان والعبادة طاعة الناس لهم، ثم قال: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ﴾. رواه الكليني، الكافي، باب فيه نكت ونتف من التنزيل.

والتأويل خاطئ، ذلك أنّ الآية تتحدث عن سنة الله في خلقه، ذلك أنّ الله تعالى قد خلق الناس مختلفين، فمنهم المؤمن ومنهم الكافر، ومنهم الخيّر

ومنهم الشرير. حيث ألهم كل نفس فجورها وتقواها، واستثنى من الاختلاف من رحم الله من المؤمنين منذ آدم عليه السلام وإلى يوم القيامة، الذين هم على أمة واحدة وعلى طريق واحد، وهو الطريق القويم. و«ولذلك خلقهم» تنصرف إلى أنّ الله تعالى على هذا الناموس أو القانون خلقهم: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ﴾[1]. أمّا القول إنّ من رحم ربك يعني شيعة علي وبعض بنيه، الذين نصت عليهم نظرية الولاية رضي الله عنهم، فهو مجرد تحريف للكلم عن مواضعه، وليّ لعنق الآية لإخضاعها لنظريات البشر في الولاية.

وتتفق جلّ الروايات التي أوردها المفسرون بالمأثور، على أنّ الآية تقول إنّ الله تعالى قادر على جعل الناس كلهم أمة واحدة من إيمان أو كفر، ولا يزال الاختلاف بين الناس في أديانهم ومعتقداتهم إلّا المرحومين من أتباع الرسل الذين تمسّكوا بما أمروا به من الدين.

3. **تأويل آية** ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾: أوّل أهلُ الرواية والتأويل «ضمير الغائب» في الآية الثانية والثمانين من سورة طه: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾ على أنّه ينصرف إلى الذين اهتدوا إلى ولاية الأئمة وليس الاهتداء إلى الإسلام؛ حيث أورد الطبرسي في مجمع البيان: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ﴾ وهو فعال من المغفرة ﴿لِّمَن تَابَ﴾ من الشرك ﴿وَءَامَنَ﴾ بالله ورسوله ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ أي أدّى الفرائض ﴿ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾ أي ثم لزم الإيمان إلى أن يموت واستمر عليه. وقيل: ثم لم يشكّ في إيمانه عن ابن عباس. وقيل: ثم أخذ بسنة النبي صلى الله عليه وسلم ولم يسلك سبيل البدعة عن ابن عباس أيضًا والربيع بن أنس. وقال أبو جعفر الباقر عليه السلام: ثم اهتدى إلى ولايتنا أهل البيت عليهم السلام فوالله لو أنّ رجلًا عبد الله عمره ما بين الركن والمقام ثم مات ولم يجيء بولايتنا لأكبّه الله في النار على وجهه رواه الحاكم أبو القاسم الحسكاني بإسناده وأورده العياشي في تفسيره من عدة طرق».

والتأويل خاطئ، ذلك أنّ الاهتداء في الآية اهتداء لله ولصراطه

---

(1) سورة البقرة، الآية: 251.

المستقيم، وليس اهتداءً لإمام أو خليفة أو للأئمة رضي الله عنهم. وحين تصبح الهداية هدايتين: واحدة لله وللإسلام، وأخرى للأئمة رضي الله عنهم، نكون قد أشركنا بالله وجعلنا له أندادًا، وهو ما لا يحمد عقباه.

وأوّل أهلُ الحديث والنسخ «ضمير الغائب» في الآية على أنّه ينصرف إلى أهل السُّنة والجماعة؛ حيث أورد ابن كثير في تفسير القرآن العظيم في معرض تفسيره للآية قوله: «وقوله: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ أي كل من تاب إليَّ، تبت عليه من أي ذنب كان، حتى إنه تاب تعالى على من عبد العجل من بني إسرائيل. وقوله تعالى: ﴿تَابَ﴾ أي: رجع عما كان فيه من كفر أو شرك أو معصية أو نفاق. وقوله: ﴿وَءَامَنَ﴾ أي: بقلبه. ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ أي: بجوارحه. وقوله: ﴿ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾ قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: أي: ثم لم يشكك. وقال سعيد بن المسيب: ﴿ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾ أي: استقام على السنة والجماعة، وروي نحوه عن مجاهد والضحاك وغير واحد من السلف. وقال قتادة: ﴿ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾ أي: لزم الإسلام حتى يموت. وقال سفيان الثوري: ﴿ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾ أي: علم أن لهذا ثوابًا». والرواية المنسوبة لسعيد بن المسيب تقع في نفس المأزق الذي وقعت فيه رواية الطبرسي فتحرف الكلم عن مواضعه وتجعل الهداية هدايتين واحدة لله وللإسلام والأخرى لفرقة أهل الحديث والنسخ.

4. **تأويل آية ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ﴾**: أوّل أهلُ الرواية والتأويل الآيتين الأولى والثانية بعد المئة من سورة الأنبياء: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿101﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ فِى مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ ﴿102﴾ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ على أنّها نزلت في شيعة علي رضي الله عنه؛ حيث أورد الطباطبائي في الميزان: «وفي أمالي الصدوق عن النبي صلى الله عليه وآله في حديث: يا علي أنت وشيعتك على الحوض تسقون من أحببتم وتمنعون من كرهتم وأنتم الآمنون يوم الفزع الأكبر في ظلّ العرش، يفزع النّاس ولا يفزعون ويحزن النّاس ولا يحزنون فيكم نزلت هذه الآية ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ

أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ﴾ وفـيـكـم نـزلـت ﴿لَا يَحۡزُنُهُمُ ٱلۡفَزَعُ ٱلۡأَكۡبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوۡمُكُمُ ٱلَّذِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ﴾.

والتأويل خاطئ، ذلك أنّه يقيّد المطلق ويخصص العام؛ فالآية تتحدث عن المؤمنين الذين «صَلُحَ إيمانهم»، و«سبقت لهم الحسنى» أي إنّ الله تعالى كتب لهم الحسنى، أي ضمن لهم الهداية ووعدهم بالجنة وحسن المآب، وهو ما يتوافق مع قول الله تعالى في سورة الليل: ﴿فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ﴾[1]. أمّا تقييدها بشخص أو مجموعة أشخاص، أو تأويلها على النحو الذي أورده الطباطبائي فلا يتجاوز كونه إلباسًا للحق بالباطل، وليًّا لعنق النص القرآني لإخضاعه لنظريات البشر في الولاية. ولقد أورد الطبري في جامع البيان في معرض تفسيره للآية قوله: «وأما قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ﴾ فإنّ أهل التأويل اختلفوا في المعنيّ به، فقال بعضهم: عُني به كل من سبقت له من الله السعادة من خلقه أنه عن النار مُبعد». ورغم أنّه أورد روايات أخرى تقيّد دلالة «الذين سبقت منهم الحسنى» فقالت بعضها: إنّهم عيسى، وعُزَير، والملائكة عليهم السلام، وقالت أخرى بأنّ عثمان رضي الله عنه منهم. غير أنّ أي تقييد لدلالتها لا يتجاوز كونه تحريفًا للكلم عن مواضعه لإخضاعه لنظريات وأهواء البشر.

5. تأويل آية ﴿ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓ﴾: أوّل أهلُ الرواية والتأويل الآية الثامنة عشرة من سورة الزمر: ﴿ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾، على أنـها تـعـنـي المسلّمين بنظرية الولاية؛ حيث أورد الكليني في الكافي حديثًا نسبه إلى أبي بصير قال فيه: «سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓ﴾ إلى آخر الآية قال: هم المسلّمون لآل محمد، الذين إذا سمعوا الحديث لم يزيدوا فيه ولم ينقصوا منه جاؤوا به كما سمعوه». رواه الكليني، الكافي، باب ما يضل به بين دعوى المحق والمبطل في أمر الإمامة.

---

(1) سورة الليل، الآيات: 5 ـ 7.

وتأويل ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ﴾، على أنّهم المسلّمون بنظرية الولاية تأويل خاطئ؛ ذلك أنّه يقيّد المطلق ويخصص العام فالآية تمتدح المسلمين الذين يستمعون القول على إطلاقهم، ـ أي كافة المسلمين من آدم عليه السلام وحتى قيام الساعة ـ فيتبعون أحسنه. ويصفهم الله تعالى في الآية السابقة لهذه الآية بقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا... (17) وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ﴾، فالذين اجتنبوا الطاغوت، وأنابوا إلى الله، هم الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه. أمّا تأويل الآية على النحو الوارد في الحديث فلا يستقيم، ولا يوجد في الآية ولا فيما سبقها أو لحقها من آيات ما يشير إلى ما يقيّد دلالة «القول» ولا «يتبعون أحسنه» ليكون التسليم بنظرية الولاية. ومن هناك فلا يتجاوز التأويل الذي أورده الكليني أنْ يكون إلباسًا للحق بالباطل، وليًّا لعنق النص القرآني لإخضاعه لنظريات البشر في الولاية.

ويتفق جلّ المفسرين بالمأثور على أنّ دلالة القول عامة لمطلق القول ولا تخصيص فيها.

6. **تأويل آية** ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟﴾: أوّل أهلُ الرواية والتأويل «ضمير الغائب» في الآية الثلاثين من سورة فصلت: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾، على أنّه ينصرف إلى الذين استقاموا على ولاية الأئمة؛ حيث أورد المجلسي في بحار الأنوار حديثًا نسبه إلى أبي الجارود قال فيه: «عن أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام في قوله عزّ وجلّ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟﴾ يقول: استكملوا طاعة الله ورسوله، وولاية آل محمد عليهم السلام، ثم استقاموا عليها ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ يوم القيامة ﴿أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ فأولئك هم الذين إذا فزعوا يوم القيامة حين يبعثون تتلقاهم الملائكة ويقولون لهم: لا تخافوا ولا تحزنوا نحن الذين كنا معكم في الحياة الدنيا، لا نفارقكم حتى تدخلوا الجنة وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون». رواه المجلسي، بحار الأنوار، باب أنّ الاستقامة إنما هي على الولاية.

والتأويل خاطئ، ذلك أنّه يقيّد المطلق ويخصص العام، فكافة المسلمين الذين يقولون ربّنا الله، ويستقيمون على أمر الله وصراطه المستقيم، تتنزّل عليهم الملائكة لتطمئنهم وتبشرهم بالجنّة. ومن هناك فأيُّ تأويل يقصر دلالتها على فرد أو مجموعة، بغض النظر عن مكانتهم، يندرج ضمن المحاولات الدؤوبة لتحريف للكلم عن مواضعه، وإخضاع آيات الله لنظريات البشر.

ويتفق جلّ المفسرين بالمأثور على أنّ الضمير ينصرف إلى الذين استقاموا على أمر الله، وصراطه المستقيم، ولم يشركوا بربهم شيئًا أو أحدًا.

7. تأويل آية ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾: أوّل أهلُ الرواية والتأويل «المؤمن» في الآية الثانية من سورة التغابن: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾: على أنّه ينصرف إلى من آمن بولاية الأئمة من ذرية علي والحسين رضي الله عنهم؛ حيث أورد الكليني في الوافي حديثًا نُسب إلى الحسن بن نعيم الصحاف قال فيه: «سألت أبا عبد الله عن قول الله عزَّ وجلّ: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ...فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾ فقال: عرف الله إيمانهم بولايتنا وكفرهم بها، يوم أخذ عليهم الميثاق في صلب آدم عليه السلام وهم ذر». رواه الكليني، الكافي، باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية.

والتأويل خاطئ، ذلك أنّ حصر الإيمان بالتصديق بنظرية الولاية، والقول بأنّ الله تعالى أخذ ميثاق ذرية آدم عليه السلام وهم في صلبه، على ولاية علي وبنيه رضي الله عنهم، قول لا يصدقه صاحب الفطرة السليمة. فما علاقة ذرية آدم عليه السلام، منذ قابيل وهابيل إلى مولد علي رضي الله عنه، بولاية علي وبنيه رضي الله عنهم؟ فالإيمان أينما ورد في القرآن ينصرف إلى الإيمان بالله تعالى وحده لا شريك له، فلماذا يصرّ أتباع مدرسة الرواية التأويل على إشراك الأئمة معه في تعريفهم للإيمان؟ حتى صار الإيمان وفقًا لمدرسة الرواية والتأويل، إيمانين إيمان بالله تعالى ورسله واليوم الآخر، وإيمان بالأئمة من ذرية علي رضي الله عنهم.

وتتفق جلّ الروايات التي أوردها المفسرون بالمأثور على أنّ دلالة المؤمن في الآية تنصرف إلى الإيمان بالله تعالى وحده لا شريك له.

8. **تأويل آية** ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا﴾: أوّل أهلُ الرواية والتأويل «ضمير الغائب» في الآية السادسة عشرة من سورة الجن: ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا﴾ على أنّه ينصرف إلى الذين استقاموا على ولاية علي رضي الله عنه والأوصياء من ولده؛ حيث أورد الكليني في الكافي حديثًا نسبه إلى جابر بن يزيد الجعفي قال فيه: «عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا﴾ قال: يعني لو استقاموا على ولاية علي بن أبي طالب أمير المؤمنين والأوصياء من ولده عليهم السلام وقبلوا طاعتهم في أمرهم ونهيهم لأسقيناهم ماء غدقًا، يقول: لأشربنا قلوبهم الإيمان، والطريقة هي الإيمان بولاية علي والأوصياء». رواه الكليني، الكافي، باب أنّ الطريقة التي حثّ على الاستقامة عليها ولاية علي عليه السلام.

والتأويل خاطئ، ذلك أنّه يقيّد المطلق ويخصص العام؛ فالآية تتحدث عن الاستقامة على الإسلام وعلى صراط الله المستقيم، ولا يوجد في الآية ولا في الآيات السابقة ولا اللاحقة لها ما يدلّ على ما ذهب إليه التأويل الذي أورده الكليني. من هناك فالآية لا علاقة لها بولاية علي رضي الله عنه، وليّ عنقها على هذا النحو، يعد إخضاعًا لآيات الله لنظريات البشر، بل ويرقى إلى الشرك بالله تعالى. فحين يُقدّم رأيٌ أو قولٌ لبشر على قول الله تعالى وآياته يُعد ذلك تأليهًا لصاحب ذلك القول.

ويتفق جلّ المفسرين بالمأثور على أنّ الضمير يعود على الذين استقاموا على الإسلام.

خاتمة المبحث:

جدول التحريف رقم (1 ـ 8):

تأويل الآيات المتعلقة بفضائل الشيعة:

الكَلِم	الدلالة المحرّفة	الدلالة الأصلية
﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾	الذين آمنوا بما جاء به محمد في ولاية الأوصياء من ولد علي وعلي ولم يلبسوا إيمانهم بولاية غيرهم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون.	الذين آمنوا بالله ولم يلبسوا إيمانهم بشرك أولئك لهم الأمن وهم مهتدون.
﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿118﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾	ولا يزال الناس مختلفين في إصابة القول وكلهم هالك، إلّا شيعة الأئمة من ولد علي وعلي ولرحمته خلقهم.	ولا يزال الناس مختلفين إلّا من رحم الله من المؤمنين، الذين هم على أمة واحدة وعلى طريق واحد، وهو الطريق القويم، ومن سنّة الله في خلقه اختلافهم.
﴿وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾	وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحًا ثم اهتدى إلى ولاية الأئمة «من ولد علي وعلي».	وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحًا ثم اهتدى إلى اليقين.
﴿لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ هَـٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾	الذين يتولون الأئمة «من ولد علي وعلي» لا يحزنهم الفزع الأكبر وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون.	الذين آمنوا وتابوا وعملوا صالحًا لا يحزنهم الفزع الأكبر، وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون.
﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمْ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾	المسلّمون بولاية الأئمة من ولد علي وعلي، أولئك الذين هداهم الله، وأولئك هم أولو الألباب.	الذين اجتنبوا الطاغوت، وأنابوا إلى الله، هم الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه. أولئك الذين هداهم الله، وأولئك هم أولو الألباب.
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾	إنّ الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا على ولاية الأئمة «من ولد علي وعلي»، تتنزل عليهم الملائكة ألّا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون.	إنّ الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا على أمر الله، تتنزل عليهم الملائكة ألّا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون.

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمۡ فَمِنكُمۡ كَافِرٞ وَمِنكُم مُّؤۡمِنٞۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ﴾	هو الذي خلقكم فمنكم مؤمن بولاية الأئمة «من ولد علي وعلي» ومنكم كافر بها، منذ أُخذ عليكم الميثاق وأنتم في صلب آدم عليه السلام.	هو الذي خلقكم فمنكم مؤمن بالله ومنكم كافر به، والله بما تعملون بصير.
﴿وَأَلَّوِ ٱسۡتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسۡقَيۡنَٰهُم مَّآءً غَدَقٗا﴾	لو استقاموا على ولاية الأئمة من ولد علي وعلي وقبلوا طاعتهم في أمرهم ونهيهم لأسقيناهم ماء غدقًا، أي لأشربنا في قلوبهم الإيمان.	لو استقاموا على عبادة الله لأسقيناهم ماء غدقًا.

التعليق:

أُوّلت الآيات التي تناولناها آنفًا على نحو متعسف ليخدم نظرية فضائل الشيعة وفضائل الأئمة؛ فصارت دلالة «الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم» تعني لم يلبسوا إيمانهم بولاية غير الأئمة، و«إلّا من رحم ربي»، و«لا يحزنهم الفزع الأكبر»، و«تتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون»، تنصرف إلى شيعة الأئمة، كما أنّ دلالة «ثم اهتدى»، و«الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه»، و«الذين استقاموا»، و«منكم مؤمن»، صارت تعني من آمن بولاية الأئمة، أو اهتدى لها، أو اتبعها أو استقام عليها وهكذا.

ـ تاسعًا ـ
التأويلات المتعلقة بنظرية إمام الزمان

1. تأويل آية ﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا﴾: أوّل أهلُ الرواية والتأويل «يأت بكم الله» في الآية الثامنة والأربعين بعد المئة من سورة البقرة: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ على أنّها تعني أنّ الله تعالى سيجمع إلى الإمام المهدي جميع شيعة الأئمة من أقطار الأرض؛ حيث أورد الطبرسي في مجمع البيان في معرض تفسيره للآية قوله: «وقوله: ﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا﴾ أي حيثما مِتّم من بلاد الله سبحانه يأت بكم الله إلى المحشر يوم القيامة. وروي في أخبار أهل البيت عليهم السلام أنّ المراد أصحاب المهدي في آخر الزمان قال الرضا عليه السلام: وذلك والله لو قام قائمنا يجمع الله إليه جميع شيعتنا من جميع البلدان ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ أي هو قادر على جمعكم وحشركم وعلى كل شيء».

والتأويل خاطئ، ذلك أنّ دلالة الآية تشير إلى جمع الناس إلى يوم القيامة، ثم إنّه ليس ثمّة في الآية ولا فيما سبقها أو لحقها من آيات ما يشير إلى الإمام المهدي، لتنصرف دلالة الآية إلى ما ذهب إليه الطبرسي. ومن هناك فلا يتجاوز التأويل الذي أورده الطبرسي أنْ يكون إلباسًا للحق بالباطل، وليًّا لعنق النص القرآني لإخضاعه لنظريات البشر في إمام الزمان.

وتتفق جلّ الروايات في كتب التفسير بالمأثور على أنّ دلالة الآية تنصرف إلى أنّه تعالى قادر على جمعكم يوم القيامة مهما تفرقت أجسادكم وأبدانكم.

2. تأويل الآية ﴿لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾: أوّل أهلُ الرواية والتأويل «البشرى» في الآية الرابعة والستين من سورة يونس: ﴿أَلَا

إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿62﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿63﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾، على أنّها تعني أنّ الإمام يبشرهم بقيام القائم وظهوره؛ حيث أورد الكليني في الكافي حديثًا نسبه إلى أبي عبيدة الحذاء قال فيه: «سألت أبا جعفر عليه السلام عن الاستطاعة وقول الناس، فقال: وتلا هذه الآية ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ... إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ يا أبا عبيدة الناس مختلفون في إصابة القول وكلهم هالك، قال: قلت: قوله: ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾؟ قال: هم شيعتنا ولرحمته خلقهم وهو قوله: ﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ يقول: لطاعة الإمام، الرحمة التي يقول: ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ﴾ يقول: علم الإمام ووسع علمه الذي هو من علمه كل شيء هم شيعتنا، ثم قال: ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾. ثم قال: «يجدونه مكتوبًا عندهم في التوراة والإنجيل يعني النبي صلى الله عليه وآله والوصي والقائم». يأمرهم بالمعروف (إذا قام) وينهاهم عن المنكر»، والمنكر من أنكر فضل الإمام وجحده». ويحل لهم الطيبات «أخذ العلم من أهله» ويحرم عليهم الخبائث «والخبائث قول من خالف» ويضع عنهم إصرهم «وهي الذنوب التي كانوا فيها قبل معرفتهم فضل الإمام» والأغلال التي كانت عليهم» والأغلال ما كانوا يقولون مما لم يكونوا أمروا به من ترك فضل الإمام، فلما عرفوا فضل الإمام وضع عنهم إصرهم والإصر الذنب وهي الآصار، ثم نسبهم فقال: «الذين آمنوا به (يعني الإمام) وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون» يعني الذين اجتنبوا الجبت والطاغوت أن يعبدوها والجبت والطاغوت فلان وفلان وفلان والعبادة طاعة الناس لهم، ثم قال: ﴿وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ﴾. ثم جزاهم فقال: ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ والإمام يبشرهم بقيام القائم وبظهوره وبقتل أعدائهم وبالنجاة في الآخرة والورود على محمد ـ صلى الله على محمد وآله الصادقين ـ على الحوض». رواه الكليني، الكافي، باب فيه نكت ونتف من التنزيل.

والتأويل خاطئ، ذلك أنّ «البشرى» من الله تعالى لأولياء الله هي الثواب والسعادة في الدارين، وقد يقول قائل بأنّ أولياء الله هم علي وبعض

ذريته ﷺ، غير أنّ الآية التي تليها لم تترك أولياء الله دون تحديد، بل حددتهم بالذين آمنوا وكانوا يتقون، والذين آمنوا وردت عامة بحيث تشمل كافة الذين آمنوا وهم يتقون من آدم عليه السلام وإلى قيام الساعة. أمّا تأويل الآية على النحو الوارد في الحديث فلا يستقيم. ولم يستح المبطلون الذين وضعوا الحديث من أنْ يستبدلوا «النبيّ ﷺ» بالقائم، و«الجبت والطاغوت» بالخلفاء، و«الإيمان بالله تعالى» على أنّه الإيمان بقيام إمام ثمّة ظلال من الشك حول ميلاده ووجوده، والأرجح، في تقديري، أنّه لم يولد أصلًا، ذلك أنّ الإمام الحادي عشر لم يرزق ابنًا، ولذلك فإنّ كل ما قيل عن الإمام الثاني عشر هو محض اختلاق لا وجود له.

وعلى الرغم من أنّ الروايات التي أوردها المفسرون بالمأثور لم تتفق على دلالة «البشرى» فقال بعضهم: إنّ المراد بها الرؤيا الصالحة، وقال آخرون إنّها عبارة عن محبة الناس للمسلم، وقال غيرهم بأنّها عبارة عن حصول البشرى لهم عند الموت بتنزل الملائكة عليهم لتبشرهم بالجنة، وقال آخرون بأنّها ما بشر الله به عباده المتقين من جنة وثواب كريم. غير أنّها لم تذهب إلى تأويل الآية على النحو الذي أورده الكليني.

3. **تأويل الآية** ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوۡاْ مَا يُوعَدُونَ﴾: أوّل أهلُ الرواية والتأويل «ما الموصولية» في الآية الخامسة والسبعين من سورة مريم: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوۡاْ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلۡعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ فَسَيَعۡلَمُونَ مَنۡ هُوَ شَرّٞ مَّكَانٗا وَأَضۡعَفُ جُندٗا﴾، على أنّها تعني خروج القائم، ثم قيام الساعة؛ حيث أورد الكليني في الكافي حديثًا نسبه إلى أبي بصير قال فيه: «عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٖ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَيُّ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ خَيۡرٞ مَّقَامٗا وَأَحۡسَنُ نَدِيّٗا﴾ قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله دعا قريشًا إلى ولايتنا فنفروا وأنكروا، فقال الذين كفروا من قريش للذين آمنوا: الذين أقروا لأمير المؤمنين ولنا أهل البيت: أي الفريقين خير مقامًا وأحسن نديًا، تعييرًا منهم، فقال الله ردًا عليهم: ﴿وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّن قَرۡنٍ﴾ - من الأمم السالفة - ﴿هُمۡ أَحۡسَنُ أَثَٰثٗا وَرِءۡيٗا﴾. قلت: قوله: ﴿مَن كَانَ فِي ٱلضَّلَٰلَةِ فَلۡيَمۡدُدۡ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ مَدًّا﴾ قال: كلهم كانوا في الضلالة لا يؤمنون بولاية أمير المؤمنين عليه السلام

ولا بولايتنا فكانوا ضالين مضلين، فيمدّ لهم في ضلالتهم وطغيانهم حتى يموتوا فيصيرهم الله شرّ مكانًا وأضعف جندًا، قلت: قوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوۡاْ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلۡعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ فَسَيَعۡلَمُونَ مَنۡ هُوَ شَرٌّ مَّكَانٗا وَأَضۡعَفُ جُندٗا﴾؟ قال: أما قوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوۡاْ مَا يُوعَدُونَ﴾ فهو خروج القائم وهو الساعة، فسيعلمون ذلك اليوم وما نزل بهم من الله على يدي قائمه، فذلك قوله: «من هو شر مكانًا (يعني عند القائم) وأضعف جندًا»، قلت: قوله: ﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ هُدٗىۗ﴾؟ قال: يزيدهم ذلك اليوم هدى على هدى باتباعهم القائم حيث لا يجحدونه ولا ينكرونه، قلت: قوله: ﴿لَّا يَمۡلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحۡمَٰنِ عَهۡدٗا﴾؟ قال: إلا من دان الله بولاية أمير المؤمنين والأئمة من بعده فهو العهد عند الله». قلت: قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا﴾؟ قال: ولاية أمير المؤمنين هي الود الذي قال الله تعالى، قلت: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرۡنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلۡمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوۡمٗا لُّدّٗا﴾؟ قال: إنّما يسره الله على لسانه حين أقام أمير المؤمنين عليه السلام علمًا، فبشر به المؤمنين وأنذر به الكافرين وهم الذين ذكرهم الله في كتابه لدًّا أي كفارًا، ..». قال: وسألته، عن قول الله: ﴿لِتُنذِرَ قَوۡمٗا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمۡ فَهُمۡ غَٰفِلُونَ﴾ قال: لتنذر القوم الذين أنت فيهم كما أنذر آباؤهم فهم غافلون عن الله وعن رسوله وعن وعيده» ﴿لَقَدۡ حَقَّ ٱلۡقَوۡلُ عَلَىٰٓ أَكۡثَرِهِمۡ﴾ (ممن لا يقرون بولاية أمير المؤمنين عليه السلام والأئمة من بعده) ﴿فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ بإمامة أمير المؤمنين والأوصياء من بعده، فلما لم يقروا كانت عقوبتهم ما ذكر الله» ﴿إِنَّا جَعَلۡنَا فِيٓ أَعۡنَٰقِهِمۡ أَغۡلَٰلٗا فَهِيَ إِلَى ٱلۡأَذۡقَانِ فَهُم مُّقۡمَحُونَ﴾ في نار جهنم، ثم قال: ﴿وَجَعَلۡنَا مِنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ سَدّٗا وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ سَدّٗا فَأَغۡشَيۡنَٰهُمۡ فَهُمۡ لَا يُبۡصِرُونَ﴾ عقوبة منه لهم حيث أنكروا ولاية أمير المؤمنين عليه السلام والأئمة من بعده هذا في الدنيا وفي الآخرة في نار جهنم مقمحون»، ثم قال: يا محمد ﴿وَسَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ بالله وبولاية علي ومن بعده ثم قال: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكۡرَ (**يعني أمير المؤمنين** عليه السلام) وَخَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ بِٱلۡغَيۡبِۖ فَبَشِّرۡهُ (**يا محمد**) بِمَغۡفِرَةٖ وَأَجۡرٖ كَرِيمٍ﴾. رواه الكليني، الكافي، باب فيه نكت ونتف من التنزيل.

والتأويل خاطئ، ذلك أنّ «ما الموصولية» تعود على العذاب أو الساعة، والآية تتوعد الكفار والمشركين وتخبرهم بأنّهم سيَرون ما يوعدون، ولقد وُعِدوا بأحد العذابين: عذاب الدنيا أو عذاب الآخرة أو بالاثنين معًا، وعند نزول عذاب الله أو قيام الساعة ورؤيتهم له رأي العين سيعلم الكافرون والمشركون، من هو شرّ مكانًا وأضعف ناصرًا. أمّا تأويل الآية على النحو الوارد في الحديث، فهو مجرد تحريف للكلم عن مواضعه، وإخضاع لآيات الله لنظريات البشر في الولاية.

وتتفق جلّ الروايات التي أوردها المفسرون بالمأثور، على أنّ «ما الموصولية» تعود على العذاب أو الساعة وقوله تعالى: ﴿فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا﴾ هو جواب الشرط على القائلين: ﴿أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾ فإذا رأوا ما يوعدون به من العذاب في الدنيا، أو عذاب الآخرة فسيعلمون، عند ذلك، من هو شرّ مكانًا من الفريقين وأضعف جندًا.

4. **تأويل الآية ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى﴾**: أوّل أهلُ الرواية والتأويل «الذين اهتد ا» في الآية السادسة والسبعين من سورة مريم: ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا﴾، على أنّها تعني الذين اتبعوا القائم؛ حيث ورد في تتمّة الحديث السابق: «قلت: قوله: ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى﴾؟ قال: يزيدهم ذلك اليوم هدى على هدى باتباعهم القائم حيث لا يجحدونه ولا ينكرونه، قلت: قوله: ﴿لَّا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾؟ قال: إلا من دان الله بولاية أمير المؤمنين والأئمة من بعده فهو العهد عند الله». قلت: قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾؟ قال: ولاية أمير المؤمنين هي الود الذي قال الله تعالى، قلت: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُّدًّا﴾؟ قال: إنّما يسره الله على لسانه حين أقام أمير المؤمنين عليه السلام علمًا، فبشر به المؤمنين وأنذر به الكافرين وهم الذين ذكرهم الله في كتابه لدًّا أي كفارًا، ..». قال: وسألته، عن قول الله: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ﴾ قال: لتنذر القوم الذين أنت فيهم كما أنذر آباؤهم فهم غافلون عن الله وعن رسوله وعن وعيده ﴿لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ **(ممن لا يقرون بولاية أمير**

المؤمنين عليه السلام والأئمة من بعده) ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ بإمامة أمير المؤمنين والأوصياء من بعده، فلما لم يقروا كانت عقوبتهم ما ذكر الله ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ﴾ في نار جهنم، ثم قال: ﴿وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ عقوبة منه لهم حيث أنكروا ولاية أمير المؤمنين عليه السلام والأئمة من بعده هذا في الدنيا وفي الآخرة في نار جهنم مقمحون»، ثم قال: يا محمد ﴿وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ بالله وبولاية علي ومن بعده ثم قال: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ **(يعني أمير المؤمنين عليه السلام)** وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ **(يا محمد)** بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾. رواه الكليني، الكافي، باب فيه نكت ونتف من التنزيل.

والتأويل خاطئ، ذلك أنّ دلالة الذين اهتدوا تنصرف إلى الذين اهتدوا لعبادة الله تعالى، ولم تتفرق بهم السبل عن سبيله، فلم يجعلوا السبل ثلاثة: سبيل الله وسبيل رسوله ﷺ وسبيل الأوصياء من ذرية علي وعلي رضي الله عنه. أمّا القول إنّ الاهتداء هو اتباع القائم، فهو مجرد إلباس للحق بالباطل وتحريف للكلم عن مواضعه، وإخضاع لآيات الله لنظريات البشر في الولاية والشفاعة.

وتتفق جلّ الروايات التي أوردها المفسرون بالمأثور، على أنّ ﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى﴾ تعني ويزيد الله من سلك سبيل الرشد هدى.

5. تأويل آية ﴿أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾: أوّل أهلُ الرواية والتأويل الآية الخامسة بعد المئة من سورة الأنبياء: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾، على أنّها تشير إلى عودة إمام الزمان؛ حيث أورد الطباطبائي في الميزان قوله في تفسير هذه الآية: «وفي تفسير القمي: وقوله: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ﴾ قال الكتب كلها ذكر ﴿أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾ قال: القائم وأصحابه قال: والزبور فيه ملاحم والتحميد والتمجيد والدعاء. أقول: والروايات في المهدي عليه السلام وظهوره وملئه الأرض قسطًا وعدلًا بعدما ملئت ظلمًا وجورًا من طرق العامة والخاصة عن النبي صلى الله عليه وآله وأئمة أهل البيت عليهم السلام بالغة حدّ التواتر، من أراد الوقوف عليها فليراجع مظانها من كتب العامة والخاصة».

وهذا تأويل خاطىء، ذلك أنّه يقيّد المطلق ويخصص العام، فالآية لا تزيد عن القول بأنّ الأرض سيرثها عباد الله الصالحون، وهو قانون سماوي أزلي ويتصف بالديمومة، يقضي بأنّ الله تعالى سيقضي على الطغاة والمفسدين في الأرض ويستخلف فيها عباده الصالحين: ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓاْ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾[1]، ﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُواْ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا﴾[2]، ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ﴾[3]، ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمْثَٰلَكُم﴾[4]، وكذلك ﴿كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾[5]. ﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا﴾[6]. ومن ثم فالآية تتحدث عن أنّ الله سبحانه وتعالى كلما فسقت وطغت أمة استبدلها بأمة غيرها، ولا علاقة لهذه الآية بأسطورة إمام الزمان، الذي يعيش آلاف السنين مطلًا علينا في عليائه، ويسخّن خارج الملعب ليأتي إلينا في آخر المباراة، ليسجل الأهداف النهائية ويرث هو وأتباعه الأرض ومن عليها.

ويتفق جلّ المفسرين بالمأثور بأنّ دلالة الآية تنصرف إلى أنّ عباد الله الصالحين في المطلق سيرثون الأرض سواءً كانت أرض الدنيا أو أرض الآخرة أي الجنة.

6. **تأويل آية** ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُواْ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُواْ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾: أوّل أهلُ الرواية والتأويل الآية الحادية والخمسين من سورة سبأ: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُواْ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُواْ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ على أنّها تشير إلى عودة إمام الزمان؛ حيث أورد الطبرسي في مجمع البيان في معرض تفسيره للآية قوله: «المعنى: ثم قال سبحانه

---

(1) سورة الأعراف، الآية: 128.
(2) سورة الأعراف، الآية: 137.
(3) سورة النور، الآية: 55.
(4) سورة محمد، الآية: 38.
(5) سورة الشعراء، الآية: 59.
(6) سورة الأحزاب، الآية: 27.

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ﴾ يا محمد ﴿إِذْ فَزِعُواْ﴾ أي عند البعث ﴿فَلَا فَوْتَ﴾ أي فلا يفوتني منهم أحد ولا ينجو مني ظالم ﴿وَأُخِذُواْ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ يعني القبور وحيث كانوا فهم من الله قريب لا يفوتونه، وجواب لو محذوف ويدل الكلام عليه والتقدير لرأيت أمرًا عظيمًا. وقيل: إذ فزعوا في الدنيا حين رأوا بأس الله عند معاينة الملائكة لقبض أرواحهم عن قتادة. وقيل: هو فزعهم يوم بدر حين ضربت أعناقهم فلم يستطيعوا فرارًا من العذاب ولا رجوعًا إلى التوبة عن الضحاك والسدي. وقال أبو حمزة الثمالي: سمعت علي بن الحسين عليه السلام والحسن بن الحسن بن علي عليه السلام هم يقولان هو جيش البيداء يؤخذون من تحت أقدامهم».

والتأويل الذي أورده الطبرسي والمتعلق بجيش البيداء خاطئ وهو مجرد محاكاة لما قاله الطبري في جامع البيان: «إن المراد بذلك جيش يخسف بهم بين مكة والمدينة في أيام بني العباس». وجيش البيداء هو جيش يظهر زمن ظهور الإمام المهدي كما تقول نظرية إمام الزمان، والجيشان جيش الطبرسي وجيش ابن جرير لا بيّنة ولا سلطان على ظهورهما.

وتتفق جلّ الروايات الواردة في كتب التفسير بالمأثور، على أنّ دلالة الآية تنصرف إلى فزع الكفار والمشركين من يوم القيامة، الذين سيؤخذون بيسر ولن يجدوا مهربًا من عذاب الله حينئذٍ.

7. تأويل آية ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾: أوّل أهلُ الرواية والتأويل «البشرى» في الآية الثامنة والعشرين من سورة الفتح: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ على أنّها تعني أنّ الدّين سيظهر على غيره من الأديان عند ظهور المهدي؛ حيث أورد الطبرسي في مجمع البيان في معرض تفسيره للآية قوله: «ثم قال سبحانه ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ﴾ يعني محمدًا ﴿بِٱلْهُدَىٰ﴾ أي بالدليل الواضح والحجة الساطعة. وقيل: بالقرآن ﴿وَدِينِ ٱلْحَقِّ﴾ أي الإسلام ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ أي ليظهر دين الإسلام بالحجج والبراهين على جميع الأديان. وقيل: بالغلبة والقهر والانتشار في البلدان. وقيل: إنّ تمام ذلك عند خروج المهدي عليه السلام فلا يبقى في الأرض دين سوى دين الإسلام ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ بذلك».

والتأويل خاطئ، ذلك أنّ الآية التي تسبقها تعد النبيّ ﷺ بفتح مكة، ثم إنّه ليس ثمّة في الآية أية إشارة إلى الإمام المهدي، لتنصرف دلالة الآية إلى ما ذهب إليه الطبرسي.

وتتفق جلّ الروايات الواردة في كتب التفسير على أنّ دلالة الآية تنصرف إلى إظهار دين الإسلام على جميع أديان أهل الأرض، دون تقييد ذلك بظهور المهدي.

8. **تأويل الآيات** ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْاْ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا﴾، ﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴿10﴾ وَذَرْنِى وَٱلْمُكَذِّبِينَ أُوْلِى ٱلنَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا﴾، ﴿لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنًا وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾: أوّل أهلُ الرواية والتأويل «رأوا ما يوعدون» في الآية الرابعة والعشرين من سورة الجن: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْاْ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا﴾، على أنّها تعني القائم وأنصاره. وكذلك أوّلوا ﴿وَذَرْنِى وَٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ في الآية العاشرة من سورة المزمل: ﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴿10﴾ وَذَرْنِى وَٱلْمُكَذِّبِينَ أُوْلِى ٱلنَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا﴾، على أنّها تعني المكذبين بالوصي. وكذلك أوّلوا ﴿لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ﴾ في الآية: ﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنًا وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾، على أنّها التيقن من أنّ الوصي حق. كما أوّلوا ويزداد الذين آمنوا إيمانًا في نفس الآية، على أنّها تعني يزدادون بولاية الوصي إيمانًا؛ حيث أورد الكليني في الكافي حديثًا نسبه إلى محمد بن الفضيل قال فيه: «عن أبي الحسن الماضي عليه السلام قال: سألته عن قول الله عزَّ وجلّ: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾ قال: يريدون ليطفئوا ولاية أمير المؤمنين عليه السلام بأفواههم، قلت: ﴿وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ﴾ قال: والله متم الإمامة، لقوله عزَّ وجلّ: ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا﴾ فالنور هو الإمام، قلت: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ﴾ قال: هو الذي أمر رسوله بالولاية لوصيه والولاية هي دين الحق، قلت: ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ قال: يظهره على جميع الأديان عند قيام القائم، قال: يقول الله: ﴿وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ **«ولاية القائم»** وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ بولاية علي، قلت: هذا تنزيل؟ قال: نعم أمّا هذا الحرف

فتنزيل وأما غيره فتأويل، قلت: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ﴾ قال: إنّ الله تبارك وتعالى سمى من لم يتبع رسوله في ولاية وصيه منافقين وجعل من جحد وصيه إمامته كمن جحد محمدًا وأنزل بذلك قرآنًا فقال يا محمد ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ **(بولاية وصيك)** قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ **(بولاية علي)** لَكَٰذِبُونَ ⑴ ٱتَّخَذُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ **(والسبيل هو الوصي)** إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ⑵ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُواْ **(برسالتك)** ثُمَّ كَفَرُواْ **(بولاية وصيك)** فَطُبِعَ (الله) عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ قلت: ما معنى لا يفقهون؟ قال: يقول: لا يعقلون بنبوتك، قلت: ﴿أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ قال: إنّ الله ضرب مثل من حاد عن ولاية علي كمن يمشي على وجهه لا يهتدي لأمره وجعل من تبعه سويًّا على صراط مستقيم، والصراط المستقيم أمير المؤمنين عليه السلام. قال: قلت: قوله: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾؟ قال: يعني جبرائيل عن الله في ولاية علي عليه السلام، قال: قلت: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ﴾؟ قال: قالوا: إن محمدًا كذب على ربه وما أمره الله بهذا في علي، فأنزل الله بذلك قرآنًا فقال: ﴿**(إن ولاية علي)** تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ⑷⑶ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا **(محمد)** بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ⑷⑷ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ⑷⑸ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ﴾ ثم عطف القول فقال: ﴿وَإِنَّهُۥ **(ولاية علي)** لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ⑷⑻ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ⑷⑼ وَإِنَّهُۥ **(عليًّا)** لَحَسْرَةٌ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ⑸⓪ وَإِنَّهُۥ **(ولايته)** لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ ⑸⑴ فَسَبِّحْ **(يا محمد)** بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾ يقول اشكر ربك العظيم الذي أعطاك هذا الفضل، قلت: قوله: ﴿لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾؟ قال: الهدى الولاية، آمنا بمولانا فمن آمن بولاية مولاه، ﴿فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا﴾ قلت: تنزيل؟ قال: لا تأويل، قلت: قوله: ﴿لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾ قال: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله دعا الناس إلى ولاية علي فاجتمعت إليه قريش، فقالوا يا محمد اعفنا من هذا، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وآله: هذا إلى الله ليس إلي، فاتهموه وخرجوا من عنده فأنزل الله ﴿قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ⑵⑴ قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ **(إن عصيته)** أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ⑵⑵ إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ ۚ **(في علي)**﴾ قلت، هذا تنزيل؟ قال: نعم، ثم قال توكيدًا: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ **(في ولاية علي)** فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾.

قلت: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوۡاْ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعۡلَمُونَ مَنۡ أَضۡعَفُ نَاصِرٗا وَأَقَلُّ عَدَدٗا﴾ يعني بذلك القائم وأنصاره. قلت: ﴿وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ (قال يقولون فيك) وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرٗا جَمِيلٗا ⑩ وَذَرۡنِي (يا محمد) وَٱلۡمُكَذِّبِينَ (بوصيك) أُوْلِي ٱلنَّعۡمَةِ وَمَهِّلۡهُمۡ قَلِيلًا﴾ قلت: إنّ هذا تنزيل؟ قال: نعم. قلت: ﴿لِيَسۡتَيۡقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾؟ قال: يستيقنون أنّ الله ورسوله ووصيه حق، قلت: ﴿وَيَزۡدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنٗا﴾؟ قال: ويزدادون بولاية الوصي إيمانًا». قلت: ﴿وَلَا يَرۡتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ قال بولاية علي عليه السلام قلت: ما هذا الارتياب؟ قال يعني بذلك أهل الكتاب والمؤمنين الذين ذكر الله فقال: ولا يرتابون في الولاية، قلت: ﴿وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡبَشَرِ﴾؟ قال: نعم ولاية علي عليه السلام، قلت: ﴿إِنَّهَا لَإِحۡدَى ٱلۡكُبَرِ﴾ قال: الولاية». قلت: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَتَقَدَّمَ أَوۡ يَتَأَخَّرَ﴾؟ قال: من تقدم إلى ولايتنا أخر عن سقر ومن تأخر عنا تقدم إلى سقر ﴿إِلَّآ أَصۡحَٰبَ ٱلۡيَمِينِ﴾ قال: هم والله شيعتنا، قلت: ﴿لَمۡ نَكُ مِنَ ٱلۡمُصَلِّينَ﴾؟ قال: إنّا لم نتول وصي محمد والأوصياء من بعده ـ ولا يصلون عليهم ـ، قلت: ﴿فَمَا لَهُمۡ عَنِ ٱلتَّذۡكِرَةِ مُعۡرِضِينَ﴾؟ قال: عن الولاية معرضين، قلت: ﴿كَلَّآ إِنَّهَا تَذۡكِرَةٞ﴾؟ قال: الولاية». قلت: قوله: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ﴾؟ قال: يوفون لله بالنذر الذي أخذ عليهم في الميثاق من ولايتنا، قلت: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ تَنزِيلٗا﴾؟ قال: بولاية علي عليه السلام تنزيلا، قلت: هذا تنزيل؟ قال: نعم ذا تأويل، قلت: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذۡكِرَةٞ﴾؟ قال: الولاية، قلت: ﴿يُدۡخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحۡمَتِهِۦ﴾؟ قال: في ولايتنا، قال: ﴿وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمَۢا﴾ ألا ترى أنّ الله يقول: ﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾ قال: إنّ الله أعز وأمنع من أن يظلم أو ينسب نفسه إلى ظلم ولكن الله خلطنا بنفسه فجعل ظلمنا ظلمه وولايتنا ولايته ثم أنزل بذلك قرآنًا على نبيه فقال: ﴿وَمَا ظَلَمۡنَٰهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾، قلت: هذا تنزيل؟ قال: نعم» قلت: ﴿فَوَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ﴾ قال: يقول: ويل للمكذبين يا محمد بما أوحيت إليك من ولاية [علي بن أبي طالب عليه السلام] ﴿أَلَمۡ نُهۡلِكِ ٱلۡأَوَّلِينَ ⑯ ثُمَّ نُتۡبِعُهُمُ ٱلۡأٓخِرِينَ﴾ قال: الأولين الذين كذبوا الرسل في طاعة الأوصياء ﴿كَذَٰلِكَ نَفۡعَلُ بِٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ قال: من أجرم إلى آل محمد وركب من وصيه ما ركب، قلت: ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾؟ قال: نحن والله وشيعتنا ليس على ملّة إبراهيم غيرنا وسائر الناس منها برآء،

قلت ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ...﴾ الآية قال: نحن والله المأذون لهم يوم القيامة والقائلون صوابًا، قلت: ما تقولون إذا تكلمتم؟ قال: نمجد ربنا ونصلي على نبينا ونشفع لشيعتنا، فلا يردنا ربنا، قلت: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ﴾ قال: هم الذين فجروا في حق الأئمة واعتدوا عليهم، قلت: ثم يقال: ﴿هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾؟ قال: يعني أمير المؤمنين، قلت: تنزيل؟ قال: نعم، ثم قال توكيدًا: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ **(في ولاية علي)** فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾، قلت: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْاْ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا﴾ يعني بذلك القائم وأنصاره. قلت: ﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ **(قال يقولون فيك)** وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ⑩ وَذَرْنِى **(يا محمد)** وَٱلْمُكَذِّبِينَ **(بوصيك)** أُوْلِى ٱلنَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا﴾ قلت: إنّ هذا تنزيل؟ قال: نعم. قلت: ﴿لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ﴾؟ قال: يستيقنون أنّ الله ورسوله ووصيه حق، قلت: ﴿وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنًا﴾؟ قال: ويزدادون بولاية الوصي إيمانًا». رواه الكليني، الكافي، باب فيه نكت ونتف من التنزيل.

والتأويل خاطئ، ذلك ﴿مَا يُوعَدُونَ﴾ تنصرف إلى العذاب، سواءً عذاب الدنيا أو عذاب الآخرة، و﴿وَذَرْنِى وَٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ تنصرف إلى المكذبين بالتنزيل وبدين الله، و﴿لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ﴾ بالتنزيل الذي أتاهم بعد تعزيزه بالتنزيل الذي أنزل على محمد ﷺ، وتصديقه لما ورد في الكتب السابقة، بما في ذلك المثل الذي ضربه تعالى في هذه الآيات فيزداد الذين آمنوا بذلك إيمانًا.

أمّا تأويل الآيات على النحو الوارد في الحديث فلا يستقيم، ولا يتجاوز كونه تحريفًا للكلم عن مواضعه، وليًّا لعنق النص أو الآية لإخضاعها لنظريات البشر في الولاية.

وتتفق جلّ الروايات التي أوردها المفسرون بالمأثور على أنّ دلالة «ما يوعدون» تنصرف إلى عذاب الدنيا أو عذاب الآخرة وهما يوم بدر أو يوم القيامة وتنصرف «ما الموصولية» في ﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ إلى أذى كفار مكة وصدهم عن الدعوة، وعلى أنّ دلالة ﴿لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ﴾ أي ليستبين اليهود صِدق النبيّ ﷺ وذلك لورود التسعة عشر في كتابهم وليزداد الذين آمنوا إيمانًا أي تصديقًا لما أتى به النبي ﷺ.

9. **تأويل آية** ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ﴾: أوّل أهلُ الرواية والتأويل الآية الثامنة من سورة المدثر: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ ﴿8﴾ فَذَٰلِكَ يَوۡمَئِذٖ يَوۡمٌ عَسِيرٌ ﴿9﴾ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ غَيۡرُ يَسِيرٖ﴾، على أنّها تعني ظهور الإمام الغائب، حيث أورد الكليني في الكافي حديثًا نسبه إلى المفضل بن عمر قال فيه: «عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: «فإذا نقر في الناقور» قال: إن منا إمامًا مظفرًا مستطرًا، فإذا أراد الله عز ذكره إظهار أمره، نكت في قلبه نكتة فظهر فقام بأمر الله تبارك وتعالى». رواه الكليني، الكافي، باب في تسمية من رآه عليه السلام.

وتأويل الآية على أنّها تتعلق بظهور إمام الزمان هو تأويل خاطئ، فالنقر في الآية يتم في يوم عسير، على الكافرين غير يسير، واليوم العسير على الكافرين في المطلق هو يوم القيامة، والنقر في الناقور على شاكلة النفخ في الصور يكون إيذانًا بيوم الحساب، أمّا القول إنّ الآية تنصرف إلى ظهور إمام الزمان، فهو يخضع الآية لنظريات البشر في الولاية دون بيّنة أو سلطان: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۗ﴾[1].

ويتفق جلّ المفسرين بالمأثور على أنّ النقر في الناقور إيذانًا بالبعث من القبور واستعدادًا ليوم الحساب.

10. **تأويل آية** ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ﴿15﴾ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ﴾: أوّل أهلُ الرواية والتأويل الآية الخامسة عشرة من سورة التكوير: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ﴿15﴾ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ﴾، على أنّها تعني الإشارة إلى ظهور إمام الزمان؛ حيث أورد الكليني حديثًا نسبه إلى أم هاني قالت فيه: «سألت أبا جعفر محمد بن علي عليهما السلام، عن قول الله تعالى: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ﴿15﴾ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ﴾ قالت: فقال: إمام يخنس سنة ستين ومائتين، ثم يظهر كالشهاب يتوقد في الليلة الظلماء، فإنّ أدركت زمانه قرت عينك». رواه الكليني، الكافي، باب في تسمية من رآه عليه السلام.

والحديث يهدف إلى تحريف دلالة الآية، لتتوافق ونظرية إمام الزمان، وتأويل الآية على أنّها تدل على إمام الزمان هو تأويل خاطئ، حيث ليس ثمّة

(1) سورة آل عمران، الآية: 7.

ما يوحي بهذه الدلالة في الآية، غير أنّ الذين في قلوبهم زيغ يتبعون ما تشابه منــــه: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ﴾، حيث يمكن لأيّ مدّعٍ للنبوّة الاستدلال بهذه الآية، والقول بأنّه هو من يخنس، ولقد سن هذا القولُ سنة سيئة لعلي بن محمد رضا الشيرازي زعيم البابية، وللميرزا حسين علي النوري زعيم البهائية وغيرهم من منتحلي النبوّة، وسهّل على كل منهما الادعاء بأنّه تارة المهدي وأخرى أنّه نبيٌّ جديد.

وتتفق جلّ كتب التفسير بالمأثور على أنّ «الخنس» ينصرف إلى النجوم؛ حيث تظهر في السماء وتختفي، فتظهر في الليل وتختفي في النهار، كما قد تخفيها السحب. ثم إنّه من علامات وضع الحديث أن واضع الحديث كان يتوقع ظهور الإمام عام 260 هجري بينما لم تسجل لنا وقائع التاريخ ظهوره حتى اليوم.

خاتمة المبحث:

جدول التحريف رقم (1 ـ 9):

التأويلات المتعلقة بنظرية إمام الزمان:

الكَلِم	الدلالة المحرّفة	الدلالة الأصلية
﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا۟ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا﴾	ولكل وجهة هو مولّيها فاستبقوا الخيرات أين ما تكونوا «شيعة الأئمة من ولد علي وعلي» يأت بكم الله لإمام الزمان.	ولكل وجهة هو مولّيها فاستبقوا الخيرات أيها العباد، أين ما تكونوا يأت بكم الله يوم القيامة.
﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾	لهم البشرى من الإمام فيبشرهم بقيام القائم، وبظهوره، وبقتل أعدائهم في الحياة الدنيا. ويبشرهم بالنجاة في الآخرة والورود على محمد والأوصياء «من ولد علي وعلي» على الحوض.	لأولياء الله «الذين آمنوا وكانوا يتقون» البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة وهو ما يعني الثواب والسعادة في الدارين.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوۡاْ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلۡعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ فَسَيَعۡلَمُونَ مَنۡ هُوَ شَرّٞ مَّكَانٗا وَأَضۡعَفُ جُندٗا﴾	حتى إذا شهدوا خروج القائم، وهو الساعة، فسيعلمون ذلك اليوم ما نزل بهم من الله على يدي قائمه.	حتى إذا حل بهم عذاب الدنيا أو شهدوا قيام الساعة علموا من هو شر مكانًا وأضعف جندًا.
﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ هُدٗىۗ﴾	ويزيد الله الذين اهتدوا لولاية الأوصياء من ولد علي وعلي يزيدهم ذلك اليوم هدى على هدى باتباعهم القائم حيث لا يجحدونه ولا ينكرونه.	ويزيد الله الذين آمنوا بالله هدى.
﴿أَنَّ ٱلۡأَرۡضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾	أن الأرض يرثها القائم وأصحابه.	أنّ الأرض يرثها عباد الله الصالحون دون تحديد لعرق أو لون أو نسب.
﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ فَزِعُواْ فَلَا فَوۡتَ وَأُخِذُواْ مِن مَّكَانٖ قَرِيبٖ﴾	ولو ترى إذ فزعوا أمام جيش البيداء فيؤخذون من تحت أقدام جنود إمام الزمان.	ولو ترى إذا فزع الكفار والمشركين يوم القيامة، وأخذوا جميعًا بيسر ودون أن يجدوا مهربًا من عذاب الله.
﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا﴾	هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الإسلام ليظهره على الدين كله عند خروج المهدي عليه السلام فلا يبقى في الأرض دين سوى دين الإسلام وكفى بالله شهيدًا بذلك.	هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق لتكون له الغلبة والظهور على الدين كله وكفى بالله شهيدًا بذلك.
﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوۡاْ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعۡلَمُونَ مَنۡ أَضۡعَفُ نَاصِرٗا وَأَقَلُّ عَدَدٗا﴾	حتى إذا رأوا القائم وأنصاره فسيعلمون من أضعف ناصرًا وأقل عددًا.	حتى إذا رأوا العذاب فسيعلمون من أضعف ناصرًا وأقل عددًا.
﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ﴾	فإذا نقر في الناقور ظهر إمام الزمان	فإذا نقر في الناقور وهو ما يشبه النفخ في الصور فيكون إيذانًا بيوم الحساب.
﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ﴿١٥﴾ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ﴾	فلا أقسم بإمام يخنس سنة ستين ومئتين، ثم يظهر كالشهاب يتوقد في الليلة الظلماء.	فلا أقسم بالنجوم؛ حيث تسبح في فلك لها، فتظهر في السماء وتختفي.

التعليق:

أوّل المتأوّلون الآيات التي تناولناها آنفًا على نحو ما أنزل الله بها من سلطان، لتعزز نظرية إمام الزمان، وعلى ضوء ذلك أوّلت الآية الثامنة والأربعون بعد المئة من سورة البقرة على أنها تعني أنّ الله تعالى سيجمع إلى الإمام المهدي جميع شيعة الأئمة من أقطار الأرض، كما أوّلت «فلهم البشرى» العائدة على الذين آمنوا لتعني البشرى بظهور القائم، و﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوۡاْ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلۡعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ﴾ صارت تعني ظهور إمام الزمان، و﴿فَسَيَعۡلَمُونَ مَنۡ هُوَ شَرّٞ مَّكَانٗا وَأَضۡعَفُ جُندٗا﴾ صارت تعني سيعلمون ذلك أمام القائم، و﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ هُدٗىۗ﴾ صارت تعني باتباعهم القائم، و﴿أَنَّ ٱلۡأَرۡضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾ صارت تعني عودة إمام الزمان، و﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوۡاْ مَا يُوعَدُونَ﴾ صارت تعني إذا رأوا القائم، و﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ﴾ صارت تعني ظهور إمام الزمان، و﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ﴿15﴾ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ﴾ صارت تعني الإشارة إلى إمام الزمان!

- عاشرًا -
التأويلات المتعلقة بخصوم الأئمة وشيعتهم

1. تأويل آية ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا﴾: أوّل أهلُ الرواية والتأويل الآية الرابعة والتسعين من سورة النساء: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾، على أنّها تنصرف إلى من قتل مؤمنًا على دينه؛ حيث أورد الكاشاني في الصافي في معرض تفسيره للآية قوله: «وفيه وفي المعانيّ والعياشي عنه عليه السلام من قتل مؤمنًا على دينه فذلك المتعمد الذي قال الله عزّ وجلّ في كتابه، ﴿وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾، قيل والرجل يقع بين الرجل وبينه شيء فيضربه بالسيف فيقتله قال ليس ذلك المتعمد الذي قال الله عزّ وجلّ ﴿فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ﴾.

وهذا تأويل خاطئ، ذلك أنّ الآية تشرّع للمؤمنين ولا تشرّع للكافرين والمشركين، فالمشركون والكافرون جزاؤهم جهنم على كفرهم وشركهم حتى دون قتلهم للمؤمنين، وما يعزز القول بأنّ الآية تشرّع للمؤمنين قول الله تعالى في الآية السابقة لهذه الآية: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا﴾. والمؤمن لا يقتل مؤمنًا على دينه، بل يقتله على جاه أو مال، أو على نزاع أو خلاف مذهبي أو قبلي أو طائفي أو غيره، وهذا ما تنصرف إليه دلالة الآية. وتأويل الآية على النحو الذي أورده الكاشاني ينصرف، وفقًا لمعتقدات أهل الرواية والتأويل، إلى إحدى دلالتين: تنصرف الأولى إلى من يقتل مؤمنًا من شيعة الأئمة؛ فهؤلاء يقاتلون عن دينهم، حين يقاتلون نصرة لأئمتهم وفقًا لتأويلات مدرسة الرواية والتأويل. والثانية تنصرف إلى تبرئة قتل الشيعة لخصومهم من المؤمنين، الذين لا يقاتلون عن

دينهم وفقًا لتأويلات أهل الرواية والتأويل، بل يقاتلون طلبًا للجاه أو تزلفًا لخلفاء بني أمية وبني العباس. وهذا التأويل لا يتجاوز كونه ليًّا لعنق النص القرآني لإخضاعه لنظريات البشر في الولاية.

2. تأويل آية ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ﴾: أوّل أهلُ الرواية والتأويل «ما الموصولية» في الآية الثالثة والعشرين من سورة الحديد: ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾، على أنّها تعني في الجملة الأولى ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ﴾ مما خصّ به الأئمة، وتعني في الثانية و﴿وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ۗ﴾ أي ما أوتي بعضكم خلال الفتنة التي عرضت لكم؛ حيث أورد الكاشاني في تفسيره الصافي قوله في معرض تفسيره للآية: «وعن الباقر عليه السلام نزلت في أبي بكر وأصحابه واحدة مقدّمة وواحدة مؤخّرة لا تأسَوْا عَلى ما فاتكم ممّا خصّ به عليّ بن أبي طالب عليه السلام ولا تفرحوا بما آتاكم من الفتنة التي عرضت لكم بعد رسول الله صلّى الله عليه وآله ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ فيه إشعار بأنّ المراد بالأسى الأسى المانع عن التسليم لأمر الله وبالفرح الفرح الموجب للبطر والاحتيال إذ قلّ من يثبت نفسه حال الضرّاء والسرّاء».

والتأويل خاطئ، ذلك أنّه يقيّد المطلق ويخصص العام، فالنهي الإلهي في الحالتين ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ﴾ و﴿وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ۗ﴾ تنصرف إلى ضرورة أن يسّلم المسلم بالقضاء والقدر، فلا يتأسف على ما فاته ولا يفرح بما أوتي في هذه الدنيا على نحو مطلق. والآية السابقة لهذه الآية تقول: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا ۚ﴾ وهو ما يؤكد هذه الدلالة للآية. أمّا تأويل الآية على النحو الوارد في الصافي، فهو من قبيل المساجلات المذهبية بين أهل الرواية والتأويل وأهل الحديث والنسخ، ولا يتجاوز كونه مجرد تحريف للكلم عن مواضعه، وإخضاع لآيات الله لنظريات البشر في الولاية.

ويتفق جلّ المفسرين بالمأثور على أنّ ما الأولى تنصرف إلى ما فاتكم من مغانم الدنيا والثانية تنصرف إلى ما آتاكم من مباهجها.

3. **تأويل آية السلسلة**: أوّل أهلُ الرواية والتأويل الآيات من الخامسة والعشرين إلى الثانية والثلاثين من سورة الحاقة: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿25﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿26﴾ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿27﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ ﴿28﴾ هَلَكَ عَنِّى سُلْطَٰنِيَهْ ﴿29﴾ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿30﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿31﴾ ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ﴾، على أنّها نزلت في معاوية، واعتبروا معاوية هو صاحب السلسلة؛ حيث أورد الكاشاني في تفسيره الصافي: «(25) وأمّا من أوتي كتابه بشماله القمّي قال نزلت في معاوية فيقول يا ليتني لم أوت كتابيه (26) ولم أدر ما حسابيه يقولها لما يرى من سوء العاقبة (27) يا ليتها يا ليت الموتة التي متها كانت القاضية القاطعة لأمري فلم أبعث بعدها (28) ما أغنى عني ماليه من المال، واتبع القمّي يعني ماله الذي جمعه(29) هلك عني سلطانيه قيل ملكي وتسلطي على الناس (30) خذوه يقال لخزنة النار خذوه فغلوه (31) ثم الجحيم صلّوه (32) ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعًا فاسلكوه. وفي الكافي عنه عليه السلام ـ يقصد الصادق ـ وكان معاوية صاحب السلسلة التي قال عنها الله عزَّ وجلّ ﴿فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا﴾ الآية قال وكان فرعون هذه الأمة. وفي البصائر عن الباقر عليه السلام قال: كنت خلف أبي وهو على بغلته فنفرت بغلته فإذا هو شيخ في عنقه سلسلة ورجل يتبعه فقال: يا علي بن الحسين اسقني فقال الرجل: لا تسقه لا سقاه الله. قال: وكان الشيخ معاوية. وعنه عليه السلام أنه نزل وادي ضجنان فقال ثلاث مرات لا غفر الله لك، ثم قال لأصحابه أتدرون لم قلت ما قلت؟ فقالوا لم قلت؟ جعلنا الله فداك قال مرّ بي معاوية بن أبي سفيان يجرّ في سلسلة قد أدلى لسانه يسألني أن أستغفر له وأنّه ليقال إنّ هذا وادي من أودية جهنم والقميّ قال معنى السلسلة سبعون ذراعًا في الباطن هم الجبابرة السبعون».

وهذا تأويل خاطئ، يخصص ما هو عام ويقيد ما هو مطلق، فالآيات تنقل لنا مشهد من مشاهد يوم الدين، والحالة التي تعبّر عنها الآية هي حالة كافة الذين يؤتون كتبهم بشمالهم، من المحاسبين يوم الدّين دون تخصيص. وقَصْرُها على معاوية يأتي في إطار المساجلات المذهبية، ويعد تحريفًا للكلم عن مواضعه، حتى لو افترضنا كون معاوية بالفعل ضمن الذين يؤتون كتبهم

بشمالهم، وهو أمر لا يستطيع المخلوقون البتّ فيه، فالأمر يومئذ لله تعالى وليس للمتأوّلين ولا لغيرهم من الخلق .

ولم يرد في كتب التفسير بالمأثور، من غير كتب الشيعة من ذهب هذا المذهب في تأويل هذه الآية.

4. تأويل آية ﴿وَشَارِكْهُمْ فِي ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ﴾: أوّل أهلُ الرواية والتأويل الآية الرابعة والستين من سورة الإسراء: ﴿وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا﴾، على أنّها تعني مشاركة الشيطان مبغضي علي رضي الله عنه في الأموال والأولاد؛ حيث أورد المجلسي في بحار الأنوار: «كنّا بمنى مع رسول الله ﷺ، إذ أبصرنا برجل وهو ساجد وراكع ومتضرع، فقلنا يا رسول الله ما أحسن صلاته! فقال رسول الله هو الذي أخرج أباكم من الجنّة، فمضى إليه علي عليه السلام غير مكترث فهزه هزةً أدخل أضلاعه اليمنى في اليسرى واليسرى في اليمنى ثم قال : لأقتلنّك إن شاء الله فقال: لن تقدر على ذلك إلى أجل معلوم عند ربي ما لك تريد قتلي؟ فوالله ما أبغضك أحد إلّا سبقت نطفتي إلى رحم أمه قبل نطفة أبيه، ولقد شاركت مبغضيك في الأموال والأولاد وهو قوله تعالى ﴿وَشَارِكْهُمْ فِي ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ﴾. المجلسي، بحار الأنوار، كتاب تاريخ النبيّ محمد ﷺ، باب معجزاته ﷺ في إطاعة الأرضيات من الجمادات والنباتات له وتكلمها معه.

والتأويل خاطئ، ذلك أنّه يستند إلى حديث مطعون في صحته، والطعن في صحة الحديث يستند إلى الأسباب التالية:

الأول ـ تناقض الحديث مع القرآن، فالقرآن يقول بأنّ الشيطان لا يراه البشر: ﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾[1].

الثاني ـ إنّ الجن والبشر يختلفون في الخلقة، ومن هناك فمن غير المتاح التواصل الجنسي بينهما، ولا أن ينتج عن ذلك التواصل أولاد.

---

(1) سورة الأعراف، الآية: 27.

ومن هناك فالتأويل خاطئ، ذلك أنّ مشاركة الشيطان في الأموال والأولاد يتأتى بمجرد القول على طريقة قارون ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ﴾، أو أن ينفق المال على غير طاعة الله تعالى، أو أنْ يتم تنشئة الأولاد على غير طاعة الله تعالى. وبتعبير آخر فإنّ مشاركة الشيطان في الأموال تكون بالكسب الحرام، فكل ما كسبه المرء من حرام كان الشيطان شريكًا له فيه، ذلك أنّه من وسوس لكاسبه بطريقة كسبه، وكل أولاد ولدوا من سفاح فالشيطان شريك فيهم، ذلك أنّ الزناة كانوا يطيعونه حين مارسوا الخطيئة.

وتتفق كتب التفسير بالمأثور على أنّ مشاركة الشيطان للعباد في الأموال والأولاد تتحقق في كل مال أُخذ بغير حق وأنفق في غير طاعة الله تعالى، ومشاركته في الأولاد تتحقق حين يكونون أولاد زنا. وإجمالًا فإنّ التأويل يرمي إلى تطويع الآية لنظريات البشر في الولاية، وما ترتّب عنها من نظريات تعلي من شأن علي رضي الله عنه وشيعته، وتقلل من شأن خصومهم من المسلمين.

5. تأويل آية ﴿أَوۡ كَظُلُمَٰتٖ فِي بَحۡرٖ لُّجِّيّٖ﴾: أوّل أهلُ الرواية والتأويل «الظلمات» في الآية الأربعين من سورة النور: ﴿أَوۡ كَظُلُمَٰتٖ فِي بَحۡرٖ لُّجِّيّٖ يَغۡشَىٰهُ مَوۡجٞ مِّن فَوۡقِهِۦ مَوۡجٞ مِّن فَوۡقِهِۦ سَحَابٞۚ ظُلُمَٰتُۢ بَعۡضُهَا فَوۡقَ بَعۡضٍ إِذَآ أَخۡرَجَ يَدَهُۥ لَمۡ يَكَدۡ يَرَىٰهَاۗ وَمَن لَّمۡ يَجۡعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورٗا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾، على أنّها تنصرف إلى الخلفاء الذين نازعوا عليًا الخلافة؛ حيث أورد الكليني في الكافي حديثًا نسبه إلى صالح بن سهل الهمداني قال فيه: «قال أبو عبد الله عليه السلام في قول الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ﴾ فاطمة عليها السلام فيها مصباح الحسن المصباح في زجاجة الحسين الزجاجة كأنها كوكب دري فاطمة كوكب دري بين نساء أهل الدنيا يوقد من شجرة مباركة إبراهيم عليه السلام ﴿زَيۡتُونَةٖ لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ﴾ لا يهودية ولا نصرانية ﴿يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ﴾ يكاد العلم ينفجر بها ولو لم تمسسه نار ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖۗ﴾ إمام منها بعد إمام ﴿يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ﴾ يهدي الله للأئمة من يشاء ﴿وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَٰلَ لِلنَّاسِ﴾، قلت: أو كالظلمات قال: الأول وصاحبه ﴿يَغۡشَىٰهُ مَوۡجٞ﴾ الثالث ﴿مِّن فَوۡقِهِۦ مَوۡجٞ﴾ ظلمات الثاني ﴿بَعۡضُهَا فَوۡقَ بَعۡضٍ﴾ معاوية لعنه الله وفتن بني أمية ﴿إِذَآ أَخۡرَجَ يَدَهُۥ﴾ المؤمن في ظلمة فتنتهم ﴿لَمۡ يَكَدۡ يَرَىٰهَاۗ وَمَن لَّمۡ يَجۡعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورٗا﴾

إمامًا من ولد فاطمة عليها السلام فما له من نور إمام يوم القيامة». رواه الكليني، الكافي، باب أنّ الأئمة عليهم السلام نور الله عزّ وجلّ.

والتأويل خاطئ، ذلك أنّ الظلمات في الآية تنصرف إلى ظلمات الشرك والكفر، كما أنّ النور في الآية ينصرف إلى نور الإيمان بالله تعالى، ومن ثم فالآية ترسم لنا صورة قاتمة للكفر والشرك فتشبهه بليل مظلم في بحرٍ عميق شديد الظلمة وشديد الموج، فكيف يكون حال المشرك وهو في هذا البحر وهذا الظلام الشديد؟ و﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ تنصرف إلى أنّ من لم يهده الله تعالى فلا هادٍ له. أمّا التأويل الذي أورده الكليني فلا يستقيم ولا دليل عليه في الآية ولا في الآيات السابقة واللاحقة لها، ويرمي إلى إخضاع الآية لنظريات البشر في الولاية.

6. تأويل آية ﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يُمَتَّعُونَ﴾: أوّل أهلُ الرواية والتأويل الآيات من الخامسة إلى السابعة بعد المئتين من سورة الشعراء: ﴿أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ﴿205﴾ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴿206﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يُمَتَّعُونَ﴾، على أنّها نزلت في بني أمية؛ حيث أورد الطباطبائي في تفسيره الميزان: «وفي الكافي بإسناده عن علي بن عيسى القمّاط عن عمه عن أبي عبد الله عليه السلام قال: أُري رسول الله صلى الله عليه وآله في منامه بني أُمية يصعدون على منبره من بعده ويضلون الناس عن الصراط القهقرى فأصبح كئيبًا حزينًا. قال: فهبط جبرائيل فقال: يا رسول الله ما لي أراك كئيبًا حزينًا؟ قال: يا جبرائيل إنّي رأيت بني أُمية في ليلتي هذه يصعدون منبري من بعدي يضلون النّاس عن الصراط القهقرى، فقال: والذي بعثك بالحق نبيًّا إنّي ما اطلعت عليه فعرج إلى السماء فلم يلبث أن نزل عليه بآي من القرآن يؤنسه بها. قال: ﴿أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ﴿205﴾ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴿206﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يُمَتَّعُونَ﴾ وأنزل عليه: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿1﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿1﴾ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ جعل الله ليلة القدر لنبيه صلى الله عليه وآله خيرًا من ألف شهر ملك بني أُمية».

والتأويل خاطئ، كما أنّ الحديث موضوع؛ وذلك لانتحال سبب نزول

للآية يتفق وأهواء أتباع أهل الرواية والتأويل. ثم إنّ الحديث يرجم بالغيب فلم يُخبر النبي ﷺ بمن سيحكم بعده، وكل حديث فيه رجم بالغيب، لا يستند على آية صريحة من آيات القرآن فهو مكذوب. والقول بأنّ ليلة القدر لنبيّ الله ﷺ خير من ألف شهر من حكم بني أمية فيه ليّ لعنق النص القرآني، فليلة القدر خير من ألف شهر في أي زمان وبالمطلق، ودون أي تقييد لها ولا للألف شهر. ولا تنسب ليلة القدر للبشر فهي ليلة ربانية فلا يجوز أن ننسبها لا للنبيّ ﷺ، ولا لبنيّ أمية من باب أولى. ومن هناك فالتأويل المترتّب على حديث فاسد هو تأويل فاسد، ويأتي في إطار المساجلات المذهبية. ثم إنّ التأويل يقيّد المطلق ويخصص العام؛ فالآية تتحدث على نحو عام، عن الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر، أو حتى الذين يبيعون آخرتهم بدنياهم. وقد تنصرف دلالة الآية إلى بعض بني أمية أو بعض بني هاشم، حين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر دون أن تقتصر على فرد معيّن أو جماعة معينة.

7. **تأويل آية ﴿وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ﴾**: أوّل أهلُ الرواية والتأويل «الشجرة الملعونة» الواردة في الآية الستين من سورة الإسراء: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَٰنًا كَبِيرًا﴾، على أنّها تعني بني أمية؛ حيث أورد الطباطبائي في الميزان قوله: «ويؤيد جميع ما تقدم ما ورد من طرق أهل السُّنة واتفقت عليه أحاديث أئمة أهل البيت عليهم السلام أنّ المراد بالرؤيا في الآية هي رؤيا رآها النبي ﷺ في بني أُمية والشجرة شجرتهم وسنوافيك بالروايات في البحث الروائي الآتي إن شاء الله تعالى».

وهذا تأويل خاطئ، يرمي إلى إخضاع آيات الله تعالى لنظريات ومعتقدات البشر، وأوّلها البعض على أنّها شجرة الزقوم، وأوّلها آخرون على أنّها اليهود، وهي مما تشابه من القرآن وهو الذي لا نعلم تأويله، والأرجح أن تنصرف دلالة الرؤيا إلى الرؤيا التي رآها رسول الله ليلة أسري به إلى المسجد الأقصى، وأن تنصرف دلالة الشجرة الملعونة إلى شجرة الزقوم التي قال عنها المشركون: كيف تنبت الشجرة في نار جهنم وهي التي قال عنها محمد بأنّها تحرق حتى الحجر؟ ولعل للشجرة الملعونة دلالة تنصرف إلى شأن من شؤون

الأمم والأقوام التي تأتي من بعدنا، وبلغة حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه لعل فيها خبر ما بعدنا، فلا ينبغي أنْ نتعجل على تأويلها، وقد لا يتجاوز الأمر الابتلاء والفتنة أي حتى يجد الأفاكون في تشابه الشجرة الملعونة ضالتهم لتأويلها بما يخدم أهواءهم ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ﴾ . غير أنّ دلالتها لا تنصرف إلى بني أمية رغم إساءة بعضهم للإسلام والمسلمين، وتأويلها على النحو الذي أورده الطباطبائي يأتي في إطار المساجلات المذهبية.

وتتفق جلّ كتب التفسير بالمأثور على أنّها شجرة الزقوم ذلك أنّ المشركين قالوا كيف تنبت الشجرة في النار وهي تحرق حتى الحجر؟

خاتمة المبحث:

جدول التحريف رقم (1 ـ 10):

التأويلات المتعلقة بخصوص الأئمة وشيعتهم:

الكَلِم	الدلالة المحرّفة	الدلالة الأصلية
﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾	ومن يقتل مؤمنًا متعمدًا على دينه فجزاؤه جهنم خالدًا فيها، ولعنه، وأعد له عذابًا عظيمًا.	ومن يقتل مؤمنًا متعمدًا فجزاؤه جهنم خالدًا فيها، ولعنه، وأعدّ له عذابًا عظيمًا.
﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ﴾	لكيلا تأسوا على ما فاتكم ممّا خصّ به عليًّا ولا تفرحوا بما آتاكم من الفتنة التي عرضت لكم بعد وفاة رسول الله .	لكيلا تتأسفوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما أوتيتم في هذه الدنيا على نحو مطلق.

﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ (25) وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ (26) يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ (27) مَآ أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ (28) هَلَكَ عَنِّي سُلْطَٰنِيَهْ (29) خُذُوهُ فَغُلُّوهُ (30) ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ (31) ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ﴾	وأمّا معاوية الذي أوتي كتابه بشماله فيقول يا ليتني لم أوت كتابيه، ولم ادر ما حسابيه، يقولها لما يرى من سوء العاقبة، يا ليتها، يا ليت الموتة التي متها كانت القاضية القاطعة لأمري فلم أبعث بعدها، ما أغنى عني ماليه من المال يعني ماله الذي جمعه، هلك عني سلطانيه قيل ملكي وتسلطي على الناس، يقال لخزنة النار خذوه فغلوه، ثم الجحيم صلّوه، ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعًا فاسلكوه.	وأمّا الكافر الذي أوتي كتابه بشماله فيقول يا ليتني لم أوت كتابيه، ولم أدر ما حسابيه، يقولها لما يرى من سوء العاقبة، يا ليتها يا ليت الموتة التي متها كانت القاضية القاطعة لأمري فلم أبعث بعدها، ما أغنى عني ماليه من المال يعني ماله الذي جمعه، هلك عني سلطانيه ما منحه الله له من سلطان، يقال لخزنة النار خذوه فغلوه، ثم الجحيم صلّوه، ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعًا فاسلكوه.
﴿وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا﴾	واستفزز من يبغض عليًّا من العباد بصوتك واجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الأموال والأولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان إلّا غرورًا.	واستفزز من استجاب لك من العباد بصوتك، واجلب عليهم بخيلك ورجلك، وشاركهم في الأموال والأولاد، وعدهم وما يعدهم الشيطان إلّا غرورًا.
﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ۚ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا ۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾	أو كالخليفتين الأول والثاني في بحر لجيّ يغشاه الخليفة الثالث من فوقه معاوية ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج المسلم يده في ظلمة فتنتهم لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له إمامًا من ولد فاطمة فما له من نور.	إنّ حال الكافر كالذي في ظلمات بحر عميق شديد الظلمة يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يهده الله إلى نور الإيمان فما له من نور.

﴿أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ﴿205﴾ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿206﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يُمَتَّعُونَ﴾	أفرأيت إن متّعنا بني أمية سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما أغنى عنهم ما كانوا يمتّعون.	أفرأيت إن متّعنا الكافرين سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما أغنى عنهم ما كانوا يمتّعون.
﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ ۚ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَٰنًا كَبِيرًا﴾	وما جعلنا الرؤيا التي أريناك في بني أمية إلّا فتنة للنّاس، وشجرتهم الملعونة في القرآن، ونخوفهم فما يزيدهم إلّا طغيانًا وكفرًا.	وما جعلنا الرؤيا التي أريناك ليلة أسري بك ألّا فتنة للنّاس، وكذلك الشجرة الملعونة في القرآن، ونخوفهم فما يزيدهم إلّا طغيانًا وكفرًا.

التعليق:

أوّلت الآيات التي تناولناها آنفًا بطريقة ليّ عنق النص القرآني ليقال بأنّها نزلت في خصوم الأئمة ﷺ، فـ ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ﴾ صارت تعني ما فاتكم مما خصّ به الأئمة، وصار «ضمير الغائب» في الآية: ﴿ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ﴾، يعود على مؤسس الدولة الأموية معاوية، و﴿وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ﴾ صارت تعني مشاركة الشيطان لمبغضي علي رضي الله عنه في الأموال والأولاد، و﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يُمَتَّعُونَ﴾، و﴿وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ﴾ صارتا تعنيان بني أمية. ومن الواضح أنّ مثل هذه التأويلات لا تتجاوز كونها مساجلات مذهبية.

القسم الثاني:

تأويلات مدرسة أهل الحديث والنسخ

أولًا ـ التأويلات المتعلقة بنظرية عدالة الصحابة:

أوّل أهلُ الحديث والنسخ الآيات التي تمتدح السابقين بالإيمان والذين اتبعوا النبيّ ﷺ ساعة العسرة، واعتبروها تزكي الصحابة بتعريف أهل الحديث والنسخ الفضفاض للصحابة، حيث عرّفوا الصحابي بأنّه من لقي النبي ﷺ مؤمنًا به ومات على الإسلام، فيدخل فيه من لقيه ممن طالت مجالسته أو قصرت، ومن روى عنه أو لم يرو، ومن غزا معه أو لم يغز، ومن رآه رؤية ولو لم يجالسه، ومن لم يره لعارض، ويخرج بقيد الإيمان من لقيه كافرًا ولو أسلم بعد ذلك إذا لم يجتمع به مرة أخرى»[1].

وهذا التعريف الواسع للصحابة، هو الذي أدخل من لم تشمله التزكية الإلهية من الطلقاء كالعباس وأبي سفيان، وخلفاء بني أمية من معاصري النبيّ ﷺ، كمعاوية ومروان بن الحكم، وأهم رواة الحديث ـ الذين إما كانوا صبيانًا وحديثي السن قبل وفاة الرسول ﷺ، كابن عباس وابن عمر وابن عمرو، أو تأخر إسلامهم كأبي هريرة ـ ضمن الصحابة، وهم من لم يتسع لهم تعريف سعيد بن المسيب للصحابة[2]. ونذكر من هذه الآيات:

1. ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾[3].

---

(1) انظر ابن حجر، **الإصابة في معرفة الصحابة**، (7/1 ـ 9).

(2) يعرف سعيد بن المسيب الصحابي بقوله: «من أقام مع رسول الله ﷺ سنة أو سنتين وغزى معه غزوة أو غروتين».

(3) سورة البقرة، الآية: 143.

2. ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾[1].

3. ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[2].

4. ﴿لَقَد تَّابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِن بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[3].

5. ﴿لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾[4].

6. ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[5].

7. ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ (8) وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[6].

استدل بهذه الآيات معظم الذين كتبوا في عدالة الصحابة، وعلى سبيل المثال، لا الحصر، استدل بها ابن حجر في «الإصابة في معرفة الصحابة» من الأقدمين، كما استدل بها من المعاصرين عماد الشربيني في «عدالة الصحابة رضي الله عنهم ودفع الشبهات». ومن الجلي أنّ هذه الآيات تزكي

(1) سورة آل عمران، الآية: 110.
(2) سورة التوبة، الآية: 100.
(3) سورة التوبة، الآية: 117.
(4) سورة الفتح، الآية: 18.
(5) سورة الحديد، الآية: 10.
(6) سورة الحشر، الآيتان: 8 ـ 9.

الذين آمنوا قبل الفتح وفي زمن العسرة، حين كان المؤمنون قلة ومستضعفين، ويخاف الذين يفكرون في الانتماء إليهم أنْ يتخطفهم الناس، والذين رغم قلتهم جاهدوا الكفار والمشركين ولم يخشوهم. ولم تشمل هذه الآيات بالتزكية الذين آمنوا بعد الفتح، حتى وإنْ جاهدوا في سبيل الله، فاعتبرتهم تلكم الآيات دون السابقين بالإيمان درجة. غير أنّ أقطاب مدرسة الحديث أوّلت هذه الآيات لتشمل أهم رواة الحديث، كابن عباس وابن عمر، وابن عمرو وأبي هريرة وغيرهم.

واستشهد أتباع مدرسة الحديث بالآيات التي تناولناها آنفًا لتزكية الصحابة، ثم توسعوا في تعريف الصحابي فاعتمدوا التعريف الواسع الذي أورده ابن حجر أعلاه، لتشمل تلك التزكية الربانية، مَن أرادوا تزكيته من معاصري النبي ﷺ، من الذين لا تنصرف إليهم دلالة تلك الآيات.

والتأويل الذي اتبعه أقطاب أهل الحديث والنسخ تأويل ذكي، فهم لم يقولوا مباشرة إنّ الآيات تزكي أبا سفيان مثلًا، بل قالوا إنّ الآيات تزكي الصحابة، ثم توسعوا في تعريف الصحابة ليشمل أبا سفيان والعباس، وخلفاء بني أمية الأوائل، ورواة الحديث من الذين عاصروا النبيّ ﷺ صبيانًا، فظهر الأمر وكأنهم لم يخضعوا الآيات المذكورة آنفًا لنظريتهم في عدالة الصحابة، غير أنّهم في الواقع قد أخضعوها لتلك النظرية. وتأويلهم أدخل «المنافقين» و«المخلفّين»، و«الذين في قلوبهم مرض» و«الفاسقين»، و«الذين آثروا الحياة الدنيا على الآخرة»، و«الذين أذوا رسول الله ﷺ»، و«الذين خاضوا في حديث الإفك»، و«الذين نُهوا عن النجوى ثم عادوا إليها»، و«الذين أشفقوا أنْ يقدموا بين يدي نجواهم صدقة»، و«الذين تولوا قومًا غضب الله عليهم»، و«الذين ألقوا بالمودة لأعداء الله وأعداء المسلمين»، و«الذين آمنوا يوم الفتح»، و«الذين اطمأنوا بالحياة الدنيا وغفلوا عن آيات الله»، أدخلهم هذا التأويل ضمن الصحابة، وأضفى عليهم العدالة فاعتبروا عدولًا. ثم إنّ الله سبحانه وتعالى لم يزكِ حتى الصحابة الأوائل تزكية مطلقة بل قال عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦۖ

وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[1]، كما صنّف القرآن معاصري النبيّ ﷺ، وهم الذين يعتبرهم أهل الحديث والنسخ صحابة، تارة إلى: فئتين؛ «من يريد الدنيا»، و«من يريد الآخرة»: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ﴾[2]، وتارة أخرى إلى: ثلاث فئات: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ﴾[3]، وحين يكون من بين من يعتبرهم أهل الحديث والنسخ صحابة: «من يفضل الدنيا على الآخرة»، و«الظالم لنفسه»، و«من في قلبه مرض» و«المنافق»، و«المتخلف عن الجهاد»، بل و«الفاسق» حيث يقول تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ أَن تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ﴾[4]، و«الزاني» حيث نُفذ حدّ الزنا عليه في زمن رسول الله ﷺ. فكيف نأخذ بفكرة عدالة الصحابة؟ وفق التعريف الفضفاض للصحابة الذي يعتمده أهل الحديث والنسخ. ولو أنهم اقتصروا في تعريف الصحابي على تعريف سعيد بن المسيب، لكان لنظرية عدالة الصحابة بعض المصداقية. ومن هناك فهذا التأويل الذي يخدم حجية نظرية عدالة الصحابة لا يستقيم ويندرج ضمن المحاولات الدؤوبة لإخضاع آيات الله لنظريات البشر ومعتقداتهم، وهو ما دفعهم إلى تأويل يوم الفتح على أنّه يوم القيامة، فأوّل أهلُ الحديث والنسخ ـ الذين يعتبرون من آمن يوم الفتح من الطلقاء صحابة ـ الآية التاسعة والعشرين من سورة السجدة: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿28﴾ قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِيمَٰنُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾، على أنّه يوم القيامة؛ حيث أورد ابن كثير في تفسير القرآن العظيم في معرض

---

(1) سورة الفتح، الآية: 10.

(2) سورة آل عمران، الآية: 152.

(3) سورة فاطر، الآية: 32.

(4) سورة الحجرات، الآية: 6.

تفسيره للآية قوله: « ﴿قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ﴾ أي إذا حل بكم بأس الله وسخطه وغضبه في الدنيا وفي الآخرة ﴿لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِيمَـٰنُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾.. ومن زعم أنّ المراد من هذا الفتح فتح مكة فقد أبعد النجعة، وأخطأ فأفحش، فإنّ يوم الفتح قد قبل رسول الله ﷺ إسلام الطلقاء، وقد كانوا قريبًا من ألفين، ولو كان المراد فتح مكة لما قبل إسلامهم لقوله تعالى: ﴿قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِيمَـٰنُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ وإنما المراد الفتح الذي هو القضاء والفصل كقوله: ﴿فَٱفْتَحْ بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا﴾ الآية».

غير أنّه لم يرد في القرآن وصف ليوم القيامة على أنّه يوم الفتح، بينما ورد «الفتح» في سبع آيات غير هذه الآية، في جميعها كان ينصرف إلى النصر والتمكين في الدنيا، ومنها تساؤل المشركين عن يوم الفتح في الآية السابقة لهذه الآية: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَـٰذَا ٱلْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾[1]، وهذه الآية في تقديري تدل دلالة واضحة، على أنّ الذين آمنوا يوم فتح مكة من القرشيين، أو من أهل مكة فإنّ إيمانهم لن ينفعهم، ذلك أنّه إيمان من قبيل النفاق فهو إيمان نفعي، يرمي إلى الالتحاق بالفئة الغالبة. أمّا الذين آمنوا فيما بعد أي بعد يوم الفتح من القرشيين فلا تنطبق عليه الآية، كما لا تنطبق بالضرورة على غير القرشيين. والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْاْ بَأْسَنَا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ (84) فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَـٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْاْ بَأْسَنَا سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾[2].

والغاية من هذا التأويل، في تقديري، إخضاع الآية إلى نظرية عدالة الصحابة، ذلك أنّ عدم قبول الله تعالى إسلام من آمن يوم الفتح، يستبعد عددًا من الصحابة وفقًا لتعريف أهل الحديث والنسخ، ليس من قائمة الصحابة فحسب بل من قائمة المسلمين. أمّا القول إنّه لو لم يقبل الله تعالى إسلام الطلقاء، لما قبله رسول الله ﷺ فهو قول لا يستقيم، فالنبيّ ﷺ ليس له أن يرفض إسلام أي كان، فالقرآن يؤكد بأنّه «ليس عليهم بوكيل» و«ليس عليهم

(1) سورة السجدة، الآية: 28.
(2) سورة غافر، الآيتان: 84 ـ 85.

بمسيطر» و«ليس عليهم بحفيظ»، والآية لم تأمره برفض إيمانهم وإنّما أخبرتنا بأنّ الله تعالى لا يقبل إيمان الذين آمنوا يوم الفتح، فالله سبحانه وتعالى وحده من يقبل، أو يرد على المؤمنين، إيمانهم. ثم إنّ السؤال الذي يتبادر إلى الذهن هنا، هو لماذا حُصر النفاق والمنافقين في المدينة دون مكة؟ ألم يكن ثمّة منافقون في مكة؟ بلى، غير أنّ المنتصرين هم الذين يكتبون التاريخ، فبرئت ساحة منافقي قريش ذلك أنّ القرشيين هم من احتكر الخلافة والنفوذ، ومن هناك برئت ساحة آباءِ الخلفاء وأهلهم وذويهم من النفاق، بل ذكرتهم الروايات وكتب التاريخ بكل تقدير فأشادت بجهادهم وحسن إسلامهم. وإجمالًا، فإنّ قصر يوم الفتح على يوم القيامة، يهدف علاوة على تعزيز نظرية عدالة الصحابة، التي تستند إليها مدرسة أهل الحديث والنسخ، إلى منح مؤسسي دولتي بني أمية وبني العباس الشرعية، حيث كان معاوية طليقًا وابن طليق وكان مروان بن الحكم طليقًا، وكان العباس جد خلفاء بني العباس طليقًا.

خاتمة المبحث:

جدول رقم (2 ـ 1)

التأويلات المتعلقة بنظرية عدالة الصحابة:

الكَلِم	الدلالة المحرّفة	الدلالة الأصلية
﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾.	وكذلك جعلنا كل من عاصر النبيّ وقال بأنّني من المسلمين أمة وسطًا ليكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليهم شهيدًا.	وكذلك جعلنا من امتحن الله قلوبهم من أتباع محمد أمة وسطًا ليكونوا شهداء على معاصريهم من الناس ويكون الرسول عليهم شهيدًا.
﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ .	كان كل من عاصر النبيّ وقال بأنّني من المسلمين خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله.	كان من امتحن الله قلوبهم من أتباع محمد خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله.

﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾	والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين أسلموا من بعدهم ﷺ ورضوا عنه وأعد لهم جنّات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبدًا ذلك الفوز العظيم	والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين أحسنوا من الذين أسلموا من بعدهم ﷺ ورضوا عنه وأعد لهم جنّات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبدًا ذلك الفوز العظيم.
﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾	لقد تاب الله على النبيّ والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة والذين أسلموا من بعدهم من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم إنّه بهم رؤوف رحيم.	لقد تاب الله على النبيّ والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم إنّه بهم رؤوف رحيم.
﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾	لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة والذين أسلموا من بعد الفتح فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحًا قريبًا.	لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحًا قريبًا.
﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾	لا يستوي منكم من أنفق قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا بعد الفتح وقاتلوا وكلًّا عدول ووعدهم الله الحسنى والله بما تعملون خبير.	لا يستوي منكم من أنفق قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا بعد الفتح وقاتلوا وكلًّا وعد الله الحسنى والله بما تعملون خبير.

﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿8﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾	ومن بين مستحقي مال الفيء الفقراء المهاجرون الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلًا من الله ورضوانًا وينصرون الله ورسوله أولئك والذين أسلموا من بعدهم هم الصادقون، والذين سبقوهم إلى دار الهجرة والإيمان ويحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حسدًا لهم مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه منهم والذين أسلموا من بعدهم هم المفلحون.	ومن بين مستحقي مال الفيء الفقراء المهاجرون الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلًا من الله ورضوانًا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون، والذين سبقوهم إلى دار الهجرة والإيمان ويحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حسدًا لهم مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه منهم هم المفلحون.

التعليق:

ثمة حرص شديد لدى أهل الحديث والنسخ على تأكيد صحة نظرية عدالة الصحابة، وهو ما يجعلنا نتوقف قليلًا عند الأسباب الداعية لظهور نظرية عدالة الصحابة، والتي يمكن حصرها في الآتي:

1. **وثوقية المصدر**: أو الحاجة إلى تعزيز مصداقية من سيُنسب إليه الخبر، فبعد أنْ تحول الحديث إلى صناعة في القرنين الثاني والثالث الهجري، صار صنّاعه في حاجة إلى ما يشبه «شهادة منشأ» بلغة الاقتصاد المعاصر، أو شهادة التأكد من وثوقية المصدر بلغة الإعلام في عصرنا الحاضر. ومن أجل ذلك ظهرت نظرية عدالة الصحابة وحرص مُصدّرو تلك الشهادة على الحصول على ختم إلهي من القرآن، فكانت تلك المحاولات التي تناولناها آنفًا، والتي استفادت من الآيات التي زكت السابقين الأوائل بالإيمان دون غيرهم. غير أنّ صنّاع نظرية عدالة الصحابة زوروا شهادة المنشأ لتشمل سلعًا أخرى لم تشملها الشهادة، أو زوروا شهادة وثوقية المصدر لتشمل مصادر إخبارية أخرى، لم تشملها شهادة الوثوقية. حين توسعوا في تعريف الصحابي حتى شمل كل من هبَّ ودبَّ زمن البعثة النبوية، ودون أنْ يعرفه رسول الله ﷺ أو أنْ يلتقيه.

2. **المساجلات المذهبية**: فحين قالت مدرسة أهل الرواية والتأويل بنظرية عصمة الأئمة، لتعزز وثوقية مروياتها. ما كان من مدرسة أهل الحديث والنسخ إلّا أنْ دفعت بنظرية عدالة الصحابة، لتعزز هي الأخرى وثوقية مصادرها في نقل الخبر من جهة، ولتدفع بضلالة من يطعن في الصحابة الذين زكاهم القرآن وفقًا لتأويلاتهم من جهة أخرى، فالذين يطعنون فيمن زكاهم القرآن مبتدعة وأهل ضلالة. وتجنبت مدرسة أهل الحديث والنسخ نعت خصومها بالكفار، رغم كون دلالة أهل البدعة والضلالة تنصرف إلى الكفر، حتى لا تنعت المدرسة بالتكفيرية أولًا، وحتى يتمكن أقطابها من نعت غيرهم كالخوارج والشيعة بالتكفيريين ثانيًا.

3. **تعزيز شرعية الخلفاء**: تهدف نظرية عدالة الصحابة علاوة على ما أسلفنا، إلى تعزيز شرعية خلفاء بني أمية وبني العباس. حيث لا ينتسب مؤسسيها إلى الصحابة بتعريف سعيد بن المسيب؛ فمعاوية مؤسس الدولة الأموية كان طليقًا ابن طليق، ومروان بن الحكم مؤسس دولة بني مروان كان طليقًا، والعباس جد مؤسس الدولة العباسية كان طليقًا، والطلقاء ثمة ضلال من الشك حول إسلامهم ومن الخطأ الفادح اعتبارهم صحابة.

وانطلاقًا من هذه الدوافع، أولت الآيات التي تناولناها آنفًا بما يخدم نظرية عدالة الصحابة، التي هي الوجه الآخر لنظرية عصمة الأئمة، فـ ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ﴾، ﴿وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ﴾، ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾، و﴿مَنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ﴾، و﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ صار الصحابة بهذا التعريف الفضفاض، الذي يشمل كل من عاصر النبيّ ﷺ وتلفظ بالشهادتين وقال بأنّه مسلم، حتى وإن لم يره.

كذلك أوّل يوم الفتح في الآية: ﴿قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِيمَٰنُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾، على أنّه يوم القيامة. وهذه التأويلات ترمي إلى تجاوز بتعريف ابن المسيب للصحابة وتبني تعريف الحافظ ابن حجر للصحابة، وهو

ما جعل تأويل الآيات التي تناولناها آنفًا ينسحب على «الذين في قلوبهم مرض»، و«الفاسقين» و«المنافقين»، و«الذين يؤثرون الحياة الدنيا على الآخرة»، وغيرهم ممن عاصر رسول الله ﷺ دون أن يحظى بتزكيته تعالى. والهدف من وراء هذا التأويل تزكية رواة الحديث من صغار الصحابة وتزكية أجداد الخلفاء والذين لا ينطبق عليهم تعريف ابن المسيب للصحابة.

ـ ثانيًا ـ
التأويلات المتعلقة بطاعة النبيّ ﷺ وحجية الحديث:

أ. التأويلات المتعلقة باعتبار الحديث وحيًا:

1. تأويل آية ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾: أوّل أهلُ الحديث والنسخ الآيتين الثالثة والرابعة من سورة النجم: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾، على أنّ كلّ ما يقوله النبيّ ﷺ وحي يوحى. حيث أورد ابن كثير في تفسيره «تفسير القرآن العظيم» في معرض تفسيره للآية: «وقال الإمام أحمد حدثنا يحيى بن سعيد عن عبيد الله بن الأخنس، أخبرنا الوليد بن عبد الله عن يوسف بن ماهك عن عبد الله بن عمرو، قال: كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله ﷺ أريد حفظه فنهتني قريش فقالوا: إنك تكتب كل شيء تسمعه من رسول الله ﷺ ورسول الله ﷺ بشر يتكلم في الغضب، فأمسكت عن الكتابة فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فقال «اكتب فوالذي نفسي بيده ما خرج مني إلّا الحق» ورواه أبو داود عن مسنده وأبي بكر بن أبي شيبة كلاهما عن يحيى بن سعيد القطان به. وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا أحمد ابن منصور حدثنا عبد الله بن صالح حدثنا الليث عن ابن عجلان عن زيد بن أسلم عن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «ما أخبرتكم أنّه من عند الله فهو الذي لا شك فيه» ثم قال لا نعلمه يُروى إلا بهذا الإسناد وقال الإمام أحمد حدثنا يونس حدثنا ليث عن محمد بن سعيد بن أبي سعيد عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنّه قال «لا أقول إلا حقًّا» قال بعض أصحابه فإنّك تداعبنا يا رسول الله؟ قال «إنّي لا أقول إلا حقًّا».

والتأويل خاطئ، ذلك أنّ الآية نزلت ردًّا على تشكيك كفار قريش في كون القرآن مُنزَلًا من عند الله تعالى، ومن ثم فالضمير «هو» يعود على القرآن

لا الحديث، ولم يثبت لا عن النبي ﷺ ولا الصحابة القول بأنّ الحديث كان وحيًا، أو أنّ النبي ﷺ كان يوحى إليه شيء غير القرآن. وإجمالًا، فإنّ هذا التأويل يعمّم الخاص ويطلق المقيد، فالضمير «هو» يعود على القرآن كما أسلفنا، وتعميم دلالة الآية يجعل كل ما يقوله النبيّ ﷺ وما يفعله وحيًا يوحى، وهذا ما لا يمكن قبوله، إذ يتناقض مع الآيات التي توجه لومًا لرسول الله ﷺ، وعلى سبيل المثال لا الحصر، توجه الآية الثالثة والأربعون من سورة التوبة لومًا لرسول الله ﷺ لإذنه للقاعدين عن الجهاد: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾. كما اعترض الله تعالى على توعده ﷺ لمشركي قريش بالمثلة بقتلة عمه حمزة رضي الله عنه؛ حيث روى ابن إسحاق: «خرج رسول الله ﷺ، فيما بلغني، يلتمس حمزة بن عبد المطلب، فوجده ببطن الوادي قد بقر بطنه عن كبده، ومثل به، فجدع أنفه وأذناه. فحدثني محمد بن جعفر بن الزبير: أنّ رسول الله ﷺ قال حين رأى ما رأى: لولا أنْ تحزن صفية، ويكون سنة من بعدي لتركته، حتى يكون في بطون السباع، وحواصل الطير، ولئن أظهرني الله على قريش في موطن من المواطن لأمثلن بثلاثين رجلًا منهم». فلما رأى المسلمون حزن رسول الله ﷺ وغيظه على من فعل بعمه ما فعل، قالوا: والله لئن أظفرنا الله بهم يومًا من الدهر لنمثلن بهم مثلة لم يمثّلها أحد من العرب»[1]. فنزل قوله تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ﴾[2]، فامتنع رسول الله ﷺ عن المثلة. وهو ما يعزز ما ذهبنا إليه بأنّ ليس كل ما قاله ﷺ كان وحيًا يوحى، ولو كان الأمر كما ذهب أهل الحديث والنسخ، لما توعد بالمثلة بثلاثين رجلًا، ولما أذن للمتخلفين عن الجهاد، ولما عبس في وجه ابن مكتوم، ولما وجّه له الله تعالى اللوم والعتب في آيات عديدة من القرآن.

2. تأويل آية ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ﴾: أوّل أهلُ الحديث والنسخ الذين يعتبرون الأحاديث النبوية وحيًا يوحى

(1) انظر ابن هشام، **السيرة النبوية**، ج3، ص 58.

(2) سورة النحل، الآية: 126.

«الحكمة» فيٌ الآية الرابعة والثلاثين من سورة الأحزاب: ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ على أنها السنة؛ حيث أورد القرطبي في تفسيره الجامع في معرض تفسيره لهذه الآية: «وعلى قول الكلبي يكون قوله ﴿واذكرن﴾ ابتداء مخاطبة الله عزَّ وجلّ أزواج النبيّ ﷺ على جهة الموعظة وتحديد النعمة بذكر ما يتلى في بيوتهن من آيات الله تعالى والحكمة. قال أهل العلم بالتأويل ﴿ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ القرآن و﴿ٱلْحِكْمَةِ﴾ السنّة. وأورد ابن كثير مثل قوله: قال ابن جرير رحمه الله: «واذكروا نعمة الله عليكن بأن جعلكم في البيوت التي تتلى فيها آيات الله والحكمة»، وهي السنة».

وهذا التأويل يهدف إلى تأكيد حجيّة الحديث، بعد أنْ اختزلت السنّة في الخبر أو الحديث من قبل الإمام الشافعي، وقيل بأنّها وحي سماوي له نفس حجيّة القرآن، حيث قال الشافعي في الرسالة: «لأن القرآن ذكر وأتبعته الحكمة وذكر الله منّه على خلقه بتعليمهم الكتاب والحكمة فلم يجز والله أعلم أن يقال الحكمة ها هنا إلّا سنة رسول الله وذلك أنّها مقرونة مع كتاب الله وأنّ الله افترض طاعة رسوله وحتم على الناس اتباع أمره فلا يجوز أن يقال لقول: فرض إلا لكتاب الله ثم سنة رسوله لما وصفنا من أن الله جعل الإيمان مقرونًا بالإيمان به»... «وسنة رسول الله مبينة عن الله معنى ما أراد دليلًا على خاصه وعامه ثم قرن الحكمة بها بكتابه فاتبعها إياه ولم يجعل هذا لأحد من خلقه غير رسوله».

والحكمة وفقًا للقرآن لا تعني السنّة؛ فالآية التاسعة والثلاثون من سورة الإسراء تصف عددًا من آيات الأمر والنهي التي سبقتها بالحكمة: ﴿ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ ۗ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا﴾، والذين اعتبروا عطف الحكمة على آيات الله يخرجها من القرآن فاتهم قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ﴾[1]، ذلك أنّ عطف المثاني على القرآن العظيم لا يدلّ على أنّ المثاني غير القرآن العظيم وفق معظم المفسرين، إذا ما استبعدنا تأويل أهل الرواية والتأويل الذي سبقت الإشارة

(1) سورة الحجر، الآية: 87.

إليه، والذي ينص على أنّ المثاني هم بعض الرسل عليهم السلام وبعض الأئمة رضي الله عنهم، وهو ما لا يستحق الوقوف عنده. ومن هناك فإنّ هذا التأويل يرمي إلى أنْ يعدل المسلمون الحديث بالقرآن، بل أنْ يعدل المسلمون أقوال الرواة بالقرآن، وهو ما يرقى إلى الشرك حيث لا ينبغي أنْ نعدل بقوله تعالى أقوال البشر.

ب. تأويل الآيات الداعية لطاعة الرسول ﷺ

أوّل أهلُ الحديث والنسخ الآيات:

1. ﴿قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[1]، ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[2].
2. ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[3].
3. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ﴾[4].
4. ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾[5].
5. ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾[6].
6. ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾[7].
7. ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾[8].

على أنّها تؤكد حجيّة الحديث ومن ضمنها أحاديث الآحاد، ومن ثم

(1) سورة آل عمران، الآية: 32.
(2) سورة آل عمران، الآية: 132.
(3) سورة النور، الآية: 56.
(4) سورة النساء، الآية: 59.
(5) سورة النساء، الآية: 80.
(6) سورة الحشر، الآية: 7.
(7) سورة النساء، الآية: 65.
(8) سورة الأحزاب، الآية: 36.

فهي تدعو ضمنًا إلى طاعة الرواة في الحالات التي يتبين فيها عدم صحة الحديث أو حتى ثمة شك في صحته، حيث استدل بهذه الآيات معظم الذين تناولوا حجية الحديث وحجية السُّنة نذكر منها الرسالة للشافعي[1]، والدكتور محمد الزحيلي في كتابه «الجهود المبذولة في حجية السُّنة في القرن الرابع عشر الهجري»؛ حيث يقول الزحيلي: «أولًا: حجية السُّنة من القرآن الكريم: استدل العلماء على حجية السُّنة بنصوص كثيرة من القرآن الكريم، وذلك من عدة وجوه، أهمها ما يلي: 1 ـ أحال القرآن الكريم إلى السُّنة بعبارة صريحة، حيث طلب الله تعالى من رسوله أن يبيّن للناس ما أنزل الله إليهم من أحكام القرآن الكريم، فقال عزَّ وجلَّ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[2]، فأصبح بيان رسول الله ﷺ حجة بتكليف الله تعالى، وتفويض منه. 2 ـ أمر الله تعالى بطاعة رسوله، والطاعة تفيد الالتزام بأمر المطاع وتنفيذ طلباته، قال الله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[3]، فأصبح ما يصدر عن رسول الله ﷺ واجب التطبيق. 3 ـ ربط الله تعالى محبته باتباع رسوله ﷺ، فقال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾[4]. قال الآمدي ـ رحمه الله تعالى ـ: «ومحبة الله واجبة، والآية دلّت على أنّ متابعة النبي عليه الصلاة والسلام لازمة لمحبة الله الواجبة»، فتجب المتابعة على أمر مشروع من الله سبحانه وتعالى ويصبح حجة لازمة. 4 ـ قرن الله تعالى طاعته بطاعة رسوله في آيات كثيرة، فقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾[5]، وقال عزَّ وجلَّ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ﴾[6]، وقال تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ﴾[7]، وجعل الله تعالى طاعة الرسول طاعة له،

---

(1) الشافعي، **الرسالة**، ص 30.
(2) سورة النحل، الآية: 44.
(3) سورة النور، الآية: 56.
(4) سورة آل عمران، الآية: 31.
(5) سورة النساء، الآية: 59.
(6) سورة الأنفال، الآية: 20.
(7) سورة آل عمران، الآية: 32.

فقال تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ﴾[1]. فهذه الآيات الكريمة ـ وغيرها ـ تدلّ دلالة قاطعة على أنّ الله تعالى يوجب اتباع رسوله فيما شرع، وأنّ الالتزام بطاعة الرسول كالالتزام بطاعة الله، وأنّ تنفيذ أقوال الرسول وأوامره كتنفيذ أقوال الله وأوامره، والانتهاء عما نهى عنه، وأنّ الآية الثانية هددت ونهت وحذرت من التولي عن طاعته أو معصيته»[2]. وهو ما ذهب إليه ابن كثير في تفسير الآية الثامنة؛ حيث أورد في تفسير القرآن العظيم في معرض تفسيره للآية: «وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرحمن، حدثنا سفيان عن منصور عن علقمة عن عبد الله، هو ابن مسعود قال: لعن الله الواشمات والمستوشمات، والمتنمصات والمتفلجات للحسن، المغيرات خلق الله عزَّ وجلّ، قال: فبلغ امرأة من بني أسد في البيت، يقال لها: أم يعقوب، فجاءت إليه فقالت: بلغني أنك قلت كيت وكيت، قال: ما لي لا ألعن من لعن رسولُ الله ﷺ وفي كتاب الله تعالى؟ فقالت: إني لأقرأ ما بين لوحيه، فما وجدته، فقال: إن كنت قرأتِـهِ، فقد وجدتِـهِ، أما قرأت: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ﴾؟ قالت: بلى». وهو ما ذهب إليه الشافعي في «الرسالة»، وعبد الغني عبد الخالق في كتابه «حجية السُّنة»[3] في تأويل الآية التاسعة.

غير أنّ طاعة الرسول ﷺ واجبة على معاصريه، وغير متأتية لغيرهم بعد موته، ذلك أنّهم حين يطيعون الحديث فهم لا يعلمون على وجه الدقة فيما إذا كانوا يطيعون النبيّ ﷺ أم إنّهم يطيعون الرواة، وهذا ما أشار إليه الغزالي حين قال: «إنّ قول رسول الله ﷺ حجة على من سمعه شفاهة، فأمّا نحن فلا يبلغنا قوله إلّا على لسان المخبرين»[4]. ولا يخفى على كل ذي بصيرة بأنّ طاعة الرواة بالمطلق، وكذلك طاعة أئمة المذاهب وتقليدهم يُدخل المسلمين ضمن دائرة الذين جعلوا لله أندادًا، وهو ما ذهب إليه ابن

---

(1) سورة النساء، الآية: 80.

(2) انظر د. محمد الزحيلي، **الجهود المبذولة في حجية السُّنة في القرن الرابع عشر**، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية، المجلد 22، العدد الأول، 2006م، ص350 ـ 351.

(3) انظر د. عبد الغني عبد الخالق، **حجية السُّنة**، ص291 ـ 297.

(4) انظر الغزالي، **المستصفى في علم الأصول**، ص: 104.

حزم حين رفض تقليد الأئمة، وما أكدته الآية: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾[1]، والتي فسرها حديث عدي بن حاتم الذي قال فيه: «أتيت رسول الله ﷺ وفي عنقي صليب من ذهب، فقال: يا عدي اطرح هذا الوثن من عنقك قال: فطرحته وانتهيت إليه وهو يقرأ في سورة براءة، فقرأ هذه الآية: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ قال: قلت: يا رسول الله إنّا لسنا نعبدهم فقال أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه ويحلون ما حرم الله فتحلونه؟ قال: قلت: بلى. قال فتلك عبادتهم». ومن هناك فلا تنصرف دلالة الآية إلى حجية الحديث، إلّا إذا عُرض الحديث على القرآن فوافقه، مصداقًا للآية: ﴿وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّي عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ﴾[2]. أمّا تأويل تلك الآيات على أنّها تعني طاعة الرواة، فلا يتجاوز كونه مجرد إلباس للحق بالباطل، وإخضاعًا لآيات الله لنظريات البشر في حجية أحاديث الآحاد.

ت. تأويل الآيات المتعلقة بحجية آحاديث الآحاد

1. تأويل آية ﴿إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ﴾: أوّل أهلُ الحديث والنسخ دلالة الآية السادسة من سورة الحجرات: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ﴾، على أنّها توجب العمل بخبر الآحاد؛ حيث أورد البخاري في صحيحه: «قوله: (بنبأ) بخبر والمراد بذكر الآية بيان وجوب العمل بخبر الواحد لأن الله تعالى أمر بالتبيّن عند الفسق فدل على أنّه لا يجب حيث لا فسق وأنّ الخبر يقبل». رواه البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسُّنة، باب أخبار الآحاد.

وهذا التأويل خاطئ، ذلك أنّ الآية تحذر من خبر الآحاد، وتقول بأنّه من الممكن أنْ يكون ناقل الخبر فاسقًا، كما تطلب الآية من السامع أو المتلقي للخبر، التثبت من الخبر قبل تصديقه، والتثبت يقتضي طلب شهادة

---

(1) سورة التوبة، الآية: 31.

(2) سورة الشورى، الآية: 10.

آخرين، أو الوقوف على عين المكان حيث ليس الخبر كالعيان. ومن ثم فالآية حجة على عدم قبول خبر الآحاد وليس العكس. وهذا هو منهج عمر بن الخطاب رضي الله عنه في التأكد من صحة الحديث؛ حيث كان يطلب من راوي الحديث شاهدًا عل صحة حديثه، ليس من أجل أنْ يأخذ بالحديث فحسب، بل ليبرئ ساحة الراوي، من تهمة الكذب على النبيِّ ﷺ. حيث أورد مسلم في صحيحه: «أنّ أبا موسى قد روى حديثًا، فسمعه عمر بن الخطاب، أو سمع به عمر بن الخطاب فقال لأبي موسى: «والله لتقيمن عليه البيّنة»، وفي لفظ مسلم «أقم عليه البيّنة وإلا أوجعتك»[1]. كما قال عمر بن الخطاب لأبي هريرة: «لتتركن الحديث عن رسول الله أو لألحقنك بأرض دوس»[2]. وقال له أيضًا: «لتتركن الحديث عن رسول الله أو لألحقنك بأرض الفيح يعني أرض قومه». وقال أبو هريرة: «ما كنا نستطيع أن نقول قال رسول الله حتى قبض عمر»[3]. ومن هناك فالتأويل الذي ورد في الحديث لا يستقيم، ولا يتجاوز كونه تحريفًا للكلم عن مواضعه وإخضاعًا لآيات الله لنظريات البشر.

خاتمة المبحث:

جدول (2 ـ 2 ـ أ)

التأويلات المتعلقة باعتبار الحديث وحيًا:

الكَلِم	الدلالة المحرّفة	الدلالة الأصلية
﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ③ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾	وما ينطق محمد عن الهوى بل إنّ كلّ ما يقوله وحي يوحى.	وما ينطق محمد عن الهوى في تبليغه للوحي والتنزيل بل هو وحي يوحى.
﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾	واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله وأحاديث رسوله إنّ الله كان لطيفًا خبيرًا.	واذكرن ما يتلى في بيوتكن من التنزيل كآيات الله والحكمة إنّ الله كان لطيفًا خبيرًا.

(1) انظر صحيح مسلم، **كتاب الأداب**، باب الاستئذان، ح 2153.
(2) انظر الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ص 599 ـ 604.
(3) انظر الذهبي، المرجع السابق، ص 599 ـ 604.

جدول التحريف رقم (2 ـ 2 ـ ب):

التأويلات المتعلقة بطاعة الرسول ﷺ:

الكَلِم	الدلالة المحرّفة	الدلالة الأصلية
﴿قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾	قل أطيعوا الله والرسول ورواة الحديث الذين زكتهم الكتب الصحاح فإنّ الله لا يحب الكافرين.	قل أطيعوا الله والرسول فإنّ الله لا يحب الكافرين.
﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾	أطيعوا الله والرسول ورواة الحديث الذين زكتهم الكتب الصحاح لعلكم ترحمون.	أطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون.
﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾	وأقيموا الصلاة، وآتوا الزكاة، وأطيعوا الله والرسول، ورواة الحديث الذين زكتهم الكتب الصحاح، لعلكم ترحمون.	وأقيموا الصلاة، وآتوا الزكاة، وأطيعوا الله والرسول، لعلكم ترحمون.
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ﴾	يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول، ورواة الحديث الذين زكتهم الكتب الصحاح، وأولي الأمر منكم.	يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول، وأولي الأمر منكم.
﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾	من يطع الرسول، ورواة الحديث الذين زكتهم الكتب الصحاح، فقد أطاع الله.	من يطع الرسول فقد أطاع الله.
﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ ۚ﴾	وما آتاكم الرسول ورواة الحديث الذين زكتهم الكتب الصحاح فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا.	وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا.
﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾	فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك ويحكموا رواة الحديث الذين زكتهم الكتب الصحاح فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجًا مما قضيتم ويسلموا تسليمًا.	فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجًا مما قضيت ويسلموا تسليمًا.

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾	وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله ورواة الحديث الذين زكتهم الكتب الصحاح أمرًا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله ورواة الحديث الذين زكتهم الكتب الصحاح فقد ضل ضلالًا مبينًا.	وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرًا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالًا مبينًا.

جدول التحريف رقم (2 ـ 2 ـ ت):

التأويلات المتعلقة بحجية أحاديث الآحاد:

الكَلِم	الدلالة المحرّفة	الدلالة الأصلية
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ﴾	يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم راوٍ بخبر فصدقوه، حتى لا تصيبوا قومًا بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين.	يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم راوٍ بخبر فتبيّنوا، حتى لا تصيبوا قومًا بجهالة، فتصبحوا على ما فعلتم نادمين.

التعليق:

قلد أهل الحديث والنسخ اليهود في قولهم بأنّ الوحي الإلهي على الأنبياء والرسل لم يقتصر على الكتب المقدسة، حيث قال اليهود بأنّ ما أنزله الله تعالى على النبيّ موسى عليه السلام لم يقتصر على التوراة، بل يشمل التلمود، وادّعى الأحبار بأنّ الله سبحانه وتعالى قد أوحاه إليه في جبل طور. وهو ما فعله أهل الحديث والنسخ الذين ادّعوا بأنّ الوحي الإلهي على النبيّ محمد ﷺ لم يقتصر على القرآن، بل اشتمل على الحديث، فصارت الصحاح كتبًا مقدسة هي الأخرى. واستنادًا إلى ذلك، أوّلت الآيتان اللتان تناولناهما آنفًا في الجدول رقم (2 ـ 2 ـ أ) على نحو يعزز نظرية «الحديث وحي يوحى» ومن ثم فهو عدل للقرآن، ذلك أنّه وحي مُنزل من عند الله تعالى وفقًا للمتأوّلين؛ حيث أوّلت الآية الأولى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾، على أنّ كل ما يقوله النبيّ ﷺ وحي يوحى،

كما أوّلت الحكمة في الآية: ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ على أنها السنّة. وهذا التأويل يرمي إلى تسويغ الاحتكام إلى الرواة عند الاختلاف، عوضًا عن الاحتكام إلى الله تعالى، ذلك أنّه من السهل الافتراء والكذب على الرواة وأنْ يُنسب إليهم رواية ما لم يقله رسول الله ﷺ، بينما يصعب عليهم الكذب على الله تعالى وأنْ ينسبوا إليه ما لم يقله إلّا من خلال الكذب على رسوله ﷺ.

كما خلط أهل الحديث والنسخ متعمدين بين طاعة رسول الله ﷺ وطاعة الرواة، حين أوّلوا الآيات الداعية إلى طاعة الله ورسوله ﷺ، في الجدول (2 ـ 2 ـ ب) على أنّها تنصرف إلى طاعة الأحاديث التي يثبت صحتها وفقًا لمنهجية الجرح والتعديل، وهي التي تستند إلى تزكية الرجال للرجال، وهذه التزكيات هي أولًا ليست موضع اتفاق بين كافة المسلمين، وتشوبها العصبية الطائفية. ثم إنّ تزكية الرجال ووصف أحدهم بالعدل الضابط، والحافظ والحاكم، وأمير المؤمنين في الحديث، فيه تزكية للنفس أو للغير، ويناقض قوله تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾[1]، وقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ﴾[2]. فمسألة الصدق والكذب في القول والاعتقاد لا يتيقن منها أحد من العباد، وهي وقف عليه تعالى فهو أعلم بمن أتقى. وهو ما يدفعنا إلى عدم قبول كتب الرجال والدعوة إلى إعادة النظر في منهجية الجرح والتعديل، المستندة إلى تزكية الرواة. كما أنّها ثانيًا تركن إلى الرجال عند الاختلاف حول صحة الحديث ولا تركن إلى الله تعالى، كما أمرنا تعالى بذلك في قوله تعالى: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّى عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾[3]. وهذا الخلط من قبل أهل الحديث والنسخ خلط ذكي، يصعب فيه التمييز بين طاعة الرواة وطاعة رسول الله ﷺ من قبل العامة، فيلتبس الأمر عليهم، فيعتبرون من يدعو للاحتكام لله تعالى، أي

(1) سورة النجم، الآية: 32.
(2) سورة النساء، الآية: 49.
(3) سورة الشورى، الآية: 10.

للقرآن، عند الاختلاف حول صحة الحديث يعصي رسول الله ﷺ. فعلى المسلم أن يتساءل ماذا لو أطاع حديثًا مكذوبًا؟ ألا يكون قد أطاع راويًا كاذبًا وهو يتوهم بأنّه يطيع رسول الله ﷺ. والمشكلة تكون أدهى حين يُستشهد بالحديث لتعطيل آية قرآنية للقول بنسخها، أو يُحرف دلالة آية عن تأويلها الظاهر أو الحقيقي لدلالة أخرى. فيكون المسلم عندئذ قد ترك قول الله تعالى لأقوال الرجال، وهو ما يرقى إلى الشرك واتخاذ الأنداد لله سبحانه وتعالى. وضمن هذا الإطار أوّلت الآيات التي تناولناها آنفًا، على نحو يعزز نظرية حجية الحديث، وعلى نحو خاص أحاديث الآحاد، فأوّلت الآيات الداعية لطاعة الرسول ﷺ: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾ و﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾ و﴿وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ و﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾ و﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ و﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ و﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ و﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾ على أنّها تعني طاعة ما صح سنده من أحاديث الآحاد، وهو ما يوقعنا في شبهة تحكيم الرواة في شرع الله تعالى، وطاعة الرواة عوضًا عن طاعة رسول الله ﷺ، خصوصًا، حين تكون الأحاديث من صنعهم هم وليست من قول النبيّ ﷺ، أو تكون مما اختلط فيها قوله ﷺ بأقوال الرواة.

أمّا ذروة ما وصل إليه المتأوّلون، وما لا يمكن قبوله لكل ذي فطرة سليمة، فهو القول بأنّ الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾، توجب العمل بخبر الآحاد، وهي أبلغ وأوضح وأوثق دليلًا للطعن في خبر الآحاد.

ـ ثالثًا ـ

التأويلات المتعلقة بنظرية أفضلية النبيّ محمد ﷺ

أ. تأويل الآيات الداعية لعدم التفريق بين الرسل:

1. ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾[1].

2. ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾[2].

3. ﴿قُلۡ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾[3].

أوّل أهلُ الحديث والنسخ الذين يعتقدون بأنّ رسول الله محمدًا ﷺ هو أفضل الرسل والأنبياء، بل وأفضل الخلق، الآيات التي تدعو المسلمين إلى عدم التفريق بين الرسل أعلاه على أنّها تعني مجرد الإيمان بهم، وعدم إنكار كونهم أرسلوا من الله، أي لا نفرق بينهم في الصفة، دون أن نساوي بينهم في المكانة. حيث أورد القرطبي قولًا نسبه للفراء في تفسيره للآية الأولى: «قال الفراء: أي لا نؤمن ببعضهم ونكفر ببعضهم كما فعلت اليهود والنصارى». وقال

(1) سورة البقرة، الآية: 136.
(2) سورة البقرة، الآية: 285.
(3) سورة آل عمران، الآية: 84.

الطبري مثل قوله في تفسيره الآية الثالثة: «﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ﴾ يقول: لا نصدق بعضهم ونكذب بعضهم، ولا نؤمن ببعضهم ونكفر ببعضهم، كما كفرت اليهود والنصارى ببعض أنبياء الله، وصدقت بعضًا، ولكنا نؤمن بجميعهم، ونصدقهم». وقال السعدي مثل قولهم: «أي بل نؤمن بهم كلهم، وهذه خاصية المسلمين التي انفردوا بها عن كل من يدعي أنه على دين». وأورد القرطبي في تفسيره للآية: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾[1]، حديثًا نبويًّا ينهى عن التفضيل بين الأنبياء: «والأحاديث ثابتة بأن النبي ﷺ قال: (لا تخيروا بين الأنبياء) و(لا تفضلوا بين أنبياء الله) رواها الأئمة الثقات، أي لا تقولوا: فلان خير من فلان، ولا فلان أفضل من فلان يقال: خير فلان بين فلان وفلان، وفضل (مشددًا) إذا قال ذلك وقد اختلف العلماء في تأويل هذا المعنى؛ فقال قوم: إنّ هذا كان قبل أن يوحى إليه بالتفضيل، وقبل أن يعلم أنّه سيد ولد آدم، وإنّ القرآن ناسخ للمنع من التفضيل».

والتأويل خاطئ، ذلك أنّ تأويل عدم التفريق بين الرسل في الآية الخامسة والثمانين بعد المئتين في سورة البقرة على أنّه لا نصدق بعضهم ونكذّب بعضهم، ولا نؤمن ببعضهم ونكفر ببعضهم قول لا يستقيم؛ فالإيمان بالرسل تضمنه قوله تعالى: ﴿كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾ ولا يحتاج إلى إضافة عدم التفريق بينهم لو كان المقصود فحسب ألّا نؤمن ببعضهم ونكفر ببعضهم. أمّا القول إنّ عدم التفريق كان قبل أنْ تنزل آية التفضيل: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾، وقبل أنْ نعلم أنه سيد ولد آدم، وأنّ القرآن ناسخ للمنع من التفضيل فقول مردود في تقديري، ذلك أنّ الآية المستشهد بها تنسب التفضيل لله وليس للمسلمين، بينما تقرر الآية الخامسة والثمانون بعد المئتين من سورة البقرة عدم التفريق بين الرسل عليهم السلام، وصيغة عدم التفريق بينهم وردت على ألسنة المؤمنين، ثم إنّ الآية تتميز بأنّها هي التي تحدد لنا دلالة الإيمان. والأمر يشبه على سبيل

---

(1) سورة البقرة، الآية: 253.

القياس، مع الفارق، أنْ يقول أبٌ إنّي أفضل ابني الأوسط على بقية أبنائي، لكنه في نفس الوقت يدعو أبناءه إلى عدم التفريق بين إخوتهم. ومن هناك فلا صحة للتأويلات أعلاه، وهي لا تعدو كونها تحريفًا للكلم عن مواضعه وإخضاعًا لآيات الله لنظريات البشر ومعتقداتهم.

ب. تأويل الآيات المتعلقة بتفضيل بعض الرسل على بعض عليهم السلام:

أول أهل الحديث والنسخ بعض الآيات التي أشارت إلى تفضيل الله تعالى لبعض الرسل على بعض، أو التي ظنّوا أنها تفضل النبيّ محمد ﷺ، تأويلًا يخدم نظرية تفضيله ﷺ، والآيات هي:

1. ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾[1].
2. ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾[2].
3. ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[3].

فأوّلوا الآية الأولى على أنّها تعطينا الحق في تفضيل نبيّ على آخر؛ حيث أورد ابن كثير في تفسير القرآن العظيم الآيات الدالة على التفضيل، ثم تساءل عن كيفية الجمع بين تلك الآيات وحديث «لا تفضلوني على الأنبياء» ثم يجيب: «فالجواب من وجوه (أحدها) أن كان هذا قبل أن يُعلم بالتفضيل، وفي هذا نظر. (الثاني) أنّ هذا قاله من باب الهضم والتواضع. (الثالث) أنّ هذا نهي عن التفضيل في مثل هذه الحال التي تحاكموا فيها عند التخاصم والتشاجر. (الرابع) لا تفضلوا بمجرد الآراء والعصبية. (الخامس) ليس مقام التفضيل إليكم، وإنّما لله عزَّ وجلّ، وعليكم الانقياد والتسليم له، والإيمان به».

والتأويل خاطئ، ذلك أنّ الآية المستشهد بها تنسب التفضيل لله وليس

---

(1) سورة البقرة، الآية: 253.

(2) سورة الإسراء، الآية: 55.

(3) سورة سبأ، الآية: 28.

للمسلمين، بينما تقرر الآية الخامسة والثمانين بعد المئتين من سورة البقرة عدم التفريق بين الرسل عليهم السلام، وصيغة عدم التفريق بينهم وردت على ألسنة المؤمنين، وفي آية تحدد لنا ماهية الإيمان. والأمر كما أسلفنا يشبه على سبيل القياس، مع الفارق، أنْ يقول أبٌ أنّي أفضل ابني الأوسط على بقية أبنائي، لكنه في الوقت نفسه يدعو أبناءه إلى عدم التفريق بين إخوتهم. وهو ما أشار إليه ابن كثير في الوجه الخامس من الإجابة على تساؤله، غير أنّه عاد وقال بأنه على المسلمين الانقياد والتسليم له والإيمان بالتفضيل، وهو قول يناقض الآيات التي تأمرنا بعد التفريق بين الرسل عليهم السلام. فإن كان التسليم المقصود يكمن في قصر التفضيل على الله تعالى دون المسلمين، كان صائبًا ومتفقًا مع الآيات التي تأمرنا بعدم التفريق بينهم. أمّا إذا كان التسليم المقصود ينصرف إلى تفضيل النبيّ محمد ﷺ على بقية الرسل عليهم السلام، كما ذهبت الروايات التي استشهد بها ابن كثير، فإنّه يكون قد جانب الصواب في تقديري والله أعلم. ومن هناك فلا صحة للتأويلات أعلاه، التي ترمي إلى إخضاع آيات الله لنظريات البشر ومعتقداتهم في تفضيل النبيّ محمد ﷺ على غيره من الأنبياء والرسل عليهم السلام.

وأوّلوا الآية الثانية على أنّها تعطينا الحق في تفضيل نبيّ على آخر؛ حيث أورد ابن كثير في تفسير القرآن العظيم في معرض تفسيره للآية: «﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ وكما قال تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ﴾ وهذا لا ينافي ما ورد في الصحيحين أنّ رسول الله ﷺ قال: «لا تفضلوا بين الأنبياء» فإنّ المراد من ذلك التفضيل بمجرد التشهي والعصبية لا بمقتضى الدليل، فإن دل الدليل على شيء وجب اتباعه، ولا خلاف أنّ الرسل أفضل من بقية الأنبياء، وأنّ أولي العزم منهم أفضلهم، وهم الخمسة المذكورون نصًّا في آيتين من القرآن في سورة الأحزاب ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ﴾ وفي الشورى في قوله: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾ ولا خلاف أنّ محمدًا ﷺ أفضلهم، ثم بعده إبراهيم، ثم موسى، ثم عيسى عليه السلام على المشهور، وقد بسطنا دلائله في غير هذا الموضع والله الموفق».

والتأويل خاطئ، وذلك لتناقضه مع الآيات المذكورة آنفًا، والداعية لعدم التفريق بين الأنبياء والرسل عليهم السلام، قال تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾[1]. وعلى المسلم أن يسلّم بأنّ الله تعالى يفضل بين الأنبياء والرسل عليهم السلام، دون أن يكون له أن يفضل بينهم، والقرآن لم يحدد لنا أولو العزم من الرسل عليهم السلام، والاستشهاد الذي أورده ابن كثير لا يستقيم، حيث الآيات التي استشهد بها لم تنص على أنّ الرسل المذكورين من أولي العزم، ولم تتضمن أية صيغة لتفضيلهم على غيرهم من الأنبياء والرسل، واكتفت الأولى بأن أشارت إلى الميثاق الذي أخذه الله تعالى منهم عليهم السلام، بينما اقتصرت الثانية على ما شرعه الله للمسلمين مما نزله على نبيهم وعلى غيره من الأنبياء والرسل المذكورين. ومن هناك فإنّ التأويل الذي استند إليه ابن كثير يجانبه الصواب، ويرمي إلى ليّ عنق النص القرآني لإخضاعه لنظريات البشر في تفضيل النبيّ محمد ﷺ على بقية الأنبياء والرسل عليهم السلام.

كما أوّلوا الآية الثالثة على أنّها تنصرف إلى أنّ النبيّ محمد ﷺ فحسب ـ من دون الرسل عليهم السلام ـ من أرسل للناس كافة، بينما بقية الرسل عليهم السلام أرسلوا إلى أقوامهم دون غيرهم؛ حيث أورد ابن كثير في تفسير القرآن العظيم في معرض تفسيره للآية الثانية قوله: «وقال ابن أبي حاتم، حدثنا أبو عبد الله الظهراني، حفص بن عمر العدني، حدثنا الحكم يعني ابن أبان عن عكرمة، قال سمعت ابن عباس رضي الله عنهما يقول: إنّ الله تعالى فضل محمدًا ﷺ على أهل السماء وعلى الأنبياء. قالوا يا ابن عباس فبم فضله على الأنبياء؟ قال رضي الله عنه: إنّ الله تعالى قال: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ﴾ فأرسله الله تعالى إلى الجن والإنس. وهذا الذي قاله ابن عباس رضي الله عنهما قد ثبت في الصحيحين رفعه عن جابر رضي الله عنه قال: «قال رسول الله ﷺ أعطيتُ خمسًا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي، نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا، فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي الغنائم، ولم تحل لأحد من قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبيّ يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى النّاس عامة».

---

(1) سورة البقرة، الآية: 285.

والتأويل خاطئ، ذلك أنّ القول بتفضيله ﷺ تناقضه الآيات التي تدعونا إلى عدم التفريق بين الرسل عليهم السلام، والقول بأنّ الرسل السابقين بعثوا لأقوامهم دون غيرهم قول غير دقيق، ذلك أنّ النبيّ يوسف عليه السلام أرسل إلى قومه وإلى المصريين، كما أرسل النبيّ سليمان عليه السلام إلى قومه وإلى قوم سبأ، كما أرسل النبيّان موسى وهارون عليهما السلام إلى فرعون وبني إسرائيل. ثم إنّ الله تعالى وجه لومًا للذين أوتوا الكتاب على كتمانه وعدم تبيانه للناس، وهو ما يدلّل على أنّ الرسل الذين أوتوا الكتاب أرسلوا جميعًا للناس كافة، ولا يقتصر الأمر على النبيّ محمد ﷺ، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾[1]، وقد يقول قائل بأنّه ثمة آيات تنص على أنّ أولئك الرسل عليهم السلام أُرسلوا لأقوامهم، غير أنّه ثمة آيات أيضًا تدل على أنّ النبيّ محمدًا ﷺ قد أُرسل إلى قومه، قال تعالى: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾[2]، ﴿بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ﴾[3]، غير أنّ المتأوّلين يتعاملون مع آيات القرآن بطريقة انتقائية لتخدم ما وضعوه من نظريات ما أنزل الله بها من سلطان. أمّا القول بأنّه ﷺ قد أرسل إلى الجن من دون بقية الرسل عليهم السلام فلا دليل عليه، بل أنّ القرآن يشير إلى استماعهم للتوراة أيضًا، وهو ما قد يشير إلى استماع الجن إلى كافة الكتب السماوية، وأنّ رسلهم تتلقى الوحي بطريقة غير مباشرة، فتشد الرحال إلى الأنبياء والرسل من البشر عليهم السلام، فتستمع إلى ما يتنزل من وحي عليهم عليهم السلام، قال تعالى: ﴿قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[4].

(1) سورة آل عمران، الآية: 187.
(2) سورة الأنعام، الآية: 92.
(3) سورة السجدة، الآية: 3.
(4) سورة الأحقاف، الآية: 30.

ت. تأويل الآيات المتعلقة بعدم علمه ﷺ بالساعة:

أوّل أهلُ الحديث والنسخ الذين أُحرِج فقهاؤهم ومحدثوهم أمام الكم الهائل من الإسرائيليات المتعلقة بعلم الساعة ويوم القيامة، التي نسبها الأحبار زورًا للنبيّ موسى عليه السلام، الآيات التي تنفي علم النبيّ ﷺ بالساعة ويوم القيامة، بطريقة تتسق مع نظريتهم القائلة بأنّ النبيّ ﷺ هو أفضل الرسل عليهم السلام:

1. ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ﴿١٨﴾ يَوۡمَ لَا تَمۡلِكُ نَفۡسٞ لِّنَفۡسٖ شَيۡـٔٗاۖ وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ﴾[1].
2. ﴿ٱلۡقَارِعَةُ ﴿١﴾ مَا ٱلۡقَارِعَةُ ﴿٢﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡقَارِعَةُ﴾[2].
3. ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرۡسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكۡرَىٰهَآ﴾[3].

وهذه الأفضلية تقتضي أنْ تفوق معرفته للغيب والساعة معرفة بقية الرسل عليهم السلام. لذلك أوّل فقهاء ومفسرو أهل الحديث والنسخ، الآيات التي تنفي علم النبيّ بالساعة ويوم القيامة على غير دلالاتها، ليستبعدوا هذا النفي، وينكروا عدم علم النبيّ ﷺ بها، على قاعدة أنّ نبينا لا يقل علمًا عن نبيهم بل يفوقه علمًا، وذلك لتعزيز نظرية أنّ النبي محمدًا ﷺ هو أفضل الرسل عليهم السلام، بل وخير الخلق؛ فعلى سبيل المثال لا الحصر أوّلت الآيات الأخيرة من سورة الانفطار: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ﴿١٨﴾ يَوۡمَ لَا تَمۡلِكُ نَفۡسٞ لِّنَفۡسٖ شَيۡـٔٗاۖ وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ﴾، والتي تنفي علم النبي ﷺ بيوم الدّين، على أنّ دلالة «ما أدراك» لا تعني عدم العلم بل هي لمجرد التهويل؛ حيث أورد السعدي في تفسيره لهاتين الآيتين: «ففي هذا تهويل لذلك اليوم الشديد الذي يحير الأذهان». كما أورد الطبري في تفسيره للآيات الأولى من سورة القارعة: ﴿ٱلۡقَارِعَةُ ﴿١﴾ مَا ٱلۡقَارِعَةُ ﴿٢﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡقَارِعَةُ﴾: «نحو قوله تعالى: ﴿ٱلۡقَارِعَةُ ﴿١﴾ مَا ٱلۡقَارِعَةُ ﴿٢﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡقَارِعَةُ﴾ وقال ابن عباس فيما

---

(1) سورة الانفطار، الآيات: 17 ـ 19.
(2) سورة القارعة، الآيات: 1 ـ 3.
(3) سورة النازعات، الآيتان: 42 ـ 43.

روي عنه : كل شيء من القرآن من قوله : ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ﴾ فقد أدراه. وكل شيء من قوله ﴿وَمَا يُدۡرِيكَ﴾ فقد طوي عنه».

كما أورد القرطبي في الجامع لأحكام القرآن في معرض تفسيره للآيتين الثانية والأربعين والثالثة والأربعين من سورة النازعات قوله: «عن عُروة بن الزُّبير قال: لم يزل النبيُّ ﷺ يسأل عن الساعة حتى نزلت ﴿فِيمَ أَنتَ مِن ذِكۡرَىٰهَآ ۝٤٣ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ﴾ أي منتهى علمها؛ فكأنّه ﷺ لما أكثروا عليه سأل الله أن يعرفه ذلك، فقيل له: لا تسأل، فلست في شيء من ذلك. ويجوز أن يكون إنكارًا على المشركين في مسألتهم له؛ أي فيم أنت من ذلك حتى يسألوك بيانَه، ولست ممن يَعلَمه. رُوِي معناه عن ابن عباس. والذكْرَى بمعنى الذكر. ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ﴾ أي منتهى علمها، فلا يُوجَد عند غيره عِلم الساعة».

والتأويل المنسوب لابن عباس تأويل خاطئ، ذلك أنّه لا يمكن قبول اختلاف دلالة الفعل حين يختلف زمانه، فتكون دلالته في المضارع نفي العلم وفي الماضي تأكيد العلم! كذلك لا يقتصر عدم علم النبيّ ﷺ بالساعة على منتهاها، كما يقول عروة بن الزبير فلا يقتصر الأمر على عدم علمه بوقتها على سبيل المثال لا الحصر، بل أيضًا ينسحب على عدم علمه بما يحدث فيها، باستثناء ما ذكره الله تعالى في التنزيل. والله سبحانه وتعالى يقول مخاطبًا رسوله ﷺ: ﴿فِيمَ أَنتَ مِن ذِكۡرَىٰهَآ﴾[1] وقوله ذكراها لا يقتصر دلالته على وقتها بل كل ما يتعلق بها. وتعالى يقول في موضع آخر: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرۡسَىٰهَاۖ قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ رَبِّيۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقۡتِهَآ إِلَّا هُوَۚ ثَقُلَتۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَا تَأۡتِيكُمۡ إِلَّا بَغۡتَةٗۗ يَسۡـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنۡهَاۖ قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾[2]. وللرازي تأويل للآية يقترب من هذا الرأي يقول فيه: «﴿فِيمَ أَنتَ مِن ذِكۡرَىٰهَآ﴾ وفيه وجهان الأول: معناه في أي شيء أنت عن تذكر وقتها لهم، وتبين ذلك الزمان المعين لهم، ونظيره قول القائل: إذا سأله رجل عن شيء لا يليق به ما أنت وهذا، وأي شيء لك في هذا». ثم إنّ تأويل منتهاها في الآية الثالثة على أنّها

(1) سورة النازعات، الآية: 43.
(2) سورة الأعراف، الآية: 187.

تعني منتهى علمها لا يستقيم؛ فضمير الغائب ينصرف إلى الساعة وليس إلى علمها، فمنتهى الساعة إلى الله تعالى، أمّا علمها فهو على إطلاقه وليس مجرد منتهاه لدى الله تعالى باستثناء ما ورد عنها في التنزيل الذي هو القرآن. ومن هناك فتأويل الآيات على النحو الوارد أعلاه هو مجرد تحريف للكلم عن مواضعه، ينبغي الانتباه إليه والتوقف عنه، ولقد تمّ اللجوء إليه من باب التفاخر بالنبيّ محمد ﷺ، أمام أصحاب الديانات الأخرى، الذين نسبوا لأنبيائهم زورًا العلم بالساعة ويوم الدين. وهو ما جعل العرب والمسلمون يشعرون بالحرج أمامهم، لعدم توفر مرويات عن النبيّ ﷺ تفيد علمه بذلك، فدفعهم إلى هذا التأويل ودعاهم إلى استحداث مرويات عنه تحاكي الإسرائيليات، ومستقاة منها لا تفيد علمه بما يحدث في يوم الدين فحسب، بل وتجعله سيده دون منازع، يُخرج من جهنم من يشاء، ويدخل الجنة من يشاء من أمته، ويملك مفاتيح أبوابها وكأنها حديقة من حدائق الخليفة، وهو البستاني المؤتمن لديه وهلم جرًّا، والذين يتصورون هذا الدور للنبيّ ﷺ ينزلقون إلى شبهة الشرك بالله تعالى.

ث. تأويل الآيات المتعلقة بعدم علمه ﷺ للغيب:

أوّل أهلُ الحديث والنسخ الذين يعتقدون بعلم النبيّ ﷺ للغيب، وللساعة، ومن سيدخل الجنة، ومن سيدخل النار، ومن سينقده من النار بشفاعته! الآيات:

1. ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾[1].

2. ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[2].

حيث أوّلت الآية الأولى على أنّها تتعلق برؤية رآها النبيّ ﷺ في المنام، يهاجر فيها إلى أرض ذات نخل وشجر وماء، ثم إذا هو لا يدري

(1) سورة الأحقاف، الآية: 9.

(2) سورة الأعراف، الآية: 188.

أيترك في مكة أو يخرج منها، وهو ما ذكره الواحدي في أسباب النزول: «قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَدۡرِي مَا يُفۡعَلُ بِي وَلَا بِكُمۡۖ﴾. قال الكلبي عن أبي صالح، عن ابن عباس: لما اشتد البلاء بأصحاب النبي ﷺ، رأى في المنام أنه يهاجر إلى أرض ذات نخل وشجر وماء، فقصّها على أصحابه فاستبشروا بذلك، ورأوا فيها فرجًا مما هم فيه من أذى المشركين. ثم إنّهم مكثوا بُرْهَة لا يرون ذلك فقالوا: يا رسول الله متى تهاجر إلى الأرض التي رأيتها؟ فسكت رسول الله ﷺ وأنزل الله تعالى: ﴿وَمَآ أَدۡرِي مَا يُفۡعَلُ بِي وَلَا بِكُمۡۖ﴾ يعني لا أدري أخرج إلى الموضع الذي رأيته في منامي أو لا؟ ثم قال: إنما هو شيء رأيتُه في منامي، وما أتبع إلا ما يوحى إليَّ»[1].

ومن الواضح أنّ هذه القصة مختلقة، لتأويل الآية بعيدًا عن دلالتها التي تنفي علم النبيّ ﷺ، بما سيُفعل بالمسلمين وبه سواء في الدنيا أو في الآخرة، إلّا ما علمّه له الله تعالى في التنزيل، ذلك أنّ عدم علمه ﷺ بالغيب يتناقض مع أحاديث الشفاعة، ونظرية عدم خلود المسلم في النار، وكذلك يحدّ من شهية المفاخرة لدى العرب والمسلمين بنبيهم ﷺ، الذين افترضوا معرفته بكل شيء بما في ذلك الغيب.

كما أوّل الغيب في الآية الثانية على أنه الموت أي إنّه لو علم متى يموت لاستكثر من الخيرات؛ حيث أورد السيوطي في الدر المنثور في معرض تفسيره للآية: «وأخرج أبو الشيخ عن ابن جريج في قوله ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا﴾ قال: الهدى والضلالة ﴿وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ﴾ متى أموت ﴿لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ﴾ قال: العمل الصالح».

والتأويل خاطئ، ذلك أنّ الآية تأمر النبي ﷺ بأنْ يقول للذين يسألونه عن الساعة كأنّه حفي بها في الآية السابقة لها، بأنّه ليس فقط لا يعلم أيّان مرساها، بل إنّه لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًّا إلّا أنْ يشاء الله تعالى، وإنّه لا يعلم الغيب. غير أنّ الذين اعتقدوا في نظريتي الشفاعة، وعلمه الغيب، جعلوه

(1) انظر الواحدي، **أسباب النزول**، سبب نزول الآية التاسعة من سورة الأحقاف.

يملك للمسلمين جميعًا النفع؛ حيث سيشفع لهم جميعًا، كما منحوه العلم بالغيب رغم نفي الآية؛ فحدد الخلافة الراشدة وعدد الخلفاء الراشدين، وحدد موعد فتح القسطنطينية، وبشر بالمهدي المنتظر، وتنبأ بالفتن ومن أين تظهر؟ لدى أهل الحديث والنسخ. وحدد عدد الأئمة وأسماءهم، بل وسلم للأئمة علم ما كان وما سيكون من آدم إلى قيام الساعة، وحدد متى يظهر إمام الزمان من ولد الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لدى مدرسة الرواية والتأويل، وكل ذلك من علوم الغيب التي أمر تعالى نبيه ﷺ في هذه الآية وغيرها أن ينفي علمه بها.

ويستدل الذين يؤكدون علم النبي ﷺ بالغيب بالآية: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدٗا ۝٢٧ لِّيَعۡلَمَ أَن قَدۡ أَبۡلَغُواْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمۡ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيۡهِمۡ وَأَحۡصَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ عَدَدَۢا﴾[1]، غير أنّ هذا الاستثناء القرآني يخرج عن المألوف اللغوي، حيث استخدم القرآن الاستثناء على نحو لم تستخدمه العرب في عدة حالات نذكر منها:

ـ **استثناء الشيطان من الملائكة**: قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾[2]، حيث المستثنى ليس من جنس المستثنى منه، فالشيطان من الجن بنص القرآن والجن غير الملائكة. غير أنّه تعالى استثناه من الملائكة في الآية، وهو ما أربك المفسرين والمتأوّلين؛ فقال بعضهم إنّ الشيطان كان من الملائكة، وإنّه لما عصى ربه جعله من الجن. وهو قول خاطئ إنْ لم نقل متهافت، فالصواب، في تقديري، أنْ يكون الله تعالى قد استبعد الشيطان من المستثنى منه، تحقيرًا له وتعظيمًا لمكانة الملائكة، حيث كان من الممكن أنْ يعطفه على الملائكة قبل أداة الاستثناء «إلّا»، غير أنّ تدني مكانة الشيطان حالت دون ذلك، فكان أول مستثنى يغفل ذكره عمدًا ضمن المستثنى منه في العربية في تقديري.

ـ **استثناء من تولى وكفر**: قوله تعالى: ﴿فَذَكِّرۡ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٞ ۝٢١ لَّسۡتَ

(1) سورة الجن، الآيات: 26 ـ 28.

(2) سورة البقرة، الآية: 34.

عَلَيۡهِم بِمُصَيۡطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَكۡبَرَ﴾[1]، حيث المستثنى منه مستثنى بالكامل! فالرسول الكريم ﷺ غير مسيطر حتى على الذي تولى وكفر، فقوله تعالى: ﴿فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَكۡبَرَ﴾ ينسب السيطرة أو التعذيب لله تعالى وليس لرسوله، غير أنّ الاستثناء ورد على هذه الصورة لإمكانية أنْ يعذب الله تعالى الكفار بأيدي رسوله ﷺ والمؤمنين.

ـ **استثناء من ارتضى من رسول**: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدٗا ﴿٢٧﴾ لِّيَعۡلَمَ أَن قَدۡ أَبۡلَغُواْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمۡ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيۡهِمۡ وَأَحۡصَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ عَدَدَۢا﴾[2]، حيث المستثنى يقتصر على الملائكة ولا يشمل البشر، فالرسل من البشر عليهم السلام لا يعلمون الغيب، وقصة النبي موسى عليه السلام مع العبد الصالح الذي أتاه الله من لدنه علمًا خير شاهد على ذلك، وثمّة آيات عديدة وردت على ألسنة الرسل عليهم السلام في القرآن تنفي علمهم الغيب، وقوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدٗا﴾ يدل على أنّ الله تعالى منح بعض العلم بالغيب إلى حملة وحيه «رسله» من الملائكة إلى الذين اصطفى من البشر عليهم جميعًا أكرم السلام، حتى يعلموا ملابسات الدعوة إلى الله تعالى وإلى أي مدى أبلغوا رسالات ربهم، ليشهدوا لهم يوم القيامة.

كما أنّ للغيب ثلاثة مستويات: المستوى الأول ينصرف إلى حوادث وقعت في الماضي، غير أنّ الأميين «الذين لم يتلقوا وحيًا» لا يعلمونها فنزل فيها قرآنًا يتلى، وفي المستوى الثاني ينصرف لحوادث وقعت زمن النبوّة غير أنّه ﷺ لم يشهدها، ولكنه أُعلم بها وحيًا. وفي المستوى الثالث ينصرف إلى الحوادث التي تقع في الزمن اللاحق لزمن النبوّة، والمستوى الثالث من الغيب هو الذي على الأرجح ـ لم يُطلع الله تعالى عليه أحدًا من رسله من البشر عليهم السلام، بل قصره على رسله من الملائكة عليهم السلام. ومع ذلك فثمة رسل من البشر عليهم السلام مُنحوا معرفة بعض الغيب، الذي ينتمي لهذا المستوى، كآيات أو معجزات تدلّل على نبوّتهم؛ كداود، وسليمان، ويوسف، وعيسى عليهم السلام، غير أنّ ذلك يقع في إطار الآيات والمعجزات ولا يقع في إطار علمهم الغيب بهذه الدلالة.

---

(1) سورة الغاشية، الآيتان: 22 ـ 23.

(2) سورة الجن، الآيات: 26 ـ 28.

خاتمة المبحث

جدول رقم (2 ـ 3)

التأويلات المتعلقة بنظرية أفضلية النبيّ محمد ﷺ:

الكَلِم	الدلالة المحرّفة	الدلالة الأصلية
﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾	قولوا آمنّا بالله وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أنزل على موسى وعيسى وما أنزل على النبيّين من ربّهم لا ننكر نبوّة أحدٍ منهم ونحن له مسلمون.	قولوا آمنّا بالله وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أنزل على موسى وعيسى وما أنزل على النبيّين من ربّهم لا نفرق بين أحدٍ منهم ونحن له مسلمون.
﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾	آمن محمد بما أنزل إليه من ربّه والمؤمنون به كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا ننكر نبوّة أحدٍ من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربّنا وإليك المصير.	آمن محمد بما أنزل إليه من ربّه والمؤمنون به كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحدٍ من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربّنا وإليك المصير.
﴿قُلۡ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾	قل يا محمد آمنّا بالله وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أنزل على موسى وعيسى وما أنزل على النبيّين من ربّهم لا ننكر نبوّة أحدٍ منهم ونحن له مسلمون.	قل يا محمد آمنّا بالله وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أنزل على موسى وعيسى وما أنزل على النبيّين من ربّهم لا نفرق بين أحدٍ منهم ونحن له مسلمون.
﴿تِلۡكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۘ مِّنۡهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُۖ وَرَفَعَ بَعۡضَهُمۡ دَرَجَٰتٖۚ وَءَاتَيۡنَا عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدۡنَٰهُ بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِۗ﴾	تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم على بعض درجات وآتينا عيسى ابن مريم البيّنات وأيدناه بروح القدس . وفضلنا محمد عليهم تفضيلاً .	تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم على بعض درجات وآتينا عيسى ابن مريم البيّنات وأيدناه بروح القدس.

﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍۖ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾	ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وآتينا داود زبورًا ، وفضلنا محمد عليهم تفضيلًا .	ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وآتينا داود زبورًا.
﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾	وما أرسلناك إلّا كافة للنّاس بشيرًا ونذيرًا من دون بقية الأنبياء والرسل، ولكن أكثر الناس لا يعلمون.	وما أرسلناك إلّا كافة للنّاس بشيرًا ونذيرًا ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون.
﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿17﴾ ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿18﴾ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔاۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾	وأنت تدري يا محمد ما هول يوم الدين ، ثم ما هول يوم الدين ، يوم لا تملك نفس لنفس شيئًا إلّا التي أذن لها الله فالأمر يومئذ له .	وما تدري يا محمد ما يوم الدين ثم ما تدري ما يوم الدين يوم لا تملك نفس لنفس شيئًا والأمر يومئذ لله وحده.
﴿ٱلْقَارِعَةُ ﴿1﴾ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴿2﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ﴾	الساعة ما الساعة وأنت تدري يا محمد ما هول الساعة.	الساعة ما الساعة وما تدري يا محمد ما الساعة.
﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿42﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿43﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ﴾	يسألونك يا محمد عن الساعة متى تحين؟ ومن أين لك أن تعلم ذكراها وإن علمت شيئًا عنها فإلى ربّك منتهى علمها.	يسألونك يا محمد عن الساعة متى تحين؟ ومن أين لك أن تعلم علمها ، فإلى ربّك وحده علمها ومنتهاها.
﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾	قل ما أدري ما يفعل بي وما إذا كنت سأترك في مكة أو أخرج منها طبقًا للرؤية التي رأيتها في المنام ، وأهاجر فيها إلى أرض ذات نخل وشجر وماء.	قل ما كنت بدعًا من الرسل وما أدري ما يفعل بي ولا بكم «على نحو مطلق» إن أتبع إلّا ما يوحى إليّ وما أنا بالذي يعلم الغيب بل أنا مجرد نذير مبين.
﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾	قل لا أملك لنفسي الهدى أو الضلالة إلّا ما شاء الله ولو كنت أعلم متى أموت لاستكثرت من العمل الصالح وما مسني السوء إن أنا إلّا نذير وبشير لقوم يؤمنون.	قل لا أملك لنفسي نفعًا ولا ضرًّا إلّا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير «النفع» وما مسني السوء «الضرر» إن أنا إلّا نذير وبشير لقوم يؤمنون.

التعليق:

تفاخر اليهود على العرب بنبيهم موسى عليه السلام، والعرب أمة فخر، فتفاخروا بنبيهم ﷺ على كافة الأمم والأقوام التي أُرسلت إليها الرسل عليهم السلام، وفضلوا نبيهم ﷺ على جميع الأنبياء والرسل عليهم السلام دون بيّنة أو سلطان، وهذا ما يشير إليه الحديث الذي رواه أبو هريرة وقال فيه: «استب رجل من المسلمين ورجل من اليهود، فقال اليهودي في قسم يقسمه: لا والذي اصطفى موسى على العالمين فرفع المسلم يده، فلطم بها وجه اليهودي، فقال: أي خبيث؟ وعلى محمد ﷺ؟ فجاء اليهودي إلى النبي ﷺ فاشتكى على المسلم، فقال رسول الله ﷺ: «لا تفضلوني على الأنبياء، فإن الناس يصعقون يوم القيامة، فأكون أول من يفيق، فأجد موسى باطشًا بقائمة العرش، فلا أدري أفاق قبلي، أم جوزي بصعقة الطور؟ فلا تفضلوني على الأنبياء»(1). وعلى الرغم من أن الحديث لا يخلو من أثر الإسرائيليات غير أنّه يفيدنا بوقوع حادثة المفاخرة بين اليهود والمسلمين، وهذا التفاخر دفع بعض الأفاكين لصناعة روايات تعزز هذه الأفضلية، فتتبعوا ما خصّ الله به الرسل عليهم السلام ونسجوا روايات تضاهي ما مُنح لهم؛ فإذا كان النبيّ سليمان يتحكم في الجن والطير، ويعلم لغة الطير والنمل وغيرها من الكائنات، فلا بدّ من صناعة روايات تؤكد سطوة النبي محمد ﷺ على الجن، والحيوانات والشجر وما إلى ذلك. وإذا كان النبيّ عيسى عليه السلام يُشفي الأبرص والأكمه، فلا بدّ من صناعة روايات تؤكد شفاء المرضى على يديه أو بواسطة ريقه أو بوله. وإذا ادّعى اليهود بأنّ موسى عليه السلام لديه علم الغيب والساعة، فلا بدّ من صناعة روايات تؤكد علمه ﷺ الغيب والساعة. وعلى ضوء ذلك، أوّلت الآيات التي تناولناها آنفًا، على نحو يعزز نظرية أفضلية النبيّ ﷺ؛ فأُوّلت الآيات التي تدعو إلى عدم التفريق بين الرسل عليهم السلام، على أنّها تعني مجرد الإيمان بهم وعدم إنكار بعثتهم وليس عدم التفريق بينهم. كما أوّلت الآيات التي تخبرنا بأنّ الله تعالى فضل بعض الأنبياء

---

(1) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، الجزء الثاني، ص 539. انظر أيضًا صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَـٰتِنَا﴾، ح 4638.

والرسل على بعض على نحو يعزز نظرية تفضيل النبيّ محمد ﷺ؛ فأولت الآية الثالثة والخمسون من سورة البقرة والخامسة والخمسون من سورة الإسراء على أنّهما ينصرفان إلى تفضيل النبيّ محمد ﷺ على بقية الأنبياء والرسل عليهم السلام، والآية الثامنة والعشرون من سورة سبأ على أنّها تعزز النظرية القائلة بأنّ النبيّ محمدًا ﷺ وحده ودون غيره من الرسل قد أرسل للناس كافة بل وللجنّة أيضًا. وكافة هذه التأويلات ترمي إلى تعزيز نظرية أفضلية النبيّ على أهل السموات والأرض! ودون بيّنة أو سلطان من الله تعالى.

كذلك أوّلت ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ﴾، و﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ﴾، و﴿فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ﴾، على أنّها لا تعني عدم علم النبيّ بالساعة بل تعني علمه بها؛ فقيل ما أدراك تعني أدراه، وما يدريك تعني ما قد طوي عنه! فقالوا بتغير دلالة الفعل بتغير زمانه! كما أوّلت الآيات المتعلقة بعدم علم النبيّ ﷺ بالغيب، على أنّها في الآية الأولى تتعلق برؤية رآها النبيّ ﷺ في المنام، وهو لا يدري ما يفعل بشأنها! كما أوّل الغيب الذي لا يعلمه رسول الله ﷺ في الآية الثانية على أنّه الموت، ليهرب المتأوّلون من الاعتراف بعدم علم النبيّ ﷺ بالغيب، وهو ما تؤكده الآيات التي تناولناها آنفًا، وتؤكده قصة النبيّ موسى عليه السلام مع العبد الذي أوتي من لدنه تعالى علمًا. كذلك تؤكد الآية العاشرة بعد المئة من سورة يوسف بأنّ الرسل عليهم السلام لا يعلمون الغيب ولو علموا الغيب ما يئسوا: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾، وكذلك قوله تعالى في الآية الرابعة والثلاثين من سورة لقمان يؤكد عدم علم كل نفس بالغيب: ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ﴾.

ـ رابعًا ـ

التأويلات المتعلقة بنظرية شفاعة النبيّ ﷺ:

سنقسم الآيات المتعلقة بالشفاعة والتي تعرضت للتأويل لإخضاعها لنظرية الشفاعة، إلى قسمين: الأول يتناول الآيات التي قيل بأنّها تثبت الشفاعة، والثاني يتناول الآيات التي تنفي الشفاعة وأوّلت على نحو يخضعها لنظرية الشفاعة.

ـ الآيات التي قيل بأنّها تثبت شفاعة النبيّ ﷺ:

أوّل أهلُ الحديث والنسخ الذين يعتقدون في أنّه تعالى قد خص النبيَّ ﷺ بالشفاعة، الآيتين:

1. ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾[1].

2. ﴿وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ﴾[2]. على أنّهما تنصرفان إلى تأكيد شفاعته ﷺ يوم القيامة، ولذلك أوّلت الآية الأولى على أنّها تعني شفاعته ﷺ؛ حيث أورد الطبري في جامع البيان في معرض تفسيره للآية: «ثم اختلف أهل التأويل في معنى ذلك المقام المحمود، فقال أكثر أهل العلم: ذلك هو المقام الذي هو يقومه ﷺ يوم القيامة للشفاعة للناس ليريحهم ربهم من عظيم ما هم فيه من شدّة ذلك اليوم. ذكر من قال ذلك: حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن أبي إسحاق، عن صلة ابن زُفَر، عن حُذيفة، قال: يجمع الناس في صعيد واحد، فيسمعهم الداعي، وينفذهم البصر، حُفاة عراة كما خُلقوا، قيامًا لا تكلّم نفس إلا

(1) سورة الإسراء، الآية: 79.
(2) سورة الضحى، الآية: 5.

بإذنه، ينادَى: يا محمد، فيقول: «لبيك وسعديك والخير في يديك، والشر ليس إليك، والمهدي من هديت، عبدك بين يديك، وبك وإليك، لا ملجأ منك إلّا إليك، تباركت وتعاليت سبحانك رب البيت». فهذا المقام المحمود الذي ذكره الله تعالى».

ومن الجليّ أنّ «المقام المحمود» درجة عالية في الجنة، غير أنّه لا علاقة له بالشفاعة، ذلك أنّ المقام المحمود لا يُحيل لغةً على الشفاعة، ولا يوجد في الآية ولا في الآيات السابقة واللاحقة لها ما يدلّ على أنّه ينصرف إلى الشفاعة. أمّا ما نسبه الطبري لحذيفة فيقع ضمن الآيات التي لم يتضمنها كتاب الله ويقتضي الأمر جمعها في كتاب يتضمن ما افتراه الرواة على الله تعالى ورسوله. ومن هناك فتأويل الآية على النحو الذي أورده الطبري لا يتجاوز كونه تحريفًا للكلم عن مواضعه، وإخضاعًا لآيات الله لنظريات البشر.

كما أوّلت الآية الثانية على أنّها تعني شفاعته ﷺ؛ حيث أورد القرطبي في الجامع لأحكام القرآن: «وقال ابن عباس: أُرِي النبيّ ﷺ ما يفتح الله على أمته بعده؛ فسُرّ بذلك؛ فنزل جبرائيل بقوله: ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ ۝٤ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾. قال ابن إسحاق: الفَلْجُ في الدنيا، والثواب في الآخرة. وقيل: الحوض والشفاعة. وعن ابن عباس: ألفُ قَصْر من لؤلؤ أبيض ترابه المِسك. رفعه الأوزاعيّ، قال: حدثني إسماعيل بن عبيد الله، عن علي بن عبد الله بن عباس، عن أبيه قال: أُرِي النبي ﷺ ما هو مفتوح على أمّته، فسر بذلك؛ فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾ ـ إلى قوله تعالى ـ: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾، فأعطاه الله جلّ ثناؤه ألف قصر في الجنة، ترابها المسك؛ في كل قصر ما ينبغي له من الأزواج والخدم. وعنه قال: رضِي محمد ألا يدخل أحد من أهل بيته النار. وقال السدي. وقيل: هي الشفاعة في جميع المؤمنين».

وهذا التأويل خاطئ، ذلك أنّ الآية لا تتجاوز الوعد الإلهي لنبيه ﷺ بإرضائه في الآخرة دون تحديد للكيفية، وحين نستعير تعبير الإمام مالك فالسؤال عن كيفية إرضاء الله تعالى لنبيه ﷺ بدعة، ثم إنّه ليس ثمّة في الآية ما يدلّ على هذا التأويل، ولا يوجد في القرآن ما يدلّ على تخصيص أيّ كان

بالشفاعة، حيث وردت الشفاعة في القرآن دون تحديد للشافعين باستثناء الملائكة عليهم السلام، الذين وصفهم الله تعالى بأنّهم لا يشفعون إلّا لمن ارتضى، حيث قال تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾[1] وقال عزّ من قائل: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ﴾[2]، وكذلك القول بأنّه منح ألف قصر من لؤلو، وفي كل قصر ما ينبغي من الأزواج والخدم، قول لا يستند على تنزيل ولا يمكن الوثوق به، ويكفي النبي ﷺ ما ورد في الآية دون تفصيل، فالعبد يكفيه أنْ ينال رضى الله تعالى، وهي مقام، ورب الكعبة لو علم الوضاعون، عظيم. ومن هناك فالتأويل لا يتجاوز تحريف الكلم عن مواضعه، ليخضع آيات الله لنظريات البشر حول شفاعة النبيّ ﷺ، ونظرية أفضليته على غيره من الرسل عليهم السلام.

ـ الآيات التي تنفي الشفاعة وتعرّضت للتأويل لتخدم نظرية الشفاعة:

أوّل أهلُ الحديث والنسخ، الذين يعتقدون في أنّ الله تعالى قد خصّ النبيَّ ﷺ بالشفاعة، الآيات:

1. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[3].
2. ﴿وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[4].
3. ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِى مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿41﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُ﴾[5].
4. ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ﴿8﴾ فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍۭ﴾[6].

على أنّها لا تنفي الشفاعة بل تثبتها؛ حيث أوّلت دلالة «ولا شفاعة» في

---

(1) سورة البقرة، الآية: 255.
(2) سورة الأنبياء، الآية: 28.
(3) سورة البقرة، الآية: 254.
(4) سورة الزخرف، الآية: 86.
(5) سورة الدخان، الآية: 41.
(6) سورة الهمزة، الآيتان: 8 ـ 9.

الآية الرابعة والخمسين بعد المئتين من سورة البقرة على أنّها تنصرف إلى أهل الكفر؛ حيث أورد الطبري في جامع البيان: «وهذه الآية مخرجها في الشفاعة عام والمراد بها خاص. وإنما معناه: من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة لأهل الكفر بالله، لأن أهل ولاية الله والإيمان به يشفع بعضهم لبعض».

والتأويل خاطئ، ذلك أنّه يخصص العام ويقيد المطلق، فالآية تقرر بأنّ يوم القيامة لا بيع فيه أي لا عمل فيه، ولا خلّة أي لا ينفع خليل خليله، ولا شفاعة أي ولا يشفع أحدٌ لأحدٍ. أمّا القول إنّها تعني أنّه لا شفاعة للكافر أو المشرك، فقول لا معنى له، فمن المعلوم أنّ الشفاعة لا تنصرف للكفار والمشركين. ثم إنّ الخطاب في الآية موجه للذين آمنوا أن ينفقوا قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه أي لا عمل فيه ولا خلّة ولا شفاعة، فالخطاب والوعيد موجّه للمسلمين وغير موجه للكافرين، وصيغة «لا بيع» لا تنصرف للكافرين، فالكافرون لا يُقبل منهم عمل لا في الدنيا التي هي دار عمل ولا في يوم القيامة، حيث يومئذٍ حساب ولا عمل. والكافرون هم الظالمون تنصرف إلى أنّهم يأتون ربّهم يوم القيامة وهم يكسبون آثامًا وخالو الوفاض من العمل الصالح في دار العمل فيكونون هم الخاسرون والظالمون لأنفسهم. وهذه الآية وآيات كثيرة غيرها تنفي وقوع الشفاعة يوم القيامة، وهذا يطرح إشكالية كبيرة في التأويل، ذلك أنّه ثمّة آيات وإن لم تقرّ بأنّ الشفاعة ستقع حتمًا، لكنها تركت الباب مواربًا أمام وقوعها نذكر منها: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾[1]، ﴿لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾[2]، ﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتًا﴾[3]، ومن الواضح أنّ هذه الآيات لم تصرّح بأنّ الشفاعة ستقع، بل اقتصرت على إفادتنا بأنّها لن تقع إلا بإذن الله، ومن نافلة القول القول بأنّه حتما لا أحد اتّخذ عند الله عهدًا، فالآيات أقرب ما تكون إلى آية: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ لَا

---

(1) سورة البقرة، الآية: 255.

(2) سورة مريم، الآية: 87.

(3) سورة النساء، الآية: 85.

﴿تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ﴾[1]. فالنفاذ ليس حتمي الوقوع غير أنّه ممكن وممكن فحسب، والشفاعة هي الأخرى ممكنة فحسب، ودون تحديد للشافعين.

ومع ذلك نسج المبطلون من أهل الحديث والنسخ الكثير من الروايات، التي تؤكد منح النبي محمد ﷺ الشفاعة. وبالمقابل نسج المبطلون من أهل الرواية والتأويل الكثير من الروايات، التي تؤكد منح الأئمة الشفاعة. وهو ما لا يوجد عليه دليل في القرآن بل ويتعارض مع هذه الآيات، وحتى الآيات التي تركت الباب مواربًا للشفاعة لم تحدد الشافعين باستثناء الملائكة؛ حيث أشارت الآية الثامنة والعشرون من سورة الأنبياء إلى أنهم لا يشفعون إلّا لمن ارتضى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ﴾[2]. وكل من حدّد شفعاء غير ما نصّت عليه الآية افترى على الله تعالى كذبًا ونسب إليه من القوّل ما لم يقل. ثم إنّ الشفاعة إنْ مُنحت، فهي حتمًا لن تمنح يوم القيامة، ذلك أنّ هذه الآية وآيات عديدة غيرها تنفي إمكانية وقوعها يومئذٍ.

أمّا تخصيص الشفاعة للنبي محمد ﷺ أو للأئمة، والقول بأنّ شفاعتهم تنصرف لمرتكبي الكبائر من أهل السُّنة أو الشيعة، فهو محض أوهام وافتراءات لا أساس لها في القرآن. غير أنّ المبطلين يخضعون آيات الله لنظريات البشر، ويخضعون هذه الآية والآيات المناظرة لها لنظرية الشفاعة.

كما أوّلت «من الموصولية» في الآية السادسة والثمانين من سورة الزخرف على أنّ «من» الأولى تنصرف إلى الأشياء التي عبدها الكفار وأنّ «من» الثانية تنصرف إلى المشفوع لهم؛ حيث أورد ابن كثير في تفسير القرآن العظيم في معرض تفسيره للآية: «﴿وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ ذكر المفسرون في هذه الآية قولين أحدهما: أنّ الذين يدعون من دونه الملائكة وعيسى وعزير، والمعنى أن الملائكة وعيسى وعزيرًا لا يشفعون إلا لمن شهد بالحق، روي أنّ النضر بن الحارث ونفرًا معه

(1) سورة الرحمن، الآية: 33.
(2) سورة الأنبياء، الآية: 28.

قالوا: إن كان ما يقول محمد حقًّا فنحن نتولى الملائكة فهم أحق بالشفاعة من محمد، فأنزل الله هذه الآية يقول لا يقدر هؤلاء أن يشفعوا لأحد ثم استثنى فقال: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ﴾ والمعنى على هذا القول هؤلاء لا يشفعون إلا لمن شهد بالحق، فأضمر اللام أو يقال التقدير إلا شفاعة من شهد بالحق فحذف المضاف، وهذا على لغة من يعدي الشفاعة بغير لام، فيقول شفعت فلانًا بمعنى شفعت له كما تقول كلمته وكلمت له ونصحته ونصحت له والقول الثاني: أنّ الذين يدعون من دونه كل معبود من دون الله، وقوله ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ﴾ الملائكة وعيسى وعزير، والمعنى أنّ الأشياء التي عبدها الكفار لا يملكون الشفاعة إلا من شهد بالحق، وهم الملائكة وعيسى وعزير فإنّ لهم شفاعة عند الله ومنزلة، ومعنى من شهد بالحق من شهد أنه لا إله إلا الله».

والتأويل خاطئ، ذلك أنّ «من الموصولية» الأولى وردت مطلقة دون تقييد، وتشمل الذين اعتبرتهم بعض الفرق أو المدارس الإسلامية شفعاء كالنبيّ محمد ﷺ والأئمة الاثني عشر، وأنّ «من» الثانية تنصرف إلى الشافعين وليس إلى المشفوع لهم، واشترط الله تعالى على الذين سيأذن لهم بالشفاعة دون أنْ يحددهم لنا في التنزيل، أنْ يشهدوا بالحق وهم يعلمون، وليس على طريقة شهادة المسلمين من اتباع النبيّ محمد ﷺ على نوح عليه السلام وقومه، كما تذهب مدرسة أهل الحديث والنسخ. ولا يشهد النبيّ محمد ﷺ إلّا على قرنه من الصحابة الذين عاش بين ظهرانيهم دون غيرهم، وليس كما يدعي المتأوّلون بأنّه يشفع في كل من يقول لا إله إلّا الله وإنّ محمدًا رسول الله ﷺ، من بعثته إلى يوم القيامة، وأنّه يخرجهم جميعًا من النّار بإذن ربّه! كما أنّ الشهادة بالحق تستبعد مسألة الشفاعة لأهل الكبائر، فالشهادة بالحق على أهل الكبائر تدينهم ولا تخرجهم من النار.

وأوّلت «من الموصولية» في الآية الحادية والأربعين من سورة الدخان على أنّها تعني من شُفع له يوم القيامة؛ حيث أورد الطبري قولًا نسبه لنحويي الكوفة في جامع البيان قال فيه: «وقوله: ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُۚ﴾ اختلف أهل العربية في موضع «مَنْ» في قوله: ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُۚ﴾ فقال بعض نحويي البصرة: إلّا من رحم الله، فجعله بدلًا من الاسم المضمر في ينصرون، وإن شئت جعلته

مبتدأ وأضمرت خبره، يريد به: إلَّا من رحم الله فيغني عنه. وقال بعض نحويي الكوفة قوله: ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُۚ﴾ قال: المؤمنون يشفع بعضهم في بعض، فإنّ شئت فاجعل «مَنْ» في موضع رفع، كأنك قلت: لا يقوم أحد إلّا فلان».

والتأويل خاطئ، ذلك أنّ قوله تعالى في الآية ورد مطلقًا وغير مقيّد بالمسلمين من أتباع النبيّ محمد ﷺ، والله تعالى أعلم حيث يمنح رحمته، فلا يجوز للمتأوّلين أن يقسموا رحمة الله وفق هواهم والله تعالى يقول: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَۚ﴾[1]، ثم إنّ الله تعالى قال: ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُۚ﴾ ولم يقل إلّا من رحم الشافعين، ولم يرد هذا الاستثناء في الآية التاسعة عشرة من سورة الانفطار: ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔاۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾ بل ورد فيها «أنّ الأمر يومئذ لله تعالى»، وهو ما يعني بأنّ الأمر لن يكون للشافعين. ومن هناك فالتأويل لا يعدو كونه تحريفًا للكلم عن مواضعه وإخضاعًا لآيات الله لنظريات البشر في الشفاعة.

كذلك أوّلت الآيتان الثامنة والتاسعة من سورة الهمزة على أنّهما لا تنطبقان على المسلم الموحد؛ حيث أورد السيوطي روايتين تؤكدان على إخراج المسلم الموحد من النار الموصدة، نسب الأولى إلى سعيد بن المسيب، والثانية إلى أبي هريرة، حيث ورد في الرواية الأولى: «وأخرج ابن جرير وابن المنذر عن سعيد بن المسيب قال: في النار رجل في شعب من شعابها ينادي مقدار ألف عام يا حنان يا منان، فيقول رب العزة لجبرائيل: أخرج عبدي من النار فيأتيها فيجدها مطبقة فيرجع، فيقول يا رب ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ﴾ فيقول يا جبرائيل: فكها وأخرج عبدي من النار فيفكها ويخرج مثل الفحم فيطرحه على ساحل الجنة حتى ينبت الله له شعرًا ولحمًا ودمًا». وورد في الثانية: «وأخرج الحكيم الترمذي في نوادر الأصول عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إنما الشفاعة يوم القيامة لمن عمل الكبائر من أمتي ثم ماتوا عليها فهم في الباب الأول من جهنم لا تسود وجوههم، ولا تزرق أعينهم، ولا يغلون بالأغلال، ولا يقرنون مع الشياطين، ولا يضربون بالمقامع، ولا يطرحون في

---

(1) سورة الزخرف، الآية: 32.

الأدراك. منهم من يمكث فيها ساعة، ومنهم من يمكث يومًا ثم يخرج، ومنهم من يمكث شهرًا ثم يخرج، ومنهم من يمكث فيها سنة ثم يخرج، وأطولهم مكثًا فيها مثل الدنيا منذ يوم خلقت إلى يوم أفنيت، وذلك سبعة آلاف سنة، ثم إنّ الله عزَّ وجلّ إذا أراد أن يخرج الموحدين منها قذف في قلوب أهل الأديان، فقالوا لهم: كنا نحن وأنتم جميعًا في الدنيا فآمنتم وكفرنا، وصدقتم وكذبنا وأقررتم وجحدنا فما أغنى ذلك عنكم، نحن وأنتم فيها جميعًا سواء تعذبون كما نعذب وتخلدون كما نخلد، فيغضب الله عند ذلك غضبًا لم يغضبه من شيء فيما مضى، ولا يغضب من شيء فيما بقي، فيخرج أهل التوحيد منها إلى عين الجنة والصراط يقال لها نهر الحياة، فيرش عليهم من الماء فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل، ما يلي الظل منها أخضر وما يلي الشمس منها أصفر، ثم يدخلون الجنة فيكتب في جباههم عتقاء الله من النار إلا رجلًا واحدًا فإنّه يمكث فيها بعدهم ألف سنة، ثم ينادي يا حنان يا منان، فيبعث الله إليه ملكًا ليخرجه فيخوض في النار في طلبه سبعين عامًا لا يقدر عليه، ثم يرجع فيقول: يا رب إنك أمرتني أن أخرج عبدك فلانًا من النار، وإني طلبته في النار منذ سبعين سنة فلم أقدر عليه، فيقول الله عزَّ وجلّ: انطلق فهو في وادي كذا وكذا تحت صخرة فأخرجه. فيذهب فيخرجه منها فيدخله الجنة، ثم إنّ الجهنميين يطلبون إلى الله أن يمحي ذلك الاسم عنهم، فيبعث الله إليهم ملكًا فيمحوه عن جباههم، ثم إنّه يقال لأهل الجنة ومن دخلها من الجهنميين اطلعوا إلى أهل النار فيطلعون إليهم فيرى الرجل أباه ويرى أخاه ويرى جاره ويرى صديقه ويرى العبد مولاه، ثم إنّ الله عزَّ وجلّ يبعث إليهم ملائكة بأطباق من نار ومسامير من نار وعمد من نار فيطبق عليهم بتلك الأطباق وتسمر بتلك المسامير وتمد بتلك العمد، ولا يبقى فيها خلل يدخل فيه روح ولا يخرج منه غم، وينساهم الجبار على عرشه، ويتشاغل أهل الجنة بنعيمهم، ولا يستغيثون بعدها أبدًا، وينقطع الكلام فيكون كلامهم زفيرًا وشهيقًا، فذلك قوله: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ۝٨ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ﴾[1]. وتتفق المدرستان أهل الرواية والتأويل

---

(1) سورة الهمزة، الآيتان: 8 ـ 9.

وأهل الحديث والنسخ في هذا التأويل؛ حيث أورد الطبرسي تأويلًا نسبه لابن عباس قال فيه: «وقال ابن عباس: هم في عمد أي في أغلال في أعناقهم يعذبون بها» كما روى حديثًا نسبه إلى أبي جعفر قال فيه: «وروى العياشي بإسناده عن محمد بن النعمان الأحول عن حمران بن أعين عن أبي جعفر عليه السلام قال: إن الكفار والمشركين يعيرون أهل التوحيد في النار ويقولون ما نرى توحيدكم أغنى عنكم شيئًا وما نحن وأنتم إلّا سواء، قال فيأنف لهم الرب تعالى فيقول للملائكة اشفعوا فيشفعون لمن شاء الله ثم يقول للنبيين اشفعوا فيشفعون لمن شاء الله، ثم يقول للمؤمنين اشفعوا فيشفعون لمن شاء الله، ويقول الله أنا أرحم الراحمين اخرجوا برحمتي كما يخرج الفراش، قال ثم قال أبو جعفر عليه السلام: ثم مدت العمد وأوصدت عليهم وكان والله الخلود».

والتأويلان يهدفان إلى إخضاع آيات الله لنظريات البشر في الشفاعة، فيستثنون من الوعيد بعذاب الله في الآية الذين يقولون لا إله إلّا الله وأن محمدًا رسول الله ﷺ، وإن خصّت كل طائفة أتباعها بالشفاعة دون غيرهم، رغم أنّ الآية تتوعد الذين جمعوا مالًا وعددوه وحسبوا أنّه يُخلدهم «على إطلاقهم» بنارٍ موصدة في عمدٍ ممددةٍ. ورغم كون الشفاعة عقيدة وثنية؛ حيث كان مشركو مكة يعتقدون بأنّ أصنامهم ستشفع لهم عند الله تعالى. والآيات التي تحدثت عن الشفاعة لم تقصرها على شخص بعينه، ولم تحددها بيوم القيامة، بل ثمّة آيات تنفي إمكانية وقوعها يوم القيامة، وهو ما قد يعني إمكانية وقوعها في غير يوم القيامة، دون معرفة من سيُعطى هذا الشرف، فقد يقتصر على الملائكة دون البشر، وقد يمنح لكافة الصالحين. أمّا تخصيص النبيّ محمد ﷺ أو الأئمة بالشفاعة. والقول بأنّ النبيّ محمدًا ﷺ هو الشفيع يوم القيامة، وأنّه سيخرج من النّار كل من قال لا إله إلّا الله وأن محمدًا رسول الله، كما يرى أهل الحديث والنسخ، فهو ما لم يرد فيه نصّ قرآني يعززه، بل إنّ الله سبحانه وتعالى يقول على لسان رسله يوم القيامة: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ قَالُواْ لَا عِلْمَ لَنَآ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾[1]، فكيف لنبيّ يقول لربه لا علم لي بما أُجبت

---

(1) سورة المائدة، الآية: 109.

فأنت علام الغيوب، أنْ يكون متيقنًا من استجابة أمته في الدنيا لدعوته، ويعدهم بأنّه سيشفع لهم، ولا يقتصر في وعده بإخراج من تبع دينه من النار على قرنه وصحابته، بل ينصرف وعده حتى لأولئك الذين ما يزالون في أصلاب آبائهم وأجدادهم! حين أطلق وعده بالشفاعة لهم! فيمنحهم صك غفران على بياض! إن لم يكن ذلك محض افتراء لا أساس له من الصحة.

ثم إنّ تصديق الروايات الواردة بشأن شفاعة النبيّ ﷺ، تدفع المسلم إلى أنْ يلحدَ في أسماء الله وصفاته؛ فيلحدَ في «الرحيم» حين يرى بأنّ الشفيع أرحم من الله تعالى! ويلحد في «المقسط» و«العدل»، حين يرى بأنّ الشفيع أكثر عدلًا منه تعالى! ويلحد في كونه «الحكم» حين يظن بأنّه يركن لحكم الشفيع، سبحانه وتعالى عما يصفون. كذلك تطعن روايات الشفاعة في العدالة الإلهية تعالى الله علوًا كبيرًا؛ حيث تجعل المتساوين في الإثم من أمة محمد ﷺ، وفق المتأوّلين، ومن غيرها من الأمم غير متساويين في العقاب، وهو ما لا يستقيم ولا يتسق مع العدالة الإلهية. وهو ما ينطبق أيضًا على ادعاءات أهل الرواية والتأويل بشأن شفاعة أئمتهم ﵃.

نخلص من كل ذلك إلى أنّ الشفاعة التي قد يمنحها الله تعالى إلى من يشاء من عباده، أشبه ما تكون والقياس مع الفارق بدور لجان التقويم والقياس في امتحانات الطلاب، والتي قد ترفع درجات الطلاب الذين تنقصهم بضعة درجات ليجتازوا المادة الواحدة، فيخوّلون بزيادتها دون تمييز بين الطلاب على أي نحو كان. وقياسًا على ذلك قد يمنح الله تعالى إذنًا بالشفاعة إلى بعض عباده الذين لا نعلمهم، ليشفعوا لمن قاربت حسناتهم أنْ تدخلهم الجنة، لكنها لا تمكنهم من دخولها، فيأذن الله تعالى بالشفاعة لهم، دون أنْ يقتصر ذلك على أتباع نبيّ أو رسول بعينه أو أمة بعينها.

خاتمة المبحث:

جدول رقم (2 ـ 4)

التأويلات المتعلقة بنظرية أفضلية النبيّ محمد ﷺ:

الكَلِم	الدلالة المحرّفة	الدلالة الأصلية
﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾	ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يمنحك الله الشفاعة.	ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك الله مقامًا مرغوبًا.
﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾	ولسوف يعطيك ربّك الشفاعة.	ولسوف يعطيك ربّك فترضى.
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾	يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة للكافرين، والكافرون هم الظالمون.	يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة لأحدٍ، والكافرون هم الظالمون.
﴿وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾	ولا يملك الذين يدعونهم الكفار من دون الله الشفاعة إلّا من شهد أنّ لا إله إلّا الله فيشفع.	ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة على إطلاقهم بما في ذلك النبيّ محمد والأئمة من بيت علي إلّا من شهد بالحق على ما رأى وهو يعلم.
﴿يَوْمَ لَا يُغْنِى مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿41﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُ﴾	يوم لا يغني مولى عن مولى شيئًا ولا هم ينصرون إلّا من شفع له من المسلمين.	يوم لا يغني مولى عن مولى شيئًا ولا هم ينصرون إلّا من رحم الله.
﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ﴿8﴾ فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ﴾	إنّها على الكفار والمشركين موصدة في عمدٍ ممددةٍ أمّا المسلمون فيشفع لهم.	إنّها على الذين جمعوا مالًا وعددوه وحسبوا أنّه يُخلدهم «على إطلاقهم» موصدة في عمدٍ ممددةٍ.

التعليق:

الشفاعة نظرية عرفتها الأمم السابق، حيث قال بها اليهود، وقال بها النصارى، وقال بها العرب في الجاهلية؛ حيث قال بنو إسرائيل بأنّ أجدادهم سيشفعون لهم، وقال النصارى بأنّ المسيح والعذراء وروح القدس سيشفعون لهم، وقال عرب الجاهلية بأنّ أصنامهم ستشفع لهم. ومن هؤلاء تسربت نظرية الشفاعة للمسلمين، فقال المسلمون من أتباع مدرسة أهل الحديث والنسخ بأنّ النبيّ ﷺ سيشفع لهم، وقال أتباع مدرسة أهل الرواية والتأويل بأنّ الشفاعة ستكون للأئمة والنبيّ ﷺ، وأنّ الشفاعة ستقتصر على

شيعة الأئمة ﵈. وعلى ضوء ذلك أوّلت مدرسة أهل الحديث والنسخ الآيات التي تناولناها آنفًا، على نحو يعزز نظرية تخصيص النبيّ ﷺ بالشفاعة؛ فأوّل «المقام المحمود» في الآية الأولى و«عطا الله» في الآية الثانية؛ اللتان تقعان ضمن التصنيف الأول، على أنّهما ينصرفان إلى تخصيص النبيّ محمد ﷺ بالشفاعة، وهو ما لا يتفق وسياق الآيات في الحالتين، كما لا يوجد عليه أي بيّنة أو دليل في الذكر الحكيم، فلا يوجد في القرآن ما يدل على تخصيص أيٍّ كان بالشفاعة، والله تعالى ينفي عن رسوله محمد ﷺ أنْ ينقذ من في النار: ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي ٱلنَّارِ﴾[1]، كما قال تعالى: ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾[2]، ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا۟ مِنَّا ۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾[3]، كذلك تؤكد الآية العاشرة بعد المئة من سورة يوسف بأنّ الرسل ﵈ غير متيقنين من استجابة من أُرسلوا إليهم من الناس لهم: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾[4] فكيف لمن كان غير متيقن من استجابة من أظهر استجابته لدعوته من الرسل ﵈ - والنبي محمد ﷺ من بينهم - أنْ يشفع لهم أو أنْ يتعهد بأنّه سيخرج من عصى الله ورسوله منهم من النار! ومن هناك فكيف تجرأ هؤلاء المبطلون، ليس على القول بوقوع الشفاعة يوم القيامة فحسب بل حددوا حتى الشفعاء! ففي حين ترك الله تعالى الباب مواربًا للشفاعة، فلم يقل بأنّه ثمّة من سيدخل منه، ولم يحدد الداخلين، حيث قوله أشبه ما يكون والقياس مع الفارق - إنْ جاز القياس - بقول كسرى على سبيل التقريب إلى الذهن: بأنّه لا يستطيع

(1) سورة الزمر، الآية: 19.
(2) سورة النساء، الآية: 123.
(3) سورة البقرة، الآية: 167.
(4) سورة يوسف، الآية: 110.

أحدُ أنْ ينقد النعمان بن المنذر منه، أو حتى أنْ يشفع له عنده إلّا أن يكون قد حصل على إذن مسبق منه، فهذا القول لا يجزم بأنّه ثمّة من أخذ منه الإذن في التشفع للنعمان. وقوله تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾[1] يؤكد ما ذهبنا إليه، ونحن بهذا القول لا ننكر بالمطلق وقوع الشفاعة، غير أنّها حتمًا لن تقع على الصورة الشائعة في الموروث الإسلامي السائد، والذي يعبّر عن النكوص للوثنية؛ حيث اعتقد الوثنيون في الجزيرة العربية قبل الإسلام في أنّ أصنامهم ستُشفع لهم عند الله تعالى. أمّا الشفاعة في القرآن فهي وإن تُرك الباب مواربًا لوقوعها بإذنه تعالى، فإنّها وردت دون تحديد للشافعين، إذا ما استثنينا الملائكة ﷺ، حيث قال تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ﴾[2].

كما أوّلت الآيات المتعلقة بنفي الشفاعة في التصنيف الثاني على نحو يتفق ونظرية الشفاعة؛ حيث أوّلت دلالة «ولا شفاعة» في الآية الرابعة والخمسين بعد المئتين من سورة البقرة على أنّها تنصرف إلى أهل الكفر ولا تنصرف إلى المسلمين. كما أوّلت «من الموصولية» في الآية السادسة والثمانين من سورة الزخرف على أنّ «من» الأولى تنصرف إلى الأشياء التي عبدها الكفار، وأنّ «من» الثانية تنصرف إلى المشفوع لهم، وأوّلت «من الموصولية» في الآية الحادية والأربعين من سورة الدخان على أنّها تنصرف إلى من شُفع له يوم القيامة. كذلك أوّل «ضمير الغائبين» في الآيات الأربعة الأخيرة من سورة الهمزة على أنّه ينصرف إلى الكفار والمشركين، ولا ينصرف إلى المسلم الموحد.

وهذه التأويلات ما أنزل الله بها من سلطان، وتستهدف إخضاع آيات الله تعالى لنظرية الشفاعة، بشقيها: العام الذي يشمل كل المسلمين،

---

(1) سورة البقرة، الآية: 255.

(2) سورة الأنبياء، الآية: 28.

والخاص الذي يخص أهل الكبائر من أمته ﷺ كما يدّعي المتأوّلون، ونسي هؤلاء بأنّ من ارتكب الكبائر ولم يتب قد سلم أمره للشيطان، ومن فعل ذلك فهو مشرك إلّا أن يتوب، والله تعالى يقول: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿98﴾ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿99﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ﴾[1].

(1) سورة النحل، الآيتان: 98 ـ 99.

ـ خامسًا ـ

التأويلات المتعلقة بنفي بشرية النبيّ ﷺ ونفي الخطأ عنه

1. **تأويل آية** ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ﴾: أوّل أهلُ الحديث والنسخ دلالة «النور» في الآية الخامسة عشرة من سورة المائدة: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ﴾، على أنّه ينصرف إلى النبيّ محمد ﷺ؛ حيث أورد الطبري في جامع البيان في معرض تفسيره للآية قوله: «القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ﴾. يقول جلّ ثناؤه لهؤلاء الذين خاطبهم من أهل الكتاب: قد جاءكم يا أهل التوراة والإنجيل من الله نور، يعني بالنور محمدًا ﷺ، الذي أنار الله به الحقّ، وأظهر به الإسلام، ومحق به الشرك فهو نور لمن استنار به يبين الحقّ، ومن إنارته الحقّ تبيينه لليهود كثيرًا مما كانوا يخفون من الكتاب». وهذا التأويل بنى عليه بعض المتأوّلين، أنّ النبيّ ﷺ لا ظلّ له، أي إنّه إذا مشى في الشمس أو القمر لا يظهر له ظلّ.

وهو تأويل خاطئ، ذلك أنّ النور المقصود هو الإسلام، والدلالة القرآنية للنور تنصرف غالبًا إلى التنزيل: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾[1]، ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ﴾[2]، وقد وردت صيغة أنزلنا إليكم نورًا مبينًا في سورة النساء: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ

(1) سورة المائدة، الآية: 44.

(2) سورة المائدة، الآية: 46.

﴿إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾[1]، ورأى الطبري أنّها تعني القرآن: «يعني جلّ ثناؤه بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾: يا أيها الناس من جميع أصناف الملل، يهودها ونصاراها ومشركيها، الذين قصّ الله جلّ ثناؤه قصصهم في هذه السورة ﴿قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ يقول: قد جاءتكم حجة من الله تبرهن لكم بطول ما أنتم عليه مقيمون من أديانكم ومللكم، وهو محمد ﷺ، الذي جعله الله عليكم حجة قطع بها عذركم، وأبلغ إليكم في المعذرة بإرساله إليكم، مع تعريفه إياكم صحة نبوّته وتحقيق رسالته. ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ يقول: وأنزلنا إليكم معه نورًا مبينًا، يعني: يبين لكم المحجّة الواضحة والسبل الهادية إلى ما فيه لكم النجاة من عذاب الله وأليم عقابه إن سلكتموها واستنرتم بضوئه. وذلك النور المبين هو القرآن الذي أنزله الله على محمد ﷺ».

وهذا التأويل يرمي إلى رسم صورة مفارقة للنبيّ محمد ﷺ، تجعله يختلف عن البشر، وهذه الصورة تستند إلى الروايات والأحاديث أكثر من استنادها إلى تأويل آيات الذكر الحكيم، ويمكن الرجوع إليها في الجزء الثالث تحت عنوان أحاديث دلائل النبوّة. والتأويل خاطئ ذلك أنّ الآية استخدمت الفعل «أنزلنا» في الآية: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾، ولم تستخدم الفعل «أرسلنا»، وهو ما يجعل دلالة النور تنصرف إلى القرآن، وليس إلى النبي ﷺ. فالنبيّ أُرسل ولم ينزّل من السماء، بينما القرآن أُنزل من السماء. كما يتناقض هذا التأويل مع الآية: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[2]. فإذا كان الله تعالى نورًا وفقًا لهذه الآية، فإنّ تأويل النور في الآية على أنّه ينصرف للنبيّ ﷺ، يجعل الرواة أو الوضّاعين بربهم يعدلون.

2. **تأويل آية ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ﴾**: أوّل أهلُ الحديث والنسخ دلالة «ضالًا» في الآية السابعة من سورة الضحى: ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ﴾، على أنه ينصرف إلى أنّ النبيّ قد ضلّ في شعاب مكة وهو صغير، أو أنّه ضلّ وهو

---

(1) سورة النساء، الآية: 174.

(2) سورة النور، الآية: 35.

مع عمه في طريق الشام؛ حيث أورد ابن كثير في تفسير القرآن العظيم في معرض تفسيره للآية قوله: «وقوله تعالى ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ﴾ كقوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَاۚ﴾[1] الآية. ومنهم من قال إنّ المراد بهذا أنّ النبيّ ﷺ ضلّ في شعاب مكة وهو صغير ثم رجع، وقيل إنّه ضلّ وهو مع عمه في طريق الشام، وكان راكبًا ناقة في الليل، فجاء إبليس فعدل بها عن الطريق، فجاء جبرائيل فنفخ إبليس نفخة ذهب منها إلى الحبشة، ثم عدل بالراحلة إلى الطريق حكاها البغوي».

والتأويل الذي يستند إلى هذه الروايات خاطئ، ذلك أنّ هداية الله تعالى لنبيّه لا يمكن حصرها في تبسيط مخلّ، على إرشاده إلى الطريق في شعاب مكة، أو في طريق إلى الشام ضلّ عنه. فهدايته تعالى تنصرف إلى هداية رسوله ﷺ إلى الطريق السوي، وضلالته من ثم تنصرف إلى ابتعاده عنه بطريقة أو بأخرى قبل تلقيه الوحي. ومن هناك فالتأويل الذي أورده ابن كثير لا يستقيم، ولا يتجاوز كونه إخضاعًا لآيات الله تعالى لنظريات البشر.

3. **تأويل آية** ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ﴾: أوّل أهلُ الحديث والنسخ دلالة «وزرك» في الآية الثانية من سورة الشرح: ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ﴾، على أنّه تارة الخطأ والسهو، وأخرى ذنوب أمته، وطورًا أعباء النبوّة وطورًا آخر أعباء الوحي؛ حيث أورد القرطبي في الجامع لأحكام القرآن في معرض تفسيره للآية قوله: «قوله تعالى: ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ﴾، وقال السُّدّي: «ووضعنا عنك وزرك» أي وحططنا عنك ثِقلك. وهي في قراءة عبد الله بن مسعود «وحططنا عنك وِقْرك». وقيل: أي حططنا عنك ثقل آثام الجاهلية. قال الحسين بن الفضل: يعني الخطأ والسهو. وقيل: ذنوب أمتك، أضافها إليه لاشتغال قلبه بها. وقال عبد العزيز بن يحيى وأبو عبيدة: خففنا عنك أعباء النبوّة والقيام بها، حتى لا تثقل عليك. وقيل؛ كان في الابتداء يثقل عليه الوحي، حتى كاد يرمي نفسه من شاهق الجبل، إلى أن جاءه جبرائيل وأراه نفسه؛ وأزيل عنه ما كان يخاف من تغير العقل. وقيل: عصمناك عن

---

(1) سورة الشورى، الآية: 52.

احتمال الوِزر، وحفِظناك قبل النبوّة في الأربعين من الأدناس؛ حتى نزل عليك الوحي وأنت مطهر من الأدناس».

والتأويل خاطئ، ذلك أنّ الآية تصفه بوزر يقصم الظهر، وليس فيما ذكر الرواة وزرًا يقصم الظهر، وكان من الأصوب أن يثبت المتأوّلون لله ما وصف به نبيّه ﷺ دون تأويل، إذا ما عجزوا عن تأويله، ولا يهونوا من الوزر لتعزيز نظريات البشر حول عصمة الأنبياء عليهم السلام على نحو عام، وعصمة النبيّ محمد ﷺ على نحو خاص.

خاتمة المبحث:

جدول رقم (2 ـ 5)

التأويلات المتعلقة بنفي بشرية النبيّ ﷺ ونفي الخطأ والضلال عنه:

الكَلِم	الدلالة المحرّفة	الدلالة الأصلية
﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ﴾	يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا محمد يبيّن لكم كثيرًا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير إنّه نور من الله ومعه كتاب مبين.	يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا محمد يبيّن لكم كثيرًا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير قد جاءكم من الله نور الحق وكتاب مبين.
﴿وَوَجَدَكَ ضَآلّٗا فَهَدَىٰ﴾	ووجدناك يا محمد ضالًّا في شعاب مكة أو في طريق الشام فأرشدناك إلى الطريق.	ووجدناك يا محمد ضالًّا فهديناك طريقًا مستقيمًا.
﴿وَوَضَعۡنَا عَنكَ وِزۡرَكَ﴾	ووضعنا عنك الخطأ والسهو.	ووضعنا عنك إثمك.
﴿وَوَضَعۡنَا عَنكَ وِزۡرَكَ﴾	ووضعنا عنك ذنوب أمتك.	ووضعنا عنك إثمك.
﴿وَوَضَعۡنَا عَنكَ وِزۡرَكَ﴾	ووضعنا عنك «خففنا» أعباء النبوّة والقيام بها.	ووضعنا عنك إثمك.
﴿وَوَضَعۡنَا عَنكَ وِزۡرَكَ﴾	ووضعنا عنك «خففنا عليك» ثقل الوحي.	ووضعنا عنك إثمك.
﴿وَوَضَعۡنَا عَنكَ وِزۡرَكَ﴾	ووضعنا عنك «عصمناك» عن احتمال الوِزر.	ووضعنا عنك إثمك.

التعليق:

أوّلت الآيات في الجدول آنفًا على نحو يعزّز نظرية نفي بشرية النبيّ ﷺ، وتؤكد عصمته عن الضلال، والوقوع في الخطأ، حتى قبل تلقيه الوحي؛ فأُوّل «النور» في الآية الأولى على أنّه ينصرف إلى النبيّ محمد ﷺ، وهو ما ترتّب عليه ادعاء بعض الروايات أنّه لا يُرى له ظلّ لا في الشمس ولا في القمر! كما أُوّلت «ضالًّا» في الآية الثانية على أنّها تنصرف إلى أنّه ﷺ قد ضلّ في شعاب مكة، أو وهو في طريقه إلى الشام، وذلك من أجل محاولة ليّ عنق الآية، ونفي الضلال عن النبيّ ﷺ حتى قبل تلقيه الوحي. كما أُوّل الوزر في الآية الثالثة تأويلات عديدة فهو تارة ينصرف إلى الخطأ والسهو، وأخرى إلى ذنوب أمته، وطورًا ينصرف إلى أعباء النبوّة وطورًا آخر ينصرف إلى أعباء الوحي. وكافة هذه التأويلات تلوي عنق النص القرآني وتخضعه لنظريات البشر في عصمة النبيّ وفي محاولة نفي بشريته.

ـ سادسًا ـ

التأويلات المتعلقة بنظرية عدم خلود المسلم في النار

سنقسّم الآيات التي أُوّلت لتعزز نظرية عدم خلود المسلم في النار إلى قسمين، يتناول القسم الأول التأويلات المتعلقة بالتعدي على حدود الله تعالى، ويتناول القسم الثاني التأويلات المتعلقة بالظلم وارتكاب السيئات والوعيد الإلهي للظالمين.

أ. التأويلات المتعلقة بالتعدي على حدود الله تعالى:

أوّل أهلُ الحديث والنسخ الذين يعتقدون بأنّ المسلم لا يخلّد في النار «الوعيد» في الآيات المتعلقة بالتعدي على حدود الله تعالى وهي:

1. ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[1].

2. ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾[2].

3. ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾[3].

على أنّه مشروط بجحود الفاعل للتحريم؛ حيث أوّلت العودة إلى الرّبا في الآية: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ

(1) سورة البقرة، الآية: 275.
(2) سورة النساء، الآية: 14.
(3) سورة النساء، الآية: 93.

مِنَ ٱلْمَسِّ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰا۟ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[1]، على أنّه التراجع عن تحريمه وتأوّلوا في «الوعيد» المتعلق به على نحو خاص في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ عَادَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ تأويلًا يتفق مع تلك العقيدة، فقالوا بأنّ من عاد يُقصد به من أحل الرّبا بعد تحريمه، وليس مجرد العودة إلى أكله مع الاعتقاد في تحريمه، فالذي يأكل الرّبا وفقًا لهذا التأويل لا يُخلّد في النار، إذا اعتقد في تحريمه، وإنْ أصر على عصيان الله ورسوله ولم يمتثل للتحريم؛ حيث أورد القرطبي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ عَادَ﴾: «﴿وَمَنْ عَادَ﴾ وقال غيره: من عاد فقال إنّما البيع مثل الربا فقد كفر».

والتأويل خاطئ، ذلك أنّ الآية لم تشر إلى الاعتقاد بل انصرفت إلى الممارسة والتي هي العودة إلى أكله، والدافع إلى هذا التأويل، في تقديري، يكمن في المحاولات الدؤوبة، لتأكيد صحة الفكرة القائلة بأنّ المسلم لا يُخلّد في النار. ثم إنّ المستحل للربا والنافي لتحريمه لا يدخل في عداد المسلمين؛ ذلك أنّه يكفر ببعض الكتاب، ومن هناك فلا ينصرف إليه وعيد هذه الآية المقصور على المسلمين، الذين يعودون لأكل الربا رغم علمهم بتحريمه، فينقضون عهد الله وميثاقه بالسمع والطاعة، ويطيعون الطاغوت الذي زيّن لهم ذلك، ويشركون بالله الطاغوت وهوى النفس، ويبيعون آخرتهم بدنياهم، بل ينصرف إليه وعيد الكافرين. ورغم عدم اتفاق عبد الرحمن السعدي مع القائلين: بأنّ «من عاد لأكل الرّبا» تنصرف إلى التراجع عن تحريمه، وتفسيره لقوله تعالى من عاد لمجرد العودة إلى أكله، فإنّه عاد فنفى خلود الموحد في النار بغض النظر عن عمله، وسيأتي ذكر ذلك لاحقًا. وخالف محمد عبده المتأوّلين بالقول: «وقد أوّل الخلود المفسرون لتتفق الآية مع المقرر في العقائد والفقه من كون المعاصي لا توجب الخلود في النار، فقال أكثرهم: إن المراد ومن عاد إلى تحليل الربا واستباحته اعتقادًا»[2].

(1) سورة البقرة، الآية: 275.

(2) انظر محمد رشيد رضا، **تفسير المنار**، ج 3، ص 98.

كما أوّل الوعيد بالخلود في النار للمتعدين لحدود الله في الآية الرابعة عشرة من سورة النساء، على أنّه مشروط بالشك فيما فرض الله عليه من حدود؛ حيث أورد الطبري في جامع البيان في معرض تفسيره للآية قوله: «فإنّ قال قائل: أو يُخلّد في النار من عصى الله ورسوله في قسمة المواريث؟ قيل: نعم، إذا جمع إلى معصيتهما في ذلك شكًّا في أنّ الله فرض عليه ما فرض على عباده في هاتين الآيتين، أو علم ذلك، فحاد الله ورسوله في أمرهما على ما ذكر ابن عباس من قول من قال حين نزل على رسول الله ﷺ قول الله تبارك وتعالى: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۚ﴾[1]... إلى تمام الآيتين: أيورث من لا يركب الفرس، ولا يقاتل العدوّ، ولا يحوز الغنيمة نصف المال أو جميع المال؟ استنكارًا منهم قسمة الله ما قسم لصغار ولد الميت ونسائه وإناث ولده، ممن خالف قسمة الله ما قسم من ميراث أهل الميراث بينهم، على ما قسمه في كتابه، وخالف حكمه في ذلك وحكم رسوله، استنكارًا منه حكمهما، كما استنكره الذين ذكر أمرهم ابن عباس ممن كان بين أظهر أصحاب رسول الله ﷺ من المنافقين الذين فيهم نزلت وفي أشكالهم هذه الآية، فهو من أهل الخلود في النار، لأنه باستنكاره حكم الله في تلك يصير بالله كافرًا ومن ملة الإسلام خارجًا».

وهو تأويل خاطئ، ذلك أنّ الآية لم تشترط ذلك، ثم إنّ إنكار وجحود آيات الله يخرج المرء من دائرة الإسلام إلى دائرة الكفر، ولا يحتاج إلى تخصيصه بالوعيد، حيث يشمله الوعيد المتعلق بالكفار والمشركين.

وأُوّلت الآية الثالثة والتسعين من سورة النساء التي تؤكد بأنّ جزاء المسلم الذي يقتل مسلمًا متعمّدًا جهنم خالدًا فيها: ﴿وَمَن يَقۡتُلۡ مُؤۡمِنٗا مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدٗا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمٗا﴾، على أوجه عديدة تحاول تغليب مذهب الرجاء، وعقيدة عدم خلود المسلم في النار، حتى لو ارتكب الكبائر التي من بينها القتل العمد. فتعرّضت الآية للتأويل وادعاء النسخ عليها، فقيل بأنّ الخلود في النار يقتصر على القاتل

(1) سورة النساء، الآية: 11.

العمد الذي يقتل مؤمنًا عمدًا وهو مستحل لدمه، ومن ثم فالخلود في النار للذي يستحل دم المسلم فحسب، أمّا الذي يقرّ بحرمته ثم يصّر على فعله «متحديًا بذلك خالقه» فلا يُخلّد في النار وفقًا للمتأوّلين من أهل الحديث والنسخ: «ثم إنّهم قد أجمعوا معنا في الرجل يشهد عليه بالقتل، ويقرّ بأنّه قتل عمدًا، ويأتي السلطان الأولياء فيقام عليه الحدّ ويقتل قودًا، فهذا غير متبع في الآخرة والوعيد غير نافذ عليه إجماعًا على مقتضى حديث عُبادة؛ فقد انكسر عليهم ما تعلّقوا به من عموم قوله تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ﴾ ودخله التخصيص بما ذكرنا، وإذا كان كذلك فالوجه أنّ هذه الآية مخصوصة كما بيّنا، أو تكون محمولة على ما حُكي عن ابن عباس أنّه قال: متعمدًا معناه مستحلًا لقتله؛ فهذا أيضًا يؤول إلى الكفر إجماعًا». وقيل بأنّ الخلود في النار لا يعني الخلود! فهو على سبيل المجاز ولا يعني التأبيد، ولا يقتضي الدوام حين يتعلق الأمر بالمسلم. حيث أورد القرطبي في الجامع لأحكام القرآن في معرض تفسيره لهذه الآية: «قال ابن عطية: إن قدرنا الآية في كافر فالخلود خلود تأبيد حقيقي، وإن لحظناها في مسلم عاص فهذا خلود مستعار على معنى المبالغة، كما تقول العرب: ملك خالد، عبارة عن دوام ما لا يبقى على التأبيد الحقيقي، والخلود لا يقتضي الدوام، قال الله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ﴾[1]. وقال تعالى: ﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ﴾[2]. وقال زهير: ولا خالدًا إلا الجبال الرواسيا. وهذا كله يدل على أنّ الخلد يطلق على غير معنى التأبيد؛ فإنّ هذا يزول بزوال الدنيا. وكذلك العرب تقول: لأخلدن فلانًا في السجن؛ والسجن ينقطع ويفنى، وكذلك المسجون. ومثله قولهم في الدعاء: خلد الله ملكه وأبد أيامه». بل إنّ القرطبي ذهب إلى أبعد من ذلك، فرأى إنّ الله سيخلف وعيده للمسلم الذي يقتل عمدًا، ذلك أنّ الخلف في الوعيد كرم! حسب قوله: «فإنّ قيل: إنّ قوله تعالى: ﴿فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ﴾ دليل على كفره، قلنا هذا وعيد

(1) سورة الأنبياء، الآية: 34.

(2) سورة الهمزة، الآية: 3.

والخلف في الوعيد كرم»! وعلى هذا القياس قد يقول قائل: بأنّ الله قد يخلف وعيده للمشركين ويدخلهم الجنّة من باب الكرم الإلهي أيضًا، فهل أوحى الله للمتأوّل بذلك؟ ومن هذا الباب قيل بنسخ الآية، رغم كون الآية المدعى أنّها ناسخة تشترط المشيئة الإلهية ﴿لِمَن يَشَآءُ﴾، فتجاوزها المتأوّلون خدمة لعقيدتهم فأخضعوا قول الله تعالى لقولهم. وهو ما فعله اليهود والنصارى وتوعدهم الله على فعلهم ذاك بجهنم وسوء المصير، ففعلناه ولقد نُهينا عن محاكاتهم فحُرفت دلالة المحاكاة في فقهنا المعاصر، لتنصرف إلى إحياء المولد النبوي الشريف، وفي إحياء ذكرى ميلاد أبنائنا وذكرى زواجنا، ولكأن المقصود إلهاؤنا عن المحاكاة التي يقصدها الحديث حقيقية، والتي هي أشدّ مخالفة للدين وأشدَّ ضررًا بالعقيدة. وأُختلف في ناسخ الآية، فمنهم من قال بأنّها قد نُسخت بالآية السادسة عشرة بعد المئة من سورة النساء: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾، ومنهم من قال بأنّها قد نسخت بالآيات 68-70 من سورة الفرقان: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (68) يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا (69) إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾.

وإجمالًا فإنّ الغاية من هذه المحاولات لتحريف دلالة الآية أو كتمانها والقول بنسخها تنحصر في مسألتين: الأولى تطويع الآية لنظريتي عدم خلود المسلم في النار والشفاعة، والثانية العمل على تبرئة قياصرة دمشق وبغداد الذين قتلوا الكثير من معارضيهم ومنافسيهم على الخلافة، ومن هناك ظهرت الحاجة إلى تكييف دلالة النص القرآني، حتى لا يظهر الخلفاء في نظر رعيتهم بمظهر المغضوب عليهم من الله تعالى، أو المخلدين في النار.

كذلك أوّل الطبري «الوعيد بالخلود في النار» للمتعدين على الحدود تأويلًا يتفق مع تلك النظرية، حيث أورد تأويلًا لتخليد الذي يتجاوز حدود الله في المواريث في النار، يشترط أن يكون المتعدي لتلك الحدود شاكًا في كون تلك الحدود حدود الله، فيورد قولًا نسبه لابن جريج: «قال ابن جريج: ومن

يعص الله ورسوله، قال: من أصاب من الذنوب ما يعذب الله عليه. فإنّ قال قائل: أو يخلد في النار من عصى الله ورسوله في قسمة المواريث؟ قيل: نعم، إذا جمع إلى معصيتهما في ذلك شكًّا في أنّ الله فرض عليه ما فرض على عباده في هاتين الآيتين». ويورد القرطبي قولًا ينسبه إلى هبة الله بأنّ الآية منسوخة: «وذكر هبة الله في كتاب الناسخ والمنسوخ أنّ هذه الآية منسوخة بقوله تعالى: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾».

كما أورد عبد الرحمن السعدي في تفسيره للآية الأولى متأوّلًا: «اختلف العلماء رحمهم الله في نصوص الوعيد التي ظاهرها تخليد أهل الكبائر من الذنوب التي دون الشرك بالله والأحسن أن يقال: هذه الأمور التي رتّب الله عليها الخلود في النار موجبات ومقتضيات لذلك، ولكن الموجب إن لم يوجد ما يمنعه ترتّب عليه مقتضاه، وقد علم بالكتاب والسُّنة وإجماع سلف الأمة أن التوحيد والإيمان مانع من الخلود في النار».

والتأويل خاطئ، فللخلود في النار دلالة واحدة؛ فلا يجوز اعتباره من قبيل التأبيد حين يتعلق بالكافر، وليس من قبيل التأبيد حين يتعلق بمن يعتقد في الإسلام غير أنّه يتخذ من إلهه هواه في الممارسة، واعترض الشيخ محمد عبده على هذا التأويل بالقول: «وقد أوّل الخلود المفسرون لتتفق الآية مع المقرر في العقائد والفقه من كون المعاصي لا توجب الخلود في النار، فقال أكثرهم إن المراد ومن عاد إلى تحليل الربا واستباحته اعتقادًا والحق أنّ القرآن ـ فوق ما كتب المتكلمون والفقهاء ـ يجب إرجاع كل قول في الدين إليه ولا يجوز تأويل شيء منه ليوافق كلام الناس، وما الوعيد هنا إلّا كالوعيد في آية القتل العمد»[1]. ثم إنّ الآية المدعى أنّها ناسخة تشترط المشيئة الإلهية ﴿لِمَن يَشَآءُ﴾، فتجاوزها المتأوّلون خدمة لنظريتهم فأخضعوا قول الله لقولهم، وهو ما فعله اليهود والنصارى وتوعدهم الله على فعلهم ذاك بجهنم وسوء المصير. وبلغ تحريف الكلم عن مواضعه هنا حدّ الجرأة على الله سبحانه وتعالى، واتهامه

(1) انظر محمد رشيد رضا، تفسير المنار، ج 3، ص 98.

بخلف الوعيد واعتبار خلفه معاذ الله كرمًا منه! وإنّه تالله لبهتان عظيم أن يُتهم الله سبحانه وتعالى بخلف وعدٍ أو وعيدٍ حتى وإنْ نعتناه بالكرم في ذلك.

ب. التأويلات المتعلقة بالظلم وارتكاب السيئات والوعيد الإلهي للظالمين:

أوّل أهلُ الحديث والنسخ الذين يعتقدون بأنّ المسلم لا يُخلّد في النار الآيات المتعلقة بالظلم وارتكاب السيئات والوعيد للظالمين وهي:

1. ﴿وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿80﴾ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[1].
2. ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[2].
3. ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾[3].
4. ﴿وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾[4].
5. ﴿يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًۢا﴾[5].

على أنّها ليست مدعاة للخلود في النار؛ فأوّلوا «السيئة» الواردة في الآيتين الكريمتين الثمانين والحادية والثمانين من سورة البقرة، وكذلك في الآية التسعين من سورة النمل، على أنّها الشرك؛ حيث أورد عبد الرحمن السعدي في تفسيره للآية الحادية والثمانين من سورة البقرة: «والمراد به ـ هنا ـ الشرك بدليل قوله وأحاطت به خطيئته أي أحاطت بعاملها فلم تدع له منفذًا وهذا لا

---

(1) سورة البقرة، الآيتان: 80 ـ 81.
(2) سورة النمل، الآية: 90.
(3) سورة إبراهيم، الآية: 42.
(4) سورة طه، الآية: 111.
(5) سورة الإنسان، الآية: 31.

يكون إلّا الشرك فإنّ من معه الإيمان لا تحيط به خطيئته». وكذلك أورد القرطبي في تفسيره للآية بأنّ السيئة معناها الشرك، واستند في ذلك على رواية عطاء عن ابن جريج، «من كسب سيئة قال الشرك» واستشهد بالآية: ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ هَلۡ تُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾. كما أورد القرطبي في موضع آخر بأنّ السيئة في هذه الآية تعني الشرك أيضًا: «جاء بالسيئة أي بالشرك، قاله ابن عباس والنخعي وأبو هريرة ومجاهد وقيس بن سعد والحسن، وهو إجماع من أهل التأويل في أن الحسنة لا إله إلا الله، وأنّ السيئة الشرك في هذه الآية». وهو ما أكّد عليه الطبري وابن كثير، وخالفهم من المعاصرين عبد الرحمن السعدي ومحمد عبده. حيث أورد السعدي في تفسيره لكلمة سيئة في الآية التسعين من سورة النمل أنّ السيئة: «اسم جنس يشمل كل سيئة». وكذلك خالفهم في قصر دلالة الحسنة على لا إله إلّا الله؛ حيث أورد أنّها أيضًا: «اسم جنس يشمل كل حسنة قولية أو فعلية أو قلبية». ورغم اختلافه مع الآخرين في دلالة السيئة والحسنة في هذه الآية، فإنّه قصر دلالة السيئة على الشرك في الآية الثانية والثمانية من سورة البقرة.

والتأويل خاطئ؛ حيث لا يجوز تقييد مطلق السيئة، والتي هي اسم جنس ينصرف معناها إلى كافة السيئات كالسرقة، وشرب الخمر، وقتل النفس بغير الحق، وأكل الرّبا وأكل أموال الناس بالباطل وغيرها، وقصرها على الشرك يرمي إلى إخضاع الآية لنظريات البشر المتعلقة بعدم خلود المسلم في النار والمستندة إلى أحاديث الشفاعة. وهي نظرية مستمدة من العقيدة اليهودية التي ما نزلت الآيتان الكريمتان الثمانون والحادية والثمانون من سورة البقرة المشار إليهما آنفًا، في تقديري إلّا لنقضها وتبيان تهافتها.

ويعترض الشيخ محمد عبده، على قصر دلالة السيئة على الشرك في الآية الأولى؛ حيث قال الشيخ محمد عبده: «للسيئة هنا إطلاقها وخصّها بعض المفسرين بالشرك، ولو صح هذا لما كان لقوله تعالى ﴿وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ﴾ معنى فإنّ الشرك أكبر السيئات ويستحق الوعيد لذاته كيف ما كان»، وأضاف في موضع آخر: ومن المفسرين من ترك السيئة على إطلاقها ولم يؤولها بالشرك ولكنهم أولوا جزاءها، فقالوا إنّ المراد بالخلود طول مدة المكث لأن المؤمن

لا يخلد في النار وإن استغرقت المعاصي عمره وأحاطت الخطايا بنفسه فانهمك فيها طول حياته، أولوا هذا التأويل هروبًا من قول المعتزلة إنّ أصحاب الكبائر يخلدون في النار»[1].

كما أوّلت دلالة «الظالمين» في الآية الثانية والأربعين من سورة إبراهيم على أنّها تعني المشركين؛ حيث أورد الطبري في جامع البيان في معرض تفسيره لهذه الآية: «يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ﴾ يا محمد ﴿غَٰفِلًا﴾ ساهيًا ﴿عَمَّا يَعْمَلُ﴾ هؤلاء المشركون من قومك، بل هو عالم بهم وبأعمالهم محصيها عليهم، ليجزيهم جزاءهم في الحين الذي قد سبق في علمه أنه يجزيهم فيه».

وعلى الرغم من أنّ الظلم لا يقتصر على الشرك، فإنّ أقطاب أهل الحديث والنسخ حرصوا على قصرها على الشرك، فالظلم أوسع دلالة من الشرك؛ حيث يشمل الشرك الذي هو ظلم للنفس كما يشمل ظلم الآخرين الذي لا يدخل ضمن الشرك، فالفساد في الأرض والطغيان، والتعدي على حقوق العباد، أنواع من الظلم توعد الله تعالى مرتكبيها بجهنم وبئس المصير. غير أنّ المتأوّلين استبعدوا جوانب الظلم المتعلقة بظلم الآخرين، وقصروا دلالته في هذه الآية وفي آيات أخرى عديدة غيرها، على دلالة واحدة من دلالاته وهي ظلم النفس، حتى لا يشمل أنواع الظلم التي ترتكبها النخبة المسيطرة على الجاه والمال زمن التدوين.

وأوّل «من حمل ظلمًا» في الآية الحادية عشرة بعد المئة من سورة طه على أنّه الشرك بالله؛ حيث أورد الفيروزآبادي في معرض تفسيره للآية قوله: «﴿وَقَدْ خَابَ﴾ خسر ﴿مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ شركًا». كما أورد السيوطي في الدر المنثور قوله: «وأخرج ابن المنذر عن ابن جرير رضي الله عنه في قوله: ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ قال: شركًا». كما أورد السمرقندي في بحر العلوم: «وقال الزجاج رحمه الله عنت أي: خضعت يقال عنا يعنو أي: خضع ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ أي خسر من حمل شركًا».

---

(1) انظر محمد رشيد رضا، **تفسير المنار**، ج 1، ص 363.

وهذا التأويل خاطئ، ذلك أنّ للظلم دلالات تتجاوز الشرك وإنْ اشتملت عليه، فالظلم كما أسلفنا نوعان: الأول هو ظلم النفس وهو ما ينصرف للشرك وتجاوز حدود الله تعالى، والثاني ظلم الآخرين كالطغيان والفساد في الأرض، وأكل أموال الناس بالباطل، وتنصرف دلالات الآية إلى كافة أشكال الظلم دون أن تقتصر على الشرك وذلك لكونها وردت مطلقة وغير مقيدة. غير أنّ المتأوّلين قصروا دلالتها على الشرك حتى يستبعدوا الظالمين لغيرهم من الطغاة والمفسدين في الأرض من دلالة الآية، وحتى يتم استبعاد المرتكبين لأصناف الظلم الأخرى المتعلقة بظلم الآخرين؛ كأكل أموال الآخرين ظلمًا، والتعدي على حقوقهم، وإلحاق الأذى بهم من الوصف بخيبة مسعاهم يوم القيامة. والدليل على عدم قصر الظلم على الشرك، ما ورد في الآية السادسة من سورة الرعد: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ﴾ والظلم هنا لو انصرف إلى الشرك لما قرنه الله تعالى بالمغفرة، وأورد الطبري عن دلالتها قوله: «وقوله: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ﴾ يقول تعالى ذكره: وإن ربك يا محمد لذو ستر على ذنوب من تاب من ذنوبه من الناس، فتارك فضيحَته بها في موقف القيامة، وصافحٌ له عن عقابه عليها عاجلًا وآجلًا على ظلمهم». كذلك وردت آيات عديدة تصف أكل أموال الناس بالباطل بالظلم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ۚ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا (29) وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾[1]، وكذلك يصف القرآن الذين يأكلون أموال اليتامى بالظالمين: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾. ومن هناك فقصر دلالة الظلم على الشرك في الآية، هو مجرد تحريف للكلم عن مواضعه، وإخضاع لآيات الله لنظريات البشر.

كذلك أوّل «الظالمين» في الآية ﴿يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ

(1) سورة النساء، الآيتان: 29 ـ 30.

عَذَابًا أَلِيمًا﴾ على أنّهم المشركون؛ حيث أورد الطبري في جامع البيان في معرض تفسيره للآية قوله: «﴿وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ يقول: الذين ظلموا أنفسهم، فماتوا على شركهم، أعدّ لهم في الآخرة عذابًا مؤلمًا موجعًا، وهو عذاب جهنم».

وهذا التأويل خاطئ، ذلك أنّه يقيّد المطلق ويخصص العام، فالظالمون وردت عامة وتشمل الذين ظلموا أنفسهم بشركهم، والذين ظلموا غيرهم بالاعتداء على حقوقهم.

خاتمة المبحث:

جدول التحريف رقم (2 ـ 6):

التأويلات المتعلقة بعدم خلود المسلم في النّار:

الكَلِم	الدلالة المحرّفة	الدلالة الأصلية
﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰا۟ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰا۟ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰا۟ ۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾	الذين يأكلون الربا لا يقومون إلّا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المسّ ذلك بأنّهم قالوا إنّما البيع مثل الربا وأحل الله البيع وحرّم الربا فمن جاءه موعظة من ربّه فانتهى فله ما سلف وأمره إلى الله ومن عاد إلى أكل الربا مستحلًّا أكله فأولئك أصحاب النّار هم فيها خالدون. ثم إنّ الخلود في النار ينصرف للكافر دون المسلم.	الذين يأكلون الربا لا يقومون إلّا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المسّ ذلك بأنّهم قالوا إنّما البيع مثل الربا وأحل الله البيع وحرّم الربا فمن جاءه موعظة من ربّه فانتهى فله ما سلف وأمره إلى الله ومن عاد إلى أكل الربا فأولئك أصحاب النّار هم فيها خالدون.

﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾	ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدود الله في قسمة المواريث يدخله نارًا خالدًا فيها إذا جمع إلى معصيتهما في ذلك شكًّا في أنّ الله قد فرض عليه ما فرض على عباده في المواريث وله عذاب مهين. ثم إنّ الخلود في النار ينصرف للكافر دون المسلم.	ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدود الله في قسمة المواريث يدخله نارًا خالدًا فيها وله عذاب مهين.
﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾	ومن يقتل مؤمنًا متعمدًا مستحلًّا لقتله فجزاءه جهنم خالدًا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابًا عظيمًا. ثم إنّ الخلود في النار ينصرف للكافر دون المسلم.	ومن يقتل مؤمنًا متعمدًا فجزاءه جهنم خالدًا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابًا عظيمًا.
﴿وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (80) بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾	وقال بنو إسرائيل لن تمسنا النار إلّا أيامًا معدودة قل اتخذتم عند الله عهدًا فلن يخلف الله عهده أم تقولون على الله ما لا تعلمون، بلى من أشرك وأحاط به شركه فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون.	وقال بنو إسرائيل لن تمسنا النار إلّا أيامًا معدودة قل اتخذتم عند الله عهدًا فلن يخلف الله عهده أم تقولون على الله ما لا تعلمون، بلى من كسب إثمًا وأحاط به إثمه فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون.
﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾	ومن جاء بالشرك فكبّت وجوههم في النّار هل تجزون إلّا ما كنتم تعملون!	ومن جاء بالإثم فكبّت وجوههم في النّار هل تجزون إلّا ما كنتم تعملون.
﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾	ولا تحسبن الله غافلًا عما يعمل المشركون إنّما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار.	ولا تحسبن الله غافلًا عما يعمل الظالمون لأنفسهم والظالمون لغيرهم إنّما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار.

﴿وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾	وعنت الوجوه للحي القيوم وقد خاب من حمل شركًا.	وعنت الوجوه للحي القيوم وقد خاب من حمل ظلمًا لنفسه أو لغيره.
﴿يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾	يدخل من يشاء في رحمته والمشركين أعد لهم عذابًا أليمًا.	يدخل من يشاء في رحمته والظالمين لأنفسهم ولغيرهم أعد لهم عذابًا أليمًا.

التعليق:

حين أُخضع الدين للدولة زمن سلاطين بني أمية وبني العباس، صارت طاعة أهل الجاه والمال مقدمة على طاعة الله ورسوله، فضعف الدين في نفوس الناس، وتجرأ العباد على عصيان الله ورسوله ﷺ، فظهرت هذه التأويلات التي تهون من العقاب الأخروي للمتجاوزين لحدود الله، والسؤال الذي يتبادر إلى الذهن هنا، هو هل ضَعُفَ الدين في النفوس قبل تحريف الكلم عن مواضعه أم بعده؟ والأرجح، في تقديري، أنْ يكون الدين قد ضَعُفَ في النفوس قبل التحريف، ذلك أنّه لو كانت النفوس عامرة بالإيمان لما سمح المسلمون للمحرفين والمتأوّلين أنْ يُلبسوا عليهم دينهم. وعلى ضوء ذلك أوّلت الآيات التي تناولناها في القسم الأول لتشفع في المتجاوزين لحدود الله تعالى، ولتعزز نظرية عدم خلود المسلم في النار؛ حيث أوّلت الآية التي تتوعد من يعود إلى الربا بالنار خالدًا فيها: ﴿وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ على أنّ الوعيد بالخلود في النار هو فقط لمن عاد إلى الربا جاحدًا تحريمه، وهو ما لم تذهب إليه الآية. كما أُوّلت الآية التي تتوعد من يعص الله ورسوله: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ على نفس الشاكلة التي أوّلت به الآية الأولى فقيل إنّ ذلك يتحقق فقط إذا جمع الفاعل إلى معصيتهما في ذلك، شكًّا في أنّ الله فرض عليه تلك الحدود التي تجاوزها. كما أوّلت الآية التي تتوعد من يقتل مؤمنًا متعمدًا بجهنم خالدًا فيها: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ بنفس الطريقة السابقة، فقيل بأنّ

الخلود في النار يقتصر على القاتل العمد، الذي يقتل مؤمنًا متعمّدًا وهو مستحل لدمه، ومن ثم فالخلود في النار للذي يستحل دم المسلم فحسب وليس للقاتل عمدًا. كما قيل بأنّ الخلود في النار لا يعني الخلود! فالخلود وفقًا للمتأوّلين هو على سبيل المجاز فحسب وليس على سبيل التحقق.

كما أوّلت الآيات التي تناولناها في القسم الثاني لتخدم ذات النظرية، فأوّلت «السيئات والظلم» بالشرك ليقال بأنّ الوعيد بالخلود في النار هو فقط للمشرك دون المسلم، فأوّلت «السيئة» في الآية: ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ و﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ على أنّها تعني الشرك، كما أوّل «الظلم» في الآيات: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ و﴿وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ و﴿يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ على أنّه ينصرف إلى الشرك، لاستبعاد الدلالة المتعلقة بظلم الآخرين والاعتداء على حقوقهم - والتي يعتبرها القرآن تجاوزًا لحدود الله تعالى - عن دلالة الآية. حتى لا ينصرف الوعيد بالخلود في النار إلى مرتكبي السيئات والآثام، أو إلى المعتدين على حقوق الآخرين.

ـ سابعًا ـ

التأويلات المتعلقة بالفصل بين الجزاء والعمل

أوّل أهلُ الحديث والنسخ الذين يَفْصِلون بين الجزاء والعمل، ويرون بأنّ الفاسق المسلم، أو مرتكب الكبائر سيُشفع له ولن يُخلّد في النار، الآيات:

1. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾[1].

2. ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾[2].

3. ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿4﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿5﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴿6﴾ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ﴾[3].

ليخضعوها لنظريتي الشفاعة وعدم خلود المسلم في النار، فأوّلوا الآية السادسة عشرة بعد المئة من سورة النساء على أنها تَعِدُ الفاسقين ومرتكبي الكبائر بالغفران؛ حيث أورد الطبري تفسيره فِي قَوْله تَعَالَى: «﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾ رَدٌّ عَلَى الْخَوارِج؛ حَيْثُ زَعَمُوا أَنَّ مُرْتَكِب الْكَبِيرَة كَافِر. وَقَدْ تَقَدَّمَ الْقَوْل فِي هَذَا الْمَعْنَى. وَرَوَى التِّرْمِذِيّ عَنْ عَلِيّ بْن أَبِي طَالِب رضي الله عنه قَالَ: مَا فِي الْقُرْآن آيَة أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ هَذِهِ الْآيَة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ قَالَ: هَذَا حَدِيث غَرِيب. قَالَ اِبْن فُورَك: وَأَجْمَعَ أَصْحَابنا على أَنَّهُ لَا تَخْلِيد إِلَّا لِلْكَافِرِ، وَأَنَّ الْفَاسِق مِنْ أَهْل الْقِبْلَة إِذَا مَاتَ غَيْر تَائِب فَإِنَّهُ إِنْ عُذِّبَ بِالنَّارِ فَلَا مَحَالَة أَنَّهُ يَخْرُج مِنْهَا بِشَفَاعَةِ الرَّسُول، أَوْ بِابْتِدَاءِ رَحْمَة مِنَ اللَّه تَعَالَى. وَقَالَ

(1) سورة النساء، الآية: 116.

(2) سورة النساء، الآية: 123.

(3) سورة الماعون، الآيات: 4 ـ 7.

الضَّحَّاك: إنَّ شَيْخًا مِنْ الأَعْرَاب جَاءَ إِلَى رَسُول الله ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُول اللَّه، إنِّي شَيْخ مُنْهَمِك فِي الذُّنُوب وَالْخَطَايَا، إِلَّا أَنِّي لَمْ أُشْرِكْ بِاَللَّهِ شَيْئًا مُنْذُ عَرَفْته وَآمَنْت بِهِ، فَمَا حَالِي عِنْد اللَّه؟ فأنزَلَ اللَّه تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ الْآيَة..».

وهذا تأويل خاطئ، ذلك أنّ الفاسق ليس له من الدين غير لفظ الشهادتين، والإيمان قول وفعل ويستند بشكل أساسي إلى طاعة الله ورسوله، حيث لا إيمان لمن يعصي الله تعالى ورسوله ﷺ. فمن يفسق عن أمر ربه ويعصيه ويعصي رسوله ﷺ، يُعد من المشركين شركًا ظاهرًا، فهو يتخذ من إلهه هواه: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾[1]، بل يمكن مقارنة الفاسق بالشيطان، فالشيطان يؤمن بالله تعالى ويعصيه عن علم وإصرار، ومن يعص الله عن علم وإصرار، ودون أنْ يتوب يُحشر مع الشيطان، ولا تنفعه شفاعة الشافعين. قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ﴾[2]، والقرآن يحكم بكفر الفاسقين حيث يقول تعالى في سورة المائدة: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُۥنَ﴾[3]، ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُوا۟ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ أُعِيدُوا۟ فِيهَا﴾[4].

ومن يتعدَّ حدود الله عن علم يُعد من المشركين، ذلك أنّه لا يخرج عن ثلاث حالات: الأولى: أنْ يؤلّه نفسه حين لا يخشى الله تعالى، الثانية: أنْ يؤلّه هواه حين يتبعه ويترك أوامر الله تعالى ونواهيه، الثالثة: أنْ يحتكم للطاغوت عوضًا عن الاحتكام إلى الله تعالى: ﴿إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ﴾، ويتوعد الله تعالى من يتعدى حدوده بعذاب مهين وبالخلود في النار: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾[5]، والفاسق لغة تنصرف إلى الخروج عن

---

(1) سورة الفرقان، الآية: 43.
(2) سورة النحل، الآية: 100.
(3) سورة السجدة، الآية: 18.
(4) سورة السجدة، الآية: 20.
(5) سورة النساء، الآية: 14.

الشيء كخروج عسل التمرة عن غلافها، وتنصرف اصطلاحًا إلى الخروج عن الدين، وتنصرف قرآنيًا إلى من يُعلن إسلامه ثم ينقض عهد الله وميثاقه فيعصي الله ورسوله ويتجاوز حدود الله تعالى فلا يتبقى له من الدين شيء. **والغفران الذي تتحدث عنه الآية ينصرف للتائبين والمنيبين، قبل أن يدركهم الموت أو العذاب دون غيرهم، حتى وإن ارتكبوا كبائر الإثم. أمّا الفاسقون ومرتكبو الكبائر الذين لم يتوبوا فهم عند الله مشركون بنص القرآن.**

كما أوّلت الآية الثالثة والعشرون بعد المئة من سورة النساء على أنّها تقتصر على توعد غير المسلمين بالجزاء الأخروي، أمّا المسلمون فيقتصر عقابهم على العقاب الدنيوي وفقًا للمتأوّلين، كما أوّل «ضمير المخاطب» في أمانيكم وفق هذا التأويل، على أنّه يعود على المشركين من العرب دون المسلمين؛ حيث أورد ابن كثير في تفسيره: «وَقَالَ مُجَاهِد: قَالَتْ الْعَرَب: لَنْ نُبْعَث وَلَنْ نُعَذَّب وَقَالَتْ الْيَهُود وَالنَّصَارَى» لَنْ يَدْخُل الْجَنَّة إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى ﴿وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾ وَالْمَعْنَى فِي هَذِهِ الْآيَة أَنَّ الدِّين لَيْسَ بِالتَّحَلِّي وَلَا بِالتَّمَنِّي وَلَكِنْ مَا وَقَرَ فِي الْقُلُوب وَصَدَّقَتْهُ الْأَعْمَال وَلَيْس كُلّ مَن اِدَّعَى شَيْئًا حَصَلَ لَهُ بِمُجَرَّدِ دَعْوَاهُ وَلَا كُلّ مَنْ قَالَ إِنَّهُ عَلَى الْحَقّ سُمِعَ قَوْله بِمُجَرَّدِ ذَلِكَ حَتَّى يَكُون لَهُ مِنْ اللَّه بُرْهَان وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ أَيْ لَيْسَ لَكُمْ وَلَا لَهُمْ النَّجَاة بِمُجَرَّدِ التَّمَنِّي بَلْ الْعِبْرَة بِطَاعَةِ اللَّه سُبْحَانه واتباع مَا شَرَعَهُ عَلَى أَلْسِنَة الرُّسُل الْكِرَام وَلِهَذَا قَالَ بَعْده ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾...» وَقَدْ رُوِيَ أَنَّ هَذِهِ الْآيَة لَمَّا نَزَلَتْ شَقَّ ذَلِكَ عَلَى كَثِير مِنْ الصَّحَابَة قَالَ الْإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا عَبْد اللَّه بْن نُمَيْر حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيل عَنْ أَبِي بَكْر بْن أَبِي زُهَيْر قَالَ: أُخْبِرْت أَنَّ أَبَا بَكْر رَضِيَ اللَّه عَنْهُ قَالَ: يَا رَسُول اللَّه كَيْف الْفَلَاح بَعْد هَذِهِ الْآيَة ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ فَكُلّ سُوء عَمِلْنَاهُ جُزِينَا بِهِ فَقَالَ النَّبِيّ ﷺ «غَفَرَ اللَّه لَك يَا أَبَا بَكْر أَلَسْت تَمْرَض أَلَسْت تَنْصَب أَلَسْت تَحْزَن أَلَسْت تُصِيبك اللَّأْوَاء» قَالَ بَلَى، قَالَ «فَهُوَ مِمَّا تُجْزَوْنَ به، وفي رواية أخرى قال ﷺ» أَمَّا أَنْتَ يَا أَبَا بَكْر وَأَصْحَابك الْمُؤْمِنُونَ فَإِنَّكُمْ تُجْزَوْنَ بِذَلِكَ فِي الدُّنْيَا حَتَّى تَلْقَوْا اللَّه لَيْسَ لَكُمْ ذُنُوب وَأَمَّا الْآخَرُونَ فَيُجْمَع ذَلِكَ لَهُمْ حَتَّى يُجْزَوْا بِهِ يَوْم الْقِيَامَة».

وهذا التأويل فيه تناقض، ذلك أنّه تارة يقيّد أو يقصر «ضمير المخاطبين» في «أمانيّكم» على مشركي العرب دون المسلمين منهم رغم وروده مطلقًا، ويجعله تارة أخرى ينصرف إلى المسلمين غير أنّه يُقيّد جزاء من يرتكب السوء من المسلمين بالجزاء الدنيوي دون الأخروي رغم وروده هو الآخر مطلقًا. ثم إنّ القول بأنّ «ضمير المخاطبين» في الآية ينصرف إلى مشركي العرب لا يستقيم، ذلك أنّ المشرك يكفيه شركه سوءًا فلا يخاطبه الله تعالى بصيغة من يعمل سوءًا التبعيضية، ثم إنّ الآية السابقة لها تخاطب المسلمين: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٗاۚ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلٗا﴾[1]. وتُعد هذه الآية من أوضح الآيات التي تدحض نظرية فصل الجزاء عن العمل، ونظريتي شفاعة النبيّ ﷺ وشفاعة الأئمة رضي الله عنهم. وروى ابن كثير حديثًا يناقض هذا التأويل إذ يقول: «وقال في مسند ابن الزبير: حدثنا إبراهيم بن المستمر العروقي، حدثنا عبد الرحمن بن سليم بن حيان، حدثني أبي عن جدي حيان بن بسطام، قال بسطام، قال: كنت مع ابن عمر فمر بعبد الله بن الزبير وهو مصلوب، فقال رحمة الله عليك يا أبا خبيب، سمعت أنّه يـ ـي الزبير يقول: قال رسول الله ﷺ: «من يعمل سوءًا يجزى به في الدنيا والآ- ـة»[2].

ثم إنّه لا يمكن تصور أنْ يعترض أبو بكر الصديق رضي الله عنه على التنزيل، وهو الذي لم يعترض قط على قول لرسول الله ﷺ فسُمي بالصديق، فكيف ينسب إليه السؤال: كيف الفلاح بعد هذه الآية؟ أكان الصديق رضي الله عنه من الذين يعملون السوء ليقنط من الفلاح بعد نزول هذه الآية؟ فمن الواضح أنّ الحديث موضوع، وأنّ الذين أقلقتهم هذه الآية هم النخبة من أهل المال والجاه في زمن بني أمية أو بني العباس، ومن ثم أوكلوا للوضاعين صياغة هذا الحديث، وتقويل الصديق ما لم يقل. وتذمر الخليفة الأموي مروان بن الحكم من آية: ﴿لَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡرَحُونَ بِمَآ أَتَواْ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحۡمَدُواْ بِمَا لَمۡ يَفۡعَلُواْ فَلَا تَحۡسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٖ

(1) سورة النساء، الآية: 122.
(2) انظر ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، الجزء الثاني، ص 398.

﴿مِّنَ ٱلۡعَذَابِۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾[1]، خير دليل على ما ذهبنا إليه. وهو ما أورده البخاري من حديث ابن أبي مليكة الذي قال فيه: «إن علقمة بن وقاص أخبره أنّ مروان قال لبوابه: اذهب لابن عباس فقل: لئن كان كل أمري فرح بما أوتي وأحب أن يحمد بما لم يعمل معذبًا لنعذبن أجمعون. فقال ابن عباس وما لكم ولهذه؟ إنما دعا النبيُّ ﷺ يهود فسألهم عن شيء، فكتموه إياه، وأخبروه بغيره فأروه أن قد استحمدوا إليه بما أخبروه عنه فيما سألهم وفرحوا بما أوتوا من كتمانهم. ثم قرأ ابن عباس﴿وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ كذلك حتى قوله: ﴿يَفۡرَحُونَ بِمَآ أَتَواْ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحۡمَدُواْ بِمَا لَمۡ يَفۡعَلُواْ﴾.

وهذا الحرص على قصر دلالة الآية على الكفار والمشركين وأهل الكتاب، من قبل أهل الحديث والنسخ، يرمي إلى استبعاد أن تنصرف دلالة الآية إلى المسلمين الذين حاكوا اليهود، في الأماني المتعلقة بالشفاعة وعدم الخلود في النار، وذلك من أجل الحيلولة دون دحض نظرية فصل الجزاء عن العمل، ونظريتي شفاعة النبيّ ﷺ وعدم خلود المسلم في النّار.

وأوّل «الوعيد» في الآيات الأواخر من سورة الماعون: ﴿فَوَيۡلٞ لِّلۡمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ ۝٥ ٱلَّذِينَ هُمۡ يُرَآءُونَ ۝٦ وَيَمۡنَعُونَ ٱلۡمَاعُونَ﴾ على أنّه وعيد للمنافقين، وليس للساهين عن الصلاة من المسلمين المتقاعسين عن أدائها، والذين إذا أقاموها أدّوها رياءً؛ حيث أورد الطبري في معرض تفسيره لهذه الآيات: «عن ابن عباس، في قوله: ﴿فَوَيۡلٞ لِّلۡمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ﴾ فهم المنافقون كانوا يراؤون الناس بصلاتهم إذا حضروا، ويتركونها إذا غابوا، ويمنعونهم العارية بغضا لهم، وهو الماعون».

وهذا تأويل خاطئ، يرمي إلى حلّ التناقض بين وعيد الله بالويل للساهين عن الصلاة في المطلق، وعقيدة عدم خلود المسلم في النار، وأحاديث الشفاعة لأهل الكبائر، والقول بأنّ الوعيد في الآية ينصرف إلى المنافقين قول لا يمكننا استبعاده، غير أنّ الصورة النمطية السائدة لدى أهل الحديث والنسخ

---

(1) سورة آل عمران، الآية: 188.

عن المنافقين، تؤدي إلى حصر وعيد الآية في صنف واحد من المنافقين كعبد الله بن سلول ومن في حكمه من منافقي المدينة، وهم الذين يظهرون الإيمان ويضمرون الكفر. ويستبعدون أصناف أخرى من المنافقين كالذين آمنوا ثم نكصوا عند الابتلاء: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌۖ فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِۖ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿20﴾ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌۚ فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُواْ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾[1]، كما يستبعدون صنفًا آخر من المنافقين وهم الذين تقاعسوا عن العمل الصالح: ﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُۖ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦۚ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُۚ وَإِن تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمْثَٰلَكُم﴾[2]، كما يستبعدون الذين نقضوا عهد الله وميثاقه الذي واثقهم به حين قالوا سمعنا وأطعنا، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾[3]، وهم الذين تنصرف إليهم دلالة الآية. بينما يخرجهم أهل الحديث والنسخ من دائرة النفاق، ويدخلونهم دائرة المستحقين لشفاعة النبيّ ﷺ كمرتكبي الكبائر. ثم إنّ للرازي تأويلًا لسورة الماعون يختلف عن التأويل السائدة في كتب التفسير بالمأثور، يجعلها تحدّد صفات الذي يكذّب بالدين، فالتكذيب بالدين وفق الرازي ليس بالضرورة التصريح بإنكاره، بل إنّه نتيجة مترتبة على من يتصف بالصفات التي وردت في السورة، فالذي ﴿يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ﴾، و﴿وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾، والذي هو ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾، ومن ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴿6﴾ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ﴾، هو من يكذّب بالدين. ذلك أنّه لو لم يكن مكذبًا بالدين لما اتصف بهذه الصفات؛ حيث قال في معرض تفسيره للسورة: «والمعنى: هل عرفت الذي يكذب بالجزاء من هو؟ إن لم تعرفه ﴿فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى﴾ يكذب بالجزاء، هو الذي ﴿يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ﴾ أي: يدفعه دفعًا عنيفًا بجفوة وأذى، ويردّه ردًّا قبيحًا بزجر وخشونة. وقرئ: «يدع»

---

(1) سورة محمد، الآيتان: 20 ـ 21.

(2) سورة محمد، الآية: 38.

(3) سورة البقرة، الآية: 27.

أي: يترك ويجفو ﴿وَلَا يَحُضُّ﴾ ولا يبعث أهله على بذل طعام المسكين، جعل علم التكذيب بالجزاء منع المعروف والإقدام على إيذاء الضعيف، يعني: أنّه لو آمن بالجزاء وأيقن بالوعيد، لخشي الله تعالى وعقابه ولم يقدم على ذلك، فحين أقدم عليه: علم أنّه مكذب، فما أشدّه من كلام، وما أخوفه من مقام، وما أبلغه في التحذير من المعصية وأنّها جديرة بأن يستدلّ بها على ضعف الإيمان ورخاوة عقد اليقين، ثم وصل به قوله: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ﴾ كأنه قال: فإذا كان الأمر كذلك، فويل للمصلين الذين يسهون عن الصلاة قلة مبالاة بها، حتى تفوتهم أو يخرج وقتها، أو لا يصلونها كما صلاها رسول الله ﷺ والسلف ولكن ينقرونها نقرًا من غير خشوع وإخبات ولا اجتناب لما يكره فيها: من العبث باللحية والثياب وكثرة التثاؤب والالتفات، لا يدري الواحد منهم عن كم انصرف، ولا ما قرأ من السور، وكما ترى صلاة أكثر من ترى الذين عادتهم الرياء بأعمالهم ومنع حقوق أموالهم. والمعنى: أنّ هؤلاء أحق بأنّ يكون سهوهم عن الصلاة - التي هي عماد الدين، والفارق بين الإيمان والكفر والرياء الذي هو شعبة من الشرك، ومنع الزكاة - التي هي شقيقة الصلاة وقنطرة الإسلام - علمًا على أنّهم مكذبون بالدين. وكم ترى من المتسمين بالإسلام، بل من العلماء منهم من هو على هذه الصفة، فيا مصيبتاه. وطريقة أخرى: أن يكون ﴿فَذَٰلِكَ﴾ عطفًا على ﴿ٱلَّذِى يُكَذِّبُ﴾ إمّا عطف ذات على ذات، أو صفة على صفة، ويكون جواب ﴿أَرَءَيْتَ﴾ محذوفًا لدلالة ما بعده عليه، كأنّه قيل: أخبرني، وما تقول فيمن يكذب بالجزاء؟ وفيمن يؤذي اليتيم ولا يطعم المسكين؟ أنِعم ما يصنع؟ ثم قال: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ﴾ أي: إذا علم أنّه مسيء، فويل للمصلين، على معنى: فويل لهم، إلّا أنّه وضع صفتهم موضع ضميرهم؛ لأنهم مع التكذيب وما أضيف إليهم ساهون عن الصلاة مراؤون، غير مزكين أموالهم. فإنّ قلت: كيف جعلت المصلين قائمًا مقام ضمير الذي يكذب، وهو واحد؟ قلت: معناه الجمع، لأنّ المراد به الجنس».

خاتمة المبحث:

جدول التحريف رقم (2 ـ 7):

التأويلات المتعلقة بالفصل بين الجزاء والعمل:

الكَلِم	الدلالة المحرّفة	الدلالة الأصلية
﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾	إنّ الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر للفاسقين ومرتكبي الكبائر من المسلمين.	إنّ الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون الشرك لمن يشاء.
﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾	ليس بأماني مشركي العرب ولا أماني أهل الكتاب من يعمل سوءًا من المشركين يجز به في الآخرة ولا يجد له من دون الله وليًا ولا نصيرًا. ومن يعمل سوءًا من المسلمين فيجز به في الدنيا.	ليس بأماني المسلمين ولا أماني أهل الكتاب من يعمل سوءًا يجز به ولا يجد له من دون الله وليًا ولا نصيرًا.
﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ (4) ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ (5) ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ (6) وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ﴾	فويل للمصلين من المنافقين الذين هم عن صلاتهم ساهون والذين هم يراؤون ويمنعون الماعون.	فويل للمصلين على إطلاقهم حين يكونون من الذين هم عن صلاتهم ساهون ومن الذين هم يراؤون ويمنعون الماعون.

التعليق:

سارع أتباع الرسالات السماوية للتخلص من التكاليف بمجرد أن غادرهم وحي السماء، وبذلك تُعد المسارعة للتخلص من التكاليف، السمة المشتركة لأهل الكتب السماوية، فما أنْ يموت رسول عليه السلام، حتى يتعجل أتباعه التخلي عن التكاليف؛ فزين القساوسة والرهبان لأتباع المسيح التخلي عن التكاليف، واختزلوها في حبّ الله بأقانيمه الثلاث وفقًا لعقيدة التثليث. وهكذا فعل أحبار اليهود وفقهاء المسلمين وبطريقة فيها تحايل على الله تعالى: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾[1]، حيث لم يقولوا بأنّ الله تعالى لم يفرض عليهم التكاليف، بل أكّدوا بأنّ الجزاء مشروط بالعمل، غير أنّهم يسّروا لأتباع الرسالتين دخول الجنة؛ فقال أحبار اليهود لن تمس اليهود النار إلّا أيامًا معدودة، وأنّ أجدادهم لن يتخلوا عنهم بل سيشفعون لهم، وقال فقهاء وأئمة المسلمين بأنّ المسلمين لا يخلّدون في النار، وإنّ

(1) سورة البقرة، الآية: 9.

رسولهم ﷺ سيشفع لهم. وكان هذا كافيًا من قبل جلّ اتباع الرسالتين للتخلي عن التكاليف، حيث جُبِلَ الناس على حبّ الدنيا واتباع الشهوات، وبدأ الأمر وكأنّه لا يضيرهم قضاء بضعة أيام في الجحيم، حين يكون ذلك مجرد قنطرة عبور إلى الجنة. وعلى ضوء ذلك أُوّلت الآيات التي تناولناها آنفًا، لتعزز نظرية الفصل بين العمل والجزاء، ذلك أنّ نظريتي «الشفاعة» و«عدم خلود المسلم في النار» كفيلتان بإخراج المسلمين جميعًا من النار وادخالهم الجنة وفقًا للمتأوّلين؛ ومن هناك أوّلت الآية الأولى على أنّها تعد الفاسقين ومرتكبي الكبائر بالغفران. والآية الثانية على أنّها تقتصر على توعّد غير المسلمين بالجزاء الأخروي، أمّا المسلمون فيقتصر عقابهم على العقاب الدنيوي. وأُوّل «ضمير المخاطب» في أمانيكم على أنّه يعود على المشركين من العرب دون المسلمين. كما أوّل «الوعيد» في الآية الثالثة على أنّه وعيد للمنافقين، وليس للساهين عن الصلاة من المسلمين المتقاعسين عن أدائها، حتى تتناغم دلالة الآية ونظريتا الشفاعة وعدم خلود المسلم في النار. والمتتبع لفقه مدرسة أهل الحديث والنسخ يصدمه هذا التناقض في فقه هذه المدرسة؛ ففي الوقت الذي تتبنى فيه نظريتي عدم خلود المسلم في النار، والشفاعة في مرتكبي الكبائر دون اشتراط التوبة، لا تتوقف عن التأكيد على أنّ الإيمان قول وعمل! وأنّ الدخول إلى الجنة ليس بالأماني! وهو ما ذكره الطبري وابن كثير منسوبًا لمجاهد: «أَنَّ الدِّين لَيْسَ بِالتَّحَلِّي وَلَا بِالتَّمَنِّي وَلَكِنْ مَا وَقَرَ فِي الْقُلُوب وَصَدَّقَتْهُ الْأَعْمَال»[1]، فحين يقّرر أهل الحديث والنسخ بأنّ المسلمين من أتباع النبيّ ﷺ جميعًا سيدخلون الجنة، وإنْ مروا بالنار وهم في طريقهم إلى الجنة! وبما في ذلك مرتكبو الكبائر الذين سيخرجون من النار بشفاعة النبيّ ﷺ، فإنّهم يناقضون قولهم بضرورة قرن الإيمان بالعمل، بل وينبذون الآيات التي تقرن الجزاء بالعمل في القرآن وراء ظهورهم كما فعل اليهود والنصارى من قبلهم.

(1) انظر الطبري، **جامع البيان**، في تفسيره للآية 123 من سورة النساء. انظر أيضًا ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، الجزء الثاني، ص397.

ـ ثامنًا ـ
التأويلات المتعلقة بعصيان الله ورسوله

أوّل أهلُ الحديث والنسخ الآيات المتعلقة بنقض عهد الله وميثاقه، وعصيان الله تعالى ورسوله ﷺ، والتعدي على حدوده وهي على سبيل المثال لا الحصر:

1. ﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾[1].

2. ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُو۟لَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[2].

3. ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾[3].

4. ﴿وَلَا تُجَٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا﴾[4].

5. ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾[5].

على نحو يخضع دلالاتها لنظريتي عدم خلود المسلم في النار، وشفاعة

(1) سورة البقرة، الآية: 27.
(2) سورة آل عمران، الآية: 77.
(3) سورة النساء، الآية: 14.
(4) سورة النساء، الآية: 107.
(5) سورة الجن، الآية: 23.

النبيّ ﷺ في العصاة وأهل الكبائر، فأوّلت الآية الأولى على أنّها تنصرف إلى أهل الكتب السابقة، ونقضهم ما يتعلق بنبوّة محمد ﷺ؛ حيث أورد الطبري في جامع البيان في معرض تفسيره للآية عدة تأويلات: منها أنّها تنصرف إلى أهل الشرك والكفر والنفاق، ومنها أنّها تنصرف إلى العهد الذي أخذه الله جلّ ذكره عليهم حين كانوا في صلب أبيهم آدم عليه السلام ونقضُهم إياه، ومنها أنّه «وصيّة الله إلى خلقه، وأمره إياهم بما أمرهم به من طاعته، ونهيه إياهم عما نهاهم عنه من معصيته في كتبه وعلى لسان رسوله ﷺ، ونقضهم ذلك تركهم العمل به». غير أنّه عاد ورجّح أنّها نزلت في أحبار اليهود: «وأولى الأقوال عندي بالصواب في ذلك، قول من قال: إنّ هذه الآيات نزلت في كفار أحبار اليهود الذين كانوا بين ظهراني مهاجر رسول الله ﷺ، وما قرب منها من بقايا بني إسرائيل، ومن كان على شركه من أهل النفاق الذين قد بيّنا قصصهم فيما مضى من كتابنا هذا. وقد دللنا على أنّ قول الله جلّ ثناؤه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ﴾ وقوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾ فيهم أنزلت، وفيمن كان على مثل الذي هم عليه من الشرك بالله».

وهذا الترجيح خاطئ، ذلك أنّ الآية لم ترد في سياق يتحدث عن أهل الكتاب، بل وردت في سياق يخاطب فيه الله تعالى المسلمين من أتباع النبيّ محمد ﷺ، وإنْ وردت بصيغة عامة ومطلقة تجعلها تنصرف إلى كل الكتابيين دون استثناء. والترجيح يرمي إلى استبعاد أن تنصرف دلالة الآية للمسلمين من أتباع النبيّ محمد ﷺ، ومن سلّم بإمكانية أن تنصرف دلالة الآية إلى ذلك من مفسري أهل الحديث والنسخ، قصر تلك الدلالة على أهل البدع والضلالة أي في غيرهم من الفرق والمذاهب.

وأوّلت الآية الثانية على نفس الشاكلة لتنصرف لأهل الكتب السابقة؛ حيث أورد الطبري في جامع البيان قوله في تفسير الآية: «قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَٰنِهِمۡ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيۡهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ يقول تعالى: إنّ الذين يعتاضون عما عاهدوا الله عليه من اتباع محمد ﷺ وذكر صفته للناس، وبيان أمره، وعن أيمانهم الكاذبة الفاجرة الآثمة بالأثمان القليلة

الزهيدة، وهي عروض هذه الحياة الدنيا الفانية الزائلة: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ أي: لا نصيب لهم فيها، ولا حظ لهم منها ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ أي: برحمة منه لهم، يعني: لا يكلمهم الله كلام لطف بهم، ولا ينظر إليهم بعين الرحمة ﴿وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾ أي: من الذنوب والأدناس، بل يأمر بهم إلى النار ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾».

وهو تأويل خاطئ، فحتى وإنْ وردت الآية في سياق يتحدث عن أهل الكتب السابقة، إلّا أنّ الآية وردت عامة ومطلقة، وتنسحب على كل الكتابيين بما في ذلك أتباع النبيّ محمد ﷺ، وتقييدها بأهل الكتب السابقة يهدف إلى تبرئة المسلمين من أتباع النبيّ محمد ﷺ من أن يشتروا بعهد الله ثمنًا قليلًا، ومن ثم استبعاد أن يطالهم العذاب أو الوعيد به في الآية الكريمة، حتى لا تناقض دلالة الآية نظريتي عدم خلود المسلم في النار، وشفاعة النبيّ ﷺ في أتباعه.

وأوّل الوعيد في الآية الثالثة على أنّه ينصرف إلى من يجمع إلى تجاوز حدود الله في المواريث، الشك في أنّ الله تعالى فرضها على عباده؛ حيث أورد الطبري في جامع البيان في معرض تفسيره لهذه الآية قوله: «فإنّ قال قائل: أو يُخَلّد في النار من عصى الله ورسوله في قسمة المواريث؟ قيل: نعم، إذا جمع إلى معصيتهما في ذلك شكًّا في أنّ الله فرض عليه ما فرض على عباده في هاتين الآيتين، أو علم ذلك، فحادَّ الله ورسوله في أمرهما على ما ذكر ابن عباس من قول من قال حين نزل على رسول الله ﷺ قول الله تبارك وتعالى: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾[1]... إلى تمام الآيتين: أيورث من لا يركب الفرس، ولا يقاتل العدوّ، ولا يحوز الغنيمة نصف المال أو جميع المال؟ استنكارًا منهم قسمة الله ما قسم لصغار ولد الميت ونسائه وإناث ولده، ممن خالف قسمة الله ما قسم من ميراث أهل الميراث بينهم، على ما قسمه في كتابه، وخالف حكمه في ذلك وحكم رسوله، استنكارًا منه حكمهما، كما استنكره الذين ذكر أمرهم ابن عباس

(1) سورة النساء، الآية: 11.

ممن كان بين أظهر أصحاب رسول الله ﷺ من المنافقين الذين فيهم نزلت وفي أشكالهم هذه الآية، فهو من أهل الخلود في النار، لأنه باستنكاره حكم الله في تلك يصير بالله كافرًا ومن ملة الإسلام خارجًا».

وهذا التأويل خاطئ، ذلك أنّ الآية لم تشترط فيمن تجاوز حدود الله في المواريث إنكارها، أو الخروج عن ملة الإسلام والردة عنه، غير أنّ المتأوّلين أرادوا إخضاع الآية لنظريات البشر المتعلقة بالشفاعة، وبعدم خلود المسلم في النار حتى لو تجاوز حدود الله تعالى، في المواريث أو في غيرها. ومن هناك فالتأويل لا يتجاوز كونه إلباسًا للحق بالباطل، وتحريفًا للكلم عن مواضعه، لإرضاء الطغاة والمتعدين على حقوق العباد، والذين يأكلون أموال الناس بالباطل، والذين يتجاوزون حدود الله تعالى.

كما أوّلت الآية السابعة بعد المئة من سورة النساء تأويلًا يتفق ونظرية عدم خلود المسلم في النار، فقالوا بأنّها تنصرف إلى سارق الدرع ابن أبيرق؛ حيث ربط المفسرون بالمأثور بين دلالة الآية ورواية تتعلق بسبب نزولها، نسبها الرواة لابن عباس وأوردها ابن كثير في تفسير القرآن العظيم في معرض تفسيره للآية تقول الرواية: «إنّ نفرًا من الأنصار غزوا مع رسول الله ﷺ في بعض غزواته، فسرقت درع لأحدهم، فأظن بها رجل من الأنصار، فأتى صاحب الدرع رسول الله ﷺ فقال: إنّ طعمة بن أبيرق سرق درعي؛ فلما رأى السارق ذلك عمد إليها فألقاها في بيت رجل بريء، وقال لنفر من عشيرته: إنّي غيبت الدرع وألقيتها في بيت فلان وستوجد عنده، فانطلقوا إلى نبيّ الله ﷺ ليلًا فقالوا: يا نبي الله إنّ صاحبنا بريء، وإنّ صاحب الدرع فلان، وقد أحطنا بذلك علمًا، فاعذر صاحبنا على رؤوس الناس، وجادل عنه، فإنّه إنْ لم يعصمه الله بك يهلك، فقام رسول الله وعذره على رؤوس الناس، فأنزل الله: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿105﴾ وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿106﴾ وَلَا تُجَٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا﴾ الآية».

والتأويل خاطئ، ذلك أنّ الرواية فيها مطاعن عديدة؛ فكيف لمن يغزو في سبيل الله ومع رسوله ﷺ أنْ يكذب على الله ورسوله ﷺ؟ ويرمي بريئًا

بتهمة السرقة وهو يعلم براءته، وهو يعلم بأنّه قد يتنزل فيه وحيٌ يتلى. ثم قولهم للنبيّ ﷺ فيما يشبه الأمر «وجادل عنه»، وهو ما لا يستقيم منهم، ولا يستقيم منّا توقع قبوله أمرهم له ﷺ، وقولهم فإنّه إن لم يعصمه الله بك يهلك، فكيف يُهلك الله البريء وهم من يدعي براءته؟ ثم هل ثمّة من يعصم من الله تعالى؟ وهل يقبل ﷺ قولهم يعصمه الله بك؟ أيرضى نبيّ الله ﷺ أنْ يكون بمثابة جبل ابن نوح، يعتصم به من يفتري على الله وعلى العباد، وأن يطيع أمر الذين يلحدون في أسماء الله وصفاته سبحانه وتعالى عما يصفون!؟ بل لا يعصم من الله تعالى سواه، ولا يعصم الله تعالى أحدًا من عذابه إلّا أن يصدقه قولًا وعملًا، وأنْ يحفظ عهد الله وميثاقه. ومن جهة أخرى، إن صدقت هذه الرواية فهي تشكل مطعنًا كبيرًا في نظرية عدالة الصحابة. غير أنّ الآية التي تليها توضح دلالة الذين يختانون أنفسهم إذ تقول: ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا﴾[1].

ومع ذلك فحتى لو سلّمنا جدلًا بصحة الرواية، فإنّها من المرجح ألّا تكون سببًا لنزول هذه الآية، بل هي ـ إنْ صدقت الرواية ـ كانت سببًا لنزول الآية الثانية عشرة بعد المئة من نفس السورة: ﴿وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾. غير أنّ المتأوّلين دلسوا علينا وجعلوها سببًا لنزول هذه الآية أيضًا، ليلبسوا علينا دلالتها التي تنصرف إلى كل من يخون عهد الله وميثاقه، فيفعل ما لا يرضاه الله تعالى من القول والعمل خفية عن أعين الناس، وكأنّه يخشى الناس أكثر من خشيته الله، أو لعله يرتاب في أنّ الله تعالى يراه! وما أكثر الذين يختانون أنفسهم في هذا العصر وما أبرىء نفسي إنّ النفس لأمارة بالسوء. قال تعالى: ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾[2]. وحين يصدر من الله أمرًا قطعيًّا إلى رسوله ﷺ بأنْ لا يكون للخائنين خصيمًا أي مدافعًا، والخائنون هنا هم مرتكبو المعاصي والكبائر خفية، أيظن من يعتقد

(1) سورة النساء، الآية: 108.

(2) سورة فصلت، الآية: 22.

في شفاعته ﷺ في مرتكبي الكبائر، أنْ يعصي النبيّ ﷺ هذه الآية من أجل الخائنين لعهدهم وميثاقهم مع الله؟ والله تعالى يستنكر أن يجادل عنهم أحدٌ أو أن يكون عليهم وكيلًا فيقول: ﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾[1].

كذلك أوّلت الآية الثالثة والعشرون من سورة الجن على أنّها تشترط أنْ يجمع عاصي الله ورسوله إلى عصيانه، تكذيبه رسالة محمد ﷺ، وجحد رسالته، حيث أورد الطبري في جامع البيان: «وقوله: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ﴾ يقول تعالى ذكره: ومن يعص الله فيما أمره ونهاه، ويكذّب به ورسوله، فجحد رسالاته، فإنّ له نار جهنم يصلاها ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ يقول: ماكثين فيها أبدًا إلى غير نهاية».

والتأويل خاطئ، ذلك أنّ الآية وردت مطلقة ولا تقتصر دلالتها على من كذّب رسول الله ﷺ وجحد رسالته، بل تشمل أيضًا المسلمين العصاة، الذين غرّتهم الأماني، وغرتهم نظريتا الشفاعة وعدم خلود المسلم في النار، فالذي يعصي الله ورسوله لن يشفع له التلفظ بالشهادتين والانتماء للمسلمين، كما لا يجير اليهود والنصارى الذين عصوا الله ورسله من النار انتماؤهم لليهودية والنصرانية. فالذي يعصي الله ورسوله من المسلمين ينقض عهد الله وميثاقه الذي وقعه بتلاوته الشهادتين، ومن ينقض عهد الله وميثاقه بعصيان أوامر الله تعالى ومخالفة نواهيه، حتى وإنْ لم يجحد رسالاته، له عذاب الهون في الدنيا وعزاب جهنم في الآخرة رغم أنف المتأوّلين إلّا أن يتوب توبة نصوحة. ثم إنّ المكذّب للتنزيل والجاحد لنبوّة محمد ﷺ يندرج ضمن الكفار والمشركين، الذين تتوعدهم آيات أخرى غير هذه الآية الكريمة، التي تنصرف إلى حالة خاصة؛ تتمثّل في الذين أقروا وسلّموا بما نزل على رسوله ﷺ، ثم إذا بهم يعصونهما! وينقضون عهدهم وميثاقهم معهما، فتتوعدهم بنار جهنم خالدين فيها أبدًا.

---

(1) سورة النساء، الآية: 109.

خاتمة المبحث:

جدول التحريف رقم (2 ـ 8):

التأويلات المتعلقة بعصيان الله تعالى ورسوله ﷺ:

الكَلِم	الدلالة المحرّفة	الدلالة الأصلية
﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾	إنّ أهل الكتاب ومن بقي على شركه من المنافقين، الذين ينقضون ما عاهدوا الله عليه من الإيمان بنبوّة محمد ﷺ ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك هم الخاسرون.	إنّ الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه، من المسلمين على إطلاقهم، ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك هم الخاسرون.
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُو۟لَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾	إنّ الذين ينقضون ما عاهدوا الله عليه من اتباع محمد من أهل الكتاب فيشترون بعهده وإيمانهم ثمنًا قليلًا أولئك لا نصيب لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم.	إنّ الذين ينقضون ما عاهدوا الله عليه على إطلاقهم فيشترون بعهده وإيمانهم ثمنًا قليلًا أولئك لا نصيب لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم.
﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾	ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده في المواريث فيجحد ما أنزل الله فيها يدخله نارًا خالدًا فيها وله عذاب مهين.	ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده على إطلاقها يدخله نارًا خالدًا فيها وله عذاب مهين.

﴿وَلَا تُجَٰدِلۡ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخۡتَانُونَ أَنفُسَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا﴾	ولا تجادل عن ابن أبيرق الذي يختان نفسه إنّ الله لا يحب من كان خوانًا أثيمًا.	ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم فَيَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمۡ إِذۡ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرۡضَىٰ مِنَ ٱلۡقَوۡلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطًا عند معصيتهم لله ولا يستخفون من الله إنّ الله لا يحب من كان خوانًا أثيمًا.
﴿وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾	ومن يعص الله ورسوله ويكذب برسالة محمد ﷺ فإنّ له نار جهنم خالدًا فيها أبدًا.	ومن يعص الله ورسوله «على الإطلاق» فإنّ له نار جهنم خالدًا فيها أبدًا.

التعليق:

أهمل فقهاء المسلمين وأئمتهم عهد المسلم وميثاقه مع الله تعالى، الذي يوقعه المسلم بمجرد تلاوته للشهادتين، وقوله سمعت وأطعت، ويشمل هذا العهد امتثال المسلم لكافة أوامر الله تعالى ونواهيه. ذلك أنّ المسلم ينقض عهد الله وميثاقه بمجرد عصيانه الله تعالى أو عصيان رسوله ﷺ. وهو ما دفع القائلين بالشفاعة وعدم خلود المسلم في النار للتغاضي عنه، ذلك أنّ هذه الدلالة لعهد الله وميثاقه تنقض قولهم؛ فالذين يرتكبون الكبائر ينقضون عهد الله وميثاقه ويعصون الله ورسوله، والعمود الفقري للدين بالدلالة القرآنية هو طاعة الله تعالى ورسوله ﷺ، ومن هناك فلا غفران لمن يجرؤ على نقض عهد الله وميثاقه، أو يجرؤ على عصيان الله ورسوله ﷺ، إلّا أنْ يتوب توبة نصوحة، لا يعود بعدها لعصيانه أو نقض ميثاقه سبحانه وتعالى عما يصفون.

ومن أجل محاولة تطويع الآيات التي تناولناها آنفًا لنظريتي الشفاعة وعدم خلود المسلم في النار، أوّلت تلك الآيات المتعلقة بنقض عهد الله وميثاقه، وعصيان الله تعالى ورسوله ﷺ، على نحو يعزز النظريتين؛ حيث أوّلت الآيتان الأولى والثانية على أنّهما تنصرفان إلى أهل الكتب السابقة. وأوّل

الوعيد في الآية الثالثة على أنّه ينصرف إلى من يجمع إلى تجاوز حدود الله في المواريث، الشك في أنّ الله تعالى فرضها على عباده. كما أوّلت الآية الرابعة على أنّها تنصرف إلى سارق الدرع ابن أبيرق. وكذلك أوّل الوعيد في الآية الخامسة على أنّه يشترط أنْ يجمع عاصي الله ورسوله إلى عصيانه، تكذيبه رسالة محمد ﷺ، وجحد رسالته. وسنقف قليلًا عند اشتراط المتأوّلين أنْ يجمع عاصي الله ورسوله إلى عصيانه، تكذيبه رسالة محمد ﷺ، لنقول بأنّه قول مردود عليهم ذلك أنّ المكذّب بالتنزيل والجاحد لنبوّة محمد ﷺ يندرج ضمن الكفار والمشركين، الذين تتوعدهم آيات أخرى غير هذه الآيات الكريمة، التي تنصرف إلى حالة خاصة، تتمثّل في الذين أقروا وسلموا بما أنزل الله تعالى على رسوله ﷺ، ثم إذا بهم يعصونهما! وينقضون عهدهم وميثاقهم معهما، فتتوعدهم بنار جهنم خالدين فيها. وكافة هذه التأويلات تلبس علينا ديننا بتحريفها الكلم عن مواضعه لتخضع آيات الله لمشيئة البشر ونظرياتهم التي ما أنزل الله بها من سلطان.

- تاسعًا -
التأويلات المتعلقة بنظرية النسخ وكتمان ما أنزل الله تعالى

أوّل أهلُ الحديث والنسخ الآيات التي تنهى عن كتمان ما أنزل الله تعالى من كتب، وتتوعد من يفعل ذلك بشتى صنوف العذاب، على أنّها تقتصر على توعد أهل الكتب السابقة. والآيات هي:

1. **تأويل آية** ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ﴾: أوّل أهلُ الحديث والنسخ «اسم الموصول» في الآية التاسعة والخمسين بعد المئة من سورة البقرة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾، على أنّه تارة يعود على علماء اليهود والنصارى الذين كتموا التبشير برسول الله محمد ﷺ وأخرى على أنّه يعود على الكفار، وطورًا على أنّها تعني كتمان أحاديث النبيّ ﷺ أيضًا، ذلك أنّهم اعتبروها تنزيلًا، وهو ما لم يؤكده الصحابة، ولم يثبته القرآن، رغم تأويلات أهل الحديث والنسخ. حيث أورد ابن كثير في تفسيره تفسير القرآن العظيم قوله: «هَذَا وَعِيد شَدِيد لِمَنْ كَتَمَ مَا جَاءَتْ بِهِ الرُّسُل مِنْ الدَّلَالَات الْبَيِّنَة عَلَى الْمَقَاصِد الصَّحِيحَة وَالْهُدَى النَّافِع لِلْقُلُوب مِنْ بَعْد مَا بَيَّنَهُ اللَّه تَعَالَى لِعِبَادِهِ فِي كُتُبه الَّتِي أَنْزَلَهَا عَلَى رُسُله، قَالَ أَبُو الْعَالِيَة: نَزَلَتْ فِي أَهْل الْكِتَاب كَتَمُوا صِفَة مُحَمَّد ﷺ ثُمَّ أَخْبَرَ أَنَّهُمْ يَلْعَنهُمْ كُلّ شَيْء عَلَى صَنِيعهمْ ذَلِكَ، فَكَمَا أَنَّ الْعَالِم يَسْتَغْفِر لَهُ كُلّ شَيْء حَتَّى الْحُوت فِي الْمَاء وَالطَّيْر فِي الْهَوَاء، فَهَؤُلَاءِ بِخِلَافِ الْعُلَمَاء فَيَلْعَنهُمْ اللَّه وَيَلْعَنهُمْ اللَّاعِنُونَ. وَقَدْ وَرَدَ فِي الْحَدِيث الْمُسْنَد مِنْ طَرَائِق يَشُدّ بَعْضهَا بَعْضًا عَنْ أَبِي هُرَيْرَة وَغَيْره أَنَّ رَسُول اللَّه ﷺ قَالَ: «مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْم فَكَتَمَهُ أُلْجِمَ يَوْم الْقِيَامَة

بِلِجَام مِنْ نَار» وَالَّذِي فِي الصَّحِيح عَنْ أَبِي هُرَيْرَة أَنَّهُ قَالَ لَوْلَا آيَة فِي كِتَاب اللَّه مَا حَدَّثْت أَحَدًا شَيْئًا» ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ﴾ الآيَة، وَقَالَ اِبْن أَبِي حَاتِم حَدَّثَنَا الْحَسَن بْن عَرَفَة حَدَّثَنَا عَمَّار بْن مُحَمَّد عَن لَيْث بْن أَبِي سُلَيْم عَنْ الْمِنْهَال بْن عَمْرو عَن زَاذَان بْن عَمْرو عَن الْبَرَاء بْن عَازِب قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيّ ﷺ فِي جِنَازَة فَقَالَ: «إِنَّ الْكَافِرَ يُضْرَب ضَرْبَة بَيْن عَيْنَيْهِ يَسْمَعهَا كُلّ دَابَّة غَيْر الثَّقَلَيْنِ فَتَلْعَنهُ كُلّ دَابَّة سَمِعْت صَوْته فَذَلِكَ قَوْل اللَّه تَعَالَى ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾ «يَعْنِي دَوَابّ الْأَرْض». وَرَوَاهُ اِبْن مَاجَهْ عَنْ مُحَمَّد بْن الصَّبَّاح عَنْ عَامِر بْن مُحَمَّد بِهِ وَقَالَ عَطَاء بْن أَبِي رَبَاح: كُلّ دَابَّة وَالْجِنّ وَالْإِنْس، وَقَالَ مُجَاهِد إِذَا أَجْدَبَتْ الْأَرْض قَالَ الْبَهَائِم هَذَا مِنْ أَجْل عُصَاة بَنِي آدَم لَعَنَ اللَّهُ عُصَاة بَنِي آدَم، وَقَالَ أَبُو الْعَالِيَة وَالرَّبِيع بْن أَنَس وَقَتَادَة ﴿وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾ يَعْنِي تَلْعَنهُمْ الْمَلَائِكَة وَالْمُؤْمِنُونَ. وَقَدْ جَاءَ فِي الْحَدِيث «إِنَّ الْعَالِم يَسْتَغْفِر لَهُ كُلّ شَيْء حَتَّى الْحِيتَان فِي الْبَحْر» وَجَاءَ فِي هَذِهِ الْآيَة أَنَّ كَاتِم الْعِلْم يَلْعَنهُ اللَّه وَالْمَلَائِكَة وَالنَّاس أَجْمَعُونَ وَاللَّاعِنُونَ أَيْضًا وَهُمْ كُلّ فَصِيح وَأَعْجَمِيّ إِمَّا بِلِسَانِ الْمَقَال أَوْ الْحَال أَنْ لَوْ كَانَ لَهُ عَقْل وَيَوْم الْقِيَامَة وَاَللَّه أَعْلَم».

والآية نزلت عامة لا تخصيص فيها، وتنطبق دلالتها على كل من يكتم ما أنزل الله، أو يتأوله بغير تأويله متعمدًا ليشتري به ثمنًا قليلًا. وما أنزل الله لا يقتصر على كتاب سماوي دون آخر، ومن ثم فلا تقتصر دلالة الآية على اليهود والنصارى أو على كتمانهم أمر النبيّ محمد ﷺ، ولا على الكفار. كما لا تنصرف إلى كتمان أحاديث النبي ﷺ، فهي تنصرف إلى التنزيل وتقتصر عليه وغير معنية بالأحاديث. وتأويلها على هذا النحو يرمي إلى إخراج من كتم آيات من القرآن من علماء المسلمين بالقول بنسخها، أو تأويلها على نحو يخالف دلالتها، من دائرة اللعن من جهة. كما يرمي إلى تسويغ كثرة الأحاديث التي نُسبت إلى أبي هريرة أو إلى غيره من الرواة من جهة أخرى، وهو أمر لو صدق، لعُد بعض الصحابة وفي مقدمتهم أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب من الكاتمين لما أنزل الله تعالى! لقلة مروياتهم أو انعدامها فحتى ما نُسب لهم من أحاديث شاع زمن التدوين ولم يكن شائعًا عنهم قبل ذلك.

2. **تأويل آية** ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَشۡتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلًا﴾: أوّل أهلُ الحديث والنسخ «اسم الموصول» في الآية الرابعة والسبعين بعد المئة من سورة البقرة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَشۡتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ على أنّه أيضًا يعود على أحبار اليهود وقصروه عليهم؛ حيث أورد الطبري في معرض تفسيره للآية قوله: «يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ أحبار اليهود الذين كتموا الناس أمر محمد ﷺ ونبوّته، وهم يجدونه مكتوبًا عندهم في التوراة برُشًا كانوا أعطوها على ذلك»... وأمّا تأويل قوله: ﴿وَيَشۡتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلًا﴾ فإنّه يعني: يبتاعون به. والهاء التي في «به» من ذكر الكتمان، فمعناه: ابتاعوا بكتمانهم ما كتموا الناس من أمر محمد ﷺ وأمر نبوّته ثمنًا قليلًا».

والتأويل خاطئ، ذلك أنّه يقيّد المطلق ويخصص العام وليس ثمّة ما يقيّده في سياق الآية، ومن ثم فهو ينطبق على كافة الذين يكتمون ما أنزل الله تعالى، دون قصر أو تحديد. فحتى كتمان اليهود والنصارى لما أنزل الله تعالى عليهم، لم يقتصر على كتمان أمر نبوّة النبيّ محمد ﷺ. بل كتموا ما لم تهو أنفسهم من التوراة والإنجيل وهو ما أشار إليه القرآن في هذه الآية وآيات أخرى بقوله تعالى: ﴿وَيَشۡتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلًا﴾، كما أنّ قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ إِلَّا ٱلنَّارَ﴾ يعزز ما ذهبنا إليه. غير أنّ المتأوّلين ضخموا مسألة كتمان أهل الكتب السابقة لأمر محمد ﷺ، حتى بدا الأمر وكأنهم لم يكتموا غيره، وهذا التضخيم يرمي إلى صرف ذهن المتلقي عن صور أخرى من الكتمان قد تشي بما كتموه من القرآن حين قالوا بنسخ الآيات المخالفة لنظريات البشر، في شفاعة النبيّ ﷺ، وعدم خلود المسلم في النار، ونظرية السيف، وما إلى ذلك من النظريات التي تبناها أهل الحديث والنسخ. وهو كتمان لآيات الله تعالى، وينطبق عليه قول الله تعالى في هذه الآية، والآيات الناهية لكتمان ما أنزل الله تعالى، وكذا آيات الوعيد لمن فعل ذلك.

3. **تأويل آية** ﴿وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكۡتُمُونَهُۥ﴾: أوّل أهلُ الحديث والنسخ «اسم الموصول» في الآية السابعة

والثمانين بعد المئة من سورة آل عمران: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْاْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ على أنّه، أيضًا، يعود على اليهود والنصارى؛ حيث أورد الطبري في معرض تفسيره للآية قوله: «يعني بذلك تعالى ذكره: واذكر أيضًا من هؤلاء اليهود وغيرهم من أهل الكتاب منهم يا محمد إذ أخذ الله ميثاقهم، ليبيننّ للناس أمرك الذي أخذ ميثاقهم على بيانه للناس في كتابهم الذي في أيديهم، وهو التوراة والإنجيل، وأنّك لله رسول مرسل بالحقّ، ولا يكتمونه، ﴿فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ﴾ يقول: فتركوا أمر الله وضيعوه، ونقضوا ميثاقه الذي أخذ عليهم بذلك، فكتموا أمرك، وكذبوا بك، ﴿وَٱشْتَرَوْاْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ﴾ يقول: وابتاعوا بكتمانهمَ ما أخذ عليهم الميثاق أن لا يكتموه من أمر نبوّتك، عوضًا منه، خسيسًا قليلًا من عرض الدنيا. ثم ذمّ جلّ ثناؤه شراءهم ما اشتروا به من ذلك، فقال: ﴿فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾».

والتأويل خاطئ، ذلك أنّ المسلمين من أتباع محمد ﷺ هم أيضًا أهل كتاب، ومعنيون بتبليغ كتابهم، ومن المستبعد أنْ يستثنيهم الله تعالى من ميثاق تبليغ ما أتاهم من كتاب. ثم إنّه حتى لو سلّمنا بأنّ الآية نزلت في أهل الكتب السابقة، فينبغي أن نعتبر من كتمانهم لما أنزل الله تعالى، ولا نحاكيهم في ذلك. ذلك أن إيرادها لنا في القرآن لم يكن دون حكمة ما، وهذه الحكمة لا تتجاوز في تقديري، والله أعلم، إحدى غايتين: الأولى تحذيرنا من تكرار ذلك، والثانية أنّه ستسري علينا سنن الأولين، وسيكتم فريقًا منا ما أنزل الله تعالى ليشتري به ثمنًا قليلًا. ولنا أن نلاحظ هنا شدة الحرص على قصر كتمان أهل الكتب السابقة لكتبهم في كتمان نبوّة محمد ﷺ، وهو ما يرمي إلى ألّا يتفطن المتلقي إلى ما قام به المتأوّلون، من إخفاء وكتمان لما أنزل الله تعالى من آيات محكمات، قيل بنسخها تطويعًا لآيات الله تعالى لنظريات البشر دون دليل ولا كتاب منير.

خاتمة المبحث:

جدول التحريف رقم (2 ـ 9):

التأويلات المتعلقة بنظرية النسخ وكتمان ما أنزل الله تعالى:

الكَلِم	الدلالة المحرّفة	الدلالة الأصلية
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾	إنّ الذين كتموا أمر نبوّة محمد من أهل الكتاب وكتموا أحاديث محمد من بعد ما بيناها للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون.	إنّ الذين كتموا ما أنزلنا من البيّنات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب «على إطلاقه» أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون.
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾	إنّ الذين كتموا أمر نبوّة محمد من أحبار اليهود واشتروا به ثمنًا قليلًا أولئك ما يأكلون في بطونهم إلّا النّار ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم.	إنّ الذين كتموا ما أنزل الله من الكتاب «على إطلاقه» واشتروا به ثمنًا قليلًا أولئك ما يأكلون في بطونهم إلّا النّار ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم.
﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾	وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا التوراة والإنجيل لتبينوهما للناس ولا تكتمونهما فنبذوهما وراء ظهورهم واشتروا بهما ثمنًا قليلًا فبئس ما يشترون.	وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب «على إطلاقه» لتبيّننّه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنًا قليلًا فبئس ما يشترون.

التعليق:

ما أن يتوفى الله تعالى الرسل عليهم السلام وينقطع وحي السماء عن الأرض، حتى يسارع الشطّار والحذّاق من أتباع أولئك الرسل إلى إخفاء ما لا يخدم مصالحهم من التنزيل، وما يحد من شهوتهم للاستحواذ على المال والجاه. ويُعد ذلك قاسمًا مشتركًا بين أهل الكتب الثلاث التوراة والإنجيل والقرآن، على الرغم من تأكيد فقهاء وأئمة المسلمين من أتباع النبيّ محمد ﷺ من أنّ القرآن لم يتعرض للكتمان والإخفاء. غير أنّ القول بنسخ آيات من القرآن، أو ما قيل بأنّه تعطيل حكم شرعي أسبق بحكم شرعي أحدث، دون دليل قطعي من القرآن، لا يتجاوز كونه كتمانًا لآيات الله تعالى، توسع فيه المغرضون حتى تجاوز المئات من الآيات.

ولتسويغ هذا الكتمان لبعض آيات الله تعالى في القرآن، أوّلت الآيات التي تناولناها آنفًا، وهي التي تتوعد الذين يكتمون ما أنزل الله تعالى، على نحو يُقصر دلالاتها على أهل الكتب السابقة من اليهود والنصارى، وذلك لتبرئة المسلمين من جريرة كتمان ما أنزل الله تعالى. بل وقصروا دلالة كتمان اليهود والنصارى لما أنزل الله تعالى عليهم، على كتمانهم خبر نبوّة محمد ﷺ، دون الإشارة إلى كتمان ما لا يخدم مصالحهم الدنيوية، وشهوتهم للاستحواذ على المال والجاه، التي عبّر عنها الله تعالى بقوله: ﴿وَٱشْتَرَوْاْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾، وكذا قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ﴾، حتى يغفل القارئ عما حدث من كتمان لآيات الله في القرنين الثاني والثالث الهجري. ولنا عودة إلى هذا المبحث في الجزء الثاني من هذه الدراسة وهو بعنوان «كتمان ما أنزل الله» الذي سنتناوله عندئذٍ بإذن الله تعالى بشيء من التوسع، فعلى من رغب من القرّاء في الاستزادة، أنْ يحرص على الاطلاع على الجزء المذكور، ووفقنا الله وإياكم إلى ما فيه خير هذا الدين، وخير من اتبعه بإحسان إلى يوم الدين.

- عاشرًا -
التأويلات المتعلقة بالنهي عن تفريق الدين

أوّل أهلُ الحديث والنسخ ضمير الغائب في الآيات التي تعرّض بتفريق الدين وتتوعد الذين فرقوا دينهم، وهي:

1. ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[1].
2. ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾[2].
3. ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿31﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾[3].
4. ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[4].
5. ﴿وَمَا تَفَرَّقُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ﴾[5].

---

(1) سورة البقرة، الآية: 213.
(2) سورة الأنعام، الآية: 159.
(3) سورة الروم، الآية: 32.
(4) سورة آل عمران، الآية: 105.
(5) سورة الشورى، الآية: 14.

على أنّها تنصرف إلى أهل الكتب السابقة من دون المسلمين من أتباع النبيّ محمد ﷺ، فأوّلوا ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ﴾ في الآية الثالثة عشرة بعد المئتين من سورة البقرة على أنّها تنصرف إلى اليهود والنصارى، وكذلك أوّلوا ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ في نفس الآية على أنّها تنصرف إلى المسلمين من أتباع محمد ﷺ؛ حيث أورد الطبري في جامع البيان في معرض تفسيره للآية قوله: «فمعنى قوله جلّ ثناؤه: ﴿وَمَا ٱخۡتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۖ﴾ من ذلك. يقول: لم يكن اختلاف هؤلاء المختلفين من اليهود من بني إسرائيل في كتابي الذي أنزلته مع نبي عن جهل منهم به، بل كان اختلافهم فيه، وخلاف حكمه من بعد ما ثبتت حجته عليهم بغيًا بينهم، طلب الرياسة من بعضهم على بعض، واستذلالًا من بعضهم لبعض». القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ ٱلۡحَقِّ بِإِذۡنِهِۦۗ وَٱللَّهُ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٍ﴾. يعني جلّ ثناؤه بقوله: ﴿فَهَدَى ٱللَّهُ﴾ فوفق الذين آمنوا وهم أهل الإيمان بالله وبرسوله محمد ﷺ المصدّقين به وبما جاء به أنّه من عند الله لما اختلف الذين أوتوا الكتاب فيه. وكان اختلافهم الذي خذلهم الله فيه، وهدى له الذين آمنوا بمحمد ﷺ فوفقهم لإصابته: الجمعة، ضلوا عنها وقد فرضت عليهم كالذي فرض علينا، فجعلوها السبت فقال ﷺ: «نَحْنُ الآخِرُونَ السَّابِقُونَ، بَيْدَ أَنَّهُمْ أُوتُوا الكِتابَ مِنْ قَبْلِنا وأُوتِيناهُ مِنْ بَعْدِهِمْ، وَهَذَا الـيَوْمُ الّذِي اخْتَلَفُوا فِـيهِ، فَهَدَانا اللّهُ لَهُ، فَلِلْـيَهُودِ غَدًا وللنَّصَارَى بَعْدَ غَدٍ».

والتأويل خاطئ، ذلك أنّ «الذين أوتوا الكتاب» وردت عامة وتشمل كافة الذين أوتوا الكتاب، ومن ضمنهم المسلمون من أتباع النبيّ محمد ﷺ، **كما وردت ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ هي الأخرى عامة، لتشمل كافة الذين هُدوا لما اُختلف فيه سواءً كانوا من أهل التوراة أو الإنجيل أو القرآن أو غيرهم من أهل الكتاب.** والذين آمنوا بالدلالة القرآنية غير المحرّفة تشمل كل من لم يُحرّف الكلِمَ عن مواضعه، ولم يكتم ما أنزل الله تعالى إليه، ولم يكذب على الله تعالى، ولا على نبيه ﷺ، ولم ينقض عهد الله وميثاقه، وبقي على التوحيد من أهل التنزيل جميعًا.

كما أوّلوا «ضمير الغائب» في الآيتين التاسعة والخمسين بعد المئة من سورة الأنعام؛ حيث أورد ابن كثير في تفسير القرآن العظيم في معرض تفسيره للآية قوله: «قال مجاهد والضحاك والسدي نزلت هذه الآية في اليهود والنصارى وقال العوفي عن ابن عباس في قوله ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا﴾ وذلك أنّ اليهود والنصارى اختلفوا قبل مبعث محمد ﷺ فتفرقوا فلما بعث محمد أنزل الله عليه ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ﴾ الآية، وقال ابن جرير: حدثني سعيد بن عمر السكوني، حدثنا بقية بن الوليد كتب إلى عباد بن كثير، حدثني ليث عن طاوس عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ في هذه الآية ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ﴾ وليسوا منك هم أهل البدع والشبهات وأهل الضلالة من هذه الأمة». ورغم قوله: إنّ عباد بن كثير متروك الحديث إلّا أنه أورد روايات أخرى تؤكد ما ذهب إليه الحديث منها ما نُسب لعائشة رضي الله عنها والذي وصفه بالغريب أيضًا مرجحًا أنّ الآية وردت عامة في كل من فارق دين الله وكان مخالفًا له: «والظاهر أنّ الآية وردت عامة في كل من فارق دين الله وكان مخالفًا له فإنّ الله بعث رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وشرعه واحد لا اختلاف فيه ولا افتراق فمن اختلف فيه (وكانوا شيعًا) أي فرقًا كأهل الملل والنحل والأهواء والضلالات فإنّ الله قد برّأ رسول الله ﷺ مما هم فيه».

وهذا التأويل خاطئ، فالآية وردت عامة وتنصرف إلى المسلمين من أتباع محمد ﷺ، ذلك أنّ الآيات التي قبلها وبعدها تتحدث عن المسلمين من أهل القرآن ولا تتحدث عن غيرهم من الكتابيين. ويرمي المتأوّل إلى تبرئة نفسه، وأبناء طائفته ومذهبه الفقهي من جريرة تفريق الدين، وتقسيم المسلمين إلى شيع وأحزاب، ومن جريرة تبرئة النبيّ ﷺ منهم، وعلى الرغم من اعتراف ابن كثير بأنّ الآية وردت عامة ولا تخصيص فيها غير أنّه عاد وصرفها إلى اليهود أو النصارى تارة وأخرى إلى أهل الأهواء والبدع والضلالات ليصرف التهمة عن فرقته ويلصقها بالخصوم.

كما أوّلوا الآية الثانية والثلاثين من سورة الروم، على نفس الشاكلة على أنّها تنصرف إلى اليهود والنصارى تارة، وإلى أهل البدع والأهواء، يقصدون الشيعة والخوارج والمعتزلة والمتكلمين تارة أخرى؛ حيث أورد الطبري في معرض تفسيره للآية: «وقوله: ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًاۖ﴾ يقول: ولا تكونوا من المشركين الذين بدّلوا دينهم، وخالفوه ففارقوه ﴿وَكَانُواْ شِيَعًا﴾ يقول: وكانوا أحزابًا فرقًا كاليهود والنصارى». وأورد السعدي في تفسيره لهذه الآية قوله: «يتوعد تعالى الذين فرقوا دينهم، أي: شتتوه وتفرقوا فيه وكل أخذ لنفسه نصيبًا من الأسماء التي لا تفيد الإنسان في دينه شيئًا، كاليهودية والنصرانية والمجوسية، أو لا يكمل بها إيمانه، بأن يأخذ من الشريعة شيئًا، ويجعله دينه، ويدع مثله، أو ما هو أولى منه، كما هو حال أهل الفرقة من أهل البدع والضلال والمفرقين للأمة». وهو في ذلك يشير إلى حديث نبوي أورده ابن كثير في تفسيره: «وَقَالَ اِبْن جَرِير حَدَّثَنِي سَعِيد بْن عُمَر السَّكُونِيّ حَدَّثَنَا بَقِيَّة بْن الْوَلِيد كَتَبَ إِلَى عَبَّاد بْن كَثِير حَدَّثَنِي لَيْث عَنْ طَاوُس عَنْ أَبِي هُرَيْرَة رَضِيَ اللَّه عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُول اللَّه ﷺ فِي هَذِهِ الْآيَة ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍۚ﴾ وَلَيْسُوا مِنْك هُمْ أَهْل الْبِدَع وَأَهْل الشُّبُهَات وَأَهْل الضَّلَالَة مِنْ هَذِهِ الْأُمَّة». رغم إشارته إلى أنْ إِسْنَاد عَبَّاد بْن كَثِير لَا يَصِحّ، وذلك لكونه مَتْرُوك الْحَدِيث. كما أورد القرطبي في معرض تفسيره للآية الثانية: «يعني اليهود والنصارى في قول جمهور المفسرين، وقال بعضهم هم المبتدعة من هذه الأمة وقال أبو إمامة: هم الحرورية وتلا الآية. وقال جابر بن عبد الله: ﴿كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ﴾ اليهود والنصارى».

وهذا تأويل خاطئ، فهذه الآية أيضًا وردت عامة وتنصرف إلى المسلمين من أتباع محمد ﷺ، ذلك أنّ الآيات التي قبلها وبعدها تتحدث عن المسلمين من أهل القرآن. ويرمي هذا التأويل كالتأويل الأول إلى تبرئة المتأوّل لنفسه، وأبناء طائفته ومذهبه الفقهي من جريرة تفريق الدين، وتقسيم المسلمين إلى شيع وأحزاب، كل شيعة أو طائفة فرحة بما لديها وتظن أنها الطائفة الناجية: ﴿كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ﴾، رغم أنّ الله تعالى يصم الذين يفرقون دينهم بالشرك: ﴿وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾. وهو ما أشار إليه الطبري، غير أنّه

قَصرها على أهل الكتب السابقة، إمّا لأنه لم يدرك بأنّ ما ينطبق عليهم ينسحب على كل الذين فرقوا دينهم شيعًا وأحزابًا، سواءً كانوا من أهل التوراة أو الإنجيل أو كانوا من أهل القرآن، أو أنّه تأول حتى يبرئ ساحة المسلمين من أتباع النبيّ محمد ﷺ من الشرك. أمّا الحديث المنسوب لأبي هريرة فهو معلول بلغة أهل الحديث، ذلك أنّ صيغة أهل البدع والضلالة ليست صيغة نبوية، إنّما هي من تعابير وأوصاف أهل الحديث والنسخ لوصف خصومهم، كالمعتزلة والشيعة والخوارج والمتكلمين وغيرهم، ولم تكن سائدة زمن النبيّ ﷺ، وهو ما يؤكد بأنّ الحديث موضوع.

وأوّلوا «اسم الإشارة» في الآية الخامسة بعد المئة من سورة آل عمران، على أنّه ينصرف إلى كل فرق المسلمين باستثناء فرقة أهل السُّنة والجماعة؛ حيث أورد ابن كثير في تفسير القرآن العظيم في معرض تفسيره لهذه الآية قوله: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾ الآية؛ ينهى تبارك وتعالى هذه الأمة أن يكونوا كالأمم الماضين في افتراقهم واختلافهم وتركهم الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، مع قيام الحجة عليهم. قال الإمام أحمد: حدثنا أبو المغيرة، حدثنا صفوان، حدثني أزهر بن عبد الله الهروي، عن أبي عامر عبد الله بن يحيى، قال: حججنا مع معاوية بن أبي سفيان، فلما قدمنا مكة، قام حين صلى صلاة الظهر، فقال: إن رسول الله ﷺ قال عن أهل الكتابين افترقوا في دينهم على اثنتين وسبعين ملة، وأن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين ملة ـ يعني الأهواء ـ كلها في النار إلّا واحدة ـ وهي الجماعة وأنه سيخرج في أمتي أقوام تتجارى بهم الأهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه، لا يبقى منه عرق ولا مفصل إلّا دخله، والله يا معشر العرب، لئن تقوموا بما جاء به نبيكم ﷺ لغيركم من الناس أحرى أن لا يقوم به».

والتأويل خاطئ، ذلك أنّ الآية وردت مطلقة وغير مقيدة، فكل الذين اختلفوا وفرقوا دينهم من بعد ما جاءتهم البينات، سواءً كانوا يهودًا أو نصارى أو مسلمين توعدهم الله تعالى بعذاب عظيم. وينصرف هذا الوعيد، بالنسبة للمسلمين من أتباع النبيّ محمد ﷺ، إلى كافة الذين تعصبوا لإمام معيّن أو لفرقة معينة، واتبعوا فقهاءها ومحدثيها دون تمحيص، ودون رجوع إلى كتاب

الله تعالى. وفاتهم أنّ الله تعالى أمرنا بالاحتكام إليه وإلى رسوله ﷺ عند التنازع والاختلاف، حين كان رسول الله ﷺ بين ظهراني المسلمين، والاحتكام إليه تبارك وتعالى فحسب، بعد موت رسوله ﷺ لقوله تعالى: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾[1]. غير أنّ المتأوّلين من أهل الحديث والنسخ حرّفوا دلالة الآية لتستثنيهم من الوعيد.

كذلك أوّلوا ﴿ٱلَّذِينَ أُورِثُواْ ٱلْكِتَٰبَ﴾ في الآية الرابعة عشرة من سورة الشورى على أنّهم اليهود والنصارى؛ حيث أورد الطبري في جامع البيان في معرض تفسيره للآية قوله: «وقوله: ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾ يقول: وإنّ الذين آتاهم الله من بعد هؤلاء المختلفين في الحقّ كتابه التوراة والإنجيل ﴿لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ﴾ يقول: لفي شكّ من الدين الذين وصّى الله به نوحًا، وأوحاه إليك يا محمد، وأمركما بإقامته مريب. وبنحو الذي قلنا في معنى قوله: ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾ قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك: حدثنا محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، قوله: ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾ قال: اليهود والنصارى».

والتأويل خاطئ، ذلك أنّه لا يستقيم القول بأنّ الذين أوتوا الكتاب وتفرقوا فيه هم اليهود والنصارى، والذين أورثوا الكتاب هم أيضًا اليهود والنصارى، فكيف يكونون في محل الوارث والمورث في نفس الوقت؟ والأرجح أنْ تنصرف دلالة الذين ورثوا الكتاب للمتأخرين من أهل الكتب السماوية جميعًا، بما في ذلك الذين أوتوا القرآن، هذا إنْ لم نقل إنّها تقتصر عليهم.

خاتمة المبحث:

جدول رقم(2 ـ 10)

التأويلات المتعلقة بالنهي عن تفريق الدين:

---

(1) سورة الشورى، الآية: 10.

الكَلِم	الدلالة المحرّفة	الدلالة الأصلية
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ﴾	إنّ اليهود والنصارى والمجوس وأهل البدع كالحرورية الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعًا لست منهم في شيء إنّما أمرهم إلى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون.	إنّ المسلمين الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعًا لست منهم في شيء إنّما أمرهم إلى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون.
﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَا ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ وَٱللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾	كان النّاس أمة واحدة فبعث الله النبيّين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلف فيه وما اختلف فيه إلّا اليهود والنصارى من بعد ما جاءتهم البيّنات بغيًا بينهم فهدى الله المسلمين من أتباع محمد لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.	كان النّاس أمة واحدة فبعث الله النبيّين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلف فيه وما أختلف فيه إلّا الذين أوتوا الكتاب «على إطلاقه» من بعد ما جاءتهم البيّنات بغيًا بينهم فهدى الله الذين آمنوا(*) «على إطلاقهم» لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.
﴿وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾	ولا تكونوا كالمشركين من اليهود والنصارى والمجوس وأهل البدع كالحرورية الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعًا كل حزب بما لديهم فرحون .	ولا تكونوا أيها المسلمون من أتباع محمد من المشركين الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعًا كل حزب بما لديهم فرحون.
﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾	ولا تكونوا يا أهل البدع والضلالة كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءتهم البيّنات وأولئك لهم عذاب عظيم.	ولا تكونوا أيها المسلمون من أتباع محمد كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءتهم البيّنات وأولئك لهم عذاب عظيم.

(*) الذين آمنوا بالدلالة القرآنية غير المحرفة تشمل كل من لم يحرف الكلم عن مواضعه ولم يكتم ما أنزل الله تعالى إليه ولم يكذب على الله تعالى ولا على نبيه وبقي على التوحيد من أهل التنزيل جميعًا.

﴿وَمَا تَفَرَّقُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۚ وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى لَّقُضِيَ بَيۡنَهُمۡۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُ مُرِيبٖ﴾	وما تفرق اليهود والنصارى إلّا من بعد ما جاءهم العلم بغيًا بينهم ولولا كلمة سبقت من ربّك إلى أجل مسمى لقضي بينهم وإنّ اليهود والنصارى الذين أورثوا الكتاب من بعدهم لفي شك منه مريب!	وما تفرق اليهود والنصارى إلّا من بعد ما جاءهم العلم بغيًا بينهم ولولا كلمة سبقت من ربّك إلى أجل مسمى لقضي بينهم وإنّ المسلمين الذين أورثوا الكتاب من بعدهم لفي شك منه مريب!

التعليق:

جهد المتأوّلون من أهل الحديث والنسخ على إلصاق كل نقيصة وردت في القرآن باليهود والنصارى، ونسب كل مكرمة للمسلمين من أتباع النبيّ محمد ﷺ؛ فالذين حرفوا الكلم عن مواضعه هم اليهود والنصارى، والذين أخفوا ما أنزل الله تعالى هم اليهود والنصارى، والذين اشتروا بآيات الله ثمنًا قليلًا هم اليهود والنصارى، والذين نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم هم اليهود والنصارى، أمّا المسلمون فهم منذ نزول القرآن وحتى اليوم هم خير أمة أخرجت للناس! ولا تزال منهم أمة ظاهرة على الحق لا يضيرهم من ضلّ! والأمة الظاهرة على الحق هم أهل الحديث والنسخ. فهم على شاكلة الليبراليين الغربيين: «الديمقراطيات الغربية»، كل مكرمة معقودة عليهم، وكل نقيصة تنصرف إلى خصومهم، الذين هم تارة النازيون: «الوطنيون الذين لحقت أوطانهم المهانة والمذلة والإخضاع»، وأخرى الاشتراكيون: «الذين يدعون إلى القسط وإنصاف المستضعفين»، وثالثة الإرهابيون: «الذين لا يجدون من ضعفهم وقهرهم سوى أجسادهم فيصنعون منها قنابل وألغامًا في وجه جلاديهم وقامعيهم».

وعلى ضوء ذلك أوّلت الآيات التي تناولناها آنفًا، والتي تعرّض بالذين فرقوا دينهم شيعًا وأحزابًا، على نحو يقصر تفريق الدين على أهل الكتب السابقة من اليهود والنصارى، سيرًا على منوال كل نقيصة في الكتاب هي من فعل أهل الكتاب من جهة، وحتى لا ينسحب الوعيد والتعريض بالذين يفعلون ذلك على المسلمين من أتباع النبيّ محمد ﷺ من جهة أخرى، حيث أوّلوا الآية الأولى على أنّها تنصرف إلى أهل الكتب السابقة من اليهود والنصارى،

وأوّلوا ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ﴾ في الآية الثانية على أنّها تنصرف إلى اليهود والنصارى، وأوّلوا ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ على أنّهم المسلمون من أتباع محمد ﷺ. وعلى الرغم من أنّ جلّ الروايات تأول أصحابها دلالة الآية الثالثة على نفس الشاكلة، رأى بعضهم انصراف دلالتها إلى أهل البدع والأهواء، يقصدون مخالفيهم من الفرق الأخرى كالشيعة والخوارج والمعتزلة والمتكلمين وغيرهم. كما أوّلوا الآية الرابعة، التي تنهى المسلمين عن تفريق دينهم، على أنّها تنصرف إلى كل فرق المسلمين باستثناء فرقة أهل الحديث والنسخ! كذلك أوّلوا ﴿ٱلَّذِينَ أُورِثُواْ ٱلْكِتَٰبَ﴾ في الآية الرابعة عشرة من سورة الشورى على أنّهم اليهود والنصارى.

ـ الحادي عشر ـ
التأويلات المتعلقة بهجر القرآن

أوّل أهلُ الحديث والنسخ الآيات المتعلقة بهجر القرآن وتركه وراء ظهور المسلمين الآيات:

1. ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾[1].
2. ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ﴾[2].
3. ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾[3].
4. ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ۚ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ﴾[4].
5. ﴿كَمَآ أَنزَلْنَا عَلَى ٱلْمُقْتَسِمِينَ ﴿٩٠﴾ ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ﴾[5].
6. ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا﴾[6].

على أنّها نزلت في المشركين أو أهل الكتب السابقة من اليهود والنصارى؛ حيث أُوّلت الآية الأولى على أنّها تارة تنصرف إلى الكفار

---

(1) سورة البقرة، الآية: 170.
(2) سورة آل عمران، الآية: 23.
(3) سورة آل عمران، الآية: 187.
(4) سورة الأعراف، الآية: 53.
(5) سورة الحجر، الآيتان: 90 ـ 91.
(6) سورة الفرقان، الآية: 30.

والمشركين، وأخرى إلى اليهود والنصارى؛ فأورد ابن كثير في تفسير القرآن العظيم في معرض تفسيره للآية قوله: «يقول تعالى: وإذا قيل لهؤلاء الكفرة من المشركين: اتبعوا ما أنزل الله على رسوله، واتركوا ما أنتم عليه من الضلال والجهل، قالوا في جواب ذلك: ﴿بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا﴾، أي: وجدنا عليه آباءنا، أي: من عبادة الأصنام والأنداد، قال الله تعالى منكرًا عليهم: ﴿أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ﴾ أي: الذين يقتدون بهم، ويقتفون أثرهم ﴿لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ أي: ليس لهم فهم ولا هداية. وروى ابن إسحاق عن محمد بن أبي محمد، عن عكرمة أو سعيد بن المسيب، عن ابن عباس: أنّها نزلت في طائفة من اليهود، دعاهم رسول الله ﷺ إلى الإسلام، فقالوا: بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا، فأنزل الله هذه الآية».

والتأويل خاطئ، ذلك أنّه ليس ثمّة في الآية ولا في سياق الآيات ما يدل على تقييدها بالكفار والمشركين أو بأهل الكتب السابقة، بل إنّ ما سبقها من آيات ينطبق تمامًا على ما وقع في التاريخ الإسلامي، وهي ظاهرة تقليد الأئمة: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿166﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّا كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾[1]. والآية تدعونا إلى التمسك بالقرآن وألّا نحكّم الرجال فيما نختلف فيه وكتاب الله بين ظهرانينا، وإلّا نقول بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا؛ مالك وأبي حنيفة، وابن حنبل والشافعي، وابن أباض، والكليني والمجلسي، والبخاري ومسلم، والربيع بن حبيب وغيرهم. ثم إنّه حتى إذا سلّمنا جدلًا بأنّ هذه الآيات تتحدث عن أهل الكتب السابقة، فإنّ أهل القرآن معنيون بما ورد فيها؛ ذلك أنّ الغاية من إيرادها في القرآن يكمن بالضرورة في أخذ العظة والعبرة من أخطاء السابقين ليتجنبوا الوقوع فيها، ولم يكن الله تعالى ليضمّنها القرآن لمجرد القص والإخبار.

وأوّلت الآية الثانية على أنّها تنكر على اليهود والنصارى رفض الاحتكام للتوراة والإنجيل فيما يتعلق بنبوّة محمد ﷺ؛ حيث أورد ابن كثير في تفسير

---

(1) سورة البقرة، الآيتان: 166 ـ 167.

القرآن العظيم في معرض تفسيره للآية قوله: «يقول تعالى منكرًا على اليهود والنصارى المتمسكين فيما يزعمون بكتابيهم اللذين بأيديهم، وهما التوراة والإنجيل، وإذا دعوا إلى التحاكم إلى ما فيهما من طاعة الله فيما أمرهم به فيهما من اتباع محمد ﷺ تولوا وهم معرضون عنهما، وهذا في غاية ما يكون من ذمهم والتنويه بذكرهم بالمخالفة والعناد، ثم قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ﴾ أي: إنما حملهم وجرأهم على مخالفة الحق افتراؤهم على الله فيما ادعوه لأنفسهم أنّهم إنما يعذبون في النار سبعة أيام، عن كل ألف سنة في الدنيا يومًا».

وهذا تأويل خاطئ، ذلك أنّه يقيّد المطلق ويخصص العام، دون أنْ يكون في الآية، ولا في سياق الآيات ما يدل على تقييدها، ثم إنّه لو أنّ الأمر يتعلق بالتولي عن طاعة الله فيما أمرهم به فيهما من اتباع النبيّ محمد ﷺ لما قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ﴾ ذلك أنّ اليهود على سبيل المثال لم يتبع منهم ما أنزل على محمد ﷺ إلّا قلة لا يتجاوزون عدد أصابع اليد الواحدة وهو لا يتناسب وصيغة «فريق منهم» فلو قال الله تعالى: «فتولوا إلّا قليلًا» لكان أقرب للتأويل الذي ذهب إليه ابن كثير، وهو ما يعني أنّ دلالة الآية تنصرف إلى إعراض الذين أوتوا الكتاب عن الكتاب الذي أنزل إليهم إلى أقوال الأحبار أو الرهبان أو الفقهاء. وحتى إذا سلّمنا جدلًا بأنّ هذه الآيات تتحدث عن أهل الكتب السابقة، فإنّ أهل القرآن معنيون بما ورد فيها كي لا يتولوا حين يُدْعَون للاحتكام لكتاب الله تعالى، في حين يُعرض أهل الحديث والنسخ عن الاحتكام للقرآن عند الاختلاف، ويحتكمون للرجال الذين يسمونهم بالعدول من الرواة عوضًا عن الاحتكام للقرآن. ويصر أهل الحديث والنسخ على اختزال إعراض اليهود والنصارى عن الاحتكام لكتاب الله، في إعراضهم عن اتباع النبي محمد ﷺ، حتى لا يتفطن المتلقي إلى ما يفعلونه من احتكام للرجال، عند الاختلاف حول صحة الحديث، أو حول تأويل آيات الذكر الحكيم، أو حول الادعاء بنسخ آية ما. كما فعل اليهود والنصارى، الذين احتكموا إلى أقوال أحبارهم ورهبانهم ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم، وهو ما ذكره الله تعالى في قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ

وَلَا تَكۡتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمۡ وَٱشۡتَرَوۡاْ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلٗاۖ فَبِئۡسَ مَا يَشۡتَرُونَ﴾[1]، وكذلك قوله: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾[2].

وأوّلت الآية الثالثة على أنها هي الأخرى تقتصر على اليهود والنصارى؛ حيث أورد الطبري في معرض تفسيره للآية قوله: «يعني بذلك تعالى ذكره: واذكر أيضًا من هؤلاء اليهود وغيرهم من أهل الكتاب منهم يا محمد إذ أخذ الله ميثاقهم، ليبيننّ للناس أمرك الذي أخذ ميثاقهم على بيانه للناس في كتابهم الذي في أيديهم، وهو التوراة والإنجيل، وأنك لله رسول مرسل بالحقّ، ولا يكتمونه، ﴿فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمۡ﴾ يقول: فتركوا أمر الله وضيعوه، ونقضوا ميثاقه الذي أخذ عليهم بذلك، فكتموا أمرك، وكذبوا بك، ﴿وَٱشۡتَرَوۡاْ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلٗاۖ﴾ يقول: وابتاعوا بكتمانهم ما أخذ عليهم الميثاق أن لا يكتموه من أمر نبوّتك، عوضًا منه، خسيسًا قليلًا من عرض الدنيا. ثم ذمّ جلّ ثناؤه شراءهم ما اشتروا به من ذلك، فقال: ﴿فَبِئۡسَ مَا يَشۡتَرُونَ﴾».

والتأويل خاطئ، ذلك أنّ المسلمين من أتباع النبيّ محمد ﷺ، هم أيضًا أهل كتاب، ومعنيون بتبليغ كتابهم، ومن المستبعد أن يستثنيهم الله تعالى من ميثاق تبليغ ما أتاهم من كتاب. ثم إنّه حين نستثنيهم من دلالة الآية نكون من الذين يقولون على الله ما لا يعلمون، أكان هؤلاء المتأوّلون حاضرون حين أخذ الله الميثاق من الذين أوتوا الكتاب، وشهدوا بأنّه لم يأخذه من المسلمين من أهل القرآن؟ أو لعلهم يقسمون رحمة ربّك فيمنحونها للمسلمين من أهل القرآن ويمنعونها عن اليهود والنصارى، فالوعيد بنبذ الكتاب يخص اليهود والنصارى، والإنقاذ من النار والدخول إلى الجنّة يخص المسلمين. وحتى إذا سلّمنا جدلًا بأنّ هذه الآية تتحدث عن أهل الكتب السابقة، فإنّ أهل القرآن معنيون بما ورد فيها كما أسلفنا، ذلك أنّ الغاية من إيرادها في القرآن يكمن بالضرورة في أخذ العظة والعبرة من أخطاء السابقين لنتجنب الوقوع فيها، ولم يكن الله تعالى ليوردها في القرآن لمجرد القص والإخبار. ولم يقتصر كتمان

---

(1) سورة آل عمران، الآية: 187.

(2) سورة التوبة، الآية: 31.

أهل الكتب السابقة لما أنزل عليهم على كتمان نبوّة محمد ﷺ. غير أنه ثمّة حرص على حصر كتمانهم لما أنزل الله تعالى عليهم في هذه المسألة كما أسلفنا، حتى لا ينصرف ذهن المتلقي إلى ما قام به أهل الحديث والنسخ من إخفاء وكتمان لما أنزل الله تعالى من آيات محكمات، قيل بنسخها تطويعًا لآيات الله تعالى لنظرياتهم وأمانيهم.

كما أوّل «اسم الإشارة» في الآية الرابعة على أنّه ينصرف إلى الذين أعرضوا عنه؛ حيث أورد السيوطي تأويلًا نسبه إلى مجاهد قال فيه: «وأخرج ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم وابن المنذر وأبو الشيخ عن مجاهد في قوله ﴿يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ﴾ قال: جزاؤه ﴿يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ﴾ أعرضوا عنه».

والتأويل خاطئ، ذلك أنّ دلالة الآية تنصرف إلى كل من غرتهم الأماني وقالوا سيغفر لنا. ومن هناك فهي تنسحب على أهل الكبائر، والذين أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات من المسلمين، الذين غرتهم نظريتا الشفاعة لدى مدرستي الحديث والنسخ والرواية والتأويل؛ حيث سيتساءلون مع كثيرين غيرهم يوم القيامة، هل لنا من شفعاء يشفعون لنا أو نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل؟ يقول تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوٓا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾[1].

ويرمي هذا التأويل إلى استبعاد أنْ يكون الذين نسوا آيات الله من المسلمين، ذلك أنّ دلالة الذين أعرضوا عن القرآن تنصرف إلى الكفار والمشركين، الذين كذّبوا نبوّة محمد ﷺ، وكذّبوا التنزيل. بينما دلالة الذين نسوه تنصرف إلى من آمن به ثم نسي آيات الله وأوامره ونواهيه. ولذلك قلب المتأوّلون «نسوه» إلى «أعرضوا عنه». ومن هناك فالمتأوّلون أرادوا إخضاع الآية لنظريتي الشفاعة، وعدم خلود المسلم في النار. رغم أنّ هذه الآية تدحض نظرية الشفاعة بشقيها الشيعي والسنّي.

---

(1) سورة الأعراف، الآية: 53.

كذلك أوّلت الآيتان التسعون والحادية والتسعون من سورة الحجر على أنّهما تنصرفان إلى أصحاب الديانات السابقة، كاليهود تارة والنصارى أخرى، وقوم صالح ومشركي قريش طورًا؛ حيث أورد ابن كثير في تفسير القرآن العظيم في معرض تفسيره للآية قوله: «وَقَوْله ﴿ٱلَّذِينَ جَعَلُواْ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ﴾ أَيْ جَزَّؤوا كُتُبهمْ الْمُنَزَّلَة عَلَيْهِمْ فَآمَنُوا بِبَعْض وَكَفَرُوا بِبَعْضٍ قَالَ الْبُخَارِيّ: حَدَّثَنَا يَعْقُوب بْن إِبْرَاهِيم حَدَّثَنَا هُشَيْم أَنْبَأَنَا أَبُو بِشْر سعيد بن المسيب عَنْ اِبْن عَبَّاس ﴿جَعَلُواْ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ﴾ قَالَ هُمْ أَهْل الْكِتَاب جَزَّؤوهُ أَجْزَاء فَآمَنُوا بِبَعْضِهِ وَكَفَرُوا بِبَعْضِهِ. حَدَّثَنَا عُبَيْد اللَّه بْن مُوسَى عَن الْأَعْمَش عَنْ أَبِي ظَبْيَان عَنْ اِبْن عَبَّاس ﴿جَعَلُواْ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ﴾ قَالَ هُمْ أَهْل الْكِتَاب جَزَّؤوهُ أَجْزَاء فَآمَنُوا بِبَعْضِهِ وَكَفَرُوا بِبَعْضِهِ. حَدَّثَنَا عُبَيْد اللَّه بْن مُوسَى عَنْ الْأَعْمَش عَنْ أَبِي ظَبْيَان عَنْ اِبْن عَبَّاس قَالَ «كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ» قَالَ: آمَنُوا بِبَعْضٍ وَكَفَرُوا بِبَعْضٍ الْيَهُود وَالنَّصَارَى». وأورد القرطبي في تفسيره للآية الأولى: «وَاخْتُلِفَ فِي الْمُقْتَسِمِينَ» عَلَى أَقْوَال سَبْعَة: الْأول: قَالَ مُقَاتِل وَالْفَرَّاء: هُمْ سِتَّة عَشَر رَجُلًا بَعَثَهُمْ الْوَلِيد بْن الْمُغِيرَة أَيَّام الْمَوْسِم فَاقْتَسَمُوا أَعْقَاب مَكَّة وَأَنْقَابهَا وَفِجَاجهَا يَقُولُونَ لِمَنْ سَلَكَهَا: لَا تَغْتَرُّوا بِهَذَا الْخَارِج فِينَا يَدَّعِي النبوّة؛ فإنّهُ مَجْنُون، وَرُبَّمَا قَالُوا سَاحِر، وَرُبَّمَا قَالُوا شَاعِر، وَرُبَّمَا قَالُوا كَاهِن. وَسُمُّوا الْمُقْتَسِمِينَ لِأَنَّهُمْ اِقْتَسَمُوا هَذِهِ الطُّرُق، فَأَمَاتَهُم اللَّه شَرّ مِيتَة، وَكَانُوا نَصَبُوا الْوَلِيد بْن الْمُغِيرَة حَكَمًا عَلَى بَاب الْمَسْجِد، فَإِذَا سَأَلُوهُ عَن النَّبِيّ ﷺ قَالَ: صَدَقَ أولئِكَ. الثَّانِي: قَالَ قَتَادَة: هُمْ قَوْم مِنْ كُفَّار قُرَيْش اِقْتَسَمُوا كِتَاب اللَّه فَجَعَلُوا بَعْضه شِعْرًا، وَبَعْضه سِحْرًا، وَبَعْضه كِهَانَة، وَبَعْضه أَسَاطِير الْأولينَ. الثَّالِث: قَالَ اِبْن عَبَّاس: (هُمْ أَهْل الْكِتَاب آمَنُوا بِبَعْضِهِ وَكَفَرُوا بِبَعْضِهِ). وَكَذَلِكَ قَالَ عِكْرِمَة: هُمْ أَهْل الْكِتَاب، وَسُمُّوا مُقْتَسِمِينَ لِأَنَّهُمْ كَانُوا مُسْتَهْزِئِينَ، فَيَقُول بَعْضهمْ: هَذِهِ السُّورَة لِي وَهَذِهِ السُّورَة لَك. وَهُوَ الْقَوْل الرَّابِع. الْخَامِس: قَالَ قَتَادَة: قَسَّمُوا كِتَابهمْ فَفَرَّقُوهُ وَبَدَّدُوهُ وَحَرَّفُوهُ. السَّادِس: قَالَ زَيْد بْن أَسْلَمَ: الْمُرَاد قَوْم صَالِح، تَقَاسَمُوا عَلَى قَتْله فَسُمُّوا مُقْتَسِمِينَ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿تَقَاسَمُواْ

بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ﴾[1]. السَّابع: قَالَ الْأَخْفَش: هُمْ قَوْم اقْتَسَمُوا أَيْمَانًا تَحَالَفُوا عَلَيْهَا. وَقِيلَ: إِنَّهُمْ الْعَاص بْن وَائِل وَعُتْبَة وَشَيْبَة اِبْنَا رَبِيعَة وَأَبُو جَهْل بْن هِشَام وَأَبُو الْبَخْتَرِيّ بْن هِشَام وَالنَّضْر بْن الْحَارِث وَأُمَيَّة بْن خَلَف وَمُنَبِّه بْن الْحَجَّاج؛ ذَكَرَهُ الْمَاوَرْدِيّ».

والتأويل خاطئ، فلم يثبت أنّ المشركين آمنوا ببعض الكتاب الذي أنزل على النبيّ محمد ﷺ، فحين يؤمن المشرك ببعض ما أنزل على محمد ﷺ فإنّ هذا يعني أنّه آمن بنبوّته، وهذا لم يحدث من مشركي قريش والعرب. ومن هناك فالقول الذي نُسب إلى قتادة: «هُمْ قَوْم مِنْ كُفَّار قُرَيْش اقْتَسَمُوا كِتَاب اللَّه فَجَعَلُوا بَعْضه شِعْرًا، وَبَعْضه سِحْرًا، وَبَعْضه كِهَانَة، وَبَعْضه أَسَاطِير الْأَولِينَ» هو قول غير دقيق، ذلك أنّ الذين وصفوا القرآن بالشعر وصفوه كله بالشعر وليس بعضه، وكذلك الذين وصفوه بالسحر أو الكهانة وصفوه كله وليس بعضه بهاتين الصفتين كلًّا على حدة. ومن هناك فدلالة الآية، في تقديري، لا تنصرف إلى المشركين، وقد تنصرف لأهل الكتاب غير أنّها لا تقتصر عليهم. ومن الأولى أن تنصرف للمسلمين من أتباع النبيّ محمد ﷺ، طالما أنّ القرآن نزل عليهم. وإجمالًا فإنّ دلالة الآية تنسحب على كل من جعل القرآن عضين. ولذلك فالتأويل الذي يقصر دلالة الآيات التي تناولناها آنفًا على اليهود والنصارى أو المشركين لا يستقيم، والذين حاولوا قصر دلالتها عليهم حاولوا تبرئة من جعل القرآن عضين من المسلمين، فآمن ببعضه وكتم أو حرّف بعضه الآخر عن دلالاته ومعانيه.

وأوّلت دلالة «قومي» في الآية السادسة على أنّها تقتصر على المشركين منهم دون المسلمين؛ حيث أورد ابن كثير في تفسير القرآن العظيم في معرض تفسيره للآية قوله: «يقول تعالى مخبرًا عن رسوله ونبيه محمد ﷺ أنه قال: ﴿يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا﴾[2] وذلك أنّ المشركين كانوا لا

(1) سورة النمل، الآية: 49.
(2) سورة الفرقان، الآية: 30.

يصغون للقرآن، ولا يستمعونه؛ كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسْمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْاْ فِيهِ﴾[1] الآية، فكانوا إذا تلي عليهم القرآن، أكثروا اللغط والكلام في غيره، حتى لا يسمعوه، فهذا من هجرانه وترك الإيمان به، وترك تصديقه من هجرانه، وترك تدبره وتفهمه من هجرانه، وترك العمل به وامتثال أوامره واجتناب زواجره من هجرانه، والعدول عنه إلى غيره من شعر أو قول أو غناء أو لهو أو كلام أو طريقة مأخوذة من غيره، من هجرانه».

وهذا التأويل خاطئ، ذلك أنّ الآية لا تستثني المسلمين في الإقرار باتخاذ القرآن مهجورًا، فـ «قومي» وردت عامة ولا تستثني الذين أسلموا منهم، وهو ما يُرجح التأويل الذي ذهب إليه أبو مسلم الأصفهاني، وأورده الرازي في مفاتيح الغيب في معرض تفسيره للآية: «اعلم أنّ الكفار لما أكثروا من الاعتراضات الفاسدة ووجوه التعنت ضاق صدر الرسول ﷺ وشكاهم إلى الله تعالى وقال: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا﴾ وفيه مسائل: المسألة الأولى: أكثر المفسرين أنه قول واقع من الرسول ﷺ وقال أبو مسلم بل المراد أن الرسول عليه السلام يقوله في الآخرة وهو كقوله: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾[2] والأول أولى لأنه موافق للفظ ولأن ما ذكره الله تعالى من قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾[3] تسلية للرسول ﷺ ولا يليق إلا إذا كان وقع ذلك القول منه». وما يعزز رأي أبي مسلم ما ورد في الآيات السابقة للآية موضع التأويل 27 ـ 29، حيث تتحدث عن يوم القيامة: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿27﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿28﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا﴾». ومن الدارج في القرآن استخدام صيغة الفعل الماضي لنقل خبر يقع في المستقبل «في الآخرة» وذلك ليفيد التيقن الكامل من وقوعه. أمّا

---

(1) سورة فصلت،الآية: 26.
(2) سورة النساء، الآية: 41.
(3) سورة الفرقان، الآية: 31.

استشهاد الرازي بالآية الحادية والثلاثين فغير دقيق، ذلك أنّ الذين كذبوا على النبيّ ﷺ وقولوه ما لم يقل، هم أعداء لله ورسوله وإن لم يعاصروا رسوله.

خاتمة المبحث:

جدول رقم (2 ـ 11)

التأويلات المتعلقة بهجر القرآن:

الكَلِم	الدلالة المحرّفة	الدلالة الأصلية
﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾	وإذا قيل للمشركين واليهود: اتبعوا ما أنزل الله على محمد، واتركوا ما أنتم عليه من الضلال والجهل، قالوا: بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا. أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئًا ولا يهتدون.	وإذا قيل لأهل التوراة والإنجيل والقرآن اتبعوا ما أنزل الله من كتاب قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أولوا كان آباؤهم لا يعقلون شيئًا ولا يهتدون.
﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ﴾	ألم تر إلى اليهود والنصارى الذين أوتوا نصيبًا من الكتاب يدعون إلى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون.	ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبًا من الكتاب «في المطلق» يدعون إلى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون.
﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾	وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا التوراة والإنجيل لتبينانهما للناس ولا تكتمونهما فنبذاهما وراء ظهورهم واشتروا بهما ثمنًا قليلًا فبئس ما يشترون.	وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب «على إطلاقه» لتبيّننّه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنًا قليلًا فبئس ما يشترون.
﴿كَمَآ أَنزَلْنَا عَلَى ٱلْمُقْتَسِمِينَ (90) ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ﴾	كما أنزلنا على المبعّضين من المشركين واليهود والنصارى الذين بعّضوا القرآن!	كما أنزلنا على المبعّضين «على إطلاقهم» الذين بعّضوا القرآن، فآمنوا ببعض وتركوا البعض الآخر
﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا﴾	وقال الرسول يا ربّ إنّ المشركين من قومي اتخذوا القرآن مهجورًا!	وقال الرسول يا ربّ إنّ قومي «على إطلاقهم» اتخذوا القرآن مهجورًا!

﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ﴾	هل ينظرون إلّا تأويله يوم يأتي تأويله يقول الذين كذبوا به من قبل قد جاءت رسل ربّنا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا.	هل ينظرون إلّا تأويله يوم يأتي تأويله يقول الذين انشغلوا عنه من قبل قد جاءت رسل ربّنا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا.

التعليق:

ما أنْ ينقطع وحي السماء عن أهل الأرض بموت الرسل ﷷ، حتى ينبذ أتباع الرسل ما أنزل الله تعالى عليهم، ويستبدلونه بأقوال أحبارهم ورهبانهم وأئمتهم وفقهائهم، الذين يتحولون لممارسة دور الكهنة والسدنة في الأديان الوضعية، الذين يتحدثون باسم آلهة لا تنطق، ولا يمكن لأتباعهم التحقق من صحة ما نسبه الكهنة والسدنة لهم من أقوال وتعاليم، ما كان لهم أنْ يوحوا بها للكهنة والسدنة وهم لا ينطقون. فينسبون لله تعالى ورسله ﷷ ما لم يقولوا من تعاليم، تستجيب لرغبات الذين يبيعون آخرتهم بدنياهم، ويسعون وراء أهواء أنفسهم .**وحين يفعلون ذلك فإنّهم يصبحون أربابًا من دون الله ويلحدون في الله سبحانه وتعالى عما يصفون، فيجعلونه وثنًا يطيعهم فيما يقولون وما ينسبون له من أقوال! والله لا يطيعهم بل هم واهمون، فهم بمعنى أدق يختلقون صنمًا يطيعهم يمنحونه اسم الله ليلبسوا على الناس دينهم كما فعل السامري، غير أنّهم لا يجعلونه جسدًا له خوار بل صنمًا غير منظور، ليكون أشدَّ إلباسًا من عجل السامري.** ولذلك حذرنا الله تعالى من نبذ كتابنا وراء ظهورنا، ومن الكذب على الله تعالى كما فعل اليهود والنصارى، ومع ذلك فعلنا. غير أنّ الذين فعلوا حاولوا مسح الأثر الدال على فعلتهم، فأوّلوا الآيات التي تناولناها آنفًا، تأويلًا يستبعد أنْ يكون المقصود من «الذين نبذوا الكتاب وراء ظهورهم»، المسلمين من أتباع النبيّ محمد ﷺ، فأوّلت الآيات: الآية السبعون بعد المئة من سورة البقرة، والرابعة والعشرون من سورة آل عمران، والآية السابعة والثمانون بعد المئة من سورة آل عمران، على أنّها تنصرف إلى الكفار والمشركين أو إلى اليهود والنصارى دون غيرهما من أهل الكتاب. كما أوّلت الآيات التسعون والحادية والتسعون من سورة الحجر، والثلاثون من سورة

الفرقان على أنّها تنصرف إلى أصحاب الديانات السابقة، كاليهود والنصارى، وقوم صالح، ومشركي قريش، على الرغم من أنّها تنص على القرآن صراحة، ولم تستخدم تعبير الكتاب كما هو الحال في الآيات السابقة. كما أوّلوا ﴿ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبۡلُ﴾ في الآية الثالثة والخمسين من سورة الأعراف على أنّها تنصرف إلى الذين أعرضوا عنه، لتنصرف دلالتها إلى الكفار والمشركين عوضًا عن المسلمين، الذين آمنوا ثم أعرضوا عن كتابهم، ونسوه كما فعل أسلافهم من أهل الكتب السابقة. ثم إنّه حتى إذا سلّمنا بأنّ هذه الآيات تتحدث عن أهل الكتب السابقة، فإنّ أهل القرآن معنيون بما ورد فيها كما أسلفنا، ذلك أنّ الغاية من إيرادها في القرآن يكمن بالضرورة في أخذ العظة والعبرة من أخطاء السابقين لنتجنب الوقوع فيها، ولم يكن الله تعالى ليضمّنها القرآن لمجرد القص والإخبار. ولم يقتصر كتمان أهل الكتب السابقة لما أنزل الله عليهم، على كتمان نبوّة محمد ﷺ. غير أنّ المتأوّلين ضخموا هذه المسألة، لتحجب عنّا نبذ اليهود والنصارى لكتبهم حتى قبل بعثة النبيّ محمد ﷺ، وحتى نغفل عن محاكاتهم اليهود والنصارى في نبذهم للقرآن.

- الثاني عشر -
التأويلات المتعلقة بنظرية الفرقة الناجية

أوّل أهلُ الحديث والنسخ بعض الآيات التي تفرق بين المسلمين والكفار:

1. ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾[1].
2. ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[2].
3. ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿118﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾[3].
4. ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ﴾[4].

على أنّها تتعلق بتحديد الفرقة الناجية التي هي فرقة «أهل السُّنة والجماعة» وفقًا لمدرسة أهل الحديث والنسخ، فأوّلت «الوجوه التي ستبيضّ» في الآية الأولى، على أنّها وجوه أهل السُّنة والجماعة؛ حيث أورد ابن كثير في تفسير القرآن العظيم في معرض تفسيره للآية قوله: «وقوله تعالى ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ يعني يوم القيامة، حين تبيضّ وجوه أهل السُّنة والجماعة وتسودّ وجوه أهل البدعة والفرقة، قاله ابن عباس رضي الله عنهما قلت وقول ابن عباس هذا رواه مالك بن سليمان الهروي أخو غسان عن مالك بن أنس عن نافع عن

(1) سورة آل عمران، الآية: 106.
(2) سورة الأنعام، الآية: 153.
(3) سورة هود، الآية: 118.
(4) سورة طه، الآية: 82.

ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ قال: يعني تبيض وجوه أهل السُّنة وتسود وجوه أهل البدعة. وأورد القرطبي مثل قوله: «واختلفوا في التعيين؛ فقال ابن عباس تبيضّ وجوه أهل السُّنة وتسودّ وجوه أهل البدعة» كما أورد القرطبي روايات عديدة تتعلق بتفسير قوله تعالى: ﴿أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ قال فيها: «وقال أبي بن كعب الذين اسودت وجوههم هم الكفار، وقيل لهم: أكفرتم بعد إيمانكم لإقراركم حين أخرجتم من ظهر آدم كالذّرّ. هذا اختيار الطبري .الحسن: الآية في المنافقين. قتادة في المرتدّين. عكرمة: هم قوم من أهل الكتاب كانوا مصدقين بأنبيائهم مصدقين بمحمد ﷺ قبل أن يبعث، فلما بعث عليه السلام كفروا به؛ فذلك قوله ﴿أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ وهو اختيار الزجاج. مالك بن أنس: هي في أهل الأهواء. أبو أمامة الباهليّ عن النبيّ ﷺ: هي في الحرورية، وفي خبر آخر عنه عليه السلام قال: هي في القدرية». ويروي عن الترمذي عن أبي غالب: قال: رأى أبو أمامة رؤوسًا منصوبة على باب دمشق، فقال: كلاب النار شرّ قتلى تحت أديم السماء، خير قتلى من قتلوه - ثم قرأ - ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ إلى آخر الآية. وبعد أن يروي حديث الحوض ومن ارتدّوا على أدبارهم يعقب القرطبي: «والأحاديث في هذا المعنى كثيرة، فمن بدل أو غير أو غيّر أو ابتدع في دين الله ما لا يرضاه الله ولم يأذن به الله فهو من المطرودين عن الحوض المبتعدين منه المسودّي الوجوه، وأشدهم طردًا وإبعادًا من خالف جماعة المسلمين وفارق سبيلهم؛ كالخوارج على اختلاف فرقها، والروافض على تباين ضلالها، والمعتزلة على أصناف أهوائها فهؤلاء كلهم مبدلون مبتدعون...». ويقصر الطبري دلالة ﴿أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ في الكفار، الذين كانوا مسلمين حين أخذ الله ميثاقهم، وهم في صلب آدم عليه أفضل الصلاة والسلام، وعلى المنافقين فيقول: «﴿أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ قال: هو الإيمان الذي كان قبل الاختلاف في زمان آدم، حين أخذ منهم عهدهم وميثاقهم، وأقرّوا كلهم بالعبودية، وفطرهم على الإسلام، فكانوا أمة واحدة مسلمين، يقول: أكفرتم بعد إيمانكم، يقول بعد ذلك الذي كان في زمان آدم، وقال في الآخرين: الذين استقاموا على إيمانهم ذلك، فأخلصوا له الدين والعمل، فبيّض الله وجوههم، وأدخلهم في رضوانه وجنته».

وهذا التأويل يرمي إلى إخراج أتباع أهل الحديث والنسخ، من الكفر بعد الإيمان، ومن إمكانية اسوداد الوجه يوم القيامة، وقصره على الكفار والمشركين، وأهل البدع والضلالة وفق تصنيف أهل الحديث والنسخ، كالخوارج والشيعة والمعتزلة والمتكلمين وغيرهم. وهو تأويل خاطئ، ذلك أنّه يقيّد المطلق ويخصص العام، فدلالة الآية تنصرف إلى كلِّ الذين فرّقوا دينهم شيعًا وأحزابًا، واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات. ومن هناك فأتباع كل الفرق دون استثناء يمكن أنْ تسودّ وجوههم، وأنْ تشملهم دلالة قوله تعالى: ﴿أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾، وفي مقدمتهم الذين حرّفوا الكلم عن مواضعه، وكتموا ما أنزل الله تعالى، وكذبوا على الله من خلال كذبهم على رسوله ﷺ، وادعوا أنّ أكاذيبهم وحي يوحى. وكذلك الذين نقضوا عهد الله وميثاقه والذين ارتكبوا الكبائر، وتقاعسوا عن القتال أو الإنفاق في سبيل الله، وهؤلاء أولى من غيرهم بوصف الله تعالى ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ﴾.

كما أُوّلت «السبل» التي نهى الله تعالى عن اتباعها في الآية الثانية، على أنّها تعني اليهودية، والنصرانية، والمجوسية، وسائر أهل الملل وأهل البدع والضلالات وفق مدرسة أهل الحديث والنسخ، حيث أورد القرطبي في الجامع لأحكام القرآن في معرض تفسيره للآية: «قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ أي تميل. روىٰ الدّارميّ أبو محمد في مسنده بإسناد صحيح: أخبرنا عفان حدّثنا حماد بن زيد حدّثنا عاصم بن بَهْدَلة عن أبي وائل عن عبد الله بن مسعود قال: « خطّ لنا رسول الله ﷺ يومًا خطًّا»، ثم قال: «هذا سبيل الله» ثم خطّ خطوطًا عن يمينه وخطوطًا عن يساره ثم قال: «هذه سُبُلٌ على كل سبيل منها شيطان يدعو إليها» ثم قرأ هذه الآية «وأخرجه ابن ماجه في سننه عن جابر بن عبد الله قال: «كنا عند النبيّ ﷺ فخطّ خطًّا، وخطّ خطّين عن يمينه، وخط خطين عن يساره، ثم وضع يده في الخط الأوسط فقال هذا سبيل الله ـ ثم تلا هذه الآية ـ ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ «وهذه السُّبُلَ تعم اليهودية والنصرانية والمجوسية وسائر أهل الملل وأهل البدع والضلالات من أهل الأهواء والشذوذ في الفروع، وغير ذلك من أهل التعمُّق في الجدل والخوض في الكلام. هذه كلّها عرضة للزلل، ومظنة لسوء المعتقد؛ قاله ابن عطية».

وهذا تأويل خاطئ، ذلك أنّ الآية لم تحدد الفرقة الناجية، والقرآن يضع الذين فرقوا دينهم شيعًا وأحزابًا في سلة واحدة، ويتوعدهم جميعًا بالعذاب. والذين لم تتفرق بهم السبل وفق المنهج القرآني، هم الذين لم يفرقوا بين سبيل الله تعالى، وسبيل رسوله ﷺ، ولا بين سبيل الله تعالى وسبيل المؤمنين، وجعلوها سبيلًا واحدًا كما أمر الله تعالى بذلك. أمّا الذين تفرقت بهم السبل وجعلوها سبلًا ثلاث، فهم كالذين قالوا إنّ الله ثالث ثلاثة. فكيف يكون سبيل الله غير سبيل رسوله ﷺ؟ وسبيله تعالى غير سبيل المؤمنين؟ فيتم الركون للرجال لمعرفة سبيل رسول الله ﷺ! ويتم الركون للأئمة والفقهاء لمعرفة سبيل المؤمنين! والله تعالى يقول: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾. إنّ الذين جعلوا السبل سبيلًا واحدًا كما أمرهم الله تعالى في الآية، لا ينبغي أن يحتكموا لغير كتاب الله تعالى عند الاختلاف بعد وفاة رسوله ﷺ، وحين يختلفون حول صحة حديث نُسب لرسوله ﷺ على سبيل المثال لا الحصر يعرضونه على القرآن، فلا يحتكمون للرجال للحكم بصحته من عدمه. ومن ثم فإنّ من يحتكم لغير كتاب الله عند الاختلاف لا ينتسب للناجين من عذاب الله، وفقًا للقرآن، ووفقًا لهذه الآية.

وأُوّل «اسم الموصول» في الآية الثامنة عشرة بعد المئة من سورة هود على أنّه ينصرف إلى أهل السُّنة والجماعة؛ حيث أورد ابن كثير في تفسير القرآن العظيم في معرض تفسيره للآية: «يخبر تعالى: أنّه قادر على جعل الناس كلهم أمة واحدة من إيمان أو كفر؛ كما قال تعالى: «﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ وقوله: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ أي: ولا يزال الخُلْفُ بين الناس في أديانهم واعتقادات مللهم ونحلهم ومذاهبهم وآرائهم، وقال عكرمة: مختلفين في الهدى، وقال الحسن البصري: مختلفين في الرزق، يسخر بعضهم بعضًا، والمشهور الصحيح الأول. وقوله: ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ﴾ أي: إلا المرحومين من أتباع الرسل الذين تمسكوا بما أمروا به من الدين، أخبرتهم به رسل الله إليهم، ولم يزل ذلك دأبهم، حتى كان النبي وخاتم الرسل والأنبياء، فاتبعوه وصدقوه ووازروه، ففازوا بسعادة الدنيا والآخرة؛ لأنهم الفرقة الناجية؛ كما جاء في الحديث

المروي في المسانيد والسنن من طرق يشد بعضها بعضًا: «إن اليهود افترقت على إحدى وسبعين فرقة، وإن النصارى افترقت على اثنتين وسبعين فرقة، وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا فرقة واحدة» قالوا: ومن هم يا رسول الله؟ قال: «ما أنا عليه وأصحابي» رواه الحاكم في مستدركه بهذه الزيادة، وقال عطاء: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ يعني: اليهود والنصارى والمجوس ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾ يعني: الحنيفية، وقال قتادة: أهل رحمة الله أهل الجماعة، وإن تفرقت ديارهم وأبدانهم، وأهل معصيته أهل فرقة، وإن اجتمعت ديارهم وأبدانهم، وقوله: ﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ قال الحسن البصري في رواية عنه: وللاختلاف خلقهم، وقال مكي بن أبي طلحة عن ابن عباس: خلقهم فريقين».

والتأويل خاطئ، ذلك أنّ الاختلاف المذكور في الآية يحيل إلى اختلاف السبل الذي تعرضنا له في الآية السابقة. ومن ثم فـ «الذين رحم ربّك» تنصرف على نحو عام إلى الذين تمسكوا بالتنزيل ولم يختلفوا بعدما جاءتهم البينات، أي لم تتفرق بهم السبل كما أسلفنا. وتنصرف دلالتها على نحو خاص إلى الذين لم يفرقوا بين سبيل الله تعالى، وسبيل رسوله ﷺ، وسبيل المؤمنين، وجعلوها سبيلًا واحدًا كما أمر الله تعالى بذلك. فلم يحتكموا لغير الله عند الاختلاف، ولم يتخذوا من أئمتهم وفقهائهم أربابًا من دون الله تعالى. أمّا الذين تفرقت بهم السبل وجعلوها سبلًا ثلاث، فهم، في تقديري، ليسوا ممن رحم ربّك. ثم إنّ التأويل الذي أورده ابن كثير يقيّد المطلق ويخصص العام، فقول الله تعالى ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾ قول عام، ويشمل اتباع كافة الرسل والأنبياء من آدم عليه أفضل الصلوات وأفضل السلام إلى اليوم. وإذا كان الله تعالى لم يقصر رحمته على أتباع دين سماوي معين، أو فرقة معينة، فلماذا يضيّق المتأوّلون واسعًا؟

كذلك أُوّل «ضمير الغائب» في الآية الثانية والثمانين من سورة طه: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾، على أنّه ينصرف لأهل السُّنة والجماعة، كما قيل بأنّ دلالة الآية تنصرف إلى الاستقامة على مذهب السُّنة والجماعة؛ حيث أورد ابن كثير في تفسير القرآن العظيم في معرض تفسيره لهذه

الآية قوله: «وقوله: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ أي كل من تاب إلي، تبت عليه من أي ذنب كان، حتى إنه تاب تعالى على من عبد العجل من بني إسرائيل. وقوله تعالى: ﴿تَابَ﴾ أي: رجع عما كان فيه من كفر أو شرك أو معصية أو نفاق. وقوله: ﴿وَءَامَنَ﴾ أي: بقلبه. ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ أي: بجوارحه. وقوله: ﴿ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾ قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: أي: ثم لم يشكك. وقال سعيد بن المسيب: ﴿ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾ أي: استقام على السُّنة والجماعة، وروي نحوه عن مجاهد والضحاك وغير واحد من السلف».

وهذا تأويل خاطئ، ذلك أنّه يقيّد المطلق ويخصص العام؛ فالآية تخبرنا بأنّ الله تعالى غفار لمن تاب وعمل صالحًا ثم اهتدى في المطلق، ودون قصر المهتدي على رسالة معينة أو فرقة أو مذهب معين. ثم إنّ الاهتداء في الآية، وأينما ورد في القرآن الكريم، ينصرف إلى الاهتداء للإسلام، وإلى صراط الله المستقيم، وليس إلى مذهب معيّن أو فرقة معينة. والقرآن، كما أسلفنا، عرّض بالذين فرّقوا دينهم شيعًا وأحزابًا، ودون أنْ يستثني منهم فرقة أو مذهبًا أو أحدًا، بل ووصمهم بالشرك، قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿31﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾[1]. كما أنّ الاهتداء وفق المنهج القرآني، يقتصر على الذين استقاموا على أمر الله ولم تتفرق بهم السبل، فلم يتخذوا من أئمتهم وفقهائهم أربابًا من دون الله تعالى، ولم يحتكموا لغير الله عند الاختلاف، ولم يحرّفوا الكلم عن مواضعه، ولم يكتموا ما أنزل الله تعالى.

خاتمة المبحث:

جدول رقم (2 ـ 12)

التأويلات المتعلقة بنظرية الفرقة الناجية:

---

(1) سورة الروم، الآيتان: 31 ـ 32.

الكَلِم	الدلالة المحرّفة	الدلالة الأصلية
﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿105﴾ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾	ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البيّنات، وأولئك لهم عذاب عظيم، يوم تبيض وجوه أهل السُّنة والجماعة وتسود وجوه أهل البدعة والضلالة، فأمّا الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون.	ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البيّنات، وأولئك لهم عذاب عظيم، يوم تبيض وجوه الذين اتبعوا ما أنزل الله، وتسود وجوه الذين نبذوا ما أنزل الله وراء ظهورهم، فأمّا الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون.
﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾	وأنّ طريق أهل السنّة والجماعة هو صراطي المستقيم فاتبعوه ولا تتبعوا سبل اليهود والنصارى والمجوس أو سبل أهل الأهواء والبدع فتفرق بكم عن سبيله.	وأنّ هذا القرآن صراطي مستقيمًا فاتبعوه ولا تتبعوا سبلًا غيره فتفرق بكم عن سبيله.
﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿118﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾	ولو شاء ربّك لجعل النّاس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين إلّا أهل السُّنة والجماعة فهم من رحم ربّك.	ولو شاء ربّك لجعل النّاس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين إلّا من رحم ربّك فتمسك بالتنزيل.
﴿وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾	وأني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحًا ثم استقام على منهج أهل السُّنة والجماعة.	وأني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحًا ثم اهتدى «على إطلاقها».

التعليق:

ليس ثمة أدنى شك في أنّ بدعة الفرقة الناجية لم يرد بشأنها شيء في القرآن ولا في الحديث، وأنّ ما نَسبه الخليفة معاوية للنبيّ ﷺ، فيما عُرف

بحديث افتراق الأمة إلى ثلاث وسبعين فرقة، كان يرمي إلى إيجاد سند شرعي للذين ساندوا الأمويين في الاستحواذ على الخلافة، وكذلك للأغلبية الصامتة التي لم تقاوم تحول الخلافة إلى ملك عضوض، يحاكي الأمبراطوريتين الرومانية والفارسية، والذين سماهم حديث معاوية «الجماعة» وهو وصف ينصرف للمذعنين لسلطة بني أمية، ويستبعد منها الخارجين على سلطانهم آنذاك كالشيعة والخوارج. والذين تمّ تصنيفهم سياسيًا بأهل البدعة والضلالة، كما تصنف أية سلطة معاصرة الخارجين عنها بالإرهابيين أو الزنادقة أو غيرها من الأوصاف، التي تهدف إلى شيطنتهم في مقابل تمجيد الذين يدعنون لسلطتها.

والقرآن لم يحدد الفرقة الناجية، بل إنّه يضع الذين فرقوا دينهم شيعًا وأحزابًا في سلة واحدة، ويتوعدهم جميعًا بالعذاب. والذين لم تتفرق بهم السبل وفق المنهج القرآني، ولم يصمهم القرآن بالمشركين، ولم يتوعدهم بالعذاب هم الذين لم يفرقوا بين سبيل الله تعالى، وسبيل رسوله ﷺ، وسبيل المؤمنين. أمّا الذين تفرقت بهم السبل وجعلوها سبلًا ثلاث، فهم كالذين قالوا إنّ الله ثالث ثلاثة. فكيف يكون سبيل الله غير سبيل رسوله ﷺ؟ وسبيله تعالى غير سبيل المؤمنين؟ فيتمّ الركون للرواة لمعرفة سبيل رسول الله ﷺ! ويتم الركون للأئمة والفقهاء لمعرفة سبيل المؤمنين! والله تعالى يقول: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ﴾[1].

إنّ الذين تمسكوا بالصراط المستقيم، ورفضوا أنْ تتفرق بهم السبل كما أمرهم الله تعالى في الآية، لا يحتكمون لغير كتاب الله تعالى عند الاختلاف، بعد وفاة رسوله ﷺ. وحين يختلفون حول صحة حديث نُسب لرسوله ﷺ على سبيل المثال لا الحصر يعرضونه على القرآن، ولا يحتكمون للرجال للحكم على صحة حديث ما من عدمه. ولا يتخذون من الأئمة والفقهاء أسوة لهم، فلا يقلدون غير رسول الله ﷺ. ومن هناك فإنّ الذين يحتكمون لغير كتاب الله عند الاختلاف والذين يتخذون من أئمتهم أربابًا من دون الله تعالى لا ينتسبون للناجين من عذاب الله، وفقًا للقرآن.

---

(1) سورة الأنعام، الآية: 153.

ولا يجوز، في تقديري، الحكم بأنّ فرقة ما هي الفرقة الناجية وذلك لسببين: الأول أنّ الفرقة الناجية، هذا إنْ سلّمنا بوجود فرقة ناجية، لا يملك تحديدها غير الله تعالى، ذلك أنّ الله تعالى هو أعلم بمن اهتدى، قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾[1]. والثاني أنّه لا وجود لفرقة ناجية فالفرق جميعها ساهمت في تفريق الدين، وتكريس الشرك؛ حيث قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿31﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾[2]. ثم إنّ أهل الفرق اتّخذوا من أئمتهم وفقهائهم أربابًا من دون الله تعالى، وفقًا لحديث عدي بن حاتم الذي فسر لنا دلالة الآية: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾[3]. ووفقًا لذلك فإنّ الناجين من المسلمين، هم على الأرجح أفراد وليسوا فرقًا، وينتمون إلى الذين لم يفرقوا دينهم شيعًا وأحزابًا فلم يقلدوا إمامًا أو فقيهًا، وتحروا في كل مسألة عرضت لهم حكم الله تعالى فيها، دون الركون على نحو دائم لرأي إمام واحد أو فقهاء مذهب واحد، حتى يتجنبوا اتّخاذ الأربابَ من دون الله تعالى. ومع ذلك أصّر أئمة وفقهاء كل فرقة من الفرق على أنّ فرقتهم هي الفرقة الناجية، وهم يتلون كتاب الله الذي يصمهم بالشرك، فيغمضون أعينهم عن حكم الله تعالى عليهم، كما يفعل المغمى عليه من هول الخطر الذي يتعرّض إليه، أو كما تفعل النعامة حين تغرز رأسها في الرمال ليتوهما زوال الخطر وهو محدق بهما.

وعلى ضوء ذلك أوّلت الآيات التي تناولناها آنفًا، على نحو يظهر اتباع أهل الحديث والنسخ «أهل السُّنة والجماعة» على أنّهم الفرقة الناجية؛ حيث أوّلت «الوجوه التي ستبيضّ» في الآية الأولى على أنّها وجوه أهل السُّنة والجماعة، والوجوه التي ستسودّ هي وجوه أهل البدعة والفرقة أي الفرق الأخرى. وأوّلت «السبل» التي نهى الله تعالى عن اتباعها في الآية الثانية، على

(1) سورة النجم، الآية: 30.
(2) سورة الروم، الآية: 32.
(3) سورة التوبة، الآية: 31.

أنّها تنصرف إلى اليهودية والنصرانية والمجوسية، وسائر أهل الملل وأهل البدع والضلالات أيّ الفرق الأخرى. كما أُوّل «اسم الموصول» في الآية الثامنة عشرة بعد المئة من سورة هود على أنّه ينصرف إلى أهل السُّنة والجماعة، كذلك أُوّل «ضمير الغائب في الآية الثانية والثمانين من سورة طه على أنّه من ينتمي لأهل السُّنة والجماعة. وذلك لتعزيز نظرية الفرقة الناجية التي تدعي كل فرقة أنّها هي! على طريقة ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾.

ـ الثالث عشر ـ
التأويلات المتعلقة بنظرية رؤية الله تعالى

أوّل أهلُ الحديث والنسخ، الذين يعتقدون في إمكانية رؤية أهل الجنة لله تعالى، الآيات:

1. ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾[1].

2. ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾[2].

3. ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[3].

على أنّها تعني النظر في وجه الله سبحانه وتعالى.

1. تأويل آية ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾: أوّل أهلُ الحديث والنسخ، الذين يعتقدون في رؤية أهل الجنة لله سبحانه وتعالى، كلمتي «زيادة والمزيد» في الآيتين السادسة والعشرين من سورة يونس والخامسة والثلاثين من سورة ق: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾، ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾، على أنّها تعني النظر في وجه الله سبحانه وتعالى؛ حيث أورد القرطبي في تفسيره الجامع: «قوله تعالى ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ روى من حديث أنس قال: سئل رسول الله ﷺ عن قوله تعالى: ﴿وَزِيَادَةٌ﴾ قال: للذين أحسنوا العمل في الدنيا لهم الحسنى وهي الجنة والزيادة النظر إلى وجه الله الكريم. وهو قول أبي بكر الصديق وعلي بن

---

(1) سورة يونس، الآية: 26.

(2) سورة ق، الآية: 35.

(3) سورة القيامة، الآية: 22.

أبي طالب في رواية». ويورد القرطبي روايات أخرى تعزز هذا التأويل، لا ضرورة لذكرها ويمكن الرجوع إليها في نفس الموضع.

2. **تأويل آية** ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾: أوّل أهلُ الحديث والنسخ، الذين يعتقدون في رؤية أهل الجنة لله سبحانه وتعالى، كلمة «المزيد» في الآية الخامسة والثلاثين من سورة ق على أنها تنصرف إلى النظر في وجه الله تعالى؛ حيث أورد القرطبي في الجامع لأحكام القرآن في معرض تفسيره للآية: «قوله تعالى: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا﴾ يعني ما تشتهيه أنفسهم وتلد أعينهم ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ من النعم مما لم يخطر على بالهم. قال أنس وجابر: المزيد النظر إلى وجه الله تعالى بلا كيف. وقد ورد في أخبار مرفوعة إلى النبيّ ﷺ في قوله تعالى ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ قال: الزيادة النظر إلى وجه الله الكريم. وذكر ابن المبارك ويحيى بن سلام قالا أخبرنا المسعودي عن المنهال بن عمرو عن أبي عبيدة بن عبد الله بن عتبة عن ابن مسعود قال: تسارعوا إلى الجمعة فإنّ الله تبارك وتعالى يبرز لأهل الجنة كل يوم جمعة في كثيب من كافور أبيض فيكونون منه في القرب. قال ابن المبارك: على قدر تسارعهم إلى الجمعة في الدنيا».

والتأويل خاطئ في الآيتين، ذلك أنّه تعالى لا تدركه الأبصار؛ حيث قال تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾[1]، وقال أيضًا: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[2]، كما قال عزّ وجلّ: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾[3].

والزيادة في الآيتين لا ينبغي أنْ نتجاوز دلالتهما المعجمية، وهي في هذا السياق الزيادة في الثواب، دون أنْ نجهد أنفسنا في طبيعة هذه الزيادة. والأحاديث التي استشهد بها في هذا الموضع لا تستقيم، وذلك للأسباب

---

(1) سورة الأنعام، الآية: 103.
(2) سورة الأعراف، الآية: 143.
(3) سورة البقرة، الآية: 55.

التالية: إنّها تتناقض مع الآيات التي تناولناها آنفًا، وإنّ صيغة النظر إلى الله بلا كيف، هي من أقوال الإمام مالك، ولم تكن سائدة بين الصحابة لترد على لسان أنس أو جابر رضي الله عنهما. بالإضافة إلى أنّ القول بأنّ الله سبحانه وتعالى يبرز لأهل الجنة، كل يوم جمعة، في كثيب من كافور أبيض، لا تستقيم مع عقيدة المسلم في الله سبحانه وتعالى وأسمائه وصفاته، فكيف يبرز الله في كثيب أبيض، وكيف يمكن أنْ يحيط بالله سبحانه وتعالى شيئًا أو كثيبًا!

3. **تأويل آية** ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿22﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾: أوّل أهلُ الحديث والنسخ الذين يعتقدون في رؤية أهل الجنة لله سبحانه وتعالى، الآية الثانية والعشرين من سورة القيامة: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿22﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾، على أنّها تعني النظر في وجه الله سبحانه وتعالى؛ حيث أورد الطبري في جامع البيان في معرض تفسيره للآية قوله: «حدثنا أبو كُرَيب، قال: ثنا الأشجعي، عن سفيان، عن ثوير، عن مجاهد، عن ابن عمر، قال: «إنّ أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر إلى مُلكه وسُرُرِه وخدمه مسيرة ألف سنة، يرى أقصاه كما يرى أدناه، وإنّ أرفع أهل الجنة منزلة لمن ينظر إلى وجه الله بُكرة وعشية».

والتأويل خاطئ، ذلك أنّه تعالى لا تدركه الأبصار، قال تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾، وقال أيضًا: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَٰكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾، كما قال: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾. كما لم يتخذ سررًا فكيف يتخذ سررًا من لا تأخذه سنة ولا نوم: ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾(1). أمّا قول الله تعالى: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ فلا تتجاوز دلالته إلى ربّها متطلعة. لكن المأزق الذي وقع فيه أهل الحديث والنسخ هو الاحتكام للرواة، واعتبار رواياتهم وحيًا يوحى؛ فكيف لا يثبتون لله تعالى ما ورد على لسان الرواة؟

---

(1) سورة البقرة، الآية: 255.

خاتمة المبحث:

جدول رقم (2 ـ 13)

التأويلات المتعلقة بنظرية رؤية الله تعالى:

الكَلِم	الدلالة المحرّفة	الدلالة الأصلية
﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾	للذين أحسنوا الحسنى والنظر في وجه الله الكريم.	للذين أحسنوا الحسنى وأكثر.
﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾	لهم ما يشاؤون فيها ولدينا لهم النظر في وجه الله الكريم.	لهم ما يشاؤون فيها ولدينا لهم أكثر مما يشاؤون.
﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾	وجوه يومئذٍ ناضرة تنظر في وجه ربّها الكريم.	وجوه يومئذٍ ناضرة تتطلع إلى ربّها سبحانه وتعالى عما يصفون.

التعليق:

حين قال أئمة وفقهاء مدرسة أهل الحديث والنسخ بأنّهم يثبتون لله تعالى ما ثبته لنفسه، أصابوا في تقديري كما لم يصب الآخرون. ذلك أنّهم لو تقيدوا بذلك لأفلحوا، كما يمكن أنْ يُفلح كل من يحتكم لكتاب الله تعالى ولا يحتكم لغيره. غير أنّهم فعلوا كما يفعل الذين صاغوا الدساتير «الليبرالية» المعاصرة التي تمنح السيادة للشعب في أول مادة من مواد الدستور، ثم تتولى بقية المواد نزعها من الشعب لتمنحها لإقطاعيي المال، الذين حلوا محل إقطاعيي الأرض بعد الثورة الفرنسية. والمأزق الذي وقع فيه أهل الحديث والنسخ هو الاحتكام للرواة، فثبتوا لله ما وصفه به الرواة والوضّاع فأخطأوا النجعة؛ ذلك أنّهم اعتبروا رواياتهم وحيًا يوحى؛ فكيف لا يثبتون لله تعالى ما ورد على لسان الرواة؟ منْ أنّه تدركه الأبصار، رغم الآيات التي تؤكد استحالة ذلك، حيث قال تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾[1]، وقال أيضًا: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَـٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَـٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ

---

(1) سورة الأنعام، الآية: 103.

جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[1]، كما قال: ﴿وَإِذۡ قُلۡتُمۡ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهۡرَةً فَأَخَذَتۡكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ﴾[2].

وأنّ له سبحانه وتعالى سررًا رغم أنّه لا تأخذه سنة ولا نوم: ﴿لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ﴾[3]. وأنّه يكشف عن ساقه يوم القيامة! وأنّه يضع رجله في النار فتقول قط قط! رغم أنّه ليس له كفؤاً أو مثيلًا: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾[4]. وأنه ينزل إلى السماء الدنيا في الثلث الأخير من الليل ليسمع دعاء عباده ويغفر لهم! رغم أنّه العلي والمشهود له بالعلو، فلا ينزل: ﴿وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ﴾[5]، وإنّه السميع، فلا يقترب ليسمع: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾[6]، ولم يدركوا بأنّ الثلث الأخير من الليل لا ينقطع عن الأرض، ويتنقل كالشروق والغروب مع دوران الأرض حول نفسها من أقطار إلى أخرى دون انقطاع. وفاتهم بأنّ الشياطين كانت توحي للرواة زخرف القول ليجادلوا به الحق، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ لِيُجَٰدِلُوكُمۡۖ وَإِنۡ أَطَعۡتُمُوهُمۡ إِنَّكُمۡ لَمُشۡرِكُونَ﴾[7]. فوقعوا في الشرك في الأسماء والصفات حين احتكموا للرواة. ولم يتقيدوا بقولهم الناجع: «إنّهم لا يثبتون لله إلّا ما ثبته لنفسه» سبحانه وتعالى عما يصفون. وعلى ضوء ذلك أُوّلت الآيات التي عرضناها آنفًا، على نحو يعزز نظرية رؤية أهل الجنة لله تعالى؛ حيث أُوّلت الزيادة في الحسنى في الآية الأولى، على أنّها تعني النظر في وجه الله سبحانه وتعالى، وأوّلوا كلمة «المزيد» في الآية الثانية على أنّها تنصرف إلى النظر في وجه الله تعالى، كما أُوّلت الآية الثالثة على أنّها تنصرف إلى أنّ الوجوه النضرة ستنظر في وجه ربها في الجنّة غدوًا وعشيًّا!

---

(1) سورة الأعراف، الآية: 143.
(2) سورة البقرة، الآية: 55.
(3) سورة البقرة، الآية: 255.
(4) سورة الشورى، الآية: 11.
(5) سورة البقرة، الآية: 255.
(6) سورة الشورى، الآية: 11.
(7) سورة الأنعام، الآية: 121.

ـ الرابع عشر ـ
التأويلات المتعلقة بنظرية أفضلية المسلمين على العالمين

أ. التأويلات المتعلقة بنظرية خير أمة:

أوّل أهلُ الحديث والنسخ، الذين يرون بأنّ المسلمين من أتباع النبيّ محمد ﷺ هم خير أمة عند الله، على شاكلة اليهود والنصارى الذين قالوا: ﴿نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾[1]، الآيات:

1. ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾[2].
2. ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾[3].
3. ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾[4]، ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾[5].
4. ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ﴾[6].
5. ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ﴾[7].

---

(1) سورة المائدة، الآية: 18.
(2) سورة البقرة، الآية: 143.
(3) سورة آل عمران، الآية: 110.
(4) سورة آل عمران، الآية: 19.
(5) سورة آل عمران، الآية: 85.
(6) سورة الأعراف، الآية: 181.
(7) سورة فاطر، الآية: 32.

على أنّها تعزز نظرية ﴿خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾، والتي وسعوا دلالاتها حتى شملت كل من قال بأنّه مسلم منذ بعثة محمد ﷺ وحتى قيام الساعة! فأوّلت دلالة الآية الثالثة والأربعين بعد المئة من سورة البقرة على أنّها تعني شهادة المسلمين لنوح عليه السلام على تبليغه قومه؛ حيث أورد البخاري حديثًا نسبه إلى أبي سعيد الخدري قال فيه: «قال رسول الله ﷺ: يُجاء بنوح يوم القيامة فيقال له هل بلّغت؟ فيقول نعم يا رب، فتسأل أمته هل بلغكم فيقولون ما جاءنا من نذير، فيقول: من شهودك؟ فيقول: محمد وأمته. فيجاء بكم فتشهدون. ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ قال: عدلًا ﴿لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾[1].

والتأويل خاطئ وذلك للأسباب التالية:

أ. كيف يمكن لمن لم ير أنْ يشهدَ على ما لم ير؟ إنَّ الأمر أشبه بمسرحية شاهد ما شافش حاجة! الهزلية المصرية، فكيف يمكن لأمة أنْ تشهدَ على أمة سبقتها بآلاف السنين؟ قال المتأوّلون بأنّهم علموا من خلال القرآن. وإذا كان ذلك كذلك، فلماذا لا يشهد عليهم القرآن وكفى بالله شهيدًا عليهم.

ب. تناقض الحديث مع القرآن؛ حيث يقول تعالى على لسان المسيح: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾[2]. وهو ما يعني أنّ المسيح عليه السلام قصر شهادته على الفترة التي كان فيها بين ظهراني بني إسرائيل.

ت. إنّ قول الله تعالى: ﴿لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾، لا يعني أنْ يشهد المسلمون على ما لم يشهدوه، وما لم يروه رأي العين. بل ينصرف إلى إحدى دلالتين: الأولى حين تقتصر دلالة الأمة على قرن النبيّ ﷺ ومعاصريه، فتقتصر شهادتهم على معاصريهم ممن شهدوا أعمالهم دون

(1) انظر صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾، ح 7349.
(2) سورة المائدة، الآية: 117.

غيرهم. والثاني حين تنسحب دلالة الأمة على القرون جميعًا من البعثة النبوية وحتى قيام الساعة، فيشهد كل جيل أو قرن من المسلمين على الأجيال أو القرون المعاصرة لهم من النّاس، وكذلك النبيّ ﷺ تقتصر شهادته على قرنه أو معاصريه دون غيرهم. والدلالة الأولى هي الأرجح في تقديري ذلك أنّ دلالة الأمة لا تنصرف إلى قرون عديدة، بل تقتصر على قرن واحد، والله تعالى أعلم.

والتأويل يرمي واضعوه إلى الإعلاء من شأن المسلمين من أتباع النبيّ ﷺ، على شاكلة نظرية «شعب الله المختار» اليهودية؛ حيث يرون بأنّ أمة الإسلام خير أمة أخرجت للنّاس، ومن هناك ستكون شاهدة على غيرها من الأمم، بما في ذلك الأمم غير المعاصرة لها! وهذا إدراك خاطئ لدلالة الأمة ودلالة الآية في ذات الوقت. ويخضع هذا التأويل آيات الله لمشيئة البشر، حيث شاء بعض المسلمين من أتباع محمد ﷺ، تغذية هذا الشعور بالأفضلية والتميز على أتباع بقية الأنبياء عليهم السلام، فنصبوا أنفسهم شهداء على الأمم الأخرى من دون أنبيائهم ورسلهم وصالحيهم. وهو ما يناقض الآيتين السادسة عشرة بعد المئة والسابعة عشرة بعد المئة من سورة المائدة: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿116﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾، وفي هاتين الآيتين، لم يدّعِ المسيح ابن مريم أنّه كان شهيدًا على قومه أو أتباعه بالغيب بعد موته، كما فعل المتأوّلون الذين جعلوا من أنفسهم شهداء على قوم نوح عليه السلام، وهم حين كذّبَ نوحًا عليه السلام قومه كانوا مجرد نُطفٍ في أصلاب أجدادهم، والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾، فلا يجوز أنْ يشهد المسلم بما لم ير. ولذلك لم يُسأل المسلمون من أتباع محمد ﷺ - في الآيتين من سورة المائدة أعلاه - عن صنيع أتباع المسيح عليه السلام، بل سُئل المسيح عليه السلام عن ذلك، ولم يشهد المسيح عليه السلام على من لم يعاصر، من الذين قالوا إنّهم أتباعه.

أمّا الرواية التي نُسبت لأبي سعيد الخدري، فهي لا تعدو كونها تحريفًا

للكلم عن مواضعه بل وكذبًا صريحًا على الله سبحانه وتعالى، يقوّل فيه تعالى ما لم يقل، ويُنسب إليه فيه ما لا يجوز نسبته لقاض جائر، يستمع لشهادة شاهد غائب لم يحضر الواقعة، على طريقة المسرحية الفكاهية المصرية «شاهد ما شافش حاجة». ثم إنّ الحوار المزعوم بين الله سبحانه وتعالى والمسلمين من أتباع النبيّ محمد ﷺ لا يستقيم، حتى لو سلّمنا جدلًا بحدوث واقعة الشهادة، فالمسلمون وهم يستقون شهادتهم من كتاب الله كما يقول الحديث، لا يشيرون في إجابتهم كما أشار عيسى عليه السلام، إلى أنّ السائل سبحانه وتعالى أعلم من المسؤول. والمستساغ نصًا وعقلًا في مسألة شهادة المسلمين على غيرهم، هو أنْ يكون المسلمون شهداء على معاصريهم دون غيرهم وفق الآيتين أعلاه.

وأُوّلت دلالة الآية العاشرة بعد المئة من سورة آل عمران على أنّها تعني كافة المسلمين من أتباع النبيّ محمد ﷺ، وأنّهم خير الناس للناس يجبرونهم على الإسلام!؛ حيث أورد ابن كثير في معرض تفسيره للآية: «عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ قال: هم الذين هاجروا مع رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة. والصحيح أن هذه الآية عامة في جميع الأمة، كل قرن بحسبه، وخير قرونهم الذين بعث فيهم رسول الله ﷺ، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم». كذلك روى البخاري حديثًا نسبه إلى أبي حازم قال فيه: «عن أبي هريرة رضي الله عنه ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ قال خير الناس للناس، تأتون بهم في السلاسل في أعناقهم حتى يدخلوا الإسلام»[1].

وهذا التأويل خاطئ، ذلك أنّ الآية لا تنصرف إلى كافة المسلمين من أتباع محمد ﷺ، بل هي تقتصر على دائرة ضيقة من صحابته ﷺ، قد لا تتجاوز عدد حواريي عيسى عليه السلام، وفي أحسن الفروض لا تتجاوز الصحابة وفق تأويل ابن عباس أعلاه أو تعريف سعيد بن المسيب، وهو ما ذهب إليه الشيخ محمد عبدة في تفسيره للآية، حيث يقول محمد رشيد رضا في تفسير المنار ناقلًا كلام الإمام: «قال الأستاذ الإمام ما معناه: هذا الوصف يصدق على

(1) انظر صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن ـ باب ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾، ح 4281.

الذين خوطبوا به أولًا، وهم النبي ـ ﷺ ـ وأصحابه الذين كانوا معه ـ عليهم الرضوان ـ، فهم الذين كانوا أعداء فألف الله بين قلوبهم فكانوا بنعمته إخوانًا، وهم الذين اعتصموا بحبل الله ولم يتفرقوا في الدين فيذهبوا فيه مذاهب تتعصب لكل مذهب شيعة منهم، وهم الذين كانوا يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر لا يخاف في ذلك ضعيف قويًا، ولا يهاب صغير كبيرًا، وهم المؤمنون بالله ذلك الإيمان الذي استولى على عقولهم وقلوبهم ومشاعرهم، وملك أزمة أهوائهم حتى كان هو المسيّر لهم في عامة أحوالهم ـ ذلك الإيمان الذي بيّن ـ سبحانه ـ خواصه وصفاته في آيات كثيرة، وظهرت فوائده وآثاره في تغيير هيئة الأرض على أيديهم ـ ذلك الإيمان الذي قال ـ تعالى ـ في أهله: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾[1] وقال فيهم: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾[2] إلى قوله: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ﴾[3] وقال فيهم: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾[4] إلى آخر الآيات التي تحقق معناها ومعنى أمثالها في أولئك الأصحاب الذين كانوا مع الرسول ﷺ»[5]. كما أنّه لا علاقة للآية بإجبار الناس على الدخول في الإسلام، فهي تكتفي بتحديد سمات ﴿خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾؛ والتي حصرتها في الإيمان بالله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فلا تحتمل دلالة الآية القول بأنّها تعني إجبار الناس على الدخول في الإسلام، حيث لم يأمر الله تعالى ولا رسوله ﷺ بإجبار الناس على الدخول في الإسلام: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ﴾[6].

ومن هناك فالتأويل الذي أورده كلٌّ من ابن كثير والبخاري لا يستقيم،

(1) سورة الحجرات، الآية: 15.
(2) سورة الأنفال، الآية: 2.
(3) سورة الأنفال، الآية: 4.
(4) سورة المؤمنون، الآيتان: 1 ـ 2.
(5) انظر محمد رشيد رضا، **تفسير المنار**، ج: 4، ص: 48.
(6) سورة البقرة، الآية: 256.

ولا يتجاوز كونه إلباسًا للحق بالباطل، وليًا لعنق النص القرآني لإخضاعه لنظريات البشر، حيث أراد المبطلون إخضاع هذه الآية لنظريتي «خير أمة أخرجت للناس»، و«نظرية السيف» التي تقول: بأنّ الله تعالى أمر المسلمين بإجبار الناس على الدخول في الإسلام.

وأوّلت «الأمة التي تهدي إلى الحق» في الآية الحادية والثمانين بعد المئة من سورة الأعراف، على أنّها تنصرف إلى المسلمين من أتباع النبي محمد ﷺ، بل وتقتصر عليهم؛ حيث أورد الطبري في جامع البيان في معرض تفسيره للآية قوله: «يقول تعالى ذكره: ومن الخلق الذين خلقنا أمة، يعني جماعة يهدون، يقول: يهتدون بالحقّ وبِهِ يَعْدِلُونَ يقول: وبالحقّ يقضون وينصفون الناس. كما قال ابن جريج. حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قوله: ﴿أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ قال ابن جريج: ذكر لنا أنّ نبيّ الله ﷺ، قال: «هذه أمتي» قال: «بالحق يأخذون ويعطون ويقضون» حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة: ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾. حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ بلغنا أنّ نبيّ الله ﷺ يقول إذا قرأها: «هذه لكم وقد أعطي القوم بين أيديكم مثلها، ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾».

وتتفق الروايات التي أوردها المفسرون بالمأثور على أنّ الأمة المقصودة هي أمة المسلمين من أتباع محمد ﷺ، وهو تقييد لمطلق استعانت مدرسة الحديث لتعزيزه بحديث نُسب إلى ابن جريج تارة وإلى قتادة تارة أخرى. غير أنّه ليس ثمة في الآية ولا الآيات السابقة أو اللاحقة لها ما يقصرها على المسلمين من أتباع النبيّ محمد ﷺ. بل إنّ صيغة «مما خلقنا» تتسع لكل الأمم التي خصها الله تعالى بالرسل عليهم السلام. والتأويل يرمي إلى غايتين: الأولى قصر دلالة الآية على المسلمين من أتباع النبيّ محمد ﷺ دون غيرهم من أتباع بقية الرسل عليهم السلام. والثانية سحب دلالة الأمة على المتآخرين من المسلمين من أتباع النبيّ محمد ﷺ، حتى تشمل أتباع مدرسة أهل الحديث والنسخ. غير أنّه حتى إذا سلّمنا جدلًا بأنّ دلالة الآية تشمل

صحابة رسول الله ﷺ وفق تعريف سعيد بن المسيب، أو حتى بدلالة أوسع لتشمل قرنه ومعاصريه، فإنّها حتمًا لا تنصرف إلى كل المسلمين من أتباعه ﷺ، كما تذهب مدرسة أهل الحديث والنسخ.

ودعنا هنا نتعرض للأسلوب المستخدم لتحريف دلالة آيات الذكر الحكيم المتناقضة مع نظريات مدرسة أهل الحديث والنسخ وكتمانها؛ حيث يبدأ الأمر بتهميش التأويل الصحيح للآية، وهذا لا يعني بأنّ كتب أهل الحديث والنسخ المعنية بالتفسير بالمأثور تُسقط التأويل الصحيح تمامًا، وإنّما تورده ضمن روايات عديدة دون أنْ تعطيه أهمية تذكر، بل غالبًا ما يتمّ ترجيح التأويل الذي يخدم النظريات والعقائد التي تتبناها المدرسة، وعادة ما يكمل المهمة فقهاء المدرسة الذين يهملون التأويل الصحيح، لمصلحة التأويل الذي يخدم تلك العقائد والنظريات. أمّا الخطوة الأخيرة إنْ لم تجدِ محاولات تحريف الدلالة نفعًا، فهي القول بأنّ الآية منسوخة وذلك بالبحث عن آية تخالفها ظاهرًا ليقال بأنّها قد نسختها.وكذلك أُوّل «الإسلام» في الآيتين التاسعة عشرة والخامسة والثمانين من سورة آل عمران على أنّه يقتصر على رسالة محمد ﷺ؛ حيث أورد الطبري في جامع البيان قوله: «حدثني المثنى، قال: ثنا أبو صالح، قال: حدثني معاوية بن صالح، عن عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ﴾ إلى قوله: ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾. فأنزل الله تعالى بعد هذا: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾. وهذا الخبر يدلّ على أنّ ابن عباس كان يرى أن الله جلّ ثناؤه كان قد وعد من عمل صالحًا من اليهود والنصارى والصابئين على عمله في الآخرة الجنة، ثم نسخ ذلك بقوله: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾».

وهذا التأويل خاطئ، ذلك أنّ الإسلام وفقًا للقرآن يشمل كافة الأديان التي تستند إلى التنزيل، أو التي هي من عند الله تعالى، فدين الله وفقًا للقرآن دين واحد وهو الإسلام، وإنْ منحه الناس تسميات مختلفة كاليهودية والنصرانية أو غيرها؛ حيث يقول الله تعالى في محكم كتابه العزيز: ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ

لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[1]، ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾[2]، ﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾[3]، ﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾[4].

أمّا تأويل «الإسلام» على أنّه يقتصر على رسالة محمد ﷺ، فهو يهدف إلى سحب الاعتراف بالرسالات السماوية السابقة، والقول بنسخها وبكفر أتباعها، حتى يوضع السيف في رقابهم ولا يقف اعتناق المسيحية أو اليهودية في بلد ما، حائلًا دون تطبيق تأويلهم الخاطئ لآية السيف، وحتى يسّوغوا غزوهم لقياصرة بني أمية وبني العباس، ولكافة المستفيدين من تمدد الإمبراطوريتين الأموية والعباسية. ثم القول الذي نسب لابن عباس بأنّ الآية قد نسخت، وأنّ الله جلّ ثناؤه كان قد وعد من عمل صالحًا من اليهود والنصارى والصابئين على عمله في الآخرة الجنة، ثم نسخ ذلك بقوله: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾، فهو قول لا يجوز في حق الله تعالى فالله لا يخلف وعده ولا يُبدل القول عنده. ثم إنّ محاولة وضع أهل الكتاب في خانة واحدة وهي خانة الكفر، وذلك بذريعة الكفر بالنبيّ محمد ﷺ يهدف إلى إخفاء التصنيف الإلهي لأهل الكتاب الذي صنفهم إلى مؤمنين وكافرين، وهذا التصنيف يسبق مسألة إيمانهم بما أُنزل على النبيّ محمد ﷺ؛ فأهل الكتاب هم كمسلمي هذا الزمان منهم المؤمن الرباني والمتمسك بالكتاب الذي أُنزل على رسولهم عليه السلام، ومنهم الكافر الذي ينبذ كتاب الله وراء ظهره ويتمسك بأقوال الأحبار والرهبان، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُدْعَوْنَ

(1) سورة البقرة، الآيتان: 131 ـ 132.
(2) سورة آل عمران، الآية: 52.
(3) سورة يونس، الآية: 72.
(4) سورة يونس، الآية: 90.

إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ﴾[1]، وقال أيضًا: ﴿لَيْسُواْ سَوَآءً مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿113﴾ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَأُوْلَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿114﴾ وَمَا يَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ﴾[2]، غير أنّ المتأوّلين أرادوا جمعهم على الكفر وبذريعة كفرهم بمحمد ﷺ، حتى لا يتبين المسلمون مغبة ما هم فيه من محاكاة أهل الكتاب، الذين نبذوا التوراة والإنجيل إلى أقوال الأحبار والرهبان، حين نبذوا هم أيضًا القرآن إلى أقوال الرواة، وأقوال الأئمة والفقهاء.

وأُوّل ﴿ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ في الآية الثانية والثلاثين من سورة فاطر على أنّهم المسلمون من أتباع النبيّ محمد ﷺ وعلى أنّهم جميعًا سيدخلون الجنّة؛ حيث أورد الطبري في جامع البيان: «اختلف أهل التأويل في معنى الكتاب الذي ذكر الله في هذه الآية أنّه أورثه الذين اصطفاهم من عباده، ومَن المصطفون من عباده، والظالم لنفسه، فقال بعضهم: الكتاب: هو الكتب التي أنزلها الله من قبل الفُرقان، والمصطفون من عباده: أمة محمد ﷺ، والظالم لنفسه: أهل الإجرام منهم. ذكر من قال ذلك: حدثنا عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ﴾ إلى قوله: ﴿ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ﴾ هم أمة محمد ﷺ، ورّثهم الله كل كتاب أنزله، فظالمهم يغفر له، ومقتصدهم يحاسب حسابًا يسيرًا، وسابقهم يدخل الجنة بغير حساب. حدثنا ابن حميد، قال: ثنا الحكم بن بشير، قال: ثنا عمرو بن قيس، عن عبد الله بن عيسى، عن يزيد بن الحارث، عن شقيق، عن أبي وائل، عن عبد الله بن مسعود أنه قال: هذه الأمة ثلاثة أثلاث يوم القيامة: ثلث يدخلون الجنة بغير حساب، وثلث يحاسبون حسابًا يسيرًا، وثلث يجيئون بذنوب عظام، حتى يقول: ما هؤلاء؟ وهو أعلم تبارك وتعالى، فتقول الملائكة: هؤلاء جاؤوا بذنوب عظام إلّا أنهم لم يُشركوا بك، فيقول الربّ: أدخلوا هؤلاء في سعة رحمتي. وتلا عبد الله هذه الآية: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾».

---

(1) سورة آل عمران، الآية: 23.

(2) سورة آل عمران، الآيتان: 113 - 114.

والتأويل نصفه صائب ونصفه خاطئ، حيث ورث المسلمون من أهل القرآن الكتاب، غير أنّ القول بأنّهم سيدخلون الجنة جميعًا لا يستقيم، فالظالم لنفسه تنصرف إلى المشرك والكافر وإن انتمى لدين سماوي، ولا يمكن للمشرك والكافر أن يدخل الجنة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾[1]، ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ فَأَلْقَوُا۟ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍۭ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿28﴾ فَٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَلَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ﴾[2]. ﴿رَّبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿12﴾ أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿13﴾ ثُمَّ تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ﴾[3]، ومن هناك فالقول بأنّ «الظالم لنفسه» يُغفر له قول بعيد عن الصواب، والملاحظ أنّ مدرسة أهل الحديث والنسخ تصور النّاس على أنّهم ينتمون إلى أربع دوائر لا تتقاطع: دائرة الكفار والمشركين، ودائرة أهل الكتاب، ودائرة المسلمين، ودائرة المنافقين. ثم جسدوا الفئة الأخيرة في منافقي المدينة، وتعاملوا مع ظاهرة النفاق على أنّها ظاهرة مؤقتة، وتقتصر على منافقي المدينة. وهو ما جعلهم يستبعدون أن ينزلق المسلمون، أو حتى بعض المسلمين إلى الشرك أو الكفر أو النفاق، ونسوا أنّ غالبية أهل الكتب السابقة تولوا عن دينهم، فكفر بعضهم وأشرك بعضهم الآخر، دون أن يتنازلوا عن وصفهم بالمؤمنين، فالذين كذبوا على الله تعالى منهم، والذين حرفوا الكلم عن مواضعه، والذين قالوا إنّ الله ثالث ثلاثة، لم يقولوا إنّنا لسنا يهودًا أو مسيحيين أو نصارى، وعلى نفس الشاكلة فإنّ الذين حرفوا الكلم عن مواضعه، وكتموا ما أنزل الله بأدعاء نسخه من المسلمين يتسمّون بالمسلمين، بل وقد يقدمون أنفسهم على أنّهم الفئة الناجية. ومن هناك أوّل هؤلاء آيات القرآن التي تشير إلى تولي المسلمين عن الدين، وانزلاقهم إلى الشرك أو الكفر أو النفاق، على أنّهم سيغفر لهم أو أنّها تنصرف إلى غير المسلمين.

---

(1) سورة النساء، الآية: 97.

(2) سورة النحل، الآيتان: 28 ـ 29.

(3) سورة الدخان، الآيات: 12 ـ 14.

خاتمة المبحث:

جدول رقم (2 ـ 14 ـ أ)

التأويلات المتعلقة بنظرية خير أمة:

الكَلِم	الدلالة المحرّفة	الدلالة الأصلية
﴿رَبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ۝١٢ أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ۝١٣ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾	وكذلك جعلنا المسلمين من أتباع النبيّ محمد أمة وسطًا ليكونوا شهداء على الأمم الأخرى منذ نزول آدم عليه السلام إلى الأرض وحتى قيام الساعة! ويكون النبيّ محمد عليهم شهيدًا.	وكذلك جعلناكم أيها المسلمين من قرن محمد أمة وسطًا لتكونوا شهداء على معاصريكم من الناس ويكون النبيّ محمد عليكم شهيدًا.
﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾	إنّ المسلمين من أتباع النبيّ محمد هم خير أمة أخرجت للنّاس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله.	كنتم يا محمد والذين معك خير أمة أخرجت للنّاس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله.
﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾	إنّ الدين عند الله ما أنزل على محمد دون غيره من الأنبياء والرسل.	إنّ الدين عند الله الإسلام وهو ما أنزل على الأنبياء والرسل منذ آدم إلى قيام الساعة.
﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾	ومن يبتغ غير ما أنزل على محمد دينًا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين.	ومن يبتغ غير ما أنزل على الأنبياء والرسل دينًا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين.
﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ﴾	وممن خلقنا أمة المسلمين من أتباع محمد يهدون بالحق وبه يعدلون.	وممن خلقنا جماعة يهدون بالحق وبه يعدلون.

﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ﴾	ثم أورثنا الكتاب المسلمين من أتباع محمد فمنهم ظالم لنفسه فيغفر له ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ذلك هو الفضل الكبير.	ثم أورثنا الكتاب المسلمين من أتباع محمد فمنهم ظالم لنفسه «مشرك» ومنهم مقتصد «لا يحيد عن دين الله» ومنهم سابق بالخيرات «السباقين للعمل الصالح» بإذن الله ذلك هو الفضل الكبير.

التعليق:

فكرة شعب الله المختار لم تكن بدعة إسلامية أو عربية فلقد سبق إليها اليهود والنصارى الذين قالوا: ﴿نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾، وقلدهم المسلمون فقالوا إنّهم خير أمة أخرجت للنّاس بتزويرهم دلالة الأمة في الآية: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾[1]. حيث تقتصر دلالة الأمة في الآية على الصحابة بتعريف سعيد بن المسيب، وقد تتسع لتشمل قرن النبيّ ﷺ، لكنها حتمًا لا تتجاوزه لكافة القرون من المسلمين من البعثة النبوية إلى قيام الساعة. وهو ما تذهب إليه مدرسة أهل الحديث والنسخ.

وعلى ضوء ذلك أوّلت الآيات التي تناولناها آنفًا، لتعزز نظرية كون المسلمين من أتباع النبيّ محمد ﷺ خير أمة أخرجت للناس، حيث أُوّلت الآية الأولى على أنّها تعني كافة القرون من المسلمين، وأنهم سيكونوا شهداء على من لم يعاصروا من الناس! حيث سيشهدون للنبيّ نوح عليه السلام على تبليغه قومه! وهو ما لا يستقيم فكيف يمكن للعبد أن يشهد بما لم ير! ثم إنّه قول يتناقض مع القرآن؛ حيث يقول تعالى على لسان المسيح: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾[2]. إنّ قوله تعالى ﴿لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ﴾[3]، لا يعني أنْ يشهد المسلمون على ما لم

---

(1) سورة آل عمران، الآية: 110.
(2) سورة المائدة، الآية: 117.
(3) سورة البقرة، الآية: 143.

يشهدوه، وما لم يروه رأي العين. إنّما ينصرف إلى إحدى دلالتين: الأولى حين تقتصر دلالة الأمة على قرن النبيّ ﷺ ومعاصريه، فتقتصر شهادتهم على معاصريهم ممن شهدوا أعمالهم دون غيرهم. والثاني حين تنسحب دلالة الأمة على القرون جميعًا من البعثة النبوية وحتى قيام الساعة، فيشهد كل جيل أو قرن من المسلمين على الأجيال أو القرون المعاصرة لهم من النّاس، وكذلك النبيّ ﷺ تقتصر شهادته على قرنه أو معاصريه دون غيرهم. والدلالة الأولى هي الأرجح في تقديري ذلك أنّ دلالة الأمة لا تنصرف إلى قرون عديدة، بل تقتصر على قرن واحد، والله تعالى أعلم. ولا علم لنا إلّا ما علمتنا، سبحانك أنْ نقول عليك ما لم نعلم.

كما أوّلت «خير أمة» في الآية الثانية على نفس الشاكلة على أنّها تنصرف إلى كافة المسلمين من أتباع النبيّ محمد ﷺ، والذين يشار إليهم في الموروث الديني بـ «أمة محمد»، **رغم أنّ دلالة الأمة في الآية لا تتجاوز صحابة النبيّ بتعريف سعيد بن المسيب على أحسن الفروض** كما أسلفنا، والأمة تعني جماعة من الناس يجمعهم زمن واحد ولا تنسحب الأمة في الآية على كافة القرون من المسلمين، كما لا يجوز تسمية المسلمين من أتباع النبيّ محمد ﷺ بأمة محمد، كما لم يسمِ الله تعالى اليهود بأمة موسى، ولا النصارى بأمة عيسى، ذلك أنّ أمة موسى تقتصر على أتباعه ومعاصريه ممن رافقه في الدعوة إلى الله تعالى. وكذلك أمة عيسى تقتصر على حوارييه وأتباعه قبل أن يرفعه الله تعالى إليه، أمّا المسيحيون اليوم فهم أمة بولس الثاني، أو بنديكتيوس السادس عشر، أو شنودة، وليسوا أمة عيسى عليه السلام. **وبنفس القياس فالمسلمون المعاصرون ليسوا أمة محمد ﷺ**، بل هم أمة السيستاني أو القرضاوي، أو الترابي أو الغنوشي أو غيرهم، والوصف الوارد في الآية لا ينصرف إليهم، فلا هم يأمرون بالمعروف ولا هم ينهون عن المنكر، غير أنّ المتأوّلين ألبسوا علينا الحق بالباطل، وجعلوا دلالة الآية تنصرف إليهم وإلى فرقهم ومذاهبهم، ليقولوا إنّهم الفرقة الناجية وإنّهم الأمة الوسط، وإنّهم «يهدون إلى الحق وبه يعدلون»، دون أن يتجاوز ذلك أمانيهم التي تحاكي أماني أهل الكتب السابقة.

وكذلك أُوّلت «الأمة التي تهدي إلى الحق» في الآية الحادية والثمانين

بعد المئة من سورة الأعراف على أنّها تنصرف إلى المسلمين من أتباع النبي محمد ﷺ بل وتقتصر عليهم، بينما الآية تُستهل بصيغة «ممن خلق» الواسعة الدلالة التي تجعل دلالة الآية تنصرف إلى ثلاثة احتمالات: الأول أن تنصرف إلى غيرهم ولا تعنيهم، الثاني أن تشملهم ولا تقتصر عليهم، الثالث أن تعني الصحابة بتعريف ابن المسيب ولا تنسحب على القرون المتأخرة من المسلمين من أتباع النبيّ ﷺ.

كما أُوّل «الإسلام» في الآيتين التاسعة عشرة والخامسة والثمانين من سورة آل عمران، على أنّه يقتصر علي رسالة محمد ﷺ، غير أنّ الإسلام وفقًا للقرآن يشمل كافة الشرائع التي تستند إلى التنزيل، أو التي هي من عند الله تعالى، فدين الله وفقًا للقرآن دين واحد وهو الإسلام، وإنْ منحه الناس تسميات مختلفة كاليهودية والنصرانية أو غيرها. وعندما يستخدم الله تعالى تعبير اليهود والنصارى، يستخدمه للدلالة على ما ابتدعه اليهود والنصارى من تعاليم تخلط بين ما هو إلهي وما هو إنساني، أي بين قول الله تعالى، وأقوال نسبوها لله تعالى كذبًا وافتراءً، وأقوال نسبوها لرسلهم عليهم السلام دون أن ينبسوا بها، وأقوال أحبارهم ورهبانهم وقساوستهم. قال تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[1].

وكذلك أُوّل ﴿ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ في الآية الثانية والثلاثين من سورة فاطر على أنّهم المسلمون من أتباع النبيّ محمد ﷺ، وعلى أنّهم جميعًا يدخلون الجنّة بمن فيهم الذين ظلموا أنفسهم. ورغم صحة التأويل الأول فإنّ التأويل الثاني لا يستقيم ذلك أنّ الظالم لنفسه تنصرف إلى من أشرك بالله تعالى.

ب. التأويلات المتعلقة بالذين حادوا عن دين الله ووعيد الله تعالى لهم:

ـ التأويلات المتعلقة بالذين حادوا عن دين الله:

أوّل أهلُ الحديث والنسخ الآيات المتعلقة بالذين حادوا عن دين الله تعالى، على نحو يستبعد أن يكون المسلمون من أتباع محمد ﷺ هم الذين

(1) سورة آل عمران، الآية: 67.

حادوا عن الله ورسوله، مع الأخذ في الاعتبار أنّ المسلمين، وفقًا لأهل الحديث والنسخ، يقتصرون على أهل السُّنة والجماعة، وسنقسم تلك الآيات إلى قسمين: الأول الآيات التي تتعلق بالذين حادوا عن دين الله تعالى، والثاني الآيات التي تتوعد الذين حادوا عن دين الله تعالى بالعذاب وسوء المصير، والآيات هي:

1. تأويل آية ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾: أوّل أهلُ الحديث والنسخ الآية السابعة من سورة الفاتحة: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ على أنّ المغضوب عليهم تنصرف إلى اليهود، والضالين تنصرف إلى النصارى؛ حيث أورد الطبري في جامع البيان في معرض تفسيره لهذه الآية: «حدثني أحمد بن الوليد الرملي، قال: حدثنا عبد الله بن جعفر الرقي، قال: حدثنا سفيان بن عيينة، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن الشعبي، عن عديّ بن حاتم قال: قال رسول الله ﷺ: المغضوب عليهم: اليهود».. حدثنا أحمد بن الوليد الرملي، قال: حدثنا عبد الله بن جعفر، قال: حدثنا سفيان بن عيينة، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن الشعبي، عن عديّ بن أبي حاتم، قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ قال: «النصارى». ورغم وصف القرآن لليهود بـ ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾[1]، والنصارى بـ ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾[2].

وتنطبق دلالة الآية على الذين كفروا من اليهود والنصارى، غير أنّ دلالة الآية لا تقتصر عليهم؛ حيث ذكر الزمخشري في معرض تفسيره للآية قوله: «﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ بدل من الذين أنعمت عليهم، على معنى أنّ المنعم عليهم: هم الذين سلموا من غضب الله والضلال، أو صفة على معنى أنّهم

---

(1) سورة المائدة، الآية: 60.

(2) سورة المائدة، الآية: 77.

جمعوا بين النعمة المطلقة وهي نعمة الإيمان، وبين السلامة من غضب الله والضلال. فإنْ قلت: كيف صح أنْ يقع ﴿غَيْرِ﴾ صفة للمعرفة وهو لا يتعرّف وإنْ أضيف إلى المعارف؟ قلت: ﴿ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ لا توقيت فيه كقوله: ولقد أمرّ على اللئيم يسبني، ولأنّ المغضوب عليهم والضالين خلاف المنعم عليهم، فليس في غير إذًا الإبهام الذي يأبى عليه أنْ يتعرّف، وقرىء بالنصب على الحال؛ وهي قراءة رسول الله ﷺ وعمر بن الخطاب، ورويت عن ابن كثير، وذو الحال الضمير في عليهم، والعامل أنعمت، وقيل المغضوب عليهم: هم اليهود؛ لقوله عزَّ وجلّ: ﴿مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ﴾. والضالون: هم النصارى؛ لقوله تعالى: ﴿قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ﴾، فإنّ قلت ما معنى غضب الله؟ قلت: هو إرادة الانتقام من العصاة، وإنزال العقوبة بهم، وأنْ يفعل بهم ما يفعله الملك إذا غضب على من تحت يده ـ نعوذ بالله من غضبه، ونسأله رضاه ورحمته. فإنْ قلت: أي فرق بين ﴿عَلَيْهِمْ﴾ الأولى و﴿عَلَيْهِمْ﴾ الثانية؟ قلت: الأولى محلها النصب على المفعولية، والثانية محلها الرفع على الفاعلية. فإنْ قلت: لم دخلت «لا» في ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾؟ قلت: لما في غير من معنى النفي، كأنّه قيل: لا المغضوب عليهم ولا الضالين».

ومن هناك فلا ينبغي قصر دلالة الآية على اليهود والنصارى وإنْ شملتهم، فالمغضوب عليهم تنصرف إلى كل من ناله غضبٌ من الله تعالى، سواءً بالكذب عليه أو بنقض عهده وميثاقه، والضالين تنصرف إلى كل من ضلّ عن سبيله فأشرك بربه أحدًا أو شيئًا. وقصرهما على اليهود والنصارى يرمي إلى استبعاد أنْ تنصرف دلالة الآية إلى من قلد اليهود والنصارى من المسلمين، كالذين حرّفوا الكلم عن مواضعه، وكتموا آيات الله بالنسخ، وأفتروا على الله تعالى فنسبوا له من القول ما لم يقل، من خلال الكذب على نبيه ﷺ، والادعاء بأنّ تلك الأكاذيب وحي يوحى، والذين احتكموا لغيره عند الاختلاف، وجعلوا له أندادًا، أو اتخذوا أئمتهم وفقهائهم من دونه أربابًا سبحانه وتعالى عما يصفون.

2. **تأويل آية ﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ﴾:** أوّل أهلُ

الحديث والنسخ «اسم الموصول» في الآية السابعة والعشرين من سورة البقرة: ﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ على أنّه ينصرف إلى أهل الكتب السابقة تارة، وأنّه ينصرف إلى الخوارج تارة أخرى، وإلى جميع أهل الشرك والكفر والنفاق طورًا؛ حيث أورد ابن كثير في تفسير القرآن العظيم في معرض تفسيره للآية قوله: «وقال شعبة عن عمرو بن مرة عن مصعب بن سعد قال سألت أبي فقلت قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ﴾ إلى آخر الآية؛ فقال هم الحرورية، وهذا الإسناد وإن صح عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه فهو تفسير على المعنى إلّا أنّ الآية أريد منها التنصيص على الخوارج الذين خرجوا على علي بالنهروان، فإنّ أولئك لم يكونوا حال نزول الآية وإنّما داخلون بوصفهم فيها مع من دخل لأنّهم سموا خوارج لخروجهم عن طاعة الإمام والقيام بشرائع الإسلام»..» وقد اختلف أهل التفسير في معنى العهد الذي وصف هؤلاء الفاسقين بنقضه، فقال بعضهم هو وصية الله لخلقه وأمره إياهم بما أمره به من طاعته ونهيه عما نهاهم عنه من معصيته في كتبه وعلى لسان رسله، ونقضهم ذلك هو تركهم العمل به. وقال آخرون بل هي في كفار أهل الكتاب والمنافقين منهم، وعهد الله الذي نقضوه هو ما أخذه الله عليهم في التوراة من العمل بما فيها واتباع محمد ﷺ إذا بعث والتصديق به وبما جاء به من عند ربهم، ونقضهم ذلك هو جحودهم به بعد معرفتهم بحقيقته وإنكارهم ذلك وكتمانهم علم ذلك بعد إعطائهم الله من أنفسهم الميثاق ليبيننه للناس ولا يكتمونه، فأخبر تعالى أنّهم نبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنًا قليلًا، وهذا اختيار ابن جرير رحمه الله وهو قول مقاتل بن حيان. وقال آخرون بل عنى بهذه الآية جميع أهل الكفر والشرك والنفاق وعهده إلى جميعهم في توحيده ما وضع لهم من الأدلة الدالة على ربوبيته وعهده إليهم في أمره ونهيه ما احتج به لرسله من المعجزات التي لا يقدر عليها أحد من الناس غيرهم أن يأتي بمثله الشاهدة لهم على صدقهم، قالوا ونقضهم ذلك تركهم الإقرار بما قد تبيّنت لهم صحته بالأدلة، وتكذيبهم الرسل والكتب مع علمهم أنّ ما أتوا به حق»..» وقال آخرون العهد الذي ذكره تعالى هو العهد الذي أخذه الله عليهم

حين أخرجهم من صلب آدم الذي وصف في قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ﴾[1] الآيتين ونقضهم ذلك تركهم الوفاء به».

والتأويل خاطئ، ذلك أنّ الآية وردت مطلقة وغير مقيدة، فهي تنصرف إلى كل الذين آمنوا ثم نقضوا ما عاهدوا الله عليه؛ حيث يمثّل الدخول في الإسلام، بتلاوة الشهادتين، دخولًا في عهد الله وميثاقه، أو بلغة أهل القانون توقيعًا لذلك العهد والميثاق، وهو ما يقتضي السمع والطاعة لكافة أوامر الله تعالى ونواهيه. ونقضه يتأتى بالتخلي عن أوامره أو عدم التقيد بنواهيه، كما يتأتى بالكذب على الله سبحانه وتعالى عما يصفون، وعلى رسله عليهم السلام، أو بتحريف الكلم عن مواضعه، وإخضاع آياته لنظريات البشر. غير أنّ هذه الدلالة لعهد الله وميثاقه تضع أهل الحديث والنسخ في مقدمة الذين ينقضون عهد الله وميثاقه، ومن هناك أوّلوا دلالة الآية ليقصروها على خصومهم، على قاعدة «إنّ الشيطان ليس أنا»، وعلى شاكلة الذين «اصطنعوا أسطورة الهولوكست» أو ضخموها، ليقولوا بأنّ الشيطان يتمثّل في النازية، أو في الشيوعية، أو في الإرهاب الإسلامي، وليس في الأمبراطوريات الاستعمارية. تلك الأمبراطوريات التي سُميت زورًا بـ «الديمقراطيات الغربية»، والتي تسعى اليوم لاستعادة مستعمراتها السابقة، تحت ذرائع التدخل لأسباب إنسانية؛ كنشر الديمقراطية! أو حماية المدنيين! أو حماية الأقليات! وما إلى ذلك من الذرائع والتعلات التي لا تنطلي على أحد، ولا تلقى قبولًا إلّا من قبل المضاربين أو المقامرين بأوطانهم وأديانهم وشعوبهم، من أجل أن يشتروا بها ثمنًا قليلًا.

3. **تأويل آية** ﴿فَمَنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾: أوّل أهلُ الحديث والنسخ «اسم الإشارة» في الآية الرابعة والتسعين من سورة آل عمران: ﴿فَمَنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ على أنها نزلت في اليهود وتنصرف إليهم؛ حيث أورد

(1) سورة الأعراف، الآية: 172.

الطبري في جامع البيان هذا القول في معرض تفسيره لهذه الآية: «حدثنا المثنى، قال: ثنا عمرو بن عون، قال: ثنا هشيم، عن زكريا، عن الشعبي: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ قال: نزلت في اليهود».

والتأويل خاطئ، ذلك أنّه، وعلى الرغم من أنّ الآية وردت في سياق يتحدث عن كذب بني إسرائيل على الله تعالى، إلّا أنّ الآية استخدمت صيغة «مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ» والتي تنصرف إلى المستقبل وتفيد الإطلاق والعموم فهي غير مقيدة ببني إسرائيل، بل تتوعد من يفتري على الله تعالى من بعدهم، وهو ما يجعلها تنصرف للمسلمين من أتباع النبيّ محمد ﷺ على نحو خاص، وإنْ لم تقتصر عليهم. وهو ما فعله للأسف الذين حرّفوا الكلم عن مواضعه، وأخضعوا آيات الله لنظرياتهم، وكتموا ما أنزل الله بدعوى النسخ، وكذبوا على الله تعالى من خلال الكذب على رسوله ﷺ، والادعاء بأنّ تلك الأكاذيب وحي يوحى. ومن هناك قيّدوا دلالة الآية، حتى لا تفضحهم وتكشف ما فعلوا من جهة، وحتى يسود الاعتقاد بأنّ الافتراء على الله مقصور على أهل الكتب السابقة، وأنّ الله تعالى تعهد بحفظ القرآن من التحريف من جهة أخرى. وهو ما تحقق فعلًا حيث ساد اعتقاد بين المسلمين، يُقصر التحريف والكذب على الله على اليهود والنصارى، ويصرف نظرهم عن إمكانية افتراء المسلمين على الله تعالى كما فعل غيرهم من أهل الكتاب، وفاتهم أنّ حفظ الله تعالى للذكر يقتصر على متنه دون تأويله، ولا يطال ادعاء النسخ على بعض آياته.

4. تأويل آية ﴿أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ﴾: أوّل أهل الحديث والنسخ دلالة الآية الرابعة والأربعين بعد المائة من سورة آل عمران: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ على أنّها تتعلق بما اعترى بعض المسلمين حين وقعت الهزيمة في موقعة أحد وأُشيع بأنّ النبيّ ﷺ قد قُتل؛ حيث أورد الطبري في جامع البيان: «وذكر أن هذه الآية أنزلت على رسول الله ﷺ فيمن انهزم عنه بأُحد من أصحابه. ذكر الأخبار الواردة بذلك: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾ إلى قوله: ﴿وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ

ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ ذاكم يوم أُحد حين أصابهم القرح والقتل، ثم تنازعوا نبيّ الله ﷺ بقية ذلك، فقال أناس: لو كان نبيًّا ما قُتل».

غير أنّه لا يستبعد أنّ تحمل الآية الدلالتين معًا، دلالة آنية ودلالة آجلة؛ فهي بالدلالة العاجلة تحذر الذين عصوا أمر رسول الله ﷺ يوم أُحد، والذين تولوا يوم الزحف عن النكوص على أعقابهم. وهي بالدلالة الآجلة تخبرنا عن نكوص بعض المسلمين في المستقبل كما حدث في الفتنة الكبرى أو ما حدث بعدها، حيث فرقوا دينهم شيعًا وأحزابًا، وأخرجوا بعضهم البعض من ديارهم، وقتلوا أحفاد رسول الله ﷺ، وحرّفوا الكلم عن مواضعه وكتموا بعض من آيات الذكر الحكيم، واتخذوا من أئمتهم وفقهائهم أربابًا من دون الله تعالى. أمّا قصرها على تولي بعض المسلمين في موقعة أُحد، فيرمي إلى استبعاد أن تنصرف دلالة الآية إلى الذين نكصوا أو انقلبوا على أعقابهم فيما بعد، فحرّفوا الكلم عن مواضعه، وأخضعوا آيات الله لنظريات البشر، واتخذوا من أئمتهم وفقهائهم أربابًا من دون الله تعالى.

والتأويل خاطئ، ذلك أنّ المسلمين لم يرتدوا عن دينهم عقب هزيمة أحد، وإنّما تولى بعضهم يوم الزحف. أمّا التولي عن الدين، في تقديري، فحدث حين وضع المسلمون سيوفهم في رقاب بعضهم البعض، وحين كتموا ما أنزل الله تعالى، وحرّفوا الكلم عن مواضعه ليتفق مع مصالحهم ونظرياتهم البشرية، وحين حولوا الشورى والبيعة إلى ملك عضوض، أين منه ملك القياصرة والأكاسرة؟ وفرضوا الجزية على المسلمين في شمال أفريقيا، وبلاد ما وراء النهرين، وأفتكوا منهم الغنائم والسبايا، ونزعوا ملكية سواد العراق وجنان أرض الكنانة، ليعود خراجها على قياصرة بني أمية وبني العباس، الذين أنفقوها على الجواري وشعراء البلاط من دون المسلمين.

ثم إنّ التولي يوم الزحف هو من الكبائر التي تشملها الشفاعة، وفقًا لنظرية شفاعة النبيّ ﷺ، التي يعتقد في صحتها أهل الحديث والنسخ، فلا يستقيم لهم اعتبارها نكوصًا عن الدين.

5. تأويل الآيتين ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾،

﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ أوّل أهلُ الحديث والنسخ دلالة الآيتين الرابعة والأربعين والخامسة والأربعين من سورة المائدة: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾، ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ على أنّهما تنصرفان إلى الكفار واليهود، وقالت بعض الروايات التي تسلّم بأنّ دلالة الآية تشمل المسلمين إنّ الكفر في الآية لا يخرج من الملة، وقالت روايات أخرى بأنّهما لا تنصرفان إلى من فعل ذلك من المسلمين إلّا إذا فعل ذلك إنكارًا للقرآن. وقالت روايات غيرها بأنّ: «مَنْ حَكَمَ بِالتَّوْحِيدِ وَلَمْ يَحْكُم بِبَعْضِ الشَّرَائِع فَلَا يَدْخُل فِي هَذِهِ الْآيَة»؛ حيث أورد القرطبي في تفسيره الجامع في معرض تفسيره للآية الرابعة والأربعين من سورة المائدة: و﴿ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ و﴿ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ نَزَلَتْ كُلّهَا فِي الْكُفَّار؛ ثَبَتَ ذَلِكَ فِي صَحِيح مُسْلِم مِنْ حَدِيث الْبَرَاء، وَقَدْ تَقَدَّمَ، وَعَلَى هَذَا الْمُعْظَم فَأَمَّا الْمُسْلِم فَلَا يَكْفُر وَإِنْ اِرْتَكَبَ كَبِيرَة. وَقِيلَ: فِيهِ إِضْمَار؛ أَيْ: وَمَنْ لَمْ يَحْكُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّه رَدًّا لِلْقُرْآنِ، وَجَحْدًا لِقَوْلِ الرَّسُول عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَام فَهُوَ كَافِر، قَالَهُ اِبْن عَبَّاس وَمُجَاهِد، فَالْآيَة عَامَّة عَلَى هَذَا. قَالَ اِبْن مَسْعُود وَالْحَسَن: هِيَ عَامَّة فِي كُلّ مَنْ لَمْ يَحْكُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّه مِنْ الْمُسْلِمِينَ وَالْيَهُود وَالْكُفَّار أَيْ مُعْتَقِدًا ذَلِكَ وَمُسْتَحِلًّا لَهُ؛ فَأَمَّا مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ وَهُوَ مُعْتَقِد أَنَّهُ رَاكِبُ مُحَرَّم فَهُوَ مِنْ فُسَّاق الْمُسْلِمِينَ، وَأَمْره إِلَى اللَّه تَعَالَى إِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ، وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُ، وَقَالَ اِبْن عَبَّاس فِي رِوَايَة: وَمَنْ لَمْ يَحْكُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّه فَقَدْ فَعَلَ فِعْلًا يُضَاهِي أَفْعَال الْكُفَّار، وَقِيلَ: أَيْ وَمَنْ لَمْ يَحْكُم بِجَمِيعِ مَا أَنْزَلَ اللَّه فَهُوَ كَافِر، فَأَمَّا مَنْ حَكَمَ بِالتَّوْحِيدِ وَلَمْ يَحْكُم بِبَعْضِ الشَّرَائِع فَلَا يَدْخُل فِي هَذِهِ الْآيَة، وَالصَّحِيح الْأَول، إِلَّا أَنَّ الشَّعْبِيّ قَالَ: هِيَ فِي الْيَهُود خَاصَّة، وَاخْتَارَهُ النَّحَّاس قَالَ: وَيَدُلّ عَلَى ذَلِكَ ثَلَاثَة أَشْيَاء مِنْهَا أَنَّ الْيَهُود قَدْ ذُكِرُوا قَبْل هَذَا فِي قَوْله: ﴿لِلَّذِينَ هَادُواْ﴾ فَعَادَ الضَّمِير عَلَيْهِمْ، وَمِنْهَا أَنَّ سِيَاق الْكَلَام يَدُلّ عَلَى ذَلِكَ؛ أَلَا تَرَى أَنَّ بَعْده ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ﴾ فَهَذَا الضَّمِير لِلْيَهُودِ بِإِجْمَاع؛ وَأَيْضًا فإنّ الْيَهُود هُمْ الَّذِينَ أَنْكَرُوا الرَّجْم وَالْقِصَاص. فإنّ قَالَ قَائِل: «مَنْ» إِذَا كَانَتْ لِلْمُجَازَاةِ فَهِيَ عَامَّة إِلَّا أَنْ يَقَع دَلِيل عَلَى تَخْصِيصهَا؟ قِيلَ لَهُ: «مَنْ» هُنَا بِمَعْنَى الَّذِي مَعَ مَا ذَكَرْنَاهُ مِنْ الْأَدِلَّة وَالتَّقْدِير: وَالْيَهُود الَّذِينَ لَمْ يَحْكُمُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّه فأولئِكَ هُمْ الْكَافِرُونَ؛

فَهَذَا مِنْ أَحْسَنِ مَا قِيلَ فِي هَذَا؛ وَيُرْوَى أَنَّ حُذَيْفَة سُئِلَ عَنْ هَذِهِ الْآيَات أَهِيَ فِي بَنِي إِسْرَائِيل؟ قَالَ: نَعَمْ هِيَ فِيهِمْ، وَلَتَسْلُكُنَّ سَبِيلهمْ حَذْو النَّعْل بِالنَّعْلِ، وَقِيلَ: «الْكَافِرُونَ» لِلْمُسْلِمِينَ، و«الظَّالِمُونَ» لِلْيَهُودِ، و«الْفَاسِقُونَ» لِلنَّصَارَى وَهَذَا اِخْتِيَار أَبِي بَكْر بْن الْعَرَبِيّ، قَالَ: لِأَنَّهُ ظَاهِر الْآيَات، وَهُوَ اِخْتِيَار اِبْن عَبَّاس وَجَابِر بْن زَيْد وَابْن أَبِي زَائِدَة وَابْن شُبْرُمَة وَالشَّعْبِيّ أَيْضًا قَالَ طَاوُس وَغَيْره: لَيْسَ بِكُفْرٍ يَنْقُل عَن الْمِلَّة، وَلَكِنَّهُ كُفْر دُون كُفْر، وَهَذَا يَخْتَلِف إِنْ حَكَمَ بِمَا عِنْده على أَنَّهُ مِنْ عِنْد اللَّه، فَهُوَ تَبْدِيل لَهُ يُوجِب الْكُفْر وَإِنْ حَكَمَ بِهِ هَوًى وَمَعْصِيَة فَهُوَ ذَنْب تُدْرِكهُ الْمَغْفِرَة عَلَى أَصْل أَهْل السُّنَّة فِي الْغُفْرَان لِلْمُذْنِبِينَ قَالَ الْقُشَيْرِيّ: وَمَذْهَب الْخَوَارِج أَنَّ مَنْ ارْتَشَى وَحَكَمَ بِغَيْرِ حُكْم اللَّه فَهُوَ كَافِر، وَعُزِيَ هَذَا إِلَى الْحَسَن وَالسُّدِّيّ، وَقَالَ الْحَسَن أَيْضًا: أَخَذَ اللَّه عَزَّ وَجَلَّ عَلَى الْحُكَّام ثَلَاثَة أَشْيَاء: أَلَّا يَتَّبِعُوا الْهَوَى، وَأَلَّا يَخْشَوْا النَّاس وَيَخْشَوْهُ، وَأَلَّا يَشْتَرُوا بِآيَاتِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا».

وهذا التأويل خاطئ، فالقول بأنّهما تنصرفان للكفار واليهود لا يستقيم؛ ذلك أنّ الآيتين وردتا على سبيل العموم، فمن لم يحكم بما أنزل الله تصفه الآية الأولى بالكافر، وتصفه الآية الثانية بالظالم، بينما تصفه الآية السابعة والأربعين من نفس السورة بالفاسق: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾، ومن هناك فالذي لم يحكم بما أنزل الله وفقًا للقرآن، فهو كافر وظالم وفاسق في نفس الوقت، وأنّ دلالة قوله تعالى في الآيات التي تناولناها آنفًا ينصرف إلى كل من لم يحكم بما أنزل الله تعالى كائن من كان، وبغض النظر عن انتسابه العرقي أو الديني. أمّا القول بأنّ الكفر في الآية لا يخرج من الملة، فلا يوجد عليه أي دليل أو سلطان فإذا كان الذي يحتكم إلى غير كتاب الله، حتى في شأن يخصه وحده، يكفر كفر ملة بنص القرآن، حيث يتوعده الله تعالى بجهنم وسوء المصير، فكيف بمن يحكم بين النّاس بغير ما أنزل الله تعالى؟ وكذلك القول بأنّهما لا تنصرفان إلى من فعل ذلك من المسلمين إلّا إذا فعل ذلك إنكارًا للقرآن فلا يستقيم، ذلك أنّ المنكر للقرآن أو لبعض ما ورد فيه تتوعده آيات أخرى غير هذه الآيات التي تتعلق بحالة خاصة لا يحكم فيها المسلم بما أنزل الله تعالى. كما أنّ القول بأنّ: «مَنْ حَكَمَ

بِالتَّوْحِيدِ وَلَمْ يَحْكُم بِبَعْضِ الشَّرَائِع فَلَا يَدْخُل فِي هَذِهِ الْآيَة» لا يستقيم أيضًا، ذلك أنّ المشرك تتوعده هو الآخر آيات أخرى معنية بالشرك والمشركين. ولا تُعنى بوعيده هذه الآيات. ومن ثم فإنّ أيّ تقييد لدلالة هذه الآيات لا يستقيم، ولا يعدو كونه إلباسًا للحق بالباطل وتحريفًا للكلم عن مواضعه، لإخضاع آيات الذكر الحكيم لعقائد البشر ونظرياتهم، وتقييدًا لمطلق وتخصيص لعام دون بيّنة أو سلطان، في محاولة صريحة لتبرئة ساحة خلفاء بني أمية وبني العباس وغيرهم من حكام المسلمين الذين لم يحكموا بما أنزل الله تعالى.

6. **تأويل الآية** ﴿يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُواْ لَنَآ﴾: أوّل أهلُ الحديث والنسخ دلالة الآية الثالثة والخمسين من سورة الأعراف: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُواْ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾ على أنّها تعني الذين أعرضوا عنه حتى لا تشمل المسلمين؛ حيث أورد الطبري في جامع البيان: «حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ﴾ قال: أعرضوا عنه. حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله. القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُواْ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾ وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن هؤلاء المشركين الذين وصف صفتهم أنّهم يقولون عند حلول سخط الله بهم وورودهم أليم عذابه ومعاينتهم تأويل ما كانت رسل الله تعدهم: هل لنا من أصدقاء وأولياء اليوم، فيشفعون لنا عند ربنا، فتنجينا شفاعتهم عنده مما قد حلّ بنا من سوء فعالنا في الدنيا، أو نردّ إلى الدنيا مرّة أخرى، فنعمل فيها بما يرضيه ويعتبه من أنفسنا؟ قال: هذا قول المساكين هنالك، لأنهم كانوا عهدوا في الدنيا أنفسهم لها شفعاء تشفع لهم في حاجاتهم، فيذكروا ذلك في وقت لا خلة فيه لهم ولا شفاعة، يقول الله جلّ ثناؤه: ﴿قَدْ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ يقول: غبنوا أنفسهم حظوظها ببيعهم ما لا خطر له من نعيم الآخرة الدائم بالخسيس من عرض الدنيا الزائل، ﴿وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوٓاْ

يَفۡتَرُونَ﴾ يقول: وأسلمهم لعذاب الله، وحاد عنهم أولياؤهم الذين كانوا يعبدونهم من دون الله، ويزعمون كذبًا وافتراء أنّهم أربابهم من دون الله».

وهذا التأويل خاطئ، ذلك أنّ دلالة «النسيان» غير دلالة «الإعراض»، فالذي نسي أنْ يصلي غير المعرض عن الصلاة، فهو الذي قد أقر بأنّ الصلاة مفروضة، غير أنّه انشغل عنها بهوى النفس، ومغانم الدنيا، فنسي أنْ يصلي .**ومن هناك فالآية تُعنى بالكتابيين جميعًا من يهود ومسيحيين ومسلمين وغيرهم، الذين نسوا ما ورد في كتبهم، واتبعوا ما افتراه الأحبار والقساوسة والفقهاء، فبحثوا عنهم أو سألوا عنهم وعن الشفعاء الذين زعموا لهم ليشفعوا لهم، فلم يجدوا يومئذ من شفيع ولا ولي، «فضلّ عنهم ما كانوا يفترون»**. وتنصرف دلالة ﴿وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ﴾ إلى كذبهم على الله تعالى، حين قالوا بالشفاعة وعدم الخلود في النّار وغيرها من الأباطيل، ولو كانت دلالة الآية تنصرف للمشركين لما استخدم الله تعالى «فضل عنهم ما كانوا يفترون» بل استخدم صيغة «فحاق بهم ما كانوا يكذبون» فالافتراء على الله غالبًا ما يرتكبه الذين ينقضون عهد الله وميثاقه، وليس الذين لم يدخلوا في عهده وميثاقه. ومن هناك فالتأويل الذي أورده الطبري، يرمي إلى حصر دلالة الآية في الكفار والمشركين، وتجسيد الكفر والشرك في جماعات معيّنة، عاشت في فترة زمنية محددة وفي أماكن بعينها، واعتبار المسلمين وكأنهم معصومون من الكفر والشرك. والقرآن يخبرنا بأنّ اليهود والنصارى قد تولى جلهم عن التوحيد والإيمان، فكفر بعضهم وأشرك بعضهم، وهم يظنون كما يظن المسلمون بأنفسهم اليوم، أنهم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها، بل ويضيفون بأنّهم أبناء الله وأحبائه. وقلدهم المسلمون كما تنبأ بذلك القرآن والحديث؛ فانقلبوا على أعقابهم؛ حيث يقول تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوۡ قُتِلَ ٱنقَلَبۡتُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡۚ وَمَن يَنقَلِبۡ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيۡـًٔاۗ وَسَيَجۡزِي ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾[1]، وكما يقول النبيّ ﷺ في الحديث الذي أورده البخاري

(1) سورة آل عمران، الآية: 144.

ونسبه إلى أنس رضي الله عنه: «ليردن علي ناس من أصحابي الحوض، حتى عرفتهم اختلجوا دوني، فأقول: أصحابي: فيقال: ما تدري ما أحدثوا بعدك»[1].

وعلى الرغم من أنّ الحديث لم يسلم من التحريف، غير أنّ فكرة نكوص بعض المسلمين عن الإسلام الواردة فيه تتفق مع ما ورد في القرآن، ولم تتعرّض للتحريف.

7. **تأويل الآية** ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾: أوّل أهلُ الحديث والنسخ «ضمير الغائبين» في الآية السابعة بعد المئة من سورة النحل: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ على أنّه يعود على المشركين؛ حيث أورد الطبري في جامع البيان في معرض تفسيره للآية: «يقول تعالى ذكره: حلّ بهؤلاء المشركين غضب الله ووجب لهم العذاب العظيم، من أجل أنهم اختاروا زينة الحياة الدنيا على نعيم الآخرة، ولأن الله لا يوفق القوم الذين يجحدون آياته مع إصرارهم على جحودها».

والتأويل خاطئ، ذلك أنّ الآية وردت في سياق يتحدث عن الذين كفروا بعد إيمانهم: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[2]، والقرآن يعتبر «الذين استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة» كفارًا، وإن كانوا يعدون أنفسهم مسلمين بالقول أو بالهوية. ومن هناك فالآية تنصرف إلى كل من استحب الحياة الدنيا على الآخرة، وإن كان يُحسب في عداد المسلمين. غير أنّ أهل الحديث والنسخ اعتبروا كل من يقول بأنّه مسلم بالقول أو بالهوية مسلمًا، وإنْ استحب الحياة الدنيا على الآخرة؛ فخالف أوامر الله ونواهيه، أو اتبع هوى نفسه، ويرون بأنّه سيكون مشمولًا بشفاعة رسول الله ﷺ في أصحاب الكبائر، ولن يخلّد في النار وإنْ مكث فيها أيامًا معدودات، كما قال اليهود من قبلهم.

---

(1) انظر صحيح البخاري، كتاب القدر، باب في الحوض، وقول الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾[التكوير: 1]، ح 6582.

(2) سورة النحل، الآية: 106.

8. تأويل الآية ﴿وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾: أوّل أهلُ الحديث والنسخ «من الموصولية» في الآية الحادية عشرة بعد المئة من سورة طه: ﴿وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ على أنّه الشرك بالله؛ حيث أورد الفيروزآبادي في معرض تفسيره للآية قوله: «﴿وَقَدْ خَابَ﴾ خسر ﴿مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ شركًا». كما أورد السيوطي في الدرر المنثور قوله: «وأخرج ابن المنذر عن ابن جرير رضي الله عنه في قوله: ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ قال: شركًا». كما أورد السمرقندي في بحر العلوم: «وقال الزجاج رحمه الله عنت أي: خضعت يقال عنا يعنو أي: خضع ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ أي خسر من حمل شركًا».

وهذا التأويل خاطئ، ذلك أنّ للظلم دلالات تتجاوز الشرك وإن اشتملت عليه، فالظلم كما أسلفنا نوعان: الأول هو ظلم النفس وهو ما ينصرف للشرك وتجاوز حدود الله تعالى، والثاني هو ظلم الآخرين وينصرف إلى الطغيان والفساد في الأرض، وأكل أموال الناس بالباطل. وتنصرف دلالة الظلم في الآية إلى كافة أشكال الظلم دون أنْ يقتصر على الشرك، وذلك لكونه ورد مطلقًا وغير مقيّد. غير أنّ المتأوّلين قصروا دلالته على الشرك حتى يستبعدوا الظالمين للعباد من الطغاة والمفسدين في الأرض من دلالة الآية، وحتى يتم استبعاد المرتكبين لأصناف الظلم الأخرى المتعلقة بظلم العباد؛ كأكل أموال الناس ظلمًا، والتعدي على حقوقهم، وإلحاق الأذى بهم، من الوصف الإلهي بخيبة المسعى يوم القيامة.

والدليل على عدم قصر الظلم على الشرك، ما ورد في الآية السادسة من سورة الرعد: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ ۖ﴾، فلو كان الظلم ينصرف إلى الشرك لما اقترن بالمغفرة في هذه الآية، كما أنّ الطبري لم يصرف دلالتها إلى الشرك في تأويله للآية حيث أورد قوله: «وقوله: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ ۖ﴾ يقول تعالى ذكره: وإنّ ربك يا محمد لذو ستر على ذنوب من تاب من ذنوبه من الناس، فتارك فضيحَته بها في موقف القيامة، وصافحٌ له عن عقابه عليها عاجلًا وآجلًا على ظلمهم». كذلك وردت آيات عديدة تصف أكل أموال الناس بالباطل بالظلم: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم

بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْۚ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿29﴾ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾[1]، وكذلك يصف القرآن الذين يأكلون أموال اليتامى بالظالمين: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًاۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾[2]. ومن هناك فقصر دلالة الظلم على الشرك في الآية، هو مجرد إلباس للحق بالباطل وتحريف للكلم عن مواضعه، لإخضاع آيات الله لنظريات البشر في الشفاعة، وعدم خلود المسلم في النار.

9. تأويل الآية ﴿وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۖ وَمَكْرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾: أوّل أهلُ الحديث والنسخ «اسم الموصول» في الآية العاشرة من سورة فاطر: ﴿وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۖ وَمَكْرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾ على أنه ينصرف إلى أهل الشرك؛ حيث أورد الطبري في جامع البيان قوله: «حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۖ﴾ قال: هؤلاء أهل الشرك. وقوله: ﴿وَمَكْرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾ يقول: وعمل هؤلاء المشركين يَبور، فيبطُل فيذهب، لأنه لم يكن لله، فلم ينفع عامله».

والتأويل خاطئ، ذلك أنّ المشرك لا يُعنى بتصنيف أعماله إلى حسنات وسيئات، حيث يُستبعد عمل المشرك من القياس والوزن يوم القيامة بسبب شركه، فعمل المشرك هباءً منثورًا ولن يُقبل منه سواء كان حسنًا أو سيئًا. ومن ثم فإنّ الذي يمكر السيئات في الآية هو المسلم الذي يرتكب السيئات ويقول بأنّه سيُغفر له: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُواْ ٱلْكِتَٰبَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا﴾[3]، وقد تنصرف دلالتها إلى الذي يعتدي على حقوق غيره ويذود عن حقوقه، فيكيل بمكيالين وذلك مكره، الذي سيجعله الله تعالى يبور، أي حين يعاقبه ربّه في الدنيا قبل الآخرة؛ فيسّلط عليه من يعتدي على حقوقه، بالقدر الذي اعتدى فيه على حقوق غيره، وهو ما سيجعل مكره يبور في الدنيا قبل الآخرة.

(1) سورة النساء، الآيتان: 29 ـ 30.
(2) سورة النساء، الآية: 10.
(3) سورة الأعراف، الآية: 169.

أمّا التأويل الذي أورده الطبري فيهدف إلى تطويع الآية إلى نظريتي الشفاعة، وعدم خلود المسلم في النار، فالعذاب الشديد وفقًا للنظريتين من نصيب غير المسلمين، ومدرسة أهل الحديث والنسخ تفصل بين القول والعمل في تعريفها للمسلم، فلا تشترط على المسلم الامتثال لأوامر الله تعالى، ولا الامتناع عن نواهيه ليُعد مسلمًا، فالمسلم وفقًا لها يتسع لمن اكتفى بالتلفظ بالشهادتين وقال إنّه مسلم، حتى وإنّ ادعت المدرسة خلاف ذلك، فمن يعتقد في نظريتي الشفاعة في أهل الكبائر، وعدم خلود المسلم في النار، يفصل بين قول العبد وعمله، حتى لو قال في موضع آخر بأنّ الطريق إلى الجنة مشروط بالعمل الصالح.

10. تأويل الآية ﴿وَٱللَّهُ يَقۡضِي بِٱلۡحَقِّۖ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقۡضُونَ بِشَيۡءٍۗ﴾: أوّل أهلُ الحديث والنسخ «اسم الإشارة» في الآية العشرين من سورة غافر: ﴿وَٱللَّهُ يَقۡضِي بِٱلۡحَقِّۖ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقۡضُونَ بِشَيۡءٍۗ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ على أنّه ينصرف للأوثان والآلهة؛ حيث أورد الطبري في جامع البيان في معرض تفسيره لهذه الآية قوله: «وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقۡضُونَ بِشَيۡءٍۗ﴾ يقول: والأوثان والآلهة التي يعبدها هؤلاء المشركون بالله من قومك من دونه لا يقضون بشيء، لأنها لا تعلم شيئًا، ولا تقدر على شيء، يقول جلّ ثناؤه لهم: فاعبدوا الذي يقدر على كلّ شيء، ولا يخفى عليه شيء من أعمالكم، فيجزي محسنكم بالإحسان، والمسيء بالإساءة، لا ما لا يقدر على شيء ولا يعلم شيئًا، فيعرف المحسن من المسيء، فيثيب المحسن، ويعاقب المسيء».

ومن الجلي أنّ قصر «الذين يدعون من دون الله» على الأوثان والآلهة يرمي إلى استبعاد الذين يدعوهم المسلمين ليشفعوا لهم، سواء كان النبيّ ﷺ أو الأئمة، فهم أيضًا لا يقضون بشيء وفق الآية، غير أنّ القائلين بالشفاعة جعلوهم يقضون بشيء، فالشفاعة قضاء؛ ذلك أنّ تخفيف العقوبة أو إلغاءها يُعد شكلًا من أشكال القضاء، يقوم به في الدنيا وعالم اليوم، من هو أعلى سلطة من القاضي الذي أصدر العقوبة كرئيس الدولة أو مجلس النواب .**ثم إنّ للقرّاء دور في إخفاء هذه الدلالة للآية، حيث قلب قُرّاء الكوفة التاء في تدعون**

إلى يا فصارت يدعون، حتى لا تنصرف دلالتها للمخاطبين بالقرآن. حيث أشار الطبري إلى الاختلاف بين قرّاء المدينة والكوفة بقوله: «واختلفت القرّاء في قراءة قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ﴾ فقرأ ذلك عامة قرّاء المدينة: «وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ» بالتاء على وجه الخطاب. وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفة بالياء على وجه الخبر». ولو ركنا لقرّاء المدينة، لحصرت دلالة «تدعون من دونه» فيمن يدعون من دون الله تعالى، الشفعاء والأئمة والأولياء وغيرهم، ممن يتسمون بالمسلمين، دون أن يكونوا كذلك.

11. تأويل الآية ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخۡفَوۡنَ عَلَيۡنَآۗ﴾: أوّل أهل الحديث والنسخ «اسم الإشارة» في الآية الأربعين من سورة فصلت: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخۡفَوۡنَ عَلَيۡنَآۗ أَفَمَن يُلۡقَىٰ فِي ٱلنَّارِ خَيۡرٌ أَم مَّن يَأۡتِيٓ ءَامِنٗا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ على أنّه ينصرف للذين يكفرون بها؛ حيث أورد الطبري في جامع البيان في معرض تفسيره لهذه الآية: «يعني جلّ ثناؤه بقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا﴾ إن الذين يميلون عن الحقّ في حججنا وأدلتنا، ويعدلون عنها تكذيبًا بها وجحودًا لها».

وهو تأويل خاطئ، ذلك أنّ الإلحاد لغة ينصرف إلى الميل والانحراف، وليس إلى التكذيب والجحود الذي يحيل إلى الكفر. ومن هناك فلا ينبغي قصر دلالة الإلحاد على الكافرين والجاحدين، والغرض من قصر دلالة الإلحاد على التكذيب والجحود، في تقديري، الحيلولة دون انصراف الوعيد في الآية إلى أولئك الذين يحرفون الكلم عن مواضعه، ويؤلون آيات الله على غير تأويلها خدمة لأغراضهم الدنيوية والمذهبية. وهذا الزمخشري يمنح الآية هذه الدلالات التي ذهبنا إليها فيقول: «يقال: ألحد الحافر ولحد، إذا مال عن الاستقامة، فحفر في شق، فاستعير للانحراف في تأويل آيات القرآن عن جهة الصحة والاستقامة، وقرئ «يلحدون ويلحدون» على اللغتين. وقوله: ﴿لَا يَخۡفَوۡنَ عَلَيۡنَآۗ﴾ وعيد لهم على التحريف». ومن هناك فدلالة الآية تتسع في تقديري لتنصرف إلى الفئتين: الكافرين، والذين يحرفون الكلم عن مواضعه، فيخضعون آيات الذكر الحكيم لنظريات البشر ومعتقداتهم.

12. تأويل الآية ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ﴾: أوّل أهلُ الحديث والنسخ «اسم الإشارة» في الآية السادسة من سورة الشورى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾ على أنّه ينصرف للذين أشركوا من قوم محمد ﷺ؛ حيث أورد الطبري في جامع البيان في معرض تفسيره للآية: «يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ﴾ يا محمد من مشركي قومك ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ آلهة يتولونها ويعبدونها ﴿ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ﴾ يُحْصِي عليهم أفعالهم، ويحفظ أعمالهم، ليجازيهم بها يوم القيامة جزاءهم ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾ يقول: ولست أنت يا محمد بالوكيل عليهم بحفظ أعمالهم، وإنما أنت منذر، فبلغهم ما أرسلت به إليهم، فإنّما عليك البلاغ وعلينا الحساب».

والتأويل خاطئ، ذلك أنّ الآية وردت مطلقة وتنصرف إلى كل من جعل لله أندادًا، فتشمل الذين اتخذوا من الأوصياء أو من أئمة مذاهبهم أندادًا لله تعالى؛ كمالك وأبي حنيفة، وابن حنبل والشافعي، وجعفر الصادق وابن أباض أربابًا من دون الله تعالى، بل والذين اتخذوا من أسلافهم أندادًا لله تعالى على شاكلة الذين قالوا: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ﴾[1]، حيث يتضمن قوله تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾[2] دلالة أنّنا نجعل لله أندادًا، حين نتبع رأي هؤلاء دون أنْ نعرضه على كتاب الله؛ وهو ما عبّر عنه حديث عدي بن حاتم الذي قال فيه: «أتيت رسول الله ﷺ وفي عنقي صليب من ذهب، فقال: يا عدي اطرح هذا الوثن من عنقك قال: فطرحته وانتهيت إليه وهو يقرأ في سورة براءة، فقرأ هذه الآية: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ قال: قلت: يا رسول الله إنا لسنا نعبدهم، فقال: أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه ويحلون ما حرم الله فتحلونه؟ قال: قلت: بلى. قال فتلك عبادتهم». بل وتنصرف دلالة الآية حتى إلى الذين اتخذوا من فلاسفة التنوير والحداثة أو غيرهم؛ كديكارت

(1) سورة الزخرف، الآية: 22.
(2) سورة التوبة، الآية: 31.

وبرغسون وروسو وبودان وميل وهيغل وماركس ورولان بارت ودريدا أربابًا من دون الله تعالى، وقالوا بأنّ القرآن أساطير الأولين حين اعتبروه لا يتماشى مع روح العصر.

13. تأويل الآية ﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الْإِنسَانَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ﴾:
أوّل أهلُ الحديث والنسخ «جزءًا» في الآية الخامسة عشرة من سورة الزخرف: ﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الْإِنسَانَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ﴾ على أنّه «عدل» أي إنّهم جعلوا لله ندًّا واعتبروا الملائكة الذين هم عباد الله بناته سبحانه وتعالى عما يصفون؛ حيث أورد القرطبي في معرض تفسيره للآية هذا القول: «قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا﴾ أي عِدْلًا؛ عن قتادة. يعني ما عبد من دون الله عزَّ وجلّ. الزجاج والمبرد: الجزء هاهنا البنات؛ عجّب المؤمنين من جهلهم إذ أقروا بأنّ خالق السموات والأرض هو الله ثم جعلوا له شريكًا أو ولدًا، ولم يعلموا أنّ من قدر على خلق السموات والأرض لا يحتاج إلى شيء يعتضد به أو يستأنس به؛ لأن هذا من صفات النقص».

وهذا التأويل لا يخلو من الصحة، غير أنّه هو الآخر يستبعد اتخاذ الأنداد على الذين قالوا بأنّهم مسلمون، ويقصر دلالة الآية على المشركين ظاهرًا، دون المشركين خفية من الذين تسموا بالمسلمين. ثم إنّ للآية دلالة أخرى سُكت عنها، تتعلق بادعاء البعض من الذين أوتوا الوحي أو التنزيل تفضيل الله تعالى لهم من دون النّاس، حيث ادعى اليهود والنصارى أنّهم أبناء الله وأحباؤه، وأنّه من يدخل النار منهم لن يمكث فيها سوى أيامٍ معدودة. وقلدهم المسلمون من أتباع محمد ﷺ، حين ادعوا أنّهم خير أمةٍ أخرجت للناس ـ رغم اقتصار دلالاتها على النبيّ ﷺ وصحابته وفق تعريف سعيد بن المسيب للصحابة على أحسن الفروض ـ فقلدوا أهل الكتب السابقة فادعوا بأنّهم لن يُخلّدوا في النار، ثم فصّلوا ذلك على مقاس فرقهم وطوائفهم، فادعى أتباع كل فرقة وفي مقدمتهم فرقتا أهل الحديث والنسخ «أهل السُّنة»، وأهل الرواية والتأويل «الشيعة» أنّهم أحباء الله وخلّانه «الفرقة الناجية». ونسي هؤلاء أنّه ليس للإنسان إلّا ما سعى، ومن آمن من العباد بالله واليوم الآخر

وعمل صالحًا دخل الجنة، بغض النظر عن دينه أو طائفته أو مذهبه أو لونه أو نسبه..الخ، وهؤلاء في تقديري من جعل لله جزءًا من خلقه.

ويرمي قصر دلالة الآية على الدلالة الأولى وهي ما عُبد من دون الله، استبعاد الدلالة الثانية لها، ذلك أنّ هذه الدلالة تفضح ما فعله المحرفون وتعرّض به، والقاضي بأنّ الله يؤثر المسلمين من أتباع النبيّ محمد ﷺ على غيرهم من أهل الكتاب، أو أنّه يؤثر فرقة أو طائفة من طوائف المسلمين، التي أسموها بالفرقة الناجية، على غيرها من الفرق والطوائف.

14. **تـأويـل الآيـتيـن** ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ﴾: أوّل أهلُ الحديث والنسخ الآيتين السادسة والثلاثين والتاسعة والثلاثين من سورة الزخرف: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿36﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾ على أنّها تقتصر في دلالتها على غير المسلمين؛ حيث أورد السمرقندي في بحر العلوم في معرض تفسيره للآيتين: «قوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ قال الكلبي يعني: يعرض عن الإيمان والقرآن، يعني لا يؤمن، ويقال: من يعمى بصره عن ذكر الرحمن، وقال أبو عبيدة: من يظلم بصره عن ذكر الرحمٰن ﴿نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا﴾ يعني: نسيب له شيطانًا مجازاة لإعراضه عن ذكر الله، ويقال نسلط عليه، ويقال نقدر له، ويقال نجعل له شيطانًا ﴿فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ﴾ يعني: يكون له صاحبًا في الدنيا فيزين له الضلالة، ويقال فهو له قرين يعني قرينه في سلسلة واحدة لا يفارقه يعني في النار، وروي عن سفيان بن عيينة أنّه قال: ليس مثل من أمثال العرب إلا وأصله في كتاب الله تعالى، قيل له: من أين قول الناس أعطِ أخاك تمرة، فإنّ أبى فجمرة. فقال قوله: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا﴾ الآية ﴿وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ يعني: الشياطين يصرفونهم عن الدين ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾ يعني: الكفار يظنون أنهم على الحق ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا﴾ قرأ ابن كثير ونافع وابن عامر، وعاصم في رواية أبي بكر (جَآنَا) بالمد بلفظ التثنية يعني الكافر وشيطانه الذي هو قرينه، وقرأ الباقون (جاءنَا) بغير مد يعني الكافر يقول لقرينه: ﴿قَالَ يَٰلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ﴾ يعني: ما بين المشرق والمغرب، ويقال بين مشرق الشتاء ومشرق الصيف ﴿فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ﴾ يعني: بئس

الصاحب معه في النار، ويقال هذا قول الله تعالى: ﴿فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ﴾ يعني: بئس الصاحب معه في النار، ويقال هذا قول الكافر يعني: بئس الصاحب كنت أنت في الدنيا وبئس الصاحب اليوم، فيقول الله تعالى: ﴿وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ﴾ الاعتذار ﴿إِذ ظَّلَمْتُمْ﴾ يعني: كفرتم وأشركتم في الدنيا ﴿أَنَّكُمْ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ يعني: أنكم جميعًا في النار التابع والمتبوع في العذاب سواء».

والتأويل يرمي إلى قصر دلالة الآية على الكافرين والمشركين، فإذا كانت الآية التاسعة والثلاثين من نفس السورة تتوعد من يعشُ عن ذكر الله وقرينه بالعذاب: ﴿وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾، فلا بدّ لأهل الحديث والنسخ من تحريف دلالة الآية حتى لا تنسحب على المسلمين الذين يغفلون أو يتغافلون عن ذكر الله تعالى وعن القرآن، فتنقض نظريتي شفاعة النبيّ ﷺ لأهل الكبائر، وعدم تخليد المسلم في النار. ولذلك فإن التأويل الذي أورده السمرقندي لا يستقيم، ويرمي إلى إخضاع آيات الله لنظريات البشر. غير أنّه للإنصاف فإنّه تنبغي الإشارة إلى أنّ تفاسير مدرسة أهل الحديث والنسخ أوردت روايات تُقرّ بأنّ دلالة الآية عامة، وتشمل كل من يغفل عن ذكر الله، ضمن روايات شتى. وهذه الطريقة سائدة في كتب التفسير بالمأثور حيث تذكر تلك الكتب مختلف الروايات في التفسير، ثم يُرجح المفسر الرأي الذي يخدم مدرسته أو فرقته، بل إنّه أحيانًا لا يفعل ويترك ذلك لفقهاء المدرسة، فيتولون ترجيح ما يخدم فكر مدرستهم من تلك الروايات. ولكن من جهة أخرى فإنّ الاعتراف بالدلالة العامة للآية ينقض النظريات المتعلقة بشفاعة النبيّ ﷺ، وعدم تخليد المسلم في النار، ذلك أنّ الله تعالى يقول في الآية الثانية: ﴿أَنَّكُمْ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾، فلا مجال للشفاعة ولا لعدم الخلود في النار.

15. تأويل آية ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾: أوّل أهلُ الحديث والنسخ الآية الثامنة عشرة من سورة الجن: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ على أنها تنصرف إلى المشركين تارة وإلى اليهود والنصارى تارة أخرى؛ حيث أورد القرطبي في الجامع لأحكام القرآن في معرض تفسيره للآية قوله: «الخامسة قوله تعالى: ﴿فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ هذا توبيخ للمشركين في

دعائهم مع الله غيره في المسجد الحرام. وقال مجاهد: كانت اليهود والنصارى إذا دخلوا كنائسهم وبِيَعهم أشركوا بالله، فأمر الله نبيّه والمؤمنين أن يخلصوا لله الدعوة إذا دخلوا المساجد كلها. يقول: فلا تشركوا فيها صنمًا وغيره مما يعبد. وقيل: المعنى أفرِدوا المساجد لذكر الله، ولا تتخذوها هزوًا وَمتّجرًا ومجلسًا، ولا طرقًا، ولا تجعلوا لغير الله فيها نصيبًا. وفي الصحيح: «من نَشَد ضالّة في المسجد فقولوا لا ردّها الله عليك فإن المساجد لم تُبْنَ لهذا». وقد مضى في سورة «النور» ما فيه كفاية من أحكام المساجد والحمد لله. كما أورد ابن كثير في تفسير القرآن العظيم في معرض تأويله للآية قوله: «وقال سعيد بن جبير: نزلت في أعضاء السجود، أي: هي لله، فلا تسجدوا بها لغيره. وذكروا عند هذا القول الحديث الصحيح من رواية عبد الله بن طاوس عن أبيه، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «أمرت أن أسجد على سبعة أعظم: على الجبهة ـ أشار بيده إلى أنفه ـ واليدين والركبتين وأطراف القدمين».

والتأويل خاطئ ذلك أنّ المخاطبين في الآية لا يتجاوزون فئتين: الأولى تشمل جميع الكتابيين أو كافة من وصلهم التنزيل، حين نعتبر دلالة المساجد على أنّها بيوت لعبادة الله تعالى، دون أنْ تقتصر على مساجد المسلمين من أتباع النبيّ محمد ﷺ. والفئة الثانية تقتصر على المسلمين من أتباع النبيّ محمد ﷺ، إذا اعتبرنا أنّ معابد اليهود والنصارى لا تسمى مساجد. ومن هناك فالمسلمون هم الأولى بالخطاب الإلهي، غير أنّ المتأوّلين أرادوا تنزيه المسلمين عن النقص وشبهات الشرك، والدعوة إلى غير الله تعالى في المساجد، حتى لا يصلهم طرف منه أو حتى لا يصل إلى من يتأولون من أجله. ذلك أنّ الذين يتضرعون للشفعاء صباح مساء بالمساجد وخارجها، حتى يشفعوا لهم يوم القيامة يدعون مع الله أحدًا، والذين يدعون للأئمة من أهل بيت علي رضي الله عنه يدعون مع الله أحدًا، والذين يدعون إلى أئمة مذاهبهم يدعون مع الله أحدًا، والذين كانوا يدعون إلى خلفاء بني أمية، ويلعنون أحفاد رسول الله ﷺ كانوا يدعون مع الله أحدًا، والذين يدعون إلى القادة والزعماء السياسيين اليوم يدعون مع الله أحدًا. ثم دعنا نتوقف عند حديث «السبعة أعظم» الذي نسبه ابن كثير لابن عباس، وهو ما يرمي، في تقديري، إلى تمييع دلالة

الآية، حتى يُصرف ذهن المتلقي عن الدعاء من فوق منابر المساجد لأهل الجاه والمال، فالصورة التي يحيل إليها حديث «السبعة أعظم» تخلو من المنبر والدعاء لغير الله تعالى.

ـ التأويلات المتعلقة بوعيد الله تعالى للذين حادوا عن دينه:

أوّل أهلُ الحديث والنسخ الآيات المتعلقة بوعيد الذين حادوا عن دين الله، على نحو يستبعد أنْ يكون المقصود بالوعيد المسلمين الذين حادوا عن دينه. والآيات هي:

1. تأويل الآية ﴿لَهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾: أوّل أهلُ الحديث والنسخ دلالة الآية الرابعة عشرة بعد المئة من سورة البقرة: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَآ أُوْلَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ لَهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ على أنّ الخزي في الدنيا يتحقق للكافرين بظهور المهدي؛ حيث أورد القرطبي في الجامع لأحكام القرآن في معرض تفسيره للآية «السابعة قوله تعالى: ﴿لَهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْيٌ﴾ قيل القَتْل للحربيّ، والْجزية للذِّمي؛ عن قتادة، عن السُّديّ: الخزْيُ لهم في الدنيا قيامُ المهديّ، وفتحُ عَمُّورِيّة ورُومِيَة وقُسْطَنْطِينية، وغير ذلك من مُدُنهم؛ على ما ذكرناه في كتاب التّذكرة. ومن جعلها في قريش جعل الخزي عليهم في الفتح، والعذاب في الآخرة لمن مات منهم كافرًا».

وهذا التأويل غير صحيح، فالآية لا تتجاوز أنْ تتوعد بالخزي من يمنع مساجد الله من أنْ يذكر فيها اسمه، والخزي ينصرف إلى الذلة والصغار، والآية وردت مطلقة ولا يوجد في الآية ما يفيد تقييدها. وتقييدها بالخزي للكافرين عند ظهور المهدي ـ الذي لم يخبرنا الله تعالى عن ظهوره ـ لا أساس له في كتاب الله، وقيّد البعض «من الموصولية» في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾ فجعلها تقتصر على النصارى، وقيّدها آخرون فجعلوها في بختنصر والبابليين، والأرجح أن تنصرف إلى إحدى دلالتين: الأولى دلالة عامة وتنصرف إلى كل من يمنع أماكن عبادة الله من أن يذكر فيها اسمه إذا أخذنا المساجد بدلالة

واسعة تنصرف إلى كافة الأماكن المخصصة لعبادة الله في الشرائع السماوية. بينما تنصرف الثانية إلى المسلمين من أتباع النبيّ محمد ﷺ، حين تقتصر دلالة المساجد على أماكن عبادتهم دون غيرهم. وقد يقول قائل كيف يمنع المسلم مساجد الله من أنْ يذكر فيها اسمه؟ غير أنّ الخبرة التاريخية تشير إلى منع بعض حكام المسلمين لمعارضيهم من الاحتماء بالمساجد وذكر الله فيها؛ حيث مُنع الخوارج والشيعة من استخدام المساجد من قبل خلفاء بني أمية وبني العباس، ومنع الأشاعرة من استخدام المساجد من قبل الحنابلة، ومنعت حركات الإسلام السياسي من استخدام المساجد من قبل الحكام العلمانيين، ومنع أتباع السلفية الجهادية من استخدام المساجد من قبل حكام آل سعود.

ويرمي الذين يقصرون دلالتها على ظهور المهدي أو على أهل الكتاب من اليهود والنصارى أو غيرهم إلى استبعاد المسلمين من أتباع النبيّ ﷺ أو من يتسمون بالمسلمين من الوعيد بالخزي والعذاب في الآية.

2. **تأويل الآية** ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟﴾: أوّل أهلُ الحديث والنسخ اسم الإشارة في الآية الثامنة والثمانين بعد المئة من سورة آل عمران: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ على أنّها تعني الذين فرحوا بمقعدهم خلاف النبي ﷺ عند خروجه للقتال؛ حيث أورد البخاري حديثًا نسبه إلى أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال فيه: «إنّ رجالًا من المنافقين على عهد رسول الله ﷺ كان إذا خرج رسول الله ﷺ إلى الغزو تخلفوا عنه وفرحوا بمقعدهم خلاف رسول الله ﷺ فإذا قدم رسول الله ﷺ اعتذروا إليه وحلفوا، وأحبوا أن يحمدوا بما لم يفعلوا، فنزلت ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ﴾ الآية». رواه البخاري، كتاب التفسير، باب ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ﴾.

والتأويل خاطئ، ذلك أنّ التخلف عن الغزو لا ينسجم وعبارة «بما أتوا»، فبماذا يمكن أن يفرح المخلفون عن الغزو؟ فالتعبير «بما أتوا» ينصرف إلى الذين كسبوا في دنياهم نعمة من نعم الدنيا، كالجاه أو المال أو غيرهما، والعرب لا يفرحون بالتخلف عن الغزو بل يخجلون منه، والفرح تنصرف دلالته

قرآنيًا إلى الفخر والغرور. ومن هناك فإنّ تأويل ﴿ٱلَّذِينَ يَفۡرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟﴾ بفرح المخلفين عن الغزو مع رسول الله ﷺ لا يستقيم. وكذلك لا يمدح العرب المتخلفين عن الغزو، فكيف يمكن أنْ يُحمد من تخلف عن الغزو؟ في مجتمع يعيّر من يتخلف عن الغزو قبل الإسلام، ويعيّر من يتخلف عن الجهاد بعده. ومن هناك فالأرجح أنْ تنصرف دلالة الآية إلى من يغتر بما كسب من خير في الدنيا، وينسب لنفسه فضلًا أو عملًا لم يقم به، حيث يمكن أنْ يكون قد قام به غيره، أو أنّ الله تعالى ساقه للمحتاج إليه من دون جهد منه، أو حتى بجهد منه غير أنّ الفضل فيه لله تعالى وليس له. وتأويله على هذا النحو، يجعل الدارسين للقرآن وتأويله يستبعدون انصراف دلالة الآية، إلى النخبة المسيطرة على المال والجاه زمن بني أمية وبني العباس، وعلى نحو خاص خلفاء بني أمية وبني العباس وعمالهم المولعين بالمديح، والذين أنفقوا أموال المسلمين على مادحيهم من الشعراء وغيرهم من المتملقين، والذين لا شك كانوا يمدحونهم بما لم يفعلوا. ولعل أحد الأدلة على صحة هذا الرأي ما أورده البخاري من حديث ابن أبي مليكة الذي قال فيه: «إنّ علقمة بن وقاص أخبره أن مروان قال لبوابه: اذهب لابن عباس فقل: لئن كان كل أمري فرحًا بما أوتي وأحب أن يحمد بما لم يعمل معذبًا لنعذبن أجمعون. فقال ابن عباس وما لكم ولهذه؟ إنما دعا النبيُّ ﷺ يهود فسألهم عن شيء، فكتموه إياه، وأخبروه بغيره فأروه أن قد استحمدوا إليه بما أخبروه عنه فيما سألهم وفرحوا بما أوتوا من كتمانهم. ثم قرأ ابن عباس﴿وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ كذلك حتى قوله: ﴿يَفۡرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحۡمَدُوا۟ بِمَا لَمۡ يَفۡعَلُوا۟﴾».

وهذه الرواية تُعدّ من أوضح الأدلة على تدخّل أهل الجاه زمن بني أمية وبني العباس في تأويل آيات الله بما يخدمهم. والأرجح عندي أنْ تكون كافة الأحاديث التي وردت فيها صيغة: أنّ هذه الآية حين نزلت اثقلت على الصحابة، وضاقوا ذرعًا بها، فسارعوا إلى النبيّ ﷺ لينجدهم بتأويل يطمئنهم، هي أحاديث موضوعة. وأنّ الآية أثقلت في الواقع على النخبة المسيطرة على المال والجاه زمن بني أمية وبني العباس، فكلفوا الوضّاعين أنّ يقولّوا أحد رواة الحديث من الصحابة حديثًا يضع لهم مخرجًا من ضيقهم بالآية، أو أنْ يصطنع

لهم رواية تتعلق بسبب نزول للآية فتخفي دلالتها الصحيحة وتقيد دلالتها بواقعة سبب النزول، فكانت الروايات والأحاديث التي نُسبت كذبًا للنبي ﷺ، ونَسبت الضيق إلى من لا يضيق ذرعًا بالوحي، أو لا يستطيع أنْ يعبّر عن ضيقه به والقرآن يتنزل على رسوله ﷺ، مخافة أنْ يتنزل قرآن يتلى عن ضيقهم بما أنزل الله تعالى، وكان الهدف من تلك الأحاديث الموضوعة التي تحوّر دلالة الآية، أو تختلق سببًا لنزول الآية يحرف دلالتها، ألّا يستنكر عامة المسلمين تناقض سلوك وأفعال تلك النخبة المسيطرة على المال والجاه مع القرآن.

ومن الواضح أنّ هذا التأويل خاطئ، ومبني على سبب نزول ملفّق فـ «الذين يفرحون» في الآية يفرحون بما أتوا، فما الذي أتوه المخلفون؟ في مجتمع تربى على الإعلاء من شأن الغزو والقتال، ويحتقر الذين يتخلفون عن الحروب، ثم هم يحبون أن يُحمدوا بما لم يفعلوا، فما الذي سيُحمدون عليه؟ هل يحبون على سبيل المثال أن يُقال عنهم: «ها هم المتخلفون عن الغزو»، أو أنْ يُقال عنهم بأنّهم ذهبوا للغزو وما كانوا من الذاهبين؟ إنّ الذي لا يشارك في الغزو في مجتمع عربي يحترف الغزو قبل الإسلام، لا سبيل إلى مدحه بالمشاركة في غزو لم يشارك فيه، ذلك أنّه سيكون موضع التندر من الناس وسيعلم الجميع بعدم مشاركته في الغزو، ولذلك فلا سبيل إلى مثل هذا المديح. ومن ثم فالتأويل يرمي إلى إبعاد القارىء عن الدلالة الحقيقية للآية، التي تنصرف دلالتها على الأرجح إلى أصحاب الجاه والمال، الذين تدّبج فيهم قصائد المديح بما فعلوا وما لم يفعلوا. ثم إنّ الفاعل الحقيقي للمكارم هو الله تعالى وليس أصحاب الجاه والمال، وحيث إنّ خلفاء بني أمية وبني العباس هم أكثر أصحاب الجاه والمال حبًّا للمديح، فهم من أفرغ خزائن بيت مال المسلمين على شعراء المديح. ومن ثم ضاقت صدورهم من دلالة الآية، كما دّلت الرواية آنفًا، فأوعزوا إلى الوضّاعين والمشتغلين بأسباب النزول، أنْ يحرّفوا دلالتها حتى لا تنطبق عليهم وعلى مادحيهم.

3. **تأويل الآية** ﴿وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾: أوّل أهلُ الحديث والنسخ «ضمير الغائبين» في الآية السبعين من سورة الأنعام: ﴿وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا

وَذَكِّرْ بِهِۦٓ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبْسِلُوا۟ بِمَا كَسَبُوا۟ ۖ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ﴾ على أنّه ينصرف إلى مشركي قريش واستهزائهم بالإسلام؛ حيث أورد الطبري في جامع البيان في معرض تفسيره للآية قوله: «أي لا تعلّق قلبك بهم فإنّهم أهل تعنُّت وإن كنت مأمورًا بوَعْظِهم. قال قتادة: هذا منسوخ، نسخه ﴿فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾[1]. ومعنى ﴿لَعِبًا وَلَهْوًا﴾ أي استهزاءً بالدين الذي دعوتهم إليه. وقيل: استهزؤوا بالدين الذي هم عليه فلم يعملوا به .والاستهزاء ليس مُسَوَّغًا في دين. وقيل: «لَعِبًا وَلَهْوًا» باطلًا وفرحًا، وقد تقدّم هذا». وقيل: المراد بالدِّين هنا العِيدُ. قال الكلبيّ: إن الله تعالى جعل لكل قوم عيدًا يعظمونه ويصلّون فيه لله تعالى، وكل قوم اتّخذوا عيدهم لعبًا ولهوًا إلا أمة محمد ﷺ، فإنّهم اتخذوه صلاة وذكرًا وحضورًا بالصدقة، مثل الجمعة والفطر والنحر. قوله تعالى: ﴿وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ أي لم يعلموا إلا ظاهرًا من الحياة الدنيا. قوله تعالى: ﴿وَذَكِّرْ بِهِۦٓ﴾ أي بالقرآن أو بالحساب. ﴿أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ﴾ أي تُرْتَهن وتُسلم للْهَلَكة؛ عن مجاهد وقتادة والحسن وعِكْرمة والسُّدِّي. والإبسال: تسليم المرء للهلاك؛ هذا هو المعروف في اللغة».

والتأويل خاطئ، ذلك أنّ الآية تقول ﴿ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ﴾، والمشركون لم يتخذوا من الإسلام دينًا لهم فدينهم الوثنية، ولا يعقل أن يتوعد الله تعالى الوثنيين عن اتخاذهم الأوثان لعبًا ولهوًا. وقد يقول قائل بأنّ الوعيد في الآية ينصرف للكفار؟ وذلك لقوله تعالى: ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ﴾ غير أنّ الله تعالى يعتبر الذين ينقضون عهد الله وميثاقه، والذين يتخذون دينهم لعبًا ولهوًا كفارًا، فالإيمان قرآنيًّا ما صدقه العمل، أمّا حين يتعهد المسلم بالسمع والطاعة ثم لا يسمع ولا يطيع فلا يعد عند الله مسلمًا. إنّ الآية تناقض نظريتي الشفاعة، وعدم خلود المسلم في النار إذ تقول: ﴿أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبْسِلُوا۟ بِمَا

(1) سورة التوبة، الآية: 5.

كَسَبُوا۟ۖ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ﴾، ولذلك شحذ أهل الحديث والنسخ كافة أسلحتهم لإبطال دلالة الآية، التي تنصرف إلى المسلمين الذين غرتهم الأماني، وقالوا كما قال اليهود «سيُغفر لنا» وطمعوا في القول بالشفاعة، والقول بعدم خلود المسلم في النار، فحاولوا تحريف دلالتها، ولما لم يطمئنوا لنجاعة ما قاموا به، قرروا إخفاء الآية، وذلك بإلحاقها بالآيات المنسوخة. أمّا القول بأنّ دلالة الدين تنصرف إلى العيد فقول متهافت ولا يحتاج منا إلى الوقوف عنده، ويرمي إلى التشويش عن الدلالة الحقيقية للآية.

4. **تـأويـل الآيـة** ﴿سَنَجْزِى ٱلَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْدِفُونَ﴾: أوّل أهلُ الحديث والنسخ ﴿ٱلَّذِينَ يَصْدِفُونَ﴾ في الآية السابعة والخمسين بعد المئة من سورة الأنعام: ﴿أَوْ تَقُولُوا۟ لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْۚ فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَاۗ سَنَجْزِى ٱلَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْدِفُونَ﴾ على أنّها تعني الذين أعرضوا عن آيات الله تعالى؛ حيث أورد الطبري في جامع البيان في معرض تفسيره للآية قوله: «القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَاۗ سَنَجْزِى ٱلَّذِينَ يَصْدِفُونَ﴾ يقول جلّ ثناؤه: فمن أخطأ فعلًا وأشدّ عدوانًا منكم أيها المشركون، المكذّبون بحجج الله وأدلته وهي آياته. ﴿وَصَدَفَ عَنْهَاۗ﴾ يقول: وأعرض عنها بعد ما أتته، فلم يؤمن بها ولم يصدّق بحقيقتها. وأخرج جلّ ثناؤه الخبر بقوله: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ مخرج الخبر عن الغائب، والمعنّي به المخاطبون به من مشركي قريش».

والتأويل لا يخلو من الصواب، ذلك أنّ دلالة الآية تنصرف إلى إحدى دلالتين: الأولى تنصرف إلى العرب جميعًا مشركيهم ومسلميهم على السواء، وفي هذه الحالة تنصرف دلالة «مَن كَذَّبَ بِآيَاتِ ٱللَّهِ» إلى المشركين حيث تنصرف إليهم صفة التكذيب. بينما تنصرف دلالة «وَصَدَفَ عَنْهَا» للذين أقبلوا على الإسلام ثم مالوا عن الحق وزاغوا عنه. والثانية تنصرف فحسب للذين آمنوا بآيات الله ثم زاغوا عنها، ذلك أنّ القرآن يعتبر من يزيغ عن الحق بعد إيمانه مكذبًا بآيات الله تعالى. وفي الحالتين تنصرف دلالة الآية للذين آمنوا ثم زاغت

قلوبهم عن الحق. ثم إن المقارنة بين العرب والذين أوتوا الكتاب من قبلهم كبني إسرائيل لا تستقيم حين تقتصر المقارنة بين بني إسرائيل ومشركي العرب دون مسلميهم فالمقارنة لها وجهان: الأول يتعلق بمدى قبولهم التنزيل وأتباع الرسل. والثاني مدى تمسكهم بالتنزيل بعد اتباعهم الرسل ودخولهم في عهد الله وميثاقه. والتأويل أعلاه أراد قصر دلالة الآية على الوجه الأول حتى لا تنصرف للذين نقضوا عهد الله وميثاقه وزاغوا عن التنزيل وهم يدعون بأنّهم مسلمون. ويرمي هذا التأويل إلى قصر دلالة الآية على مشركي قريش، دون «الذين صدفوا عن آيات الله» وهم يقولون بأنهم مسلمون، فدلالة «صدفَ» تعني انصرف ومال وحاد، وهي تشمل الذين أسلموا ثم مالوا عن الحق وعن آيات الله تعالى، وقوله تعالى في بداية الآية ﴿لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ﴾ يؤكد ما ذهبنا إليه، فقوله تعالى على لسان العرب أو المسلمين: ﴿لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ﴾ لا تقتصر على مسألة الدخول في الإسلام من عدمه بل تنصرف إلى: إلى أي مدى يلتزم من آمن منهم بعهد الله وميثاقه؟ أو يقلد أهل الكتاب من اليهود والنصارى؟ في الكذب على الله، وتحريف الكلم عن مواضعه، وإخفاء بعض آيات الذكر الحكيم بادعاء نسخه ، وما إلى ذلك من أفعال، تحول دون أنّ يكونوا أهدى من اليهود والنصارى. ولا يعني هنا أنّنا نقصر دلالة الآية على الذين أسلموا ثم مالوا عن الحق، غير أنّه لا ينبغي قصر دلالتها على مشركي قريش.

وتأويل الآية على النحو الذي أورده جلّ المفسرين بالمأثور، يضعنا أمام أحد احتمالين: الأول الغفلة عن إمكانية أنْ تنصرف دلالة الآية إلى الذين يصدفون عن آيات الله تعالى وهم يقولون بأنّهم مسلمون. الثاني تعمّد أنْ تصرف دلالة الآية عن هؤلاء الذين مالوا عن الحق وزاغوا عنه بعد إيمانهم. وهو ديدن المتأوّلين من أهل الحديث والنسخ الذين تتبعوا آيات الوعيد بالعذاب في القرآن، ليصرفوا دلالتها عن المسلمين. حتى لا يتسرب للمتلقين أي شك في نظريتي الشفاعة وعدم خلود المسلم في النار. ومن هناك فإنّه لا بدّ للمتأوّلين من صرف سوء العذاب في الآية وأينما ورد بعيدًا عن المسلمين.

5. **تأويل الآية** ﴿مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا﴾: أوّل أهل الحديث والنسخ «من الموصولية» في الآية المئة من سورة طه: ﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ

عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿99﴾ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا﴾ على أنّها تعود على من لم يصدق بالقرآن ولم يقر بكونه من عند الله؛ حيث أورد الطبري في جامع البيان في معرض تفسيره للآية قوله: «وقوله: ﴿وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا﴾ يقول تعالى ذكره لمحمد ﷺ: وقد آتيناك يا محمد من عندنا ذكرًا يَتذكر به، ويتعظ به أهل العقل والفهم، وهو هذا القرآن الذي أنزله الله عليه، فجعله ذكرى للعالمين. وقوله ﴿مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ﴾ يقول تعالى ذكره: من ولّى عنه فأدبر فلم يصدّق به ولم يقرّ، ﴿فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا﴾ يقول: فإنّه يأتي ربه يوم القيامة يحمل حملًا ثقيلًا، وذلك الإثم العظيم».

والتأويل خاطئ، ذلك أنّ إحدى دلالات الإعراض عن الشيء هو الميل عنه وتركه، ثم حتى لو كانت دلالة الإعراض هي النبذ وراء الظهر، فلقد وصف الله تعالى أهل الكتاب بأنّهم نبذوا كتابهم وراء ظهورهم، وهو ما يعني ترك العمل به، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾[1]. ومن هناك فالآية لا تقتصر دلالتها على من كفر بالقرآن، ولم يدخل الإسلام عند نزوله على محمد ﷺ، بل تنصرف دلالتها أيضًا إلى المسلمين الذين هجروا القرآن إلى أقوال الرواة، وأقوال الأئمة والفقهاء، واحتكموا لغير كتاب الله عند الاختلاف فاحتكموا للرجال من دونه.

كما منح أهل الحديث والنسخ «الظالمين لأنفسهم» في الآية الثانية والثلاثين من سورة فاطر: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ﴾، صك غفران وقرروا أنهم سيدخلون الجنّة، وهذا ما قررته الروايات التي أوردها الطبري في جامع البيان: «حدثنا عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ﴾ إلى قوله: ﴿ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ﴾ هم أمة محمد ﷺ، ورّثهم الله كل كتاب أنزله، فظالمهم يغفر له، ومقتصدهم يحاسب حسابًا يسيرًا، وسابقهم

---

(1) سورة آل عمران، الآية: 187.

يدخل الجنة بغير حساب. حدثنا ابن حميد، قال: ثنا الحكم بن بشير، قال: ثنا عمرو بن قيس، عن عبد الله بن عيسى، عن يزيد بن الحارث، عن شقيق، عن أبي وائل، عن عبد الله بن مسعود أنه قال: هذه الأمة ثلاثة أثلاث يوم القيامة: ثلث يدخلون الجنة بغير حساب، وثلث يحاسبون حسابًا يسيرًا، وثلث يجيئون بذنوب عظام، حتى يقول: ما هؤلاء؟ وهو أعلم تبارك وتعالى، فتقول الملائكة: هؤلاء جاؤوا بذنوب عظام إلّا أنّهم لم يُشركوا بك، فيقول الربّ: أدخلوا هؤلاء في سعة رحمتي. وتلا عبد الله هذه الآية: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾».

وهذا القول خاطئ، ذلك أنّ منح أهل الحديث والنسخ لأتباع مدرستهم صكوك غفران لا دليل عليه من القرآن، فلم ترد في القرآن أية آية تمنح الظالمين غفرانًا من الله، دون اشتراط توبتهم ورجوعهم عن ظلمهم قبل الموت، أو قبل أن يحل عليهم عذاب الله في الدنيا. ومن هناك فهذا التأويل يُخضع الآية لنظريات البشر، المتعلقة بالشفاعة وعدم خلود المسلم في النّار. وهو ما يؤدي إلى قصر الإسلام على التلفظ بالشهادتين، ويفصل الجزاء عن العمل وهو قول غير صائب، فالإيمان مقرون بطاعة الله تعالى ورسوله ﷺ والتقيد بأوامر الله ونواهيه، وعدم تجاوز حدوده. ولم يعد الله تعالى بالغفران ولا بالجنة أولئك الذين يرتكبون الآثام والذنوب، وهم يعلمون حدود الله وأوامره ونواهيه، وماتوا قبل أن يتوبوا، كما يدعي أهل الحديث والنسخ. بل توعّدهم بالعذاب وسوء العاقبة، ذلك أنّهم نقضوا عهد الله وميثاقه، بعصيانهم لله ورسوله ﷺ، فأخلوا بشروط الإسلام .ثم **إنّ القول المنسوب للملائكة عن الذين جاؤوا بذنوب عظام غير أنّهم لم يشركوا بربهم، قول لا يستقيم؛ فالذي يطيع الشيطان وهوى نفسه، فينقض عهد الله وميثاقه، ويعصي الله ورسوله مشرك بربه بالضرورة وفقًا للقرآن، غير أنّ الذين يحتكمون للرواة وينبذون القرآن وراء ظهورهم لا يخرجونهم من دائرة الشرك فحسب، بل يجعلونهم ممن يدخلون الجنة بشفاعة النبيّ ﷺ.**

أما الروايتان المنسوبتان لابن عباس وعبد الله بن مسعود أعلاه فلا تستقيمان، وذلك لتعارضهما مع القرآن، والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿فَلَا يُجْزَى

ٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾[1]، ويقول أيضًا: ﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾[2].

6. **تأويل الآية** ﴿وَٱلَّذِينَ يَمۡكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۖ وَمَكۡرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾: أوّل أهلُ الحديث والنسخ «اسم الإشارة» في الآية العاشرة من سورة فاطر: ﴿وَٱلَّذِينَ يَمۡكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۖ وَمَكۡرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾ على أنّه ينصرف إلى أهل الشرك؛ حيث أورد الطبري في جامع البيان قوله: «حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثني سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يَمۡكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۖ﴾ قال: هؤلاء أهل الشرك. وقوله: ﴿وَمَكۡرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾ يقول: وعمل هؤلاء المشركين يَبور، فيبطُل فيذهب، لأنه لم يكن لله، فلم ينفع عامله.

والتأويل خاطئ، ذلك أنّ المشرك غير معني بتصنيف الأعمال إلى حسنات وسيئات، ذلك أنّ شركه يجعل عمله خارج دائرة التقييم أو التقويم، فعمله لا يقبل منه سواء كان حسنًا أو سيئًا. ومن ثم فالذي يمكر السيئات هو المسلم الذي يرتكب السيئات ويقول بأنّه سيُغفر له: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٞ وَرِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَأۡخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلۡأَدۡنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغۡفَرُ لَنَا﴾[3]، وقد تنصرف دلالتها إلى الذي يعتدي على حقوق غيره ويذود عن حقوقه، فيكيل بمكيالين وذلك مكره الذي سيجعله الله تعالى يبور، أي حين يعاقبه في الدنيا قبل الآخرة؛ فيسلط عليه من يعتدي على حقوقه، بالقدر الذي اعتدى فيه على حقوق غيره، وهو ما سيجعل مكره يبور. أمّا التأويل الذي أورده الطبري فيهدف إلى تطويع الآية إلى نظريتي الشفاعة وعدم خلود المسلم في النار، فالعذاب الشديد وفقًا للنظريتين من نصيب غير المسلمين، ومدرسة أهل الحديث والنسخ تفصل بين القول والعمل في تعريفها للمسلم وإن أدعت خلاف ذلك، فلا تشترط على المسلم طاعة الله ورسوله ﷺ ليدخل الجنة، فالمسلم وفقًا لها يتسع لمن اكتفى

---

(1) سورة القصص، الآية: 84.

(2) سورة الرعد، الآية: 25.

(3) سورة الأعراف، الآية: 169.

بالتلفظ بالشهادتين وقال إنّه مسلم. فحين ترى المدرسة بأنّ الذين يتجاوزون حدود الله، وينقضون عهده وميثاقه، ويرتكبون الكبائر دون أنْ يتوبوا يستحقون الشفاعة، وسيخرجون من النار بشفاعة النبيّ ﷺ، فهي تناقض قولها بأنّ الإيمان قول وعمل.

7. تأويل الآية ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾: أوّل أهلُ الحديث والنسخ «الظالمين» في الآية الثامنة عشرة من سورة غافر: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ على أنّها تعني الكافرين، حيث ذكر الطبري في جامع البيان في معرض تفسيره للآية قوله: «وقوله: ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ﴾ يقول جلّ ثناؤه: ما للكافرين بالله يومئذ من حميم يحم لهم، فيدفع عنهم عظيم ما نزل بهم من عذاب الله، ولا شفيع يشفع لهم عند ربهم فيطاع فيما شفع، ويُجاب فيما سأل. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل».

والتأويل خاطئ، ذلك أنّ «الظالمين» وردت مطلقة، وحين ترد مطلقة دون تقييد فهي تشمل كافة الظالمين، سواءً الذين ظلموا أنفسهم أو الذين ظلموا غيرهم. والظالمون لأنفسهم هم الذين أشركوا وتجاوزوا حدود الله، بينما تنصرف الظالمون لغيرهم إلى الذين طغوا في الأرض وتعدوا على حقوق العباد، حتى لو كانوا مسلمين أو تسمّوا بالمسلمين. ثم إنّ السؤال الذي يتبادر إلى الذهن هنا هل المسلمون لا يحتاجون إلى من ينذرهم ويعظهم فيقتصر الإنذار في الآية على الكافرين؟ لا شك بأنّ الطرفين في أشدّ الحاجة إلى الإنذار والوعظ. غير أنّ المتأوّلين أرادوا قصرها على الكفار والمشركين حتى لا تناقض دلالة الآية نظريتي الشفاعة وعدم خلود المسلم في النار.

8. تأويل الآية ﴿لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾: أوّل أهلُ الحديث والنسخ من الموصولية في الآية السابعة عشرة من سورة الجن: ﴿لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾ على أنّها تنصرف إلى من يُعرِض عن توحيد ربّه، ويكفر بمحمد ﷺ والقرآن؛ حيث أورد السمرقندي في بحر العلوم: «ثم قال: ﴿وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ﴾ يعني: توحيد ربه ويقال: يكفر بمحمد ـ ﷺ ـ والقرآن ﴿يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾ يعني يكلفه

الصعود على جبل أملس، وقال مقاتل (عذابًا صعدًا) أي شدة العذاب وقال القتبي: يعني: شاقًا وقال قتادة صعودًا من عذاب الله تعالى لا راحة فيه».

والتأويل خاطئ، ذلك أنّ الإعراض عن ذكر الله تعالى لا تنصرف دلالته إلى الإعراض عن رسالة الإسلام برمتها، بل تنصرف إلى الإعراض عن تلاوة كتاب الله وتدبر معانيه، وتسبيحه وتعظيمه تعالى، وكذلك الإعراض عن اتباع أوامره ونواهيه. ثم إنّ الآية التالية للآية موضع البحث تتحدث عن ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾، وهي بذلك تحذرنا من استخدام المساجد للدعوة للرجال من زعماء سياسين وأئمة مذاهب وغيرهم، وهو صنف من أصناف الإعراض عن ذكر الله، وهو ما يجري في دنيا المسلمين للأسف منذ الفتنة الكبرى وإلى اليوم. غير أنّ المتأوّلين أرادوا تبرئة ساحة المسلمين من الإعراض عن ذكر الله، ذلك أنّه تعالى سيسلك هؤلاء عذابًا صعدًا، وهو ما يناقض نظريتي الشفاعة وعدم خلود المسلم في النار.

خاتمة المبحث:

جدول رقم (1 ـ 14 ـ ب)

التأويلات المتعلقة بالذين حادوا عن دين الله:

الكَلِم	الدلالة المحرّفة	الدلالة الأصلية
﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾	غير اليهود ولا النصارى.	غير الذين ينالهم غضب الله ولا الذين يضلون عن سبيله.
﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾	كفار أهل الكتاب والمنافقون والحرورية ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك هم الخاسرون.	الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه «على إطلاقهم» ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك هم الخاسرون.
﴿فَمَنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾	فمن يكذب على الله من اليهود بعد ذلك فأولئك هم الظالمون.	فمن يكذب على الله «على الإطلاق» بعد ذلك فأولئك هم الظالمون.

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾	وما محمد إلّا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل في أحد انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئًا وسيجزي الله الشاكرين.	وما محمد إلّا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئًا وسيجزي الله الشاكرين.
﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾	ومن لم يحكم بما أنزل الله من أهل التوراة أو من منكري القرآن فأولئك هم الكافرون.	والذي لم يحكم بما أنزل الله «على إطلاقهم» فأولئك هم الكافرون.
﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾	ومن لم يحكم بما أنزل الله من أهل التوراة أو من منكري القرآن فأولئك هم الظالمون.	والذي لم يحكم بما أنزل الله «على إطلاقهم» فأولئك هم الظالمون.
﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾	ومن لم يحكم بما أنزل الله من أهل الإنجيل أو من منكري القرآن فأولئك هم الفاسقون.	والذي لم يحكم بما أنزل الله «على إطلاقهم» فأولئك هم الفاسقون.
﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾	هل ينظرون إلّا تأويله يوم يأتي تأويله يقول الذين أعرضوا عنه وأنكروه من قبل قد جاءت رسل ربّنا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا أو نردّ فنعمل غير الذي كنّا نعمل قد خسروا أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون.	هل ينظرون إلّا تأويله يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربّنا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا أو نردّ فنعمل غير الذي كنّا نعمل قد خسروا أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون.
﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾	ذلك بأنّ المشركين قد استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة وأنّ الله لا يهدي القوم الكافرين.	ذلك بأنّ الذين كفروا بعد إيمانهم قد استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة وأنّ الله لا يهدي القوم الكافرين.
﴿وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾	وخضعت الوجوه للحيّ القيوم وقد خاب من حمل شركًا.	وخضعت الوجوه للحيّ القيوم وقد خاب من حمل ظلمًا لنفسه أو للعباد.
﴿وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُو۟لَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾	والذين يمكرون السيئات من أهل الشرك لهم عذاب شديد ومكرهم يبور.	والذين يمكرون السيئات «على إطلاقهم» لهم عذاب شديد ومكرهم يبور.

﴿وَٱللَّهُ يَقۡضِي بِٱلۡحَقِّۖ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقۡضُونَ بِشَيۡءٍۗ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾	والله يقضي بالحق والذين يدعون الأوثان لا يقضون بشيء إنّ الله هو السميع البصير.	والله يقضي بالحق والذين يدعون من دونه «على إطلاقهم» لا يقضون بشيء إنّ الله هو السميع البصير.
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخۡفَوۡنَ عَلَيۡنَآۗ أَفَمَن يُلۡقَىٰ فِي ٱلنَّارِ خَيۡرٌ أَم مَّن يَأۡتِيٓ ءَامِنٗا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ﴾	إنّ الذين يكذبّون بآياتنا لا يخفون علينا أفمن يلقى في النّار خير أم من يأتي آمنًا يوم القيامة اعملوا ما شئتم إنّه بما تعملون بصير .	إنّ الذين يميلون عن آياتنا ويزيغون عنها لا يخفون علينا أفمن يلقى في النّار خير أم من يأتي آمنا يوم القيامة اعملوا ما شئتم إنّه بما تعملون بصير .
﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيۡهِمۡ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِوَكِيلٖ﴾	وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا من المشركين مِنْ دُونِ اللّهِ آلهة يعبدونها اللّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ.	وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا أولياء يطيعونهم ويتولونهم مِنْ دُونِ اللّهِ «على إطلاقهم» اللّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ.
﴿وَجَعَلُواْ لَهُۥ مِنۡ عِبَادِهِۦ جُزۡءًاۚ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَكَفُورٞ مُّبِينٌ﴾	وجعل المشركون له من عباده جزءًا إنّ الإنسان لكفور مبين.	وجعل له النّاس «على إطلاقهم» من عباده جزءًا إنّ الإنسان لكفور مبين.
﴿وَمَن يَعۡشُ عَن ذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ نُقَيِّضۡ لَهُۥ شَيۡطَٰنٗا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٞ (36) وَإِنَّهُمۡ لَيَصُدُّونَهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحۡسَبُونَ أَنَّهُم مُّهۡتَدُونَ﴾	ومن لا يؤمن بما أنزل الله ويعرض عنه نُقيّض له شيطانًا فهو له قرين وإنّهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون.	ومن يغفل عن ذكر الله نُقيّض له شيطانًا فهو له قرين وإنّهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون.
﴿وَأَنَّ ٱلۡمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا﴾	وأنّ المساجد لله فلا تدعوا أيها اليهود والنصارى مع الله أحدًا.	وأنّ المساجد لله فلا تدعوا أيها الساجدون «على إطلاقهم» مع الله أحدًا.

تابع جدول رقم (1 ـ 14 ـ ب)

ـ التأويلات المتعلقة بوعيد الله تعالى للذين حادوا عن دينه:

الكَلِم	الدلالة المحرّفة	الدلالة الأصلية
﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾	ومن أظلم من المشركين الذين منعوا مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعوا في خرابها أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلّا خائفين لهم في الدنيا حين يقوم المهدي خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم.	ومن أظلم من الذين منعوا مساجد الله «على إطلاقهم» أن يذكر فيها اسمه وسعوا في خرابها أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلّا خائفين لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم.
﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾	لا تحسبن الذين فرحوا بمقعدهم خلاف النبي ﷺ عند خروجه للقتال ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب أليم.	لا تحسبن الذين يغترون بما كسبوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب أليم.
﴿وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ وَذَكِّرْ بِهِۦٓ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبْسِلُوا۟ بِمَا كَسَبُوا۟ ۖ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ﴾	وذر المشركين الذين اتخذوا دينهم لعبًا ولهوًا وغرتهم الحياة الدنيا وذكر به، أن تهلك نفس بما كسبت ليس لها من دون الله وليٌّ ولا شفيعٌ، وإن تعدل كل عدل لا يؤخذ منها، أولئك الذين هلكوا بما كسبوا، لهم شراب من حميم، وعذاب أليم بما كانوا يكفرون.	وذر الذين اتخذوا دينهم لعبًا ولهوًا «من المسلمين» وغرتهم الحياة الدنيا وذكر به أن تهلك نفس بما كسبت ليس لها من دون الله وليٌّ ولا شفيعٌ وإن تعدل كل عدل لا يؤخذ منها أولئك الذين هلكوا بما كسبوا لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون.
﴿أَوْ تَقُولُوا۟ لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ ۚ فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ ۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا ۗ سَنَجْزِى ٱلَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْدِفُونَ﴾	أو تقولوا لو أنّا أُنزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم فقد جاءتكم بيّنة من ربكم وهدى ورحمة فمن أظلم ممن كذّب بآيات الله وأعرض عنها سنجزي الذين يعرضون عن آياتنا سوء العذاب بما كانوا يعرضون.	أو تقولوا لو أنّا أُنزل علينا الكتاب لكنّا أهدى منهم، فقد جاءتكم بيّنة من ربكم وهدى ورحمة، فمن أظلم ممن كذّب بآيات الله وزاغ عنها، سنجزي الذين يزيغون عن آياتنا سوء العذاب بما كانوا يزيغون.

﴿وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا﴾ ﴿مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا﴾	وقد آتيناك من لدنّا ذكرًا، من كذّب به يحمل يوم القيامة وزرًا.	وقد آتيناك من لدنّا ذكرًا، من كذّب به أو نبذه وراء ظهره يحمل يوم القيامة وزرًا.
﴿وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَمَكْرُ أُو۟لَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾	والمشركون الذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد ومكرهم يبور.	والذين يمكرون السيئات «على إطلاقهم» لهم عذاب شديد ومكرهم يبور.
﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْـَٔازِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ ۚ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾	وأنذر الكافرين يوم الأزفة إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين ما للكافرين بالله يومئذ من حميم ولا شفيعٍ يُطاع.	وأنذرهم «جميعًا مسلمين ومشركين» يوم الأزفة إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين ما للظالمين لأنفسهم وللعباد يومئذ من حميم ولا شفيعٍ يُطاع.
﴿وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾	ومن يعرض عن توحيد ربّه يسلكه عذابًا صعدًا.	ومن يعرض عن ذكر ربّه «على إطلاقه» يسلكه عذابًا صعدًا.

التعليق:

جهد المتأوّلون من أهل الحديث والنسخ على نسب كل مكرمة للمسلمين من أتباع النبيّ محمد ﷺ، غير أنّهم وعلى طريقة الشاعر اللبناني سعيد عقل، الذي يختزل العالم في لبنان، ويختزل لبنان في زحلة ويختزل زحلة في سعيد عقل، فهم يختزلون المسلمين في أهل الحديث والنسخ «أهل السُّنة والجماعة». فالمسلمون والذين هم «أهل السُّنة والجماعة» وفق مدرسة أهل الحديث والنسخ، منذ الفتنة الكبرى وحتى اليوم هم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها، وهم خير أمة أخرجت للناس! ولا تزال منهم أمة ظاهرة على الحق لا يضيرهم من ضلّ! كما جهدوا على إلصاق كل نقيصة وردت في القرآن بغيرهم كاليهود والنصارى، أو أهل البدعة والضلالة.

وعلى ضوء ذلك أوّلت الآيات التي تضمنها الجدول الأول، والمتعلقة بالذين حادوا عن دين الله تعالى، على نحو يستبعد أن تنصرف دلالتها إلى المسلمين أو بمعنى أدق «أهل الحديث والنسخ»؛ حيث أوّلت دلالة «المغضوب عليهم» في الآية السابعة من سورة الفاتحة على أنّها تنصرف إلى اليهود وتقتصر

عليهم، وأنّ دلالة «الضالين» تنصرف إلى النصارى وتقتصر عليهم، في الوقت الذي تنصرف فيه دلالتهما إلى كل من نال غضب الله تعالى أو ضلّ عن السبيل السوي. وأوّل «اسم الموصول» في الآية السابعة والعشرين من سورة البقرة على أنّه ينصرف إلى أهل الكتب السابقة تارة وإلى الخوارج الحرورية تارة أخرى، بينما تنصرف دلالته إلى كل من آمن ثم نقض عهد الله وميثاقه سواء بعصيان الله ورسوله، أو بالكذب عليهما، أو بكتمان بعض آيات القرآن بادعاء نسخها، أو تحريف دلالاتها لإخضاعها لنظريات البشر ومعتقداتهم، وما إلى ذلك من آثام تنقض عهد الله وميثاقه. كما أوّلت الآية السابعة والعشرون من نفس السورة على أنها تنصرف إلى اليهود، غير أنّ الآية تستخدم صيغة «من بعد ذلك» وهي صيغة مطلقة وتنصرف إلى كل من افتراء على الله من بعد اليهود، وهو ما يجعلها تنصرف إلى المسلمين وإن لم تقتصر عليهم.

كما أوّلت الآية الرابعة والأربعون بعد المئة من سورة آل عمران على أنها تنصرف إلى تولي بعض المسلمين يوم الزحف حين هزم المسلمون في «موقعة أحد»، وأشيع بأنّ النبيّ ﷺ قد قُتل، وتقتصر عليهم وهذا قول يجانبه الصواب ويناقض القول بشفاعة النبيّ في أهل الكبائر من المسلمين. وأوّلت الآيتان الرابعة والأربعون والخامسة والأربعون من سورة المائدة على أنّها لا تشمل من فعل ذلك من المسلمين، إلا إذا فعل ذلك إنكارًا للقرآن. وهو قول لا يستقيم فالوعيد للمنكر للقرآن ليس موضعه هذه الآية بل تعنى به آيات الوعيد للكافرين. وأوّلت دلالة ﴿ٱلَّذِينَ نَسُوهُ﴾ في الآية الثالثة والخمسون من سورة الأعراف على أنّها تنصرف إلى الذين أعرضوا عن الذكر، حتى تنصرف للكفار والمشركين من دون المسلمين، بينما الإعراض غير النسيان؛ فالإعراض ينصرف إلى المكذّب أو الجاحد، في حين ينصرف النسيان لمن تعهد ثم نسي أن ينجز ما وعد.

وأوّل «ضمير الغائبين» في الآية السابعة بعد المئة من سورة النحل على أنّه يعود على المشركين، بينما تنصرف الآية لكل من استحب الحياة الدنيا على الآخرة وإن كان يُحسب في عداد المسلمين. كما أوّل من حمل ظلمًا في الآية الحادية عشرة بعد المئة من سورة طه على أنّه الشرك بالله، في حين لا يقتصر

الظلم على ظلم النفس الذي هو الشرك، بل يشتمل على ظلم العباد بالاعتداء على حقوقهم وأموالهم. وأوّل «اسم الموصول» في الآية العاشرة من سورة غافر على أنّه ينصرف إلى أهل الشرك، غير أنّ المشرك لا يُعنى الله تعالى بتصنيف أعماله إلى حسنات وسيئات، حيث يُستبعد عمل المشرك عن القياس والوزن يوم القيامة بسبب شركه، ومن ثم فإنّ الذي يمكر السيئات في الآية هو المسلم الذي يرتكب السيئات ويقول بأنّه سيُغفر له.

وأوّل «اسم الإشارة» في الآية العشرين من نفس السورة على أنّه ينصرف للأوثان والآلهة، غير أنّ الذين من دونه تتسع لتشمل كل من دُعي من دون الله تعالى، بما في ذلك من قيل بأنّهم الشفعاء كالنبيّ ﷺ والأوصياء، وكذلك أئمة وفقهاء المذاهب والمحدثون الذين يُحتكم لهم من دون الله تعالى. وأوّل ﴿ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا﴾ في الآية الأربعين من سورة فصلت على أنّهم الذين يكفرون بها، والإلحاد لغة ينصرف إلى الميل والانحراف وليس الكفر والجحود ومن ثم لا ينبغي قصرها على الكافرين والجاحدين. وأوّل «اسم الإشارة» في الآية السادسة من سورة الشورى على أنّه ينصرف للذين أشركوا من قوم محمد ﷺ، غير أنّ الذين من دونه تتسع لتشمل كل من اتّخذ ربًّا من دون الله تعالى بما في ذلك الشفعاء والأوصياء، والمحدثون وأئمة وفقهاء المذاهب وغيرهم. كما أوّل «جزءًا» في الآية الخامسة عشرة من سورة الزخرف على أنّه عدل وند لله تعالى، غير أنّ دلالة الجزء تتسع لتشمل الذين قالوا بأنّ الله تعالى يُفضلهم على العالمين.

وأوّلت الآيتان السادسة والثلاثون والتاسعة والثلاثون من سورة الزخرف على أنّهما يقتصران في دلالتهما على غير المسلمين، بينما الغفلة عن ذكر الله سمة يشترك فيها أهل الكتاب جميعًا، بمن فيهم المسلمون من أتباع النبيّ محمد ﷺ. وأوّلت الآية الثامنة عشرة من سورة الجن على أنّها تنصرف لليهود والنصارى، رغم أنّ معابد اليهود والنصارى لا تسمى مساجد، وحتى إن سلّمنا بأنّهم قد يكونون معنيين بدلالة الآية، فإنّ الآية تنصرف إلى المسلمين من أتباع النبيّ محمد ﷺ في المقام الأول. وهكذا فإنّ الذين حادوا عن دين الله تعالى، هم جميعًا، وفقًا للمتأوّلين من مدرسة أهل الحديث والنسخ، من غير المسلمين

أو من المرتدين جليًّا عن الإسلام، أو من أهل البدعة والضلالة، على طريقة «إنّ الشيطان ليس أنا».

كما أوّلت الآيات التي تضمنها الجدول الثاني على نحو يستبعد أنْ ينصرف الوعيد في الآيات إلى المسلمين ـ من أتباع النبيّ محمد ﷺ ـ الذين حادوا عن دين الله تعالى، حيث أوّلت دلالة الآية الرابعة عشرة بعد المئة من سورة البقرة على أنّ الخزي في الدنيا يلحق بمن يخالفون الإمام المهدي، وهو تأويل ما أنزل الله به من سلطان، فالآية وردت مطلقة، وتتوعد بالخزي من يمنع مساجد الله من أن يذكر فيها اسم الله، أينما كان وحيث ما كان. كما أوّل اسم الإشارة في الآية الثامنة والثمانين بعد المئة من سورة آل عمران على أنّها تنصرف إلى الذين فرحوا بمقعدهم خلاف النبي ﷺ عند خروجه للقتال، غير أنّ التعبير ﴿بِمَآ أُوتَوا۟﴾ ينصرف إلى الذين أوتوا نعمة من نعم الدنيا، كالجاه أو المال، والعرب لا يفرحون بالتخلف عن الغزو بل يخجلون منه. ومن هناك فالأرجح أنْ تنصرف دلالة الآية إلى من ينسب لنفسه فضلًا أو عملًا لم يقم به، حيث يمكن أنْ يكون قد قام به غيره، أو إنّ الله تعالى ساقه للمحتاج إليه من دون جهد منه، أو حتى بجهد منه غير أنّ الفضل فيه لله تعالى وليس له. وأوّلت الآية السبعين من سورة الأنعام على أنّها تعني استهزاء مشركي قريش بالإسلام، غير أنّ قول الله تعالى ﴿ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ﴾، يُخرج المشركين من دلالة الآية، فالمشركون لم يتخذوا من الإسلام دينًا لهم فدينهم الوثنية، والآية السادسة من سورة «الكافرون» تقول: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ﴾.

كما أوّلت دلالة ﴿ٱلَّذِينَ يَصْدِفُونَ﴾ في الآية السابعة والخمسين بعد المئة من سورة الأنعام على أنّها تعني الذين أعرضوا عن آيات الله تعالى، غير أنّ دلالة الآية تنصرف إلى العرب جميعًا مشركيهم ومسلميهم على السواء، فالمشركون هم الذين تنصرف إليهم صفة التكذيب ﴿مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ﴾، بينما تنصرف دلالة ﴿وَصَدَفَ عَنْهَا﴾ للذين أقبلوا على الإسلام ثم مالوا عن الحق وزاغوا عنه. ويرمي هذا التأويل إلى قصر دلالة الآية على مشركي قريش دون «الذين صدفوا عن آيات الله» وهم يقولون بأنّهم مسلمون. كذلك أُوّلت «من الموصولية» في الآية المئة من سورة طه على أنّها تعود على من لم يصدّق

بالقرآن، ولم يُقرّ بكونه من عند الله تعالى، وعلى الرغم من أنّ الإعراض لا يقتصر على التكذيب بل ينصرف إلى الميل والترك، فإنّه حتى إذا أخذناه بدلالة الترك فإنّ الله تعالى قد توّعد أهل الكتاب من اليهود والنصارى لنبذهم ما أنزل الله وراء ظهورهم، وهو ما قد تنصرف إليه دلالة الآية. ومنحت مدرسة أهل الحديث والنسخ «الظالمين لأنفسهم» في الآية الثانية والثلاثين من سورة فاطر صك غفران وقررت أنّهم سيدخلون الجنّة، وهذا القول خاطئ، ذلك أنّه لا دليل عليه من القرآن، فلم ترد في القرآن أية آية تمنح «الظالمين لأنفسهم» والتي تنصرف إلى الشرك غفرانًا من الله، دون اشتراط توبتهم ورجوعهم عن ظلمهم قبل الموت، أو قبل أنْ يحل عذاب الله بهم في الدنيا.

وأُوّل «اسم الإشارة» في الآية العاشرة من سورة فاطر على أنّه ينصرف إلى أهل الشرك، غير أنّ المشرك غير معني بتصنيف الأعمال إلى حسنات وسيئات، ذلك أنّ شركه يجعل عمله خارج دائرة الوزن يوم القيامة، فعمله لا يقبل منه سواء كان حسنًا أو سيئًا. ومن ثم فالذي يمكر السيئات هو المسلم الذي يرتكب السيئات ويقول بأنّه سيُغفر له. وأُوّل ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ في الآية الثامنة عشرة من سورة غافر على أنّها تنصرف إلى الكافرين، غير أنّ ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ وردت مطلقة، ومن ثم فهي تشمل كافة الظالمين، سواءً الذين ظلموا أنفسهم أو الذين ظلموا غيرهم. أي الذين أشركوا وتجاوزوا حدود الله، أو الذين طغوا في الأرض، وتعدوا على حقوق العباد، حتى لو كانوا مسلمين أو تسمّوا بالمسلمين.

كما أُوّل «اسم الموصول» في الآية السابعة عشرة من سورة الجن على أنّه ينصرف إلى من يُعرض عن توحيد ربّه، ويكفر بالنبيّ بمحمد ﷺ وبما أنزل عليه من ربّه. غير أنّ الإعراض عن ذكر الله تعالى لا تنصرف دلالته إلى الإعراض عن رسالة الإسلام برمتها، بل تنصرف إلى الإعراض عن تلاوة كتاب الله وتدبر معانيه، وتسبيحه وتعظيمه تعالى، وكذلك الإعراض عن اتباع أوامره ونواهيه. ثم إنّ الآية التالية للآية موضع البحث تتحدث عن ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾، وهي بذلك تحذرنا من استخدام المساجد للدعوة للرجال من زعماء سياسيين وأئمة مذاهب وغيرهم، وهو صنف من أصناف

الإعراض عن ذكر الله. وكافة هذه التأويلات تستهدف استبعاد أنْ يكون المقصود من الوعيد الوارد في هذه الآيات ينصرف إلى الذين حادوا عن دين الله تعالى من المسلمين، فكأن المسلمين من أتباع النبيّ محمد ﷺ وعلى نحو خاص «أهل الحديث والنسخ» لا يحيدون عن دين الله وفقًا للمتأوّلين.

ـ الخامس عشر ـ
التأويلات المتعلقة بالدفاع عن مصالح أهل المال:

أوّل أهلُ الحديث والنسخ الآيات الدّاعية إلى التيسير على المعسّر، وكذلك تلك التي تتوعد المعتدين على أموال الآخرين، والمكتنزين للأموال على نحو يخضعها لمصلحة أهل المال، والآيات هي:

1. ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[1].

2. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾[2].

3. ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[3].

أُوّلت الآية الثمانون بعد المائتين من سورة البقرة: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾، على أنّها لا تعني المعسّر في الدَّين بل تنصرف إلى المعسّر في الربا! محتجين في ذلك بأنّ سياق الآيات يتحدث عن الربا؛ حيث أورد الطبري في معرض تفسيره للآية قوله: «حدثني واصل بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن فضيل، عن يزيد بن أبي زياد، عن مجاهد، عن ابن عباس في قوله: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾ قال: نزلت في الربا. حدثني يعقوب،

---

(1) سورة البقرة، الآية: 280.
(2) سورة النساء، الآية: 29.
(3) سورة التوبة، الآية: 34.

قال: ثنا هشيم، قال: ثنا هشام، عن ابن سيرين: أن رجلًا خاصم رجلًا إلى شريح قال: فقضى عليه، وأمر بحبسه. قال: فقال رجل عند شريح: إنه معسر، والله يقول في كتابه: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾ قال: فقال شريح: إنما ذلك في الربا».

وهذا التأويل خاطئ، ذلك أنّه يقيّد المطلق ويخصص العام، فدلالة الآية عامة في كل دين، وحتى لو انصرفت دلالة ﴿فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾ إلى الدين الربوي لنزولها في سياق تحريم الربا، فإن دلالتها تنسحب على الدين غير الربوي بالضرورة، ذلك أنّ الدين الربوي يتوقف عن أن يكون كذلك بعد التقيد بالأمر الإلهي ﴿وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ﴾. ولا يُعقل أن تقتصر دلالة الآية على الحالة التي نزلت الآية لتحريمها. وإن افترضنا ديمومة الأمر الإلهي بالتيسير على الدائن ديناً ربوياً، نكون قد أبحنا الربا ضمناً؛ فحين يكون الدين الربوي محرماً شرعاً، لا يُعنى الشارع بتنظيمه وتحديد شروطه وكيفية سداده.

كما أُوّلت الآية التاسعة والعشرون من سورة النساء على أنّها تعني أكل طعام الأعمى والأعرج والمريض عند الاختلاط بهم، ذلك أنّ الأعمى لا يرى أطيب الطعام، والأعرج لا يتمكن من الجلوس للطعام، والمريض لا شهية له غالبًا؛ حيث أورد الطبري في جامع البيان في معرض تفسيره للآية: «وقال آخرون: بل نزلت هذه الآية بالنهي عن أن يأكل بعضهم طعام بعض إلا بشراء، فأمّا قِرًى فإنّه كان محظورًا بهذه الآية، حتى نسخ ذلك بقوله في سورة النور: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا۟ مِنۢ بُيُوتِكُمْ﴾[1] الآية. ذكر من قال ذلك: حدثني محمد بن حميد، قال: ثنا يحيى بن واضح، عن الحسن بن واقد، عن يزيد النحويّ، عن عكرمة والحسن البصريّ، قالا في قوله: ﴿لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ﴾... الآية، فكان

(1) سورة النور، الآية: 61.

الرجل يتحرّج أن يأكل عند أحد من الناس بعد ما نزلت هذه الآية، فنسخ ذلك بالآية التي في سورة النور، فقال: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا۟ مِنۢ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمْ﴾ فكان الرجل الغنيّ يدعو الرجل من أهله إلى الطعام، فيقول: إنّي لأتجنح ـ والتجنح: التحرّج ويقول: المساكين أحقّ مني به. فأحلّ من ذلك أنّ يأكلوا مما ذكر اسم الله عليه، وأحلّ طعام أهل الكتاب. قال أبو جعفر: وأولى هذين القولين بالصواب في ذلك قول السدي: وذلك أنّ الله تعالى ذكره حرّم أكل أموالنا بيننا بالباطل، ولا خلاف بين المسلمين أن أكل ذلك حرام علينا، فإنّ الله لم يحلّ قَطُّ أكل الأموال بالباطل، وإذا كان ذلك كذلك فلا معنى لقول من قال: كان ذلك نهيًا عن أكل الرجل طعام أخيه قرى على وجه ما أذن له، ثم نسخ»، كما ذكر ذلك ابن الجوزي أيضًا في نواسخ القرآن: «وقد زعم بعض منتحلي التفسير ومدعي علم الناسخ والمنسوخ أنّ هذه الآية لما نزلت تحرجوا من أن يواكلوا الأعمى والأعرج والمريض وقالوا إنّ الأعمى لا يبصر أطيب الطعام والأعرج لا يتمكن من المجلس والمريض لا يستوفي الأكل فأنزل الله عزّ وجلّ ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ﴾ الآية فنسخت هذه الآية وهذا ليس بشيء ولأنه لا تنافي بين الآيتين ولا يجوز أكل المال بالباطل بحال وعلى ما قد زعم هذا القائل قد كان يجوز أكل المال بالباطل». ولقد سبق لابن الجوزي أن أورد الدلالات الأرجح في تقديري والله أعلم لما ورد في الآية فقال: «ذكر الآية الثالثة عشرة قوله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ﴾ هذه الآية عامة في أكل الإنسان مال نفسه وأكله مال غيره بالباطل، فأما أكله مال نفسه بالباطل فهو إنفاقه في معاصي الله عزّ وجلّ، وأما أكل مال الغير بالباطل فهو تناوله على الوجه المنهي عنه سواء كان غصبًا من مالكه أو كان برضاه إلا أنه منهي عنه شرعًا مثل القمار والربا وهذه الآية محكمة والعمل عليها أخبرنا إسماعيل بن أحمد قال أنبا عمر بن عبيد الله قال أنبا بن بشران قال أنبا إسحاق بن أحمد قال أنبا عبد الله بن

أحمد قال حدثني أبي قال أنبا أسود بن عامر قال أنبا سفيان عن ربيع عن الحسن ﴿لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ﴾ قال ما نسخها شيء قال أحمد وحدثنا حسين بن محمد قال أنبا عبيد الله عن زيد بن أبي أنيسة عن عمرو أن مسروقًا قال في هذه الآية ﴿لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ﴾ قال: إنها لمحكمة ما نسخت»[1].

وعلى الرغم من أنّ الرواية لم تحظ بالترجيح، غير أنّ مجرد وضعها وتضمينها لكتب التفسير بالمأثور يعطي مؤشرًا واضحًا عن المناخ السائد في القرنين الثاني والثالث الهجري، وإلى أي مدى كان سوق تحريف الكلم عن مواضعه رائجًا. ومن الواضح أنّ التأويل الوارد في هذه الرواية خاطئ، ذلك أنّ الآية وردت عامة ولا يوجد في الآية ما يخصصها أو يقيّدها بسبب النزول المفتعل الذي نُسب لابن عباس، والذي يقصرها على أكل طعام الأعمى والأعرج والمريض عند الاختلاط بهم. ويرمي التأويل إلى تطويع الآية إلى مشيئة أهل الجاه والمال الذين عادة ما يأكلون أموال الناس بالباطل.

وأُوّل ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ﴾ في الآية الرابعة والثلاثين من سورة التوبة على أنّها لا تنصرف إلى الذين يخرجون زكاة مالهم وإنْ اكتنزوه، وأنّ اكتناز المال يعني عدم إخراج زكاته؛ حيث أورد القرطبي في معرض تفسيره للآية: «روي عن ابن عباس قال: لما نزلت هذه الآية ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ﴾ قال كبر ذلك على المسلمين فقال عمر رضي الله عنه أنا أفرج عنكم فانطلق فقال: يا نبي الله إنّه كبر على أصحابك هذه الآية فقال رسول الله ﷺ: إنّ الله لم يفرض الزكاة إلّا ليطيّب ما بقي من أموالكم وإنما فرض المواريث لتكون لمن بعدكم فكبّر عمر ثم قال له ألا أخبرك بخير ما يكنز المرء: المرأة الصالحة إذا نظر إليه سرته وإذا أمرها أطاعته وإذا غاب عنها حفظته».

والتأويل خاطئ، ذلك أنّه لو كان المقصود هو إخراج زكاة الأموال،

---

(1) ابن الجوزي، نواسخ القرآن. القول بنسخ الآية: 29 من سورة النساء.

لكان الوعيد في الآية يقتصر على الذين لا يخرجون زكاة أموالهم، ولما وردت الصيغة مطلقة دون تقييد بإخراج الزكاة من عدمه. ثم إنّه لا يمكن تصور أنْ يعترض الصحابة على آية من آيات الله تعالى زمن نزول الوحي، أو حتى أنْ تكبر عليهم أو تحرجهم، ذلك أنّهم لا يجدون في أنفسهم حرجًا مما قضى الله تعالى من جهة، ويخشون أنْ تنزل آية تقبح فعلهم أو تعرّض بهم من جهة أخرى. ثم كيف لعمر بن الخطاب ﷺ أنْ يتشفع لمن يكنزون الذهب والفضة لدى رسول الله ﷺ؟ وما الذي يستوجب تكبيره؟ حين علم بأنّها لا تشمل ما أخرج زكاته من المال وإن كُنز؟ فهل كان من الذين يكنزون الذهب والفضة ليحتفي بهذا الاستبعاد؟ ثم ما علاقة اكتناز الذهب والفضة باكتناز المرأة الصالحة؟ فالاكتناز تنصرف دلالته إلى حفظ النقود والمعادن الثمينة في خزانة من دون استخدام أو تشغيل، فلو قال خير ما يكنز المرء التقوى أو العمل الصالح، لكان أقرب لدلالة الآية أو أقوم للمقارنة. وإذا كان أفضل ما يكنز المرء هو المرأة الصالحة ـ والمرء هنا تشمل الرجل والمرأة ـ فماذا تكنز المرأة؟ فمن الواضح أنّ الذين كبرت عليهم الآية هم النخبة المسيطرة على المال والجاه زمن دولتي بني أمية وبني العباس، كما كبرت الآية الثامنة والثمانون بعد المائة من سورة آل عمران على مروان بن الحكم عند قراءته للآية وهو ما أورده البخاري من حديث ابن أبي مليكة الذي قال فيه: «إن علقمة بن وقاص أخبره أن مروان قال لبوابه: اذهب لابن عباس فقل: لئن كان كل أمري فرح بما أوتي وأحب أن يحمد بما لم يعمل معذبًا لنعذبن أجمعون. فقال ابن عباس وما لكم ولهذه؟ إنما دعا النبيُّ ﷺ يهود فسألهم عن شيء، فكتموه إياه، وأخبروه بغيره فأروه أن قد استحمدوا إليه بما أخبروه عنه فيما سألهم وفرحوا بما أوتوا من كتمانهم. ثم قرأ ابن عباس ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ كذلك حتى قوله: ﴿يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟﴾. ويعزز هذا الرأي ما أورده البخاري في مصنفه حول هذه المسألة؛ حيث أورد حديثًا نسبه إلى زيد بن وهب قال فيه: «مررت بالربذة فإذا أنا بأبي ذر ﷺ فقلت له ما أنزلك منزلك هذا قال كنت بالشام فاختلفت أنا ومعاوية في ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ قال

معاوية نزلت في أهل الكتاب فقلت نزلت فينا وفيهم فكان بيني وبينه في ذاك وكتب إلى عثمان رضي الله عنه يشكوني فكتب إليّ عثمان أن أقدم إلى المدينة فقدمتها فكثر علي الناس حتى كأنهم لم يروني قبل ذلك فذكرت ذاك لعثمان فقال لي إن شئت تنحيت فكنت قريبًا فذاك الذي أنزلني هذا المنزل ولو أمروا علي عبدًا حبشيًّا لسمعت وأطعت»[1]. ورغم أنّ التحوير لحق بهذه الرواية أيضًا، فإنّ الخلاف بين أبي ذر ومعاوية حول سبب نزول الآية لم يشمله التحوير، لعدم وجود أيّ مصلحة في ذلك، حيث إنّ الروايات التاريخية تقول بأنّ أبا ذر رضي الله عنه نُفي إلى الربذة، حين أغلظ لعثمان رضي الله عنه في النصح والموعظة، غير أنّ الإضافة المتعلقة بطاعة الأمير ولو كان عبدًا حبشيًّا مقحمة على الحديث، ولا تنسجم مع حدة طباع أبي ذر رضي الله عنه، كما تتحدث عنه روايات المحدثين والروايات التاريخية على السواء. كما أورد البخاري الحديث بصيغة أخرى نسبه إلى أبي العلاء بن الشخير قال فيه: «إنّ الأحنف بن قيس حدثهم قال جلست إلى ملأ من قريش فجاء رجل خشن الشعر والثياب والهيئة حتى قام عليهم فسلم ثم قال بشر الكانزين برضف يحمى عليه في نار جهنم ثم يوضع على حلمة ثدي أحدهم حتى يخرج من نغض كتفه ويوضع على نغض كتفه حتى يخرج من حلمة ثديه يتزلزل ثم ولى فجلس إلى سارية وتبعته وجلست إليه وأنا لا أدري من هو فقلت له لا أرى القوم إلّا كرهوا الذي قلت قال إنهم لا يعقلون شيئًا قال لي خليلي - قال قلت: من خليلك؟ قال النبي صلى الله عليه وسلم - أتبصر يا أبا ذر أحدًا قال فنظرت إلى الشمس ما بقي من النهار وأنا أرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يرسلني في حاجة له قلت نعم قال: ما أحب أنّ لي مثل أحد ذهبًا أنفقه كله إلّا ثلاثة دنانير وأن هؤلاء لا يعقلون إنما يجمعون الدنيا لا والله لا أسألهم دنيا ولا أستفتيهم عن دين حتى ألاقي ربي»[2].

---

(1) انظر صحيح البخاري، **كتاب الزكاة**، باب ما أدّي زكاته فليس بكنز، حديث 1406.

(2) انظر سنن ابن ماجه، **كتاب الزكاة**، حديث 1787. ورواه البخاري، **كتاب الزكاة**، باب كنت بالشام فاختلفت أنا ومعاوية في الذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله، حديث 1342.

وهذه الرواية أقرب إلى الصحة وأقرب إلى طبيعة أبي ذر ﷺ ومزاجه النفسي. كما روى ابن ماجه تأويلًا للآية نسبه لخالد بن أسلم مولى عمر بن الخطاب قال فيه: «خرجت مع عبد الله بن عمر فلحقه أعرابي فقال له قول الله عزَّ وجلّ: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾[1] فقال له ابن عمر من كنزها فلم يؤد زكاتها فويل له إنما كان هذا قبل أن تنزل الزكاة فلما أنزلت جعلها الله طهورًا للأموال ثم التفت فقال: ما أبالي لو كان لي أحد ذهبًا أعلم عدده وأزكيه وأعمل فيه بطاعة الله عزَّ وجلّ»[2].

وهذه الرواية هي الأقرب لمشيئة الذين يكنزون الذهب والفضة، ولا يخفى عن صاحب النظرة الثاقبة اختلاف استخدام جبل أحد في تلك الروايات، وكيف أنّه في رواية البخاري يود النبيّ ﷺ أنْ ينفقه كله إلّا ثلاثة دنانير، غير أنّه صار في الحديث المنسوب لابن عمر لا يبالي ابن عمر إنْ كنزه كاملًا وأخرج زكاته!

خاتمة المبحث:

جدول رقم (2 ـ 15)

التأويلات المتعلقة بالدفاع عن مصالح أهل المال:

الكَلِم	الدلالة المحرّفة	الدلالة الأصلية
﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾	وإذا كان ذو عسرة في دين ربوي فنظرة إلى ميسرة، وأن تصدّقوا خير لكم إن كنتم تعلمون.	وإذا كان ذو عسرة في دين فنظرة إلى ميسرة، وأن تصدّقوا خير لكم إن كنتم تعلمون.

(1) سورة التوبة، الآية: 34.

(2) انظر د. عماد علي جمعة، **أصول الفقه الميسر**. وسنن ابن ماجه، **كتاب الزكاة**، باب ما أدّي زكاته فليس بكنز، حديث 1787.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾	يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا طعام الأعمى والأعرج والمريض عند اختلاطكم بهم بالباطل إلّا أن تكون تجارة عن تراض منكم ولا تقتلوا أنفسكم إنّ الله كان بكم رحيمًا.	يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموال بعضكم بعضًا بالباطل إلّا أن تكون تجارة عن تراض منكم ولا تقتلوا أنفسكم إنّ الله كان بكم رحيمًا.
﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾	والذين لا يخرجون زكاة ما كنزوا من الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم.	والذين يكنزون الذهب والفضة «على إطلاقهم» ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم.

التعليق:

حاولت هذه التأويلات تحريف دلالة الآيات التي تُعنى بصياغة ملامح اقتصاد إسلامي أو تحدّد الشروط التي ينبغي توافرها في ذلك الاقتصاد، على نحو يرمي إلى تطويع آيات الذكر الحكيم لمشيئة أهل المال. بدأت تلك المحاولات بتحريف دلالة الوعيد إلى من عاد إلى أكل الربا، ليقال بأنّه ينصرف إلى من عاد إليه محلًّا له فحسب، دون الذي عاد لأكله وهو يعلم ويقر بتحريمه. رغم قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُولَٰئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾[1]. والذي ينصرف إلى أنّ الله تعالى لا يقبل التوبة من الذين يرتكبون السوء رغم علمهم بتحريمه، ولم ينته عند الزعم بأنّ النهي الإلهي عن أكل أموال الناس بالباطل ينصرف إلى أكل طعام الأعمى والأعرج والمريض عند مواكلتهم، فقالوا: إنّ الأعمى لا يبصر أطيب الطعام، والأعرج لا يتمكن من المجلس، والمريض لا يستوفي الأكل! وعلى ضوء ذلك أُوّلت الآيات التي تناولناها آنفًا، على نحو يخدم الأغنياء وييسر لهم أكل أموال الناس بالباطل، واكتناز الذهب والفضة، ويعسر على الفقراء المعسرين، حيث أُوّلت الآية الثمانون بعد المئة من سورة البقرة على أنها لا تنصرف إلى المعسر في الدين، بل إلى المعسر في الربا!

---

(1) سورة النساء، الآية: 17.

ولم يسأل المتأوّل نفسه كيف يمكن أنْ يكون المعسر معسرًا في الربا في مجتمع مسلم يحرم الربا.

كما أُوّلت الآية التاسعة والعشرون من سورة النساء على أنّها تعني أكل طعام الأعمى والأعرج والمريض عند الاختلاط بهم! وكأنّ الأموال تقتصر على الطعام وأنّ أكل أموال غير الأعمى والأعرج والمريض مباح في الإسلام، ثم قيل بنسخها بالآية: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا۟ مِنۢ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَٰمِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَٰلِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ أَوْ صَدِيقِكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا۟ جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا ۚ﴾[1]. ومن هناك جاز أكل أموال الناس بالباطل وفقًا للمتأوّلين!

كذلك أُوّل ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ﴾ في الآية الرابعة والثلاثين من سورة التوبة على أنّها لا تنصرف إلى الذين يخرجون زكاة أموالهم وإنْ اكتنزوه، وكأنّ الإسلام يجيز حبس الأموال دون تشغيل طالما دُفعت زكاتها، ودون أنْ يدرك المتأوّل أنّ الأصل في الإسلام هو أنّ المال لله وأنّ العبد مُستخلَف فيه لا يعطله عن المسلمين، بل ينفقه في سبيل الله سلمًا وحربًا، ولا يمتنع عن دفع زكاته.

(1) سورة النور، الآية: 61.

ـ السادس عشر ـ
التأويلات المتعلقة بنظرية تغليب الرجاء

أوّل أهلُ الحديث والنسخ بعض الآيات التي تتعلق بالوعد والوعيد للمسلم على نحو يخدم نظرية تغليب الرجاء على الخوف، والآيات هي:

1. ﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[1].

2. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ﴾[2].

فأُوّلت الآية الرابعة والثمانون بعد المئتين من سورة البقرة: ﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾، تأويلات عديدة تهدف إلى ترجيح رأي المذاهب التي تغلب الرجاء، على رأي المذاهب التي تغلب الخوف. والآية تقرّ بأنّ الله تعالى يحاسب النّاس ليس على ما يظهرون فحسب، بل يحاسبهم حتى على ما يبطنون. غير أنّ أنصار مذهب تغليب الرجاء، حاولوا ليّ عنق النص القرآني، أو عنق الآية لتحريف دلالتها بما يعزز مذهبهم الذي يغلب الرجاء وإن قال غير ذلك، نذكر منها: تأويل دلالة «تخفوه» على أنّها ما لم تعملوه مما أصررتم عليه وهممتم به، ومنه تأويل «يحاسبكم به الله» على أنّها تعني يُعرّفكم به ويخبركم عنه! ومنها أنّ عقوبة ما تخفي النفس بالنسبة للمسلم، تقتصر على مصائب الدنيا من مرض وفقر وضياع مالٍ، ومنها قول أبي جعفر النحاس بأنّ الله سينسخ ما وقع بقلوبهم من حديث النفس، ومنها ما نُسب لابن عباس بأنّ

---

(1) سورة البقرة، الآية: 284.

(2) سورة النساء، الآية: 116.

الآية في الشهادة، وتعني «إنْ تبدو أيها الشهود ما في أنفسكم من كتمان الشهادة أو تخفوه!»)، ومنها ما نُسب لمجاهد بأنّ المقصود منها «ما تبدوا في أنفسكم أو تخفوه من الشك واليقين» ..الخ. ولقد أورد الطبري في جامع البيان في معرض تفسيره للآية قوله: «يعني جلّ ثناؤه بقوله: ﴿لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ لله ملك كل ما في السموات وما في الأرض من صغير وكبير، وإليه تدبير جميعه، وبيده صرفه وتقليبه، لا يخفى عليه منه شيء، لأنه مدبره ومالكه ومصرّفه. وإنما عنى بذلك جلّ ثناؤه: كتمان الشهود الشهادة، يقول: لا تكتموا الشهادة أيها الشهود، ومن يكتمها يفجر قلبه، ولن يخفى عليّ كتمانه، وذلك لأني بكل شيء عليم، وبيدي صرف كل شيء في السموات والأرض وملكه، أعلمه خفيّ ذلك وجلّيه، فاتقوا عقابي إياكم على كتمانكم الشهادة. وعيدًا من الله بذلك من كتمها وتخويفًا منه له به. ثم أخبرهم عما هو فاعل بهم في آخرتهم، وبمن كان من نظرائهم ممن انطوى كشحا على معصية فأضمرها، أو أظهر موبقة فأبداها من نفسه من المحاسبة عليها، فقال: ﴿وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ﴾ يقول: وإن تظهروا فيما عندكم من الشهادة على حقّ ربّ المال الجحود والإنكار، أو تخفوا ذلك فتضمروه في أنفسكم وغير ذلك من سيىء أعمالكم، ﴿يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾ يعني بذلك: يحتسب به عليه من أعماله، فيجازي من شاء منكم من المسيئين بسوء عمله، وغافر منكم لمن شاء من المسيئين. ثم اختلف أهل التأويل فيما عنى بقوله: ﴿وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾ فقال بعضهم بما قلنا من أنّه عنى به الشهود في كتمانهم الشهادة، وأنّه لاحق بهم كل من كان من نظرائهم ممن أضمر معصية أو أبداها. ذكر من قال ذلك: حدثني أبو زائدة زكريا بن يحيى بن أبي زائدة، قال: ثنا أبو نفيل، عن يزيد بن أبي زياد، عن مجاهد، عن ابن عباس في قوله: ﴿وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾ يقول: يعني في الشهادة». كذلك أورد الطبري رواية تتعلق بالقول بنسخ الآية فقال: «حدثنا أبو كريب، قال: ثنا إسحاق بن سليمان، عن مصعب بن ثابت، عن العلاء بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن أبي هريرة، قال: لما نزلت: ﴿لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾

اشتدّ ذلك على القوم، فقالوا: يا رسول الله إنا لمؤاخذون بما نحدّث به أنفسنا؟ هلكنا فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ الآية، إلى قوله: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ قال أبي: قال أبو هريرة: قال رسول الله ﷺ: قال الله: نعم. إلى آخر الآية، قال أبي: قال أبو هريرة: قال رسول الله ﷺ: قال الله عزّ وجلّ نعم».

هذه الأمثلة من التأويل وادعاء النسخ تدل دلالة واضحة، على الحرص الشديد على ليّ عنق النص القرآني، بما يرضي مذهب تغليب الرجاء على الخوف. حيث قيل بأنّها نسخت بقوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾[1]، وهذا القول غير صحيح، ذلك أنّه يمكن عندئذٍ أنْ يُضمر المرء الكفر ويعلن الإيمان، ولا يحاسبه الله إلّا عما أبدى أو ما ظهر من فعله، ومن هنا فإنّ القول بنسخها يبرئ ساحة المنافقين، أو يمنحهم إمكانية المغفرة. ثم إنّ الله تعالى يقول في الآية العاشرة من سورة العاديات: ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٩﴾ وَحُصِّلَ مَا فِى ٱلصُّدُورِ﴾ ولم يقل وحُصل ما أظهروا من سيئات وآثام. والآية المدعى أنّها ناسخة لا تقرر سوى أنّ الله لا يكلف العباد إلّا ما يطيقون، وما يطيقون يقدره الله لا العباد، والمسألة لا تعدو كونها محاولة من المذاهب التي تغلب الرجاء على الخوف، فتقول بالشفاعة وعدم تخليد المسلم في النار، وتفرّق بين القول والممارسة أو بين الإيمان والعمل الصالح، لأنها تكتم الآيات التي تغلب الخوف من الله على الطمع في رجائه: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَـٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا﴾[2].

كما أُوّلت الآية السادسة عشرة من سورة النساء على أنّها تعد الفاسقين ومرتكبي الكبائر بالغفران؛ حيث أورد الطبري تفسيره فِي قَوْله تَعَالَى: «﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾ رَدٌّ عَلَى الْخَوَارِجِ؛ حَيْثُ زَعَمُوا أَنَّ مُرْتَكِب الْكَبِيرَة كَافِر. وَقَدْ تَقَدَّمَ الْقَوْل فِي هَذَا الْمَعْنَى. وَرَوَى التِّرْمِذِيّ عَن عَلِيّ بْن أَبِي طَالِب رَضِيَ

---

(1) سورة البقرة، الآية: 286.

(2) سورة الأعراف، الآية: 169.

اللَّه عَنْهُ قَالَ: مَا فِي الْقُرْآن آيَة أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ هَذِهِ الْآيَة: «إِنَّ اللَّه لَا يَغْفِر أَنْ يُشْرَك بِهِ وَيَغْفِر مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاء» قَالَ: هَذَا حَدِيث غَرِيب. قَالَ ابْن فُورَك: وَأَجْمَعَ أَصْحَابنَا على أَنَّهُ لَا تَخْلِيد إِلَّا لِلْكَافِرِ، وَأَنَّ الْفَاسِق مِنْ أَهْل الْقِبْلَة إِذَا مَاتَ غَيْر تَائِب فإنّهُ إِنْ عُذِّبَ بِالنَّارِ فَلَا مَحَالَة أَنَّهُ يَخْرُج مِنْهَا بِشَفَاعَةِ الرَّسُول، أَوْ بِابْتِدَاءِ رَحْمَة مِنَ اللَّه تَعَالَى. وَقَالَ الضَّحَّاك: إِنَّ شَيْخًا مِنَ الْأَعْرَاب جَاءَ إِلَى رَسُول اللَّه ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُول اللَّه، إِنِّي شَيْخ مُنْهَمِك فِي الذُّنُوب وَالْخَطَايَا، إِلَّا أَنِّي لَمْ أُشْرِكْ بِاَللَّهِ شَيْئًا مُنْذُ عَرَفْته وَآمَنْت بِهِ، فَمَا حَالِي عِنْد اللَّه؟ فأنزَلَ اللَّه تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾.

وهذا تأويل خاطئ، ذلك أنّ الفاسق ليس له من الدين غير لفظ الشهادتين، والإيمان قول وفعل. ثم إنّ الفاسق يُعد من المشركين شركًا خفيًا، فهو يتخذ من إلهه هواه: ﴿أَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيۡهِ وَكِيلًا﴾[1]، بل يمكن مقارنة الفاسق بالشيطان، فالشيطان يؤمن بالله تعالى ويعصيه عن علم وإصرار، ومن يعص الله عن علم وإصرار، ودون أنْ يتوب يحشر مع الشيطان، ولا تنفعه شفاعة الشافعين. والقرآن يحكم بكفر الفاسقين حيث يقول تعالى في سورة المائدة الآية الثامنة عشرة: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤۡمِنٗا كَمَن كَانَ فَاسِقٗاۚ لَّا يَسۡتَوُۥنَ﴾، كما يقول: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُواْ فَمَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا﴾[2].

ومن يتعدى حدود الله عن علم يُعد من المشركين، ذلك أنّه لا يخرج عن ثلاث حالات: الأولى: أنْ يؤله نفسه حين لا يخشى الله تعالى، الثانية: أنْ يؤله هواه حين يتبعه ويترك أوامر الله تعالى ونواهيه، الثالثة: أنْ يحتكم للطاغوت عوضًا عن الاحتكام إلى الله تعالى: ﴿إِنَّمَا سُلۡطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوۡنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشۡرِكُونَ﴾[3]. ويتوعد الله تعالى من يتعدى حدوده بعذاب مهين وبالخلود في النار: ﴿وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدۡخِلۡهُ نَارًا

(1) سورة الفرقان، الآية: 43.
(2) سورة السجدة، الآية: 20.
(3) سورة النحل، الآية: 100.

خَـٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾[1]، وما الفاسق وفق الدلالات القرآنية سوى من يعلن الإسلام ثم ينقض عهد الله وميثاقه فيعصي الله ورسوله ويتجاوز حدود الله تعالى.

خاتمة المبحث:

جدول رقم (1 ـ 16)

التأويلات المتعلقة بنظرية تغليب الرجاء:

الكَلِم	الدلالة المحرّفة	الدلالة الأصلية
﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾	وإن يبدوا ما في أنفسهم الذين أصروا عليه وهموا به أو يخفوه يحاسبهم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شيء قدير.	وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شيء قدير.
﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾	وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يُعرّفكم به الله ويخبركم عنه! فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شيء قدير.	وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شيء قدير.
﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾	وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه أيها المسلمون يحاسبكم به الله في الدنيا فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شيء قدير.	وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شيء قدير.
﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾	وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه فإنّ الله سينسخ ما وقع بقلوبهم من حديث النفس يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شيء قدير.	وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شيء قدير.

(1) سورة النساء، الآية: 14.

﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ أَوۡ تُخۡفُوهُ يُحَاسِبۡكُم بِهِ ٱللَّهُۖ فَيَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾	وإنْ تبدو أيها الشهود ما في أنفسكم من كتمان الشهادة أو تخفوه! يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شيء قدير.	وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شيء قدير.
﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ أَوۡ تُخۡفُوهُ يُحَاسِبۡكُم بِهِ ٱللَّهُۖ فَيَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾	وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه من الشك واليقين «يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شيء قدير».	وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شيء قدير.
﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾	إنّ الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء من الفاسقين ومرتكبي الكبائر من أمة محمد.	إنّ الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء.

التعليق:

تتبنى مدرسة أهل الحديث والنسخ نظريًا رأيًا وسطيًا فيما يتعلق بعقيدة الرجاء والخوف لا يمكنك أن تختلف معه، غير أنّها سرعان ما تناقضه حين تسلم بنظريتي شفاعة النبيّ ﷺ في أهل الكبائر وعدم خلود المسلم في النار، فالتسليم بالنظريتين يضع المدرسة أولًا في تناقض مع المبدأ الذي اختارته لنفسها فيما يتعلق بعقيدة الرجاء والخوف، ويضعها ثانيًا في خانة المذاهب التي تغلب الرجاء على الخوف. وعلى ضوء ذلك أوّلت الآيتان اللتان تناولناهما آنفًا، سواء تلك التي تتعلق بتشديد حساب المؤمن أو التي تتعلق بالغفران له، على نحو يخدم نظرية تغليب الرجاء على الخوف؛ حيث أُوّلت الآية الرابعة والثمانون بعد المئتين من سورة البقرة من أجل تحريف دلالتها بما يخدم تعزيز مذهبهم في تغليب الرجاء، فأوّلت دلالة ﴿تُخۡفُوهُ﴾ على أنّها ما لم تعملوه مما أصررتم عليه وهممتم به، وأوّلت ﴿يُحَاسِبۡكُم بِهِ ٱللَّهُۖ﴾ على أنّها تعني يُعرّفكم به ويخبركم عنه! كما قيل بأنّ عقوبة ما تخفي النفس بالنسبة للمسلم، تقتصر على مصائب الدنيا من مرض وفقر وضياع مالٍ، وقيل أيضًا بأنّ الله سينسخ ما وقع بقلوب المسلمين من حديث سيىء للنفس، كما قيل بأنّ

الآية تنصرف إلى كتمان الشهادة، وقيل أيضًا بأنّ المقصود من ﴿تُبْدُواْ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ﴾ ما تبدوه أو تخفوه من الشك واليقين. كما أُوّلت الآية السادسة عشرة بعد المئة من سورة النساء على أنّها تعد الفاسقين ومرتكبي الكبائر بالغفران. والدارج لدى مدرسة أهل الحديث والنسخ التناقض في أقوالهم كما أسلفنا، فهم يدّعون الأخذ بالوسطية في المسألة ولا يعتبرون أنفسهم يغلبون الرجاء على الخوف، غير أنّ الذي يعد أهل الكبائر الذين لم يتوبوا بالشفاعة لا يُغلب الرجاء فحسب، بل يحرض المسلمين على ارتكاب الكبائر. بل ويكاد يحاكي النصارى المعاصرين لنا، الذين لا يطالبون المسيحيين بأية تكاليف سوى محبة الله تعالى، ويعدونهم بغفران كافة خطاياهم في سوى ذلك.

ـ السابع عشر ـ
التأويلات المتعلقة بنظرية نسخ الأديان السابقة

القول بأنّ الإسلام قد نسخ الأديان السابقة قول لا يستقيم، ذلك أنّه ليس ثمّة أديان سماوية سابقة غير الإسلام؛ فدين الله تعالى دين واحد وهو الإسلام، منذ خلق الله آدم عليه السلام وحتى قيام الساعة. وهو الدّين الذي جاء به الأنبياء والمرسلون جميعًا عليهم السلام، وهو الدّين الذي يدعو إلى عبادة الله تعالى وحده لا شريك له، وثمّة شرائع سابقة للشريعة التي أتى بها القرآن، غير أنّ القرآن لم ينسخها على معتنقيها، بل نسخها على أهل القرآن فحسب؛ ذلك أنّه حين احتكم اليهود للنبيّ ﷺ في المدينة، حكم على المذنبين منهم بحكم التوراة، وليس بحكم القرآن، وهذا ما يعني عدم نسخ شرائع غير القرآنيين عليهم، والذي يقضي بضرورة احترام شرائعهم حين يعيشون في بلد مسلم. صحيح أنّ تلك الشرائع تعرّضت للتحريف، وأنّ الله تعالى لن يقبل منهم اتباع شرائع محرّفة، غير أنّ ذلك لا يعني نسخ القرآن لشريعتهم. ومع ذلك أوّل أهلُ الحديث والنسخ الآيات المتعلقة بالشرائع السابقة، والآيات التي تؤكد بأنّ من يبتغ غير الإسلام دينًا فلن يقبل منه، على أنّها تنسخ الأديان السابقة «الشرائع السابقة»، والآيات هي:

1. **تأويل الآية** ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾: أوّل أهلُ الحديث والنسخ الآية التاسعة عشرة من سورة آل عمران: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ على أنّه يقتصر على رسالة محمد ﷺ؛ حيث أورد الطبري في جامع البيان قوله: «حدثني المثنى، قال: ثنا أبو صالح، قال: حدثني معاوية بن صالح، عن عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ﴾ إلى قوله: ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾. فأنزل الله تعالى بعد هذا:

﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾. وهذا الخبر يدلّ على أنّ ابن عباس كان يرى أنّ الله جلّ ثناؤه كان قد وعد من عمل صالحًا من اليهود والنصارى والصابئين على عمله في الآخرة الجنة، ثم نسخ ذلك بقوله: ﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ﴾».

2. **تأويل الآية** ﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ﴾: أوّل أهلُ الحديث والنسخ الآية الخامسة والثمانين من سورة آل عمران: ﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ على أنّها تقتصر على المسلمين من أتباع النبيّ محمد ﷺ؛ حيث أورد الطبري في جامع البيان في معرض تفسيره للآية قوله: «يعني بذلك جلّ ثناؤه: ومن يطلب دينًا غير دين الإسلام ليدين به، فلن يقبل الله منه، ﴿وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾، يقول: من الباخسين أنفسهم حظوظها من رحمة الله عزّ وجلّ. وذُكر أنّ أهل كل ملة ادّعوا أنّهم هم المسلمون لما نزلت هذه الآية، فأمرهم الله بالحجّ إن كانوا صادقين، لأن من سنة الإسلام الحجّ، فامتنعوا، فأدحض الله بذلك حجتهم. ذكر الخبر بذلك: حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، قال: زعم عكرمة: ﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا﴾ فقالت الملل: نحن المسلمون، فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ فحجّ المسلمون، وقعد الكفار. حدثنا المثنى، قال: ثنا القعنبي، قال: ثنا سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن عكرمة، قال: ﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ﴾ قالت اليهود: فنحن المسلمون، فأنزل الله عزّ وجلّ لنبيه ﷺ يحجّهم أنّ ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾».

وهذان التأويلان خاطئان، ذلك أنّ الإسلام، وفقًا للقرآن، يشمل كافة الشرائع التي تستند إلى التنزيل، أو التي هي من عند الله تعالى، فدين الله وفقًا للقرآن دين واحد وهو الإسلام، وإنْ منحه الناس تسميات مختلفة كاليهودية والنصرانية أو غيرها، ثم إنّ الآية تتضمن هذه الدلالة الواسعة للإسلام: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ وَمَا ٱخۡتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ﴾ فالآية تشير

إلى أنّ أهل الكتاب اختلفوا في الإسلام بغيًا بينهم، ومن ثم فالآية تعتبر التوراة والإنجيل يدعوان للإسلام، والمسألة لا تحتاج إلى محاجة. فالله تعالى يقول في محكم كتابه العزيز: ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِۦمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[1]، ويقول: ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾[2]، ويقول: ﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾[3]، ويقول: ﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾[4]. والرواية التي نُسبت إلى عكرمة متهافتة، فالحج شرعه الله تعالى لأهل القرآن ولم يشرعه لأهل التوراة والإنجيل، ولم يدعوهم الله تعالى ولا رسوله ﷺ للحج ليقال بأنّهم امتنعوا عن الحج.

أمّا تأويل الإسلام على أنّه يقتصر على رسالة محمد ﷺ، فهو يهدف إلى سحب الاعتراف بالشرائع السماوية السابقة، والقول بنسخها وبكفر أتباعها، حتى يوضع السيف في رقابهم ولا يقف اعتناق المسيحية أو اليهودية في بلد ما، حائلًا دون تطبيق تأويلهم الخاطئ لآية السيف، وحتى يسوغوا لقياصرة بني أمية وبني العباس غزوهم. ثم إنّ القول الذي نُسب لابن عباس بأنّ الآية قد نُسخت، وأنّ الله جلّ ثناؤه كان قد وعد من عمل صالحًا من اليهود والنصارى والصابئين على عمله في الآخرة الجنة، ثم نسخ ذلك بقوله: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾، فهو قول لا يتفق والدلالة القرآنية للإسلام التي عبّرت عنها الآيات التي تناولناها آنفًا، ثم إنّه لا يجوز في حقّه تعالى القول بأنّه تعالى يخلف وعده.

---

(1) سورة البقرة، الآيتان: 131 ـ 132.
(2) سورة آل عمران، الآية: 52.
(3) سورة يونس، الآية: 72.
(4) سورة يونس، الآية: 90.

3. تأويل الآية ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ﴾:

أوّل أهلُ الحديث والنسخ «الأمة القائمة» في الآية الثالثة عشرة بعد المئة من سورة آل عمران: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ (113) يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَٰئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ (114) وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾ على أنّها تنصرف فحسب إلى الذين آمنوا بما أنزل على محمد ﷺ؛ حيث أورد الطبري في جامع البيان في معرض تفسيره للآية قوله: «وأولى هذه الأقوال بالصواب في تأويل ذلك ما قاله ابن عباس وقتادة، ومن قال بقولهما على ما روينا عنهم، وإن كان سائر الأقوال الأخر متقاربة المعنى من معنى ما قاله ابن عباس وقتادة في ذلك. وذلك أنّ معنى قوله: ﴿قَائِمَةٌ﴾ مستقيمة على الهدى، وكتاب الله وفرائضه، وشرائع دينه، بالعدل والطاعة، وغير ذلك من أسباب الخير من صفة أهل الاستقامة على كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ. ونظير ذلك الخبر الذي رواه النعمان بن بشير، عن النبيّ ﷺ أنّه قال: «مَثَلُ القائِمِ على حُدُودِ اللّهِ وَالوَاقِعِ فِيها، كَمَثَلِ قَوْمٍ رَكِبُوا سَفِينَةً، ثُمَّ ضَرَبَ لَهُمْ مَثَلًا» فالقائمُ على حُدُودِ اللّهِ هُوَ الثَّابت على التَّمَسُّكِ بِما أمَرَهُ اللّهُ بِهِ وَاجْتِنابِ ما نَهاهُ اللّهُ عَنْهُ».

والتأويل خاطئ، ذلك أنّ الآية تفرّق بين طائفتين من أهل الكتاب ـ حتى قبل نزول القرآن ـ واحدة تؤمن بالله واليوم الآخر، وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وتسارع في الخيرات، وتتلو آيات الله آناء الليل وهم يسجدون، وطائفة أخرى تنبذ كتاب الله وراء ظهرها، وتحرّف الكلم عن مواضعه، وتشتري بآياته ثمنًا قليلًا، فيَعد الأولى ويتوعد الثانية، وهذا التصنيف ينطبق على الذين أوتوا القرآن أيضًا فهم أيضًا ليسوا سواء. أمّا القول إنّ الطائفة الأولى تقتصر على اليهود والنصارى الذين آمنوا بما أنزل على محمد ﷺ فلا يستقيم، ذلك أنّ الذين آمنوا بما أنزل على محمد ﷺ دخلوا في تصنيف جديد ولم يعودوا من أهل الكتب السابقة على القرآن بعد أنْ آمنوا به، ثم إنّه لا توجد إشارة في الآية تحيل إلى هذا المعنى، ولم تذكر الآية إتباعهم للقرآن، ولا إيمانهم بما أنزل على محمد ﷺ. وتأويلها على هذا النحو الذي أورده الطبري يخدم نظرية نسخ الأديان.

4. **تأويل الآية** ﴿وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ﴾: أوّل أهلُ الحديث والنسخ الآية الثالثة والأربعين من سورة المائدة: ﴿وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ﴾ على أنّها تدّل على نسخ التوراة باستثناء حكم الرجم؛ حيث أورد القرطبي في الجامع لأحكام القرآن في معرض تفسيره للآية: «قوله تعالى: ﴿وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ﴾ قال الحسن: هو الرجم. وقال قتادة: هو القَوَد».

والتأويل خاطئ، ذلك أنّ النبيّ ﷺ حكم على المذنبين من اليهود، حين احتكم اليهود إليه في المدينة، بحكم التوراة وليس بحكم القرآن، وهو ما يعني ضرورة احترام شرائع أهل الكتاب الذين يعيشون في بلد مسلم، وعدم القول بنسخها عليهم، وحتى القول بأنّه ثمة آية في القرآن تأمر برجم الشيخ الزاني والمرأة الثيب لا يتجاوز محاولة القول بنسخ القرآن للتوراة. وقول الله تعالى: ﴿فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ﴾ يؤكد عدم نسخها على اليهود وهو ما عاد القرطبي وأكده في قوله: «ويقال: هل يدّل قوله تعالى: ﴿فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ﴾ على أنّه لم ينسخ؟ الجواب ـ قال أبو علي: نعم؛ لأنّه لو نُسخ لم يطلق عليه بعد النسخ أنه حكم الله، كما لا يطلق أن حكم الله تحليل الخمر أو تحريم السبت. وقوله: ﴿وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي بحكمك أنّه من عند الله. وقال أبو علي: إنّ من طلب غير حكم الله من حيث لم يرض به فهو كافر؛ وهذه حالة اليهود». وهذا لا يعني أنّه ينبغي للمسلمين الذين آمنوا بالنبيّ محمد ﷺ، وما أنزل عليه من ربه أنْ يتبعوا شريعة اليهود أو النصارى، فالله تعالى جعل لكلٍ شرعة ومنهاجًا: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًاۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾، غير أنّ ذلك لا يعني نسخها بالنسبة لليهود والنصارى الذين تمسكوا بشريعتهم السابقة.

5. **تأويل الآية** ﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِۚ﴾: أوّل أهلُ الحديث والنسخ الآية السابعة والأربعين من سورة المائدة: ﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ على أنه أمر سابق من الله لأهل الإنجيل باتباعه، ولا يسري هذا الأمر بعد نزول القرآن؛ حيث أورد كثير في تفسير القرآن العظيم في معرض تفسيره لهذه الآية قوله:

«وقوله تعالى: ﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ﴾ قرىء: (وَلِيَحْكُمَ) أهل الإنجيل، بالنصب على أنّ اللام لام كي، أي: وآتيناه الإنجيل ليحكم، أهل ملته به في زمانهم، وقرىء: (وَلْيَحْكُمْ)، بالجزم على أنّ اللام لام الأمر، أي: ليؤمنوا بجميع ما فيه، وليقيموا ما أمروا به فيه، ومما فيه البشارة ببعثة محمد، والأمر باتباعه وتصديقه إذا وجد، كما قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾».

وهذا التأويل يهدف إلى تعزيز العقيدة السائدة بنسخ القرآن للشرائع السابقة، وهو قول لم يثبت، بل وتناقضه آيات قرآنية عديدة نذكر منها: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾[1]، بل وعرّض القرآن باعتداد أتباع كل شريعة بشريعتهم، ونيلهم من الشرائع السماوية الأخرى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿51﴾ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴿52﴾ فَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿53﴾ فَذَرْهُمْ فِى غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ﴾[2]، حيث قالت اليهود ليست النصارى على شيء، وقالت النصارى ليست اليهود على شيء، وقال كلاهما ليس المسلمون على شيء، وقال الذين لا يعلمون من المسلمين مثل قولهم أي ليس اليهود ولا النصارى على شيء: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾[3]، فقيل في تأويل الآية أعلاه إنّ «اللام» ليست لام الأمر، وإنّها ليست ساكنة بل مكسورة، وإنّها تفيد الماضي، أي إنّه على أهل الإنجيل الحكم به قبل نزول القرآن، أمّا وقد نزل القرآن فقد نُسخ الإنجيل. وحتى الذين سلموا بأنّ «اللام» هي لام الأمر، حصروا إقامة الإنجيل في التسليم بنبوّة محمد ﷺ واتباعه. وهذا التأويل خاطئ، ذلك أنّ الآية تأمر أهل الإنجيل، الذين لم يؤمنوا بما أنزل على

---

(1) سورة المائدة، الآية: 48.

(2) سورة المؤمنون، الآيات: 51 ـ 53.

(3) سورة البقرة، الآية: 113.

محمد ﷺ، بأنْ يحكموا بما أنزل الله عليهم، كما أمر الله بأنْ يحكم اليهود بما أنزل عليهم، في وجود النبيّ ﷺ بين ظهرانيهم حين قال: ﴿وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ﴾[1]. ولكن هذا لم يكن ليناسب العقيدة السائدة، بأنّ رسالة محمد ﷺ ناسخة للشرائع السابقة، وأنّ القرآن ناسخ للكتب السماوية السابقة. ذلك أنّ شهية أباطرة بني أمية وبني العباس مفتوحة للغزو، ولا يراد لجندهم التوقف عند حدود البلدان التي تدين بالمسيحية أو اليهودية، لذلك قيل بنسخ شرائعهم ودياناتهم.

6. **تأويل الآية** ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾: أوّل أهلُ الحديث والنسخ الآية الثامنة والستين من سورة المائدة: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۖ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ على أنها تعني بأنّهم ليسوا على شيء حتى يؤمنوا بما أنزل على النبيّ محمد ﷺ؛ حيث أورد القرطبي في الجامع لأحكام القرآن في معرض تفسيره للآية: «فيه ثلاث مسائل: الأولى ـ قال ابن عباس: «جاء جماعة من اليهود إلى النبي ﷺ فقالوا: ألست تُقِرّ أنّ التوراة حقّ من عند الله؟ قال: «بلى». فقالوا: فإنّا نؤمن بها ولا نؤمن بما عَدَاها، فنزلت الآية»؛ أي لستم على شيء من الدِّين حتى تعملوا بما في الكتابين من الإيمان بمحمد عليه السلام، والعمل بما يوجبه ذلك منهما؛ وقال أبو علي: ويجوز أن يكون ذلك قبل النّسخ لهما. الثانية ـ قوله تعالى: ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا﴾ أي يكفرون به فيزدادون كفرًا على كفرهم».

وهذا تأويل خاطئ، فالآية تدعوهم لاتباع شريعتهم أو ما أنزل عليهم من ربهم، ولا تدعوهم لاتباع ما أنزل على محمد ﷺ. وتخبرنا أيضًا بأنّ ما أنزل عليه ﷺ يزيدهم طغيانًا وكفرًا، وهو ما يعني أنّهم لم يتبعوا شريعتهم التي أنزلت عليهم حتى قبل نزول القرآن، ومن ثم فمشكلتهم الأساسية لا تكمن في

(1) سورة المائدة، الآية: 43.

عدم الإيمان بما أنزل على محمد ﷺ، بل بكفرهم بما أنزل عليهم أساسًا حتى قبل بعثة محمد ﷺ، كما فعل المسلمون وهم يظنون بأنّهم يحسنون صنعًا.

خاتمة المبحث:

جدول رقم (2 ـ 17)

التأويلات المتعلقة بنظرية نسخ الأديان السابقة:

الكَلِم	الدلالة المحرّفة	الدلالة الأصلية
﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾	إنّ الدين عند الله يقتصر على ما أُنزل على محمد.	إنّ الدين عند الله الإسلام أي ما أُنزل على النبيّين والرسل جميعًا.
﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾	ومن يبتغ غير ما أنزل على محمد دينًا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين.	ومن يبتغ غير ما أنزل على النبيّين والرسل دينًا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين.
﴿لَيْسُوا۟ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿113﴾ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿114﴾ وَمَا يَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ﴾	ليسوا سواءً من أهل الكتاب أمّة قائمة يتلون كتاب الله آناء الليل وهم يسجدون يؤمنون بالله وبما أنزل على محمد وباليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات وأولئك من الصالحين وما يفعلوا من خير فلن يضيع والله أعلم بالمتقين.	ليسوا سواءً من أهل الكتاب أمّة قائمة يتلون كتاب الله آناء الليل وهم يسجدون يؤمنون بالله وباليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات وأولئك من الصالحين وما يفعلوا من خير فلن يضيع والله أعلم بالمتقين.
﴿وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ﴾	وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الرجم والقود.	وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله.

﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾	وليحكم أهل الإنجيل بما فيه في زمانهم أي قبل نزول القرآن ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون.	وليحكم أهل الإنجيل به ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون.
﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾	وليحكم أهل الإنجيل بما فيه في زمانهم أي قبل نزول القرآن بما في ذلك البشارة ببعثة محمد، والأمر باتباعه وتصديقه ومن لم يحكم بذلك فأولئك هم الفاسقون.	وليحكم أهل الإنجيل به ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون.
﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۖ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾	قل يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تؤمنوا بما أنزل على محمد وليزيدنّ كثيرًا منهم ما أنزل عليك من ربّك يا محمد طغيانًا وكفرًا، فلا تأس على القوم الظالمين.	قل يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليكم من ربّكم وليزيدنّ كثيرًا منهم ما أنزل عليك من ربّك يا محمد طغيانًا وكفرًا، فلا تأس على القوم الظالمين.

التعليق:

دعنا هنا نفرق بين الأديان والشرائع، حيث فيما يتعلق بالأديان السماوية ليس ثمّة عند الله تعالى دين غير الإسلام؛ فدين الله تعالى دين واحد وهو الإسلام منذ خلق الله آدم عليه السلام وحتى قيام الساعة، وهو الدّين الذي جاء به الأنبياء والمرسلون جميعًا عليهم السلام، وهو الدّين الذي يدعو إلى عبادة الله تعالى وحده لا شريك له، غير أنّه ثمّة شرائع سابقة، وهذه الشرائع نُسخت بالنسبة للمسلم من أتباع النبيّ محمد عليه الصلاة والسلام بشريعة القرآن، قال الله تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾[1]. لكنها غير منسوخة بالنسبة لليهود والنصارى أو أهل الكتب السابقة، ذلك أنّه حين احتكم اليهود للنبيّ ﷺ في المدينة، حكم على المذنبين منهم بحكم

(1) سورة المائدة، الآية: 48.

التوراة، وليس بحكم القرآن، كما أسلفنا. وهذا ما يعني عدم نسخ شرائع غير القرآنيين بالنسبة لهم، والذي يقضي بضرورة احترام شرائعهم حين يعيشون في بلد مسلم.

وعلى ضوء ذلك أُوّلت الآيات التي تناولناها آنفًا سواءً تلك المتعلقة بالشرائع السابقة، أو تلك التي تؤكد بأنّ من يبتغي غير الإسلام دينًا فلن يقبل منه، على أنّها تنسخ الأديان السابقة «الشرائع السابقة»؛ حيث أوّل «الإسلام» في الآيتين التاسعة عشرة والخامسة والثمانين من سورة آل عمران على أنّه يقتصر على رسالة محمد ﷺ، وأُوّلت «الأمة القائمة» في الآية الثالثة عشرة بعد المئة من نفس السورة على أنّها تنصرف فحسب للذين آمنوا بالقرآن، كما أُوّلت الآية الثالثة والأربعون من سورة المائدة على أنّها تدل على نسخ التوراة باستثناء حكم الرجم، وأُوّلت الآية السابعة والأربعون من سورة المائدة على أنّه أمر سابق من الله تعالى لأهل الإنجيل باتباعه، ولا يسري هذا الأمر بعد نزول القرآن، كذلك أوّلت الآية الثامنة والستون من سورة المائدة، على أنّها تعني بأنّ أهل الكتاب ليسوا على شيء، حتى يؤمنوا بما أنزل على النبيّ محمد ﷺ. والله تعالى يقول: ﴿لَيْسُواْ سَوَآءً مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿113﴾ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَأُوْلَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿114﴾ وَمَا يَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ﴾[1]. وهذه التأويلات ترمي إلى تعزيز نظرية نسخ الأديان السابقة رغم عدم وجود أديان سابقة، وخطأ القول بنسخ شرائع أهل الكتبِ السابقة ممن يعيش منهم في مجتمع مسلم ولا يزالون يتمسّكون بشرائعهم.

(1) سورة آل عمران، الآية: 113.

ـ الثامن عشر ـ
التأويلات المتعلقة بقربى النبيّ ﷺ

1. تأويل آية المودة في القربى: أوّل أهلُ الحديث والنسخ الذين يعترضون على ما ذهبت إليه مدرسة الرواية والتأويل، في الإعلاء من شأن قربى النبي ﷺ، الآية الثالثة والعشرين من سورة الشورى: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ۗ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾، بحيث جعلوها تارة تعني أنّ النبيَّ ﷺ يناشدهم أن يصلوا ما بينه وبينهم من القربى، فيكفوا عن عداوته والصدّ عن دعوته؛ وجعلوها تارة أخرى تعني مودة لله سبحانه وتعالى! حيث أورد الطبري في جامع البيان قوله: «حدثنا أبو كريب، قال: ثنا أبو أسامة، قال: ثنا شعبة، عن عبد الملك بن ميسرة عن طاوس، في قوله: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ قال: سئل عنها ابن عباس، فقال ابن جبير: هم قربى آل محمد، فقال ابن عباس: عجلتَ، إنّ رسول الله ﷺ لم يكن بطن من بطون قريش إلا وله فيهم قرابة، قال: فنزلت ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ قال: «إلا القرابة التي بيني وبينكم أن تصلوها». حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ قال: كان لرسول الله ﷺ قرابة في جميع قريش، فلما كذّبوه وأبَوْا أن يبايعوه قال: يا قوم إذا أبيتم أن تبايعوني فاحفظوا قرابتي فيكم لا يكن غيركم من العرب أولى بحفظي ونصرتي منكم».

وهذا التأويل خاطئ، فالقول بأنّه كان لرسول الله ﷺ قرابة في جميع قريش يرمي إلى تسويغ قتل الأمويين والعباسيين لأحفاد النبيّ ﷺ حيث يصبح

الأمر بعد توسيع قرابة النبيّ ﷺ لتشمل قريش جميعها وكأن قربى النبيّ يقتلون بعضهم بعضًا. أمّا تأويل الآية على النحو الذي أورده ابن عباس للقول بأنّ النبيّ دعا القرشيين إلى نصرته وإن لم يؤمنوا به فيناقض عقيدة الولاية والبراءة، فالنبيّ والمسلمون أمروا أن يتبرأوا من المشركين حتى لو كانوا أولي قربى، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ﴾[1]، وقال أيضًا: ﴿لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[2]. وكذلك تأويل المودة في القربى في رواية أخرى وبطريقة لي عنق النص القرآني على أنّه «مودة لله سبحانه وتعالى» لا يستقيم، بل هو تأويل خطير يجعل للذين يتوجه إليهم الخطاب نسبًا وقرابة إلى الله، وعليهم أنْ يراعوا هذه القرابة بالمودة! سبحانه وتعالى عما يصفون، يقول الله تعالى: ﴿وَجَعَلُواْ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾[3]. حيث أورد الطبري في جامع البيان في معرض تفسيره للآية قوله: «وقال آخرون: بل معنى ذلك: قل لا أسألكم أيها الناس على ما جئتكم به أجرًا إلا أن تَوَدَّدوا إلى الله، وتتقرّبوا بالعمل الصالح والطاعة. ذكر من قال ذلك: حدثني عليّ بن داود ومحمد بن داود أخوه أيضًا قالا: ثنا عاصم بن علي، قال: ثنا قزعة بن سويد، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، عن ابن عباس، عن النبيّ ﷺ: «قل لا أسالكم على ما أتيتكم من البينات والهدى أجرًا إلّا أن تودّدوا لله، وتتقربوا إليه بطاعته».

وإجمالًا فإنّ الغاية من هذا التأويل في تقديري، هي محاولة تبرئة ساحة أولئك الذين وضعوا السيف في رقاب أحفاد النبيّ ﷺ من فاطمة رضي الله عنها، ومحاولة انتشالهم من تهمة مخالفة أوامر الله ونواهيه بتجاهلهم هذه الآية، وهم خلفاء بني أمية وبني العباس الذين كانوا يحتكرون الخلافة والنفوذ زمن تدوين الروايات المتعلقة بالحديث وكذلك الروايات المتعلقة بالنسخ وأسباب النزول.

---

(1) سورة الممتحنة، الآية: 1.

(2) سورة الممتحنة، الآية: 3.

(3) سورة الصافات، الآية: 158.

خاتمة المبحث:

جدول رقم (2 ـ 18)

التأويلات المتعلقة بقربى النبيّ ﷺ:

الكَلِم	الدلالة المحرّفة	الدلالة الأصلية
﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ۗ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾	قل لا أسألكم على ما أبلغتكم مما أنزل الله إليّ أجرًا فاحفظوا قرابتي فيكم فلا يكن غيركم من العرب أولى بحفظي ونصرتي منكم، ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنًا.، إنّ الله غفور شكور.	قل لا أسألكم على ما أتيتكم من البيّنات والهدى أجرًا إلّا أن توادوا قرابتي وأهل بيتي، ومن يقترف حسنة نزدله فيها حسناً، إنّ الله غفور شكور.
﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ۗ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾	قل لا أسالكم على ما أتيتكم من البينات والهدى أجرًا إلّا أن تودّدوا لله، وتتقربوا إليه بطاعته، إنّ الله غفور شكور.	قل لا أسالكم على ما أتيتكم من البينات والهدى أجرًا إلّا أن توادوا قرابتي وأهل بيتي، ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنًا، إنّ الله غفور شكور.

التعليق:

أوّلت مدرسة أهلُ الحديث والنسخ التي تعترض على ما ذهبت إليه مدرسة الرواية والتأويل، في الإعلاء من شأن قربى النبي ﷺ، الآية الثالثة والعشرين من سورة الشورى وبما يرمي إلى تحريف دلالتها عن رعاية حق قربى النبيّ ﷺ ووصلهم بالمودة، ليجعلوها تارة تعني أنّ النبيّ ﷺ يناشدهم أن يصلوا ما بينه وبين مشركي قريش من القربى، فيكفوا عن عداوته والصدّ عن دعوته؛ وجعلوها تارة أخرى تعني مودة لله سبحانه وتعالى.

- التاسع عشر -
التأويلات المتعلقة بعصمة الجماعة وحجية الإجماع

أوّل أهلُ الحديث والنسخ الآيتين الخامسة عشرة بعد المئة من سورة النساء والتاسعة من سورة الحجر على أنّهما يقرران حجية الإجماع وعصمة الجماعة:

1. ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ﴾[1].
2. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾[2].
3. ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾[3].
4. ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾[4].

أوّلت الآيات الثالثة والأربعون بعد المئة من سورة البقرة والتاسعة والخمسون، والخامسة عشرة بعد المئة من سورة النساء على أنّها تقرر حجيّة الإجماع؛ وهو ما ذهب إليه الشافعي ومن كتب في أصول الفقه من بعده، وحدد هؤلاء ثلاثة أدلة على حجية الإجماع من القرآن: «الإجماع الصريح حجة قاطعة عند الجمهور، وعلى ذلك ثلاثة أنواع من الأدلة: 1 ـ قوله تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾، ووجه

(1) سورة البقرة، الآية: 143.
(2) سورة النساء، الآية: 59.
(3) سورة النساء، الآية: 115.
(4) سورة الحجر، الآية: 9.

الدلالة من الآية: أنّها توجب اتباع سبيل المؤمنين وتحرم مخالفتهم، لأن الله توعد من خالف سبيلهم بجهنم، ولا يتوعد بها إلا على فعل محرم 2 ـ قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ ووجه الدلالة أنّ الله جعل الأمة شهداء على غيرهم من الأمم، وهذا يدل على قبول قولهم إذا اتفقوا، لأن الشاهد قوله مقبول، والشهادة تشمل الشهادة على أعمال الناس وأحكامها. 3 ـ قوله تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ ووجه الدلالة أنّ الآية تدل بطريق مفهوم المخالفة على أنّ ما اتفقوا عليه ولم يتنازعوا فيه حق، لأنها نصت على ردّ المتنازع فيه إلى الله والرسول ﷺ ففهم من ذلك أنّ المتفق عليه حق»[1]. ويرى ابن عاشور في التحرير والتنوير ضعف هذا الاحتجاج فيقول: «وقد شاع عند كثير من علماء أصول الفقه الاحتجاج بهذه الآية، لكون إجماع علماء الإسلام على حكم من الأحكام حجّة، وأول من احتجّ بها على ذلك الشافعي. قال الفخر: «روي أنّ الشافعي سئل عن آية في كتاب الله تدلّ على أنّ الإجماع حجّة فقرأ القرآن ثلاثمائة مرة حتّى وجد هذه الآية. وتقرير الاستدلال أنّ اتّباع غير سبيل المؤمنين حرام، فوجب أن يكون اتّباع سبيل المؤمنين واجبًا. بيان المقدمة الأولى: أنّه تعالى ألحق الوعيد بمن يشاقق الرسول ويتّبع غير سبيل المؤمنين، ومشاقّة الرسول وحدها موجبة لهذا الوعيد، فلو لم يكن اتّباع غير سبيل المؤمنين موجبًا له، لكان ذلك ضمًّا لما لا أثر له في الوعيد إلى ما هو مستقلّ باقتضاء ذلك الوعيد، وأنّه غير جائز، فثبت أنّ اتّباع غير سبيل المؤمنين حرام، فإذا ثبت هذا لزم أن يكون اتّباع سبيلهم واجبًا». وقد قرّر غيره الاستدلال بالآية على حجّيّة الإجماع بطرق أخرى، وكلّها على ما فيها من ضعف في التقريب، وهو استلزام الدليل للمدّعي، قد أوردت عليها نقوض أشار إليها ابن الحاجب في «المختصر». واتّفقت كلمة المحقّقين: الغزالي، والإمام في «المعالم»، وابنِ الحاجب، على توهين الاستدلال بهذه الآية على حجّيّة الإجماع»[2].

(1) انظر د. عماد علي جمعة، **أصول الفقه الميسر**، ص 61.

(2) انظر ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، في معرض تفسيره للآية: 115 من سورة النساء.

والتأويل خاطئ، ذلك أنّ «الأمة الوسط» في الآية الأولى لا تتجاوز النبيّ ﷺ والصحابة بتعريف سعيد بن المسيب، وعلى أيسر الفروض لا تتجاوز قرن النبيّ ﷺ، ومن هناك لا تصلح للاستشهاد بها على حجية الإجماع. والقول بأنّ ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ يدل على وجوب اتباع ما لم يتنازع عليه المسلمون أو ما اتفقوا عليه قول لا يستقيم، وإلّا لكان قول النصارى الله ثالث ثلاثة واجب الاتباع. وكذلك القول بأنّ وعيده تعالى لمن ﴿وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ ينصرف إلى تأكيد حجية الإجماع قول لا يستقيم فـ«سبيل المؤمنين» لا يعني ما اتفق عليه المؤمنون؛ بل هو سبيل الله تعالى ورسوله ﷺ، فلا سبيل آخر لهم غير سبيل الله، وإلّا لتفرقت بهم السبل عن سبيله، قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ﴾[1]. ثم إنّ الركون للإجماع هو ما أضاع أهل الكتب السابقة؛ حيث أجمع الأحبار والرهبان على تحريف كتبهم، وعلى الكذب على الله سبحانه وتعالى. ومن هناك فالإجماع لا حجية له، وخاصة حين يتحقق الإجماع على مسألة تناقض القرآن، والآية لا علاقة لها بتأكيد حجيّة الإجماع، حيث ليس ثمّة فارق لغوي ولا اصطلاحي بين الصيغ الثلاث: سبيل الله تعالى، وسبيل الرسول ﷺ، وسبيل المؤمنين. والآيات الثلاث التي استشهد بها في حجية الإجماع، لا تعزز حجية الإجماع. إذ إنّ سبيل المؤمنين في الآية الأولى لا يعني ما اتفق عليه المسلمون كما أسلفنا، كما أنّ الشهادة على الناس أمام الله تعالى يوم القيامة في الآية الثانية، لا تنصرف دلالتها إلى حجية الإجماع، ذلك أنّه لا أحد يمكنه أنْ يكذب يوم القيامة، حيث تشهد حواس المرء على ما فعله في الدنيا، بينما في الدنيا يمكن للمرء أنْ يتبع هواه دون أنْ تفضحه حواسه، ودون أنْ يفضحه التنزيل بعد انقطاعه عن الأرض بوفاة خاتم النبيين ﷺ. **أما الآية الثالثة فتدعو المسلمين إلى أنْ يحتكموا إلى الله تعالى وإلى رسوله ﷺ حين اختلافهم، ولا يحتكموا لغيرهما، فإذا بهم يحتكمون للعدل الضابط، وهو ما أجمع عليه أئمة وفقهاء أهل الحديث والنسخ، فكان**

---

(1) سورة الأنعام، الآية: 153.

إجماعهم مخالفًا للآية. وهو ما يطعن في الركون إلى الإجماع، ثم إنّ إجماع أهل الكتب السابقة لم يعصمهم من الضلال كما أسلفنا؛ فأجمعوا على أنّ الله ثالث ثلاثة سبحانه وتعالى عما يصفون، وأجمعوا على تحريف الكلم عن مواضعه، وعلى أنّهم أبناء الله وأحباؤه، وأنّه لن تمسهم النار إلّا أيامًا معدودات، كما أجمعوا على إنكار نبوّة محمد ﷺ.

كما أُوّلت الآية التاسعة من سورة الحجر على أنّها لا تقتصر على حفظ القرآن، بل تشمل حفظ التفسير والحديث والإجماع، وكل علوم الدين والفقه؛ حيث قال ابن حزم في الإحكام في أصول الأحكام: «فإن قال قائل: إنما عني تعالى بذلك القرآن وحده فهو الذي ضمن الله تعالى حفظه لا سائر الوحي الذي ليس قرآناً. قلنا له وبالله تعالى التوفيق: هذه دعوى كاذبة مجردة عن البرهان وتخصيص للذكر»[1]، وقال ابن تيمية في الجواب الصحيح لمن بدلّ دين المسيح: «هذه الأمة حفظ الله لها ما أنزله كما قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾[2] فما في تفسير القرآن أو نقل الحديث أو تفسيره من غلط؛ فإنّ الله يقيم له من الأمة من يبينه ويذكر الدليل على غلط الغالط وكذب الكاذب فإنّ هذه الأمة لا تجتمع على ضلالة، ولا يزال فيها طائفة ظاهرة على الحق حتى تقوم الساعة»[3]. وقال الشاطبي في الموافقات في أصول الشريعة: «والشريعة المباركة المحمدية منزّلة على هذا الوجه، ولذلك كانت محفوظة في أصولها وفروعها كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾»[4].

والتأويل خاطئ، ذلك أنّ دلالة «الذكر» في الآية لا تنصرف إلى غير القرآن، فلا تشمل حفظ التفسير والحديث والإجماع، وعلوم الدين والفقه، كما ذهبت التأويلات التي تناولناها آنفًا. ومن هناك فدلالة «الحفظ» في الآية

(1) انظر ابن حزم، **الإحكام في أصول الأحكام**، ج: 1، ص: 122.
(2) سورة الحجر، الآية: 9.
(3) انظر ابن تيمية، **الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح**، ج: 3، ص: 39.
(4) انظر الشاطبي، **الموافقات في أصول الشريعة**، ج: 1، ص: 107.

تقتصر على متن القرآن، ولا تتجاوزه إلى التأويل، أو إلى غيره من مصادر التشريع كالأحاديث وأقوال الرواة، ومساهمات الأئمة والفقهاء والمتكلمين. ثم إنّ التأويلات آنفًا تخلط بين ما هو إلهي وما هو إنساني، فهي لا تميّز بين قول الله تعالى، وأقوال الرواة التي نسبوها للنبيّ ﷺ، وأقوال المتأوّلين والأئمة والفقهاء. رغم اقتصار دلالة الحفظ في الآية على ما هو إلهي في الدين، وإنّ هذا الخلط يجعلهم بربهم يعدلون، وهو ورب الكعبة لإفك عظيم.

خاتمة المبحث:

جدول رقم (2 ـ 19)

التأويلات المتعلقة بعصمة الجماعة وحجية الإجماع:

الكَلِم	الدلالة المحرّفة	الدلالة الأصلية
﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾	وكذلك جعلنا المسلمين من أتباع محمد أمة وسطًا ليكونوا شهداء على غيرهم من الأمم، ويكون محمد شهيدًا عليكم. وهذا يدل على قبول قولهم إذا اتفقوا، لأن الشاهد قوله مقبول.	وكذلك جعلنا محمدًا والذين معه جماعة وسطًا ليكونوا شهداء على معاصريهم من النّاس، ويكون محمد شهيدًا عليكم.
﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾	فإنّ تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول وما لم تتنازعوا فيه فهو واجب الاتباع.	فإنّ تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول. ولا يعني بأنّ ما اتفقتم عليه واجب الاتباع وإلّا لكان قول النصارى الله ثالث ثلاثة واجب الاتباع.
﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾	ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبيّن له الهدى ويبتغ غير الإجماع نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرًا.	ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبيّن له الهدى ويبتغ[*] غير سبيل الله ورسوله والمؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرًا.

(*) ذلك أنّ سبيل رسول الله ﷺ والمؤمنين واحد وهو سبيل الله ولو تعددت السبل فصار سبيل الله غير سبيل رسوله وغير سبيل المؤمنين لتفرقت بالمؤمنين السبل.

﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾	إنّا نحن نزلنا شريعتكم وإنّا لأصولها وفروعها لحافظون.	إنّا نحن نزلنا القرآن وإنّا له لحافظون.

التعليق:

لم تكن مصطلحات الصحابة والجماعة والإجماع سائدة زمن النبوّة، ولا في زمن الخلفاء الراشدين، بل كانت التسميات السائدة هي المسلمين، والمهاجرين، والأنصار، إنّما سادت هذه المصطلحات بعد الفتنة الكبرى. ويُعد معاوية الخليفة الخامس ومؤسس الدولة الأموية أول من استخدم مصطلح الجماعة في حديث افتراق الأمة، وقصد به الموالين لحكم بني أمية طوعًا أو كرهًا. ومنذ ذلك الوقت سعت مدرسة أهل الحديث والنسخ إلى البحث عن الأسانيد المعززة لمذهب الجماعة والأسانيد المجرّمة للخارجين عنها، أي الخارجين على الدولة «حكم بني أمية، ثم حكم بني العباس». وضمن هذه الجهود تأتي هذه التأويلات؛ حيث أوّلت الآيتان اللتان تناولناهما آنفًا على نحو يؤكد حجية الإجماع وعصمة الجماعة؛ فأوّلت الآية الخامسة عشرة بعد المئة من سورة النساء على أنها تقرر حجيّة الإجماع، كما أوّلت الآية التاسعة من سورة الحجر على أنها لا تقتصر على حفظ القرآن، بل تشمل حفظ التفسير والحديث والإجماع، وكل علوم الدين والفقه. وهذا تجنٍّ على الآيتين، ذلك أنّ «سبيل المؤمنين» في الآية الأولى لا يعني ما اتفق عليه المؤمنون؛ فسبيل المؤمنين هو سبيل الله ورسوله فليس لهم سبيل آخر غير سبيل الله ورسوله وإلّا لتفرقت بهم السبل، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ﴾[1]. والقول بأنّ سبل المؤمنين ثلاث؛ هي سبيل الله تعالى، وسبيل رسول الله ﷺ، وسبيل المؤمنين تقترب من القول بأنّ الله ثالث ثلاث. وتجعل سبيل الله الواحد سبلًا عديدة، بما يخالف الآية، التي تدعونا إلى توحيد السبيل إلى الله تعالى، وألّا تتفرق بنا السبل إليه. ثم إنّ الركون إلى الإجماع هو ما أضاع أهل الكتب السابقة، كما أنّ «الذكر» في الآية لا يتجاوز متن القرآن

---

(1) سورة الأنعام، الآية: 153.

في الآية الثانية، وهو لا يشمل التأويل، الذي تمّ العبث به وتحريفه كما فعل الأحبار والرهبان بالكتب السابقة، كما لا يشمل الأحاديث وأقوال الرواة، ولا يشمل أقوال الأئمة والفقهاء والمتكلمين وغيرهم.

ـ العشرون ـ
التأويلات المتعلقة بنظرية السيف

1. تأويل آية ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ﴾: أوّل أهلُ الحديث والنسخ «الذين يقاتلونكم» في الآية التسعين بعد المئة من سورة البقرة: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾ على أنّها وردت على سبيل التهييج والإغراء بالأعداء؛ حيث أورد ابن كثير في تفسير القرآن العظيم في معرض تفسيره للآية قوله: «قال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية في قوله تعالى ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ﴾ قال: هذه أول آية نزلت في القتال بالمدينة، فلما نزلت كان رسول الله ﷺ يقاتل من قاتله، ويكف عمن كف عنه، حتى نزلت سورة براءة، وكذا قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، حتى قال هذه منسوخة بقوله ﴿فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ﴾[1] وفي هذا نظر، لأن قوله ﴿ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ﴾ إنّما هو تهييج وإغراء بالأعداء الذين همتهم قتال الإسلام وأهله، أي كما يقاتلونكم فاقتلوهم أنتم».

والتأويل خاطئ، ذلك أنّه تعالى أمر المسلمين بقتال الذين يقاتلونهم، دون غيرهم من الكفار والمشركين، ومن الواضح تهافت القول بأنّ ﴿ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ﴾ وردت لمجرد التحفيز على قتال أعداء المسلمين، والله تعالى يقول في الآية الثالثة والتسعين بعد المئة من نفس السورة: ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِۖ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَلَا عُدۡوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ غير أنّ سلاطين بني أمية وبني العباس أرادوا غزو كافة البلدان التي يمكن أنْ تصلها نعال

(1) سورة التوبة، الآية: 5.

جيادهم، وأقدام جنودهم، كأي أباطرة يبيعون آخرتهم بدنياهم ولا يتورعون عن استخدام دين الله لتسويغ شهيتهم للغزو، وبسط سلطانهم على العالمين، فكلفوا من طوع دلالة الآية لتطلعاتهم للغزو، وما يترتّب عليه من سبايا وعبيد وغنائم وخراج وما إلى ذلك. وحين أدرك المتأوّلون تهافت تأويلهم قالوا بنسخ الآية بآية السيف.

كما أوّل النهي عن الاعتداء في نفس الآية من سورة البقرة: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾ على أنه يعني النهي عن ارتكاب ما نُهي عنه في القتال؛ حيث أورد ابن كثير في تفسير القرآن العظيم في معرض تفسيره للآية قوله: «وقوله ﴿وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾ أي قاتلوا في سبيل الله، ولا تعتدوا في ذلك ويدخل في ذلك ارتكاب المناهي؛ كما قاله الحسن البصري: من المثلة والغلول وقتل النساء والصبيان والشيوخ، الذين لا رأي لهم ولا قتال فيهم، والرهبان وأصحاب الصوامع، وتحريق الأشجار، وقتل الحيوان لغير مصلحة، كما قال ذلك ابن عباس وعمر بن عبد العزيز ومقاتل بن حيان وغيرهم».

والتأويل خاطئ، ذلك أنّ الاعتداء ينصرف أولًا إلى قتال الذين لم يبادروا المسلمين بالعداء والقتال، وينصرف ثانيًا إلى ما ذهب إليه التأويل أعلاه، غير أنّ المتأوّلين قصروا الاعتداء على الدلالة الثانية إخضاعًا للآية لنظرية السيف.

2. **تأويل آية** ﴿وَمَن يَرۡتَدِدۡ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتۡ وَهُوَ كَافِرٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ﴾: أوّل أهلُ الحديث والنسخ دلالة الآيتين الخامسة من سورة التوبة، والسابعة عشرة بعد المئتين من سورة البقرة: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمۡ عَن دِينِكُمۡ إِنِ ٱسۡتَطَٰعُواْۚ وَمَن يَرۡتَدِدۡ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتۡ وَهُوَ كَافِرٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ على أنّهما تشرعان لقتل المرتد؛ حيث أورد الشافعي في كتابه «الأم» قوله: «ومن انتقل عن الشرك إلى إيمان ثم انّتقل عن الإيمان إلى الشرك من بالغي الرجال والنساء استتيب فإنّ تاب قبل منه، وإن لم يتب قتل قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمۡ عَن دِينِكُمۡ إِنِ ٱسۡتَطَٰعُواْۚ﴾ إلى ﴿وَهُمۡ

فِيهَا خَـٰلِدُونَ﴾»[1]. كما استشهد عبد العزيز بن باز في فتاويه بالجزء الأخير من آية السيف على حجية قتل المرتد: «قد دل القرآن الكريم والسُّنة المطهرة، على قتل المرتد إذا لم يتب في قوله سبحانه في سورة التوبة: ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[2]، فدلت هذه الآية الكريمة على أنّ من لم يتب لا يُخلى سبيله»[3].

وهذا التأويل خاطئ، ذلك أنّ الآية الأولى لم تقرر عقوبة دنيوية للمرتدّ، وتوعدته بالعقاب الأخروي فحسب، أمّا آية السيف فهي غير معنية بالمرتدين، بل إنّها تأمر بقتال المشركين الذين ناصبوا المسلمين العداء، وتصدّوا للدعوة إلى دين الله تعالى فحسب ودون غيرهم من الكفار والمشركين. ومع ذلك فآية السيف تدعو المسلمين إلى أن يسقطوا حقهم في القصاص من المشركين إن آمنوا وتابوا.

3. تأويل آية ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَـٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾: أوّل أهلُ الحديث والنسخ دلالة الآية الرابعة والتسعين من سورة النساء: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُوا۟ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَـٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ على أنها نزلت في قتل رجل في غنيمة له، أطلق السلام على بعض المسلمين غير أنّهم لحقوا به وقتلوه؛ حيث أورد البخاري حديثًا نسبه إلى عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما قال فيه: «لا تقولوا لمن ألقى لكم السلم لست مؤمنًا» قال: قال ابن عباس: كان رجل في غنيمة له، فلحقه المسلمون. فقال السلام عليكم، فقتلوه وأخذوا غنيمته، فأنزل الله في ذلك قوله: ﴿عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ تلك الغنيمة. قال قرّاء ابن عباس «السلام»[4]. كذلك أورد الطبري في معرض تفسيره للآية قوله: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَـٰمَ﴾ يقول: ولا تقولوا لمن استسلم لكم فلم يقاتلكم، مظهرًا لكم أنّه من أهل ملتكم ودعوتكم، ﴿لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾ فتقتلوه ابتغاء عرض

(1) انظر الشافعي، الأم، ج: 1، ص 295.
(2) سورة التوبة، الآية: 5.
(3) انظر مجموع فتاوى ابن باز، ج: 9، ص: 303.
(4) انظر صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَـٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾، ح 4591.

الحياة الدنيا، يقول: طلب متاع الحياة الدنيا، فإنّ عند الله مغانم كثيرة من رزقه وفواضل نعمه، فهي خير لكم إن أطعتم الله فيما أمركم به ونهاكم عنه فأثابكم بها على طاعتكم إياه، فالتمسوا ذلك من عنده».

والتأويل خاطئ، ذلك أنّ الآية لا تقتصر على النهي عن مقاتلة الذين آمنوا، بل أيضًا عن قتال الذين يسالمون المسلمين من غير المسلمين ولا يقاتلونهم، غير أنّ المتأوّلين أرادوا قصرها على «الذين آمنوا» أو الذين حيوا المسلمين بتحية الإسلام، وذلك امتثالًا لرغبة قياصرة بني أمية وبني العباس الذين يريدون بسط سلطانهم على الأمم الأخرى، لتتدفق الأموال على خزائنهم التي سميت زورًا بيت مال المسلمين، ومن أجل ذلك كلفوا من وضع مثل هذا الرواية، ليقصروا دلالة الآية على عدم مقاتلة الذين أسلموا، أو ليقصروها على الحالة التي ذكرت في الرواية المتعلقة بسبب النزول. والله تعالى يقول في الآية الثالثة عشرة من سورة التوبة بعد ست آيات من آية السيف: ﴿أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓاْ أَيْمَـٰنَهُمْ وَهَمُّواْ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ أَتَخْشَوْنَهُمْ ۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾، وهو ما يجعل الأمر بقتال المشركين مقيد بالمشركين الذين نكثوا إيمانهم وهموا بإخراج الرسول وبدأوا المسلمين بالقتال. كما قال تعالى في الآية التاسعة والثلاثين من سورة الحج: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ وهي المعروفة بآية «الإذن بقتال المشركين» وربطت الإذن بالظلم الذي ألحقوه بالمسلمين، كما قال تعالى في الآية الثامنة من سورة الممتحنة: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَـٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾.

والآية تحدد بطريقة مفهوم المخالفة كما يقول الأصوليون من الذي يجب أنْ يقاتله المسلمون، وتقول بأنّهم الذين قاتلوهم وأخرجوهم من ديارهم. وقال أيضًا في الآية التسعين بعد المئة من سورة البقرة: ﴿وَقَـٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾[1]. وتعرضت كافة هذه الآيات إمّا لتحريف دلالاتها أو لمحاولات كتمانها واخفائها بادعاء النسخ

(1) سورة البقرة، الآية: 190.

عليها وذلك لتطويعها لنظرية السيف. وللرازي تأويل مختلف لدلالة الآية لا يخدم نظرية السيف، قال فيه: «ثم قال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَـٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾. أراد الانقياد والاستسلام إلى المسلمين، ومنه قوله: ﴿وَأَلْقَوْا۟ إِلَى ٱللَّهِ يَوْمَئِذٍ ٱلسَّلَمَ﴾[1] أي استسلموا للأمر، ومن قرأ ﴿ٱلسَّلَـٰمَ﴾ بالألف فله معنيان: أحدها: أن يكون المراد السلام الذي يكون هو تحية المسلمين، أي لا تقولوا لمن حيّاكم بهذه التحية إنّه إنّما قالها تعوذًا فتقدموا عليه بالسيف لتأخذوا ماله ولكن كفوا واقبلوا منه ما أظهره. والثاني: أن يكون المعنى: لا تقولوا لمن اعتزلكم ولم يقتلكم لست مؤمنًا، وأصل هذا من السلامة لأن المعتزل طالب للسلامة. قال صاحب الكشاف: قرىء ﴿مُؤْمِنًا﴾ بفتح الميم من آمنه أي لا نؤمنك». كما أورد الرازي رواية أخرى عن سبب نزول الآية بعد ذكره للأولى تقول: «إنّ القاتل ملحم بن جثامة لقيه عامر بن الأضبط فحيّاه بتحية الإسلام، وكانت بين ملحم وبينه إحنة في الجاهلية فرماه بسهم فقتله، فغضب رسول الله ﷺ وقال: «لا غفر الله له» فما مضت به سبعة أيام حتى مات فدفنوه فلفظته الأرض ثلاث مرات، فقال النبي ﷺ: «إنّ الأرض لتقبل من هو شرّ منه ولكن الله أراد أنْ يريكم عظم الذنب عنده». «ثم أمر أنْ تلقى عليه الحجارة». ونحن هنا لسنا معنيين بالتدقيق في مدى صحة لفظ الأرض للقاتل في هذه الرواية.

4. تأويل آية ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾:

أوّل أهلُ الحديث والنسخ دلالة الآية الخامسة من سورة التوبة: ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ على أنّها تعني الأمر بقتال المشركين جميعًا أينما كانوا، وبغض النظر عمن يكونون؛ حيث أورد القرطبي في الجامع لأحكام القرآن قوله: «الثانية ـ قوله تعالى: ﴿فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ عامٌّ في كل مشرك، لكن السُّنّة خصّت منه ما تقدم بيانه في سورة «البقرة» من امرأة وراهب وصبيّ وغيرهم. وقال الله تعالى في أهل

(1) سورة النحل، الآية: 87.

الكتاب: ﴿حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ﴾[1]. إلّا أنّه يجوز أنْ يكون لفظ المشركين لا يتناول أهلُ الكتاب، ويقتضي ذلك منع أخذ الجزية من عبدة الأوثان وغيرهم، على ما يأتي بيانه. وٱعلم أن مطلق قوله: ﴿فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ يقتضي جواز قتلهم بأيّ وجه كان؛ إلا أن الأخبار وردت بالنهي عن المثلة. ومع هذا فيجوز أن يكون الصدّيق رضي الله عنه حين قتل أهل الردّة بالإحراق بالنار، وبالحجارة وبالرمي من رؤوس الجبال، والتنكِيس في الآبار، تعلّق بعموم الآية. وكذلك إحراق عليّ رضي الله عنه قومًا من أهل الردّة يجوز أن يكون ميلًا إلى هذا المذهب، وٱعتمادًا على عموم اللفظ. والله أعلم. الثالثة ـ قوله تعالى: ﴿حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ عامٌّ في كل موضع. وخصَّ أبو حنيفة رضي الله عنه المسجد الحرام؛ كما سبق في سورة «البقرة». ثم اختلفوا؛ قال الحسين بن الفضل: نسخت هذه كلَّ آية في القرآن فيها ذكر الإعراض والصبر على أذى الأعداء .وقال الضحاك والسدّيّ وعطاء: هي منسوخة بقوله: ﴿فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً﴾ . وأنه لا يُقتل أسير صَبْرًا، إما أن يمنّ عليه وإما أن يُفادى. وقال مجاهد وقتادة: بل هي ناسخة لقوله تعالى: ﴿فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً﴾ وأنّه لا يجوز في الأسارى من المشركين إلا القتل. وقال ابن زيد: الآيتان محكمتان. وهو الصحيح، لأن المَنّ والقتل والفداء لم يزل من حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم من أول حرب حاربهم، وهو يوم بدر كما سبق».

والتأويل خاطئ، ذلك أنّ الله تعالى قال بعد ست آيات من آية السيف في الآية الثالثة عشرة من نفس السورة: ﴿أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ وَهَمُّوا۟ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ أَتَخْشَوْنَهُمْ ۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾، وهو ما يقيّد مطلق الآية ويجعله متعلقًا بالمشركين الذين نكثوا إيمانهم وهموا بإخراج الرسول وبدأوا المسلمين بالقتال. كما قال تعالى في الآية التسعين بعد المئة من سورة البقرة: ﴿وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ والتي ربطت القتال بالذين يقاتلونكم دون غيرهم، كما قال تعالى في الآية التاسعة والثلاثين من سورة الحج: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ وهي

(1) سورة التوبة، الآية: 29.

المعروفة كما أسلفنا بآية «الإذن بقتال المشركين» وربطت الإذن بالظلم الذي ألحقوه بالمسلمين، كما قال تعالى في الآية الثامنة من سورة الممتحنة: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾، والآية تأذن للمسلمين أنْ يبروا ويقسطوا الذين لا يقاتلونهم من الكافرين بل وتحدد بطريقة مفهوم المخالفة كما أسلفنا من الذي يجب قتاله، وتشترط مقاتلة الذين قاتلوا المسلمين وأخرجوهم من ديارهم، وليس كما تأوّل المتأوّلون في دلالة آية السيف التي استخدمها الذين يكتمون ما أنزل الله في كتمان أكثر من مائة وعشرين آية.

5. **تأويل آية** ﴿وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾: أوّل أهل الحديث والنسخ النهي عن قتل النفس إلّا بالحق دلالة الآية الحادية والخمسين بعد المئة من سورة الأنعام: ﴿وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ على أنّها تقتصر على تحريم قتل المسلم والمعاهد؛ حيث أورد ابن كثير في تفسير القرآن العظيم في معرض تفسيره للآية قوله: «وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ وهذا مما نص تبارك وتعالى على النهي عنه تأكيدًا، وإلا فهو داخل في النهي عن الفواحش ما ظهر منها وما بطن؛ فقد جاء في الصحيحين عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يحلّ دم امرىء مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة»، وفي لفظ لمسلم: «والذي لا إله غيره لا يحل دم رجل مسلم» وذكره، قال الأعمش: فحدثت به إبراهيم، فحدثني عن الأسود عن عائشة بمثله، وروى أبو داود والنسائي: عن عائشة رضي الله عنها أنّ رسول الله ﷺ قال: «لا يحل دم امرىء مسلم إلا بإحدى ثلاث خصال: زان محصن يرجم، ورجل قتل رجلًا متعمدًا فيقتل، ورجل يخرج من الإسلام حارب الله ورسوله، فيقتل أو يصلب أو ينفى من الأرض» وهذا لفظ النسائي، وعن أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه أنّه قال وهو محصور: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يحلّ دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث: رجل كفر بعد إسلامه، أو زنى بعد إحصانه، أو قتل نفسًا بغير نفس» فوالله ما زنيت في جاهلية ولا إسلام، ولا

تمنيت أنّ لي بديني بدلًا منه إذ هداني الله، ولا قتلت نفسًا، فبم تقتلونني؟ رواه الإمام أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه، وقال الترمذي: هذا حديث حسن. وقد جاء النهي والزجر والوعيد في قتل المعاهد، وهو المستأمن من أهل الحرب، فروى البخاري: عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ مرفوعًا: «من قتل معاهدًا، لم يرح رائحة الجنة، وإنّ ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عامًا» وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «من قتل معاهدًا له ذمة الله وذمة رسوله، فقد أخفر بذمة الله، فلا يرح رائحة الجنة، وإنّ ريحها ليوجد من مسيرة سبعين خريفًا» رواه ابن ماجه والترمذي، وقال: حسن صحيح، وقوله: ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ أي: هذا مما وصاكم به لعلكم تعقلون عن الله أمره ونهيه».

والتأويل خاطئ، ذلك أنّ الآية وردت عامة وغير مقيّدة ولم تستثن نفسًا إلّا بالحق، والحق يقتصر على القصاص والفساد في الأرض، قال الله تعالى: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾[1]، أمّا الحديث الذي نُسب لابن مسعود فيناقض القرآن، فالقرآن لم يدعُ إلى قتل أحدٍ من الكفار والمشركين، ولا من أهل الكتاب إلّا الذين اعتدوا على المسلمين أو حاربوا الدعوة إلى الله، كما لم يدعُ إلى قتل الثيب الزاني ولا المرتد عن الإسلام. والاستشهادات التي ذكرناها في معرض التعليق على تأويل آية السيف في الفقرة السابقة تغنينا عن أي محاجة، وتؤكد ما ذهبنا إليه. بل ونضيف إلى ذلك أنّ دلالة الآية تنصرف إلى النهي عن قتل الحيوانات، والنباتات وكافة الكائنات الحية إلّا بالحق، والحق فيما يتعلق بالكائنات الحية أن يكون في حياة تلك الكائنات إلحاق الضرر بالإنسان أو في قتلها نفع له.

6. تأويل آية ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾: أوّل أهلُ الحديث والنسخ دلالة الآية الثامنة من سورة الإنسان: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ على أنّ الأسير في الآية تعني المحبوس من المسلمين أو

(1) سورة المائدة، الآية: 32.

الأسير المسلم في أيدي المشركين، حيث أورد الفيروزآبادي في تفسير القرآن في معرض تفسيره لهذه الآية قوله: «﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ على قلته وشهوته ﴿مِسْكِينًا وَيَتِيمًا﴾ من المسلمين ﴿وَأَسِيرًا﴾ من المسلمين في أيدي المشركين ويقال أهل السجن». وطالما أنّ القتال بين المسلمين حرام، فإنّ الذين أولوا الآية على غير تأويلها، ساءهم أن يُطعم الأسير غير المسلم، فقالوا تارة بأنّها تعني المحبوس من المسلمين، وقالوا تارة أخرى بأنّها منسوخة بآية السيف، الآية الخامسة من سورة المائدة: ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾، حيث أورد ابن الجوزي في نواسخ القرآن: «ذكر الآية الأولى قوله تعالى ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ زعم بعضهم أن هذه تضمنت المدح على إطعام الأسير المشرك قال وهذا منسوخ بآية السيف، أخبرنا المبارك بن علي قال أنبا أحمد بن الحسين قال أنبا البرمكي قال أنبا محمد بن إسماعيل قال أنبا أبو بكر بن أبي داود قال أنبا يعقوب بن سفيان قال أنبا يحيى بن بكير قال حدثني ابن لهيعة عن عطاء عن سعيد بن المسيب ﴿وَأَسِيرًا﴾ قال يعني من المشركين نسخ السيف الأسير من المشركين قلت إنما أشار إلى أنّ الأسير يقتل ولا يفادى فأما إطعامه ففيه ثواب بالإجماع لقوله عليه الصلاة والسلام «في كل كبد حري أجر» والآية محمولة على التطوع بالإطعام فأما الفرض فلا يجوز صرفه إلى الكفار»[1].

ومن الواضح أنّ التأويل الذي أورده الفيروزآبادي، وكذلك محاولة كتمان الآية بالنسخ لا أساس لهما، فالذين أوّلوا دلالة الأسير على أنّه الأسير المسلم فاتهم عدم إمكانية ذلك؛ حيث الأسير المسلم يتواجد في ديار العدو ولا سبيل لإطعامه، والذين قالوا بأنّه المحبوس من المسلمين فاتهم بأنّ الإسلام لم يشرّع الحبس، فالحبس عقوبة وضعية وليست دينية. وأمّا القول بنسخ الآية فسنكتفي برد ابن الجوزي على القائلين بنسخها. وإجمالًا فإنّ هذا التأويل فيه تجنٍّ على الله تعالى وحري بأنّ يسيء للإسلام والمسلمين، حين

(1) انظر ابن الجوزي، **نواسخ القرآن**، القول بنسخ الآية: 8 من سورة الإنسان.

يرى المتأوّلون بأنّ الله تعالى لا يمتدح إطعام الأسير المشرك، وكأن المتأوّلين يعتبرون إطعام الأسير المشرك عمل شائن.

خاتمة المبحث:

جدول رقم (2 ـ 20)

التأويلات المتعلقة بنظرية السيف:

الكَلِم	الدلالة المحرّفة	الدلالة الأصلية
﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾	وقاتلوا في سبيل الله فكيف لا تقاتلوا الذين يقاتلونكم وتجنبوا المثلة والغلول وقتل النساء والصبيان والشيوخ والرهبان، وأصحاب الصوامع، وحرق الأشجار، وقتل الحيوان لغير مصلحة إنّ الله لا يحب المعتدين.	وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم فحسب ولا تعتدوا على من لم يبادركم بالعدوان إنّ الله لا يحب المعتدين.
﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمۡ عَن دِينِكُمۡ إِنِ ٱسۡتَطَٰعُواْۚ وَمَن يَرۡتَدِدۡ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتۡ وَهُوَ كَافِرٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾	ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا ومن يرتدد منكم عن دينه يُقتل حدًّا ويمت وهو كافر، فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النّار هم فيها خالدون.	ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر، فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النّار هم فيها خالدون.
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنۡ أَلۡقَىٰٓ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسۡتَ مُؤۡمِنٗا تَبۡتَغُونَ عَرَضَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾	يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبيّنوا ولا تقولوا لمن ألقى إليكم التحية «السلام عليكم» لست مؤمنًا تبتغون عرض الحياة الدنيا.	يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبيّنوا ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمنًا تبتغون عرض الحياة الدنيا.

﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾	فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين كافة حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فإن تابوا وأقاموا الصلاة وأتوا الزكاة فخلوا سبيلهم إنّ الله غفور رحيم .	فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين «الذين نقضوا عهودهم وهموا بإخراج الرسول وبادروكم بالعداوة» حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فإن تابوا وأقاموا الصلاة وأتوا الزكاة فخلوا سبيلهم إنّ الله غفور رحيم.
﴿وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾	ولا تقتلوا المسلم والمعاهد ذلك حرّمه الله إلّا بالحق، ذلك وصاكم به لعلكم تعقلون.	ولا تقتلوا النفس «على إطلاقها» إلّا بالحق، ذلك وصاكم به لعلكم تعقلون.
﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾	ويطعمون الطعام على حبه مسكينًا ويتيمًا وسجينًا أو أسيرًا مسلمًا لدى المشركين.	ويطعمون الطعام على حبه مسكينًا ويتيمًا وأسيرًا مشركًا لدى المسلمين.

التعليق:

ثمة عدة عوامل تضافرت لصياغة نظرية السيف نذكر منها :

1. الفتن والاضطرابات التي كانت تعصف بالدولة الأموية، والتي دفعت دهاقنة بني أمية إلى توجيه الأنظار إلى العدو الخارجي، وذلك لدفع المجتمع الإسلامي إلى التوحد في مواجهة الأعداء المتربصين بالدولة الوليدة كالروم وغيرهم.
2. طبيعة العرب ونزوعهم للغزو وحبهم للغنائم؛ حيث كانوا في الجاهلية يتكسبون من الغزو.
3. انفتاح شهية خلفاء بني أمية للغزو، وما يترتب عليه من تدفق للأموال في صورة سبايا وغنائم وجزية وخراج.

ومن هناك صيغت نظرية السيف، واستندت إلى الآيات التي تأمر المسلمين بمقاتلة مشركي قريش، والذين تحالفوا معهم ضد الدعوة الوليدة، وناصبوا المسلمين العداء. فأطلقت المقيد وعممت المخصص، وادعت نسخ

كافة الآيات التي تنهى عن مقاتلة الذين لم يقاتلوا المسلمين، ولم يعتدوا عليهم من الكفار والمشركين وأهل الكتاب. وعلى ضوء ذلك أوّلت الآيات التي تناولناها آنفًا على نحو يعزز نظرية السيف، ويدعو لقتال المشركين حيثما كانوا ومتى كانوا؛ حيث أوّل ﴿ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ﴾ في الآية التسعين بعد المئة من سورة البقرة، التي تُقصر الأمر بالقتال للمسلمين على قتال الذين يقاتلونهم، على أنّها وردت على سبيل التهييج والإغراء بالأعداء، وليس على سبيل القصر والتقييد. كما أوّل «النهي عن الاعتداء» في نفس الآية على أنّه يقتصر على النهي عن ارتكاب ما نُهي عنه في القتال، كالمثلة والغلول وقتل النساء والصبيان والشيوخ وقطع الأشجار، ولا ينصرف إلى النهي عن مقاتلة من لم يعتدِ على المسلمين. وأوّلت دلالة الآيتين السابعة عشرة بعد المئتين من سورة البقرة، والآية الخامسة من سورة التوبة على أنّهما تشرعان لقتل المرتد، غير أنّ الآية الأولى لم تقرّ عقوبة دنيوية للمرتدّ، وتوعدته بالعقاب الأخروي فحسب، أمّا آية السيف فهي غير معنية بالمرتدين. وأوّلت الآية الرابعة والتسعون من سورة النساء، التي تأمر المسلمين بعدم قتال من يلقي إليهم السلم، على أنّها نزلت في قتل رجل في غنيمة له، أطلق السلام على بعض المسلمين، غير أنّهم لحقوا به وقتلوه. غير أنّ الآية لا تقتصر على النهي عن مقاتلة الذين آمنوا، بل تنهى عن قتال الذين يسالمون المسلمين، من غير المسلمين، ولا يقاتلونهم. كما أوّلت الآية الخامسة من سورة التوبة على أنّها تعني الأمر بقتال المشركين جميعًا أينما كانوا، وبغض النظر عمن يكونون فلا يقتصر الأمر على قتال الذين يقاتلون المسلمين ويعترضون سبيل الدعوة لله، غير أنّ الله تعالى قال بعد ست آيات من آية السيف في الآية الثالثة عشرة من نفس السورة: ﴿أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوۡمٗا نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ وَهَمُّواْ بِإِخۡرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٍۚ أَتَخۡشَوۡنَهُمۡۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَوۡهُ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾، وهو ما يقيّد مطلق الآية ويجعله متعلقًا بالمشركين الذين نكثوا إيمانهم وهموا بإخراج الرسول وبدأوا المسلمين بالقتال. كذلك أوّلت الآية الحادية والخمسون بعد المئة من سورة الأنعام على أنّها تقتصر على النهي عن قتل المسلم والمعاهد، وأوّلت الآية الثامنة من سورة الإنسان على أنّ الأسير في الآية تنصرف إلى الأسير المسلم تارة، وإلى

المحبوس من المسلمين تارة أخرى، ليحض المتأوّلون على عدم إطعام الأسير غير المسلم. غير أنّ الذين أوّلوا دلالة الأسير على أنّه الأسير المسلم، فاتهم عدم إمكانية ذلك؛ حيث الأسير المسلم يتواجد في ديار العدو ولا سبيل لإطعامه، والذين قالوا بأنّه المحبوس من المسلمين، فاتهم بأنّ الإسلام لم يشرّع الحبس، فالحبس عقوبة وضعية وليست دينية.

ـ الحادي والعشرون ـ
التأويلات المتعلقة بتطويع آيات الذكر الحكيم لأقوال الرواة

1. تأويل آية ﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾: أوّل أهلُ الحديث والنسخ دلالة الآية الثمانين بعد المئة من سورة البقرة: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ﴾ لتطوع إلى حديث «لا وصية لوارث»؛ حيث أورد ابن كثير في تفسير القرآن العظيم في معرض تفسيره لهذه الآية: «اشتملت هذه الآية الكريمة على الأمر بالوصية للوالدين والأقربين، وقد كان ذلك واجبًا على أصح القولين قبل نزول آية المواريث، فلما نزلت آية الفرائض نسخت هذه، وصارت المواريث المقدرة فريضة من الله يأخذها أهلوها حتمًا من غير وصية ولا تحمل منة الموصي، ولهذا جاء في الحديث الذي في السنن وغيرها عن عمرو بن خارجة قال: سمعت رسول الله ﷺ يخطب وهو يقول: «إن الله قد أعطى كل ذي حق حقه، فلا وصية لوارث» وقال الإمام أحمد: حدثنا إسماعيل بن إبراهيم بن علية عن يونس بن عبيد عن محمد بن سيرين، قال: جلس ابن عباس فقرأ سورة البقرة حتى أتى هذه الآية: ﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ﴾ فقال: نسخت هذه الآية. وكذا رواه سعيد بن منصور، عن هشيم، عن يونس به، ورواه الحاكم في مستدركه، وقال: صحيح على شرطهما، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله: ﴿ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ﴾ قال: كان لا يرث مع الوالدين غيرهما إلا وصية للأقربين، فأنزل الله آية الميراث، فبيّن ميراث الوالدين، وأقرّ وصية الأقربين في ثلث مال الميت. وقال ابن أبي حاتم: حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح، حدثنا حجاج بن محمد، أخبرنا

ابن جريج وعثمان بن عطاء عن عطاء، عن ابن عباس، في قوله: ﴿ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ﴾ نسختها هذه الآية: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾[1] ثم قال ابن أبي حاتم: وروي عن ابن عمر وأبي موسى وسعيد بن المسيب والحسن ومجاهد وعطاء وسعيد بن المسيب ومحمد بن سيرين وعكرمة وزيد بن أسلم والربيع بن أنس وقتادة والسدي ومقاتل بن حيان وطاوس وإبراهيم النخعي وشريح والضحاك والزهري: أنّ هذا الآية منسوخة، نسختها آية الميراث، والعجب من أبي عبد الله محمد بن عمر الرازي رحمه الله، كيف حكى في تفسيره الكبير عن أبي مسلم الأصفهاني أنّ هذه الآية غير منسوخة، وإنما هي مفسرة بآية المواريث، ومعناه: كتب عليكم ما أوصى الله به من توريث الوالدين والأقربين من قوله: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوْلَٰدِكُمْ﴾[2] قال: وهو قول أكثر المفسرين والمعتبرين من الفقهاء. قال: ومنهم من قال: إنها منسوخة فيمن يرث، ثابتة فيمن لا يرث، وهو مذهب ابن عباس والحسن ومسروق وطاوس والضحاك ومسلم بن يسار والعلاء بن زياد».

وهذا التأويل خاطئ، فالوصية للوالدين، وفق الآية، لا يغني عنها نصيبهما في الميراث، والوصية للأقربين من غير الورثة واجبة وفقًا للآية، ولم تنسخ بحديث «لا وصية لوارث» ولا بالآية السابعة من سورة النساء ولا غيرها من آيات الميراث. وحديث «لا وصية لوارث» إنْ صحت نسبته لرسول الله ﷺ، ينصرف إلى منع المورثين من التلاعب بنصيب الورثة بالوصية، فيما لم تنص عليه الآيات الداعية للوصية. وهذا الإخضاع أو التطويع لآيات الله تعالى لأقوال الرواة والقائلين بالنسخ لا يستقيم، ذلك أنّه لا ينبغي أنْ نُحكّم الرجال أو الرواة في كتاب الله تعالى، وإنْ وصفنا الراوي بالعدل ضابط، فالاحتكام عند الاختلاف يكون لله ورسوله ﷺ حين كان الرسول بين ظهرانينا، أمّا حين يكون الاختلاف حول الحديث ولا يمكننا الرجوع لنبيّ الله ﷺ، فما علينا إلّا

(1) سورة النساء، الآية: 7.
(2) سورة النساء، الآية: 11.

أن نقتصر على الاحتكام إلى كتاب الله تعالى لا إلى العدل الضابط، أمّا ادعاء النسخ على الآية فهو ما سنتناوله في القسم الثاني من هذه الدراسة.

2. **تأويل آية** ﴿وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾: أوّل أهلُ الحديث والنسخ دلالة الآية الأربعين بعد المئتين من سورة البقرة: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾ لتطوّع إلى حديث «بل امكثي مكانك حتى يبلغ الكتاب أجله»؛ حيث أورد الطبري في جامع البيان في معرض تفسيره للآية قوله: «وأولى هذه الأقوال عندي في ذلك بالصواب أنْ يُقال: إنّ الله تعالى ذكره كان جعل لأزواج من مات من الرجال بعد موتهم سكنى حول في منزله، ونفقتها في مال زوجها الميت إلى انقضاء السنة. ووجب على ورثة الميت أنْ لا يخرجوهن قبل تمام الحول من المسكن الذي يسكنه، وإنْ هن تركن حقهن من ذلك وخرجن لم يكن لورثة الميت في خروجهن من حرج. ثم إنّ الله تعالى ذكره نسخ النفقة بآية الميراث، وأبطل مما كان جعل لهن من سكنى حول سبعة أشهر وعشرين ليلة، وردهن إلى أربعة أشهر وعشر على لسان رسول الله ﷺ. حدثني محمد بن عبد الله بن عبد الحكم، قال: ثنا حجاج، قال: أخبرنا حيوة بن شريح، عن ابن عجلان، عن سعيد بن إسحاق بن كعب بن عجرة، وأخبره عن عمته زينب ابنة كعب بن عجرة، عن فريعة أخت أبي سعيد الخدري: أنّ زوجها خرج في طلب عبد له، فلحقه بمكان قريب، فقاتله وأعانه عليه أعبدٌ معه، فقتلوه. فأتت رسول الله ﷺ فقالت: إنّ زوجها خرج في طلب عبد له، فلقيه علوج فقتلوه، وإني في مكان ليس فيه أحد غيري، وإنْ أجمع لأمري أنْ أنتقل إلى أهلي. فقال لها رسول الله ﷺ بل امكثي مكانك حتى يبلغ الكتاب أجله».

والتأويل خاطئ، ذلك أنّ صيغة حتى يبلغ الكتاب أجله، إن صح الحديث لا يفهم منها البقاء حتى تنتهي العدة، فأجل الكتاب هو ما حددته الآية حيث من غير المتوقع أن يترك الرسول ﷺ قول الله لقوله، ولا يقدم قوله على قول الله تعالى. ثم إنّه حتى إن سلّمنا جدلًا بصحة القول بأنّ بلوغ الكتاب أجله ينصرف إلى إتمام العدة، فإنّ الأرملة، في الواقعة التي تناولها الحديث، كانت راغبة في اللحاق بأهلها، واستبقاها ﷺ إلى أنْ تتم عدّتها لتلتحق بأهلها.

ومن هناك فلا يصح الاستشهاد بهذه الواقعة أو الحديث على نسخ الآية، حتى إن سلّمنا بجواز نسخ الحديث للقرآن، وهو لا يصح وليس ثمة اتفاق حوله. كذلك القول بنسخ نفقة الأرملة وسكنها إلى الحول بآية الميراث، هو قول خاطئ ولا دليل عليه، فللأرملة الحق وفق هذه الآية للنفقة والسكن إلى الحول، قبل قسمة تركة زوجها، ودون أنْ يُخصم ذلك من نصيبها في الميراث.

3. **تأويل آية** ﴿وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ﴾: أوّل أهلُ الحديث والنسخ دلالة ﴿وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ﴾ في الآية الرابعة والعشرين من سورة النساء: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۖ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَاءَ ذَٰلِكُمْ أَن تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ ۚ﴾ على أنّه لا يحل لكم ما وراء ذلك، وذلك لتطويعها لحديث تحريم الجمع بين المرأة وعمتها والمرأة وخالتها؛ حيث أورد القرطبي في الجامع لأحكام القرآن في معرض تفسيره للآية قوله: «الرابعة ـ قوله تعالىٰ: ﴿وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ﴾ قرأ حمزة والكِسائيّ وعاصم في رواية حفص ﴿وَأُحِلَّ لَكُم﴾ ردًّا على ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ﴾. الباقون بالفتح رَدًّا على قوله تعالىٰ: ﴿كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ﴾. وهذا يقتضي ألَّا يحرم من النساء إلَّا مَن ذُكر، وليس كذلك؛ فإنّ الله تعالىٰ قد حرّم على لسان نبيّه مَن لم يذكر في الآية فيُضمّ إليها؛ قال الله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ۚ﴾[1]. روى مُسْلم وغيره عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا يجمع بين المرأة وعَمّتها ولا بين المرأة وخالتها» وقال ابن شهاب: فنرى خالة أبيها وعَمَّة أبيها بتلك المنزلة، وقد قيل: إن تحريم الجمع بين المرأة وعمتها وخالتها متلقى من الآية نفسها؛ لأن الله تعالى حرم الجمَع بين الأختين، والجمعُ بين المرأة وعمتها في معنى الجمع بين الأُختين؛ أو لأن الخالة في معنى الوالدة والعمّةَ في معنى الوالد. والصحيح الأول؛ لأن الكتاب والسنّة كالشيء الواحد؛ فكأنه قال: أحللت لكم ما وراء ما ذكرنا في الكتاب، وما وراء ما أكملتُ به البيان على لسان محمد عليه السلام».

والتأويل خاطئ، ذلك أنّه لا يجوز أنْ يكون لأحد قول مع قول الله تعالى،

(1) سورة الحشر، الآية: 7.

ذلك أنّنا نعدل بالله تعالى إذا أخذنا بقول قائل وتركنا قول الله تعالى، فلا ينبغي لنا، نحن الذين لم نعاصر رسول الله ﷺ، أنْ نحتكم لراوية حديث، وإنْ وصفه رجل آخر بأنّه عدل ضابط، لنحرّم ما أحلّ الله تعالى بنصّ صريح، **أما لو كنا معاصرين لرسوله الكريم وأمرنا بتحريمه لحرمناه لوجوب طاعته ﷺ وفق آيات الذكر الحكيم.** وحيث إنّنا نستبعد أنْ يناقض النبيّ ﷺ قول الله تعالى، فإنّنا ببساطة نعتبر الحديث الذي يناقض آية من آيات الله تعالى، حديثًا غير صحيح ومن وضع الرواة، وفقًا للمنهجية القرآنية للتأكد من صحة الحديث. وحين يغلّب الحديث من لم يعاصر النبيّ ﷺ على آية من آيات الله تعالى، يكون قد غلب أقوال الرواة على قول الله تعالى، وهو ما يدخله في دائرة الشرك.

أما الاستشهاد بالآية: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ فهو صائب في حياة النبي ﷺ فحسب، ذلك أنّ ما أتانا النبيّ ﷺ ـ من غير القرآن ـ في زماننا، تدخل في نقله الرواة، الذين ليس ثمة دليل قطعي على صدقهم، غير تزكيات من رجال لا نعرفهم نحن الذين نعيش في القرن الخامس عشر للهجرة، ويُعد الاحتكام لتلك التزكيات تحكيم لغير الله ورسوله ﷺ عند الاختلاف، وهو ما يناقض آيات الذكر الحكيم. ثم إنّه لا يمكن الوثوق في المرويات، خاصة حين تتناقض تلك الروايات مع القرآن الكريم. كما روى الإمام أحمد حديثًا نسبه إلى عبد الله بن عمرو يأمر فيه النبيّ بقصر طاعته على حياته دون مماته قال فيه ابن عمرو: «خرج علينا رسولُ اللهِ ﷺ يومًا كالمودِّعِ فقال أنا محمد النبي الأميّ قالهُ ثلاثَ مراتٍ ولا نبي بعدي أُوتيتُ فواتحَ الكلمِ وخواتمهُ وجوامعهُ وعُلّمتُ كم خزنةُ النارِ وحملةُ العرشِ وتُجوِّزَ بي وعوفيتُ وعوفيتْ أمّتي فاسمعوا وأطِيعوا ما دمتُ فيكم فإذا ذُهِبَ بي فعليكُم بكتابِ اللهِ أحلُّوا حلالهُ وحرِّموا حرامهُ»[1]. كما أورد الألباني الحديث بصيغة أخرى نسبه إلى مالك ابن عوف الأشجعي قال فيه: «أطيعونِي ما كنتُ بين أظهركُم، وعليكُم بكتابِ اللهِ عزَّ وجلّ، أحلُّوا حلالهُ، وحرِّمُوا حرامهُ»[2].

(1) رواه الإمام أحمد، **المسند**، الصفحة أو الرقم 107/10.

(2) رواه الألباني، **السلسلة الصحيحة**، ح 1472.

ثم إنّ القول بأنّ القرآن والحديث شيء واحد لا يستقيم، ذلك أنّ الله تعالى تعهد بحفظ القرآن، بينما لم يتعهد بحفظ الحديث، ثم إنّه لا ينبغي أنْ نخلط بين ما هو إلهي وما هو إنساني في الدّين، حتى لو ورد على لسان الرسول ﷺ، ذلك أنّ الإلهي يقيني ومطلق ومعجز ويتجاوز الزمان والمكان، أمّا الإنساني فهو ظنّي ونسبي وغير معجز، ولا يتجاوز الزمان والمكان، وإن ورد على لسان النبيّ عليه أفضل الصلوات والسلام. وهذا لا يعني أنْ نعرض عما ثبت نسبه لرسول الله ﷺ من أحاديث، غير أنّ ما يُنسب لرسول الله ﷺ لا بدّ أنْ يعاضده، في زماننا، شيء من القرآن، أو في الحدّ الأدنى لا يناقضه، ليطمئن قلب المؤمن إلى أنّه لا يعدل قول الله تعالى بأقوال الرواة.

4. **تأويل آية** ﴿أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾: أوّل أهل الحديث والنسخ دلالة الآية الأولى من سورة المائدة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَوْفُوا۟ بِٱلْعُقُودِ ۚ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّى ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ لتطوّع إلى حديث «وكل ذي ناب من السِّباع حرامٌ»؛ حيث أورد القرطبي في الجامع لأحكام القرآن في معرض تفسيره للآية قوله: «الرابعة قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ أي يقرأ عليكم في القرآن والسنّة من قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ﴾[1] وقوله عليه الصلاة والسلام: «وكل ذي ناب من السِّباع حرامٌ» فإنْ قيل: الذي يُتلى علينا الكتابُ ليس السنّة؛ قلنا: كل سُنّة لرسول الله ﷺ فهي من كتاب الله؛ والدّليل عليه أمران: أحدهما ـ حديث العَسِيف: «لأقضِيَنّ بينكما بكتاب الله» والرّجم ليس منصوصًا في كتاب الله. الثاني حديث ابن مسعود: ومالي لا ألعن من لَعَن رسولُ الله ﷺ وهو في كتاب الله؛ الحديثَ. وسيأتي في سورة «الحشر». ويحتمل ﴿إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ الآن أو ﴿مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ فيما بعدُ من مستقبل الزمان على لسان رسول الله ﷺ؛ فيكون فيه دليل على جواز تأخير البيان عن وقت لا يُفتقر فيه إلى تعجيل الحاجة».

والتأويل خاطئ، ذلك أنّ قوله تعالى ﴿مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ ينصرف إلى القرآن دون الحديث، والقول بأنّ الحديث يتلى أيضًا أو أنّه من القرآن! قول

(1) سورة المائدة، الآية: 3.

لا يستقيم، فلا ينبغي بأيّ حال من الأحوال مقارنة قوله تعالى بأقوال الرواة، أو إخضاع قول الله تعالى لأقوال رواة لا ندري ما إذا صدقوا أم كذبوا؛ وهو ما عبّر عنه عمر بن الخطاب ﵁ في رفضه لخبر فاطمة بنت قيس في نفقة المبتوتة، وفلت من عسس أهل الحديث والروايات، حيث قال: «لا نترك كتاب الله وسنة نبينا ﷺ لقول امرأة لا ندري لعلها حفظت أو نسيت»[1]. وكذلك قول ابن عمر ﵁: «لا نَدَع كتابَ الله ربِّنا لحديث أعرابيّ يبول على ساقيه»[2].

5. **تأويل آية** ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ﴾: أوّل أهلُ الحديث والنسخ دلالة الآية الثالثة من سورة المائدة: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ﴾ لتُطوّع إلى حديث «الطهور ماؤه الحل ميتته»؛ حيث أورد ابن كثير في تفسير القرآن العظيم في معرض تفسيره للآية قوله: «يخبر تعالى عباده خبرًا متضمنًا النهي عن تعاطي هذه المحرمات من الميتة، وهي ما مات من الحيوان حتف أنفه من غير ذكاة ولا اصطياد، وما ذاك إلا لما فيها من المضرة، لما فيها من الدم المحتقن، فهي ضارة للدين وللبدن، فلهذا حرمها الله عزَّ وجلّ، ويستثنى من الميتة السمك، فإنّه حلال، سواء مات بتذكية، أو غيرها؛ لما رواه مالك في موطئه، والشافعي وأحمد في مسنديهما، وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه في سننهم، وابن خزيمة وابن حبان في صحيحيهما عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ، سئل عن ماء البحر، فقال: هو الطهور ماؤه الحل ميتته، وهكذا الجراد؛ لما سيأتي من الحديث».

والتأويل خاطئ، ذلك أنّ الحديث يناقض القرآن، إذا ما انصرفت دلالة الميتة إلى ما يطفو على سطح البحر من حيتان وأسماك ميتة، أو حتى ما تلقي به الأمواج على الشاطئ من أسماك وحيتان ميتة، أما إذا كانت دلالة الحديث

(1) انظر صحيح مسلم، **كتاب النفقات، كِتَاب الطَّلَاقِ**، طلقني زوجي ثلاثًا فأردت النقلة فأتيت النبي ﷺ فقال انتقلي إلى بيت ابن عمك عمرو ابن أم مكتوم فاعتدي عنده، ح 1480.

(2) القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، تفسير الآية 145 من سورة الأنعام.

تنصرف إلى عدم ضرورة إذكاء الاسماك والحيتان البحرية، فيزول ذلك التناقض بين الحديث والقرآن، ويكون الحديث مرجح الصحة. غير أنّ المتأوّلين حملوا دلالة الحديث على جواز أكل ما يطفو ميتًا من الأحياء البحرية على سطح البحر، أو ما ألقاه البحر من كائنات ميتة على الشاطئ، وهو ما لا يستقيم لتناقضه مع الآية.

6. **تأويل آية** ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ﴾: أوّل أهلُ الحديث والنسخ دلالة الآية الخامسة والأربعين بعد المئة من سورة الأنعام: ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ على أنّها تعني الرد على عرب الجاهلية في تحريم البحيرة والسائبة والوَصِيلة والحامي وذلك لتطويعها لحديثي تحريم الحمر الأهلية وتحريم ذي الناب؛ حيث أورد القرطبي الخلاف الذي وقع في تفسير الآية: «وقد اختلف العلماء في حكم هذه الآية وتأويلها على أقوال: الأول: ما أشرنا إليه من أنّ هذه الآية مكية، وكلّ محرّم حرّمه رسول الله ﷺ أو جاء في الكتاب مضموم إليها؛ فهو زيادة حكم من الله عزّ وجلّ على لسان نبيه عليه السلام. على هذا أكثر أهل العلم من أهل النظر، والفقه والأثر. ونظيره نكاح المرأة على عمتها وعلى خالتها مع قوله: ﴿وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ﴾[1] وكحكمه باليمين مع الشاهد مع قوله: ﴿فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ﴾[2] وقد تقدم. وقد قيل: إنها منسوخة بقوله عليه السلام: «أكْلُ كلِّ ذي ناب من السباع حرام» أخرجه مالك، وهو حديث صحيح. وقيل: الآية مُحكَمة ولا يحرم إلا ما فيها. وهو قول يُرْوى عن ابن عباس وابن عمر وعائشة، وروي عنهم خلافه. قال مالك: لا حرام بيِّنٌ إلا ما ذُكرَ في هذه الآية. وقال ابن خُوَيْز مَنْدَاد: تضمنت هذه الآية تحليلَ كلِّ شيء من الحيوان وغيره إلا ما استثني في الآية من الميتة والدم المسفوح ولحم الخنزير .ولهذا قلنا: إنّ لحوم السباع وسائر

(1) سورة النساء، الآية: 24.
(2) سورة البقرة، الآية: 282.

الحيوان ما سوى الإنسان والخنزير مباح. وقال الكِيَا الطبريّ: وعليها بنى الشافعيّ تحليل كلّ مسكوت عنه؛ أخْذًا من هذه الآية، إلا ما دلّ عليه الدليل. وقيل: إنّ الآية جواب لمن سأل عن شيء بعينه فوقع الجواب مخصوصًا. وهذا مذهب الشافعيّ. وقد روى الشافعي عن سعيد بن المسيب أنه قال: في هذه الآية أشياء سألوا عنها رسول الله ﷺ فأجابهم عن المحرّمات من تلك الأشياء. وقيل: أي لا أجد فيما أوحي إليّ أي في هذه الحال حال الوحي ووقت نزوله، ثم لا يمتنع حدوث وَحْيٍ بعد ذلك بتحريم أشياء أخر .وزعم ابن العربي أن هذه الآية مدنية وهي مكية في قول الأكثرين، نزلت على النبي ﷺ يوم نزل عليه ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ﴾ ولم ينزل بعدها ناسخ فهي مُحْكَمة، فلا مُحَرَّم إلا ما فيها، وإليه قلت: وهذا ما رأيته قاله غيره. وقد ذكر أبو عمر بن عبد البر الإجماعَ في أن سورة «الأنعام» مكية إلا قوله تعالى: ﴿قُلۡ تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡ﴾ الثلاث الآيات، وقد نزل بعدها قرآن كثير وسُنَن جمّة. فنزل تحريم الخمر بالمدينة في «المائدة». وأجمعوا على أنّ نهيه ﵇ عن أكل كلّ ذي ناب من السباع إنما كان منه بالمدينة. قال إسماعيل بن إسحاق: وهذا كله يدل على أنّه أمرٌ كان بالمدينة بعد نزول قوله: ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا﴾ لأن ذلك مَكيّ. قلت: وهذا هو مَثار الخلاف بين العلماء .فعدل جماعة عن ظاهر الأحاديث الواردة بالنهي عن أكل كل ذي ناب من السباع؛ لأنها متأخرة عنها والحصر فيها ظاهر فالأخذ بها أولى؛ لأنها إما ناسخة لما تقدمها أو راجحة على تلك الأحاديث. وأمّا القائلون بالتحريم فظهر لهم وثبت عندهم أنّ سورة «الأنعام» مكية؛ نزلت قبل الهجرة، وأنّ هذه الآية قصد بها الردّ على الجاهلية في تحريم البحيرة والسائبة والوَصِيلة والحامي، ثم بعد ذلك حرّم أمورًا كثيرة كالحُمر الإنسية ولحوم البغال وغيرها، وكل ذي ناب من السباع وكلّ ذي مخلب من الطير». قال أبو عمر: ويلزم على قول من قال: «لا محرم إلا ما فيها» ألا يحرّم ما لم يذكر ٱسم الله عليه عمدًا، وتُستحلّ الخمر المحرمة عند جماعة المسلمين. وفي إجماع المسلمين على تحريم خمر العنب دليل واضح على أنّ رسول الله ﷺ قد وجد فيما أوحيّ إليه محرمًا غير ما في سورة «الأنعام» مما قد نزل بعدها من القرآن. وقد اختلفت الرواية عن مالك في لحوم

السباع والحمير والبغال فقال (مرة): هي محرمة؛ لما ورد من نهيه ﷺ عن ذلك، وهو الصحيح من قوله على ما في الموطأ. وقال مَرّة: هي مكروهة، وهو ظاهر المدَوّنة؛ لظاهر الآية؛ ولما روي عن ابن عباس وابن عمر وعائشة من إباحة أكلها، وهو قول الأوزاعيّ. روى البخاري من رواية عمرو بن دينار قال: قلت لجابر بن زيد: إنّهم يزعمون أن رسول الله ﷺ نهى عن لحوم الحُمُر الأهلية؟ فقال: قد كان يقول ذلك الحكَم بن عمرو الغفاريّ عندنا بالبصرة؛ ولكن أبى ذلك البحرُ ابن عباس، وقرأ ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا﴾. وروي عن ابن عمر أنه سئل عن لحوم السباع فقال: لا بأس بها. فقيل له: حديث أبي ثعلبة الخُشَني فقال: لا نَدَع كتابَ الله ربّنا لحديث أعرابيّ يبول على ساقيه. وسئل الشعبي عن لحم الفيل والأسد فتلا هذه الآية: وقال القاسم: كانت عائشة تقول لما سمعت الناس يقولون حَرُم كل ذي ناب من السباع: ذلك حلال، وتتلو هذه الآية ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا﴾ ثم قالت: إنْ كانت البُرْمة ليكون ماؤها أصفر من الدم ثم يراها رسول الله ﷺ فلا يحرّمها. والصحيح في هذا الباب ما بدأنا بذكره، وأنّ ما ورد من المحرمات بعد الآية مضموم إليها معطوف عليها».

والتأويل خاطئ، ذلك أنّه يخضع آيات الله تعالى لأقوال الرواة. فالصيغة الواردة في الآية قاطعة في نفيها تحريم أيِّ طعام غير الذي ذكر في الآية، ولا يجوز الركون مطلقًا للحديث في القول بنسخ الآية، ذلك أنّه يجعلنا نعدل القرآن بالحديث، والأدهى أنْ نعدلَ قول الله تعالى بقول راوية حديث لا ندري أكذب أم صدق. وحتى التحريم الوارد في سورة المائدة لا يختلف عن الوارد في هذه الآية، فـ ﴿وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ﴾ كلها أنواع من الميتة، أمّا ﴿وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ﴾، و﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ﴾ فيدخلان في دائرة الشرك بالله تعالى، ومن ثم فحرمتهما مترتبة على حرمة الشرك. وحتى النهي عن أكل «ما لم يذكر اسم الله عليه» يختلف عن التحريم، وهذا لا يعني التهوين من مخالفة ما نُهي عنه. فالله تعالى نهى عن شرب الخمر ولم يحرّمه، وهذا لا يعني إباحة شربه أو التهوين من إثم شاربه، فجوهر الدين أمرٌ ونهيٌ، ومن يخالف أمرًا أو نهيًا

ينقض عهد الله وميثاقه، ومن يفعل ذلك يدخله الله تعالى جهنم خالدًا فيها إلّا أنْ يتوب توبة نصوحة. أمّا ما أورده الرواة عن نهي النبيّ ﷺ عن أكل لحوم الحمر الأهلية والبغال، وعن أكل ذوات الناب من السباع وذوات المخلب من الطير، فهو مناقض للقرآن. ومن ثم فهي أحاديث غير صحيحة وفقًا للمنهجية القرآنية للتأكد من صحة الحديث.

خاتمة المبحث:

جدول رقم (2 ـ 21)

التأويلات المتعلقة بتطويع آيات الذكر الحكيم لأقوال الرواة:

الكَلِم	الدلالة المحرّفة	الدلالة الأصلية
﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ﴾	كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيرًا فلا توصوا للوالدين والأقربين بالمعروف فلا وصية لوارث ذلك حق على المتقين.	كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيرًا أن توصوا للوالدين والأقربين بالمعروف ذلك حق على المتقين.
﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾	والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجًا وصية لأزواجهم متاعًا إلى انتهاء عدتهن غير إخراج.	والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجًا وصية لأزواجهم متاعًا إلى الحول غير إخراج.
﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۖ كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ أَن تَبْتَغُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ ۚ﴾	حرمت عليكم من النساء ما ذُكر في الآية السابقة والمحصنات من النساء إلّا ما ملكت إيمانكم كتاب الله عليكم وأحللت لكم ما وراء ما ذكرنا في الكتاب، وما وراء ما أكملتُ به البيان على لسان محمد. أن تبتغوا بأموالكم محصنين غير مسافحين.	حرمت عليكم من النساء ما ذُكر في الآية السابقة والمحصنات من النساء إلّا ما ملكت أيمانكم كتاب الله عليكم وأحللت لكم ما وراء ذلكم. أن تبتغوا بأموالكم محصنين غير مسافحين.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ أُحِلَّتۡ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلۡأَنۡعَٰمِ إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ غَيۡرَ مُحِلِّي ٱلصَّيۡدِ وَأَنتُمۡ حُرُمٌۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ مَا يُرِيدُ﴾	يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود أحلت لكم بهيمة الأنعام إلّا ما يتلى عليكم من القرآن والسُّنة غير محلي الصيد وأنتم حرم إنّ الله يحكم ما يريد.	يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود أحلت لكم بهيمة الأنعام إلّا ما يتلى عليكم غير محلي الصيد وأنتم حرم إنّ الله يحكم ما يريد.
﴿حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحۡمُ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلۡمُنۡخَنِقَةُ وَٱلۡمَوۡقُوذَةُ وَٱلۡمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيۡتُمۡ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ﴾	حرمت عليكم ميتة البر والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع إلّا ما ذكيتم وما ذبح على النصب، وأحلت لكم ميتة البحر.	حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع إلّا ما ذكيتم وما ذبح على النصب.
﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطۡعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيۡتَةً أَوۡ دَمًا مَّسۡفُوحًا أَوۡ لَحۡمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجۡسٌ أَوۡ فِسۡقًا أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦۚ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾	قل لا أجد في ما أوحي إليّ محرمًا على طاعم يطعمه إلّا أن يكون ميتة أو دمًا مسفوحًا أو ذوات الناب أو ذوات المخلب أو البغال أو الحمر الأهلية أو لحم خنزير فإنّه رجس أو فسقًا أهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عادٍ فإنّ ربّك غفور رحيم.	قل لا أجد في ما أوحي إليّ محرمًا على طاعم يطعمه إلّا أن يكون ميتة أو دمًا مسفوحًا أو لحم خنزير فإنّه رجس أو فسقًا أهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عادٍ فإنّ ربّك غفور رحيم.
﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطۡعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيۡتَةً أَوۡ دَمًا مَّسۡفُوحًا أَوۡ لَحۡمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجۡسٌ أَوۡ فِسۡقًا أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦۚ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾	قل لا أجد في ما أوحي إليّ مما سألتم عنه محرمًا على طاعم يطعمه إلّا أن يكون ميتة أو دمًا مسفوحًا أو لحم خنزير فإنّه رجس أو فسقًا أهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عادٍ فإنّ ربّك غفور رحيم.	قل لا أجد في ما أوحي إليّ محرمًا على طاعم يطعمه إلّا أن يكون ميتة أو دمًا مسفوحًا أو لحم خنزير فإنّه رجس أو فسقًا أهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عادٍ فإنّ ربّك غفور رحيم.
﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوْحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾	قل لا أجد في ما أوحي إليّ وقت نزول الآية محرمًا على طاعم يطعمه إلّا أن يكون ميتة أو دمًا مسفوحًا أو لحم خنزير فإنّه رجس أو فسقًا أهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عادٍ فإنّ ربّك غفور رحيم.	قل لا أجد في ما أوحي إليّ محرمًا على طاعم يطعمه إلّا أن يكون ميتة أو دمًا مسفوحًا أو لحم خنزير فإنّه رجس أو فسقًا أهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عادٍ فإنّ ربّك غفور رحيم.

التعليق:

أُوّلت الآيات التي تناولناها آنفًا على نحو يطوع آيات الذكر الحكيم لأقوال الرواة، فحكموا الرجال في القرآن؛ حيث اطمأنوا إلى من وصفوهم بالعدول، والذين زكى بعضهم بعضًا دون أن نعرف نحن الذين نعيش في الألفية الثالثة منهم أحدًا! حتى نستطيع أن نقبل شهادة من نعرف فيمن لم نعرف، وتعالى يقول: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾[1]، ويقول أيضًا: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ﴾[2]، وهو ما يناقض منهجية الجرح والتعديل.

والغريب أنّ الذين اتبّعوا ما ألفوا عليه آباءهم يتحدثون بثقة من يعرف الرواة، أو من زكّاهم، ويقسمون بأغلظ الإيمان على أنّهم صادقون، دون أنْ يروهم أو يخالطوهم، ليتأكدوا من صدقهم. وكل ما في الأمر أنّهم يتبعون في ذلك أئمة وفقهاء مذاهبهم، فما زكاه هؤلاء من مرويات الحديث، أو طبقات الرواة من الرجال، ووصفوه بالحافظ، والحاكم، وأمير المؤمنين في الحديث، زكوه وتعصبوا لصحة ما رواه من حديث، ومن لم يزكوه اعتبروه من أهل البدعة والضلالة، ووصفوه بالكذب أو بضعف القدرة على الحفظ، أو اختلاط العقل، وتركوا مروياته وانصرفوا عنه. ولسان حالهم يقول: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَآ أَلۡفَيۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ﴾[3]. أولوا كان آباؤهم مالك، أو أبو حنيفة، أو الشافعي، أو ابن حنبل، أو البخاري، أو مسلم، أو الكليني، أو المجلسي، أو الربيع بن حبيب، لا يعقلون شيئًا ولا يهتدون؟ أما كان أجدر بهم ألّا يحتكموا للرجال عند الاختلاف، سواء كانوا أئمة وفقهاء أو رواة حديث، ويحتكمون لكتاب الله تعالى؛ فيعرضون ما يقوله الأئمة والفقهاء والرواة على كتاب الله، فما اتفق مع كتاب الله أخذوا به، وما عارضه تركوه، حين لم يعد بالإمكان الاحتكام لرسول الله ﷺ بعد وفاته.

---

(1) سورة النجم، الآية: 32.

(2) سورة النساء، الآية: 49.

(3) سورة البقرة، الآية: 170.

لكن هؤلاء ألبسوا علينا ديننا، وجعلونا نتوهّم أنّنا نحتكم للنبيّ ﷺ، ونحن نحتكم للرواة، ونحكّمهم عند الاختلاف في كتاب الله تعالى، بحجة أنّ الحديث وحي يوحى، ولا يقل وثوقية من القرآن!

ومن هناك طوعت الآيات المذكورة آنفًا لأقوال الرواة؛ فأوّلت الآية الثمانون بعد المئة من سورة البقرة إلى حديث «لا وصية لوارث»، كما أُخضعت دلالة الآية الأربعين بعد المئتين من سورة البقرة إلى حديث «بل امكثي مكانك حتى يبلغ الكتاب أجله»، كذلك أُوّل قول الله تعالى ﴿وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ﴾ في الآية الرابعة والعشرين من سورة النساء على أنّه يعني «لا يحل لكم ما وراء ذلك»، وذلك لتطويعها لحديث تحريم الجمع بين المرأة وعمتها والمرأة وخالتها، كما طوعت دلالة الآية الأولى من سورة المائدة إلى حديث «وكل ذي ناب من السِّباع حرامٌ». وأخضع أهل الحديث والنسخ الآية الخامسة من سورة المائدة، لحديث «الطهور ماؤه الحل ميتته»، فأجازوا أكل ميتة البحر وهو ما لا يجوز. وهكذا صار الرواة لدى أهل الحديث والنسخ، بل وجلّ المدارس الفقهية الإسلامية، كالأحبار والرهبان يحرمون لنا ويحللون وهو ما حذرتنا منه الآية الحادية والثلاثين من سورة التوبة: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾، والتي فسرها حديث عدي بن حاتم الذي سبقت الإشارة إليه.

ـ الثاني والعشرون ـ
التأويلات المتعلقة بالغمز من قناة الصحابة الذين شاركوا في موقعة الجمل

1. تأويل آية ﴿وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ﴾: أوّل أهلُ الحديث والنسخ الآية الخامسة والعشرين من سورة الأنفال: ﴿وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾، على أنها تعني الصحابة الذين شاركوا في معركة الجمل رضي الله عنهم؛ حيث أورد الطبري في جامع البيان هذه الروايات في تفسير الآية: «حدثنا محمد بن المثنى، قال: ثنا محمد بن إبراهيم، قال: ثنا الحسن بن أبي جعفر، قال: ثنا داود بن أبي هند، عن الحسن، في قوله: ﴿وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ﴾ قال: نزلت في عليّ وعثمان وطلحة والزبير رضي الله عنهم»...» قال: ثنا قبيصة، عن سفيان، عن الصلت بن دينار، عن ابن صبهان، قال: سمعت الزبير بن العوّام يقول: قرأت هذه الآية زمانًا وما أرانا من أهلها، فإذا نحن المعنيون بها ﴿وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾. حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن مفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ﴾ قال: هذه نزلت في أهل بدر خاصة، وأصابتهم يوم الجمل فاقتتلوا».

وهذا التأويل في تقديري يرمي إلى الغمز من قناة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وكذلك الغمز من قناة بقية الصحابة الذين شاركوا في معركة الجمل كعلي وطلحة والزبير رضي الله عنهم، كما يستبعد هذا التأويل من صفة ﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ﴾، الصحابة الذين شاركوا في موقعة صفين ـ وفق تعريف أهل الحديث والنسخ للصحابة ـ كمعاوية ومروان بن الحكم وعمرو بن العاص وغيرهم. بينما

يتبنى المتأوّلون من أهل الرواية والتأويل تأويلًا يصرف دلالة ﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً﴾ إلى المناوئين من الصحابة ـ وفق تعريف المدرستين ـ لعلي رضي الله عنه وعنهم، ودون أن يقصروها على الذين قاتلوا عليًّا رضي الله عنه في معركة الجمل. وهذ القصر في تأويل الآية من المدرستين غير صحيح، ذلك أنّه يقيّد المطلق ويخصص العام، فالآية وردت عامة وغير مقيدة بالذين شاركوا في فتنة معينة، وتنصرف إلى كل مسلم شارك في صنع فتنة بين المسلمين، كالذين يوقدون نار الفتنة بين الشيعة والسُّنة في الشام والعراق هذه الأيام. وحين يتعلق الأمر بالفتنة الكبرى فالأرجح أنْ ينطبق الأمر ﴿ٱتَّقُواْ﴾ في الآية على كافة من شارك في الفتنة، دون أنْ نستطيع تحديد ﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ﴾، وذلك لبعدنا الزمني عنهم. أمّا القول إنّها نزلت في الذين شاركوا في موقعة الجمل دون غيرها من معارك الفتنة الكبرى، فهو مجرد تحريف للكلم عن مواضعه، وإخضاع لآيات الله لرغبات قياصرة بني أمية، حين يتعلق الأمر بتأويل أهل الحديث والنسخ، وإخضاعها لنظرية الولاية حين يتعلق الأمر بتأويل مدرسة الرواية والتأويل.

خاتمة المبحث:

جدول رقم (2 ـ 22)

التأويلات المتعلقة بالغمز من قناة الصحابة الذين شاركوا في موقعة الجمل:

الكَلِم	الدلالة المحرّفة	الدلالة الأصلية
﴿وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةً وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾	واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة فشاركوا في موقعة الجمل واعلموا أن الله شديد العذاب	واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العذاب

التعليق:

تتجلّى في هذا التأويل بصمات خلفاء بني أمية، فالصحابة سواءً بتعريف مدرسة الحديث والنسخ الفضفاض، أو بتعريف سعيد بن المسيب وفق هذا التأويل، هم من الذين ظلموا. فيما عدا الذين ينتمون إلى بني أمية أو شايعوهم وتحزبوا لهم: كمعاوية بن أبي سفيان، ومروان بن الحكم، وعمرو بن العاص،

أو وقفوا على الحياد كسعد بن أبي وقاص. غير أنّ دلالة الآية عامة وغير مقيدة بالذين شاركوا في فتنة معينة، وتنصرف إلى كل مسلم شارك في صنع فتنة بين المسلمين، كالذين يوقدون نار الفتنة بين الشيعة والسُّنة في الشام والعراق هذه الأيام. وحين يتعلق الأمر بالفتنة الكبرى، فالأرجح أنْ ينطبق الأمر ﴿ٱتَّقُوا۟﴾ في الآية على كافة من شارك في الفتنة، دون أنْ نستطيع تحديد ﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ﴾، وذلك لبعدنا الزمني عنهم. بينما يتبنى المتأوّلون من أهل الرواية والتأويل تأويلًا يصرف دلالة ﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً﴾ إلى المناوئين من الصحابة ـ وفق تعريف المدرستين ـ لعلي رضي الله عنه وعنهم، ودون أن يقصروها على الذين قاتلوا عليًّا رضي الله عنه في معركة الجمل. أمّا القول إنّ الآية نزلت في الذين شاركوا في موقعة الجمل دون غيرها من معارك الفتنة الكبرى، أو أنّها تنصرف إلى المناوئين لعلي رضي الله عنه دون غيرهم، فهو مجرد تحريف للكلم عن مواضعه، وإخضاع لآيات الله لرغبات قياصرة بني أمية، حين يتعلق الأمر بتأويل مدرسة أهل الحديث والنسخ، وإخضاعها لنظرية الولاية حين يتعلق الأمر بتأويل مدرسة أهل الرواية والتأويل.

ـ الثالث والعشرون ـ
التأويلات المتعلقة بالدجال

1. **تأويل آية** ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا﴾: أوّلت مدرسة الحديث والنسخ الآية الثامنة والخمسين بعد المئة من سورة الأنعام: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾ على أنّها تنصرف إلى العلامات الدالة على قيام الساعة ومنها خروج الدجال؛ حيث أورد الطبري في الجامع لأحكام القرآن قوله: «حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن عُليَة، قال: ثنا المسعوديُّ، عن القاسم بن عبد الرحمن، قال: قال عبد الله: التوبة معروضة على ابن آدم إن قبلها ما لم تخرج إحدى ثلاث: الدابة، وطلوع الشمس من مغربها، وخروج يأجوج ومأجوج. حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن سفيان، عن منصور، عن عامر، عن عائشة، قالت: إذا خرج أوّل الآيات طرحت الأقلام، وحبست الحفظة، وشهدت الأجساد على الأعمال. حدثنا أبو كريب، قال: ثنا ابن فضيل، عن أبيه، عن أبي حازم، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «ثَلاثٌ إذَا خَرَجَتْ لا يَنْفَعُ نَفْسًا إيمانُها لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أوْ كَسَبَتْ فِي إيمانِها خَيْرًا: طُلُوعِ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبها، وَالدَّجَّالُ، وَدَابَّةُ الأرْض». والعلامات الثلاث تدل على قيام الساعة.

والتأويل خاطئ، ذلك أنّ التأويل يقيد المطلق ويخصص العام، فدلالة الآية تنصرف إلى أنّه عندما تأتي آيات ربّك لا ينفع نفسًا إيمانها إن لم تكن آمنت من قبل، أو كسبت في إيمانها خيرًا. فآيات الله تنصرف إلى معجزاته أو عذابه، فلم ينفع فرعون إيمانه بعد أن شهد آية ضرب البحر بعصا موسى عليه السلام،

ونجاة أتباع موسى عليه السلام، وغرقه وقومه. ومن ثم فإنّ الآية لا علاقة لها بالدجال، الذي هو من صنع الرواة؛ حيث يسود اعتقاد لدى غالبية المسلمين يقول بخروج الدجال في آخر الدهر، وإنّه سيكون أعورَ، وسيتزامن خروجه مع ظهور المسيح، ويستند هذا الاعتقاد على الإسرائيليات، وهو اعتقاد سائد لدى معتنقي الشرائع الإبراهيمية الثلاث، ويستند لدى المسلمين من أتباع النبيّ محمد ﷺ، إلى أحاديث نُسبت للنبيّ ﷺ تحذر منه، وتحدد صفاته، والظروف التي يخرج فيها. نذكر منها: ما نسب إلى النبيّ ﷺ قوله: «ما بعث الله من نبيّ إلا أنذر قومه الأعور الكذاب، إنّه أعور، وإنّ ربّكم ليس بأعور، مكتوب بين عينيه كافر»[1]. وهذا الاعتقاد غير صحيح، ذلك إنّ الحديث الذي حذر فيه النبيّ ﷺ من الدجال، تعرض للتحريف، في تقديري، فما بُعث النبيّ محمد ﷺ منجمًا، ليرجم بالغيب ويحدد صفات الدجال الجسدية، وكونه أعور أو له ثلاث عيون. والذي يؤكد تحريف الحديث هذه المقارنة غير الجائزة، بين الدجال والله سبحانه وتعالى عما يصفون، فالله ليس كمثله شيء، ولا تستقيم مقارنته بمخلوق في المطلق، فما بالك بالدجال. والأرجح أنْ يكون النبيّ ﷺ قد حذر من الدجالين في كل زمان ومكان، دون أنْ يحدد واحدًا بعينه. وكذلك الرسل الذين سبقوه عليهم السلام. أمّا قصر أو تجسيد الدجال في رجل واحد، وتحديد صفاته، فهو جهد قد بدل من دجالي القرنين الثاني والثالث الهجري، لإضاعة الأثر الدال عليهم وعلى الدجالين أمثالهم، حتى إذا ما اتهم أحدهم بكونه الدجال، قال انظروا أنا لست بأعور! وهذا التحديد يهدف إلى التعمية عن دجالي كل عصر. وقد يكون جهدهم مستندًا إلى محاكاة بني إسرائيل الذين تفوقوا في تحريف الكلم عن مواضعه، وهو ما ذكره الله تعالى في القرآن: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ۙ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ۚ﴾[2].

(1) انظر زكريا محمد المحرمي، **الصراع الأبدي**، مكتبة الغبيراء، ط1، 2006، ص177. انظر أيضًا صحيح البخاري، **كتاب التوحيد**، باب إنّ الله لا يخفى عليكم إنّ الله ليس بأعور وأشار بيده إلى عينه، ح 6973.

(2) سورة المائدة، الآية: 13.

خاتمة المبحث:

جدول رقم (2 ـ 23)

التأويلات المتعلقة بالدجال:

الكَلِم	الدلالة المحرّفة	الدلالة الأصلية
﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾	يوم يأتي الدجال لا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرًا.	يوم يأتي بعض آيات ربّك لا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرًا.

التعليق:

أُوّلت الآية في الجدول آنفًا، على أنّها تنصرف إلى العلامات الدالة على قيام الساعة ومنها خروج الدجال، وهو تأويل يهدف إلى تطويع الآية لنظريات البشر المتعلقة بالدجال، الذي هو من صنع الرواة. والأرجح أنْ يكون النبيّ ﷺ قد حذر من الدجالين في كل زمان ومكان، دون أنْ يحدد واحدًا بعينه. وكذلك الرسل الذين سبقوه عليهم السلام. أمّا قصر أو تجسيد الدجال في رجل واحد، وتحديد صفاته، فهو جهد قد بدل من دجالي القرنين الثاني والثالث الهجري، لإضاعة الأثر الدال عليهم، وعلى الدجالين أمثالهم، حتى إذا ما اتهم أحدهم بكونه الدجال، قال انظروا أنا لست بأعور!

القسم الثالث:

تأويلات لمدارس أخرى

أولًا ـ تأويلات مدرسة أهل التصوف:

1. تأويل آية ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوٓا۟ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾: أوّل المتصوفة «البيوت الخاوية» في الآية الثانية والخمسين من سورة النمل: ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوٓا۟ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ على أنّها القلوب الغافلة عن ذكر الله؛ حيث أورد القشيري في لطائف الإشارات في معرض تأويله للآية قوله: «﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوٓا۟ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾. وفي الخبر: «لو كان الظلمُ بيتًا في الجنة لَسَلَّطَ اللَّهُ عليه الخرابَ»؛ فالنفوسُ إذا ظَلَمت بزلّاتها خربت بلحوقها شؤم الذّلة حتى يتعود صاحبُها الكسلَ، ويستوطن مركبَ الفشل، ويُحْرَم التوفيق، ويتوالى عليه الخذلانُ وقسوةُ القلب وجحودُ العين وانتفاءُ تعظيم الشريعة من القلب. وأصحابُ القلوبِ إذا ظلموها بالغفلة ولم يحاولوا طَرْدَها عن قلوبهم... خربت قلوبُهم حتى تقسو بعد الرأفة، وتجف بعد الصفوة. فخرابُ النفوس باستيلاء الشهوة والهفوة، وخرابُ القلوب باستيلاء الغفلة والقسوة، وخراب الأرواح باستيلاء الحجبة والوقفة، وخراب الأسرار باستيلاء الغيبة والوحشة».

والتأويل خاطئ، ذلك أنّ الآية تتحدث عن قوم ثمود وتكذيبهم لرسولهم صالح عليه السلام، ومكرهم به وكيف حاق بهم عاقبة مكرهم وهو ما عبّرت عنه الآية السابقة للآية موضع التأويل: ﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ولا شك أنّ القلوب الغافلة عن ذكر الله هي قلوب خربة، غير

أنّ الآية تنصرف إلى بيوت قوم ثمود بعد أن نالهم عذاب الله، وليست معنية لا بالقلوب العامرة بذكر الله ولا بالغافلة عن ذكره.

2. **تأويل الآية** ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾: أوّل المتصوفة «الجبال» في الآية الثامنة والثمانين من سورة النمل: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ على أنّها تنصرف إلى أصحاب التمكين؛ حيث أورد القشيري في لطائف الإشارات في معرض تأويله للآية قوله: «وكثيرٌ من الناس اليومَ من أصحاب التمكين، هم ساكنون بنفوسهم سائحون في الملكوت بأسرارهم.. قيل: إنّ الإشارة اليومَ إليهم. كما قالوا: العارف كائنٌ بائِنٌ؛ كائنٌ مع الناس بظاهره، بائنٌ عن جميع الخَلْق بسرائره».

والتأويل خاطئ، ذلك أنّ الآية تتحدث عن صنع الله الذي أتقن كل شيء، ثم إنّ الآية وردت في سياق آيات تتحدث عن آيات الله في الكون فالآية السادسة والثمانون تتحدث عن آيتي الليل والنهار: ﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾، ثم إنّه ليس ثمّة أية إشارة في الآية ولا في الآيات السابقة أو اللاحقة لها إلى أنّ دلالتها تنصرف إلى ما ذهب إليه القشيري.

3. **تأويل الآية** ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا﴾: أوّل المتصوفة «الطائفتان» في الآية التاسعة من سورة الحجرات: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ على أنّهما القلب والنفس؛ حيث أورد القشيري في لطائف الإشارات في معرض تأويله للآية قوله: «تدل الآية على أنّ المؤمن بفسقه ـ والفسق دون الكفر ـ لا يخرج عن الإيمان لأن إحدى الطائفتين ـ لا محالة ـ فاسقة إذا اقتتلا». وتدل الآية على وجوب نصرة المظلوم؛ حيث قال: ﴿فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ﴾. والإشارة فيه: أنّ النفس إذا ظَلَمتْ القلب بدعائه إلى شهواتها، واشتغالها في فسادها فيجب أن يقاتلها حتى تثخن بالجراحة بسيوف المجاهدة، فإنّ استجابت إلى الطاعة يُعْفَى عنها لأنها هي المطيَّةُ إلى باب الله».

والتأويل خاطئ، ذلك أنّه ليس ثمّة في الآية ولا في الآيات السابقة أو اللاحقة لها ما يحيل إلى هذا التأويل، ولا تنصرف دلالة الطائفة للقلب أو النفس، والقشيري يُسلّم بذلك في مقدمة تفسيره لكنه يشطح بعيدًا عنه عند انتقاله إلى التأويل الإشاري.

4. تـأويـل الآيـة ﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى﴾:
أوّل المتصوفة نزع النعلين في الآية الثانية عشرة من سورة طه: ﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى﴾ على أنّه نزع للتعلق بالدنيا؛ حيث أورد الإمام أحمد بن عمر في التأويلات النجمية في التفسير الإشاري الصوفي قوله: «﴿فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ﴾ أي: انزع عن تعلقات الكونين عن شرك لأقدس عن لوث التعلقات وأرى شرك المطهر، فتارة: بقطع تعلق الدنيا الدنية الخسيسة الفانية، ومرة: بنزع تعلق الآخرة الشريفة العلية الباقية؛ فالمعنى: إنك يا موسى القلب إذا خلعت نعلي الكونين على قدمي همتك وبهمتك المتعلقة إحداهما: بالدنيا، والأخرى: بالآخرة، فقد طهرت وادي شركك عن لوث الالتفات بهما فإنّك قد حصلت».

والتأويل خاطئ، ذلك أنّه لا يوجد في الآية ما يشير إلى انصراف دلالة النعلين إلى الدنيا، ونزع النعلين قد يشيران إلى إحدى دلالتين: الأولى أن يكون ذلك ما يقتضيه الإجلال لله تعالى وهو ما يفعله المسلمون عند كل صلاة. والثانية أنْ يكون ذلك من قبيل التقدير والإكبار للوادي المقدس طوى. أمّا تأويلها على النحو الذي أورده الإمام أحمد بن عمر فلا بيّنة ولا سلطان عليه في الآية ولا الآيات السابقة أو اللاحقة لها.

خاتمة المبحث:

جدول رقم (3 ـ 1)

تأويلات مدرسة أهل التصوف:

الكَلِم	الدلالة المحرّفة	الدلالة الأصلية
﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوٓاْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾	فتلك نفوسهم وقلوبهم خاوية «وخرابُ النفوس باستيلاء الشهوة والهفوة، وخرابُ القلوب باستيلاء الغفلة والقسوة» بما ظلموا إنّ في ذلك لآية لقوم يعلمون.	فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا إنّ في ذلك لآية لقوم يعلمون.
﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾	وترى أصحاب التمكين تحسبهم ساكنين بنفوسهم وهم سائحون في الملكوت بأسرارهم خلق الله الذي أتقن كل شيء إنّه خبير بما تعملون.	وترى الجبال تحسبها ساكنة وهي تمر مر السحاب «لعلها كناية عن حركة الأرض وحركة الألكترونات والنترونات حول النواة» خلق الله الذي أتقن كل شيء إنّه خبير بما تعملون.
﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾	وإن النفس والقلب اقتتلا حول الشهوات فأصلحوا بينهما فإن بغت النفس على القلب فقاتلوا النفس التي بغت في طلب الشهوات حتى تفيء إلى أمر الله.	وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله.
﴿إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى﴾	إنّي أنا ربّك فاخلع عنك التذبذب بين الدنيا والآخرة ، إنك بالوادي المقدس طوى.	إنّي أنا ربّك فاخلع نعليك، إنك بالوادي المقدس طوى.

التعليق:

أخضعت التأويلات المذكورة آنفًا للشطحات الصوفية؛ فأُوّلت «البيوت الخاوية» في الآية الثانية والخمسون من سورة النمل على أنها القلوب الغافلة عن ذكر الله، وأوّلت «الجبال» في الآية الثامنة والثمانين من سورة النمل على أنّها أصحاب التمكين، كما أوّلت الطائفتان في الآية التاسعة من سورة الحجرات على أنّهما القلب والنفس، كذلك أوّل «نزع النعلين» في الآية الثانية عشرة من سورة

النمل على أنّه نزوع للتعلق بالدنيا. وهذه التأويلات وإنْ لم يشترِ بها المتأوّلون مغنمًا دنيويًّا، في تقديري، غير أنّهم أخضعوا آيات الله لإشاراتهم وإشراقاتهم الصوفية. كما أوّل بعض غلاة المتصوفة الآيات (29 ـ 33) من سورة المطففين: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضْحَكُونَ ﴿29﴾ وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿30﴾ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ ﴿31﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿32﴾ وَمَآ أُرْسِلُواْ عَلَيْهِمْ حَٰفِظِينَ﴾ على أنّ «الذين أجرموا» هم الذين يسخرون من أهل التصوف، وأنّ الذين آمنوا هم المتصوفة، وينسحب هذا التأويل على بقية الآيات. وهذا التأويل خاطئ، ذلك أنّه يقيّد المطلق ويخصص العام، فـ ﴿ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ﴾ هم الكفار والمشركون منذ بدء الخليقة وحتى يوم القيامة، و﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ هم الذين أسلموا وجوههم لله وعملوا صالحًا منذ خلق آدم عليه السلام وحتى يوم الدين. ولا علاقة بين هذه الآيات والتصوف والمتصوفة.

ثانيًا ـ تأويلات مدرسة أهل الحاكمية:

1. تأويل آية ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾: ـ أوّل الخوارج الذين رفضوا التحكيم بين علي رضي الله عنه ومعاوية، الآيات التي تؤكد أنّ الحكم لله: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾[1]، على أنّها تقضي عدم الاحتكام للصلح في النزاع بين علي رضي الله عنه ومعاوية؛ حيث أورد زكريا بن خليفة المحرمي رواية نسبها لابن حنبل قال فيها: «حدثنا إسحاق بن عيسى الطباع، حدثني يحيى بن سليم، عن عبد الله بن عثمان بن خثيم، عن عبيد الله بن عياض بن عمرو القارئ قال: جاء عبد الله ابن شداد فدخل على عائشة ونحن عند مرجعه من العراق ليالي قتل علي، فقالت له: يا عبد الله بن شداد هل أنت صادقي عما أسالك عنه؟ فحدثني عن هؤلاء القوم الذين قتلهم علي. فقال: وما لي لا أصدقك؟ قالت: فحدثني عن قصتهم. قال: فإنّ عليًّا لما كاتب معاوية وحكم الحكمان، خرج عليه ثمانية آلاف من قرّاء الناس فنزلوا بأرض يقال لها: حروراء من جانب الكوفة، وأنّهم عتبوا عليه فقالوا: انسلخت من قميص ألبسكه الله، واسم سمّاك به الله. ثم

(1) سورة الأنعام، الآية: 57 وسورة يوسف، الآيتان: 40 و67.

انّطلقت فحكّمت في دين الله ولا حكم إلا لله، فلما أن بلغ عليًّا ما عتبوا عليه وفارقوه عليه، أمر فأذن مؤذن أن لا يدخل على أمير المؤمنين رجل إلا رجلًا قد حمل القرآن. فلما أن امتلأت الدار من قرّاء الناس دعا بمصحف إمام عظيم فوضعه بين يديه فجعل يصكه بيده ويقول: أيها المصحف! حدث الناس، فناداه الناس فقالوا: يا أمير المؤمنين ما تسأل عنه إنما هو مداد في ورق، ونحن نتكلم بما روينا منه فماذا تريد؟ قال: أصحابكم هؤلاء الذين خرجوا بيني وبينهم كتاب الله يقول الله تعالى في كتابه في امرأة ورجل: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُواْ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ﴾[1]. فأمة محمد أعظم دمًا وحرمة من امرأة ورجل، ونقموا عليّ أن كاتبت معاوية كتبت علي بن أبي طالب، وقد جاءنا سهيل بن عمرو ونحن مع رسول الله بالحديبية حين صالح قومه قريشًا، فكتب رسول الله: «بسم الله الرحمن الرحيم». فقال سهيل: لا أكتب بسم الله الرحمن الرحيم. قال: «كيف تكتب؟» قال: اكتب باسمك اللّهم! فقال رسول الله: «اكتب» فكتب. فقال: «اكتب هذا ما صالح عليه محمد رسول الله». فقال: لو أعلم أنك رسول الله لم أخالفك. فكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله قريشًا. يقول الله تعالى في كتابه: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ﴾[2]. فبعث إليهم عبد الله بن عباس فخرجت معه حتى إذا توسطت عسكرهم فقام ابن الكوا فخطب الناس فقال: يا حملة القرآن هذا عبد الله بن عباس فمن لم يكن يعرفه فأنا أعرفه ممن يخاصم في كتاب الله بما لا يعرفه، هذا ممن نزل فيه وفي قومه ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾[3]. فردوه إلى صاحبه ولا تواضعوه كتاب الله. فقال بعضهم: والله لنواضعنه فإنّ جاء بحق نعرفه لنتبعنه وإن جاء بباطل لنكبتنه بباطله، فواضعوا عبد الله الكتاب ثلاثة أيام، فرجع منهم أربعة آلاف كلهم تائب، فيهم ابن الكوا، حتى أدخلهم على عليّ الكوفة»[4].

(1) سورة النساء، الآية: 35.
(2) سورة الأحزاب، الآية: 21.
(3) سورة الزخرف، الآية: 58.
(4) انظر زكريا عبد الله المحرمي، **الصراع الأبدي**، مرجع سابق، ص 177.

وهذا تأويل خاطئ، يهدف، في تقديري، إلى التملّص من بيعة علي ﷺ، حتى لا يجمع القرشيون ـ ومن باب أولى الهاشميون ـ النبوّة والحكم، حين وجدوا الفرصة مواتية لفعل ذلك. والاحتكام إلى الله في الفتنة الكبرى، يقتضي الركون إلى الصلح أولًا، ثم مقاتلة الفئة الباغية ثانيًا، وذلك نزولًا عند قوله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَـٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ﴾[1]. أمّا التأويل الذي أورده الذين رفضوا التحكيم بين المتقاتلين من المسلمين لقوله تعالى: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ فلا يستقيم.

خاتمة المبحث:

جدول رقم (3 ـ 2)

تأويلات مدرسة أهل الحاكمية:

الكَلِم	الدلالة المحرّفة	الدلالة الأصلية
﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾	إن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فلا تحكّموا بينهما إن الحكم إلّا .	إن الأمر إلّا لله وهو يحكم بين الناس فيما هم فيه مختلفون.

التعليق:

أول أهل الحاكمية الآية في الجدول آنفًا على نحو يسوغ لهم الخروج عن علي ﷺ، وقالوا بأنّ دلالة الآية تنصرف إلى وجوب عدم التحكيم في النزاع بين المسلمين. وهو تأويل خاطئ، يرمي، في تقديري، إلى التملّص من بيعة علي ﷺ، حتى لا يجمع القرشيون ـ ومن باب أولى الهاشميون ـ النبوّة والحكم، حين وجدوا الفرصة مواتية لفعل ذلك. والاحتكام إلى الله في الاقتتال بين المسلمين، يقتضي الركون إلى الصلح أولًا، ثم مقاتلة الفئة الباغية ثانيًا، وذلك نزولًا عند قوله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟

(1) سورة الحجرات، الآية: 9.

بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾. أمّـا التأويل الذي أورده الذين رفضوا التحكيم بين المتقاتلين من المسلمين لقوله تعالى: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ فلا يستقيم.

مصادر التحريف

سنسلط الضوء في هذه الخاتمة على مصادر هذا التحريف، والتي تختلف عن الدوافع والأسباب التي أشرنا إليها في المقدمة، وتتركز مصادر التحريف في محاكاة أهل الكتب السابقة، ومحاكاة مشركي قريش.

أولًا محاكاة أهل الكتاب:

على الرغم من أنّ كل فرقة من الفرق الإسلامية تدعي نبذ محاكاة أهل الكتاب من اليهود والنصارى في الظاهر، فإنّ جلّ المسلمين اتبعوا أهل الكتاب، وقلدوهم في كل كبيرة وصغيرة، كما تنبأ الحديث: «لتتبعن سنن من قبلكم شبرًا بشبر وذراعًا بذراع، حتى لو سلكوا جحر ضبّ لسلكتموه، قلنا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: فمن؟»[1] وذلك، على الأرجح، ذرًّا للرماد في العيون، ليغفل المتلقون والأتباع عما حاكوه واتبعوه من بدع وضلالات أهل الكتب السابقة، وهذه بعض بدع أهل الكتب السابقة التي قلدها بعض فقهاء وأئمة الفرق الإسلامية، والتي ستعطينا صورة واضحة لما نحن عليه من زيغ وضلال:

1 ـ قلب العبودية لله تعالى:

قلبَ الأحبار والرهبان والقساوسة علاقة العبودية لله تعالى رأسًا على عقب، فصاروا آلهة وجعلوا من إلههم أو بمعنى أدق وثنهم ـ الذي إمعانًا في المكر أطلقوا عليه اسم الله تعالى ـ عبدًا لهم! فلهم الأمر وعلى إلههم السمع والطاعة، فكان حالهم كحال الرجل الذي أضل راحلته ثم وجدها في إحدى روايات أهل الحديث: «عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ قال:

---

(1) انظر زكريا عبد الله المحرمي، **الصراع الأبدي**، ص 177. انظر صحيح البخاري، **كتاب أحاديث الأنبياء**، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، ح 3456.

(للهُ أشد فرحًا بتوبة عبده المؤمن، من رجل في أرض دَويّة مهلكة، معه راحلته، عليها طعامه وشرابه، فنام فاستيقظ وقد ذهبت، فطلبها حتى أدركه العطش، ثم قال: أرجع إلى مكاني الذي كنت فيه، فأنام حتى أموت، فوضع رأسه على ساعده ليموت، فاستيقظ وعنده راحلته وعليها زاده وطعامه وشرابه، فاللهُ أشدّ فرحًا بتوبة العبد المؤمن من هذا براحلته وزاده». رواه مسلم. وفي حديث النعمان بن بشير زيادة: «ثم قال من شدة الفرح اللّهم أنت عبدي وأنا ربّك أخطأ من شدة الفرح»[1]. وهذا الرجل وفقًا للرواية لم يتعمد أن يقلب العلاقة بينه وبين الله سبحانه وتعالى، غير أنّ الأحبار والرهبان والقساوسة تعمدوا قلبها؛ حيث تقمصوا دور الكهنة والسدنة في الديانات الوضعية، فالكهنة والسدنة يخلقون آلهتهم ويملون عليها ما أرادوا من أحكام، حين ينسبون لها من الأقوال ما لم تقل، وعادة ما يختارونها مما لا تنطق حتى لا تكذبهم. وهكذا فعل الأحبار والقساوسة حين صاروا ينسبون لله تعالى ما لم يقل، ويصدرون تشريعات باسمه لم ينزلها على رسله عليهم السلام، فيحرّمون ما أحلّ الله ويحلّون ما حرّم الله، وينسبون إليه ما يشاؤون من أحكام وتشريعات. وهم يتلون ما أنزل الله ألا ساء ما يحكمون. وهم بذلك انتقلوا ونقلوا أتباعهم من عبادة الله تعالى إلى عبادة وثن كعجل السامري، لا يختلف عن عجل السامري إلّا في كونه لا جسد ولا خوار له.

وقلدهم بعض أئمة وفقهاء المسلمين، فقلبوا علاقة العبودية وصاروا أربابًا من دون الله، واختلقوا وثنًا أسموه الله ليلبسوا علينا ديننا، فقّولوا الله تعالى ما لم يقل، وحرموا ما أحل الله تعالى، وأحلوا ما حرم الله تعالى، وحرفوا الكلم عن مواضعه، وكتموا ما لا يناسب أهل الجاه والمال وما لا يناسبهم من آيات الله تعالى. فكان لهم وثنًا كعجل السامري، ولا يختلف عنه كما أسلفنا إلّا في كونه لا جسد ولا خوار له.

2 ـ توثين الله في أذهان المسلمين سبحانه وتعالى عما يصفون:

قد يبدو هذا المصطلح غريبًا بعض الشيء، فكيف يمكن للعباد تحويل الله

(1) رواه مسلم، **كتاب التوبة**، باب الحض على التوبة والفرح بها، ح2744.

سبحانه وتعالى عما يصفون إلى وثن؟ وقد يقول قائل كيف جعلتَ للعباد سلطة على الله العزيز الجبار تمكنهم من أن يجعلوه صنمًا؟ في الواقع فإنّ يد العباد لا تطال الله تعالى بأيّ حال من الأحوال، غير أنّ العباد مسؤولون عن تصوراتهم عن الله وإدراكهم له، **فحين يصنع العباد صورة مختلقة لله رغبوا فيها، وتختلف تمامًا عما يقدمه التنزيل والوحي عن ذات الله وصفاته، يكونون قد صنعوا لأنفسهم وثنًا، يدرك، وعن وعي، أولئك الذين ساهموا في صنعه أنّه وثنًا وليس الله، بينما يظن أتباعهم أنّهم يعبدون الله وهم واهمون.** وهذا ما فعله أهل الكتاب من اليهود والنصارى فإله اليهود الذي اختلقوه يختلف عن الله سبحانه وتعالى في التنزيل فهو يحابي اليهود ويجعلهم أبناءه وأحباءه، قال الله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾[1]، وقال أيضًا: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾[2]، وكذلك قال عزّ من قائل: ﴿وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾[3]. وقالوا بأنّ الله تعالى لن يعذبهم بالنّار إلّا أيامًا معدودات، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿23﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۖ وَغَرَّهُمْ فِى دِينِهِم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾[4]. وإنّ الوحي الذي تنزل على موسى عليه السلام لم يقتصر على التوراة بل شمل التلمود، وقالوا إنّ عزير ابن الله سبحانه وتعالى عمّا يصفون، قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾[5]. وإنّه لم يرسل عيسى عليه السلام، ولا محمدًا صلى الله عليه وسلم. فحين يُنصّب الأحبار أنفسهم كهنة وسدنة لله تعالى، وينسبون له من القول والفعل ما

---

(1) سورة المائدة، الآية: 18.
(2) سورة الجمعة، الآية: 6.
(3) سورة البقرة، الآية: 111.
(4) سورة آل عمران، الآيتان: 23 ـ 24.
(5) سورة التوبة، الآية: 30.

لم يقل وما لم يفعل وينتقون من قوله وفعله ما يناسبهم ليصدقوه أو يتبعوه وأتباعهم، ويستبعدون من قوله وفعله ما لا يناسبهم ليكذبوه ويضربوا به عرض الحائط، فهم لا يعبدون رب السموات والأرض، بل يعبدون وثنًا من صنعهم، لا يختلف عن عجل السامري، إلّا في كون وثن السامري له جسد وله خوار، بينما عجلهم يحملونه في أذهانهم فلا جسد ولا خوار له. وهكذا فعل النصارى فاختلقوا إلهًا ينتمي إلى أساطير الآثينيين وآلهتهم ولا ينتمي لا للإنجيل ولا التوراة ولا لأي من الكتب المنزلة، يستعير فكرة التثليث من الثالوث الإلهي الحامي لروما والمتكون تارة من الإله جوبيتر الأب ومركور الابن والحورية مايا الأم، وأخرى من جوبيتر ومارس وكورنيوس. فقالوا بأنّ عيسى ابن الله سبحانه وتعالى عما يصفون، وأنّ الله ثالث ثلاثة حين أضافوا إلى الأب والابن الروح القدس، يقول الله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[1]، واستعاضوا عن الله العزيز الجبار الذي يأمرهم بالالتزام بشريعته، بإله صوروه على ذائقتهم محب لهم ولا يأمرهم سوى بمبادلته الحب، ولا شيء سوى ذلك. ومن هناك اعتبر القرآن اليهود والنصارى أصحاب عقيدة فاسدة.

وهذا ما فعله وللأسف بعض أئمة وفقهاء المسلمين حيث اختلقوا إلهًا على ذائقتهم وهواهم فقالوا بأنّه يحابيهم، وأنّ أغلب أهل الجنة سيكونون منهم، وأنّهم لن يخلّدوا في النار، وأنّ النبيّ ﷺ سيخرجهم منها بشفاعته، بل وسيخرجونهم الأئمة رضي الله عنهم أيضًا. فجعلوا نبيهم ﷺ وأئمتهم رضي الله عنهم أعدل منه، حاشا لله، ويملكون من الأمر شيئًا من دونه أو معه، فألحدوا في أسمائه وصفاته، وإنّ الله لم يقتصر في التنزيل على القرآن بل نزل على رسوله الصحاح أيضًا. وقاموا بتعطيل مئات الآيات التي لم تناسب هواهم بحجة نسخها. ومن هناك فحين يُنصّب الأئمة والفقهاء أنفسهم كهنة وسدنة لله سبحانه وتعالى عما يصفون، وينسبون له من القول والفعل ما لم يقل وما لم يفعل، وينتقون من قوله أو فعله ما يناسبهم ليصدقوه أو يتبعوه وأتباعهم، ويستبعدون من قوله ما

(1) سورة المائدة، الآية: 73.

لا يناسبهم بحجة النسخ. فهم لا يعبدون رب السموات والأرض، بل يعبدون وثنًا من صنعهم، لا يختلف عن عجل السامري، كما أسلفنا إلّا في كون وثن السامري له جسد وله خوار، بينما عجلهم يحملونه في أذهانهم فلا جسد ولا خوار له.

ثم إنّ حادثة تأخر نزول الوحي عن النبيّ ﷺ، عندما سأله مشركو قريش عن أصحاب الكهف، وذي القرنين، وعن الروح، استنادًا إلى نصيحة اليهود، كانت، في تقديري، اعتراضًا من الله تعالى على شبهة توثينه في أذهان المسلمين سبحانه وتعالى عما يصفون، والتي حاول اليهود أن يستدرجوا رسوله ﷺ إليها، أي كأنه يقول بأنّ إلهه لا يتأخر عنه، وسيأتي بما يريده وفي الزمن الذي يريده؛ وقول النبيّ ﷺ: «أخبركم غدًا عمّا سألتم» وقع في دائرة الخطأ واللوم الإلهي وذلك لسببين أو مسألتين: الأولى أنّه ﷺ نسب لنفسه الفعل دون إذن الله تعالى. والثانية أنّه ﷺ حدد لله موعد إنزال وحيه، فكأنه ﷺ يقضي على الله! ولله الأمر وعلى العبد الطاعة، وليس للعبد مهما كانت مكانته عند الله أنّ يحدد لله موعد إنزال وحيه، وهو ما لم يقبله الله تعالى من عبده ورسوله، وأراد أن ينزل وحيًا يتلى، من خلال تلك الحادثة، يحدد فيه طبيعة العلاقة بين العبد وربّه، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا﴾[1]. فالربّ يأمر ولا يؤمر، ويسأل ولا يُسأل، ويضرب لعباده موعدًا، ولا يضربون له موعدًا، ويتخذ على العبيد عهدًا ولا يتخذون عنده عهدًا. ثم إنّ العباد إجمالًا لا يفعلون شيئًا إلّا بإذن الله تعالى، ويظلمون أنفسهم حين ينسبون لأنفسهم الفعل دون أذن الله وتوفيقه. **وحين يتصور العباد إلهًا يُطيعهم! فهم يتصورون أو يعبدون صنمًا، حتى لو أسموه الله وخلعوا عليه كل أسماء الله وصفاته.** والأرجح في تقديري أن تكون هذه الواقعة سببًا في نزول الآية

(1) سورة الكهف، الآية: 23.

الثانية والخمسين من سورة الحج: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾ وليس قصة الغرانيق العلاء التي هي على الأرجح من وضع المتأوّلين.

3 ـ قولهم على الله ما لا يعلمون:

قال أهل الكتاب من اليهود والنصارى على الله ما لا يعلمون؛ فقالوا إنّهم أبناء الله وأحبائه، وإنّهم لن تمسهم النّار إلّا أيامًا معدودات، وإنّ عزير ابن الله، وإنّ الله ثالث ثلاثة، وقسموا رحمة الله، وحسدوا العرب على ما أتاهم الله من النبوّة والوحي، وما إلى ذلك.

وقال المسلمون من أتباع النبيّ محمد ﷺ على الله ما لا يعلمون؛ فقالوا بأنّهم سيكونون ثلثي أهل الجنة، وأنّهم لن يخلدوا في النّار، وأنّ النبيّ ﷺ والأئمة سيشفعون لهم، وأنهم معصومون، وقال بعضهم: إنّ الله اتخذ أوصياء في الدين، يرثون النبوّة والكتاب والوحي، وقسّموا رحمة الله فقال أهل الحديث والنسخ بأنّ الله بشّر عشرة من الصحابة بالجنة، ثم ألحقوا بهم كل الصحابة، فقالوا بأنّهم مبشرون بالجنة باستثناء الخوارج منهم، ذلك أنّ الله قد زكاهم، ثم ألحقوا بهم كافة المسلمين من غير أهل البدعة والضلالة، حين قالوا بأنّهم لن يخلدوا في النّار، وقال أهل الرواية والتأويل بأنّ الله بشر الأئمة بأعلى مراتب الجنة، بل إنّهم قالوا بأنّ كل الذين يؤمنون بنظرية الولاية مبشرون بالجنّة. والله تعالى يقول: ﴿إِنَّمَا يَأۡمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلۡفَحۡشَآءِ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾[1].

4 ـ نبذ كتاب الله وراء ظهورهم وكتمان آياته:

نبذ أهل الكتاب من اليهود والنصارى كتبهم وما أنزل الله تعالى عليهم وراء ظهورهم، وهو ما أكده القرآن في آيات عديدة نذكر منها قوله تعالى:

(1) سورة البقرة، الآية: 169.

﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾[1]، وقلدهم فقهاء وأئمة المسلمين في ثلاث مسائل:

أ. الاحتكام لغير الله عند الاختلاف:

السؤال المهم الذي ينبغي أنْ يطرحه المسلمون على أنّفسهم هو إلى «ما» أو إلى «من» يحتكمون عند الاختلاف؟ ورغم وضوح الإجابة لدى المسلمين والتي تنصرف إلى الاحتكام إلى الله ورسوله، إلّا أنّهم لم يتقيدوا بذلك واحتكموا للرجال بدلًا من الاحتكام إلى الله ورسوله، ذلك أنّهم احتكموا لمن أسموه بالعدل الضابط عند الاختلاف حول صحة حديث من الأحاديث، بدلًا من عرضه على القرآن. فالاختلاف في الإسلام له مستويان: المستوى الأول الاختلاف حول السنة النبوية، أو بمعنى أدق الاختلاف حول صحة الأحاديث، وهذا الاختلاف لا يمكن عرضه على رسول الله ﷺ، ذلك أنّ الاختلاف واقع حول سنته أو أحاديثه، وطالما أنّ ﷺ ليس بين ظهرانينا، ليتمكن من تقديم شهادته حول صحة الحديث موضع الاختلاف من عدمه، لذا فإنّه عند هذا المستوى من الاختلاف ينبغي الاحتكام إلى الله تعالى، والاحتكام إلى الله يعني الاحتكام للقرآن.

ومن هناك ينبغي عرض الأحاديث المختلف حولها على القرآن، فما وافق القرآن أخذنا به ورجحنا صحته، وما خالف القرآن تركناه أو رجحنا عدم صحته. والقرآن يأمرنا بالاحتكام إلى الله عند هذا المستوى من الاختلاف في الآية العاشرة من سورة الشورى: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّى عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ . أما المستوى الثاني من الاختلاف فهو الذي ينصرف إلى الاختلاف حول مسائل أخرى غير السنة والحديث النبوي، وفي هذا المستوى ينبغي الاحتكام إلى الله ورسوله ﷺ أي الاحتكام إلى القرآن والسنة النبوية أو الحديث، حيث يأمرنا الله تعالى بالاحتكام إلى الله ورسوله في الآية التاسعة والخمسين من سورة النساء: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ

(1) سورة آل عمران، الآية: 187.

وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾، والاحتكام إلى رسول ﷺ عقب موته يكون بالاحتكام إلى أحاديثه التي لا تخالف القرآن، أو التي تتفق مع أصول الدين التي يتفق حولها جميع المسلمين وبكافة طوائفهم حين لا نجد في القرآن ما يؤكد صحتها من عدمه. ولا يجوز أن نكتفي بالاحتكام للرجال في التأكد من صحة الحديث، مهما قيل فيهم من قصائد مدح من شهود مجهولين بالنسبة لنا، لم نعاصرهم ولا نستطيع التأكد من أنّهم هم أنفسهم عدول، ولا يمكننا أن نحكّمهم عند الاختلاف، ذلك أنّ الآيتين المذكورتين لا تأمرنا بالاحتكام للرجال، بل تأمرنا بالاحتكام إلى الله تعالى، أو إلى الله ورسوله ﷺ، وليس للرجال حتى لو كانوا عدولًا.

ثم إنّ تزكية الرجال ووصف أحدهم بالعدل الضابط، والحافظ والحاكم، وأمير المؤمنين في الحديث، فيه تزكية للنفس أو للغير، ويناقض قول الله تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾[1]، وقوله: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ﴾[2]، وقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ﴾[3]. فمسألة الصدق والكذب في القول والاعتقاد لا يتيقن منها أحد من العباد، وهي وقف عليه تعالى فهو أعلم بمن أتقى. وهو ما يدفعنا إلى عدم قبول كتب الرجال والدعوة إلى إعادة النظر في منهجية الجرح والتعديل، المستندة إلى تزكية الرواة.

وما قلناه عن الأحاديث ينصرف إلى تأويل القرآن، فلا يجوز الاحتكام إلى الرجال عند الاختلاف حول تأويل آيات القرآن، أو الأخذ بالأحاديث وروايات أسباب النزول التي تبيّن دلالة الآية موضع الاختلاف، بل ينبغي الاحتكام للقرآن، حيث تحتكم التفاسير السائدة للأحاديث المبينة لدلالة الآية، والروايات المتعلقة بأسباب النزول، بحجة أنّ النبيّ ﷺ هو المبين للقرآن،

(1) سورة النجم، الآية: 32.
(2) سورة النساء، الآية: 49.
(3) سورة الأنعام، الآية: 117.

وتغفل عن أنّنا حين نحتكم لتلك الأحاديث فإنّنا نحتكم للرواة وليس لرسول الله ﷺ، ثم إنّه لتبيين القرآن أيضًا مستويين: المستوى الأول يتمثّل في تبيين الله تعالى ورسوله ﷺ له؛ حيث يقول تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[1]، أمّا المستوى الثاني فهو حين يكون النبيّ ﷺ ليس بين ظهرانينا، فيكون القرآن والقرآن فحسب هو المبين: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾[2].

ومن هناك فإنّ دور الرسول الكريم ﷺ في تبيين القرآن يتقلص إن لم ينته بموته، ذلك أنّ الرواة صاروا يحولون بيننا وبين ما بينه من القرآن، ولا ينبغي الركون إليهم في وصولنا إلى ما بينه، ذلك أننا لا نستطيع أن نجزم بصحة رواياتهم حول دلالات النص القرآني، وعلى نحو خاص حين تتعارض تلك الروايات وآيات الذكر الحكيم. ذلك أنّ الاحتكام لمن وصف بالعدل الضابط عند الاختلاف هو مخالف للآيتين المذكورتين، اللتين تأمرانا بالاحتكام إلى الله ورسوله وليس للعدل الضابط، والذين احتكموا للعدل الضابط دلسوا علينا وأوهمونا بأننا نحتكم إلى النبيّ ﷺ، غير أنّنا كنا نحتكم في الواقع إلى الرجال وليس إلى رسولنا الكريم ﷺ، وهو ما سنسأل عنه يوم القيامة؛ بالسؤال: كيف احتكمتم إلى الرجال دون الله ورسوله؟ ومن هناك فعند الاختلاف حول أسباب النزول، والأحاديث المبيّنة لدلالة الآيات اليوم، ينبغي الاقتصار على تأويل القرآن بالقرآن. كما يمكن الاستفادة من الروايات والأحاديث التي تبيّن دلالات تلك الآيات وفق الشروط التالية:

1. ألّا تخالف آيات الذكر الحكيم.
2. ألّا تكون موظفة لخدمة النظريات التي ابتدعتها الفرق والمذاهب.
3. أو أنْ تجمع على صحتها كافة الفرق والمذاهب دون استثناء، إنْ لم نجد في القرآن ما يمكّنا من إصدار حكم عليها.

---

(1) سورة النحل، الآية: 44.

(2) سورة القيامة، الآية: 19.

ب. تحريف الكلم عن مواضعه:

حرّف اليهود والنصارى دلالات كلام الله تعالى في التوراة والإنجيل، وقلدهم المسلمون فحرفوا دلالات آيات الله تعالى لتطويعها لنظرياتهم ومعتقداتهم، قال تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ﴾[1]، حيث طوّع أهل الرواية والتأويل آيات الله تعالى لنظرية الولاية، وعصمة الأئمة وشفاعتهم، ونظرية إمام الزمان، وغيرها من النظريات. وطوّع أهل الحديث والنسخ آيات الله تعالى لنظريات عدالة الصحابة، وحجية أحاديث الآحاد، وشفاعة النبيّ ﷺ، وعدم خلود المسلم في النار، وغيرها من النظريات.

ت. كتمان ما أنزل الله من كتاب:

كَتَمَ بنو إسرائيل بعض ما أنزل الله عليهم، وهو ما ذكرته آيات عديدة نكتفي هنا بالآية: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾[2]، وقلد المسلمون من أتباع النبيّ محمد ﷺ بني إسرائيل في كتمان ما أنزل الله تعالى، فاحتكم المسلمون للروايات المتعلقة بالتأويل، وأسباب النزول، وكذلك الروايات المتعلقة بالنسخ التي كتمت عددًا من آيات الذكر الحكيم، وصلت لدى بعض المصنفين إلى 293 آية.

ولقد انصرف المسلمون عن الاحتكام إلى كتاب الله في مسألة النسخ، كما فعلوا في مسألة الأخذ بأحاديث الآحاد، ولو احتكموا إلى كتاب الله لما زاد عدد الآيات التي نُسخت عن خمس آيات اقتصر عليها الدكتور مصطفى زيد في كتابه النسخ في القرآن الكريم[3]، والخمس آيات التي وقع نسخها ذكرت

---

(1) سورة المائدة، الآية: 13.

(2) سورة آل عمران، الآية: 187.

(3) انظر د. مصطفى زيد، **النسخ في القرآن الكريم**، ج: 2، ص: 337 ـ 372.

في القرآن. والله تعالى يقول: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾[1]. ويقول أيضًا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَشۡتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[2].

وفي المقابل أظهروا حرصًا مبالغًا فيه لعدم كتمان الأحاديث، لم نجد مثله عندما تعلق الأمر بآيات الذكر الحكيم!

ث. استبدال كتاب الله بكتب الرجال:

اتخذ اليهود والنصارى كتبًا أخرى غير كتب الله التي أنزلت عليهم، احتكموا إليها عوضًا عن الاحتكام إلى كتاب الله تعالى، فاتخذ اليهود التلمود بديلًا عن كتاب الله تعالى، جمعوا فيه أقوالًا نسبوها تارة لله تعالى، وتارة أخرى للنبيّ موسى عليه السلام، وقالوا إنّ الوحي لم يقتصر على التوراة بل شمل التلمود، كما اتّخذ النصارى أناجيل عديدة جمعوا فيها أقوالًا نسبوا بعضها لله تعالى، ونسبوا بعضها الآخر للنبيّ عيسى عليه السلام، قال تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ يُدۡعَوۡنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۡ وَهُم مُّعۡرِضُونَ﴾[3].

وعلى نفس الشاكلة، اتّخذ المسلمون كتبًا أخرى غير كتاب الله تعالى منهجًا ودليلًا سموها الصحاح، جمعوا فيها أقوالًا نسبوا بعضها لله تعالى، وأخرى لرسوله ﷺ، وصاروا يحتكمون إليها أكثر من احتكامهم للقرآن؛ فالمتلقي لخطب الجمعة أو لدروس الدعاة، أو المطلع على فتاوى الشيوخ والفقهاء، لن يجد إلّا إشارات قليلة جدًّا من القرآن، حيث جلّ الاستشهادات

(1) سورة البقرة، الآية: 159.
(2) سورة البقرة، الآية: 174.
(3) سورة آل عمران، الآية: 23.

في تلك الخطب، والدروس والفتاوى هي من أقوال الرجال، أو من مرويات الرواة المنسوبة للنبيّ ﷺ.

وحين يُدعى هؤلاء إلى الاحتكام إلى كتاب الله، تأخذهم العزة بالإثم فيتهمون من يدعونهم إلى ذلك بأنّهم يرفضون السنة! والله تعالى يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ﴾[1]، ويقول أيضًا: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُواْ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[2]، وهم في ذلك لا يدافعون عن السُّنة بل يدافعون عن الاحتكام للرواة، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾[3]. أوَ لو كان مالك أو أبو حنيفة أو ابن حنبل أو الشافعي أو البخاري أو مسلم أو الكليني أو الربيع بن حبيب لا يعقلون شيئًا ولا يهتدون.

ج. اتخاذ الأحبار والرهبان والفقهاء والأئمة أربابًا من دون الله:

ثمة فارق كبير بين دور الأحبار والقساوسة والفقهاء، الذين اصطلح على تسميتهم برجال الدين في الشرائع الكتابية، وبين دور الكهنة والسدنة في الديانات الوضعية، ففي الديانات الوضعية الكهنة والسدنة هم الآلهة الحقيقيون، وما الآلهة التي يختلقونها سوى ألاعيب كألاعيب السحرة يستخدمونها لإخضاع العامة والسذج إلى سلطانهم. أمّا المتفقهون في الدين، والذين لا ينبغي تسميتهم برجال الدين، فدورهم يختلف عن دور الكهنة والسدنة؛ ففي الشرائع الكتابية جميع المؤمنين على قدم المساواة أمام الله تعالى، ولا وجود لوسطاء بين الله تعالى وعباده، فوظيفتهم لا تتجاوز تبيين دلالات قول الله تعالى للمؤمنين، دون تدخل منهم في دلالة النص الإلهي. فإن تدخلوا في دلالة النص الإلهي وطوعوه لأهوائهم، أو لأهواء النخبة من أهل الجاه والمال، صاروا سدنة وكهنة لصنم من صنعهم أسموه الله إفكًا وزورًا،

(1) سورة النساء، الآية: 135.
(2) سورة الأنعام، الآية: 152.
(3) سورة البقرة، الآية: 170.

سبحانه وتعالى عما يصفون، وصاروا حراسًا على شريعة هي غير شريعة الله، غير أنّهم يلبسون على المؤمنين دينهم بادعاء أنّها شريعة الله سبحانه وتعالى عمّا يصفون. وهذا ما عنته في تقديري الآية الحادية والثلاثون من سورة التوبة حين وصفت أهل الكتاب من اليهود والنصارى بأنّهم اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله. حيث نصب الأحبار والرهبان أنفسهم كهنة وسدنة على الشريعتين اليهودية والنصرانية وأطاعهم اليهود والنصارى فأضلوهم عن سواء السبيل، فحرّفوا الكلم عن مواضعه، وأخفوا بعض ما أنزل الله عليهم، وأحلوا لهم ما حرم الله، وحرموا بعض ما أحل الله، دون أن يعترض منهم أحد، فوصفهم تعالى بقوله: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾.

وقلدهم أئمة وفقهاء المسلمين في القرنين الثاني والثالث فنصبوا أنفسهم كهنة وسدنة لشريعة ابتدعوها هي غير شريعة الله، وأطاعوهم المسلمون حين حرفوا الكلم عن مواضعه، وأخفوا بعض ما أنزل الله عليهم بذريعة النسخ، وأحلوا بعض ما حرم الله تعالى، وحرموا بعض ما أحل الله دون أن يعترضوا؛ حيث حرموا الحمر الأهلية، وذوات الظفر والناب، وأحلوا الصيد للمحرم، كما أطاع المسلمون المعاصرون فقهاءهم اليوم الذين أحلوا الربا[1]، وسكتوا عن الميسر[2]، وعطلوا الجهاد في البلدان التي تعرضت للاحتلال[3]، وأحلوا اتخاذ الكفار وأهل الكتاب أولياء من دون المؤمنين[4]، وأجازوا منح القواعد والتسهيلات العسكرية للكفار وأهل الكتاب[5]، وأجازوا الصلح المنفرد مع

---

(1) انظر محمد خليل، **فتوى مفتي مصر بإباحة فوائد البنوك تجدد الجدل بين علماء الأزهر**، صحيفة الشرق الأوسط، عدد 10453.

(2) سكت فقهاء مدرسة الحديث والتأويل بمختلف مشاربهم عن المسابقات التي انتشرت في الفضائيات العربية اللسان الغربية الهوى، ولعل أشهرها مسابقتي الحلم، والمفتاح التي يديرها مصطفى لاغة في قنوات الـ MBC ومن الأراضي المقدسة. وهي شكل من أشكال الميسر.

(3) ترددت أقاويل عن وجود فتوى للسيستاني بعدم التعرض لقوات الاحتلال الأميركي غير أننا لم نحصل عليها. لكن رموز وقادة الاحتلال الأميركي للعراق أشادوا بدوره وتعاونه مع سلطات الاحتلال.

(4) انظر فتوى ابن باز مفتي السعودية في جواز استعانة الكويت وبلدان الخليج بأميركا وحلفائها لطرد الجيش العراقي منها، وانظر كذلك فتاوى القرضاوي ومن لفّ لفّه في جواز الاستعانة بالناتو في فتن ليبيا وسوريا والذي أسموه المجتمع الدولي.

(5) انظر فتوى ابن باز مفتي السعودية في جواز استقبال السعودية للقوات الأميركية.

اليهود الغاصبين لفلسطين[1]، وأطاعوا الذين كرهوا ما أنزل الله في بعض الأمر فنادوا بمدنية الدولة، والتعددية، واقتصاد السوق الاحتكاري، والتخلي عن الحكم بشرع الله تعالى[2]، ودون أن يعترض جلّ المسلمين، والله تعالى يقول: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ ۖ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ﴾[3]. وهو ما جعلهم تحت طائلة الآية: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾، أي إنّهم اتخذوا فقهاءهم وأئمتهم أربابًا من دون الله، حيث بين رسول الله دلالة تلك الآية في حديث رواه عدي ابن حاتم قال فيه: «أتيت رسول الله ﷺ وفي عنقي صليب من ذهب، فقال: يا عدي اطرح هذا الوثن من عنقك قال: فطرحته وانتهيت إليه وهو يقرأ في سورة براءة، فقرأ هذه الآية: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ قال: قلت: يا رسول الله إنا لسنا نعبدهم فقال أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه ويحلون ما حرم الله فتحلونه؟ قال: قلت: بلى. قال فتلك عبادتهم»[4].

5 ـ القول بأنّهم أولياء الله من دون الناس:

قال اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه، حيث قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾[5]، وقال أيضًا: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[6]، وكذلك قال عزّ من قائل: ﴿وَقَالُوا

(1) انظر فتوى مفتي مصر في جواز الصلح المنفرد مع إسرائيل.

(2) أفتت دور الإفتاء في البلدان التي حدثت بها تغيرات سياسية في العقد الثاني من الألفية الثالثة، بجواز اتباع أهل الكتاب أو طاعتهم في بعض الأمر، والذي تمثل في مدنية الدولة والتعددية واقتصاد السوق الاحتكاري، والاكتفاء بالنص على أنّ الإسلام أحد مصادر التشريع.

(3) سورة محمد، الآية: 26.

(4) أخرجه الترمذي ـ ج5 ـ ص278، ح 3095، والطبراني ـ ج17، ص92، ح218، والبيهقي في الكبرى ـ ج10، ص116، ح20137.

(5) سورة المائدة، الآية: 18.

(6) سورة الجمعة، الآية: 6.

لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾[1].

وقال المسلمون من أتباع النبيّ محمد ﷺ: نحن خير أمة أخرجت للناس، وإننا سنكون أغلب أهل الجنة؛ حيث أوّلت الآيات التي تمتدح صحابة النبيّ ﷺ، والتي لا تتجاوز الثناء على عدد من الصحابة المحدودي العدد من السابقين بالإيمان، الذين قد لا يزيد عددهم عن حواريي عيسى عليه السلام، أو على أحسن الفروض لا يتجاوز عددهم الصحابة بتعريف سعيد بن المسيب، أوّلت على أنّها تشمل كافة المسلمين بمن فيهم الظالم لنفسه، والذي في قلبه مرض، والذي آثر الحياة الدنيا، والذي ارتكب الكبائر! كما نسب الرواة لأبي هريرة حديثًا قال فيه: «قال رسول الله ﷺ: إني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة بل ثلثَ أهل الجنة بل نصفَ أهل الجنة وتقاسمونهم في النصف الثاني»[2]. فوفق هذا الحديث، المسلمون من أتباع النبيّ محمد ﷺ ثلاثة أرباع أهل الجنة.

6 ـ القول بأنّهم لن يخلّدوا في النار:

قال اليهود لن تمسنا النار إلّا أيامًا معدودات، وهو ما يعني عدم خلودهم في النار: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿23﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ وَغَرَّهُمْ فِى دِينِهِم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾[3]. وقال المسلمون من أتباع النبيّ محمد ﷺ بأنّنا لن نخلد في النار، إنّما الخلود للمشرك والكافر. وحين فرقوا دينهم شيعًا وأحزابًا ادعت كل فرقة بأنّ أتباعها فقط من لا يخلد في النار، وأُوّلت الآيات التي تتوعد من يعصي ربه من المسلمين، أو يرتكب إثمًا بالخلود في النار على أنّ الخلود لا يعني الخلود! أو أنّ الخلود فحسب لمن ينكر حدًّا من حدود الله التي تجاوزها أو اعتدى عليها.

---

(1) سورة البقرة، الآية: 111.

(2) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب كيف الحشر، ح 6163.

(3) سورة آل عمران، الآيتان: 23 ـ 24.

7 ـ التمذهب والاختلاف في الدين:

اختلف الذين أوتوا الكتاب من اليهود والنصارى وفرقوا دينهم شيعًا وأحزابًا، وتوعدهم الله تعالى بالعذاب وسوء المصير على ذلك الاختلاف، فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾[1]، وقال أيضًا: ﴿وَمَا تَفَرَّقُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ﴾[2]، كما قال: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ ۖ فَمَا ٱخْتَلَفُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾[3]. وقال أيضًا: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[4].

ونهى الله تعالى المسلمين من أهل القرآن أن يتفرقوا فيه، وتوّعد من يفعل بعذاب عظيم؛ حيث قال: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿105﴾ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾[5]. وقال أيضًا: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿31﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾[6].

غير أنّ المسلمين قلدوا اليهود والنصارى واختلفوا في الكتاب، فنشأت الفرق والمذاهب فتفرقت بالمسلمين السبل، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى

(1) سورة آل عمران، الآية: 19.
(2) سورة الشورى، الآية: 14.
(3) سورة الجاثية، الآية: 17.
(4) سورة البقرة، الآية: 213.
(5) سورة آل عمران، الآية: 106.
(6) سورة الروم، الآيتان: 31 ـ 32.

مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[1]، **فصار للمسلمين سبل عديدة: سبيل الله، وما قيل إنّه سبيل رسول الله ﷺ، في الوقت الذي هو سبيل الرواة، وما قيل بأنّه سبيل المؤمنين بينما هو في الواقع سبيل الفقهاء والأئمة، وافترق سبيل المؤمنين فصار سبل ثلاثة أو أربعة سبل؛ سبيل مدرسة أهل الحديث والنسخ، وسبيل مدرسة الرواية والتأويل، وسبيل مدرسة الحاكمية وسبيل مدرسة أهل التصوف. كما انقسمت تلك السبل على نفسها فصار كل سبيل سبلًا عديدة، وعلى سبيل المثال لا الحصر تفرع سبيل أهل الحديث والنسخ إلى خمس سبل، إن لم يكن أكثر؛ سبيل أبي حنيفة، وسبيل مالك، وسبيل الشافعي، وسبيل ابن حنبل، وسبيل ابن عبد الوهاب. في حين كان ينبغي أن يكون سبيل الله تعالى، وسبيل النبيّ ﷺ، وسبيل المؤمنين سبيلًا واحد. وهو الصراط المستقيم المذكور في الآية،** وهو ما نردده كل يوم سبع عشرة مرة على الأقل في صلواتنا الخمس.

وابتدع أهل الحديث والنسخ دينًا غير دين الإسلام سمّوه «السُّنة والجماعة»، يشبه أديان أهل الكتاب من اليهود والنصارى، اتبعوا فيه ما ألفوا عليهم آباءهم، يدعو أتباعه إلى أن يتخذوا من دون الله أندادًا، فيطيعون أئمتهم الذين يقلدونهم أكثر مما يطيعون الله تعالى، ويحكمون الرجال عند الاختلاف، وينبذون كتاب الله وراء ظهورهم، ولا يثقل كاهل أتباعه بالتكاليف فالله تعالى يغفر ما دون الشرك، وشفاعة نبيه ﷺ كفيلة بإخراج أهل الكبائر من النار وإدخالهم الجنة! رغم قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي النَّارِ﴾[2]، ثم إنّ المرء يحشر مع من يحب وفقًا للرواة، ويكفي المسلم أن يحب النبيّ ﷺ وصحابته ليدخل معهم الجنة، وتكفي المرء بعض التسابيح المحددة بعدد معيّن لتغفر له ما تقدم وما تأخر من ذنبه. ومن هناك فدخول الجنة سهل يسير، وأنّ الذين يجعلونه عسيرًا مغالون في دينهم، بل هم أهل بدعة وضلالة رغم قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ

(1) سورة الأنعام، الآية: 153.
(2) سورة الزمر، الآية: 19.

جَٰهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[1]. فطريق الجنة محفوف بالابتلاءات والمكاره، وطريق جهنم محفوف بالشهوات.

وابتدع أهل الرواية والتأويل دينًا غير دين الإسلام سموه «شيعة آل البيت»، يشبه أديان أهل الكتاب من اليهود والنصارى، اتبعوا فيه ما ألفوا عليهم آباءهم، يدعو أتباعه إلى أن يتخذوا من دون الله أندادًا، فيطيعون أئمتهم أكثر مما يطيعون الله تعالى، ويحكمون الرجال عند الاختلاف، وينبذون كتاب الله وراء ظهورهم، ولا يثقل كاهل أتباعه بالتكاليف فالله تعالى يغفر ما دون الشرك، وشفاعة الأئمة كفيلة بالذود عن أحباء الأئمة الذين سموهم آل البيت، ثم إنّه يرسي قاعدة «أنّه لا تضرّ مع محبة آل البيت معصية ولا تنفع مع كرههم طاعة»، وشيعة الأئمة سيحشرون مع من يحبون من آل البيت، بل قد يشفعون لغيرهم ببركة محبتهم لآل البيت!

وحذرنا القرآن أنْ نفعل مثل ما فعل اليهود والنصارى وألزمنا الحجة بقوله: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿155﴾ أَن تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَٰفِلِينَ ﴿156﴾ أَوْ تَقُولُواْ لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِى ٱلَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يَصْدِفُونَ﴾[2] غير أنّنا صدفنا عن آياته فتأولت كل فرقة دلالة آيات الله تعالى على نحو يخدم نظرياتها ومصالحها، وحجب أئمة كل فرقة وفقهائها من آيات القرآن ما يعارض نظرياتهم ومصالحهم، فاشتروا بآيات الله ثمنًا قليلًا. وصار المسلم حين تسأله عن هويته الدينية يجيبك بأنّه مالكي، أو حنفي، أو شافعي، أو حنبلي، أو جعفري، أو علوي، أو زيدي، أو سلفي «وهابي»، أو أباضي، فلا ينتسب لدين الله تعالى، بل ينتسب لأئمته. وبمجرد الانتساب للمقلَّد يتخذ المسلم شريكًا وندًّا لله تعالى سبحانه وتعالى عما يشركون، فالذي يقول بأنّه مالكي فكأنه يقول بأنّه عبد مالك!، والذي يقول بأنّه

---

(1) سورة آل عمران، الآية: 142.

(2) سورة الأنعام، الآيات: 155 ـ 157.

جعفري فكأنه يقول بأنّه عبد جعفر! والذي يقول بأنّه أباضي فكأنه يقول بأنّه عبد أباض!، وهلم جرًّا. حيث تنتفي عن المتمذهب صفة العبودية لله وينتقل إلى عبودية إمامه.

8 ـ القول بالوصي في الدين:

ادّعى أحبار اليهود أن الله تعالى قد اختار «يوشع بن نون»، ليكون وصيًّا لموسى ﷺ، وقد نسبوا لله تعالى نصوصًا في التوراة والتلمود، تبيّن أنّ الله تعالى أمر موسى ﷺ أن يوصي ليوشع بن نون قبل موته، ليكون وصيًّا من بعده في بني إسرائيل، فجاء في سفر العدد الإصحاح السابع والعشرين ما نصّه: «فقال الرب لموسى: خذ يوشع بن نون رجلًا فيه روح وضع يدك عليه وأوقفه قدام ألعازر الكاهن وقدام كل الجماعة وأوصاه أمام أعينهم إلى أن قال ففعل موسى كما أمره الرب أخذ يوشع وأوقفه قدام ألعازر الكاهن وقدام كل الجماعة ووضع يده عليه وأوصاه كما تكلم الرب عن يد موسى»[1]. وقلد أهل الرواية والتأويل اليهود في الوصية بالإمامة لعلي والأئمة من بعده. وتتمثل أوجه الاتفاق بينهما فيما يتعلق بنظرية الوصي في المسائل التالية:

1. ضرورة تنصيب وصي بعد موت النبيّ ﷺ.
2. أن الله تعالى هو الذي تولّى تعيين الوصي .
3. أن الله يوحي للأوصياء ولذلك تتنزل عليهم الملائكة؛ فقد زعم اليهود أن الله خاطب يوشع مباشرة، وكذلك زعم أهل الرواية والتأويل أنّ الله تعالى أوحى للأئمة رضي الله عنهم.
4. منح الوصي منزلة الأنبياء عليهم السلام، بل إنّ أهل الرواية والتأويل يجعلون الأوصياء في مرتبة أعلى من الأنبياء عليهم السلام.

9 ـ نقض عهد الله وميثاقه:

نقض أهل الكتاب من اليهود والنصارى عهد الله وميثاقه، ونقض ميثاق الله

(1) الكتاب المقدس، عدد 27: 18، وعدد 27: 22.

يتمثل في عصيانهم لله تعالى ولرسله عليهم السلام، وتحريفهم للكلم عن مواضعه، وكذبهم على الله تعالى، وسفكهم لدمائهم، وإخراج بعضهم البعض من ديارهم، وقتلهم الأنبياء عليهم السلام والذين يأمرون بالقسط من الناس، وتوليهم للذين كفروا، واعتدائهم في السبت، واستبدالهم الذي هو أدنى بالذي هو خير، واغترارهم بالأماني وقولهم سيغفر لنا، وهو ما ذكره تعالى في محكم كتابه العزيز بقوله: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ﴾(1)، وقوله: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِ إِيمَانُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾(2). وقوله: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾(3)، وقوله: ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا﴾(4)، وقوله: ﴿فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا الْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَاقُ الْكِتَابِ أَن لَّا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾(5). وقوله: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾(6). وقوله: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾(7). وغيرها من الآيات العديدة التي يمكن للقارىء العودة إليها في المصحف.

وقلد المسلمون من أتباع النبيّ محمد ﷺ أهل الكتاب من اليهود

---

(1) سورة البقرة، الآية: 84.
(2) سورة البقرة، الآية: 93.
(3) سورة النساء، الآية: 155.
(4) سورة النساء، الآية: 154.
(5) سورة الأعراف، الآية: 169.
(6) سورة المائدة، الآية: 13.
(7) سورة المائدة، الآية: 14.

النصارى في كل ما فعلوه باستثناء قتل الرسل عليهم السلام، وذلك ربما لتوقف الله تعالى عن إرسال الرسل بعد رسوله محمد ﷺ فحسب؛ حيث حرّفوا الكلم عن مواضعه، وكذبوا على الله تعالى، وسفكوا دماءهم، وأخرج بعضهم البعض من ديارهم، في الفتنة الكبرى، وفيما سمي بثورة العباسيين، وفي فتن العقد الثاني من الألفية الثالثة، بل وأخرج فريق منهم أحفاد رسول الله ﷺ من ديارهم، فوصل بعضهم إلى المغرب هروبًا من بطشهم، وقتلوا أحفاد النبيّ ﷺ من فاطمة رضي الله عنها، وقتلوا الذين يأمرون بالقسط من الصحابة وغيرهم من المعاصرين.

كما تولوا اليهود والنصارى، رغم نهي الله تعالى عن توليهم، واتخذوا من الكافرين أولياء من دون المؤمنين، فيما سمي بالثورة العربية بقيادة الشريف حسين والشيخ لورانس، وفي فتن العقد الثاني من الألفية الثالثة بقيادة الأمير حمد والشيخ ليفي، ونسبوا كذبًا إلى رسول الله ﷺ أكله الصيد وهو محرم، وإتيانه إحدى زوجاته وهي حائض، ودخوله بإحدى زوجاته وهو محرم، واستبدلوا الذي هو أدنى بالذي هو خير، حيث آثروا الحياة الدنيا على الآخرة، وما عند الخلفاء والحكام على ما عند الله تعالى من ثواب، وغرتهم الأماني فقالوا سيُشفع لنا، وألهتهم التجارة واللهو عن صلاة الجمعة. والله تعالى يقول: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُواْ بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَٰقَكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[1]. ويقول: ﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۙ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾[2]. ويقول: ﴿وَٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِى وَاثَقَكُم بِهِۦٓ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾[3]. ويقول: ﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾[4]. ويقول: ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾[5].

---

(1) سورة الحديد، الآية: 8.
(2) سورة الرعد، الآية: 25.
(3) سورة المائدة، الآية: 7.
(4) سورة البقرة، الآية: 27.
(5) سورة النحل، الآية: 91.

10 ـ ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

ترك أهل الكتاب من اليهود والنصارى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حيث يقول تعالى في محكم كتابه العزيز في الآيتين التاسعة والسبعين والثمانين من سورة المائدة: ﴿كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ۝٧٩ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ﴾. وقلّدهم المسلمون فلم يتناهوا عن تحريف الكلم عن مواضعه، ولا عن دعوة الفقهاء والأئمة لاتباع ما ألفوا عليه آباءهم، ولا عن نبذهم لكتاب الله تعالى وراء ظهورهم، ولا عن احتكامهم للرجال العدول عوضًا عن احتكامهم إلى القرآن، ولا عن قتل أحفاد رسول الله ﷺ، رغم أمره تعالى لهم بالمودة في قربى رسوله ﷺ. كما لم يتناهوا عن كتمان آيات الله تعالى بالنسخ، ولا عن اتخاذ الشفعاء، ولا عن مجون خلفاء بني أمية وبني العباس وغيرهم من الحكام، ولا عن اتخاذ اليهود والنصارى أولياء، ولا عن سفكهم دمائهم، ولا عن إخراجهم المسلمين من ديارهم بغير الحق، ولا عن الحكم بغير ما أنزل الله تعالى، ولم يتناهوا عن غير ذلك من المنكرات.

11 ـ القول بالشفاعة وبأنّه سيغفر لهم:

قال اليهود بأنّ آباءهم سيشفعون لهم، وقال النصارى بأنّ المسيح وروح القدس والعذراء والقديسين سيشفعون لهم، كما قالوا بأنّ الله سيغفر لهم، قال الله تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا﴾، وقال عز من قائل أيضًا: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ وَغَرَّهُمْ فِى دِينِهِم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾[1]. وقال المسلمون من أتباع النبيّ محمد ﷺ مثل قولهم، فقال المسلمون من أتباع أهل الحديث والنسخ بأنّ النبيّ ﷺ سيشفع لهم «لأتباع أهل الحديث والنسخ»، وقال أتباع أهل الرواية والتأويل بأنّ الشفاعة ستكون للأئمة والنبيّ ﷺ، وأنّ الشفاعة ستكون فقط لشيعة الأئمة رضي الله عنهم. رغم أنّه لا توجد آية في القرآن تحدد من ستوكل إليه الشفاعة.

---

(1) سورة آل عمران، الآية: 24.

وإذا كان الله تعالى ينفي عن رسوله محمد ﷺ أنْ ينقذ من في النار: ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِى ٱلنَّارِ﴾[1]، كما قال تعالى: ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِىِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾[2]، ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا۟ مِنَّا كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾[3]. فكيف تجرأ هؤلاء المبطلون، ليس فقط على القول بالشفاعة، بل حددوا حتى الشفعاء! ففي حين ترك الله تعالى الباب مواربًا للشفاعة، ولم يقل بأنّه ثمّة من سيدخل منه، ولم يحدد الداخلين، فقوله أشبه ما يكون ـ والقياس مع الفارق إنْ جاز القياس ـ بقول كسرى على سبيل التمثيل بأنّه لا يستطيع أحد أنْ ينقذ النعمان بن المنذر منه أو حتى أنْ يتشفع له إلّا أنْ يكون قد حصل على إذن مسبق منه، فهذا القول لا يجزم بأنّه ثمّة من أخذ منه الإذن، أو حتى ثمة من ينوي أخذ الإذن منه في التشفع للنعمان. وقوله تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾[4]. يؤكد ما ذهبنا إليه، ونحن بهذا القول لا ننكر وقوع الشفاعة بالمطلق، غير أنّنا ننكر تحديد الشفعاء دون نص من القرآن، ثم إنّ الشفاعة لن تقع حتمًا على الصورة السائدة في الموروث الإسلامي، والذي يعبّر عن النكوص للوثنية حيث اعتقد الوثنيون في أنّ أصنامهم ستشفع لهم. أمّا الشفاعة في القرآن، فحتى وإنْ ترك الباب مواربًا لوقوعها بإذنه تعالى، فإنّها وردت دون تحديد للشافعين، إذا ما استثنينا الملائكة عليهم السلام، حيث قال تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ﴾[5].

ويعرّف المراغي شيخ الأزهر الشفاعة بقوله: «إنّ الشفاعة المعروفة في دنيانا لا تكون إلا بترك الحاكم لما حكم به ونسخ ما عزم عليه لأجل

(1) سورة الزمر، الآية: 19.
(2) سورة النساء، الآية: 123.
(3) سورة البقرة، الآية: 167.
(4) سورة البقرة، الآية: 255.
(5) سورة الأنبياء، الآية: 28.

الشفيع»[1]، وهو ما يناقض وحدانية حكم الله يوم القيامة، ويناقض مفهوم العدالة الإلهية، ذلك أنّ البشر سيكون لديهم رأي في تلك العدالة. ونلخص هنا الاشكاليات التي تثيرها نظرية الشفاعة:

1. الشرك في التوكل والاستعانة: فالمؤمن بالشفاعة يتوكل على الشفيع، ويستعين به على إخراجه من النار.

2. الدخول في عقود مقايضة مع الشفيع، حيث يدخل طالب الشفاعة مع النبيّ ﷺ في عقود غير معلنة وفق الرواة، يتولى طالب الشفاعة بموجبها الصلاة عليه عشرًا إذا أصبح، وعشرًا إذا أمسى ليقايضه بالشفاعة! حيث نسب الرواة لرسول الله ﷺ قوله: «من صلى عليّ عشرًا إذا أصبح وعشرًا إذا أمسى حلّت له شفاعتي»[2]، أو أنْ يسأل الله تعالى الوسيلة للشافع عند سماعه للأذان فيستحق شفاعته! حيث نسب الرواة لرسول الله قوله: «إذا سمعتم النداء فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علي، فإنّه من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشرًا، ثم سلوا الله لي الوسيلة، فإنّها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل لي الوسيلة حلّت له الشفاعة»[3]، وورد الحديث برواية أخرى نسبت إلى جابر رضي الله عنه: «من قال حين يسمع النداء: اللّهم ربّ هذه الدعوة التامة، والصلاة القائمة، آت محمدًا الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقامًا محمودًا الذي وعدته، حلّت له شفاعتي يوم القيامة»[4]. ويضيف أهل الرواية والتأويل إلى بنود عقد المقايضة للصلاة على النبيّ ﷺ وطلب الوسيلة والدرجة الرفيعة له، الصلاة على الأئمة وطلب الدرجة الرفيعة لهم.

3. الإلحاد في صفات الله تعالى: حيث يلحد طالب الشفاعة في «الرحيم» حين يعتقد بأنّ الشفيع أرحم من الله تعالى، ويلحد في «المقسط»

(1) انظر مصطفى محمود، **الشفاعة محاولة لفهم الخلاف القديم بين المؤيدين والمعارضين**، ص79.

(2) انظر **مجمع الزوائد** (10/ 120)، وصحيح الترغيب والترهيب (1/ 273) للألباني.

(3) انظر صحيح مسلم، **كتاب الصلاة**، إذا سمعتم النداء فقولوا مثل ما يقول المؤذن، ح 348.

(4) انظر صحيح البخاري، **كتاب الأذان**، باب الدعاء عند النداء، ح 614.

و«العدل» حين يعتقد بأنّ الشفيع أكثر عدلًا من الله، ويلحد في «الحكم» حين يظن بأنّه يركن لحكم الشفيع يوم القيامة، سبحانه وتعالى عما يصفون.

4. التهوين من ارتكاب المعصية: حيث ييسر الركون إلى الشفاعة للعبد نقض عهد الله وميثاقه، وذلك بالتهوين من الوقوع في معصيته، ومن تجاوز حدوده.

5. الطعن في العدالة الإلهية: حيث لا تسوي نظرية الشفاعة بين المذنبين ممن قيل بأنّهم أمة محمد ﷺ وغيرهم.

12 ـ القول بنظرية المخلّص «المهدي المنتظر»:

يؤمن اليهود بفكرة مجيء مسيح منتظر، غير أنّه مسيح آخر غير المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام المذكور في القرآن، ولا الذي يؤمن به النصارى، وهو الذي جعلوه إلهًا تارة، وابن الله تارة أخرى، سبحانه وتعالى عمّا يصفون. فهم لا يؤمنون به، بل هو مسيح آخر كالمهدي، يأتي آخر الزمان فيجمع اليهود من الشتات في القدس، بل ويُحيي من مات منهم فيخرجهم من قبورهم ليكون منهم جيشًا، كما يخرج الكفار من غير اليهود من قبورهم ليعذبهم، والذين ظلموا اليهود منهم خاصة، ويقتل من الكفار أعدادًا كثيرة، وتكثر الخيرات في زمنه حتى تجري أنهار من اللبن والعسل، وتخرج الأرض خبزًا وملابس من الصوف.

وقلدهم المسلمون فابتدعوا أسطورة المهدي المنتظر، فكان للأمويين مهديهم وهو من نسل أبي سفيان وسموه «السفياني»، وللعباسيين مهديهم وهو من آل محمد ﷺ، وللشيعة مهديهم وهو من نسل فاطمة رضي الله عنها.

ولا يوجد في القرآن أي دليل على ظهور إمام عادل بمواصفات المهدي، كما تحدثت عنه الروايات إلّا ذي القرنين عليه السلام، وقد يفأجيء البعض هذا القول؛ حيث تجمع الكتب السماوية السابقة، والتفاسير والروايات المتعلقة بتفسير الآيات المتعلقة بذي القرنين في القرآن، على أنّه ظهر في الماضي، والأرجح أنّ تلك الروايات هي مجرد رجم بالغيب، ذلك أنّه لا بدّ أنْ يكون ذكر ذي القرنين في التوراة والإنجيل كان من المتشابه وليس من المحكم، وأنّ المفسرين والمتأوّلين هم الذين قالوا تارة بأنّه «الإسكندر المقدوني»، وأخرى أنّه «قورش» أو غيره.

غير أنّ القرآن يعطينا مؤشرًا يدل على أنّه يظهر في آخر الدهر؛ حيث ورد ذكره مقرونًا بيأجوج ومأجوج الذين يفسدون في الأرض، والذين هم من كل حدب ينسلون، حيث قال تعالى: ﴿قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾[1]، ثم يقول في الآية الثامنة والتسعين من نفس السورة: ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا﴾، ثم يقول في سورة الأنبياء: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ﴾[2]. فمن المستبعد أنْ يعاصر قوم يأجوج ومأجوج «قورش» أو «الاسكندر المقدوني»، ثم تفتح بلادهم عند اقتراب الوعد الحق الذي هو يوم القيامة، غير أنّه لا بدَّ من الإشارة إلى أنّ هذا التأويل يتعارض مع كون النبيّ محمد ﷺ هو خاتم النبيّين، حيث قال تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَٰكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾[3]، ولكن هذه الآية تتعارض والقول بعودة المسيح أيضًا عليه السلام.

وإذا أخذنا بهذا التأويل، ودون أن نجزم بذلك، يمكننا القول بأنّ ذي القرنين يحمل بعض صفات المهدي المنتظر، غير أنّ القرآن لم يحدد له نسبًا، وحتى ما إذا كان ينتمي إلى العرب أو إلى بني إسرائيل أو إلى غيرهم من الأعراق والأجناس. والأرجح عندي أنْ يكون الذين نسجوا أساطير المهدي المنتظر قد استفادوا من قصة «ذي القرنين» في الكتب السماوية، فنسجوا على منوالها؛ حيث مكّن أو سيمكّن تعالى لذي القرنين في الأرض، وذلك لقوله تعالى: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾[4]، واستخدام صيغة الماضي عند التحدث عن المستقبل دارجة في القرآن، ثم إنّه يتمكن من فتح المشرق والمغرب، ويمنحه الله تعالى الحق في تعذيب الظالمين لأنفسهم: ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ

(1) سورة الكهف، الآية: 94.
(2) سورة الأنبياء، الآيتان: 96 ـ 97.
(3) سورة الأحزاب، الآية: 40.
(4) سورة الكهف، الآية: 84.

إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿86﴾ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿87﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾[1]. وهو ما استفاد منه أولئك الذين نسجوا أسطورة المهدي المنتظر. ومع ذلك فإنّه من الأرجح، في تقديري، أنّ يكون ذو القرنين هو المسيح عليه السلام، وأُطلق عليه صفة ذي القرنين لكونه يعيش في زمنين أو قرنين مختلفين، ومع ذلك لا يمكننا الجزم بذلك حتى لا نقول على الله ما لا نعلم.

13 ـ إلباس الحق بالباطل:

ألبس أهل الكتاب الحق بالباطل، فاتبعوا ما تشابه من التوراة، وخلطوا بين ما ورد في التوراة وما جمعوه في التلمود، أو كما عبّر عنه الرازي في مفاتيح الغيب «يخلطون المنزل بالمحرف»[2]، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[3]، وقلّدهم المسلمون فخلطوا ما أنزل الله بما قاله الرواة وقالوا بأنّ الرواة لا ينطقون عن الهوى بل هو وحي يوحى حين أوّلوا الآية: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿3﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾[4]، على أنّها تنطبق على ما نسبه الرواة للنبيّ ﷺ. وإذا كانت الروايات وحيًا يوحى فكيف تجرأوا على تضعيف بعض الأحاديث أو رفضها، ألا يكون ثمّة احتمال ولو ضئيل بأنّهم ينكرون وحيًا منزلًا! وينكرونه بناءً على شهادة رجل واحد لم يعاصروه! بل وسمعوا فيه شهادة رجل آخر يشهد بصدقه دون أنْ يعاصروه أيضًا! فكيف يثبتون وحيًا بشهادة رجل واحد، ويرفضونه بشهادة رجل واحد، بينما الشهادة الشرعية بشاهدين عدلين، ويبلغ درجة تصديقهم لما أسموه العدل الضابط، حدّ رفض آية من القرآن نزولًا عند شهادته، حين يروي لهم حديثًا يدّعي أنّه ينسخ آية من آيات الله تعالى! أو يدّعي نسخها بآية أخرى، فيأخذون بشهادة العدل الضابط، ويتركون شهادة الله تعالى أو قوله! فيجعلونه لله تعالى عدلًا.

---

(1) سورة الكهف، الآيات: 86 ـ 88.

(2) انظر الرازي، مفاتيح الغيب، تأويل الآية 71 من سورة آل عمران.

(3) سورة آل عمران، الآية: 71.

(4) سورة النجم، الآيتان: 3 ـ 4.

واتبعوا ما تشابه فقالوا: بأنّ المقام المحمود الذي وعد به تعالى رسوله ﷺ في الآية: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾[1] يعني منحه الشفاعة، وكذلك قالوا بأنّ عطاء الله تعالى لرسوله ﷺ في الآية: ﴿وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ﴾ يعني منحه الشفاعة، واستعان المسلمون بالكافرين على المسلمين، وقالوا إنّهم يقتدون بالنبي ﷺ الذي أشاد بحلف الفضول، وتركوا قول الله تعالى: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَلَيۡسَ مِنَ ٱللَّهِ فِي شَيۡءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنۡهُمۡ تُقَىٰةٗۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلۡمَصِيرُ﴾[2]، وقالوا بأنّ قول الله تعالى: ﴿وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمۡ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلۡأَيۡمَٰنَ بَعۡدَ تَوۡكِيدِهَا﴾[3] يعني الأمر بعدم نقض ولاية علي رضي الله عنه، وأنّ صبغة الله في الآية: ﴿صِبۡغَةَ ٱللَّهِ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبۡغَةٗۖ وَنَحۡنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ﴾[4]، تعني صبغ المؤمنين بالولاية في عهد الله وميثاقه الذي واثق به المسلمين.

كما نسبوا لرسولهم ﷺ أقوال تثبط الأتقياء وتحرض عليهم الدهماء والسوقة، أقوال أشبه ما تكون بأقوال المنّجمين والمشتغلين بالأبراج تنطبق على فئة من الناس في كل زمان ومكان، كحديث المروق من الإسلام؛ حيث نسبوا لأبي سعيد الخدري رضي الله عنه قوله إنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «يخرجُ فيكم قومٌ تحقرون صَلاتكم مع صلاتهم، وصِيامكم مع صيامهم، وعملكم مع عملهم، ويقرأون القرآن لا يُجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية»[5].

كما روي الحديث بصيغة أخرى قيل فيه: «قال النبي ﷺ: «يَأْتِي فِي آخِرِ الزَّمَانِ قَوْمٌ حُدَثَاءُ الأَسْنَانِ سُفَهَاءُ الأَحْلام يَقُولُونَ مِنْ خَيْرِ قَوْلِ الْبَرِيَّةِ يَمْرُقُونَ مِنَ الإِسْلامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ لا يُجَاوِزُ إِيمَانُهُمْ حَنَاجِرَ حَنَاجِرَهُمْ

---

(1) سورة الإسراء، الآية: 79.
(2) سورة آل عمران، الآية: 28.
(3) سورة النحل، الآية: 91.
(4) سورة البقرة، الآية: 138.
(5) انظر صحيح البخاري، **كتاب فضائل القرآن**، باب يأتي في آخر الزمان قوم حدثاء الأسنان سفهاء الأحلام، ح 4771.

فَأَيْنَمَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ فإنّ قَتْلَهُمْ أَجْرٌ لِمَنْ قَتَلَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[1]. كما روي الحديث بصيغة ثالثة نُسبت لأبي سعيد الخدري وأنس بن مالك ﵄ تقول: «سيكون في أمتي اختلاف وفرقة؛ قوم يحسنون القيل، ويسيئون الفعل، يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين مروق السهم من الرّميّة، لا يرجعون حتى يرتد على فُوقِهِ؛ هم شر الخلق والخليقةِ، طُوبى لمن قتلهم وقتلوه، يدعون إلى كتاب الله وليسوا منه في شيء، من قاتلهم كان أولى بالله منهم»[2].

وهذا القول المنسوب زورًا إلى النبيّ ﷺ يُلبس على عامة المسلمين مصلحيهم وثقاتهم، فهو ينطبق على كل تقي، يصلي ويصوم، ويعمل صلحًا ويدعو الناس للقرآن، ثم إنّ الحديث يستهدف من يدعو الناس للاحتكام للقرآن، فلم يصف هؤلاء المارقين بأنّهم يدعون الناس إلى السُّنة. فالحديث يستعدي العامة على كل من يدعو للقرآن، ولو لم يكن الحديث من وضع أهل الحديث لجمع لهم بين الدعوة إلى القرآن والسُّنة.

ثم إنّه ليس من لغة النبيّ ﷺ ولا من شيمه أنْ يقول طوبى لمن قتلهم، بل إنّه لو كان قائله لقال: طوبى لمن ردهم عن غيهم، ذلك أنّ الله تعالى يقول: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ﴾[3]، ولا يجوز البدء بالقتل قبل دعوة حتى المرتد للعدول عن ردته وفق معظم المذاهب، التي تحكم بقتل المرتد، والنبيّ ﷺ امتنع عن قتل المنافقين، كما تقول الروايات ـ إنْ صدقت ـ حتى لا يقال بأنّه يقتل أصحابه، ونهى أسامة بن زيد عن قتل الذي ألقى السلم، وقال له: «أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم أقالها أم لا؟»[4]، فكيف بمن يدعو إلى كتاب الله.

---

(1) انظر صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب دعه فإنّ له أصحابًا يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم، ح 4315.

(2) انظر سنن أبي داود، كتاب السنّة، باب في قتل الخوارج، ح 4765.

(3) سورة النحل، الآية: 125.

(4) انظر صحيح مسلم، كتاب الإيمان، لا تقتله فإنّ قتلته فإنّه بمنزلتك قبل أن تقتله، ح140.

والأرجح أنْ يكون الحديث قد وضعه المترفون ليحرضوا الناس على الأتقياء، وليجعلوا العامة تمنحهم قيادها، ولذلك أُستخدم هذا الحديث ضد كل من يدعو إلى التوحيد، أو العودة إلى القرآن بغض النظر عن جدية دعوته من عدمها. فاستُخدم ضد الخوارج لدعوتهم لتحكيم القرآن، واستخدم ضد السلفيين من أتباع محمد بن عبد الوهاب لدعوتهم للتوحيد ونبذ الشرك. كذلك نسب الرواة إلى النبيّ ﷺ حديثًا آخر يلبس على الناس دينهم، يقول: «سيأتي على الناس سنوات خداعات، يصدق فيها الكاذب، ويكذب فيها الصادق، ويؤتمن فيها الخائن، ويخون فيها الأمين، وينطق فيها الرويبضة. قيل: وما الرويبضة؟ قال: الرجل التافه يتكلم في أمر العامة»[1].

وهذا الحديث أيضًا لا يمّت إلى لغة النبيّ ﷺ بصلة، فلا يستخدم النبيّ ﷺ تعبير «الرويبضة» ولا «الرجل التافه»، بل الأرجح أنْ يستخدم «المنافق»، أو «من يبيع آخرته بدنياه»، أو «من يتبع هوى نفسه»، أو «من يتبع الطاغوت» أو «يتخذه وليًّا». أما الرجل التافه فهي ليست من قاموس الأنبياء والرسل عليهم السلام؛ فالتافه لغة هو الحقير الذي لا شأن ولا قيمة له، والأنبياء عليهم السلام يتبعهم من يعتبرهم المترفون أراذل القوم: ﴿قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلۡأَرۡذَلُونَ﴾[2]. وهذا الحديث أيضًا وُضع ليلجم كل من يأمر بالمعرف وينهى عن المنكر، فما أنْ يأمر أحدهم الخليفة بالحكم بما أنزل الله تعالى، أو بإعادة النظر في السائد والموروث من الأحكام التي أصدرها الأئمة والفقهاء أو دلس علينا بها الرواة، ودعا لنبذ اتباع ﴿مَآ أَلۡفَيۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآ﴾، حتى يستخدم الذين قالوا: ﴿بَلۡ نَتَّبِعُ مَا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآ﴾ هذا الحديث ضده، ليلجموه ويؤلبوا عليه العامة.

وإجمالًا تشبه هذه الأحاديث «الفيروسات» التي يصممها قراصنة الحاسوب وشبكة المعلومات الدولية، لتعطيل الحواسيب أو تدمير بعض المواقع على الشبكة، فهي تستهدف تعطيل العقول حتى لا تميّز الذين يتأمرون

---

(1) انظر مسند أحمد، **باقي مسند المكثرين**، قبل الساعة سنون خداعة يكذب فيها الصادق ويصدق فيها الكاذب، ح 8254.

(2) سورة الشعراء، الآية: 111.

على الدين؛ فيحرفون الكلم عن مواضعه، ويكذبون على الله تعالى، ويعطلون آيات الذكر الحكيم بادعاء نسخها، من الذين يذودون عنه فيذودون عن كتاب الله تعالى ولا يعدلون به أقوال الأئمة والفقهاء ولا أقوال الرواة.

14 ـ المحاجة في الأنبياء ﷷ:

حاجَّ أهل الكتاب من اليهود والنصارى في إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب فقال اليهود بأنّهم كانوا يهودًا، وقال النصارى بل كانوا نصارى: ﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ۗ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[1]، وحاجَّ المسلمون فيما إذا كان النبيّ محمد ﷺ سنيًا أم شيعيًّا، فقال أتباع أهل الحديث والنسخ إنّهم على سنة رسول الله ﷺ، ولذلك فهم يعتبرون النبيّ ﷺ على منهج أهل الحديث والنسخ «منهج أهل السُّنة والجماعة» وقال أتباع أهل الرواية والتأويل إنّهم على منهج النبيّ ﷺ، الذي هو منهج أهل البيت بالدلالة السائدة لديهم، ولذلك فهم يعتبرون النبيّ ﷺ على منهج مدرسة الرواية والتأويل! غير أنّ النبيّ محمدًا ﷺ لم يكن سنيًا ولا شيعيًّا، بل كان حنيفًا مسلمًا.

15 ـ الغلو في الدين:

ثمّة فهم سائد للغلو في الدين ينصرف إلى الجماعات الجهادية، غير أنّ الغلو في القرآن ينصرف إلى الشرك والإلحاد في أسمائه وصفاته، وتعظيم الأنبياء ﷷ، على نحو يؤدي إلى تأليههم أو جعلهم أندادًا لله تعالى، حيث يقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۖ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ۘ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾[2]، ويتوقع المسلمون بأنّهم لم يغلوا في دينهم،

---

(1) سورة البقرة، الآية: 140.

(2) سورة النساء، الآية: 171.

غير أنّ نظرة متفحصة للتراث الفقهي والمرويات الشفهية للمدرستين الرئيستين: أهل الحديث والنسخ، وأهل الرواية والتأويل، تجعلنا نقول بأنّ المسلمين قلدوا أهل الكتاب في غلوهم؛ فوقع أهل الحديث والنسخ في مأزق الإلحاد في أسمائه وصفاته حين احتكموا للرواة، واعتبروا رواياتهم وحيًا يوحى، فأثبتوا لله تعالى ما ورد في وحي الرواة؟ من أنّه تدركه الأبصار، وأنّ له سررًا، ويكشف عن ساقه يوم القيامة! ويضع رجله في النار فتقول قط قط! فألحدوا في «ليس كمثله شيء»، وأنّه ينزل إلى السماء الدنيا ليسمع دعاء عباده ويغفر لهم! فألحدوا في «العلي» وفي «السميع»، وجعلوا للعرش ساقًا، ولافتات معلقة عليه كمعلقات الكعبة في الجاهلية، تعلي من شأن النبيّ ﷺ تارة، ومن شأن أئمة مدرسة الرواية والتأويل تارة أخرى. ولو اقتصر أهل الحديث والنسخ على ما ثبته الله تعالى لنفسه ـ كما تعهدوا على أنّفسهم ـ ولم يثبتوا له ما ثبته له الرواة، لما وقعوا فيما وقعوا فيه من غلو في صفاته سبحانه وتعالى عما يصفون. كما ألحدوا في «الرحيم» حين رأوا بأنّ الشفيع أرحم من الله تعالى! وألحدوا في «المقسط» وفي «العدل» حين رأوا بأنّ الشفيع أكثر عدلًا من الله تعالى! وكذلك ألحدوا في كونه «الحكم» حين ظنوا بأنّه يركن لحكم غيره في الشفاعة.

وغلوا في النبيّ ﷺ، فقالوا إنّ النبيّ ﷺ هو أفضل الرسل عليهم السلام، بل وأفضل الخلق، ورفعوا درجته على جبرائيل عليه أفضل الصلاة والسلام، الذي هو رسول الله تعالى إليه! ودون سند من القرآن، بل إنّ القرآن وصف جبرائيل عليه أفضل الصلاة والسلام بقوله: ﴿ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ۝20 مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾[1]. وعلى الرغم من أنّ أئمة أهل الحديث والنسخ وفقهاءهم ألزموا أنفسهم ظاهرًا بالقول بأنّهم يقيدون أنفسهم فيما يتعلق بأسماء الله وصفاته، بما وصف الله تعالى به نفسه من صفات وأسماء، غير أنّهم تخلوا عما التزموا به عندما أثبتوا له ما افتراه الرواة. فإنّهم وعلى نفس الشاكلة، لم يقتصروا على ما أثبته الله تعالى لنبيّه ﷺ، فأثبتوا له ما افتراه الرواة أيضًا، فوصفوه بما لم يصفه به الله تعالى، فلم يصفه الله تعالى بأنّه أفضل الرسل عليهم السلام، ولا قال بأنّه أفضل

(1) سورة التكوير، الآيتان: 20 ـ 21.

الخلق، ولم يسمه حبيب الله، ولا خليل الله، ولا حتى وصفه بأنّه من أولي العزم من الرسل، حيث أمره تعالى أنْ يكون من أولي العزم دون أنْ يقرر أنّه منهم، قال تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾[1]. غير أنّ الرواة جعلوه يصف نفسه بكل ذلك معاذ الله أنْ يزكي نفسه ﷺ، ويصف نفسه بما لم يصفه به الله تعالى.

ولم يقف الغلو في ذات النبيّ ﷺ عند هذا الحدّ، بل نسبوا إليه من المعجزات ما يصل إلى ألف معجزة، رغم نفي القرآن لتعزيز رسالته بالآيات، وذلك لكفر بعض الأمم التي تلقت رسلها الآيات، وغلو بعضها الآخر في رسلها بسبب تلك الآيات، قال تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْـَٔايَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ﴾[2]. بل وقال أيضًا: ﴿وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِىَ نَفَقًا فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِى ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾[3]. ثم قالوا بأنّ اسم النبيّ ﷺ مقرونًا باسمه تعالى كان مكتوبًا على العرش قبل خلق آدم عليه السلام، فقالت مصادر أهل الحديث والنسخ بأنّ آدم عليه السلام توسل به عندما أكل من الشجرة؛ حيث روى الحاكم في المستدرك، حديثًا نسبه إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال فيه: «قال رسول الله ﷺ: لما اقترف آدم الخطيئة قال: يا رب أسألك بحق محمد لما غفرت لي، فقال الله: يا آدم وكيف عرفت محمدًا ولم أخلقه؟! قال: يا رب لأنّك لما خلقتني بيدك، ونفخت في من روحك، رفعت رأسي، فرأيت على قوائم العرش مكتوبًا لا إله إلا الله محمد رسول الله، فعلمت أنّك لم تضف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك»[4]. وقالت مصادر أهل الرواية والتأويل بأنّ آدم عليه السلام توسل بعلي وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم بالإضافة إلى النبيّ ﷺ.

ولم يقتصر غلوهم في النبي ﷺ، بل انسحب على الصحابة والأئمة وأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، فقالت مدرسة الحديث بأنّ أم المؤمنين عائشة هي أحب

(1) سورة الأحقاف، الآية: 35.

(2) سورة الإسراء، الآية: 59.

(3) سورة الأنعام، الآية: 35.

(4) انظر **صحيح البخاري**، كتاب المناقب، باب علامات النبوّة في الإسلام، ح 3415.

نساء النبيّ ﷺ إليه، وصنعوا روايات وأحاديث تؤكد ذلك، رغم أنّ هذا التصريح بالتفضيل يناقض العدل مع الزوجات الذي شرعه الله تعالى، غير أنّ الأمر لا يعدو كونه ردة فعل ضد الإساءة لأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها من قبل أهل الرواية والتأويل، وهو ما دفع أهل الحديث والنسخ إلى صنع روايات التفضيل النبوي لعائشة رضي الله عنها، دون أنْ يكون لهذا التفضيل وجود. وعلى نفس الشاكلة صُنعت روايات تتحدث عن تفضيل النبيّ ﷺ للصحابيين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وصلت إلى المئات، كما نسجت روايات عديدة تتعلق بأسباب النزول تدعي بأنّ آيات عديدة من القرآن نزلت في شأنهما.

وبلغ الغلو في عمر بن الخطاب رضي الله عنه درجة، جعلته فيها رواياتهم يملي على الله سبحانه وتعالى آيات القرآن! وأنّ الشيطان يخشاه، رغم أنّه لم يخش النبيّ ﷺ وأملى في أمنيته ما قيل بأنّه أملى، وأنّ النساء تستحي وتستتر عند دخول عمر رضي الله عنه على مجلسهن مع النبيّ ﷺ، فهنّ يستحين من عمر رضي الله عنه أكثر من النبيّ ﷺ! وكل ذلك ليس سوى غلوًا، يحاكي غلو أهل الكتاب من جهة، ويتطرف في الردّ على الإساءات التي يتعرض لها الخلفاء الراشدون ـ باستثناء علي رضي الله عنه ـ من أتباع أهل الرواية والتأويل من جهة أخرى. أمّا غلو أهل الرواية والتأويل في أئمتهم فلا حدود له فهم «معصومون»، و«يتلقون وحيًا من السماء»، و«تتنزل عليهم الملائكة»، و«هم أفضل الخلق»، و«يفضلون الرسل والملائكة! عليهم السلام» وأنّهم «يعلمون الغيب»، وأنّهم «أوتوا مصحف فاطمة» و«الجفر» و«الصحيفة»، و«علم ما كان وما سيكون!» وأنّ النبيّ آدم عليه أفضل الصلوات والسلام توسل بهم! رغم أنّه تعالى أمر عباده بعدم التوسل بغيره سبحانه وتعالى.

ولأهل الرواية والتأويل غلو من نوع آخر، وهو الغلو في تكفير بعض من أهل بيت رسول الله ﷺ! ورغمًا عن قوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ وَمَن يَقۡتَرِفۡ حَسَنَةً نَّزِدۡ لَهُۥ فِيهَا حُسۡنًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ شَكُورٌ﴾[1]، حين أوّلوا قوله تعالى: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَاۖ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيۡهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوۡلَىٰهُ وَجِبۡرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾[2]، على أنه ينصرف إلى

(1) سورة الشورى، الآية: 23.

(2) سورة التحريم، الآية: 4.

زيغهما وكفرهما، معاذ الله أن يقبل رسوله ﷺ أنْ يوالي من كفر بالله تعالى، فما بالك بأنْ يبقيه زوجًا! وإنّه لإفك عظيم وإثم كبير، لا يتجنى فيه المتأوّلون على بعض من أمهات المؤمنين فحسب، بل هو تجن على الله تعالى أولًا، للجرأة على معصيته في آية «المودة في القربى»، التي حُرفت دلالاتها لتخرج أمهات المؤمنين منها، وهم في أمها وبيت قصيدها، وهو تجنٍّ على رسول الله ﷺ ثانيًا، ذلك أنّهم لم يقتصروا على رميه بإثم موالاة من كفر بالله تعالى فحسب، بل واحتفظ به زوجًا.

كذلك مارس أهل الحديث غلوًا في أئمة مدرسة الحديث، سنقتصر فيه على ما قيل في مالك بن أنس؛ حيث قال فيه أسد بن الفرات: إن أردت الله والدار الآخرة فعليك بمالك»[1]، وقال فيه يحيى بن معين: «مالك من حجج الله على خلقه»[2]، وقال النسائي: «أمناء الله على وحيه شعبة ومالك ويحيى بن سعيد القطان ما أحد بعد التابعين أفضل عندي من مالك ولا أجل منه ولا أحد آمن على الحديث منه»[3]. كما نسب الرواة حديثًا يزكي مالكًا يقول فيه: «عن أبي هريرة يبلغ به النبي ﷺ قال ليضربن الناس أكباد الإبل في طلب العلم فلا يجدون عالمًا أعلم من عالم المدينة»[4]. ونسب للشافعي قوله: «ما ظهر على الأرض كتاب بعد كتاب الله أصح من كتاب مالك، وفي رواية أكثر صوابًا وفي رواية أنفع»[5]. وقال تلميذه خلف: «دخلت عليه فقلت ما ترى فإذا رؤيا بعثها بعض إخوانه يقول: رأيت النبي ﷺ في المنام في مسجد قد اجتمع الناس عليه فقال لهم: إني قد خبأت تحت منبري طيبًا أو علمًا وأمرت مالكًا أن يفرقه على الناس فانصرف الناس وهم يقولون إذا ينفذ مالك ما أمره به رسول الله ﷺ ثم بكى فقمت عنه»[6].

---

(1) انظر الذهبي، سير أعلام النبلاء، ص: 95.
(2) انظر محمد عبد الباقي الزرقاني، **شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك**، ص: 56.
(3) انظر ابن عبد البر، **التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد**، ص: 75.
(4) انظر الحاكم النيسابوري، **المستدرك على الصحيحين**، ج: 1، ص: 168، ح 307.
(5) انظر السخاوي، **فتح المغيث بشرح ألفية الحديث للعراقي**، ص: 41.
(6) انظر الأصبهاني، **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، ص: 318.

ومن الأساطير التي رويت عن الإمام مالك أنّه مكث في بطن أمه ثلاث سنوات! وأنه ولد متكامل الأسنان فسُمّي الضحاك![1]، وأنّه لدغته العقرب ست عشرة مرة وهو يحدث عن رسول الله ﷺ ولم يتوقف عن حديثه؛ حيث روى عبد الله بن المبارك واقعة قال فيها: «كنت عند مالك وهو يحدثنا، فلدغته عقرب ستة عشر مرة، ومالك يتغير لونه، ويصبر، ولا يقطع حديث رسول الله ﷺ. فلما فرغ من المجلس، وتفرّق الناس، قلت يا أبا عبد الله لقد رأيت منك اليوم عجبًا، قال: إنّما صبرت إجلالًا لحديث رسول الله ﷺ»[2]. وقال بعض المغالين فيه بأنّه كُتب على فخذه الأيمن: «مالك حجة الله على خلقه»![3].

16 ـ الحكم بغير ما أنزل الله:

لم يحكم أهل الكتاب من اليهود والنصارى بما أنزل الله تعالى؛ حيث يقول الله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۖ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[4]، وقال أيضًا: ﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾[5].

وقلدهم المسلمون؛ حيث حكم الأقدمون بما في الصحاح من أقوال الرواة وتركوا القرآن؛ فحرموا ذوات الناب، والحمر الأهلية، وأجازوا إتيان الحائض، والصيد وهم حرم، وتركوا الوصية للوالدين والأقربين، وأضافوا حدودًا لم يفرضها الله؛ كحد الخمر، ورجم الزاني، وأخذوا الجزية والسبايا والغنائم من المسلمين، واستحوذ خلفاء بني أمية وبني العباس على الخراج،

---

(1) انظر السيوطي، تزيين الممالك بمناقب الإمام مالك، ص: 24.
(2) انظر القاضي عياض، كتاب الشفا بتعريف المصطفى، ص: 406.
(3) ذكر ذلك إمام مسجد بتونس العاصمة، في دروس كان يلقيها بالمسجد.
(4) سورة المائدة، الآية: 68.
(5) سورة المائدة، الآية: 47.

وأنفقت أموال بيت مال المسلمين على شعراء المديح، وعلى شراء ذمم الناس وولائهم، وعلى إذكاء الفتن بين الخصوم، وعلى سفك دماء المعارضين.

وتباين موقف المتأخرين من الحكم بما أنزل الله، فحكم بعضهم بشريعة آبائهم عوضًا عن شريعة الله، فحكموا بشريعة الأقدمين المذكورة أعلاه، وحكم الآخرون بشريعة أهل الكتاب الذين نبذوا كتابهم، وعدوا القرآن من أساطير الأولين، حين اعتبروا أحكام القرآن تجاوزها العصر، فقلدوا أهل الكتاب فنادوا بمدنية الدولة، والتعددية الحزبية، واقتصاد السوق الاحتكاري الذي يجعل من المال دولة بين الأغنياء من دون الفقراء، ويجيز الربا والاحتكار والميسر والمضاربة، واكتناز الأموال، وتغليب الاقتصاد الطفيلي على الاقتصاد الحقيقي، وما إلى ذلك مما يناقض التنزيل. والله تعالى يقول: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾، ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[1].

17 ـ الصد عن سبيل الله:

صدّ أهل الكتاب من اليهود والنصارى عن سبيل الله، ونقموا من الذين آمنوا وثمّة فهم خاطئ لقوله تعالى ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾؛ فـ «الذين آمنوا» لا تقتصر على المسلمين من أتباع النبيّ محمد ﷺ، بل تنصرف لكل الربانيين من أتباع الديانات السماوية، وأقاموا كتاب الله الذي أنزل إليهم. ﴿لَيْسُوا۟ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿113﴾ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَأُوْلَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿114﴾ وَمَا يَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ﴾[2]، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ﴾[3].

ونقم أولئك الذين نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم من الربانيين، الذين

---

(1) سورة المائدة، الآيتان: 44 ـ 45.

(2) سورة آل عمران، الآية: 113.

(3) سورة المائدة، الآية: 44.

تمسّكوا بكتاب الله واعتبروهم مبتدعة وهراطقة؛ قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾[1]، وقال أيضًا: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ﴾[2]. ونقم اليهود من المسيح لأنّه دعاهم إلى التمسك بما أنزل الله في التوراة، وترك أقوال الأحبار.

ولم ينقم اليهود من القرآن إلّا لأنّه يدعوهم للعودة لكتاب الله أي للتوراة، ونبذ ما كذبوه على الله تعالى في التلمود، والتوقف عن تحكيم الأحبار ورواياتهم الشفهية في كتاب الله تعالى. وقلد المسلمون من أتباع النبيّ محمد ﷺ أهل الكتاب ونقموا من كل من يدعوهم للاحتكام لكتاب الله تعالى، وقالوا بأنّه منكر للسنة وهو ما يجانب الحقيقة؛ فالذين يقولون بضرورة عرض الحديث على القرآن، لا يرفضون السنة ولا الحديث، لكنهم يستنكفون عن الأخذ بأقوال الرواة حين تتعارض مع القرآن، فلا يتركون القرآن إلى أقوال الرجال. وهو ما عبّر عنه عمر بن الخطاب رضي الله عنه في رفضه لخبر فاطمة بنت قيس في نفقة المبتوتة، وفلت من عسس أهل الحديث والروايات، حيث قال: «لا نترك كتاب الله وسُنة نبينا ﷺ لقول امرأة لا ندري لعلها حفظت أو نسيت»[3]. وكذلك قول ابن عمر رضي الله عنهما: «لا نَدَع كتابَ الله ربّنا لحديث أعرابيّ يبول على ساقيه»[4].

واعتبر فقهاء المسلمين ـ من اتباع مدرستي الحديث والنسخ والرواية والتأويل ـ الذين يدعون للعودة إلى كتاب الله والاحتكام له، عوضًا عن الاحتكام إلى الرواة، مبتدعة! وهو ما يرادف الهرطقة لدى النصارى وأهل الكتب السابقة. علمًا بأنّ الذين اعتبرتهم التيارات الرئيسية في المسيحية هراطقة، هم من الذين يرفضون تأليه المسيح ويقولون بوحدانية الله تعالى.

---

(1) سورة التوبة، الآية: 34.

(2) سورة المائدة، الآية: 59.

(3) انظر صحيح مسلم، كِتَاب الطَّلَاقِ، طلقني زوجي فأردت النقلة فأتيت النبي ﷺ فقال انتقلي إلى بيت ابن عمك عمرو ابن أم مكتوم فاعتدي عنده، ح 2719.

(4) انظر القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، تأويل الآية: (2/ 282).

18 ـ اعتبار الكفار أهدى من المسلمين سبيلًا وموالاة غير المسلمين:

قال اليهود الذين عاصروا البعثة النبوية إنّ مشركي قريش هم أهدى سبيلًا من المسلمين، حيث قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّـٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَـٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا﴾[1]، وقال أهل الحديث والنسخ إنّ أهل الرواية والتأويل أشد خطرًا على المسلمين من عتاة اليهود والنصارى، وقال أهل الرواية والتأويل مثل قولهم. وهو ما يعني أنّ عتاة اليهود والنصارى أهدى سبيلًا واحتج بعضهم بالآية: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَـٰرَىٰ﴾[2]، ليجيزوا لأنفسهم موالاة، الذين يقولون إنّا نصارى، ضد المسلمين، وحين يخلوا هؤلاء إلى شياطينهم يقولون بل نحن على العلمانية وعقيدة السوق، أو يقولون لعبدة العجل الذهبي إنّنا سنتبعكم في بعض الأمر وسنقاتل معكم الروافض والنصيرية الكفرة «أتباع أهل الرواية والتأويل»، ويتبعون في ذلك شهادة فقهائهم وشيوخهم، ويتركون شهادة الله تعالى وقوله، الذي أكد فيه كفر الذين قالوا إنّ الله ثالث ثلاثة بقوله: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَـٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَـٰهٍ إِلَّآ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[3]، ويتركون أمره لهم بألّا يتخذونهم أولياء من دون المسلمين، إذ يقول الله تعالى: ﴿بَشِّرِ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (138) ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَـٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾[4]، كما يقول: ﴿تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَـٰلِدُونَ﴾[5]، ويقول أيضًا: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن

---

(1) سورة النساء، الآية: 51.
(2) سورة المائدة، الآية: 82.
(3) سورة المائدة، الآية: 73.
(4) سورة النساء، الآيتان: 138 ـ 139.
(5) سورة المائدة، الآية: 80.

كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[1]. ويقول أيضًا: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَـٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾[2]. ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾[3]. غير أنّهم حكّموا الرجال في كتاب الله وتركوا حكم الله تعالى؛ حيث حكم أصدق الحاكمين في الآية الأولى بكفر هؤلاء الذين يدعوننا فقهاؤنا لموالاتهم، والتحالف معهم ضد مسلمين من فرقة أخرى، وفي الآيات التي تليها تأمرنا ألّا نتخذهم أولياء من دون المؤمنين، غير أنّنا اتبعنا أقوال الرجال وتركنا قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَـٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ﴾[4].

19 ـ أكل أموال الناس بالباطل:

أكل أهل الكتاب أموال الناس بالباطل، وهو ما ذكره تعالى في محكم كتابه العزيز: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَـٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۗ﴾[5]، وقال أيضًا: ﴿وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[6].

وقلدهم المسلمون فأكل الأقدمون أموال الخراج، والفيء والغنيمة، وأموال بيت مال المسلمين بالباطل؛ حيث مُنحت لأتباع الخلفاء ومناصريهم، ولاستمالة الخصوم، ولحربهم وسفك دمائهم، ومنح قدر كبير منها لشعراء المديح، عوضًا عن منحه لمستحقي الصدقات والزكاة، وأكل المتأخرون أموال

(1) سورة المائدة، الآية: 57.
(2) سورة آل عمران، الآية: 28.
(3) سورة المائدة، الآية: 51.
(4) سورة آل عمران، الآية: 23.
(5) سورة التوبة، الآية: 34.
(6) سورة آل عمران، الآية: 75.

الناس بالباطل فمنحت أموال الشعب لأتباع الحكام ومناصريهم، ولاستمالة الخصوم، ولحربهم والتنكيل بهم وسفك دمائهم، ولإحضارهم من منافيهم الاختيارية بعد أن أخرجوهم من ديارهم، ولتمويل الدعاية الانتخابية للسياسين، وشراء الأصوات، ولتغيير التحالفات، وللإضرار بالسلة الغذائية للمواطن من خلال التلاعب بالأسعار والأجور؛ حيث يعمل التلاعب بالأسعار على رفعها ويعمل رفع الأسعار على تخفيض الأجر الحقيقي من خلال تقليل القدرة الشرائية للنقود. ويعملان معًا على زيادة حدة الفقر والعوز للذين لا يملكون سوى جهدهم من الفقراء والمعوزين والمستضعفين في الأرض، والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُوا۟ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا۟ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[1].

20 ـ التقاعس عن الجهاد واستبدال الذي هو أدنى بالذي هو خير:

تقاعس اليهود عن الجهاد واستبدلوا الذي هو أدنى بالذي هو خير، فضربت عليهم الذلة والمسكنة، قال تعالى: ﴿قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا۟ فِيهَا ۖ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾[2]، وقال أيضًا: ﴿قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ﴾[3]. وتقاعس المسلمون في أواخر العصر العباسي عن الجهاد فسّلط الله عليهم المغول والصليبيين، ومن بعدهم الإسبان، فموجة الاستعمار الغربي الاستيطاني. وتقاعس الفلسطينيون عن الجهاد وتوكلوا على جهاد غيرهم من العرب والمسلمين، فقضى عليهم تعالى بالتيه لأكثر من أربعين عامًا، التي قضى بها على بني إسرائيل زمن نبوّة موسى عليه السلام. وترك المسلمون نصرة الفلسطينيين، فظهر وكأن الله تعالى قد مسخ بعضهم كلابًا يملأون الدنيا نباحًا، ويولغون في دماء كل أمة لم تقدم فروض الولاء والطاعة لربهم الأمريكي، فلا يجاهدون إلّا حيثما أذن لهم أرباب

---

(1) سورة البقرة، الآية: 188.
(2) سورة المائدة، الآية: 24.
(3) سورة البقرة، الآية: 61.

الأرض وفراعنتها من أهل الكتاب، الذين غلوا في دينهم وعاثوا في الأرض فسادًا. وآثروا سلعهم؛ قمحهم، وأجبانهم، ولحومهم، وسياراتهم، وحواسيبهم، وطائراتهم، ويخوتهم، على التمسك بدينهم، وعلى مناصرة الفلسطينيين، والأفغان، والعراقيين، والصوماليين، والوزيرستانيين، واليمنيين، والماليين، فاستبدالوا الذي هو أدنى بالذي هو خير، فكتب الله عليهم الذلة والمسكنة، إن لم يكن قد كتب عليهم المسخ المعنوي أيضًا.

والتاريخ العربي والإسرائيلي يشير إلى أنّ أهل الكتاب العرب وبني إسرائيل، الذين نزلت الكتب السماوية بلغتيهما قد عوقبوا بالذلة والمسكنة، فالله تعالى وتاريخهما يؤكدان هذا الحكم الإلهي وكفى بالله شهيدًا؛ فاليهود بعد أن حررهم الله ورسوله موسى عليه السلام من عبوديتهم لفراعنة مصر ظلوا عبيدًا لأكبر الفراعنة في العالم، يتنقلون من حماية وعبودية فرعون إلى آخر، من بختنصر في بابل إلى كسرى في فارس، إلى قياصرة روما وبيزنطة، إلى أباطرة المجر والنمسا، إلى ملوك وأباطرة بريطانيا وفرنسا، إلى قياصرة روسيا، إلى أباطرة أمريكا الذين تقنّعوا بأقنعة الرؤساء. والعرب بعد أن حررهم الله ورسوله من عبوديتهم لأكاسرة فارس وقياصرة روما، سقطوا في العبودية من جديد فاستعبدهم فراعنة بني أمية وبني العباس، وما أن سقطت الدولة العباسية حتى صاروا عبيدًا وخاضعين، تارة لأباطرة بني عثمان، وأخرى لأباطرة الصليبيين، وطورًا لأباطرة الإنكليز والفرنسيين، إلى أن استقر بهم الأمر عبيدًا لأباطرة أميركا في هذا الزمان يتسابقون على رضاهم، ويتنافسون مع اليهود على ذلك، كما تتنافس الضرائر على رضا الزوج.

21 ـ التقليد والبدعة والضلالة:

أجمع جلّ الأحبار والرهبان على ضرورة التقليد، وشذّ القليل منهم ممن رفض التقليد، فاستخدم هؤلاء سلاح الهرطقة والبدعة في مواجهة الداعين لنبذ تقليد رجال الدين، والعودة إلى الكتب المقدسة؛ حيث رفض حاخامات اليهود وأحبارهم ما أُنزل على المسيح، وذلك لنقده لتقليد الأحبار؛ حيث اعترض المسيح عليه السلام على طريقة تعليمهم، ذلك أنّهم كانوا يعلمون تقاليد وتعاليم

الأحبار دون تعاليم السماء. وتعامل الرهبان والقساوسة بقساوة بالغة، مستندين على سطوة القيصر، مع كل من خرج على تقاليدهم التي أرسوها في مجمع «نيقيا» التي حُسمت فيها مسألة ألوهية عيسى المسيح نزولًا عند رغبة القيصر والمترفين الرومان؛ فاتُهِمَ القسيس آريوس بالهرطقة، وعوقب على اعتقاده بأنّ يسوع عليه السلام نبيّ ومخلوق وليس إلهًا، وتمّ معاقبة أتباعه وقتلهم وكل من وجدت لديه كتب تدعو إلى تلك العقيدة، كما اعتبروا النساطرة هراطقة وتعني مبتدعة لإنكار نسطور أنْ تلد المخلوقة خالق.

وكذلك فعل الفقهاء والأئمة؛ حيث اعتبروا كل من دعا إلى العودة إلى القرآن، وعدم تحكيم الرجال عند الاختلاف، أهل بدعة وضلالة فبدّعوا الخوارج، والمعتزلة، والوهابيين، وذلك لدعوة بعضهم الاحتكام للقرآن، ودعوة بعضهم الآخر للتمسك بالتوحيد، ونبذ عبادة القبور، والتوسل بغير الله، وطلب الشفاعة من عند غير الله تعالى. والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾[1]. ويقول أيضًا: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ﴾[2].

كما عرّض الله تعالى بالذين يقلدون أحبارهم ورهبانهم في الآية الحادية والثلاثين من سورة التوبة بقوله: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾، والتي وضح دلالتها حديث عدي بن حاتم الذي قال فيه: «أتيت رسول الله ﷺ وفي عنقي صليب من ذهب، فقال: يا عدي اطرح هذا الوثن من عنقك قال: فطرحته وانتهيت إليه وهو يقرأ في سورة براءة، فقرأ هذه الآية: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ قال: قلت: يا رسول الله إنا لسنا نعبدهم فقال أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه ويحلون ما حرم الله فتحلونه؟ قال: قلت: بلى. قال فتلك عبادتهم». وهو ما يعني ضرورة نبذ تقليد الأئمة والفقهاء، ذلك أنّ تقليدهم يعني عبادتهم. ويُعرف التقليد على أنّه الأخذ

(1) سورة البقرة، الآية: 170.

(2) سورة آل عمران، الآية: 23.

بأقوال الرجال من دون سؤال عن الدليل، أي إنّه قبول المرء قول إمامه دون مطالبة بحجة، فالمقلد يكتفي بالسؤال عن رأي إمامه دون أنْ يطالبه بالدليل من القرآن أو السنة، ولا يحفل بالرأي المخالف له[1]. بل إنّه لا ينبغي الاقتصار على طلب الدليل، وإنما السؤال عن رأي المخالفين، ومقارنته برأي الذي يتصدى للفتوى والأخذ بالأصح والأحوط من تلك الآراء، ذلك أنّ الدليل قد تُحرّف دلالته لتتوافق مع رأي الإمام أو المفتي، وقد يكون مكذوبًا حين يستند إلى أقوال الرواة.

وفي الوقت الذي يعتبر فيه القرآن تقليد الآباء والأكابر هو البدعة والضلالة، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠﴾[2]، وقال أيضًا: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا۟ مِنَّا ۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾[3]. اعتبر الفقهاء والأئمة الخروج عن تقليدهم هو البدعة والضلالة! فإذا كان كل ما ذُكر آنفًا، من نبذ لكتاب الله تعالى وراء ظهورهم، والاحتكام إلى الرجال في كتاب الله تعالى، وإلباس الحق بالباطل، والغلو في الدين، وإخضاع آيات الله لنظريات البشر، وتقويل الله تعالى ورسوله ﷺ، والأئمة من ذرية علي رضي الله عنهم ما لم يقولوا، ومحاكاة أهل الكتاب من اليهود والنصارى، ليس من البدعة والضلالة فهل نصدق بأنّ الخروج على هذه الضلالات هو البدعة والضلالة؟

ويصوّر لنا القرآن خاتمة هؤلاء الذين تعلقوا بأسلافهم، من الأحبار والرهبان والفقهاء والأئمة يوم القيامة، فيقول: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوٓا۟ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ (37) قَالَ ٱدْخُلُوا۟ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ فِى ٱلنَّارِ ۖ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُوا۟ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ

(1) انظر ابن حزم، **الإحكام في أصول الأحكام**، ج 6، ص: 69 ـ 70.

(2) سورة الأحزاب، الآية: 67.

(3) سورة البقرة، الآية: 167.

ٱلنَّارِۖ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ وَقَالَتْ أُولَىٰهُمْ لِأُخْرَىٰهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾[1]، حيث سيشهد هؤلاء الذين اتبعوا على أنّفسهم بأنّهم كانوا كافرين، إلّا من رحم ربي، وأنّه كلما دخل قرن من مقلديهم النار لعن القرن الذي قبله، واتهمه بأنّه من أضله، فدعوا الله أنْ يؤتهم ضعفًا من العذاب، فيقول الله تعالى: ﴿لِكُلٍّ ضِعْفٌ﴾، فيقول الذين اتبِعوا للذين اتبَعوا ردًّا على مطالبتهم لله تعالى أنْ يضاعف لهم العذاب: ﴿فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾.

ثانيًا ـ محاكاة المشركين:

قد يجد المرء بعض العذر للمسلمين من أتباع النبيّ محمد ﷺ في محاكاتهم لأهل الكتاب، أمّا أن يقلد المسلمون مشركي قريش الذين أمرنا الله تعالى من التبرؤ منهم، فذلك تالله لظلال مبين. وهذه بعض المسائل التي قلد فيها المسلمون المشركين:

1 ـ تحريم ما أحلّ الله:

حرّم المشركون ما أحل الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍۖ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِۖ نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾[2]، وقال أيضًا: ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍۚ﴾[3]، كما قال: ﴿قُلْ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَاۖ فَإِن شَهِدُوا۟ فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْۚ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا﴾[4]. وقال أيضًا: ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓا۟ أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا۟ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِۚ قَدْ ضَلُّوا۟ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ﴾[5].

وقلّدهم المسلمون فحرّموا ما أحلّ الله تعالى؛ فحرّموا ذوات الظفر

---

(1) سورة الأعراف، الآيات: 37 ـ 39.
(2) سورة الأنعام، الآية: 143.
(3) سورة الأنعام، الآية: 148.
(4) سورة الأنعام، الآية: 150.
(5) سورة الأنعام، الآية: 140.

والناب والحمر الأهلية، دون علم ولا كتاب منير، استنادًا إلى كتب الرجال وروايات من أسموهم بالعدول، وعلى نحو يخالف صريح القرآن؛ حيث يقول تعالى: ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾[1]. كما يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوْفُواْ بِٱلْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾[2]، وقال أيضًا: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُواْ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا ٱضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُعْتَدِينَ﴾[3]. وقال أيضًا: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾[4]، كما قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾[5]، وقال كذلك: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ﴾[6].

2 ـ الشفاعة والتوسل بغير الله تعالى:

اتّخذ مشركو قريش من الأصنام شفعاءً من دون الله، وتوسلوا بها واتخذوها وسطاء بينهم وبين الله تعالى، وقالوا بأنّها تقربهم إلى الله زلفى؛ قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾[7]، وقال أيضًا: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾[8].

واتّخذ المسلمون من أهل الحديث والنسخ من النبيّ ﷺ شفيعًا، وأضاف

(1) سورة الأنعام، الآية: 145.
(2) سورة المائدة، الآية: 1.
(3) سورة الأنعام، الآية: 119.
(4) سورة الأعراف، الآية: 32.
(5) سورة المائدة، الآية: 87.
(6) سورة التحريم، الآية: 1.
(7) سورة الزمر، الآية: 3.
(8) سورة يونس، الآية: 18.

المسلمون من أهل الرواية والتأويل أئمتهم إلى النبيّ ﷺ، في نظريتهم لاتخاذ الشفعاء. وأجازوا التوسل بغير الله تعالى؛ فأجاز أهل الحديث والنسخ التوسل بالنبيّ ﷺ وبالصالحين[1]، وأجاز أهل التصوف التوسل بالأولياء وشيوخ الطرق الصوفية. كما أجاز أهل الرواية والتأويل التوسل بالنبيّ ﷺ وبالأئمة عليهم السلام. والله تعالى يقول: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ۖ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾[2]، وقال أيضًا: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوٓا۟ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ﴾[3]. كما قال: ﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ ۖ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُوا۟ ۚ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ﴾[4].

3 ـ قولهم سنحمل خطاياكم:

قال مشركو قريش للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم، قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبِعُوا۟ سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنْ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَىْءٍ ۖ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾[5]. وقال أهل الحديث والنسخ: اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم، حين قالوا: كونوا من أهل السُّنة والجماعة، وسيشفع لكم رسول الله ﷺ، وإن سرقتم وإن زنيتم، فشفاعته ﷺ لأهل الكبائر من أمته، وأمته وفقًا لهم هم أهل السُّنة والجماعة. فالذين يتبعون سبيل أهل السُّنة والجماعة، سيخرجهم النبيّ ﷺ من النّار، وإن كانت لهم خطايا! ولم يتوبوا عن خطاياهم! على الرغم من أنّ الله تعالى يقول: ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِى ٱلنَّارِ﴾[6]. كما أنّه يصف الذين يطيعون الشيطان

---

(1) من الإنصاف القول: إنّ السلفيين من أتباع محمد بن عبد الوهاب لا يجيزون التوسل بغير الله تعالى، وهذا يسجل لهم.

(2) سورة الأعراف، الآية: 194.

(3) سورة الأعراف، الآية: 37.

(4) سورة غافر، الآية: 12.

(5) سورة العنكبوت، الآية: 12.

(6) سورة الزمر، الآية: 19.

فيرتكبون الكبائر بالمشركين؛ حيث يقول عز من قائل: ﴿إِنَّمَا سُلْطَـٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ﴾[1].

4 ـ جعلهم لله نصيبًا مما كسبوا:

جعل المشركون لله نصيبًا مما ذرأ من الحرث والأنعام، فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا؛ حيث قال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَـٰمِ نَصِيبًا فَقَالُوا۟ هَـٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَـٰذَا لِشُرَكَآئِنَا ۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ ۗ﴾[2].

وجعل المسلمون لله نصيبًا مما كسبوا قصروه على الزكاة، فهي فحسب، وفق مدرسة أهل الحديث والنسخ، ما يجب إنفاقه في سبيل الله. أمّا كل ما يجمعه الأغنياء من مال ويعددونه: ﴿ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ﴾[3]. حتى لو كان كجبل أحد ذهبًا، فهو لهم وليس لله، بل ولا يصل إلى الله، أي لا ينفق في سبيل الله! حيث روى ابن ماجه حديثًا نسبه لخالد بن أسلم مولى عمر بن الخطاب قال فيه: «خرجت مع عبد الله بن عمر فلحقه أعرابي فقال له قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ فقال له ابن عمر من كنزها فلم يؤد زكاتها فويل له، إنما كان هذا قبل أن تنزل الزكاة فلما أنزلت جعلها الله طهورًا للأموال ثم التفت فقال: ما أبالي لو كان لي أحد ذهبًا أعلم عدده وأزكيه وأعمل فيه بطاعة الله عزّ وجلّ»[4].

---

(1) سورة النحل، الآية: 100.

(2) سورة الأنعام، الآية: 136.

(3) سورة الهمزة، الآية: 2.

(4) سنن ابن ماجة، **كتاب الزكاة**، باب ما أدى زكاته فليس بكنز، حديث 1787.

الخاتمة

لا يدّعي هذا العرض الإحاطة بمسألة تحريف الكلم عن مواضعه في الإسلام، لكنه قدّم عينة من التأويلات الخاطئة، والتي حكّم فيها المتأوّلون عقائدهم ونظرياتهم وأفكارهم المسبقة، حين أرادوا تفسير آيات القرآن الكريم، خدمة لأغراضهم المذهبية والدنيوية تارة، وخدمة لأهل المال والجاه تارة أخرى .**والسؤال الذي يتبادر إلى الذهن هنا ما هو أثر هذا التحريف على الإسلام وعلى عقيدة المسلمين؟** فإذا كان القرآن اعتبر اليهود مشركين حين حرّفوا كلام الله تعالى، حيث قال الله تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[1]، والآية تنفي على اليهود والنصارى أن يكونوا من المسلمين، والدين عند الله الإسلام. وإنّ الله تعالى يضيف وما كان من المشركين، على الرغم من أنّ المجادلين لم يفترضوا كونه مشركًا. ومن هناك فإنّ الله تعالى يعتبرهم مشركين، كما وصفهم بأنّهم يتخذون أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله، قال الله تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾[2]، ومن يفعل ذلك فهو بالضرورة مشرك.

فهل أشرك أهل الروايات من المسلمين؟ سواءً منهم من كتب تلك الروايات بأيديهم، وكذبوا على رسول الله ليحرفوا بها دلالات آيات الذكر الحكيم، أو الذين صدّقوا تلك الروايات وما ترتب عليها من تحريف لآيات الذكر الحكيم؟ الإجابة بالضرورة بنعم، **ذلك أنّ من ينسب لله قولًا لم يقله يُنصب من نفسه كاهنًا أو سادنًا لإله من صنعه، هو غير الذي في التنزيل.** ذلك أنّ العلاقة بينه وبين إلهه علاقة معكوسة؛ حيث صار إلهه يطيعه فيملي الكاهن

---

(1) سورة آل عمران، الآية: 67.

(2) سورة التوبة، الآية: 31.

أو السادن على إلهه ما يقول، وحين تنعكس العلاقة يصبح الكاهن أو السادن، الذي يدعي أنّه فقيه يبين للناس دلالات الوحي إلهًا، يملي على إلهه ما يريد من دلالات، ويُقنع أتباعه بها، وبأنّها من عند الله تعالى، وهي من عنده أو من عند وثنه الذي صنعه في ذهنه. وهو ما جعل الله تعالى يصف من فعل ذلك من الأحبار والرهبان بالأرباب، وليس حتى بالأنداد لله سبحانه وتعالى عما يصفون. وما جعله أيضًا ينفي أن يكون إبراهيم عليه السلام على دينهم، بل وصفه بأنّه لم يكن «مثلهم» من المشركين .وهذا ما يجعل المهمة الملقاة على عاتق هذه الدراسة بالغة الأهمية فهي تقرع ناقوس الخطر على انزلاق المسلمين إلى هوة الشرك من حيث لا يعلمون .غير أنّ الحكم ينصرف للفعل ولا ينصرف للفاعلين فلا يجوز تكفير المسلمين من أتباع الفرق المختلفة، بل ينبغي فقط تحذيرهم من شبهات الشرك، ودعوتهم إلى الاحتكام للقرآن عند الاختلاف والتنازع.

القضايا التي تركّز حولها التحريف:

ثمة بعض الاختلاف، فيما يتعلق بالقضايا التي تركز حولها تحريف دلالات النص القرآني، لدى المدرستين الرئيسيتين في الإسلام، مدرسة أهل الحديث والنسخ ومدرسة أهل الرواية والتأويل.

القضايا التي تركّز حولها التحريف لدى أهل الحديث والنسخ:

تركزت القضايا، التي يدور حولها تحريف الكلم عن مواضعه لدى أهل الحديث والنسخ، في نظرية عدالة الصحابة، ونظرية حجية الحديث، ونظرية شفاعة النبيّ ﷺ، ونظرية عدم خلود المسلم في النار، ونظرية السيف، ونظرية نسخ الأديان السابقة، ونظرية أفضلية النبي محمد ﷺ على غيره من الرسل عليهم السلام، بل وأفضليته على بقية الخلق، ونظرية الفرقة الناجية، ونظرية أهل البدعة والضلالة، ونظرية قصر تفريق الدين على أهل الكتب السابقة، ونظرية معجزات النبيّ ﷺ، ونظرية علم النبيّ ﷺ للغيب.

القضايا التي تركّز حولها التحريف لدى مدرسة الرواية والتأويل:

تركزت القضايا، التي يدور حولها تحريف الكلم عن مواضعه لدى أهل

الرواية والتأويل، في نظرية الولاية أو الإمامة أو الوصاية، ونظرية الحجة، ونظرية عصمة الأئمة، ونظرية أفضلية الأئمة، ونظرية شفاعة الأئمة، ونظرية علم الأئمة للغيب، ونظرية الإمام الغائب، ونظرية إسلام أباء وأجداد النبيّ ﷺ، ونظرية الفرقة الناجية.

وهذا التأويل الفاسد والمغرض لا يخفى على صاحب الفطرة والذوق السليمين، حين يتحرر من سطوة التعصب المذهبي الذي نهى عنه الله تعالى، فقال في محكم كتابه العزيز: ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (31) مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾[1]، وقال أيضًا: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾[2]، ويتحرر من سطوة تقديس السلف الذي نهى عنه الله تعالى أيضًا بقوله: ﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ﴾[3]. ويتمعن في دلالات آيات الذكر الحكيم، دون أن يركن إلى كتب التفسير، التي وقعت في مأزق تحريف الكلم عن مواضعه. ويركز بحثه على نحو خاص، في الآيات التي تكشف ما فعله بنو إسرائيل بالتوراة والإنجيل، ويتتبع ما قاموا به من تحريف للوحي الإلهي، ذكرته آيات الله في القرآن، التي لم توجه لومًا لأهل الكتب السابقة لتفريطهم في أحاديث رسلهم عليهم السلام، فلم يتوجه الله تعالى باللوم لليهود على تركهم التلمود، الذي جمع فيه الأحبار أقوال موسى عليه السلام وأقوالهم التي نسبوها إليه، أو الأناجيل التي جمع فيها من قيل بأنّهم «قديسون» أقوال المسيح عليه السلام وأقوالهم التي نسبوها إليه، بل اقتصر لومهم على تفريطهم في كتبهم المنزلة كالتوراة والإنجيل، وهو ما سجلته بعض كتب تاريخ الأديان المنصفة والموضوعية، وما أشرنا إليه في عجالة في مقدمة هذه الدراسة.

والخلاصة التي نصل إليها سواء من خلال هذا العرض، أو من خلال ما فعله أصحاب الديانات السماوية السابقة، تقول: بأنّ الثغرة التي يدخل منها

---

(1) سورة الروم، الآيتان: 31 ـ 32.
(2) سورة الأنعام، الآية: 159.
(3) سورة الزخرف، الآية: 22.

المحرّفون للأديان السماوية، كانت دائمًا التراث الشفهي للرسل والأنبياء، ذلك أنّه يسهل تحريفه من قبل المغرضين والمتأوّلين. حيث إنّه يقع ضمن دائرة أقوال البشر (رغم تعلمهم في مدرسة الوحي)، في حين لا يستطيع المحرّفون تحريف كلام الله تعالى وذلك لبعد الشقة بين كلام الله وكلام البشر، وإن تمكنوا من تحريف دلالته استنادًا إلى روايات كتبوها بأيديهم ونسبوها للرسل ﷺ، حيث استطاع أولئك المحرّفون العبث بأقوال الرسل والأنبياء ﷺ، وأوّلوا بالاستناد إليها الوحي المنزّل من السماء، فأخضعوا ما هو إلهي إلى ما هو إنساني، ومن ثم تمكنوا من إفساد الدين. ولا يمكن لنا العودة إلى الدّين القويم، إلا بإحداث فصل دقيق بين ما هو إلهي وثابت قطعًا أنّه من عند الله تعالى، وبين ما هو إنساني حتى لو كان مصدره الرسل ﷺ، وإخضاع ما يثبت أنّه من عند الرسل ﷺ لما ورد من عند الله، حيث إنّه لا يُعقل أنْ يناقض رسول من الرسل ما ثبت أنّه أوحي إليه من عند الله، ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾[1]، وحتى إذا سلّمنا جدلًا ـ وهو ما لا يمكن التسليم به ـ بأنّ ما جُمع من أحاديث الرسل في التلمود والأناجيل والصحاح هو من عند الله، فإنّه لا يجوز أنْ يتناقض ما ورد عنهم مع ما ثبت أنّه ورد من عند الله في التوراة والإنجيل والقرآن، إنْ توفر النص الأصلي للكتب المقدسة.

ومن هناك فإنّه ينبغي أنْ تنطلق دعوة صادقة، لنبذ ما لحق بالإسلام من تحريف، بداية من القرنين الثاني والثالث الهجريين، ونبذ ما لحق القرآن من كتمان أو إخفاء لبعض آياته بالنسخ، ومن تحريف لدلالات بعضها الآخر، بما يخدم نظريات الأئمة والفقهاء، ونبذ الاحتكام للرجال عند الاختلاف، حتى لو وُصف أحدٌ منهم بأنّه عدل ضابط أو حافظ أو حاكم أو أمير المؤمنين في الحديث أو ما إلى ذلك من مسميات ما أنزل الله بها من سلطان، وحتى لو قيل بأنّه يحفظ ألف ألف حديث! والغريب أنّ المقلدين لا يختلفون عن مريدي شيوخ الطرق الصوفية، فهم يصدقون كل ما يسمعونه من شيوخهم وأئمتهم على

(1) سورة النساء، الآية: 82.

أنّها فتوحات ربانية، فيسمعون من شيخهم أنّ العدل الضابط الفلاني يحفظ ألف ألف حديث! فيكبرون ويسبحون الله على ما حبى الله به ذلك العدل الضابط من قدرة على الحفظ، دون أنْ يتطرق إليهم أدنى شك في صدق ما يسمعون! ويقول لهم بأنّ الراوي الفلاني عدل ضابط، غير أنّه اختلط عقله، فكل مروياته قبل اختلاط عقله صحيحة، أمّا بعد اختلاط عقله فمتروكة، ولا يتطرق لعقول المقلدين أو المريدين أي شك، في أنّ الرواي قد يكون روى حديثًا يخدم بعض خصوم أهل الحديث والنسخ، فحُكم عليه باختلاط العقل. ويقول لهم شيخهم بأنّ الراوي الفلاني عدل ضابط غير أنّه كان يروي من كتاب ثم فقد كتابه، فمروياته قبل ضياع كتابه صحيحة غير أنّه بعد فقد كتابه فمتروكة! فيصدقون ذلك، دون أنْ يتطرق لأذهانهم حتى مجرد التساؤل عن لماذا فقد كتابه أو صحيفته، أو عن السر وراء هذا الحكم على مروياته الأخيرة. ويقول لهم شيخهم إنّ العدل الضابط الفلاني مدلّس ثقة! يدلّس في الأسانيد، ولكنه لا يدلّس في المتن فيصدقون ذلك! والأمر يشبه قول أحدهم بأنّ التاجر الفلاني يطفف في الكيل، غير أنّه لا يتلاعب بتاريخ الصلاحية! فكيف بمن لا ذمة له ويغش في مسألة ما أن يكون صادقًا في غيرها؟ غير أنّ المقلدين والمريدين لا يشكون فيما يقوله شيوخهم، وما يقوله أئمة القرنين الثاني والثالث الهجريين، بل ولا يصدقون غيرهم. ولن تنقشع الغشاوة عن أعينهم حتى يتبرأ منهم أولئك الذين يقلدونهم، يوم لا ينفع الندم، حيث يقول الله تعالى: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿166﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا۟ مِنَّا ۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾[1].

---

(1) سورة البقرة، الآيتان: 165 ـ 166.

المصادر والمراجع

1 - ابن الجوزي، **نواسخ القرآن**، تحقيق محمد أشرف الملباري، المجلس العلمي بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط1، 1404هـ.

2 - ابن حجر، **الإصابة في تمييز الصحابة**، تحقيق علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، 1992م.

3 - ابن حزم، **الإحكام في أصول الأحكام**. تحقيق الشيخ أحمد شاكر، دار الآفاق الجديدة، ط2، 1402هـ، 1983م.

4 - ابن حنبل، **مسند الإمام أحمد**، مؤسسة الرسالة، الموسوعة الحديثية، تحقيق شعيب الأرناؤوط وأخرون، ط1، 1413هـ، 1993م.

5 - ابن عبد البر، **جامع بيان العلم وفضله**، تحقيق أبي الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي، ط4، 1419هـ.

6 - ابن عبد البر، **التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد**، مكتبة ابن تيمية.

7 - صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، **شرح لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد لابن قدامة**، مكتبة دار الحجاز، ط: 1، 1433هـ، 2012م.

8 - ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ط1، دار الأندلس، 1385هـ، 1966م.

9 - ابن ماجه، **سنن ابن ماجه**، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركائه، 1372هـ.

10 - ابن تيمية، **الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح**، دار العاصمة، 1419هـ، 1999م.

11 - ابن هشام، **السيرة النبوية**، علّق عليها وخرّج أحاديثها ووضع فهارسها عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، 1408هـ، 1987م.

12 - أبو حيان، **البحر المحيط**، مكتبة النصر الحديثة المصورة، الرياض.

13 - أبو داود، **سنن أبي داود**، تحقيق محيي الدين عبد الحميد، دار الحديث، حمص، سوريا، ط: 1، 1973م.

14 - الإمام أحمد بن عمر، **التأويلات النجمية في التفسير الإشاري الصوفي**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: 1، 2009م.

15 ـ الأصبهاني، **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، دار الفكر.

16 ـ البخاري، **صحيح البخاري**، دار ابن حزم، ط1، 1429هـ، 2008م، القاهرة.

17 ـ البيضاوي، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، دار الرشيد ومؤسسة الإيمان، ط: 1، 1421هـ، 2000م.

18 ـ الترمذي، **الجامع الصحيح لسنن الترمذي**، تحقيق إبراهيم عطوة، شركة مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، محمود نصار الحلبي وشركاءه ـ خلفاء، 1962م.

19 ـ الحاكم النيسابوري، **المستدرك على الصحيحين**، دار الكتب العلمية، بيروت، 1999م.

20 ـ جلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي، **تفسير الجلالين**، دار الحديث، القاهرة، ط: 1.

21 ـ الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، مؤسسة الرسالة، 1422هـ، 2001م.

22 ـ الرازي، **مفاتيح الغيب**، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، 2000م.

23 ـ زكريا عبد الله المحرمي، **الصراع الأبدي قراءة في جدليات الصراع السياسي بين الصحابة وانقسام الموقف حولها**، مكتبة الغبيراء، ط1، 1427هـ، 2006م.

24 ـ الزمخشري، **الكشاف**، دار إحياء التراث، بيروت، ط: 1، 1417هـ.

25 ـ السخاوي، **فتح المغيث بشرح ألفية الحديث للعراقي**، مكتبة السنة، 1424هـ، 2005م.

26 ـ السمرقندي، **بحر العلوم**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: 1، 1993م.

27 ـ السيوطي، **الدر المنثور في التفسير بالمأثور**، مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية، ط: 1، 1424هـ، 2003م.

28 ـ الشافعي، **الرسالة**، تحقيق أحمد محمد شاكر، المكتبة العلمية، بيروت.

29 ـ الشافعي، **الأم**، دار الفكر، ط2، 1403هـ، 1883م.

30 ـ الشاطبي، **الموافقات في أصول الشريعة**، دار المعرفة، بيروت.

31 ـ الشوكاني، **فتح القدير**، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 1415هـ.

32 ـ الشيرازي مكارم، **آيات الولاية في القرآن**، مطبعة سليمان زادة، ط1، 1425هـ.

33 ـ الشيرازي مكارم، **الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل**، دار إحياء التراث، ط: 2، 2005م.

34 ـ الطباطبائي، **الميزان في تفسير القرآن**، دار إحياء التراث، تحقيق أباد باقر سليمان، بيروت، ط: 1، 1425هـ، 2005م.

35 ـ الطبرسي، **مجمع البيان في تفسير القرآن**، دار الفكر ودار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1، 1377هـ، 1957م.

36 ـ الطبري، **جامع البيان عن تأويل القرآن**، دار الفكر، ط1، 1421هـ، 2001م.

37 ـ د. عبد الغني عبد الخالق، **حجية السُّنة**، الدار العالمية للكتاب الإسلامي، والمعهد العالي للفكر الإسلامي، هيرندن، فرجينيا، الولايات المتحدة، ط: 2، 1415هـ، 1995م.

38 ـ عبد الرحمن السعدي، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، دار الرسالة، الطبعة الأولى، 1423هـ، 2002م.

39 ـ عبد العزيز بن باز، **مجموع فتاوى ومقالات لابن باز**، جمع محمد الشويعر، مؤسسة الرسالة، ط3، 1421هـ، بيروت.

40 ـ د. عماد علي جمعة، **أصول الفقه الميسر**، دار النفائس، ط: 1، 1429هـ.

41 ـ الفيروزآبادي، **تنوير المقباس من تفسير ابن عباس**، المكتبة العصرية، صيدا ـ بيروت، 1427هـ، 2006م.

42 ـ القاضي عياض، **كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى**، دار الفكر، 1423هـ، 2002م.

43 ـ القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، دار الكتاب العربي، 1372هـ، 1952م.

44 ـ القشيري، **لطائف الإشارات**، دار الكتب العلمية، بيروت، 2007م.

45 ـ الكاشاني، **الصافي في تفسير كلام الله الوافي**، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط: 1، 1429هـ، 2008م.

46 ـ الكليني، **الكافي**، ضبطه وصححه وعلّق عليه محمد جعفر شمس الدين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، لبنان.

47 ـ الماوردي، **النكت والعيون**، دار الكتب العلمية، بيروت، 2007م.

48 ـ محمد رشيد رضا، **تفسير المنار**، دار المعرفة، بيروت، 1414هـ.

49 ـ محمد باقر المجلسي، **بحار الأنوار لدرر أخبار الأئمة الأطهار**، دار إحياء التراث العربي، بيروت: ط: 3، 1403هـ.

50 ـ مصطفى محمود، **الشفاعة محاولة لفهم الخلاف بين المؤيدين والمعارضين**، دار أخبار اليوم، ط1، 1999.

51 ـ محمد طاهر بن عاشور، **التحرير والتنوير**، الدار التونسية للنشر، تونس، ط: 1، 1984م.

52 ـ محمد عبد الباقي الزرقاني، **شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك**، مكتبة الثقافة الدينية، 1424هـ، 2003م.

53 ـ د. محمد فاروق النبهان، **المدخل إلى علوم القرآن**، دار عالم القرآن، حلب، ط: 1، 1426هـ، 2005م.

54 ـ مسلم، **صحيح مسلم**، تحقيق محمد عبد الباقي، دار إحياء التراث، بيروت.

55 ـ د. محمد الزحيلي، **الجهود المبذولة في حجية السُّنة في القرن الرابع عشر الهجري**، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية، المجلد 22، العدد الأول، 2006، ص 350 ـ 351.

56 ـ الواحدي النيسابوري، **أسباب نزول القرآن**، تحقيق كمال بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، ط: 1، 1411هـ، 1991م.

فهرس الآيات التي تعرّضت للتحريف

﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ﴾	(87)	222، 227
﴿بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾	(90)	50، 79
﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾	(114)	493، 507
﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ﴾	(121)	184، 193
﴿قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾	(136)	231، 237، 351، 363
﴿فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾	(137)	231، 237
﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ﴾	(138)	31، 44
﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ﴾	(143)	194، 208، 329، 459، 543، 547
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾	(159)	418، 422
﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾	(170)	433، 441
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾	(174)	420، 422

الآية	رقمها	الصفحات
﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ﴾	(180)	563، 573
﴿وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟﴾	(190)	550، 559
﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾	(207)	51، 79
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾	(208)	238، 260
﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّۦنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾	(213)	424، 430
﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ﴾	(217)	551، 559
﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ﴾	(240)	565، 573
﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ أَيْنَ مَا تَكُونُوا۟ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا﴾	(248)	303، 316
﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ۚ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾	(253)	353، 363
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ ۗ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾	(254)	369، 377
﴿يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ﴾	(269)	94، 109

الآية	رقمها	الصفحة
﴿الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا وأحل الله البيع وحرم الربا فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره إلى الله ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾	(275)	386، 396
﴿وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة وأن تصدقوا خير لكم إن كنتم تعلمون﴾	(280)	514، 520
﴿وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شيء قدير﴾	(284)	523، 527
﴿آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير﴾	(285)	351، 363
سورة آل عمران		
﴿هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات﴾	(7)	126، 138
﴿والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا﴾	(7)	185، 193
﴿إن الدين عند الله الإسلام﴾	(19)	459، 469، 530، 537
﴿ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يدعون إلى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون﴾	(24)	433، 441
﴿قل أطيعوا الله والرسول فإن تولوا فإن الله لا يحب الكافرين﴾	(32)	342، 347
﴿فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنت الله على الكاذبين﴾	(61)	152، 164

﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾	(68)	232، 237
﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾	(77)	409، 415
﴿قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾	(84)	351، 363
﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾	(85)	459، 469، 531، 537
﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ﴾	(90)	53، 79
﴿فَمَنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾	(94)	476، 504
﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾	(105)	424، 430
﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾	(106)	444، 450
﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾	(110)	459، 469

﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٤﴾ وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾	(113 ـ 115)	533، 537
﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾	(132)	342، 347
﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾	(144)	477، 505
﴿أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ﴾	(162)	240، 260
﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾	(187)	420، 422، 433، 441
﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾	(188)	494، 507
سورة النساء		
﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾	(14)	386، 397، 409، 415
﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾	(16)	400، 407، 523، 528
﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكُمْ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ﴾	(24)	566، 573
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾	(29)	514، 521

﴿وَٱلَّذِينَ عَقَدَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ فَـَٔاتُوهُمۡ نَصِيبَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدًا﴾	(33)	168، 181
﴿فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلۡهَوَىٰٓ أَن تَعۡدِلُواْۚ وَإِن تَلۡوُۥٓاْ أَوۡ تُعۡرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرًا﴾	(35)	253، 263
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلۡنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم﴾	(47)	129، 138
﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡجِبۡتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَٰٓؤُلَآءِ أَهۡدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا﴾	(51)	195، 208
﴿أَمۡ لَهُمۡ نَصِيبٌ مِّنَ ٱلۡمُلۡكِ فَإِذًا لَّا يُؤۡتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا﴾	(53)	210، 212
﴿فَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ ءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَءَاتَيۡنَٰهُم مُّلۡكًا عَظِيمًا﴾	(54)	196، 208
﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾	(56)	342، 347
﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ﴾	(58)	198، 208
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾	(59)	200، 208، 342، 347، 543، 547
﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيۡرًا لَّهُمۡ وَأَشَدَّ تَثۡبِيتًا﴾	(66)	141، 142
﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظًا﴾	(80)	342، 347
﴿وَمَن يَقۡتُلۡ مُؤۡمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾	(93)	319، 326، 386، 397

الآية	الرقم	الصفحات
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنۡ أَلۡقَىٰٓ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسۡتَ مُؤۡمِنٗا تَبۡتَغُونَ عَرَضَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾	(94)	552، 559
﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ﴾	(105)	270، 274
﴿وَلَا تُجَٰدِلۡ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخۡتَانُونَ أَنفُسَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمٗا﴾	(107)	409، 416
﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾	(115)	543، 547
﴿لَّيۡسَ بِأَمَانِيِّكُمۡ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِۗ مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدۡ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا﴾	(123)	400، 407
﴿وَإِن مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤۡمِنَنَّ بِهِۦ قَبۡلَ مَوۡتِهِۦۖ﴾	(159)	96، 109
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمۡ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغۡفِرَ لَهُمۡ وَلَا لِيَهۡدِيَهُمۡ طَرِيقًا (168) إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ﴾	(168 ـ 169)	233، 237
سورة المائدة		
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ أُحِلَّتۡ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلۡأَنۡعَٰمِ إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ غَيۡرَ مُحِلِّي ٱلصَّيۡدِ وَأَنتُمۡ حُرُمٌۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ مَا يُرِيدُ﴾	(1)	568، 574
﴿حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحۡمُ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلۡمُنۡخَنِقَةُ وَٱلۡمَوۡقُوذَةُ وَٱلۡمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيۡتُمۡ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسۡتَقۡسِمُواْ بِٱلۡأَزۡلَٰمِۚ ذَٰلِكُمۡ فِسۡقٌۗ ٱلۡيَوۡمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمۡ فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِۚ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ فِي مَخۡمَصَةٍ غَيۡرَ مُتَجَانِفٖ لِّإِثۡمٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾	(3)	569، 574

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾	(15)	381، 384
﴿وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ﴾	(43)	534، 537
﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾	(44)	478، 505
﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾	(45)	478، 505
﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾	(47)	480، 505، 534، 538
﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾	(55)	34، 45
﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ﴾	(66)	36، 45
﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾	(67)	36، 45
﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾	(68)	536، 538
سورة الأنعام		
﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾	(19)	223، 227
﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾	(57)	587، 589
﴿وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَذَكِّرْ بِهِ أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِنْ تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَا يُؤْخَذْ مِنْهَا أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾	(70)	496، 507

الآية	رقمها	الصفحة
﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصۡنَامًا ءَالِهَةً إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوۡمَكَ فِى ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾	(74)	281، 283
﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾	(82)	293، 301
﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٖ يَطۡعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيۡتَةً أَوۡ دَمٗا مَّسۡفُوحًا أَوۡ لَحۡمَ خِنزِيرٖ فَإِنَّهُۥ رِجۡسٌ أَوۡ فِسۡقًا أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦۚ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾	(145)	570، 574
﴿وَلَا تَقۡتُلُواْ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾	(151)	556، 560
﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾	(152)	444، 450
﴿أَوۡ تَقُولُواْ لَوۡ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا ٱلۡكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهۡدَىٰ مِنۡهُمۡۚ فَقَدۡ جَآءَكُم بَيِّنَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞۚ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنۡهَاۗ سَنَجۡزِى ٱلَّذِينَ يَصۡدِفُونَ عَنۡ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يَصۡدِفُونَ﴾	(157)	498، 507
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِى شَىۡءٍۚ﴾	(159)	424، 430
سورة الأعراف		
﴿وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهۡتَدِىَ لَوۡلَآ أَنۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُۖ﴾	(43)	241، 261
﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُۢ بَيۡنَهُمۡ أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾	(44)	97، 109
﴿وَعَلَى ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٞ يَعۡرِفُونَ كُلَّۢا بِسِيمَٰهُمۡۚ﴾	(46)	169، 181
﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأۡوِيلَهُۥۚ يَوۡمَ يَأۡتِى تَأۡوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبۡلُ﴾	(53)	433، 442، 481، 505
﴿فَٱذۡكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾	(68)	185، 193
﴿وَرَحۡمَتِى وَسِعَتۡ كُلَّ شَىۡءٖۚ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾	(156)	284، 291

سورة الأنفال

سورة التوبة

﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾	(19)	54، 79
﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾	(34)	514، 521
﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾	(43)	276، 279
﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾	(100)	99، 109، 330، 335
﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِىِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾	(117)	330، 335
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾	(119)	186، 193
سورة يونس		
﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ﴾	(2)	88، 93
﴿ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ ۚ﴾	(15)	129، 138
﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ﴾	(26)	454، 457
﴿قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ ۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾	(53)	116، 124
﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾	(58)	216، 220
﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ﴾	(64)	303، 316
﴿وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾	(101)	172، 182
سورة هود		
﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾	(17)	105، 109

الآية	رقمها	الصفحات
سورة النحل		
﴿وَعَلَٰمَٰتٍۚ وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ﴾	(16)	188، 193
﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۚ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾	(43)	224، 227
﴿يَعۡرِفُونَ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾	(83)	112، 115
﴿وَلَا تَنقُضُواْ ٱلۡأَيۡمَٰنَ بَعۡدَ تَوۡكِيدِهَا وَقَدۡ جَعَلۡتُمُ ٱللَّهَ عَلَيۡكُمۡ كَفِيلًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ﴾	(91)	55، 80
﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾	(107)	483، 505
سورة الإسراء		
﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ أَجۡرٗا كَبِيرٗا﴾	(9)	37، 45
﴿وَلَقَدۡ فَضَّلۡنَا بَعۡضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعۡضٖۖ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا﴾	(55)	353، 364
﴿وَمَا جَعَلۡنَا ٱلرُّءۡيَا ٱلَّتِيٓ أَرَيۡنَٰكَ إِلَّا فِتۡنَةٗ لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلۡمَلۡعُونَةَ فِي ٱلۡقُرۡءَانِۚ وَنُخَوِّفُهُمۡ فَمَا يَزِيدُهُمۡ إِلَّا طُغۡيَٰنٗا كَبِيرٗا﴾	(60)	325، 328
﴿وَٱسۡتَفۡزِزۡ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتَ مِنۡهُم بِصَوۡتِكَ وَأَجۡلِبۡ عَلَيۡهِم بِخَيۡلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِ وَعِدۡهُمۡۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا﴾	(64)	322، 327
﴿يَوۡمَ نَدۡعُواْ كُلَّ أُنَاسِۭ بِإِمَٰمِهِمۡۖ﴾	(71)	189، 193
﴿وَلَوۡلَآ أَن ثَبَّتۡنَٰكَ لَقَدۡ كِدتَّ تَرۡكَنُ إِلَيۡهِمۡ شَيۡـٔٗا قَلِيلًا﴾	(74)	276، 279
﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾	(79)	367، 377
﴿وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٖ فَأَبَىٰٓ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورٗا﴾	(89)	130، 138
سورة الكهف		
﴿هُنَالِكَ ٱلۡوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلۡحَقِّۚ هُوَ خَيۡرٞ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ عُقۡبٗا﴾	(43)	143، 145

﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾	(89)	130، 138
سورة مريم		
﴿كٓهيعٓصٓ﴾	(1)	157، 165
﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلْعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا﴾	(45)	305، 317
﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾	(73)	243، 261
﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَٰثًا وَرِءْيًا﴾	(74)	244، 261
﴿قُلْ مَن كَانَ فِى ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلْعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا﴾	(75)	246، 261
﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى ۗ﴾	(76)	307، 317
﴿لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾	(87)	227، 230، 265، 269
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾	(96)	57، 80، 89، 93
﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا﴾	(97)	57، 80
سورة طه		
﴿إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى﴾	(12)	585، 586
﴿وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾	(82)	295، 301، 444، 450
﴿مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا﴾	(100)	499، 508
﴿وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾	(111)	392، 398
﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾	(115)	213، 216

الآية	رقمها	الصفحة
﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ﴾	(116)	115 ،113
﴿قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾	(123)	262 ،247
﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾	(125)	138 ،132
﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ﴾	(127)	81 ،65
سورة الأنبياء		
﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ﴾	(47)	182 ،175
﴿لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾	(103)	301 ،296
﴿أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾	(105)	317 ،308
سورة الحج		
﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ﴾	(19)	80 ،58
﴿وَهُدُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ﴾	(24)	80 ،59
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ ۚ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾	(25)	80 ،60
﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ فَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ﴾	(45)	182 ،176
﴿وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ﴾	(78)	209 ،203

الآية	رقمها	الصفحة
سورة النور		
﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ﴾	(35)	247، 262
﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ۚ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا ۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾	(40)	323، 327
﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾	(55)	204، 209
﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾	(56)	342، 347
سورة الفرقان		
﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا﴾	(30)	433، 441
﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا﴾	(63)	235، 237
سورة الشعراء		
﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿193﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ﴾	(193ـ194)	61، 80
﴿أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ﴿205﴾ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿206﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يُمَتَّعُونَ﴾	(205ـ207)	324، 328
﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿217﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿218﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ﴾	(217ـ219)	282، 283
سورة النمل		
﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓا۟ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾	(52)	583، 586

﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾	(88)	584، 586
﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾	(90)	392، 397
سورة القصص		
﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾	(50)	38، 45
﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾	(51)	217، 220
سورة العنكبوت		
﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾	(49)	189، 194
سورة الروم		
﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾	(30)	39، 45
﴿وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ (31) مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا﴾	(31 ـ 32)	424، 430
﴿لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ﴾	(56)	225، 227
سورة لقمان		
﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا﴾	(15)	144، 145
سورة الأحزاب		
﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾	(33)	154، 165
﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾	(34)	340، 346

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾	(36)	342، 348
﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ﴾	(53)	270، 274
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا۟﴾	(69)	270، 274
﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾	(71)	272، 274
﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾	(72)	62، 80
سورة سبأ		
﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾	(28)	353، 364
﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟ ۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ۚ﴾	(46)	133، 138
﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا۟ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾	(51)	309، 317
سورة فاطر		
﴿وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَمَكْرُ أُو۟لَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾	(10)	485، 502، 505، 508
﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ۚ﴾	(10)	249، 262
﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ﴾	(32)	190، 194، 459، 470
سورة يس		
﴿لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾	(7)	250، 262
﴿وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾	(9)	250، 262

الآية	رقمها	الصفحة
﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ ۖ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾	(11)	239، 260
سورة الصافات		
﴿وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾	(107)	160، 165
﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ﴾	(130)	176، 181
سورة الزمر		
﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾	(18)	297، 301
﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾	(33)	90، 93
﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾	(65)	63، 80، 276، 279
سورة غافر		
﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ ۖ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُوا۟ ۚ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ﴾	(12)	218، 220
﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْءَازِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ ۚ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾	(18)	503، 508
﴿وَٱللَّهُ يَقْضِى بِٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقْضُونَ بِشَىْءٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾	(20)	486، 506
سورة فصلت		
﴿فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾	(27)	253، 263
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾	(30)	298، 301

النص	الآية	الصفحات
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخۡفَوۡنَ عَلَيۡنَآۗ أَفَمَن يُلۡقَىٰ فِي ٱلنَّارِ خَيۡرٌ أَم مَّن يَأۡتِيٓ ءَامِنٗا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ (40) إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكۡرِ لَمَّا جَآءَهُمۡۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٞ﴾	(40 ـ 41)	487، 506
سورة الشورى		
﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيۡهِمۡ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِوَكِيلٖ﴾	(6)	488، 506
﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ ٱللَّهُ يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ (13) وَمَا تَفَرَّقُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۚ وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى لَّقُضِيَ بَيۡنَهُمۡۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُ مُرِيبٖ﴾	(13 ـ 14)	39، 45، 64، 81، 205، 209، 424، 431
﴿ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ﴾	(19)	65، 81
﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلۡأٓخِرَةِ نَزِدۡ لَهُۥ فِي حَرۡثِهِۦۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلدُّنۡيَا نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾	(20)	65، 81
﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ وَمَن يَقۡتَرِفۡ حَسَنَةٗ نَّزِدۡ لَهُۥ فِيهَا حُسۡنًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ شَكُورٌ﴾	(23 ـ 24)	273، 274، 540، 542
سورة الزخرف		
﴿وَجَعَلُواْ لَهُۥ مِنۡ عِبَادِهِۦ جُزۡءًاۚ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَكَفُورٞ مُّبِينٌ﴾	(15)	489، 506
﴿وَمَن يَعۡشُ عَن ذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ نُقَيِّضۡ لَهُۥ شَيۡطَٰنٗا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٞ (36) وَإِنَّهُمۡ لَيَصُدُّونَهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحۡسَبُونَ أَنَّهُم مُّهۡتَدُونَ﴾	(36 ـ 37)	490، 506
﴿فَٱسۡتَمۡسِكۡ بِٱلَّذِيٓ أُوحِيَ إِلَيۡكَۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾	(43)	134، 139
﴿وَلَا يَمۡلِكُ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلۡحَقِّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾	(86)	369، 377

سورة الدخان		
﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿41﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُۚ﴾	(41 ـ 42)	369، 377
سورة الأحقاف		
﴿ٱئْتُونِي بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾	(4)	229، 230
﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ﴾	(9)	359، 364
سورة محمد		
﴿وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلْأٓخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾	(25)	65، 81
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ﴾	(28)	67، 81
﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُواْ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ﴾	(28)	67، 81
سورة الفتح		
﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾	(18)	330، 335
﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦۚ﴾	(28)	310، 317
سورة الحجرات		
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ﴾	(6)	345، 348
﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَۚ﴾	(7)	59، 80
﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِۚ﴾	(9)	584، 586

سورة ق		
﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيۡنَا مَزِيدٞ﴾	(35)	454، 457
سورة الذاريات		
﴿إِنَّكُمۡ لَفِي قَوۡلٖ مُّخۡتَلِفٖ ۝٨ يُؤۡفَكُ عَنۡهُ مَنۡ أُفِكَ﴾	(8 ـ 9)	42، 45
﴿فَأَخۡرَجۡنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٣٥ فَمَا وَجَدۡنَا فِيهَا غَيۡرَ بَيۡتٖ مِّنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾	(35 ـ 36)	214، 216
سورة الطور		
﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَمَآ أَلَتۡنَٰهُم مِّنۡ عَمَلِهِم مِّن شَيۡءٖ﴾	(21)	207، 209
سورة النجم		
﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ﴾	(3 ـ 4)	339، 346
سورة الرحمن		
﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾	(13)	42، 45
سورة الواقعة		
﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡمُقَرَّبُونَ ۝١١ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾	(10 ـ 12)	106، 109
سورة الحديد		
﴿لَا يَسۡتَوِي مِنكُم مَّنۡ أَنفَقَ مِن قَبۡلِ ٱلۡفَتۡحِ وَقَٰتَلَۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعۡظَمُ دَرَجَةٗ مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعۡدُ وَقَٰتَلُواْۚ وَكُلّٗا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ﴾	(10)	330، 335
﴿يَوۡمَ تَرَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَسۡعَىٰ نُورُهُم بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِم بُشۡرَىٰكُمُ﴾	(12)	251، 262
﴿لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ﴾	(23)	320، 326
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ مِن رَّحۡمَتِهِۦ﴾	(28)	161، 165

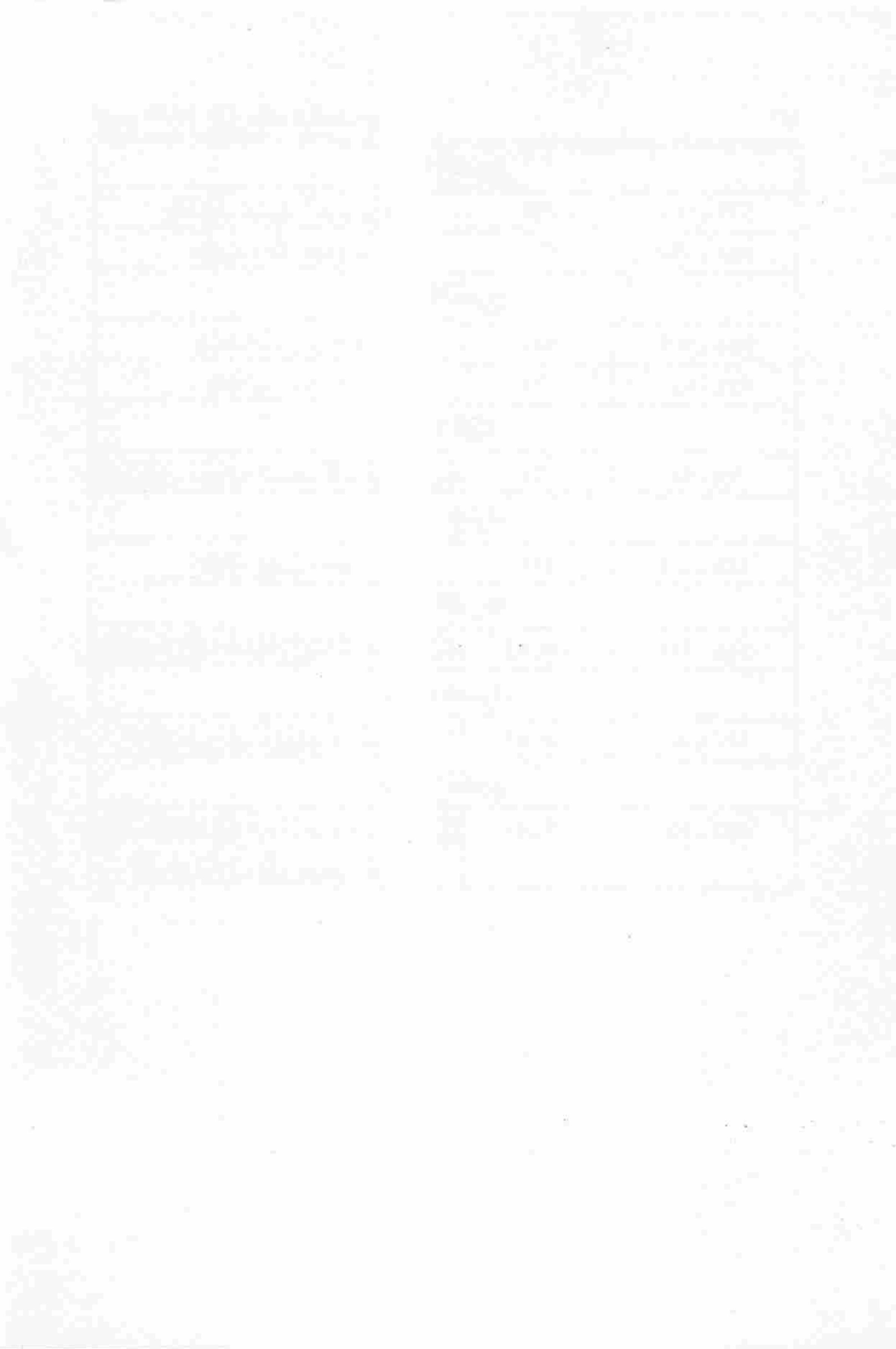
سورة الحشر		
﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ﴾	(7)	347 ،342
﴿لِلۡفُقَرَآءِ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأَمۡوَٰلِهِمۡ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ⑧ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةٗ مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾	(8 ـ 9)	336 ،330
سورة الصف		
﴿يُرِيدُونَ لِيُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾	(8)	74 ،69
﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ﴾	(9)	81 ،69
سورة المنافقون		
﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشۡهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾	(1)	81 ،70
﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةٗ فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّهُمۡ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾	(2)	82 ،70
﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَفۡقَهُونَ﴾	(3)	82 ،70
﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ يَسۡتَغۡفِرۡ لَكُمۡ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوۡاْ رُءُوسَهُمۡ وَرَأَيۡتَهُمۡ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسۡتَكۡبِرُونَ﴾	(5)	82 ،72
﴿سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ أَسۡتَغۡفَرۡتَ لَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ لَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡۚ﴾	(6)	82 ،72
سورة التغابن		
﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ فَمِنكُمۡ كَافِرٞ وَمِنكُم مُّؤۡمِنٞۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ﴾	(2)	302 ،299

<table>
<tr><td>﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلۡنَاۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ﴾</td><td>(8)</td><td>74، 82، 252، 262</td></tr>
<tr><td colspan="3">سورة التحريم</td></tr>
<tr><td>﴿وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيۡهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوۡلَىٰهُ وَجِبۡرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ﴾</td><td>(4)</td><td>91، 94</td></tr>
<tr><td colspan="3">سورة الملك</td></tr>
<tr><td>﴿أَفَمَن يَمۡشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجۡهِهِۦٓ أَهۡدَىٰٓ أَمَّن يَمۡشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾</td><td>(22)</td><td>114، 116، 135، 139</td></tr>
<tr><td>﴿فَلَمَّا رَأَوۡهُ زُلۡفَةٗ سِيٓـَٔتۡ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾</td><td>(27)</td><td>120، 125</td></tr>
<tr><td>﴿قُلۡ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيۡهِ تَوَكَّلۡنَاۖ فَسَتَعۡلَمُونَ مَنۡ هُوَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾</td><td>(29)</td><td>253، 263</td></tr>
<tr><td colspan="3">سورة الحاقة</td></tr>
<tr><td>﴿لِنَجۡعَلَهَا لَكُمۡ تَذۡكِرَةٗ وَتَعِيَهَآ أُذُنٞ وَٰعِيَةٞ﴾</td><td>(12)</td><td>107، 110</td></tr>
<tr><td>﴿وَيَحۡمِلُ عَرۡشَ رَبِّكَ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ ثَمَٰنِيَةٞ﴾</td><td>(17)</td><td>178، 181</td></tr>
<tr><td>﴿وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُوتَ كِتَٰبِيَهۡ (25) وَلَمۡ أَدۡرِ مَا حِسَابِيَهۡ (26) يَٰلَيۡتَهَا كَانَتِ ٱلۡقَاضِيَةَ (27) مَآ أَغۡنَىٰ عَنِّي مَالِيَهۡۜ (28) هَلَكَ عَنِّي سُلۡطَٰنِيَهۡ (29) خُذُوهُ فَغُلُّوهُ (30) ثُمَّ ٱلۡجَحِيمَ صَلُّوهُ (31) ثُمَّ فِي سِلۡسِلَةٖ ذَرۡعُهَا سَبۡعُونَ ذِرَاعٗا فَٱسۡلُكُوهُ﴾</td><td>(25 ـ 32)</td><td>321، 327</td></tr>
<tr><td>﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ (40) وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَاعِرٖۚ قَلِيلٗا مَّا تُؤۡمِنُونَ (41) وَلَا بِقَوۡلِ كَاهِنٖۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ (42) تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾</td><td>(40 ـ 43)</td><td>43، 46، 135، 139</td></tr>
<tr><td>﴿وَلَوۡ تَقَوَّلَ عَلَيۡنَا بَعۡضَ ٱلۡأَقَاوِيلِ (44) لَأَخَذۡنَا مِنۡهُ بِٱلۡيَمِينِ (45) ثُمَّ لَقَطَعۡنَا مِنۡهُ ٱلۡوَتِينَ (46) فَمَا مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ عَنۡهُ حَٰجِزِينَ﴾</td><td>(44 ـ 47)</td><td>135، 139</td></tr>
<tr><td>﴿وَإِنَّهُۥ لَتَذۡكِرَةٞ لِّلۡمُتَّقِينَ (48) وَإِنَّا لَنَعۡلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ (49) وَإِنَّهُۥ لَحَسۡرَةٌ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ (50) وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلۡيَقِينِ (51) فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ﴾</td><td>(48 ـ 52)</td><td>135، 139</td></tr>
</table>

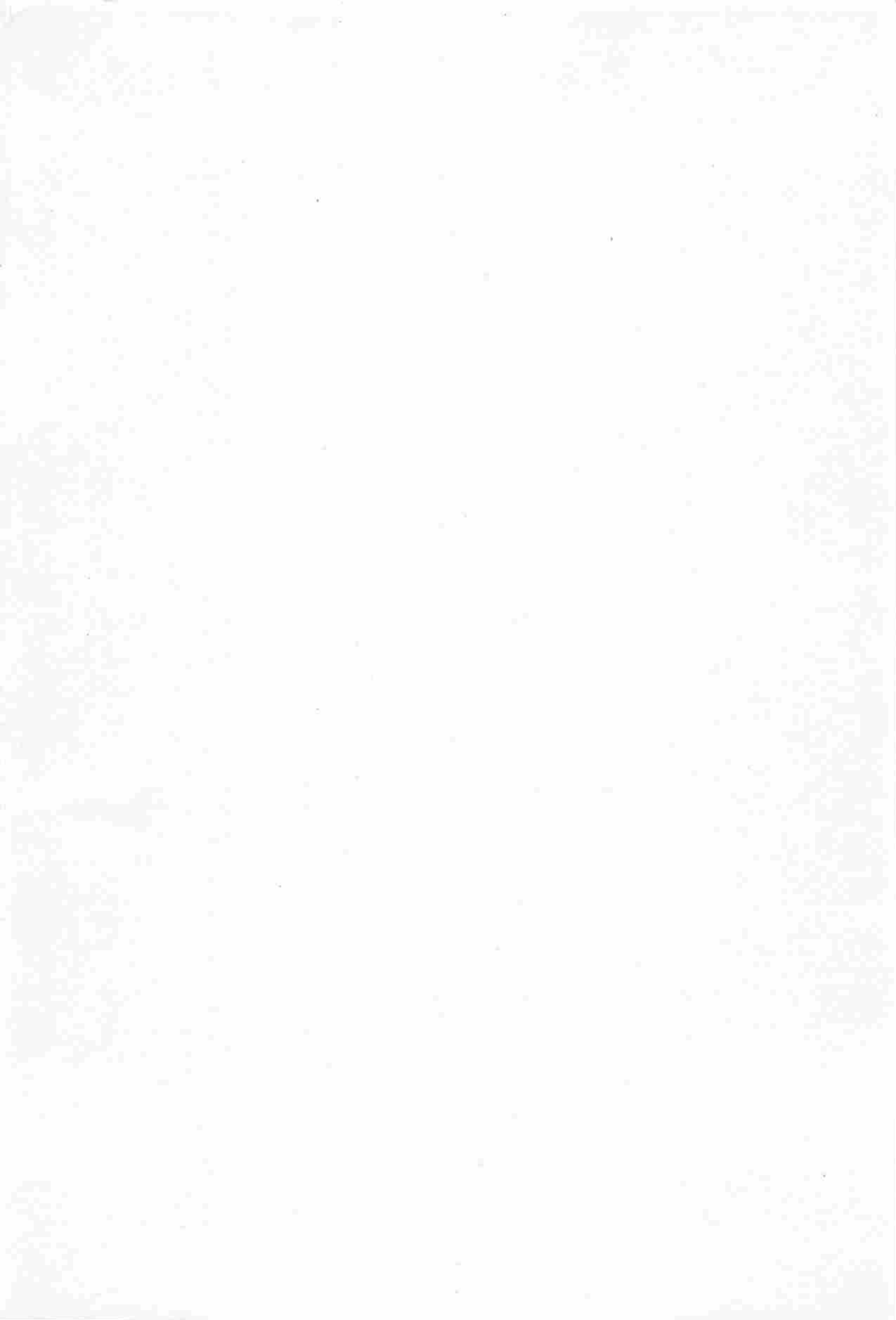
الآية	رقمها	الصفحات
سورة المعارج		
﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ (1) لِّلۡكَٰفِرِينَ لَيۡسَ لَهُۥ دَافِعٞ﴾	(1 ـ 2)	117، 124
سورة نوح		
﴿رَّبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيۡتِيَ مُؤۡمِنٗا وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارَۢا﴾	(28)	215، 216
سورة الجن		
﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعۡنَا ٱلۡهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦۖ فَمَن يُؤۡمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخۡسٗا وَلَا رَهَقٗا﴾	(13)	73، 82
﴿وَأَلَّوِ ٱسۡتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسۡقَيۡنَٰهُم مَّآءً غَدَقٗا﴾	(16)	300، 302
﴿وَمَن يُعۡرِضۡ عَن ذِكۡرِ رَبِّهِۦ يَسۡلُكۡهُ عَذَابٗا صَعَدٗا﴾	(17)	503، 508
﴿وَأَنَّ ٱلۡمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا﴾	(18)	219، 220، 491، 506
﴿قُلۡ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٞ وَلَنۡ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلۡتَحَدًا (22) إِلَّا بَلَٰغٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦۚ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا (23) حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوۡاْ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعۡلَمُونَ مَنۡ أَضۡعَفُ نَاصِرٗا وَأَقَلُّ عَدَدٗا﴾	(22 ـ 24)	73، 82، 311، 314، 409، 416
سورة المزمل		
﴿وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرٗا جَمِيلٗا﴾	(10)	75، 83
﴿وَذَرۡنِي وَٱلۡمُكَذِّبِينَ أُوْلِي ٱلنَّعۡمَةِ وَمَهِّلۡهُمۡ قَلِيلًا﴾	(11)	75، 83
سورة المدثر		
﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ﴾	(8)	315، 317
﴿لِيَسۡتَيۡقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ وَيَزۡدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنٗا وَلَا يَرۡتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ وَٱلۡكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلٗاۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَمَا يَعۡلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَۚ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡبَشَرِ﴾	(31)	75، 83، 119، 124، 311
﴿إِنَّهَا لَإِحۡدَى ٱلۡكُبَرِ﴾	(35)	119، 125

﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾	(37)	255، 263
﴿إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ﴾	(39)	255، 263
﴿مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿42﴾ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿43﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ﴾	(42 ـ 44)	235، 237
﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ﴾	(49)	255، 263
﴿كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ﴾	(54)	255، 263،
سورة القيامة		
﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿22﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾	(22 ـ 23)	454، 457
سورة الإنسان		
﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ﴿7﴾ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾	(7 ـ 8)	162، 165، 192، 194، 557، 560
﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا﴾	(23)	219، 220
﴿يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾	(31)	257، 263، 392، 398
سورة المرسلات		
﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾	(15)	76، 83
﴿أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ﴾	(16)	76، 83
﴿ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ ٱلْءَاخِرِينَ ﴿17﴾ كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ﴾	(17 ـ 18)	76، 83
﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ﴾	(41)	76، 83
سورة النبأ		
﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ﴿1﴾ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ﴾	(1 ـ 2)	121، 125
﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا ۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾	(38)	76، 83

سورة النازعات		
﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿42﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿43﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ﴾	(42 ـ 44)	357، 364
سورة عبس		
﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿1﴾ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ﴿2﴾ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ﴾	(1 ـ 3)	277، 279
سورة التكوير		
﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ﴿15﴾ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ﴾	(15 ـ 16)	315، 317
سورة الانفطار		
﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿17﴾ ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿18﴾ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾	(17 ـ 19)	357، 364
سورة المطففين		
﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَـٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ﴾	(7)	121، 125
﴿ثُمَّ يُقَالُ هَـٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾	(17)	121، 125
سورة الانشقاق		
﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾	(19)	180، 182
سورة البروج		
﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾	(3)	122، 125
سورة الأعلى		
﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿16﴾ وَٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾	(16 ـ 17)	259، 264
سورة البلد		
﴿لَآ أُقْسِمُ بِهَـٰذَا ٱلْبَلَدِ ﴿1﴾ وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَـٰذَا ٱلْبَلَدِ ﴿2﴾ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ﴾	(1 ـ 3)	211، 212
﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿11﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿12﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ﴾	(11 ـ 13)	78، 83









قلبَ الأحبار والرهبان والقساوسة علاقة العبودية لله تعالى رأساً على عقب، فصاروا آلهة وجعلوا من إلههم أو بمعنى أدق وثنهم الذي إمعاناً في المكر أطلقوا عليه أسم الله تعالى عبداً لهم! فلهم الأمر وعلى إلههم السمع والطاعة، فكان حالهم كحال الرجل الذي أضل راحلته ثم وجدها في أحدى روايات أهل الحديث فقال من شدة فرحه اللهم أنت عبدي وأنا ربّك. وهذا الرجل وفقاً للرواية لم يتعمد أن يقلب العلاقة بينه وبين الله سبحانه وتعالى، غير أنّ الأحبار والرهبان والقساوسة تعمدوا قلبها؛ حيث تقمصوا دور الكهنة والسدنة في الديانات الوضعية، فالكهنة والسدنة يخلقون ألهتهم ويملون عليهم ما أرادوا من أحكام، حين ينسبون لها من الأقوال ما لم تقل، وعادة ما يختارونها مما لا تنطق حتى لا تكذبهم. وهكذا فعل الأحبار والقساوسة حين صاروا ينسبون لله تعالى ما لم يقل، ويصدرون تشريعات باسمه لم ينزلها على رسله عليهم السلام، فيحرمون ما أحل الله ويحلون ما حرّم الله، وينسبون إليه ما يشاؤون من أحكام وتشريعات. وهم يتلون ما أنزل الله ألا ساء ما يحكمون. وهم بذلك انتقلوا ونقلوا أتباعهم من عبادة الله تعالى إلى عبادة وثن كعجل السامري، لا يختلف عن عجل السامري إلاّ في كونه لا جسد ولا خوار له.

وقلدهم بعض أئمة وفقهاء المسلمين، فقلبوا علاقة العبودية بينهم وبين الله وصاروا أرباباً من دون الله تعالى، واختلقوا وثناً أسموه الله ليلبسوا علينا ديننا، فقوّلوا الله تعالى ما لم يقل، وحرّموا ما أحل الله تعالى، وأحلوا ما حرّم الله تعالى، وحرفوا الكلم عن مواضعه، وكتموا ما لا يناسب أهل الجاه والمال، وما لا يناسبهم من آيات الله تعالى. فكان لهم وثناً كعجل السامري، ولا يختلف عنه كما أسلفنا إلاّ في كونه لا جسد ولا خوار له.


ISBN 978-614-404-628-9